فرهاد عوني

ذاكرة الأيام

تقديم

د. عبدالفتاح علي بوتاني

الطبعة الأولى
٢٠١١

فرهاد عوني

ذاكرة الأيـام

تقديم

د. عبدالفتاح بوتاني

الطبعة الأولى

٢٠١١

- اسم الكتاب/ ذاكرة الأيام

- المؤلف/ فرهاد عوني

- تقديم/ د. عبدالفتاح بوتاني

- الإشراف الفني/ عثمان بيرداود

- التصميم الداخلي والغلاف/ عمر شهاب

- الطبعة الأولى ٢٠١١/ أربيل

- عدد النسخ ١٥٠٠ نسخة

- رقم الإيداع في المكتبة الوطنية لوزارة الثقافة والشباب في إقليم كوردستان (١١٠) لسنة ٢٠١١

	الموضوع	ص
١.	في البدء كانت الكلمة	٥
٢.	عن الكاتب والكتاب	٧
٣.	انطباعات عن احتفاء أبناء كويسنجق بزيارة البارزاني الخالد	١٩
٤.	قصة تشكيل أول محكمة قانونية أبان ثورة أيلول عام ١٩٦٣	٣٩
٥.	بدايات صدور جريدة (برايه تي) في بغداد عام ١٩٦٧	٥١
٦.	ذكريات عن لقاء تأريخي مع البارزاني الخالد	٦٣
٧.	ذكريات عن أيام ترقب عشناها في بغداد قبل إعلان اتفاقية ١١ آذار ١٩٧٠	٧٧
٨.	ذكريات عن مؤتمر الطلبة الإيرانيين المناهضين لحكم الشاه في مدينة فرانكفورت	٩١
٩.	ذكريات عن مشاركتنا في أعمال المؤتمر التأسيسي لاتحاد طلبة كورد لبنان	١٠١
١٠.	ذكريات عن معسكرات الطلبة في الريف الكوردستاني	١١١
١١.	أسرار وخفايا الانتخابات الطلابية في محافظة كركوك قبل ٣١ عاما	١٣٥
١٢.	كوردستان كانت حاضرة معنا في رومانيا قبل ٢٤ عاما	١٥٩
١٣.	ذكريات عن مشاركة أكبر وفد شبابي كوردستاني في المهرجان العالمي العاشر للطلبة والشباب في برلين ١٩٧٣	١٧٧
١٤.	قصة إيصال رسالة موجهة من البارزاني الخالد إلى مؤتمر قمة دول عدم الانحياز المنعقد في الجزائر عام ١٩٧٣	١٨٩
١٥.	صفحة أخرى من صفحات ثورة أيلول الكبرى	٢٠٧
١٦.	صفحات مجهولة من حياة دارا توفيق	٢٣١
١٧.	صفحات مجهولة من حياة عزالدين الملا فندي النائب الأول لرئيس مجلس النواب في العهد الملكي	٢٥٩
١٨.	أسرار جديدة عن ثورة ١٤ تموز عام ١٩٥٨ بعد ٤٢ عاماً على قيامها	٢٧٧

	كشفها عزالدين الملا قبل رحيله	
١٩.	أحمد قاضي يستذكر أيام جمهورية مهاباد عام ١٩٤٦	٣٠٣
٢٠.	مرثية لمحطات ثلاث تعرضت فيها ممتلكاتي ومكتبتي وأوراقي وشهادات أولادي وأرشيفي للنهب والضياع..	٣٣١
٢١.	رحلة في ذاكرة عبدالله زيباري	٣٥٥
٢٢.	ذكريات مع فرنسو حريري.. الغائب الحاضر	٣٧٧
٢٣.	جوانب مجهولة من حياة العميد المتقاعد عبدالله سعيد وأسرار تنشر لأول مرة	٤١٨
٢٤.	الكورد.. بين صراحة سليم الفخري وغرابة تفكير صالح القلاب	٤٧٣
٢٥.	النقود الرديئة تطرد النقود الجيّدة في السوق من التداول	٤٨٣
٢٦.	بغداد بين الأمس واليوم كما أراها اليوم	٤٨٧
٢٧.	بين موقف (ناحوم) ومنطق (هويدي)!	٥١١
٢٨.	حتى أسمائنا الكوردية تلحق بنا الأذى	٥٢١
٢٩.	خسرو توفيق رجل المبادئ والقيم الوطنية كما لم يعرفه الآخرون	٥٣٥
٣٠.	شهاب التميمي في الجهة الأخرى من المرآة	٥٦٩
٣١.	على طريق النوايا الطيبة وتجربة خالد علي الصالح مع حزب البعث	٥٨١
٣٢.	مشاركة نقابة صحفيي كوردستان في المؤتمر ٢٦ لـ(IFJ) الذي انعقد في موسكو.. وكان لنا حديث آخر!	٦٠٧
٣٣.	كركوك بين ثوابتها التاريخية ومنطق طارق عزيز	٦٣٧
٣٤.	عندما قال سعيد قزاز: "لا أنام حتى تنام دجلة"	٦٤١
٣٥.	من منطق يونس الطائي إلى سليم مطر والعياذ بالله	٦٤٥
٣٦.	هل أدلى عزيز الحاج بشهادته للتأريخ عن قناعة كاملة؟!	٦٤٩
٣٧.	رحلت عنا زينب.. ومن حقنا أن نرثيها	٦٦٣
٣٨.	على مقربة من قصر أوشي في لوزان كان لي حوار مع عصمت شريف وانلي	٦٦٩

في البدء كانت الكلمة..

هذا الكتاب يتضمن مجموعة من المواضيع التي تتناول أحداثاً كوردستانية وعراقية قدُر لي أن أكون في صميمها أو شاهداً عليها أو متحدثاً مع شخوصها موثقاً شهادتها للتاريخ بأمانة..

وقد سبق لي أن نشرتُ هذه المواضيع قبل أعوام في عدد من الصحف والمجلات الصادرة في كوردستان تحت عنوان (من الذاكرة) وفيما بعد رأى عدد من زملائي المعنيين بهذه الاحداث إنه من المفيد جمع هذه المواضيع في كتاب لعله يفيد الباحثين والمعنيين بكاتبة التاريخ لذا جمعتُها اليوم بين دفتي هذا الكتاب عسى أن أكون قد وفقت في ذلك..

فرهاد عوني

هولير- آذار ٢٠١١

عن الكاتب والكتاب

تعرفت على الاستاذ فرهاد عوني في مطلع سنة ١٩٧٣، عندما كان يعمل مديرا لإدارة التآخي لسان حال الحزب الديمقراطي الكوردستاني، التي كانت تقع في دار متواضعة في منطقة البتاوين.

كان الاستاذ فرهاد حينذاك شابا أنيقا ومرتبا في كل شيء، متوازنا ونشطا جاد الملامح، ولم أراه في زيارتي العديدة لإدارة الجريدة، جالسا يوما وراء مكتبه، فقد كان دائم الحركة، واسلوبه مع المراجعين والعاملين في الجريدة كان في منتهى اللباقة والوضوح. في الحقيقة كان نموذجا للإداري المتفاني والحريص على النظام والانضباط والمتابعة، ومازال كذلك مع تجاوزه الستين.

وما كادت العلاقة توطدت بيننا حتى افترقنا في نهاية سنة ١٩٧٣، فقد التحقت أنا بالجيش لأداء الخدمة الإلزامية، والتحق هو بالثورة الكوردية في آذار ١٩٧٤، إثر استئناف القتال، ولم نلتق إلا في خريف ١٩٩٣، بعد تعيينه رئيسا لتحرير جريدة (برايتي) الكوردية اليومية في أربيل، وعندما زرته، وجدته هو هو، على درجة عالية من النشاط والحيوية، متواضعا يتمتع باحترام زملائه ويملأ موقعه وبامتياز.

ولأن للصديق فرهاد سيرة وجهود معروفة ومتميزة في عالم الصحافة، كونه ارتاد هذا الميدان منذ وقت مبكر وبشغف، فضلا عن انتمائه إلى اسرة لها مكانة اجتماعية ووطنية في كويه، فقد اختير رئيسا لتحرير جريدة (برايه تي) التي كان يصدرها الحزب الديمقراطي الكوردستاني سنة ١٩٩٣، ومن هذا التاريخ ارتبطنا بعلاقة صداقة وطيدة ستبقى موضع اعتزازي، فقد عملنا معا في مكتب الدراسات والبحوث المركزي الخاص بالبارتي، وأخذت اكتب أحيانا للجريدة، وأزوره وأحل عليه ضيفا عند تواجدي في أربيل، لهذه الأسباب مجتمعة، عندما طلب مني تقديم كتابه هذا والذي يتضمن ذكرياته ومشاهداته ومقالاته للقراء، لم أتردد لحظة واحدة في الموافقة.

وفضلا عن ما ذكرته، هناك اعتبارات اخرى دفعتني أن أقدم هذا العمل للقراء، وهي قناعتي بأن ما كتبه الاستاذ فرهاد، سيكون مثيرا حتما وفي غاية الأهمية، وأن مواضيع كتابه ستعبر بالتأكيد عن صفاته المميزة، وهي الصراحة والجرأة والموضوعية، مع أني اخالفه في بعض ما ذهب إليه.

لقد شهد الصديق فرهاد بحكم انتمائه للبارتي منذ مطلع شبابه وعمله بحماس في صفوف أهم واجهاته المساندة–اتحاد طلبة كوردستان–وإداراته لشؤون جريدته، وتعرفه واحتكاكه وعمله مع العديد من قيادات (البارتي) المعروفين أمثال: الشهداء سامي عبدالرحمن، ودارا توفيق وفرنسو حريري، والمرحوم خسرو توفيق وسواهم، شهد أحداثا كثيرة ومثيرة، وسجل مشاهداته وذكرياته ويومياته في حينها، بدليل دقته في ذكر التواريخ، ووصفه الدقيق للأماكن التي زارها وشاهدها. ويبدو لي أنه كان يحمل دائما دفترا يسجل فيه ملاحظاته ومشاهداته، ففي الكتاب معلومات تاريخية نادرة قد لا يجدها الباحث في أي مصدر آخر، وأذكر على سبيل المثال ما جاء في موضوع "قصة تشكيل أول محكمة قانونية أبان ثورة أيلول ١٩٦٣" وموضوع "زيارة البارزاني لكوية، وعقد أول مؤتمر سياسي لبلورة مطالب الكورد القومية بعد انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣" وموضوع "لقاء مجموعة من اتحاد طلبة كوردستان بالبارزاني في شباط ١٩٧٠"، وكيف أن البارزاني المعروف بقلة الكلام استرسل في الحديث معهم نحو ست ساعات. أما موضوع "صفحات مجهولة من حياة دارا توفيق..." فلم يسبق أن تطرق له أحد، فهو موضوع أصيل يروي قصة النهاية المأساوية لأحد رموز السياسيين الكورد.

والأمر الذي جلب انتباهي، أن الاستاذ فرهاد، لا يدخل عند كتابة موضوع مباشرة، بل لكي يقنع القارئ في الصورة، يحد بخلفية معلوماتية أو تاريخية، لكل موضوع، وهذه مسألة منهجية وضروري، إلا أن ما يؤخذ عليه، استرساله أحيانا إلى حد قد ينسى القارئ معه جوهر الموضوع، ومن الجدير بالذكر أنه يعترف بذلك عندما يقول: "استميح القارئ عذرا فيما اتناوله بسرد بعض الأمور التفصيلية في الموضوعات التي تناولتها.." لأن التفاصيل تقتضيها دائرة المعالجة على حد قوله (ينظر ذكرياته عن أعمال المؤتمر التأسيسي لاتحاد طلبة كورد لبنان ١٩٧١).

لقد كان الاستاذ فرهاد سباقا في التطرق إلى مواضيع لم يتطرق إليها أحد قبله، وسباقا في مقابلة العديد من الشخصيات المنسية إلى حد ما، والتي كان لها دور في الحياة السياسية الكوردية ومنها: المرحوم عبدالله الزيباري الذي تعرف عليه الكثيرون بفضله، كذلك الحال بالنسبة لمقابلة الشخصية الأربيلية المرحوم عزالدين ملا أفندي، أما ما كتبه عن الشهيد فرنسو حريري فيكاد أن يكون كله جديدا، كذلك الحال بالنسبة لما كتبه عن الفريق نورالدين سعيد محمود، والعقيد عبدالله سعيد، والمرحوم خسرو توفيق، وعصمت شريف وانلي.

إن قيمة وأهمية ما كتبه الأخ فرهاد في كتابة هذا، تكمن في أنه شاهد عيان ومعاصر ومشارك في الأحداث والوقائع التي يرويها، وبأسلوبه الشيق الذي قضيت معه أطيب الساعات وأمتعها.

يبدو لي أن صديقي فرهاد مغرم مثلي في قراءة المذكرات الشخصية، وربما كان هذا السبب أو الدافع لكتابة ذكرياته وتوثيقه للأحداث التي عاشها. ولا أخفي هنا إعجابي بأسلوبه السلس والواضح في الكتابة، وكل من يقرأ ما كتبه سيعجب بدقته وصراحته وأسلوبه الأدبي الذي يضفي نكهة وطعما خاصا لما كتبه خاصة عن مشاهداته وذكرياته، وكنت أتمنى أن يقتصر الكتاب على المجالين المذكورين.

لا يكتف الأخ فرهاد بسرد مشاهداته وذكرياته فحسب، بل يتخطى ذلك إلى تحليل وإلى السعي لتفسير الأحداث والربط بين المتغيرات، للوصول قدر المستطاع إلى تنائج موضوعية، أو إلى ما يؤمن به هو ويعتقد، ولا يتردد في إماطة اللثام أحيانا عن الكثر من الحقائق المثيرة، وفي الحقيقة أن معظم الكتاب مبني على المشاهدات والمقابلات والأحاديث، أي بالإمكان القول أن الكثير من صفحاته وثائقية وأقولها بلا مجاملة، إني لم أجد فيها مبالغة أو تهويل، بل الصدق والبساطة وبدون لف ودوران وتنظير.

ولأن الاستاذ فرهاد هو أحد أبناء القومية الكوردية المظلومة المهضومة حقوقها، مع ما قدمته من تضحيات جسام، فإن مسألة انحيازه للكورد مسألة طبيعية إذ ليس من شخص يكتب عن قومه عن تاريخهم ونضالهم، يستطيع البقاء مخبرا غير متحيز على حد قول الشهيد عبدالرحمن قاسملو.

يتضمن الكاتب (٣٨) موضوعا كتبها الأخ فرهاد في فترات متباعدة، وعلى القارئ ملاحظة ذلك، ونشر معظمها في الصحف والمجلات، وجميعها تصلح وبامتياز أن تكون معلوماتها مصادر يعتمد عليها الباحثون في التاريخ والسياسة، بل وفي الاقتصاد والأحوال الاجتماعية للكورد وكوردستان.

وتأسيسا على ما سبق ذكره ارتأيت أن أعقب على عدد من مواضيع الكتاب التي مازالت مثار جدل بين المعنيين بالتاريخ والسياسة، وأن أبين أهمية بعضها كون ما ورد فيها معلومات جديدة على قدر معلوماتي.

في الكتاب معلومات في غاية الأهمية عن مدينة كويه وتاريخها السياسي والاقتصادي والاجتماعي، وعن أول مؤتمر عام عقده البارتي في تاريخ الثورة الكوردية، أو كما يسميه الاستاذ فرهاد بـ(المؤتمر التاريخي الموسع). واضيف على ما ورد بصدد مشاركة وفد من التركمان فيه، إذ اجتمع البارزاني بنفسه بالوفد بحضور السادة جلال الطالباني وإبراهيم أحمد ونوري شاويس، وأكد لأعضائه على أن القوميتين الكوردية والتركمانية عاشتا في السابق في صداقة ومصلحة واحدة ويجب أن تعيشا في الوقت الحاضر على هذا الأساس. واستفسر مظهر التكريتي (وكان ضمن الوفد التركماني) من البارزاني عن مصير العرب الموجودين في المنطقة، فكان جواب البارزاني: (إنه قد مضى عليه سنة ونصف السنة يحارب من أجل هذه الأهداف).

المهم في الأمر، إن الوفد التركماني وقف مع المشروع الذي طرحته الحكومة وتبناه وهو تطبيق اللامركزية الإدارية في كوردستان، بينما كانت الثورة الكوردية تطالب بتطبيق اللامركزية السياسية.

بعد انتزاع الثورة الكوردية الحكم الذاتي لكوردستان بموجب اتفاقية ١١ آذار ١٩٧٠، أخذ النظام ينشر خبرا مفاده أن الحكومة منحت الحكم الذاتي للكورد، وسمعت أنا شخصيا ومن عدد من الكورد الوطنيين، أن صدام حسين بادر أثناء المفاوضات على منح المنطقة حكما ذاتيا، ولكن ما ورد في موضوع (ذكريات عن أيام عشناها في بغداد قبل إعلان اتفاقية ١١ آذار ١٩٧٠)، ما يدحض مثل هذه الآراء والأقاويل، بدليل تأكيد عضو الوفد المفاوض المرحوم إدريس البارزاني لقادة اتحاد طلبة كوردستان عندما التقاهم في بغداد، وبضمنهم الاستاذ فرهاد عوني، وبالحرف

الواحد في أواخر كانون الأول ١٩٦٩ بالقول (كونوا مطمأنين بأننا سنحصل على الحكم الذاتي، مع احتفاظنا بوجود عسكري مسلح)، وهذا ما حصل فعلا.

كما ثبت الأخ فرهاد بالأدلة والقرائن بأن حكومة البعث لم تكن مؤمنة ومخلصة في تنفيذ اتفاقية ١١ آذار، بدليل أنها كانت تخطط ومن أعلى الجهات في بغداد لاحتواء بنود اتفاقية آذار، ومحاولة افراغها من معانيها الأصلية، حيث كانت قد كلفت أكثر من جهة في أجهزة الدولة للتعامل مع (منطقة) كوردستان بسياسات كانت بعيدة كل البعد عن روح الاتفاقية.

وسياسات الحكومة في المناطق التي يسميها الاستاذ فرهاد بـ(المناطق القلقة سياسيا) مثل كركوك وسنجار وخانقين، دفعت اتحاد طلبة كوردستان إلى إقامة معسكرات للطلبة فيها، تلك التجربة الرائدة التي لم تتكرر على قدر معلوماتي.

أما موضوع (اسرار وخفايا الانتخابات الطلابية في محافظة كركوك) سنة ١٩٧٠، فمثير حقا ويكشف عن حقيقة نوايا البعث، ولم يكن قد مضى على اتفاقية ١١ آذار إلا عدة أشهر، فمن أجل أن تمنع السلطة فوز اتحاد طلبة كوردستان في قضاء دوبز في الانتخابات، قامت بنقل أولياء أمور خمسة من الطلاب الكورد في الثانوية إلى خارج القضاء لتضمن فوز اتحاد طلبة السلطة في صف واحد مشمول بالانتخابات وهو الصف الرابع الثانوي، وكان عددهم ١٦ طالبا منهم عشرة أعضاء في اتحاد طلبة كوردستان. وصدر الأمر بتوقيع المحافظ بناء على المصلحة العامة ينقل خمسة من الفنيين الكورد من منشأة الكهرباء إلى خارج قضاء دوبز وعليهم نقل عوائلهم معهم خلال ثلاثة أيام مع الإيعاز إلى إدارة الثانوية بنقل الطلاب الخمسة أبناء العمال الكورد وترقين قيدهم في الثانوية!!!.

وعند قراءة موضوع (كيف آلت الأوضاع إلى استئناف القتال في كوردستان في ربيع ١٩٧٤) يستنتج القارئ فورا إن قضية استئناف القتال مع الثورة الكوردية كانت محسومة بالنسبة لحكومة البعث، فالسيد فرهاد وبحكم عمله مع المرحوم دارا توفيق، وصلته بالشهيد سامي عبدالرحمن، كان يطلع يوميا على ما كان يدور من مباحثات مع السلطة. ففي سؤال وجهه للشهيد سامي عبدالرحمن في شباط ١٩٧٤ عن ماذا يتوقع قال الأخير: (بكل أسف الجماعة (الجانب الحكومي) كما تبين لي ينوون فرض

القتال علينا ثانية بعدما كسبوا جانب الاتحاد السوفيتي والحزب الشيوعي العراقي، وأسلحة جديدة، وهم يتكلمون من موقع القوة، وخيرونا بين الإذعان لصيغتهم في قانون الحكم الذاتي المعد من قبلهم، أو لا شيء سواها، وهذا يعني أن استئناف القتال اقرب من أي شيء آخر...).

كما يذكر الاستاذ فرهاد، أنه فهم من دارا توفيق: (بأن الحكومة تشعر بأنها في موقع القوة قياسا بظروف توقيع اتفاقية ١١ آذار ١٩٧٠، فقد استطاع كسب ود الاتحاد السوفيتي ودول اخرى، واسعار النفط حققت للعراق ثروة لم تكن متوقعة، فضلا عن الاستعدادات العسكرية التي جاءت بعد اتفاقية آذار ١٩٧٠، التي خلقت مناخ الراحة والسلام للجيش العراقي الذي كرس جهده لإعادة التنظيم والتسلح بما هو جديد ومتطور في عالم الأسلحة.

إذن البعث ومنذ البداية لم يكن مؤمنا باتفاقية آذار ١٩٧٠، وكان قبوله بها ومجرد تكتيك لكسب الوقت وتثبيت حكمه، وقد أدرك قائد الثورة ملا مصطفى البارزاني ومنذ البداية نوايا البعث غير المخلصة، فقد لا يثق بالبعثيين ولا يأتمنهم، حتى انه وقع على اتفاقية آذار خلافا لرغبته ونزولا عند رغبة الآخرين الذين خاطبهم بعد إلحاحهم على الموافقة قائلا: يبدو أن بعضكم متلهف ليصبح وزيرا، وبعد أن وقع نزولا عند رغبتهم قال: اعلموا إن الوضع الآن أصبح أخطر من قبل فقد كنا سابقا نرى الطائرات والمدافع تقصفنا أما اليوم فستقع علينا القنابل دون أن نراها، لذلك يجب أن نكون حذرين جدا ولا نقع في شباك النظام فلا تستهينوا ولا تقولوا إن حقوقنا قد تحققت وانتهى كل شيء.

وبالفعل أخذ البعث وبعد أيام من الاتفاقية يسعى إلى احتواء الثورة الكوردية واجهاضها من الداخل وبمختلف الوسائل وتمثل ذلك بشراء ذمم عدد من المسؤولين الكورد واغتيال الذين صمدوا أمام إغراءاته وتهديداته فضلا عن مباشرته بتعريب كركوك ومناطق كوردية اخرى.

كما كان للبارزاني موقف مماثل من تأميم النفط في الأول من حزيران ١٩٧٢، كان مؤيدا لتأميمه ولكن ليس على يد البعثيين الذين–على حد قول البارزاني–سيشترون

بالأموال الطائلة التي سيوفرها التأميم أنواع الأسلحة لضرب الثورة الكوردية وهذا ما حصل فعلا.

لقد كتب الصديق فرهاد عن المرحوم دارا توفيق باسلوب تشوبه العاطفة وحتى الرومانسية، وأنا لا ألومه على ذلك فقد كان المرحوم قوميا كورديا غيورا مخلصا وكفوءا ومتعدد المواهب، وذا تاريخ نضالي ناصع، وهذا يفسر قربه من قيادة الثورة الكوردية ومن قائدها البارزاني بالذات والذي كان يعتمد عليه في قضايا خطيرة.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: كيف يسلم رجل بمواصفات المرحوم نفسه لحكومة البعث؟، ويشجع الآخرين ومنهم الاستاذ فرهاد على تسليم انفسهم، ولماذا ارتضى بوظيفة مدير بلدية ثم بوظيفة مدير عام النقل النهري، واستقر في بغداد؟!.

إن ما حصل له في رأيي كان متوقعا ١٠٠٪، لقد أخطأ المرحوم مرتين: الخطأ الأول أنه قام بتسليم نفسه ورضي بوظيفة حكومية، وهو القيادي البارز في ثورة شعب ومقرب من قائدها، والخطأ الثاني، أنه كان بإمكانه الاختفاء وترك بغداد والالتحاق بالثورة الكوردية التي استؤنفت في ٢٦ مايس ١٩٧٦، إلا أنه لم يفعل، حتى بعد شعوره بالخطأ، وبنوايا السلطة السيئة تجاهه، على حد قول الأخ فرهاد!!.

أما تبرير عدد من القياديين الكورد بتسليم أنفسهم لسلطة البعث الغاشمة بعد انتكاسة الثورة في آذار ١٩٧٥، بأنهم أخذوا موافقة البارزاني وأنهم أقدموا على عملهم برضاه، فتبرير غير منطقي يراد به القاء تبعات تسليم أنفسهم على عاتق البارزاني، الذي لم يكن بمقدوره، وفي تلك الظروف المأساوية التي أعقبت انتكاسة الثورة، أن يمنع أحدا من تسليم نفسه للسلطة.

ولا اتفق مع صديقي العزيز فرهاد، من أن السلطة عينت القياديين الكورد الذين سلموا أنفسهم في وظائف مثل: مدير بلدية، مدير غابات وما شابه..، بأنه كان انتقاما منهم وإمعانا في إذلالهم، فأنا أرى العكس، إنها عينتهم في تلك الوظائف باعتبارهم كانوا قياديين، ولكي تربطهم بالوظيفة وتلزمهم بالدوام، حتى لا يفكروا بالعودة الى النضال. وللأغراض نفسها عينت السلطات آلاف البيشمركه والملتحقين بالثورة والذين عادوا الى (الصف الوطني) عمالا ومستخدمين وفي وظائف أخرى بسيطة، مع أن الدوائر لم تكن بحاجة الى خدماتهم. وأذكر على سبيل المثال: كنت مدرسا في متوسطة برده رش

عندما انتكست الثورة الكوردية، وكان عدد مدرسيها مع المدير (٤) مدرسين، أما عدد طلابها فكانت (٢٤) طالبا فقط، فقامت السلطة بتعيين (٤) مستخدمين من (العائدين)، فأصبح عددهم مع الفراش الموجود أصلا (٥) مستخدمين (فراشين).

أما مستوصف الناحية (برده رش) فكان ملاكه يتألف من: طبيب ومضمدين وعامل خدمة (فراش)، فعينت فيه السلطة نحو (١٨) مستخدما، وهكذا الحال بالنسبة لغابات ناحية (خبات) في أربيل. حيث عينت السلطات فوجا من العائدين للعناية بها.

وفي الموضوع نفسه (صفحات مجهولة من حياة دارا توفيق) معلومات نادرة عن الفريق ورئيس الوزراء العراقي الأسبق نور الدين محمود، وعن علاقته بالبارزاني، فقد زاره الأستاذ فرهاد بمعية دارا توفيق في خريف ١٩٧٢، ونقل إليه الأخير تحيات البارزاني، ودعوته لزيارة كوردستان، كما سلمه رسالة خطية منه، بعد أن قرأ الفريق رسالة البارزاني قال "عاصرت الكثيرين وعملت مع وبمعية قادة الجيش الكبار، وعرفت الساسة من طينات مختلفة، ولم أحظ من خلال كل ذلك بما حظيت به من تكريم وجداني نابع عن الأصالة من خلال ما وجدته من فقرات رسالة البارزاني الذي كنا-يقصد الضباط العراقيين-قد ظلمناه، ولم نكن نعرف حقيقة الرجل، وأنه حورب بكل ما كان لدى النظام من قوة.."، وتمنى الفريق أن يكون في صحبة البارزاني، لولا وضعه الصحي.

ولكن الأخ فرهاد لا يذكر سر أو أسباب تكريم البارزاني للفريق نورالدين محمود، هل لأنه كان كورديا (ولو بالاسم) فقط؟ أم لمواقفه تجاه القضية الكوردية؟ أم من باب "ارحموا عزيز قوم ذل؟!"

لقد اختفى المرحوم دارا توفيق-وكما كان يتوقع-من الوجود في ١٩٨٠/١١/٥، وعثر على سيارته الحكومية في ١٩٨١/١/٣ متروكة بالقرب من قرية (ديره بون) على الحدود السورية، وعليها آثار إطلاقات نارية من الأمام والخلف، ولم يشاهد ما يستفاد منه عن وقوع جريمة قتل وغيرها، كما جاء في كتاب رسمي.

إذا مازالت قضية تصفية دارا توفيق غامضة، كيف قتل، وأين، ولماذا؟ وجدت سيارته على بعد نحو (٨٠٠)كم من دائرة عمله؟!.

وبمناسبة الذكرى الـ(٤٢) لقيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، ينقل الاستاذ فرهاد ما قاله المرحوم عزالدين ملا أفندي عن قيام الثورة، وملخص قوله: انها قامت بتشجيع من بريطانيا بسبب حماسة نوري السعيد لقضية الكويت، وثبت الأخ فرهاد هذه المعلومة دون مناقشتها، ناسيا أن المتحدث كان من رجالات العهد الملكي، وبسقوطه انتهت حياته السياسية.

لقد كثر الحديث عن قيام ثورة ١٤ تموز، كيف أن رجالات العهد الملكي كانت تصلهم أخبار تحرك الجيش لقلب نظام الحكم، حتى أن رئيس وزراء سوريا الأسبق حسني بك البرازي، ذكر لمتحدث معه: أنه حذر نوري السعيد سنة ١٩٥٨، عندما التقاه في اسطنبول قائلا: بأنكم ستواجهون عملية انقلابية في القريب العاجل، لكن السعيد أبى ذلك باعتبار أن الجيش العراقي بعيد عن الانقلابات.

في رأيي أن مثل هذه المعلومات والإخباريات، ظهرت ونسجت بعد نجاح، الثورة، لأن عمل الضباط الأحرار كان في غاية السرية والكتمان، بدليل أن الثورة كانت مفاجأة لحلف بغداد وللمخابرات البريطانية والأميركية، وهذا يفسر محاولاتهما لإجهاضها، وقد نجحا فعلا فيما بعد، وتحققت لهما ذلك بدعمها لحزب البعث الذي قام بانقلابه الدموي في ٨ شباط ١٩٦٣.

أما عن قصة إعدام الضباط الكورد الأربعة في ١٩ حزيران ١٩٤٧، والمعلومات التي سجلها الأخ فرهاد على لسان المرحوم عبدالله الزيباري، فأضيف وعلى لسان الزيباري الذي حظيت بمقابلته أيضا، المعلومة الآتية: أن الاخوان المسلمين في مصر كانوا أشبه بدولة داخل دولة، ومع هذا فقد رفضوا إدانة جريمة إعدام الضباط الأربعة ورفضوا نشر ما كتبه الطلاب الكورد في جامعة الأزهر عن الموضوع في صفحاتهم، بحجة أن ذلك يسيء إلى العلاقات الطيبة بين مصر والعراق. وأن محمد محمود الصواف المقرب جدا من حسن البناء (المرشد العام للاخوان) حرض السلطات على اعتقال الطلاب الكورد الذين استنكروا إعدام الضباط، وفعلا قامت السلطات المصرية بتوقيفهم ريثما يتم تسفيرهم إلى العراق، إلا أنها اطلقت سراحهم بعد وساطة الشخصية الكوردية والنائب السابق على كمال لدى السفير المصري في بغداد.

أنا مع الصديق فرهاد في الذي كتبه عن الاخوة العربية-الكوردية، فعلا إن الدعوة إلى الاخوة مع العرب والترك والفرس والتي يتمسك بها الكورد ويحرصون عليها ما هي إلا ضريبة يدفعها الكورد فقط، لأنها لا تعني في قاموس القوميات الثلاث سوى انصياع الكورد لهم، على حد قول الأخ فرهاد. فالكورد بالنسبة لهم: انفصاليون، خونة، عملاء الاستعمار والصهيونية، وجيب عميل، وسليلي الخيانة، وعملاء إيران...! كما جاء رد الأخ فرهاد مفحما على ما نشره السيد صالح القلاب (الوزير الاردني السابق) في ٢٠٠٤/١/١٠ في جريدة (الشرق الأوسط)، وبالنسبة لي ما كنت أتصور قط أن يكتب القلاب مثل هكذا كلام عن الكورد وحقوقهم، خاصة وأنه مثقف معروف ويحظي باحترام الكورد وقد جالسته أكثر من مرة في دهوك.

إن ما ذهب إليه الاستاذ فرهاد بصدد تاريخ الجيش العراقي هو عين الصواب فهذا الجيش لم يتشكل للدفاع عن العراق وحدوده، بل لقمع واستعمال القوة، منذ تأسيسه، ضد أبناء الشعب العراقي بعربه وكورده. لقد أصبح بين هذا الجيش والشعب الكوردي ارث دموي لا يمكن أن ينسى، خاصة بعد قيام الثورة الكوردية في ١١ أيلول ١٩٦١. وتأسيا على ما سبق كان قرار حله وإعادة تشكيله بعد سقوط نظام البعث في ٩ نيسان ٢٠٠٣ قرارا صائبا، بالنسبة لنا نحن الكورد على الأقل، لمنع ظهور ضباط قساة وفاشيين أمثال: عبدالعزيز العقيلي، صديق مصطفى، طه الشكرجي، عبدالكريم الجحيشي، صالح مهدي عماش، وسواهم من الذين كانوا لا يتورعون من استخدام أقسى الأساليب في محاربة الكورد وحركتهم القومية، ولا ننسى هنا قول صالح مهدي عماش في سنة ١٩٦٨ الذي صرح علنا وفي التلفزيون: بأن الذي يعارض حكم البعث سنعمل على عزله حتى ينسى اسمه بالكامل..!

(حتى اسماؤنا الكوردية تلحق بنا الأذى) تحت هذا العنوان يروي الأخ فرهاد حادثة أشبه ما تكون بالأفلام الهندية المأساوية، صدق أو لا تصدق: إن كورديا يحكم بالحبس ٧ سنوات في سوريا بسبب إطلاق اسم (جيا-جبل) على ابنه، وعندما يخرج من السجن يلتقي صدفة بابنه (جيا) إلا أنه لم يعرفه، فبادره ابنه بأنه ولده وإن اسمه الآن خالد وهناك تفاصيل اخرى.

أما التهم التي وجهت لذلك الكوردي المسكين من قبل دائرة الأمن فهي: إن طروحاته خطيرة، وأفكاره هدامة، وإن الاسم الذي أطلقه على ولده اسم خطير وقال له ضابط الأمن: "لعنة الله عليك وعلى والدك الذي جاء بك إلى هذه الدنيا، وعلى جدك، قسما بالله وبالوطن العربي سنجعل منك ومن أمثالك عبرة لمن يحلم يوما باقتطاع جزء ولو بقدر متر مربع من الوطن العربي". ونظم للمسكين استمارة خاصة بذوي الافكار الانفصالية ليحاكم على فعلته الشنيعة وحكم بالسجن سبع سنوات ليتسنى له مراجعة نفسه ويكفر عما بدا منه تجاه الوطن، وانتهت المحاكمة.

ويروي الأخ فرهاد حادثة اخرى مماثلة إلى حد ما، حصلت في مدينة كويه عندما تمكن من إقناع صديق له بتغيير اسم مولودهم الجديد من (صالح إلى دانا)، فاستدعي (أبو دانا) إلى دائرة الأمن في كويه وهناك قال له ضابط الأمن: إنك عدو الله وعدو العراق، وإننا نعرف عن اصلكم الإيراني وإنك حاقد ولو لم تكن حاقدا وشعوبيا لما أقدمت على تغيير اسم (صالح إلى دانا)، من الذي دفعك إلى تغيير الاسم؟ وما السر وراء ذلك؟ إنك بهذا العمل ستجلب على نفسك نقمة الحزب والثورة فماذا تقول؟

المهم إنه لم يحكم بالسجن سبع سنوات، بسبب اختلاف الزمان والمكان، وقوة الثورة الكوردية، وانشغال الحكومة بالحرب مع إيران، على حد قول الاستاذ فرهاد. إلا أن الضابط أمر بعد التهديد، بفتح (صحيفة أعمال) له، لتكون المعلومات عن (أبو دانا) جاهزة عند طلب المشبوهين من أمثاله.

إن حكومات الدول التي تتقاسم كوردستان تخاف حتى من الأسماء الكوردية، لأنها تعني اعتزاز المرء بقوميته، كما أن اسم شخص يدل على قوميته فهو هوية قومية. إذن إطلاق الأسماء الكوردية على المواليد يعد نوعا من النضال القومي ضد مضطهدينا، وللأسف مايزال هناك الكثير من الكورد ممن يطلقون أسماء غير كوردية على أطفالهم!!

لقد تناول الاستاذ فرهاد في صفحات كتابه القيم مواضيع شيقة ومهمة أخرى، ولا أريد الاسترسال أكثر من هذا في التعليق والعرض ، فقد دون احداثا كثيرة عاشها، وسجل مشاهداته وخواطره، وشارك في مؤتمرات عديدة داخل وخارج العراق، وما كتبه يعبر عن صفاته المميزة، بغض النظر عن الأهداف والأماني التي سيتوخاها، والأخ فرهاد بالنسبة لي، نموذج للقومي الكوردي الغيور المتفاني، وبعد كل هذا اترك

القارئ مع ما كتبه أول نقيب للصحفيين الكوردستانيين، وأقول ترى ما الذي يبحث عنه الاستاذ فرهاد في كتابه؟ هذا ما سيتوصل إليه كل قارئ للكتاب.

أ.د عبدالفتاح علي بوتاني

دهوك في ٢٠١٠/١١/١٧

انطباعات عن احتفاء أبناء كويسنجق بزيارة البارزاني الخالد لمدينتهم (*) في آذار عام ١٩٦٣

كانت طائرة الهليكوبتر ما تزال محلقةً في سماء مدينة كويسنجق عندما هرع الأطفال والشباب نحو ملعب كرة القدم هناك المجاور لمستشفى كويسنجق الجمهوري لمشاهدة هبوطها عن قرب ورؤية الأشخاص الذين كانت تقلهم في ظهيرة أحد أيام شهر آذار عام ١٩٦٣ حيث كنا مجموعة أصدقاء من طلبة الصف الثالث المتوسط في ثانوية كويسنجق قريبين من ذلك المكان عندما شاهدنا جمعاً غفيراً يتجه نحو ملعب المدينة وبدافع الفضول والرغبة لمعرفة الأشخاص الذين كان يطلق عليهم (الوفد المفاوض) وجدنا أنفسنا بالقرب من الطائرة التي كانت قد هبكت فوق أرض طينية في ربيع ذلك العام دون أن ينزل من ركابها أحد وكأنهم كانوا بانتظار من سيستقبلهم، وفي تلك الأثناء وصلت سيارتان من نوع لاندروفر محملتان بأفراد من البيشمركه كانوا مسلحين ببنادق من نوع (سيمينوف وكلاشينكوف) يقودهم أحد المسؤولين من الحزب الديمقراطي الكوردستاني عندها نزل كابتن الطائرة والذي كان برتبة نقيب ويتكلم باللغة الكوردية، أنفرد بالمسؤول الحزبي وتحاور معه لبضع دقائق وعلى أثرها نزل ثلاثة أشخاص من الطائرة كان من ضمنهم اللواء المتقاعد فؤاد عارف وقد استقلوا أحدى السيارتين واتجهوا نحو مركز المدينة.

كانت مدينة كويسنجق أحد الأقضية التابعة لمحافظة أربيل مركز (سنجق) ذات يوم وهي تسمية كانت تطلق في العهد العثماني على المدن التي كانت بمثابة لواء وهو ما يطلق عليه الآن مركز المحافظة، وكانت من المدن المهمة تاريخيا لوقوعها على عدة طرق للقوافل الآتية من إيران عبر رواندوز وقلعة دزة ومنها كانت تتجه إلى كركوك وبغداد والموصل عبر مدينة أربيل وبالعكس. كما كانت تتميز بوجود سوق كبير فيها

(*) نشر في مجلة (كولان العربي) العدد ١٨، في تشرين الثاني ١٩٩٧.

يجمع الصاغة وصناع الأحذية والصابون ونسج الأقمشة المحلية وتلوينها (خمخانة) إضافة إلى كونها مركزاً لزراعة التبوغ والقطن وكانت (خاناتها) بمثابة الفنادق الحالية لاستقبال الزوار وأصحاب القوافل وما يزال (خانها) الكبير ماثلاً للعيان بكابقيه وكان طابقه الثاني مخصصاً للنوم واستراحة الأشخاص أما طابقه السفلي فقد كان مخصصاً لإيواء دواب المسافرين بالإضافة إلى السوقين القديم والجديد، وكانت لكويسنجق شهرة واسعة من حيث كثرة مساجدها التي كانت تستقطب أعداد كبيرة من طلاب العلوم الدينية من خارج كوردستان العراق نظراً لمكانة علماء الدين وشهرتهم الواسعة كما كانت توجد أقليتان دينيتان هما المسيحيون (الكلدان) واليهود الذين عاشوا وإلى يومنا هذا بالنسبة للمسيحيين في مناخ لم يكن فيه أثر للتفرقة أو التمييز الديني وكانوا أحراراً فيما يعملون وكل طائفة كانت مختصة بصناعات معينة والتي كان لها أثرها الايجابي في ازدهار الإنتاج الزراعي والصناعي فيها وقد تفاعلت هذه العوامل في خلق نخبة متميزة من رجال الدين والعلماء والشعراء الذين تغنوا بوحدانية الله وقدسية الأديان السماوية الثلاث ولم يكن غريباً أن ينبري شاعر مثل (الحاج قادر كويي) وسط هذه الأجواء ليدعو إلى وحدة الكورد ورسم المستقبل لكي يكون لهم كيان كباقي الأمم آنذاك وأصبحت أفكاره عبر قصائده القومية فيما بعد نواة مدرسة وطنية قلدها الآخرون وتغنى الحالمون وأنشدتها جمهرة كبيرة من حملة الأفكار القومية مما ألقت بظلالها على كافة أرجاء كوردستان وبالأخص على متنوري مدينة كويسنجق الذين جعلوا من قصائده مثلهم الأعلى في الكوردايه تي وحافزاً للنضال الوطني والقومي من أجل بلورة الحقوق القومية.

وشهدت مدينة كويسنجق في أواخر الثلاثينات والأربعينات من هذا القرن ظهور أفكار ومدارس سياسية تمثلت في الاتجاه القومي بولادة منظمة (داركه ر) وحزب هيوا وشورش ورزكاري والديمقراطي الكوردستاني على التوالي، في الاتجاه الثاني الذي تمثل في الاتجاه اليساري متأثراً بالأفكار البلشفية والذي ظهر أخيراً باسم الحزب الشيوعي العراقي الذي أوجد مناخاً ملائماً في كوردستان وأصبح هذان الاتجاهان (البارتي والشيوعي) يجذبان الأنصار والمؤيدين لهما حيث كان يختلفان تارة ويتفقان تارة أخرى وفي الغالب كانا يتفقان في معاداة النظام الملكي والخوض في الانتخابات

البرلمانية والاتفاق على مرشح واحد لهما كما حدث ذلك في انتخابات المجلس النيابي عام ١٩٥٤ عندما أصبح الأستاذ مسعود محمد مرشحاً قوياً ومقبولاً من كلا الحزبين وفاز على أثرها على مرشح الحكومة آنذاك وكان لكلا الحزبين مكتبته الخاصة حيث كان يرتادهما أنصارهما فكان للبارتي مكتبته الخاصة باسم (مكتبة الحاج قادر كويي) وللشيوعيين مكتبتهم باسم (مكتبة كويسنجق) وأستمر هذا التحالف أو بعبارة أخرى هذا التآلف بينهما حتى قيام ثورة ١٤/تموز/١٩٥٨ حيث حصلت بعدها صراعات حادة بين أنصار الحزبين على مسائل وأمور لا مجال لذكرها هنا حتى اندلاع ثورة أيلول عام ١٩٦١ بقيادة الحزب الديمقراطي الكوردستاني ورئيسه الخالد مصطفى البارزاني حيث أزدادت نشاطات البارتيين وأصبح للدعوات والمطاليب القومية صداها الواسع في كافة الأوساط وأصبحت ثورة أيلول أمل الأكثرية الساحقة واستعادت لجنة محلية البارتي في كويسنجق دورها القيادي من بين اللجان والفروع الأخرى للحزب مستعينة بزخم ثورة أيلول وبتراث الرعيل الأول من البارتيين عندما وقفوا بشجاعة نادرة أمام النكسة التي أصابت قيادة الحزب عام ١٩٥١ حين أعتقل سكرتيرها آنذاك الأستاذ حمزة عبدالله مما حدت باللجنة المحلية في كويسنجق المطالبة بأخذ الدور القيادي لحين أنفراج الوضع السياسي وزوال الخطر عن الحزب، وهكذا مرت الأيام والشهور والسنين وكويسنجق تعاند الحكام والأنظمة المختلفة حيث نشأت أجيال عديدة على هذا النمط من المقاومة وكان الساسة في هذه المدينة يشار أليهم بالبنان حيث كانوا يحظون باحترام بالغ من الناس عامةً ودفعت هذه المدنية المنسية وأهلها ضرائب كبيرة جداً تمثلت في حرمانهم من الخدمات العامة حيث لم ترتبك بمركز محافظة أربيل بكريق معبد إلا في عام ١٩٧٦ علماً أن الأمير عبدالإله الوصي على عرش العراق آنذاك كان قد وعد بتعبيد هذا الطريق عندما زار كويسنجق عام ١٩٥٣ ولكن وعده لم يتحقق ولا وعود المسؤولين الآخرين إلا بعد مرور أربعين عاماً! وطريق كويسنجق–كركوك لازال على حاله منذ عام ١٩٥٧ وطريق كويسنجق–دوكان الذي يربك بمدينة السليمانية تم فتحه عبر جبل هيبت سلطان عام ١٩٥٨.

وعشية انقلاب ٨/شباط/١٩٦٣ كانت كويسنجق تعيش في حالة من الترقب والقلق في جو رمضاني وكانت الرياح الباردة تهب كعادتها من كافة الجهات والتي لم ولن ترحم المدينة عندما تهب وأصبحت حالة ملازمة لها منذ نشأتها، في الوقت الذي كانت الشعارات السياسية تتصارع فيما بينها بعيداً عن الاحتراب والمجابهة الساخنة، لأن الشيوعيين كانو يرون في شعار (السلم في كوردستان)، يخدم (الحركة الكوردية المسلحة) وكان ذلك نابعاً من الخط الذي رسمه الحزب الشيوعي العراقي والمعروف بسياسة (الكفاح والتضامن) أي (الكفاح ضد الاتجاهات الخاطئة والكتل المتآمرة في حكومة عبد الكريم قاسم) في حين كان التضامن يفسر بتأييد (النواحي الايجابية في الحكومة) لأنها كانت (تحمل شحنات من الديمقراطية) بينما كان البارتيون ينادون بإسقاط هذه الحكومة لأنها لم تتعامل مع الشعب الكوردي كما جاء في البند الثالث من الدستور المؤقت لثورة ١٤/تموز/١٩٥٨ والذي ينص على (شراكة العرب والكورد في الوطن العراقي) وأنها أي الحكومة أرادت صهر الشعب الكوردي وتعاملت معه بقوة السلاح والمجابهة العسكرية مما جعل البارتي يرد بالمثل ويلتجئ إلى المقاومة المسلحة دفاعاً عن حقوق وكرامة الكورد وحدث ما لم يكن في الحسبان وخاصة في ذلك الوقت بالذات حيث أطيح بنظام حكم عبدالكريم قاسم في ٨/شباط/١٩٦٣ وعلى أثر تلك التطورات شهدت كويسنجق تغيراً نوعياً إذ بدأ ثوار الجبال بالنزول رويدا بالتغلغل إلى مدينتنا التي شهدت عناق البيشمركه مع أهاليهم وسط حالة من الأنبهار مما خلق جواً من الرومانسية الثورية قل نظيره لأن الناس كانوا يسمعون بالثوار وفعاليتهم وقصصهم البكولية عن بعد وحين تراءى لهم البيشمركه بملابسهم الخاكية وأسلحتهم وهم يدخلون المدينة لأول مرة أصبح التسابق حالة أعتيادية لأستضافتهم تعبيراً عن الحب والأعجاب وتقديراً لما أبدوه من بسالة وشجاعة نادرتين في ثورة مجيدة شهدتها أرض منسية وسط هذا العالم الحافل بالأحداث والمصالح، والحالة الثانية التي شهدتها كويسنجق عقب أنقلاب ٨ شباط كانت توافد أعداد كبيرة إليها من المناضلين الشيوعيين عرباً وكورداً عسكريين ومدنيين من مناطق مختلفة في المحافظات العراقية ناجين بأنفسهم من الحملة التي لم ترحم أحداً منهم، جراء الصراع الدموي الذي شهدته الساحة السياسية في العراقي عقب ثورة ١٤ تموز والذي حول

حالة الوفاق بين الجبهة الوطنية في العهد الملكي إلى حالة صراع دموي لم ينتهي حتى يومنا هذا.

كان وقف إطلاق النار ساري المفعول بين الثورة الكورية ونظام الحكم الجديد حيث تعهد الطرف الثاني في الساعات الأولى من توليه الحكم بتلبية الحقوق القومية للشعب الكوردي وسرعان ما أيد ممثلو البارتي في بغداد آنذاك بشخص الشهيد صالح اليوسفي قيام النظام الجديد من خلال برقية تلتها إذاعة بغداد عدة مرات وكان لسريان مفعول وقف النار أثره الإيجابي إذ راود الناس الأمل في استمرار هذه الحالة والوصول إلى تفاهم مشترك وتلبية المطاليب القومية لشعب كوردستان وبدأت الوفود العراقية الرسمية والشعبية تزور سيادة البارزاني في (جوارقورنة) و (كاني ماران) اللتين تقعان على الطرق العام بين قضائي كويسنجق ورانية نظراً لاستقرار مقر سيادة البارزاني فيهما وأستقر الرأي أخيراً في قيادة البارتي على عقد مؤتمر عام في مدينة كويسنجق يحضره إلى جانب مندوبي فروع الحزب كافة الشخصيات الوطنية الكوردية ورؤساء العشائر وآمري تشكيلات البيشمركه لدراسة الوضع الجديد والوصول إلى بلورة صيغة معقولة للمطاليب التي تضمن حقوق الشعب الكوردي من قبل المشاركين باعتبارهم يمثلون الأكثرية الساحقة من شرائح المجتمع الكوردستاني وشكلت لجان متعددة للتحضير لذلك المؤتمر التاريخي الموسع.

وربما يتساءل أحد ما لماذا وقع الاختيار على مدينة كويسنجق مكاناً لعقد ذلك المؤتمر؟! وبما أنني لا أملك التفسير الحقيقي لذلك الاختيار الذي أقرته قيادة البارتي آنذاك والذي لم يشر إليه مطلقاً حتى الآن وكذلك لم يذكر شيء عن تفاصيل ما دار بين المؤتمرين في طبيعة المناقشات التي جرت في حينه باستثناء إشارات صغيرة وردت في مذكرات وكتابات المعنيين بالقضية الكوردية، وإن ما أدونه هنا من معلومات عبارة عما شاهدته وما سمعته من أشخاص كانوا ضيوفا في بيتنا شاركوا في أعمال المؤتمر وكانوا ضيوفاً على كويسنجق أيام انعقاد ذلك المؤتمر التاريخي.

يعود السبب لاختيار كويسنجق مكاناً لعقد المؤتمر وحسب تفسيري إلى عدة عوامل من أهمها الموقع الجغرافي للقادم من زاخو ودهوك وعمادية من ناحية ومن خانقين وكفري وكلار وحلبجة وبينجوين وقلعه دزه ورانيه من ناحية أخرى لكونها

كانت محررة بالكامل بسهولها وجبالها ولم تكن فيها قطعات عسكرية وحتى بالقرب منها آنذاك إذ يحيطها في الشرق والشمال الشرقي جبل هيبت سلطان الاستراتيجي وجبل باواجي وامتداده غرباً والتي تجعل من هذه المدينة حصينة لأي طارئ قد يحدث وكذلك لبعدها لمسافة أكثر من ٧٠ كم عن مركزي محافظة أربيل وكركوك، ومن ناحية أخرى كانت كويسنجق مهيأة من حيث الخلفية السياسية والحضارية إذ كانت درجة الوعي السياسي متقدمة نوعاً ما فيها وأهاليها كانوا مهيئين لاستقبال ذلك العدد الكبير من المشاركين ومسلحيهم بالرغم من وجود الأعداد الكبيرة من تشكيلات البيشمركه ومسؤوليهم أثناء انعقاد المؤتمر مما جعل من كويسنجق مدينة مزدحمة للغاية يوم ذاك إذ كنا نجد فيها تشكيلة المجتمع الكوردستاني برمته وقبل انعقاد المؤتمر جرت اتصالات بين مركز قيادة البارتي والسلطلة الجديدة إذ زارت عدة وفود حكومية وشعبية البارزاني في جوارقورنة وكاني ماران وقدم البارزاني مذكرة للحكومة في ٥/آذار/١٩٦٣ تضمنت بعض البنود منها (الاعتراف فوراً بالحكم الذاتي لكوردستان مع أعطاء صورة من الاعتراف ودستور الجمهورية العراقية الجديد إلى هيئة الأمم المتحدة وإذاعتها من راديو بغداد ونشرها بالجريدة الرسمية والصحف المحلية.

وتكون اللغة الكوردية اللغة الرسمية وأن تكون الدراسة باللغة الكوردية أما في المناطق التي يسكنها مواطنون من غير الكورد فتكون الدراسة بلغاتهم الخاصة إلى جانب تدريس اللغة الكوردية، في ٦ آذار قرر (المجلس الوطني لقيادة الثورة) وهو أعلى سلطة في البلاد آنذاك تشكيل وفد رسمي سمّي في حينه بـ(وفد الاتصال الشعبي) كان متكوناً من (الشيخ محمد رضا الشبيبي وفائق السامرائي وحسين جميل وفيصل حبيب الخيزران والدكتور عزت مصطفى الدوري وزيد أعمد عثمان)، وفي يوم ٧ من الشهر ذاته تم اجتماع الوفد المذكور بسيادة البارزاني في (جوارقورنة) للمداولة بشأن المطاليب الكوردية وعلى أثرها أصدر (المجلس الوطني لقيادة الثورة) بياناً تضمن (الإقرار بالحقوق القومية للشعب الكوردي على أساس اللامركزية) ولم يستقبل هذا البيان بشكل ايجابي كامل لدى شعب كوردستان وأحس البارزاني بفطرته وقراءته للأحداث السياسية بأن هناك التفافا على المطاليب التي تم تقديمها سابقاً إلى المركز لذلك قرر يومذاك عقد مؤتمر حزبي وشعبي مشترك واسع في مدينة كويسنجق لتنوير

ممثلي شعب كوردستان بالحقائق وما يدور بين الجانب الكوردي والحكومة الجديدة على أقرار لائحة تتضمن المطاليب والحقوق القومية للشعب الكوردي.

وخلال الفترة ٧-١٧/آذار/١٩٦٣ تقاطرت على مدينة كويسنجق وفود وشخصيات وممثلو فروع البارتي تلبية لنداء البارزاني والمكتب السياسي للبارتي ودعوتهم للحضور إلى ذلك المؤتمر حيث لم تشهد المدينة مثل ذلك التجمع من قبل وكانت تزهو باستضافة ذلك الحشد الكبير من ممثلي شعب كوردستان، وأستقبلت بيوتات وعوائل كويسنجق ضيوف ومندوبي المؤتمر باعتزاز بالغ وتحقق حلم وأمنية الشاعر القومي الكوردي الكبير (الحاج قادر كويي) عندما كان يناجي ربه قبل أكثر من سبعين عاماً من ذلك التأريخ في إحدى قصائده القومية والتي يقول فيها:

يا ألهي أرفع راية الكورد خفاقة عالية فيما بين ككون وهيبت سلطان

وفي ١٤ آذار كانت كويسنجق على موعد مع حدث تأريخي في حياتها إذ بلغها نبأ قدوم سيادة البارزاني إليها وسبقت زيارته إلى المدينة وصول مجموعة من أفراد حمايته الخاصة الذين استقروا في محيط المكان الذي كان مقرراً أن يحل البارزاني فيه ضيفاً، وعند الظهيرة تراءى للناس المتشوقين لرؤية القائد ظهور عدة سيارات (لاندروفر) على الطريق في منعطفات جبل هيبت سلطان فازدحمت الشوارع والطرق المؤدية إلى مدخل المدينة من اتجاه الجبل انتظارا لاستقبال القائد وصحبه ولم يمض أكثر من ربع ساعة حتى وصلت عدة سيارات لاندروفر إلى المدخل وهي تقل البارزاني ومجموعة من حراسه البيشمركه وكان يقود سيارته المرحوم (إسماعيل سوار آغا) رئيس عشيرة بلباس الذي كان من بين رؤساء العشائر الذين أيدوا الثورة منذ أندلاعها حيث توجهوا فور وصولهم إلى دار المرحوم كاكه زياد محمد آغا غفوري وأن اختيار مضيفه من قبل البارزاني كان نابعاً من كون كاكه زياد واحداً من بين أثنين أختارهما البارزاني مع المرحوم الشيخ لطيف الشيخ محمود الحفيد ليكونا نائبين لرئيس الحزب في ١٦ آب ١٩٤٦ لمكانتهما السياسية والاجتماعية بالإضافة إلى استمرار كاكه زياد على تعاونه مع البارتي وإخلاصه للبارزاني طيلة فترة غياب البارزاني عن كوردستان (١٩٤٧-١٩٥٨) والتي قضاها البارزاني في الاتحاد السوفياتي أثر النكسة التي حلت

بجمهورية مهاباد وانسحاب البارزاني عبر مسيرته الشاقة وسط أراضي ثلاث دول معادية والتي دامت قرابة شهرين، ثم ألتحق كاكه زياد بصفوف ثورة أيلول في حزيران ١٩٦٣ لغاية عام ١٩٧٥ وظل وفياً لمبادئه وإخلاصه للبارزاني حتى وافاه الأجل في ١٩٩١/٤/١٢ في مدينة خانة بكوردستان إيران.

كانت للمرحوم كاكه زياد داران يسكنهما أفراد عائلتيه وكانت الدار التي نحن بصددها قد بناها في أواخر الأربعينات وسط البساتين خارج المدينة آنذاك على طريق كويسنجق المؤدي إلى حماموك ذات الينابيع المائية العذبة وكان الناس يطلقون على تلك الدار (قصر كاكه زياد) كإحدى العلامات الدالة في المدينة.

وكانت عائلتنا تعيش فرحتين، فرحة وجود البارزاني في قصر كاكه زياد الملاصق لدارنا التي بناها المرحوم والدي عام ١٩٥٨، وفرحة عودة والدنا قبل ذلك التأريخ بأسبوع واحد بعد أطلاق سراحه من سجن (نقرة السلمان) الصحراوي السيئ الصيت بعد مدة اعتقال قضاها في سجنَي (الكوت ونقرة السلمان) والتي دامت حوالي السنتين بسبب أتهامه بتعاطفه ومساعدته للثورة الكوردية مع أشخاص آخرين في كويسنجق. وفي تلك الأجواء حلت شخصيات عدة مشاركة في المؤتمر ضيوفاً على دارنا منهم السادة أمير الأيزدية الشيخ تحسين بن سعيد بك وشقيقه الشيخ جلال اللذان بقيا في ضيافتنا حوالي عشرة أيام، وكذلك المرحوم الشاعر كامران موكري الذي كان قد أطلق سراحه مع والدي من السجن آنذاك ومجموعة من أفراد البيشمركه البارزانيين الذين كانوا قريبين من محيط دائرة حراسة القائد وكان يتردد على دارنا خلال انعقاد أعمال المؤتمر السادة عباس مامند آغا رئيس عشيرة آكو وأحمد توفيق (عبدالله اسحاقي) سكرتير الحزب الديمقراطي الكوردستاني في إيران وعبدالواحد الحاج ملو المزوري والملا إبراهيم الذي لم أكن أعرف شيئاً عنه عدا أنه كان يحمل معه باستمرار راديو ترانسستر ليستمع إلى نشرات الأخبار وقد كان يتردد على البارزاني في دار كاكه زياد باستمرار، كان السادة المذكورون على اتصال بسيادة البارزاني يزورونه في الليالي بعد تناول طعام العشاء، وفي أحدى الليالي عندما شعر الأمير تحسين سعيد بك برغبتي في رؤية البارزاني والتشرف بلقائه أبدى تفهماً كاملاً إذ حقق رغبتي باستصحابي معه أنا والسادة الذين كانوا ضيوفاً في دارنا.

كانت الساعة تقارب الثامنة مساءً حين دخلنا قصر كاكه زياد بالصعود على درجات السلم المؤدي إلى حديقة القصر لأن موقعه كان مرتفعاً بعدة أمتار على مستوى الشارع العام وكانت الحديقة مزدحمة بالبيشمركه المسلحين فكانت الحراسة مشددة للغاية ورغم ذلك سمح لنا بالدخول فوراً حيث تقدم أحدهم بأشعار كاكه زياد وحين دخلنا غرفة الاستقبال لاح لي سيادة البارزاني وهو واقف ومنشغل بالحديث مع شخص آخر لم أكن أعرفه وقد بدى لنا ذلك الشخص على عجلة من أمره وترك الغرفة حال وصولنا إليها ولحظتها دنا البارزاني باتجاه الأمير تحسين بك فصافحه ورحب به كثيراً وشعرت لحظتها مدى التقدير الذي يكنه البارزاني له وعندما حان دوري لتحية البارزاني والسلام عليه تقدمت نحو سيادته ومددت كلتا يدي لمصافحته بعد أن قدمني الأمير تحسين لسيادته وذكر له مدى رغبتي بلقائه وعندئذ وضع سيادته يده على رأسي بحنان أبوي وبعد أن أتخذ الجميع أماكنهم جلست أنا الآخر على كرسي في أحد أركان الغرفة.

كان الجو بارداً في تلك الأيام من منتصف آذار لكن جو الغرفة كان دفئاً بفعل حرارة موقد النار المبني من الجانب الغربي في أسفل أحد جدران الغرفة والذي أضفى جمالاً على جو الغرفة وكذلك حرارة الجو السياسي وطبيعة الأحاديث والمواضيع التي كانت تدور بين البارزاني وبقية الحاضرين إذ كانت تتركز حول مدى نجاح المفاوضات المقبلة آنذاك وكانت تلك الأسئلة والاستفسارات موجهة للبارزاني وعندما سأله أحد الحاضرين وحسب ما أتذكر كان أحد وجوه بشدر (منطقة قلعة دزة) عن مدى وجود أمكانية التفاهم مع الحكم الجديد فأجابه البارزاني (مطاليبنا متواضعة وإن أمكانية التفاهم تتوقف على الحكومة وقد كنا نأمل سابقاً التفاهم مع عبدالكريم قاسم ولكنه أبي أن يتفاهم وركب رأسه وشجعه الآخرون بمحاربتنا ورأيتم كيف كانت نهايته).

وفي هذه الأثناء دخل أحد الحراس وتهامس مع المرحوم أحمد توفيق ببعض الكلمات وعلى أثرها خرج أحمد توفيق لبعض دقائق وعند رجوعه أخبر البارزاني بأن هناك رسالة من الشيوعيين مفادها أنهم يتعرضون إلى بعض المضايقات والمعاملة السيئة من قبل بعض المسؤولين المحليين للحزب ويودون من البارزاني معالجة ذلك الأمر لأنهم أي الشيوعيون يرون في البارزاني الأمل والمدافع الحقيقي لردء المظالم

التي يتعرضون له من قبل البعض وعندما سمع البارزاني بهذا الخبر ظهرت على وجهه علامات من الألم والغضب ولم ينبس بكلمة واحدة لبضع دقائق وعندها حاول المرحوم كاكه زياد تلطيف الجو وتغيير مسار الحديث نحو وجهة أخرى لكنه لم يفلح في ذلك إذ سرعان ما طلب البارزاني حضور أحدهم في ذلك الوقت لمعالجة الموقف وقد قال كلاماً سمعه الجميع ومفاده (إن الذي لا يدافع عن المضطهدين وخاصةً من الذين يطرقون بابك فأنه بلا شك عديم الإحساس والوطنية).

وعندما ودعناه توصلت إلى قناعة مطلقة بأن البارزاني إنسان عظيم وقائد كبير ويكره الظلم من صميم قلبه أينما وقع ويناصر الضعيف ويستنكر التصرفات اللامسؤلة من أي إنسان كان ويتخذ القرارات الصائبة، وكل ذلك كان نابعاً من وجدان إنسان يتحلى بصفات قيادة حكيمة وحبه الكبير لشعبه وتفانيه من أجل أمة الكورد أينما كانوا.

كان الاختيار قد وقع على بناية مدرسة كويسنجق الابتدائية الأولى مكاناً لعقد أعمال المؤتمر وكانت البناية تقع ضمن محلة بفرقندي المحاذية من جانباها الشرقي لمحلة هواو وكان قد بوشر ببنائها أواخر عام ١٩٥٦ وتم بناؤها صيف عام ١٩٥٨ فاستقبلت طلابها أوائل أيلول العام نفسه في عهد مديرها المرحوم جلال حويز حويزي الذي تعلمت على يده عدة أجيال وعند انعقاد المؤتمر كان المرحوم طاهر سعيد هو الذي يتولى إدارة المدرسة التي كانت تحتوي على تسعة صفوف مع قاعة كبيرة شهدت أوسع مؤتمر شعبي وحزبي في تأريخها وتأريخ كويسنجق كما شهدت أروقتها حضور أكبر حشد جماهيري كوردستاني وعلى رأسهم سيادة البارزاني وأعضاء المكتب السياسي واللجنة المركزية لاختيار اللائحة المطلوبة والتي كانت تتضمن البنود الأساسية لمطاليب شعب كوردستان واختيار أعضاء الوفد المفاوض.

وفي الساعة العاشرة من صباح يوم ١٨/آذار/١٩٦٣ بدأت أعمال المؤتمر الكبير (يقول البعض من الساسة كعبدالكريم فرحان وسعد ناجي جواد وزبير سلطان في مذكراتهم وكتاباتهم إن المؤتمر بدأ يوم ١٧ آذار) ولكن الحقيقة إن المؤتمر بدأ في ١٨ آذار وبحضور أكثر من ٥٠٠ شخصية (وهناك اختلاف حول عدد المشاركين في المؤتمر إذ تذكر بعض المصادر التي كتبت عن ذلك الحدث بأن عدد المشاركين كان يقدر

بـ(٢٠٠٠) شخص بما فيهم ١٦٥ مندوباً عن فروع الحزب) ولكن واقع الحال كان شيئاً آخر إذا كانت القاعة التي شهدت عقد المؤتمر لا تتسع لذلك العدد الضخم الكبير فصحيح إن أكثر من ذلك الرقم (أي ٢٠٠٠) قد حضروا إلى كويسنجق ولكن لم يشتركوا جميعاً في أعمال المؤتمر التي استغرقت أربعة أيام بكاملها إذ شارك فيه ممثلو مختلف فئات الشعب بغض النظر عن انتماءاتهم الطبقية وكذلك المجموعات الدينية إضافةً إلى ممثلي الأقليات القومية إذ حضر في اليوم الثاني وفد من الأخوة التركمان ضم السادة (إبراهيم بك نفطجي وحسين أوجــي ومظهر التكريتي ومجيد حسن وفاضل الصالحي) وأجتمع الوفد مع سيادة البارزاني وبعض أعضاء المكتب السياسي وتمت مناقشة عدة أمور أهمها (التأكيد على الأخوة القائمة بين الكورد والتركمان والتعاون في سبيل تعزيزها بكل الوسائل الممكنة) وطمأنهم البارزاني كذلك بأنه يدافع عن المضطهدين أينما وجدوا في كوردستان وفي العراق وأرتاح الوفد المذكور كثيراً عندما وعدهم البارزاني خيراً.

كانت النقاشات التي دارت في قاعة المؤتمر حسب ما كان يرويها لنا بعض السادة المساهمين فيه (المؤتمر) والذين كانوا يعودون ليلاً إلى دارنا تتركز في مجملها حول موضوع واحد هو تبادل الرأي حول النقاط المركزية التي أحيلت إلى المؤتمر وعرضت أمام المؤتمرين من قبل القيادة والتي كانت تتعلق بالحقوق القومية في إطار الحكم الذاتي لكوردستان والتي توحدت الآراء بشأنها وتمت صياغتها على شكل مشروع متكامل عن الحكم الذاتي آنذاك من قبل لجنة مؤلفة من ٣٥ مندوباً لأعداد المقترحات بهذا الصدد وتم الاتفاق كذلك على اختيار الوفد المفاوض برئاسة الأستاذ جلال طالباني عضو المكتب السياسي للبارتي آنذاك ، وعضوية السادة صالح اليوسفي، وعبدالحسين فيلي، وحاتم عقراوي، وحبيب محمد كريم، وعكيد صديق، وبابكر بشدري، وشيخ حسين خانقاهن ومسعود محمد، ورشيد عارف، ومحمد سعيد خفاف، وشاخوان نامق، ومصطفى عزيز، وشوكت عقراوي. وحدد يوم ٣٠ آذار موعداً لسفر الوفد إلى بغداد، والجدير بالذكر ان قادة حزب البعث وأركان الحكومة العراقية لم يدخلوا مباشرة في عملية التفاوض كمحاولة جدية لمناقشة المطاليب الكوردية حيث تم تشكيل لجنة شعبية للمفاوضات متكونة من بعض الشخصيات الوطنية المعروفة

ولكن بدون صلاحيات والتي ضمنت كل من السادة الشيخ محمد رضا الشبي، وحسن جميل المحامي، وفائق السامرائي وفيصل حبيب وعبدالعزيز الدوري.

وقد أحتفل المشاركون خلال انعقاد المؤتمر ومعهم جماهير مدينة كويسنجق بعيد نوروز في الساحة المقابلة لنادي الموظفين التي شهدت تجمعاً كبيراً ألقى خلاله الشاعر الكوردي الكبير الراحل هزار الموكرياني قصيدته الشهيرة بعنوان (كاوه العظيم) والتي يقول في أحد أبياتها:

كل الكورد إلى محياك يتطلع حسبه أنت قائده فاستقلاله محتم

أنقذنا من الفاقة والإملاق وقدنا إلى التحرر فالله ناصر محتكم

ويحز في نفسي وأنا أدون هذه الذكريات عن مؤتمر كويسنجق التاريخي ضياع أهم وثيقة مصورة عن أعمال المؤتمر ومدينة كويسنجق وكانت عبارة عن كراس (فولدر) مصور مطبوع على ورق صقيل وبشكل أنيق سجلته عدسة كاميرا مصور صحافي فرنسي كان متواجداً هناك أثناء أعمال المؤتمر وقد وثق ذلك في حينه أهم وقائعه بالكلمات والصور وطبعها في فرنسا وصادف أن حصلت على ذلك الفولدر عام ١٩٧٤ عندما كنت أعمل في مجال أعلام الثورة الكوردية آنذاك وقد بقيت محتفظاً بالكراس وباعتزاز لسببين أولهما: لأنه كان يحتوي على وقائع أعمال المؤتمر والثاني: لأنه كان يجمع صوراً فريدة عن معالم الحياة العامة في مدينتي ولكن وللأسف الشديد ضاع ذلك الكراس مع ما ضاع من كل ما كنت أملكه نتيجة تعرض محتويات بيتي للسلب[١](١) والنهب مطلع عام ١٩٩٥ أثناء حرب اقتتال الإخوة في كوردستان.

---

[١] من حسن الحظ عاد إلى كوردستان المصور الصحفي الفرنسي فرانسوا لوفا عدة مرات واستفسرت منه عن تلك الصور حيث حصلت على بعض منها كما هو معروف هنا في نهاية الفصل.

آذار عام ١٩٦٣ كويسنجق، لحظة مغادرة البارزاني لقاعة المؤتمر

كويسنجق آذار ١٩٦٣، جلال الطالباني خلال إلقاء كلمته في المؤتمر

كاكه زياد محمد آغا غفوري

نائب رئيس الحزب الديمقراطي الكوردستاني عند تأسيس الحزب عام ١٩٤٦

كويسنجق آذار عام ١٩٦٣، من اليمين فرهاد فؤاد عارف، جلال الطالباني، لقمان البارزاني

العقيد كريم قرني

الأصدقاء الثلاثة من اليمين: عدنان جمال، فرهاد عوني، فرياد محي الدين

كويسنجق آذار ١٩٦٣

مدينة كويسنجق عام ١٩٦٣

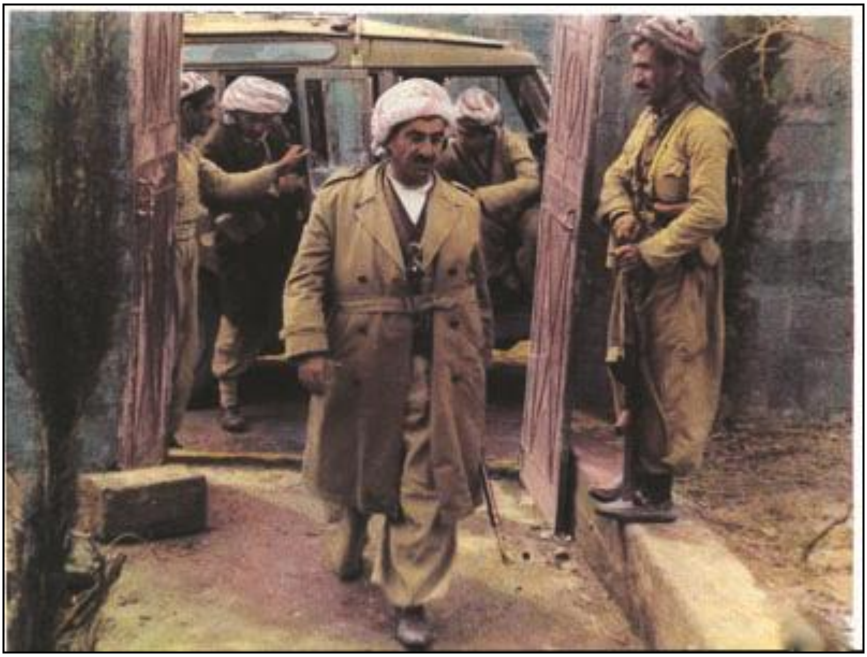

رانيه عام ١٩٦٣ البارزاني عند دخوله دار المحامي حسن كانبي

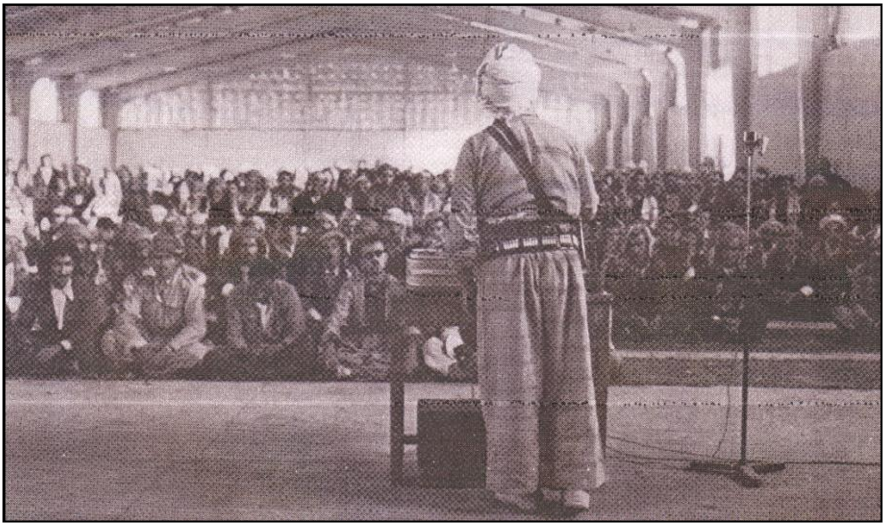

البارزاني في رانيه متحدثا إلى كوادر الحزب الديمقراطي الكوردستاني عام ١٩٦٣

من اليمين: المرحوم عمر مصطفى (دبابة)، المرحوم كاكه زياد، المرحوم إبراهيم أحمد، المرحوم علي عسكري، الاستاذ جلال طالباني أيام ثورة أيلول الكبرى قبل منتصف الستينات

المصور الصحفي الفرنسي الشهير فرانسوا لوفا يتوسط اثنان من مقاتلي البيشمركه عام ١٩٦٣

من اليمين: علي حمد أمين صاحب ستوديو جناروك، المرحوم جواد شفيق آغا حويزي، والمصور الصحفي الفرنسي فرانسوا لوفا خلال احتفال عيد نوروز ١٩٦٣ في مدينة كويسنجق

من اليمين: المرحوم صالح ميران، أمير الإزديه الشيخ تحسين شيخ سعيد، فرهاد عوني، المرحوم كاكه زياد غفوري، الشيخ جلال شيخ سعيد في حديقة دار المرحوم كاكه زياد آغا آذار عام ١٩٦٣

قصة تشكيل أول محكمة قانونية أبان ثورة أيلول عام ١٩٦٣ (*)

كانت لقرية (هلشو) الحدودية عام ١٩٦٣ ضمن الوحدة الإدارية لبلدة قلعة دزه موقعاً حصيناً نظراً لوقوعها بين منحدرات جبلية مغطاة بأنواع من الأشجار الجبلية المثمرة ولم تكن منازلها ظاهرة للعيان بسبب تناثرها هنا وهناك والمبنية من الطوب المحلي تحت أغصان الأشجار الوارفة الظلال وكانت تبعد ثلاث ساعات مشياً على الأقدام عن مدينة قلعة دزه، وأهاليها من الناس الطيبين يمتهنون الزراعة وتربية المواشي بطريقة بدائية جداً آنذاك إذ لم يكن هناك طريق معبد يوصل بين تلك القرية ومركز وحدتها الإدارية وبسببها كانت (هلشو) تعيش تقريباً في عزلة شبه تامة بالرغم من مناخها المعتدل وكثرة عيون المياه الباردة وجمالها الريفي الساحر في منطقة جبلية على مقربة من الحدود الإيرانية شمالاً.

كانت عائلتنا ضمن مجموعة العوائل التي التجأت إلى هذه القرية بعد التاسع من شهر حزيران عام ١٩٦٣ أثر تجدد القتال من جديد في كوردستان وفشل المفاوضات التي كانت جارية بين قيادة ثورة أيلول والحكومة المركزية الجديدة والتي جاءت إلى دست الحكم بعد سقوط الجمهورية الأولى في الثامن من شباط من العام نفسه ومقتل زعيمها عبدالكريم قاسم في اليوم التالي وعلى أثرها شهدت كوردستان هدنة هشة طال أمدها قرابة أربعة أشهر حيث أعلن الحكام الجدد في بداية الأمر أنهم وبعكس سلفهم عبدالكريم قاسم سيلبون المطاليب القومية للشعب الكوردي واستجابت قيادة الثورة والحزب الديمقراطي الكوردستاني لهذا التوجه رغم معرفتهم بالمصاعب الكبيرة والتعقيدات التي تواجه الوضع الجديد، وفي أواسط شهر آذار أنعقد اجتماع كبير ومهم للغاية في مدينة كويسنجق برئاسة البارزاني الخالد حضره مندوبو الحزب من كافة مناطق كوردستان ووجوه من الشخصيات السياسية ورؤساء العشائر المعروفة

(*) نشر في مجلة (كولان العربي) العدد ١٤ في ٢٥ تموز ١٩٩٧.

لدراسة الوضع الجديد وبلورة أفكار جديدة لمسألة المفاوضات المرتقبة مع الحكم الجديد والتي لم تكن مثمرة بسبب الموقف الشوفيني لبعض الأوساط في الحكم الذي سرعان ما أعلن حرباً شرسة اجتاحت الأخضر واليابس وأصبحت كوردستان برمتها منطقة حركات عسكرية مما أدى إلى زيادة عدد الملتحقين بصفوف الثورة الكوردية ومن ضمنها عائلتنا التي آثرت ترك كويسنجق ـ قبل احتلالها ثانية من قبل القطعات العسكرية والالتجاء إلى المناطق المحررة حيث كان والدي يعرف ببصيرته ما كنا سنلاقيه في حالة بقائنا في كويسنجق لا سيما وأنه كان قد أطلق سراحه من معتقل (نقرة سلمان) الصحراوي حديثاً بعد اعتقال دام قرابة عامين (١٩٦١-١٩٦٣) في عهد عبدالكريم قاسم حيث أفرج عنه بعد الثامن في شباط ١٩٦٣ على أثر الهدنة التي تم التوصل إليها بين الطرفين في بداية الأمر وفق قوائم خاصة معدة من قبل الحزب الديمقراطي الكوردستاني.

وفي الرابع عشر من حزيران تركنا مدينة كويسنجق ليلاً باتجاه مدينة قلعة دزه بسيارة حمل قديمة حاملين معنا بعض من المستلزمات الضرورية التي لا يمكن الاستغناء عنها كالأفرشة وأواني الطبخ وكميات من المواد التموينية التي كانت موجودة في البيت آنذاك تاركين في نفس الوقت ما كنا نمتلكه من الأثاث والحاجيات البيتية ومكتبة والدي والتي كانت تحوي على جملة من الدواوين المخطوطة لشعراء كورد كبار والمجاميع الكاملة لمجلة (كلاويز) الشهيرة ومجاميع من مجلات (هه تاو، هيوا، روزي نوي، به يام، وده نكي كيتي تازه) والتي تعرضت فيما بعد إلى النهب والسلب على أيدي أفراد من القطعات العسكرية مع عدد من ممتلكات العوائل الأخرى التي التحقت بمناطق الثورة المحررة، وفي الخامس عشر من حزيران أستقر بنا المقام في قرية (هلشو) واصلين إليها من قلعة دزة مشياً على الأقدام ومن ضمنها عائلة ابن عم والدي (اسطة عبدالله حداد) وعمي المرحوم (عمر حبيب) الذي كان حاكماً في مدينة قلعة دزة معلناً أنضمامه إلى صفوف الثورة مع الآلاف من الموظفين الحكوميين الآخرين والآلاف من العسكريين والطلاب والكسبة من حزبيين وغير حزبيين وأعداد أخرى من أعضاء الحزب الشيوعي العراقي عرباً وكورداً والذين رفضوا مهادنة النظام الجديد

ووجدوا في الثورة الكوردية خير ملجأ لهم في ذلك الوقت حيث شاركوا في فعاليات الثورة.

ولم يمض أكثر من ثلاثة أسابيع على وجودنا في (هَلشو) عندما أخبرنا المرحوم (عمي) بأنه قد اختير لأشغال منصب رئيس المحكمة العليا للثورة وعليه الالتحاق بمنصبه خلال أيام نظراً لحاجة الثورة لتشكيل هذه المحكمة وعلى غرار المحاكم الموجودة في الدولة العراقية للنظر في القضايا المتعلقة بالمحاكم بعد أن اتسعت مهام الثورة المدنية والتنظيمية نتيجة توسع رقعتها الجغرافية ومهامها العسكرية أثر النقلة النوعية الكبرى في مسارها عند معاودة القتال ثانية مع الحكومة الجديدة، وعندما تلقى المرحوم عمي نبأ تكليفه بمهمته الجديدة ارتأى مرافقتي له في تلك المهمة رغم معارضة والدتي التي كانت تراني صغيراً رغم بلوغي السابعة عشر من العمر وأمام إلحاحي ورغبتي استطعت الظفر برضائها والسفر من (هَلشو) إلى (ماوه ت) سيراً على الأقدام على مدى ثلاثة أيام في رحلة مضنية لم أكن قد أعتدت عليها من قبل.

كان الوقت عصراً عندما لاحت لنا بلدة ماوه ت القابعة في السفح الغربي عند اسفل جبل (كه مو) الاجرد في جهته المطلة على البلدة والتي شهدت ميلاد أول محكمة قانونية في سفر ثورة أيلول إذ لم تكن هناك محاكم من هذا الطراز من قبل وكان الكادر الحزبي منذ اندلاع الثورة في أيلول ١٩٦١ هو الذي كان يتولى الفصل في القضايا الاجتماعية في القرى المحررة أما المسائل الأخرى التي كانت تتعلق بأمن الثورة فكانت المسؤول الحزبي والعسكري هو الذي يتولى أمر هذه الأمور وكان تشكيل هذه المحكمة خطوة هامة ضمن الخطوات الأخرى التي بادرت قيادة الثورة لتنظيم أمورها على طراز آخر في المرحلة الثانية بعد التاسع في حزيران سنة ١٩٦٣ بعد تحرير بعض القصبات والمدن الصغيرة التي تطلبت تغيير وتطوير جملة من الأساليب لمواجهة الوضع الجديد ومقاومة الهجمة الشرسة التي كادت أن تبتلع كوردستان لولا مقاومة (الرجال الشجعان) الذين جعلوا من شعار (كوردستان أو الموت) سلاحاً غَيّرَ موازين القوى في أروع ملحمة بطولية دفاعاً عن كوردستان وشعبها.

وصلنا (ماوه ت) وقد كنا فرحين وأول ما صادفناه عند حافة المدينة كان ضابطاً عراقياً عرفناه فيما بعد أنه (العقيد موسى كاظم الجبوري) وكان أحد الضباط الذين

التحقوا بصفوف الثورة الكوردية بعد انقلاب شباط الدموي مع مجموعة من زملائه الضباط ذات الرتب المختلفة وكان يدندن لحظتها مع أغنية ريفية كان يسمعها من الراديو الذي كان يحمله معه وما زلت أتذكر مطلع تلك الأغنية وهي (على درب اليمرون أريد أكعد وأنادي) وأجْلَسَنا على حافة النبع الذي كان يقع تحت ظل شجرة توت كبيرة منفرداً بنفسه في لحظات كان يتذكر فيها عائلته الموجودة في بغداد وبث شجونه مع المطرب العراقي عبدالجبار الدراجي فى أغنيته الريفية تلك.

كانت بلدة ماوه ت من القصبات ذات شأن في حينها إذ كانت مقر (القاطع الثاني) من حيث التنظيمات الحزبية والذي كان مسؤوله آنذك المرحوم (عثمان سعيد) إذ كان متواجداً في المقر حال وصولنا إليه بملابسه الخاكية حاملاً مسدساً من نوع (ويبلي) وبدأ يسرد لنا بطولات البيشمركه في قاطعه وأخبرنا في حينه بنبأ أستعمال (البازوكا) (ذلك السلاح الذي كان يستعمل ضد الدروع) لأول مرة آنذاك، والذي وصل حديثا بعد جهود ومشقة كبيرين، ثم ضيفنا في الليلة الأولى لوصولنا في مقره المتواضع.

وفي صباح الحادي عشر من تموز كنا داخل بناية مبنية بالأسمنت والحجر في ماوه ت والتي كانت تعود سابقاً لمحكمة البداءة المحدودة في البلدة قبل تحريرها من قبل قوات الثورة وكان قد أعيد تأثيثها تأثيثاً بسيطاً للغاية ومتكونة من ست غرف ذات مساحة واحدة مع قاعة كبيرة نسبياً خصصت فيما بعد لرئيس المحمكة وكانت البناية في حالة سليمة وتشرف على الوادي من جهة الجنوب الغربي والمليئة بالأشجار المثمرة وخاصة الرمان الذي كان يُعتبر نوعيته من الأنواع الجيدة في المنطقة، وكان يوماً مزدحماً بالأعمال تحضيراً لليوم التالي الذي كان يعلن فيه تشكيل (المحكمة العليا للثورة) لأول مرة في تأريخ الثورة الكوردية وكانت تشكيلة المحكة قد تم اختيارها من وجوه قانونية معروفة ومتمرسة في مجال المحاكم والتحقيق والتي استطاعت تسجيل ماثرة قانونية في مجال عملها في ذلك الظرف المعقد القاسي الذي كان الطابع العسكري مسيطراً فيه على العقول مجابهة عسكرتارية الدولة المركزية التي كانت تحارب الأرادة الكوردية بالحديد والنار!.

وكان اليوم الثاني عشر من تموز يوماً مشهوداً في (ماوه ت) إذ حضر إلى بناية المحكمة جمع من مسؤولي الحزب والبتاليونات العسكرية وعدد من الضباط العراقيين

الملتحقين بصفوف الثورة الكوردية ومن بينهم العقيد طه بامرني الذي كان قد سلم قبل خمسة أعوام من ذلك الشهر قصر الرحاب (مكان أقامة العائلة المالكة) إلى الضباط الثائرين في الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ ثم أصبح فيما بعد أحد ضحايا العهد الجمهوري وعلى قاعدة (الثورة تأكل رجالها)!. بالإضافة إلى ذلك كانت هنالك وجوه المدينة تيمناً ببدء أعمال المحكمة العليا للثورة في ذلك اليوم والتي كانت تشكيلتها قد بدأ بممارسة أعمالها وفق القوانين والأنظمة العراقية للنظر في القضية الأولى والتي كانت تخص ضابط الشرطة (إبراهيم النائب) الذي كان متهماً بقضايا جرميه خلال ممارسة وظيفته في بعض المدن الكوردستانية متجاوزاً صلاحيته وحدود وظيفته، وكانت تشكيلة المحكمة العليا للثورة في بدايتها والتي دخلت صفحات التأريخ كسابقة جديدة في حياة ثورة أيلول العظمى على نحو التالي:

أولاً عمر حبيب عبدالله: رئيس المحكمة وكان شاباً في الثامنة والثلاثين من العمر من مواليد مدينة كويسنجق سنة ١٩٢٥، خريج كلية الحقوق بجامعة بغداد عام ١٩٤٨ وكان قد أنخرط في صفوف البارتي منذ بداية تشكيله عام ١٩٤٦ حيث كان متحمساً لمبادئه القومية إذ يذكر الأستاذ مسعود محمد في مذكراته (رحلة حياتي) بأن (عمر حبيب) وزميله المحامي آنذاك بكر إسماعيل (كانا بارتيين من الصميم) وفي بداية الخمسينات تعرض خلال العهد الملكي للاعتقال عدة مرات وأضطر لأختفاء مرات أخرى في منطقة كويسنجق مع زميله الأستاذ علي عبدالله نائب رئيس الحزب حالياً والذي كان عضواً في المكتب السياسي عند إعلان الأحكام العرفية آنذاك. وأشغل (عمر حبيب) منصب معاون تسوية للأراضي في كركوك والسليمانية ثم أصبح فيما بعد حاكماً في محكمة قضاء بينجوين عام ١٩٥٧ ثم حاكما في محاكم السليمانية والتحق بصفوف ثورة أيلول في شباط عام ١٩٦٣، وفي تموز من نفس العام انيطت به رئاسة المحكمة العليا للثورة تقديراً له من قبل قيادة الحزب والثورة وظل مخلصاً لمبادئه القومية إلى أن وافاه الأجل في مساء يوم ١٩٧٦/٩/٤ عندما كان يشغل منصب نائب رئيس المحكمة الكبرى في محافظة أربيل عن عمر ناهز الـ(٥١) عاماً.

ثانياً محسن دزيي: العضو الأول للمحكمة، من مواليد قرية دوكردكان أحدى قرى أربيل عام ١٩٢٣، أكمل دراسته الابتدائية والمتوسطة والثانوية في مدارس أربيل ودخل كلية الحقوق في جامعة بغداد وتخرج منها عام ١٩٥٥ وهو من عشيرة دزيي من عائلة معروفة بنشاطها القومي وكان قد التحق بصفوف الثورة الكوردية منذ عام ١٩٦٣ وواصل المسيرة النضالية لحد الآن وكان أحد القلائل الذين بقوا على إخلاصهم ووفائهم للبارزاني الخالد حيث كان ملازماً له في أمريكا بعد نكسة ثورة أيلول عام ١٩٧٥ حتى آخر لحظة من حياة هذا الزعيم الخالد ويشغل حالياً منصب الممثل الشخصي للسيد مسعود البارزاني رئيس الحزب الديمقراطي الكوردستاني.

ثالثاً روبيتان أمين علي جاف: العضو الثاني للمحكمة، من مواليد مدينة كفري عام ١٩٢٧ وخريج كلية الحقوق جامعة بغداد عام ١٩٥١ وأشغل منصب حاكم في مدن مختلفة وهو من عشيرة الجاف والتحق بصفوف الثورة عام ١٩٦٣ وأصبح أميناً عاماً لإدارة للشؤون الاجتماعية عام ١٩٧٦.

رابعاً حسن سيد أحمد: العضو الثالث لإدارة المحكمة، من مواليد مدينة السليمانية عام ١٩٢٢ وأكمل دراسته الابتدائية والثانوية في مدينته وعين موظفاً في بداية الأمر في محكمة الصلح ثم أصبح سكرتيراً لمجلس أدارة معمل سكاير السليمانية وثم معاوناً للمدير في نفس المعمل وأنضم إلى صفوف البارتي منذ عام ١٩٤٨ والتحق بصفوف الثورة الكوردية عام ١٩٦٣، وبعد الانتفاضة أصبح ممثل البارتي في لجنة السليمانية للجبهة الكوردستانية ومديراً عاماً في وزارة الصناعة وآخر منصب شغله كان مستشار في وزارة المالية لحكومة إقليم كوردستان إلى أن وافاه الأجل في يوم ١٩٩٦/١٢/٢٢.

خامساً كمال أحمد برقي: المحقق العدلي للمحكمة، من مواليد السليمانية عام ١٩٣٠، أكمل دراسته الابتدائية والثانوية فيها والتحق بكلية الشرطة في بغداد وتخرج منها برتبة ملازم ثانٍ شرطة والتحق بالثورة الكوردية عام ١٩٦٣ مع جمع كبير من

أقرانه حيث أنيطت به عند تشكيل المحكمة (محقق عدلي) مهمة التحقيق مع المتهمين من جميع القضايا المحالة للمحكمة وكان رحمه الله شاباً متحمساً يواكب عمله ليل نهار، وأنتقل إلى جوار ربه في ١٩٦٧/١٠/١١ في حادث سيارة على طرق كركوك - السليمانية.

سادساً طاهر صالح فتاح: المدعي العام للمحكمة، من مواليد مدينة السليمانية عام ١٩٢٨ وكان شاباً هادئاً للغاية نادراً ما كان يتكلم خارج نطاق عمله وكان شغوفاً بسماع الأخبار من الراديو الذي يحمله باستمرار، وكان ضابط شرطة برتبة ملازم أول عندما التحق بالثورة الكوردية عام ١٩٦٣، واغتيل غدراً في صبيحة ١٩٦٩/٦/٩ بالقرب من منزله في مدينة السليمانية.

سابعاً كاتبا ضبط المحكمة وهما:

١. **صباح جلال غريب:** مواليد مدينة السليمانية عام ١٩٤٤ التحق بتنظيم البارتي حينما كان تلميذاً في الإعدادية في أواخر الخمسينات والتحق بثورة أيلول عام ١٩٦٣ بعد مجزرة السليمانية في ٩ حزيران في العام نفسه وكان تلميذاً في كلية الهندسة بجامعة بغداد وترك دراسة الهندسة والتحق بكلية الشرطة فيما بعد وتخرج منها برتبة ملازم شرطة وبعد نكسة ١٩٧٥ أحيل إلى التقاعد وحُوِلَ إلى وظيفة مدنية.

٢. **فرهاد عوني:** (كاتب هذه السطور) من مواليد عام ١٩٤٦ مدينة كويسنجق أكمل دراسة الأبتدائية والثانوية فيها وتخرج من كلية الأقتصاد والعلوم السياسية - فرع الأقتصاد جامعة بغداد عام ١٩٧٠ وكان عند ألتحاقه بالثورة طالباً في الصف الرابع الأعدادي.

ثامناً حماية المحكمة وضبط أمنيتها: أنيطت مهمتها بالمقاتل (البيشمركه) (بكر حاج فرج) وهو من مواليد مدينة السليمانية عام ١٩٣٦ وأكمل دراسته الابتدائية فيها وكان شجاعاً ويهتم بهندامه، وهو لطيف المعشر ومازال مستمراً في مسيرته في صفوف الثورة والبارتي حتى اليوم وكان يساعده في تلك المهمة المرحوم (لطفي محمود

محمد) من مواليد مدينة السليمانية عام ١٩٣٥ وهو شقيق الشهيد (محمد محمود قدسي) وقد اغتيل غدراً في ١٩٦٩/١١/١٤ في مدينة السليمانية.

وهكذا كانت المحكمة العليا للثورة في تشكيلتها ومهامها مستندة إلى القوانين والأنظمة المرعية وأصول المحاكمات القانونية ومنها قانون العقوبات البغدادي وأشاد بنزاهتها الكثيرون ومن بينهم لواء الشرطة حامد القاضي الذي كان مديراً لشرطة محافظة السليمانية ومَثُلَ أمامها بعد ألقاء القبض عليه على طريق السليمانية/ سرجنار وقال كلمته في نهاية الأمر عندما تبلغ بقرار المحكمة إذ وصفها في حينه (بالمحكمة القانونية والنزيهة والشجاعة) وقد مارست المحكمة أعمالها في فترة حرجة من تأريخ ثورة أيلول تلك الثورة التي ولدت من رحم هذه الأمة المجزأة لإيصال صوتها إلى خارج الحدود المصطنعة مدافعةً عن الكرامة، مطالبة بالحقوق القومية المشروعة في زمن لم يبق فيه شعب إلا ونال نصيبه بدرجة أو أخرى من الحقوق وكانت من ميزات الثورة الاهتمام بالجانب المدني وتنظيم حياة الناس رغم شراسة القتال الذي استعملت فيها حتى الأسلحة المحرمة دولياً ومع هذا لم تنسى الثورة وهي لم تكمل الثلاثة أعوام من عمرها تشكيل محكمة كان شعارها الرئيس (وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) ذلك الشعار الذي كان مثبتاً في صدر القاعة وبالذات فوق منصة رئيس المحكمة.

أطلال مبنى المحكمة العليا لثورة أيلول الكبرى في بلدة (ماوةت)

بلدة (ماوةت) عام ٢٠٠٩

المرحوم عمر حبيب عبدالله

رئيس المحكمة العليا للثورة الكوردية خلال عامي ١٩٦٣-١٩٦٤

من اليسار القاضي المرحوم عمر حبيب في داره بمدينة السليمانية وأمامه

نجله شيركو ثم عبدالخالق علاءالدين، دلاور كاكه زياد، فرهاد عوني صيف عام ١٩٦٠

من الوسط رئيس المحكمة العليا للثورة الكوردية عمر حبيب، وإلى يساره فرهاد عوني
كاتب ضبط المحكمة خلال احدى المرافعات في بلدة ماوه ت صيف عام ١٩٦٣

من اليسار عمر حبيب (عندما كان قاضيا في محاكم السليمانية) ثم الشيخ لطيف الشيخ محمود الحفيد، عبدالخالق علاء الدين، فرهاد عوني. والطفلان هما شيركو نجل عمر حبيب، وشنو بنت الشيخ لطيف في مصيف سرجنار عام ١٩٦٠

محسن دزيي في جبال كوردستان قرب (ماوقت) بعد التحاقه بالثورة الكوردية عام ١٩٦٣
حيث أصبح عضوا في المحكمة العليا للثورة الكوردية

بدايات صدور جريدة (برايه تي) في بغداد عام ١٩٦٧[*]

عندما تحول حي العيواضية ببغداد إلى مركز استقطاب للكتاب الكورد والعرب!

كيفية تشكيل أول هيئة تحرير لجريدتي (التآخي) و(برايتي)

على يسار الشارع المؤدي من باب المعظم صوب مدينة الاعظمية يقع حي العيواضية وهو أحد الأحياء السكنية القريبة من مركز مدينة بغداد ويتصف بالطابع الشعبي من حيث نوعية ساكنيه وقدمه قياساً بالأحياء السكنية التي ظهرت إلى الوجود في بداية الخمسينات من هذا القرن والتي شهدت إقبالاً للسكن نتيجة التزايد الكبير في عدد السكان وتفضيل الضواحي من قبل الميسورين وشرائح الموظفين الحكوميين الذين كانوا يتمتعون بنوع من الاحترام الزائد نظراً لضمان رواتبهم على مدار السنة والتي كانت تكفل لهم عيشة مقبولة آنذاك قياساً بوضعهم الحالي نتيجة التطورات الهائلة التي حصلت في حياة الناس في الثلاثين السنة الماضية.

في إحدى دور العيواضية، وفي أحد فروعها القريب من الشارع العام أستقر الرأي بأن تكون مقراً لجريدة التآخي وبرايه تي يومذاك بعد التطورات التي حصلت في المناخ السياسي على الساحة العراقية، ولا سيما بعد تسلم اللواء عبدالرحمن محمد عارف زمام الحكم أثر مصرع شقيقه عبدالسلام محمد عارف وظهور بوادر الانفراج السياسي وخاصة عندما كلف المرحوم الدكتور عبدالرحمن البزاز بتسنم رئاسة الوزراء حيث سعى جاهداً لإقامة حكومة مدنية ذات طابع ليبرالي وحل مشكلات العراق الكبيرة حسب وجهة نظره ومنها القضية العراقية الأولى (القضية الكوردية) وقد أشار في لقاءاته الصحفية وأحاديثه التلفزيونية بأنه سيكون خير وسيط لتقارب وجهات النظر بين قيادة الثورة الكوردية المتمثلة بشخص البارزاني الخالد والحكومة العراقية وسط أجواء من الصراع بينه وبين كتلة العسكريين الأقوياء آنذاك والمحيطين بدائرة رئيس

---

[*] نشر في مجلة (كولان العربي) العدد ١٢ في ٢٥ أيار ١٩٩٧.

الجمهورية عبدالرحمن محمد عارف حيث رجحت كفة البزاز بعد معركة هندرين الشهيرة والانتصار الساحق الذي سجل ثوار أيلول على القطعات العسكرية في محور حوض رواندوز في ١٩٦٦/٥/١٢ وعلى أثر ذلك شرع المنتصرون عند ظهور مبادرة الحكومة المركزية للدخول في جولة أخرى من الحوار والمفاوضات وبنتيجتها تكللت نهايتها بصدور بيان اعلنت فيه الحكومة الاعتراف بالحقوق القومية وأجراء الإصلاحات المطلوبة في ٢٩/حزيران/١٩٦٦ وعلى أثر ذلك شهدت منطقة كوردستان نوعاً من الهدوء النسبي وظهرت بوادر الانفراج التي تكللت بزيارة رئيس الجمهورية إلى كوردستان وعقد اجتماع مع سيادة البارزاني في منطقة (رواندوز) وأعقبته زيارات متبادلة بين كبار المسؤولين في الدولة والحزب الديمقراطي الكوردستاني لكل من بغداد وكوردستان فأصبح الجو السياسي أكثر ملائماً بالرغم من وجود بعض الإشكالات ومع هذا سارت الأمور على هدى ميثاق (اتفاقية ٢٩ حزيران) والمناخ الذي ولد بعد التطورات التي حصلت في الساحة السياسية العراقية في عهد عبدالرحمن محمد عارف إذ تميزت مدة حكمه بنوع الانفتاح النسبي على القوى السياسية مقارنة بالحياة السياسية عقب انقلاب ٨/شباط الأسود عام ١٩٦٣ ومدة حكم المشير عبدالسلام محمد عارف.

في شهر نيسان سنة ١٩٦٧ تولى المرحوم صالح اليوسفي بعد تكليفه من قبل قيادة الحزب بتنفيذ مشروع إصدار جريدة باللغتين الكوردية والعربية لتكون كمنبر رسمي للبارتي بعد أن أقرت قيادة الحزب في أحد اجتماعات اللجنة المركزية والذي أنعقد في شهر آذار من تلك السنة لتدارس جملة من الأمور السياسية والتنظيمية والإعلامية وتنفيذ بنود البيان الآنف الذكر وتنظيم العلاقة مع الحكومة المركزية وإصدار جريدة علنية في بغداد العاصمة وضرورة إقامة بعض الأعضاء القيادة في العاصمة لمقتضيات المصلحة العامة وتسهيل أمور العلاقة مع السلطة المركزية.

في حي العيواضية وقريباً من الشارع العام اختيرت دار كانت إلى وقت قريب متخذة للسكن وسط مجموعة من الدور السكنية المبنية بالأسمنت المحلى والطابوق ضمن القاطع الأول القريب من مبنى السجن المركزي القديم، كانت متكونة من طابقين ذات ثمان غرف وحديقة أمامية مهملة محاطة بسياج متكون نصفه من البناء ونصف الآخر

من المحجر الحديدي ولم تكن للبناية ما يلفت النظر سوى رقعة الجريدة المنصوبة على يسارها خارج السياج وكانت البناية تحتل موقعاً ركنياً في الحي الذي تحول نتيجة وجود مقر الجريدة فيه إلى مركز استقطاب لجمهرة من الكتاب والمحررين الكورد والعرب ومراجعيها على اختلاف ميولهم السياسية حيث طغى الطابع الديمقراطي على نهج الجريدتين في ضوء أفكار وتوجهات الحزب الديمقراطي الكوردستاني تجاه مجمل القضايا التي كانت تشغل الساحة السياسية في العراق آنذاك.

في بداية مشوارنا للحياة الجامعية وكثرة ترددنا على مقر الجريدة تعرفنا على كوادرها بفعل مرجعية الأستاذ صالح اليوسفي باعتباره عضو المكتب السياسي الوحيد المقيم في بغداد وصاحب الحل والفصل فيما كنا نعاني من مشاكل وصعوبات سياسية وتنظيمية وقد كان رحمه الله يبدي مرونة كاملة واستجابة سريعة للقضايا التي كنا نطرحها أمامه وكان يحاول جهد أمكانه تسهيل وتبسيط المسائل التي كنا نتصورها كبيرة وغير قابلة للحل ورغم كثرة أعماله ومشاغله وكونه رئيساً لتحرير جريدتي (التآخي) العربية و(برايه تي) الكوردية والتي نحن بصدد استذكار مراحل الأولية باعتبارها أول جريدة يومية كوردية في تأريخ الصحافة الكوردية في العراق.

لقد كان حدثاً سعيداً عندما صدر العدد الأول من جريدة (برايه تي) الكوردية الأسبوعية في يوم السبت المصادف ٦/أيار/١٩٦٧ بعد أسبوع واحد من صدور شقيقتها (التآخي) اليومية العربية وجاءت أهمية صدور (برايه تي) كونها كانت تعبر عن وجهة نظر الثورة الكوردية وقائدها البارزاني مصطفى والذي خص العدد الأول منها بمقابلة مستفيضة حول القضايا الساخنة التي تخص الحركة الكوردية ومستقبل العلاقة مع الحكومة المركزية مؤكداً فيها (إن المساواة في الحقوق القومية وحرية التعبير سبيلنا للوحدة الوطنية) وكانت أول جريدة كوردية تصدر علناً وبصورة منتظمة لتمثل تطلعات الأمة الكوردية في قلب العاصمة بغداد وكان الشهيد صالح اليوسفي أول رئيس تحرير للجريدة، وهو من مواليد ١٩١٨ قرية بامره ني والتي تقع عند أسفل جبل (متين) التابعة لقضاء عمادية ومن عائلة عريقة ومناضلة إذ ساهم جده (الشيخ يوسف) إلى جانب اهتمامه الكبير بالعلوم والأمور الدينية في ثورة بدرخان

باشا (أمير الجزيرة وبوتان) حتى آخر يوم من حياته، وتعود بدايات الشهيد اليوسفي بالحياة السياسية إلى سنة ١٩٣٩ عندما كان في الحادية والعشرين من عمره حيث أنخرط في الحركة الوطنية الكوردية مؤسساً مع رفاقه (رفيق حلمي يونس رؤوف (دلدار)، مصطفى عوزيري، موسى عبدالصمد، جلال قادر، روستم عبدالجبار) حزب هيوا ذي التطلعات القومية وبقى مع هذا النهج من خلال ارتباطه بـ(هيوا ورزكاري) لحين تأسيس الحزب الديمقراطي الكوردستاني في ١٦/آب/١٩٤٦ بقيادة البارزاني الخالد مع رفاقه الأساتذة (على عبدالله، همزة عبدالله، عوني يوسف، دكتور جعفر عبدالكريم، طه محي الدين معروف، كاكه زياد غفوري، والشيخ لطيف شيخ محمود الحفيد) ثم أصبح عضواً في لجنته المركزية (الأولى) وأحتفظ بعضويته قيادة هذا الحزب حتى آذار ١٩٧٥، و أستشهد في ٢٥/حزيران/١٩٨١ أثر انفجار لغم مرسل له من قبل قيادة البعث على شكل طرد بريدي شخصي في حديقة منزله بمدينة بغداد.

أما عن ظروف اختيار هيئة تحرير الجريدة من قبل الشهيد اليوسفي فقد حدثني أحد أعضائها وهو (العميد المتقاعد عبدالله سعيد) وهو (ضابط كوردي من مواليد مدينة السليمانية سنة ١٩١٤، أصبح ضابطاً برتبة ملازم ثان في الجيش العراقي وانتمى إلى حزب هيوا سنة ١٩٤٢ عندما كان في مدينة كركوك عن طريق الشهيد عزت عبدالعزيز الذي كان ضابطاً معه أيضاً في إحدى الوحدات العسكرية هناك، وارتبطا بعلاقة صداقة، وفُصل في السنة الثانية من كلية الأركان بسبب الأحداث السياسية في المنطقة الكوردية لكون الشهيد عزت عبدالعزيز ملتحقاً في ذلك الوقت بصفوف ثورة بارزان). فقد روى لي العميد المتقاعد عبدالله سعيد ذكرياته عن تلك الأيام عندما كنا نتمشى معاً في بساتين مصيف (حاجي عمران) في صيف سنة ١٩٧٤ أبان التحاقنا بالثورة الكوردية، قائلاً (تعود بداية تكليفي إلى منتصف نيسان سنة ١٩٦٧ عندما كنا جالسين مع الأخوة (فؤاد عارف، على كمال، رؤوف أحمد، أحمد كمال) في أحد المكاتب التجارية ببغداد الذي كنا شركاء فيه وكان يقع على يمين شارع النضال من طرف ساحة الأندلس إذ جاءنا زائر هو المرحوم (صالح اليوسفي) والذي كان صديقاً للجميع وتربطنا به صداقة قديمة متحدثاً عن نيتهم في إصدار جريدتين باللغتين العربية والكوردية وأنهم (والكلام لليوسفي) اختاروا أربعة من الوجوه الكوردية المثقفة

ليكونوا ضمن هيئة التحرير شارحاً أسباب اهتمام قيادة البارتي بإصدار الجريدتين في ذلك الوقت لتكونا منبراً ولسان حال للتعبير عن التطلعات والأماني القومية في كافة حقول التأريخ والأدب والجغرافية والفولكلور بالإضافة إلى الناحية السياسية، وعندما ذكر المرحوم اليوسفي أسمي (والحديث هنا للعميد المتقاعد عبدالله سعيد) لم أتردد لحظة واحدة وأبديت موافقتي للعمل معه فوراً، وهكذا توالت زيارتنا المتبادلة تارة في بيتي وأخرى في بيته لحين جمع شمل هيئة التحرير التي كانت مؤلفة من (صالح اليوسفي كرئيس للتحرير والمهندس شوكت عقراوي والمحامي نجيب بابان ومحمد سعيد الجاف وعبدالله سعيد) ضمن تشكيلة أول هيئة تحرير لهذه الجريدة العتيدة وبدون مقابل!).

وفي صبيحة يوم السبت الموافق ١٩٦٧/٥/٦ وبعد أن أنهينا تناول فطورنا في أحد المطاعم الصغيرة في مدخل شارع المتنبي (كاهي الحسين) ونحن متجهون إلى باب المعظم مارون بمحلة الحيدر خانة اقتربنا من بائع الجرائد (أبو داود) الذي كان يشغل حيزاً صغيراً من الرصيف الأمامي لصيدلية (كاكا) لإلقاء نظرة سريعة على عناوين الجرائد والمجلات الصادر في ذلك اليوم وإذ بنا نفاجأ بصدور جريدة جديدة باللغة الكوردية باسم (برايي) مزدانة بصورة قائد شعبنا ورمز أمتنا مصطفى البارزاني مع حديث خاص له بالمناسبة، وعندما علم (أبو داود) بأننا طلبة كورد ناولنا ثلاث نسخ من الجريدة ولاشك أنه عرف من محيانا فرحتنا واعتزازنا بصدور الجريدة التي كنا قراءها آنذاك، ثم أصبحنا ضمن كوادرها في عقد السبعينات وها قد احتفلنا قبل أيام بذكرى الـ(٣٠) لميلادها بعد أن أصبحت أول جريدة يومية كوردية وطالما تعرضت للمصادرة والتوقيف، ومصادرة أرشيفها واحتلال مبانيها وتهجير صحفييها و...... ولكنها مع كل ذلك صمدت وأصبح الصمود من شيم الجريدة والعاملين فيها حيث أكسبها صفة الاستمرارية في مسيرة نضالية وصحفية متواصلة حتى اليوم بعد أن أصبحت مدرسة صحفية لجيل من الصحفيين الكورد، وتعد الجريدة التي أتشرف الآن برئاسة تحريرها من أوسع الجرائد اليومية انتشارا في كوردستان العراق حالياً، وهي حارسة الكلمة الكوردية بكل ما تحمل من معاني خدمةً لأماني أمة لم تزل باقية دون سائر الأمم يعامل بعض (أفرادها) الكلمة الحرة بمنطق غير حضاري، كما

حدثت بـ(برايه تي) عندما تعرضت للحرق علناً صبيحة يوم ١٩٩٤/١٢/٢٥ في عاصمة الإقليم، وفي زمن ما بعد الانتفاضة وعلى مرأى من الناس!!.

صالح اليوسفي متحدثا مع عزيز شريف حول القضايا السياسية

صالح اليوسفي يدلي بحديث للصحفيين اللبنانيين في مطار بيروت وإلى جانبه عبدالله الخضير وزير الدولة لشؤون الوحدة وعبدالفتاح الياسين سفير العراق في لبنان

من اليمين صالح اليوسفي، عزيز عقراوي، حبيب محمد كريم، نافذ جلال، احسان شيرزاد في جبال كوردستان أوائل السبعينات من القرن الماضي

صالح اليوسفي مستقبلا السفير السوفيتي في بغداد وإلى جانبه سامي عبدالرحمن

الثاني والثالث من بين الواقفين من اليمين صالح اليوسفي، نافذ جلال مع عدد من آمري قوات البيشمركه في أواخر الستينات من القرن الماضي

صالح اليوسفي مع نجله المهندس شيرزاد

خاوەنی ئیمتیاز
حبیب محمد کریم
سەرنووسەر
دارا توفیق

برایەتی

رۆژنامەیەکی سیاسیی رۆژانەیە

لەم ژمارەیەدا

★ پورتوگالی فاشست ... ل٢
★ بازاری چاپەمەنی کوردی ل٢
★ ئەرکی ئەمروی ئەدیبانمان ل٦

ژمارە (٠) سێ شەممە ١-١-١٩٧٤ ت : ٨٦١٨١ (١٠) لاپەرەیە نرخی (٢٠) فلسە

پێشەوا بارزانی :

باهەوڵ و تەقەلامان یەك بخەین بۆ چەسپاندنی ئاشتی و دیموکراتی و یەکێتی نیشتمانی و شادبوونی کوردستان بە ئۆتۆنۆمی

بەبۆنەی دەرچوونی یەکەم ژمارەی رۆژانەی رۆژنامەی (برایەتی)دا پێشەوای دلێرمان تێکۆشەر مستەفا بارزانی سەرۆکی پارتی دیموکراتی کوردستان ئەم نامە پیرۆزبایی‌یەی پێشکەش بە برایەتی کرد :

سلاوی پێشەوا بارزانی بۆ رۆژنامەی برایەتی :

بەبۆنەی دەرچوونی رۆژنامەی برایەتی بە کوردی و بەشێوەیەکی رۆژانە پیرۆزبایی لە خۆمان و پارتی و میللەتەکەمان ئەکەین وە هەروەها چالاکی و هەوڵ و تەقەلای هەموو ئەو برایانەی کە لەم هەنگاوەدا

میللەتەکەمان ئارادەیێك ماوەی دراوەتی بە مافەکانی کەلتووری خۆی شادبێت پاش بەیانی ١١/ئاذاری مێژوویی و هەنگاوی ئاوە لەم روەوە ، وە دەرچوونی ئەم رۆژنامەیە جگە لەوەی کە لە رووی سیاسی‌یەوە هەنگاوێکی گرنگی هەرە سوودبەخشە و هۆیەکە بۆ خزمەت‌کردنی زمان و کەلتوورو وێژەی

هەموو رۆلەکانی میللەتەکەمان ئەکەم کە زیاتر لە هەموو کاتێك یەك‌بگرن بۆ ئەوەی هەموو هەوڵ و تەقەللامان یەك‌بخەین وە بە هاوکاری لەگەل حکومەت و هەموو هێزە نیشتمانیەکان ، خەبات بکەین بۆ چەسپاندنی ئاشتی و دیموکراسی و یەکێتی نیشتمانی لە ولاتدا و شادبوونی کوردستان بە

العدد صفر من جريدة (برايه تي) اليومية الكوردية التي صدرت

في بغداد يوم ١٩٧٤/١/١

توتر خطير بين الجمهورية اليمنية والولايات المتحدة

امريكا تهدد بسحب اعترافها بالجمهورية اليمنية

اخر تطورات الموقف الوزاري

السيد رئيس الجمهورية

كلمة البرزاني التوجيهية

التآخي

جريدة يومية سياسية

اصحاب الامتياز
صالح اليوسفي
رئيس التحرير المسؤول
هيئة التحرير:
المهندس شوكت عقراوي
المحامي نجيب بابان
محمد سعيد الجاف
عبد الله سعيد

الادارة
السنك – مجاور مطبعة الشعب
تلفون : ٨١٤٧٢
مسجلة بدائرة البريد
رقم ٩٥
طبعت بمطبعة الشعب – بغداد

السبت ١٩ محرم ١٣٨٧ هـ – ٢٩ نيسان ١٩٦٧ م | العدد – ١ | السنة الاولى | ٨ صفحات ٢٠ فلسا

الرئيس عارف يدلي برايه في:

أسباب التفكك وتبعثر الصف الوطني في العراق والسبيل لجمع الشمل
دوافع التعديل او التبديل الوزاري ومداولات الحكومة مع شركات النفط
العوامل غير المشجعة على اجراء الانتخابات البرلمانية كما ينبغي
قرارات ١٤ تموز الاشتراكية وضرورة المحافظة عليها
موقف العراق من الخلافات بين الدول العربية وتأزم الوضع مع الكويت

بمناسبة صدور العدد الاول من جريدتنا « التآخي » حظي السيد رئيس التحرير بمقابلة السيد رئيس الجمهورية الفريق عبد الرحمن محمد عارف ، وقد ادلى سيادته خلال تلك المقابلة بالاجوبة التالية ردا على اسئلة الجريدة كما تفضل بتوجيه كلمة عبر فيها عن تبريكاته وتحياته بجريدتنا بمناسبة صدورها . وفيما يلي نص الاسئلة وتصريحات سيادته

طريق التآخي

المساواة في الحقوق القومية وحرية التعبير سبيلنا للوحدة الوطنية

التمهيد للحياة الدستورية يتطلب انهاء الاوضاع الاستثنائية

البرزاني يؤكد

سنفي بالتزاماتنا وندعم الاستقرار وتقدم الوطن وازدهاره

التآخي

السبت ١٩ محرم ١٣٨٧ هـ – ٢٩ نيسان ١٩٦٧ م | العدد – ١

اصحاب الامتياز
صالح اليوسفي
رئيس التحرير المسؤول
هيئة التحرير:
المهندس شوكت عقراوي
المحامي نجيب بابان
محمد سعيد الجاف
عبد الله سعيد

جريدة يومية سياسية

العدد الأول من جريدة (التآخي) السياسية اليومية التي صدرت في بغداد يوم ١٩٦٧/٤/٢٩

ذكريات عن لقاء تأريخي مع البارزاني الخالد أستغرق ست ساعات كاملة(*) في أوائل شباط ١٩٧٠

بتاريخ ١٩٩٣/٧/٧ وفي العدد ٦٨٢ من جريدة (خه بات) الغراء نشرت موضوعاً بعنوان (اللقاء كان في ديلمان) تضمن بعض ما اختزنته ذاكرتي عن لقاء تأريخي مع البارزاني الخالد تم في قرية ديلمان في ٦ شباط ١٩٧٠ وأستغرق ست ساعات كاملة وكان لي شرف حضور ذلك اللقاء ضمن الهيئة القيادية لاتحاد طلبة كوردستان العراق آنذاك.. نشرتها مجلة كولان العربي في عددها ١٧ الصادرة في ١٩٩٧/١٠/٢٠.

كان التشرف بلقاء البارزاني حلماً ظل يراودنا منذ زمن طويل وقد ازددنا تلهفاً بعد لقائنا مع بعض السادة أعضاء المكتب السياسي واللجنة المركزية في صبيحة يوم ٦/شباط/١٩٧٠ في مقر المكتب السياسي في قرية (ناوبردان) بعد أن أنجزنا مهمتنا التي جئنا من أجلها خصيصاً من بغداد والموصل ضمن هيئة التنظيم المركزي لاتحاد طلبة كوردستان ـ العراق والمتكونة من الزملاء (أنور عبدالله، قادر محمد أمين، جلال خوشناو، جواد شيرواني وكاتب هذه السطور) بعد قرار هيئة التنظيم المركزي أثر الاجتماع الذي عقدناه في أواخر كانون الثاني ١٩٧٠ في الغرفة المخصصة بإحدى الدور المستأجرة في محلة السباق القديم في منطقة تل محمد بمدينة بغداد ونحن على أبواب العطلة الربيعية وعلى ضوء المستجدات التي كانت تدور آنذاك في الساحة السياسية أثر تبادل الزيارات الودية بين قيادة الثورة الكوردية والحكومة العراقية بعد فترة من

(*) نشر في مجلة (كولان العربي) العدد ١٧ في ٢٥ تشرين الأول ١٩٩٧.

القتال الدامي عقب مجيء حزب البعث العربي الاشتراكي إلى السلطة للمرة الثانية في ١٧/تموز/١٩٦٨ بفعل العوامل التي أخرت مهمة الخيريين للوصول إلى تفاهم مشترك.

كان النقاش بيننا محتدماً في ذلك الاجتماع الذي عقدناه على عجل في غرفتنا ببغداد حول أمور وقضايا تنظيمية وسياسية ولم نستطيع اتخاذ قرارات حاسمة بشأنها ولم يكن هذا بالشيء الغريب في الوسط الطلابي وخاصةً في عقدي الستينات والسبعينات حيث كان يتصف بالحماس الرومانسي والنشاط الدؤوب والمناقشات الطويلة خدمةً للقضية الرئيسية التي كنا نشعر بأننا جزء حيوي منها، لاسيما بعد التطورات التي حصلت في ساحات جامعات أوروبا انطلاقا من أفكار (ماركوزه) الذي كان يحرض الطلبة كونهم من أكثر (الفئات - الطبقات) ثورية في المجتمع بفعل التطورات التي حصلت والتي كما كان يقال جعلت من طبقة العمال والفلاحين تتجه نحو التبرجز والركض وراء الاسترخاء والربح، مشعلةً نار تمرد وإثارة في أحدى أهم الساحات الطلابية وجعلت من الجنرال الفرنسي العظيم (ديغول) يترنح أمام (ضربات) (كوهين) القائد الطلابي الفرنسي خلال أحداث أيار ١٩٦٧.

وأدت هذه الأحداث الساخنة وكذلك دور الطلبة في المحيطين الشرق الأوسطي والعالمي إلى تنام الإحساس بالقضايا السياسية والتي أثرت تأثيراً كبيراً في الوسط الطلابي العراقي وبصورة خاصة في الوسط الطلابي الكوردستاني الذي كان له قضية عادلة برزت إلى عالم الأضواء بفعل تلك الثورة التي قادها (رجال شجعان) وسط تلال وجبال كانت منسية ردحاً من الزمن أثر سقوط جمهورية مهاباد عام ١٩٤٦، وانسحاب البارزاني مع قوة قوامها (٥٠٠) مقاتل صوب أراضي الاتحاد السوفياتي وعبر حدود ثلاث دول معادية آنذاك في مسيرة تاريخية دامت (٥٢) يوماً ثم رجوعه من المنفى بعد ثورة ١٤/تموز/١٩٥٨ وفتحه صفحة جديدة أملاً لشعبه حياةً مزدهرة في ظل الثورة التي قادها الزعيم الراحل عبدالكريم قاسم، مكرساً نشاطاته لخدمة الوحدة الوطنية التي تعرضت للصدع بعد فترة لم تدم طويلاً في حياة العراقيين، إذ سارت الأمور باتجاه معاكس مما دفع بالبارزاني إلى التوجه نحو الجبال مرة أخرى درءاً لأي طارئ قد يحدث بعد أن يئس نهائياً من تحسن الوضع ولاذ بجبال كوردستان التي أصبحت الصديق الدائم له ولمقاتليه في مسيرتهم النضالية الجديدة التي بدأت في أيلول ١٩٦١

عندما انضوى المجتمع الكوردستاني برمته تحت قيادته الحكيمة والتي كانت تأثيراتها الروحية قد وصلت إلى فئة التي وصفها في اللقاء الذي نحن بصدد الحديث عنه بـ(رأس الرمح في كل الثورات والمعارك الوطنية) مما جعلنا بعد الانتهاء من جلسة العمل في مقر المكتب السياسي أن نطالب بتشرف الالتقاء مع البارزاني إن كان ذلك ممكناً.

وعندها شعر السادة في المكتب السياسي بمشروعية مطالبتنا وحرارة لهفتنا رغم بوادر سقوط الثلوج في ذلك اليوم الشتائي من شهر شباط امتدت يد الأستاذ حبيب محمد كريم السكرتير العام السابق للحزب الديمقراطي الكوردستاني إلى سماعة الهاتف ناقلاً رغبتنا إلى مقر سيادة البارزاني مع ذكر عبارة أخرى أتذكرها حرفياً: (الأخوان من أعلى هيئة قيادية لإتحاد طلبة كوردستان وجايين من بغداد ولازم نداريهم) وبعد فترة قصيرة لم تستغرق أكثر من ربع ساعة بشرنا المتحدث في الطرف الآخر عبر سماعة الهاتف بأننا (سنكون في حضرة وضيافة البارزاني وفي بيته مساء اليوم نفسه).

كان الجو شتائياً بارداً بطبيعة الحال في ذلك اليوم وخاصةً في منطقة (ناوبردان) التي تقع بين قضائي (جومان) و(كَلاله) وسط سلاسل من الجبال المكسوة بالأشجار آنذاك والتي أتخذها المكتب السياسي مقراً له في ذلك الوقت لمزاياها الجغرافية والطبيعية وكانت المنطقة محررة منذ أواسط عام ١٩٦٢ وكانت تربطها خطوط من الهواتف مع (كَلاله) و (قسري) حيث كانت المقرات الرئيسية فيها، وعندما أنهينا أعمالنا هناك وكانت الساعة تشير إلى الثالثة بعد الظهر استقلنا سيارة من نوع لاندكروزر خضراء اللون موديل عام ١٩٦٠ وكان يقودها أحد المقاتلين سالكة الطريق العام باتجاه (كَلاله)، وكل واحد منا كان يفكر في داخله باللقاء المنتظر مع سيادة البارزاني ولم نكن آبهين لشيء آخر في الوقت الذي كانت ماسحة الزجاج الأمامي للسيارة تتحرك يميناً ويساراً لإزالة قطرات المطر الممزوج برذاذ ثلجي خفيف كان قد بدأ بالتساقط في الوقت الذي انحرفت سيارتنا يساراً تاركة طريق هاملتون وعبر (بردي زرد ـ الجسر الأصفر) وعبر طريق متعرج غير مبلط لم يكن صالحاً للمرور في ذلك الموسم لغير سيارات الجيب واللاندكروزر، وعند وصولنا إلى (قسري) توقفت السيارة

أمام مدخل بناية قديمة وكان حارساها مدججين بالسلاح وواقفين تحت مظلة طينية وعندما استفسرنا من السائق عن سبب توقفه لم يعر لسؤالنا أي اهتمام حيث نزل مباشرةً وأتجه صوب المدخل وغاب لمدة خمسة دقائق وعندما عاد كان بمعيته مقاتل آخر صعد معه إلى السيارة التي بدأت بالتحرك ثانية باتجاه الشرق وكانت كميات الثلوج المتساقطة أكثر كثافة هناك ولم نكن نرى شيئاً غير طبقة بيضاء من الثلوج كانت تغطي الجبال والوديان. وبدأنا نشعر بلسعات البرد تلامس أقدامنا إذ لم تكن في السيارة ما يجلب الدفء رغم حرارة صوت المغني (كاويس آغا) الذي كان يشدو بـ(اللاوك) على شريط مسجل الصوت الذي كان قد ثبت عنوةً في (دشبول) السيارة عندها ظهر أفراد من البيشمركه هنا وهناك مسلحين ببنادق من نوع (كلاشينكوف) إذ كانت هيأتهم توحي للناظر وكأنهم في مهمة على غاية من الأهمية وعرفنا من باب الحدس بأننا أصبحنا في دائرة محيط القائد البارزاني وتراءى لنا من بعد حوالي (٢٠٠) متر دخان مدفأة الحطب ينبعث من فتحات أسطح المباني المبنية من الطين والطوب المحلى ولم تتمكن السيارة من الاستمرار في مواصلة السير بسبب كثافة الثلوج مما اضطرنا للنزول منها والسير بمعية دليلنا المقاتل الذي صعد معنا في (قسري) والذي لم يتفوه بكلمة واحدة طيلة المسافة وسط أكوام من الثلوج، وأخيراً أصبحنا فجأةً أمام موقع لمدفع مقاومة الطائرات (ضد الجو) كان منتصباً باتجاه الغرب وإلى جانبه كان يقف اثنان من المقاتلين كانت تشع في عينيهما علامات الترصد والمراقبة لأنهما كانا يعرفان مدى أهمية هذا المكان وقدسيته في قلوب أبناء كوردستان وكنا نمر بلحظات انبهار ونحن بين بيوتات (ديلمان) الطينية القليلة العدد والواقعة في ثنايا منطقة نائية بين سفوح تلال يسودها الصمت والسكون وأفراد من البيشمركه قائمون بواجباتهم بدرجة كبيرة من الضبط الخلق المبدئي غير آبهين بالظروف وقساوة الجو.

وحينما وصلنا موقع تلك البيوتات نبهنا صوتٌ بنبرات جهورية وإذا بصاحبه واقفٌ عند مدخل أحد منازل (ديلمان) وهو يرحب بنا من بعيد ويشير بيده إلينا للتوجه ناحيته وعرفنا بأن صاحب الصوت هو الأخ فرنسو حريري الذي كنت قد تعرفت عليه لأول مرة في مدينة كويسنجق عام ١٩٥٩ وعرفته فيما بعد مناضلاً ومقاتلاً

ملازماً للبارزاني الخالد وبقى على وفائه للمسيرة النضالية حتى يومنا هذا (أطال ألله في عمره) وعندما أصبحنا وجهاً لوجه معه رحب بنا كثيراً وعانقنا بالأحضان وقال لنا مازحاً (كأنكم غرباء هنا بملابسكم الأفندية)!! وعرفنا منه بأننا سنلتقي بالبارزاني في ذلك المنزل الذي كان هو واقفاً أمام مدخله وأعطانا بعض الملاحظات الضرورية التي كنا نجهلها ونصحنا بتجنب استعمال الألقاب الطنانة، لأن البارزاني كما أكد لنا الأخ حريري يكره بطبيعته هذا النوع من الألقاب وأخبرنا بأن المرحوم إدريس البارزاني موجود في الداخل.

المكان الذي نحن بصدده عندما صادفنا الأخ حريري واقفاً في مدخله والذي شهد لقاءَنا مع البارزاني الخالد كان عبارة عن بيت طيني بسيط أمامه مدخل صغير لا يتجاوز مساحته مترين مربعين وعلى يمينه فسحة مكشوفة من الداخل كانت فيها معدات الشاي وهي عبارة عن سماور من حجم متوسط، أصفر اللون ومجموعة من أقداح الشاي (الاستكانات) موضوعة على صينية معدنية يقابلها رجل في العقد الرابع من العمر كان منهكماً بأعداد الشاي وعلى يسار تلك الفسحة كانت الغرفة التي دخلناها وهي مستطيلة الشكل مفروشة بسجادة بسيطة ونظيفة وعلى أطرافها بعض الـ(دواشك) والوسائد ومضاءة بمصباح من (اللوكس النفطي) وعند دخولنا إليها شعرنا بالدفء للوهلة الأولى إذ كانت المدفأة التي تشتعل بالحطب في أوج عنفوانها وإذا بنا وجهاً لوجه مع المرحوم إدريس البارزاني الذي استقبلنا ببشاشة وترحاب كبيرين وشد على أيادينا بحرارة بالغة في الوقت الذي كان يحمل بيده اليسرى كتاب (نهج البلاغة) للأمام على بن أبي طالب (رض) وبعد الاستفسار عن الأحوال والأوضاع بدأ هو بالحديث عن الحوار مع الحكومة الذي كان في مراحله الأولية مستعيداً حديثه معنا في بغداد عندما التقيناه في القصر الأبيض مع الوفد الكوردي (في أواخر كانون الأول ١٩٦٩) ومفاده (كونوا مطمئنين بأننا سنحصل على الحكم الذاتي مع احتفاظنا بوجود عسكري مسلح) وبينما كان هو مسترسلاً في الحديث بأسلوبه البسيط والمحبب لاحظتُ أنه مازال يمسك بيده كتاب نهج البلاغة مما جلب انتباهي حول مغزى قراءته واهتمامه بهذا الكتاب فبادرته بالسؤال عن السبب فأجابني بعد قليل من التأمل قائلاً (إن سبب مطالعتي لهذا الكتاب هو إن الحكمة تأتي دائماً من التراث أياً كان مصدره)

وأنا متفق مع الأمام عبده الذي يقول عن نهج البلاغة بأنه (يحرك أفكاراً وسلوكات باتجاه الخير ويدعو إلى الفضائل والفصل الحكيم ويعبر عن تجارب في الوجود وصاغ آراءً في مقاصد الحكم والفعل السياسي وفي إدارة الشؤون العام) ثم أوصانا بقراءته وقد كنت أصغى لكلامه وإطلاعه الواسع على محتويات الكتاب مما حدا بي إلى تسجيل ملاحظاته في دفتر صغير كنت متعوداً على تسجيل الأحداث والأقوال في مثل هذا المناسبات وكان حديثه مستمراً معنا عندما نبهنا الأخ فرنسو حريري بقدوم سيادة البارزاني.

كانت الساعة تشير إلى السادسة مساءً عندما أطل علينا البارزاني بطلعته المهيبة ووجه الوقور وشخصيته القوية وعندما كنا واقفين لاستقباله عادت بي الذاكرة إلى شهر آذار عام ١٩٦٣ عندما رأيته لأول مرة حيث حل سيادته ضيفاً على مدينة كويسنجق ليترأس المؤتمر الحزبي والشعبي الموسع الذي حضره بالإضافة إلى قيادة الحزب وكوادره المتقدمة والمسؤولين العسكريين وشخصيات من كافة أرجاء كوردستان جاءوا خصيصاً لتدارس الأوضاع الجديدة التي طرأت على الساحة السياسية بعد سقوط حكم عبدالكريم قاسم في ٨/شباط/١٩٦٣ وبلورة أفكار ومطاليب الثورة الكوردية تمهيداً لتقديمها إلى الحكم الجديد.

صافحنا سيادته فرداً فرداً وقدم كل واحد منا نفسه إليه فرحب بنا كثيراً وقال لنا (أهلاً وسهلاً بممثلي طلبة كوردستان) ودعانا للجلوس ثم جلس سيادته في مكانه المعتاد وفي بداية اللقاء كان الصمت مطبقاً علينا وكانت عيوننا شاخصة نحوه، وكانت أفكارنا تتصارع فيما بينها وكنا نحاول انتقاء الجمل المسبوكة لصياغتها على شكل أسئلة واستفسارات والإفادة من هذه الفرصة التاريخية التي انتظرناها طويلاً وعندما أكمل سيادته تركيب سيجارة اللف في (الأمزك الخشبي) وأشعلها وأخذ نفساً منها ثم نظر إلينا وبدأ حديثه إلينا قائلاً (أسمع أخباركم حيث يحدثونني عنكم كثيراً، وشعبكم بحاجة إلى جهودكم وفعلاً أنكم تقاتلون من أجله وبطريقة أخرى وكوردستان تستحق أكثر، وطنكم جميل وفي باطنه كنوز لا تقدر بثمن، شعبكم مظلوم ومغبون تاريخيا والأعداء هنا وهناك يتآمرون علينا ومن واجب الجميع الدفاع عن المقدسات كلٌ بطريقة خاصة، وأنصحكم لوجه الله أن لا يأخذنكم الغرور مهما علا شأنكم لأن

الغرور سيقضي على حسنات الإنسان) وعندها توقف عن الكلام ليمنحنا الفرصة لنعبر عما يجيش في صدورنا وما راودنا من أفكار.

كنت وزملائي الأربعة دقيقين في توجيه الأسئلة لسيادته وتلقي الإجابات منه بمنتهى الصراحة وشعرنا بعد حين بأن سيادته كان ودوداً معنا للغاية ويعاملنا معاملة الأب العطوف وعندما لاحظ بأن أحداً منا لا يدخن في حضرته أحس بفطرته بأن في الأمر شيئاً وأستفسر عن ذلك وعندما عرف بأنني المدخن بينهم بادرني بالسؤال قائلاً: لماذا لا تدخن؟

ولم أتمكن من أجابته في لحظتها لأقول لسيادته بأن المقام لا يسمح لي بالتدخين في حضرته وحاولت قدر المستطاع إيجاد مبرر آخر ولكن لم أفلح في ذلك وحينها انتشلني سيادته من ذلك المأزق ومد يده الكريمة مقدماً لي بمنتهي التواضع سيكارة من النوع الذي كان يدخنها مع الامزك فشكرته بقلبي ولساني على هذا التواضع الجم والبساطة المتناهية التي أبداها بمنتهى التواضع محاولاً بمبادرته كسر الجمود وحالة الخجل ونحن جالسون في ضيافته وأشعرنا بهذه اللفتة بأننا أحرار في كل ما نطرحه من أسئلة واستفسارات والتي اتخذت حواراً على الشكل التالي:

أحد الطلبة:

هنالك حوار مع الحكومة وقد كتب الكثيرون عن هذا الموضوع في جريدة (الثورة) البغدادية وأبرز ما كتب حتى الآن هو مقال سليم سلطان وهو الاسم المستعار للمرحوم حميد عثمان بعنوان (كيف السبيل إلى حل المسألة الكوردية؟)، وكما هو معروف (والكلام للطالب المتحدث) إن حميد عثمان مقرب الآن بشكل وآخر من مصدر صنع القرار في بغداد وأبرز ما جاء في مقاله (إن الاعتماد على حثالات الشعب الكوردي لضرب الشعب الكوردي أمر بعيد عن المنطق) وهذا مؤشر جيد في اتجاه السلطة بعد أن توصلوا إلى قناعة إجراء الحوار والمفاوضات إن لم يكن مع شخص البارزاني لن تجدي نفعا ولا يمكن الوصول إلى حل سلمي وديمقراطي عادل. وأن مقال حميد عثمان يعبر عن حقيقة ما يدور في فكر حزب البعث بالاتجاه الصحيح.

البارزاني:

قلنا مراراً بأننا لسنا من دعاة الحرب وإن الحرب فرضت علينا قسراً وقد كنا نأمل من حكومة عبدالكريم قاسم الاستمرار في نهجه الذي بدأه في بداية الأمر وقد حاولنا قدر المستطاع تجنب الحرب من جانبنا ولكن يبدو أن الأمر أتخذ اتجاها آخر حيث بدأ المتزلفون وأصحاب النوايا السيئة في الإحاطة بعبدالكريم قاسم الذي لم يستطع التمييز بين الحسن والسيئ وحارَبَنا في عقر دارنا في الوقت الذي كنا لا نملك سلاحاً ولا مالاً وإن وجود أشخاص مثل (كمال عثمان) في محيط دائرة عبدالكريم قاسم ألحق ضرراً بالِغاً بالجميع وعندما وصل البارزاني في حديثه إلى هذه النقطة ارتسمت على شفتيه بسمة خفيفة وأوضح لنا بتعابير بسيطة بأن الإنسان المثقف (هو من يميز بين السيئ والحسن وبين الأبيض والأسود واختيار خندق شعبه بدل الانزلاق في مستنقع الخيانة).

شعبكم قارع الظلم والطغيان ووقف بوجه الطاغوت والعدوان (وهنا بدأ باحتساء الشاي الذي كان أمامه وأشعل سيجارة أخرى وبدأ ينقل نظراته إلينا حيث كنا جالسين في صفين متقابلين وسيادته كان جالساً في صدارة المجلس) وعندما بدأ ثانية قال بنبرة حزينة (لحد الآن لم نستطع تحقيق ما يصبو إليه شعبنا بالرغم من التضحيات الجسام والمقاومة البطولية التي أبداها تجاه العدوان وإنني أخاف كثيراً من محاسبة الباري عز وجل لنا يوم القيامة ولكنني موقنٌ بأنني سأخرج بوجه أبيض من المحاسبة!!.

أحد الطلبة:

ماذا بشأن الحوار والمفاوضات وهل أنتم متفائلون بالوصول إلى نتيجة ايجابية؟

البارزاني:

جاءتنا شخصيات من الحكومة في بداية الأمر ثم أعقبها تبادل الزيارات بين الطرفين وأبدى الجانب الآخر المرونة حيث وعدونا بإصلاح ما تم تخريبه وتعويض ما فات من الخسارات إضافة لحقوقنا المشروعة.

أحد الطلبة:

وماذا بشأن كركوك؟

البارزاني:

الكل يعلم أن كركوك مدينة كوردية وهي قلب كوردستان النابض ولن نقبل بأنصاف الحلول بشأن هذه المدينة ولن نتنازل عن شبر واحد من أرض كوردستان وأننا على يقين من أنكم مطلعون ماذا حل بـ(ألاسكا) المقاطعة الروسية السابقة والأمريكية حالياً، القياصرة الروس باعوها وتنازلوا عنها جراء فعلتهم تلك لأمريكا لقاء ثمن بخس، حدث هذا منذ زمن ولكن سكانها ما زالوا يلعنون قياصرتهم حتى اليوم وأنا غير مستعد الآن ولا مستقبلاً على المساومة ولن أتحمل لعنة التأريخ وسأقابل ربي يوم القيامة مرفوع الرأس (كان يتكلم بثقة عالية والكلام كان يصدر من قلبه وشعرنا بأنه لن يتزحزح عن موقفه مطلقاً وهنا أشعل سيجارة أخرى واستراح للحظات قليلة) ثم عاود حديثه قائلاً: نحن لسنا مهتمين بالشكليات ولا تهمنا التسميات ولكن الأهم في نظرنا تثبيت الحدود الجغرافية لكوردستان ضمن أرض العراق.

أحد الطلبة:

وماذا بشأن موقف شاه إيران من المفاوضات؟.

البارزاني:

مصلحة شعبنا فوق أي اعتبار آخر فما نقوم به عبارة عن حركة دفاعية وإذا مازال العدوان والطغيان سنبادر إلى قبول عرض السلام بكل حرية وأقول لكم بأنني لم أثق بالشاه مطلقاً، في عام ١٩٦٤ عندما لجأ بعض من الساسة إلى إيران حيث كان في نيتهم إثارة بعض القلاقل على حدودنا من الطرف الآخر كما نقل إلينا وأخبرتهم (الإيرانيون) (وهنا أحتد في الكلام) بأننا سنكون أحراراً في الرد وباستطاعتنا إشعال نار أكبر وحينها بدأ الشاه بالتوسط لعودة هذه المجموعة فعادوا.

(كان موزع الشاي يدخل الغرفة بين فترة وأخرى لتوزيع الشاي على الجميع ولم نكن متعودين على تناول مثل تلك الكمية من الشاي الذي تجاوز عشرة استكانات إلى ذلك الحين ولم أمتنع أنا عن تناول المزيد من الشاي بعكس زملائي الذين امتنعوا عن تناول المزيد منه) وهنا بادرنا البارزاني بالسؤال التالي:-

ماذا عن أخبار بغداد؟

أحد الطلبة:

كتب سليم سلطان (المرحوم حميد عثمان) في جريدة (الثورة) البغدادية مقالاً آخر مؤخراً يقول فيه، (إن المدافع المهربة من حاج عمران لا تستطيع إطفاء أنوار بغداد وإن وصول الجيش العراقي إلى كَلاله لا تعني نهاية القضية الكوردية)؟.

البارزاني:

هذا صحيح وأنا متفق مع الكاتب ولكننا لسنا من مهربي المدافع وحركتنا حركة دفاعية تقاوم الظلم والاستبداد المفروضين علينا وإننا نتساءل ماذا بوسعنا أن نفعل لردع العدوان وهم (وكان يقصد الحكام في بغداد) يشترون بأموالنا أحدث الطائرات وأجود المدافع وقنابل النابالم لأبادتنا ويعتبرونه حقاً ويحللونه وتنعكس الآية إذا ما دافع الكورد عن أرضهم وشرفهم ويعتبرونه خيانة بحق العراق وإذا ما حصل الكورد على بندقية هنا ومدفع قديم من مخلفات الحرب العالمية الثانية هناك يتهموننا جراء عملنا الدفاعي المشروع بشتى النعوت والأوصاف العجيبة والغريبة ومع هذا إن هذا الكلام (بأننا لا نستطيع إسقاط الحكومة في بغداد لأنه ليس من مهمتنا إسقاط الحكومات وأن حركتنا دفاعية وفي مقابل هذا ليس بمستطاع الحكومات القضاء على الحركة الكوردية مهما جلبوا من أسلحة حديثة) هذا الكلام منقول من عندي حرفياً وأنا قلته لحميد عثمان عندما كان على وشك السفر إلى القاهرة عام ١٩٦٥ عندما كلفناه بتوضيح موقفنا للحكومة المصرية آنذاك إبان زيارة الرئيس السوفياتي (خروشوف) لمصر.

(وبعد مرور ٢٢ عاماً على لقائنا مع سيادة البارزاني زرت مع زملائي عبدالموجود طه وجلال خوشناو، المرحوم حميد عثمان في داره بمدينة أربيل عام ١٩٩٢ بصحبة شقيقه الدكتور صلاح عثمان أستاذ مادة الاقتصاد في كلية الإدارة والاقتصاد بجامعة صلاح الدين آنذاك عندما كان المرحوم حميد عثمان مريضاً ومعتكفا في داره وذكرته بهذه الحادثة وقد تذكر التفاصيل وقال لنا بالحرف الواحد (إن البارزاني كان صادقاً وأميناً جداً فيما رواه لكم آنذاك وإن الرجل (وكان يقصد البارزاني) لم يكن من هواة السباحة بعكس التيار وكان يحاول قدر المستطاع الحصول على حقوق لشعبه وفعلاً

تحقق له ما أراد عند توقيعه على اتفاقية ١١/آذار/١٩٧٠ وأنا متأكد بأن كاك مسعود سار على نفس الدرب وأتمنى له التوفيق).

وأخيراً عندما شعرنا بأن الساعة قد تجاوزت منتصف الليل بنحو نصف ساعة أستاذنا من سيادته وطلبنا السماح لنا بالعودة إلى كلاله لإحساسنا بأننا قد أتعبناه كثيراً وسط مشاغله ومشاكله بعد لقاء دام أكثر من ست ساعات وخاصة إن الحديث طيلة ذلك الوقت كان من حصة البارزاني ذلك القائد الذي لم يذق طوال حياته الراحة بسبب النضال الدؤوب من أجل شعبه.

وعندما صافحناه ثانية تمنى لنا الموفقية وحملنا تحياته إلى زملائنا الطلبة الكوردستانيين وأوصى أحد حراسه بتدبير أمر عودتنا إلى (كَلاله) حيث كان بعضنا في ضيافة الزملاء عادل مراد وتحسين اتروشي وإبراهيم الحاج حسين شالي في مسكنهم داخل بلدة كلالة كونهم كانوا قد التحقوا بصفوف الثورة في كوردستان تاركين دراستهم ومستقبلهم في سبيل قضية شعبهم العادلة، أما الزميلين أنور عبدالله وقادر حمدامين فقد كانوا في ضيافة الأخ فرنسو حريري في كلالة وعندما خرجنا من الغرفة لم نشعر ببرودة الجو رغم تساقط الثلوج الكثيرة في ذلك الوقت من الليل ولم نشعر بمخاطر الطريق أيضاً لأن أحاديث وكلمات البارزاني كانت ما تزال ترن في آذاننا مما جعلنا ننسى كل شيء من حولنا.

البارزاني الخالد في لحظة تأمل

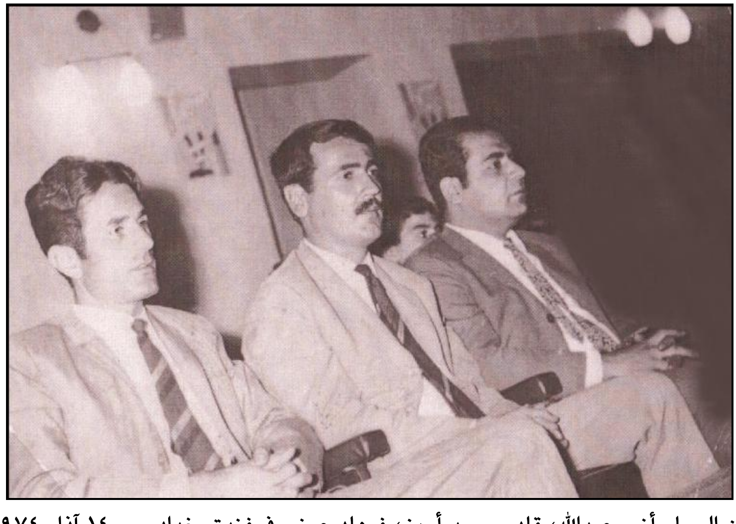

من اليسار أنور عبدالله، قادر محمد أمين، فرهاد عوني في فندق بغداد يوم ١٤ آذار ١٩٧٤

من اليسار فرهاد عوني، عادل مراد، جلال خوشناو

خلال انعقاد المؤتمر السادس لاتحاد طلبة كوردستان في نابردان تموز عام ١٩٧٠

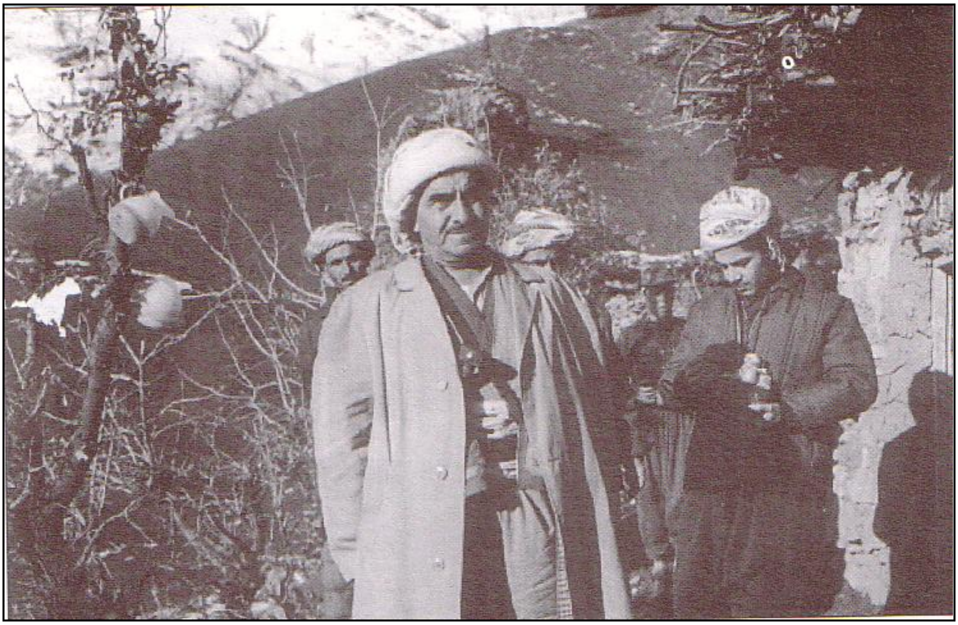

البارزاني الخالد وإلى جانبه مسعود البارزاني في قرية ديلمان عام ١٩٦٧

منظر عام لبلدة كلاله

ذكريات عن معسكرات الطلبة في الريف الكوردستاني التي كانت (*) أول تجربة رسخت أسس التفاعل بين الطلبة والفلاحين

كانت المسافة بين بغداد العاصمة ومدينة الموصل، تستغرق نحو خمس ساعات، بسيارة الفولكا الروسية موديل ١٩٧٠ التي كانت تعود ملكيتها الى مكتب سكرتارية اتحاد طلبة كوردستان، عندما كنا نذهب إليها في جولاتنا المقررة بين فترة وأخرى، لتفقد هيئة الفرع في كل من الموصل ودهوك ولجانها المحلية التابعة لهما في الأقضية والنواحي ضمن الحدود الإدارية لهاتين المحافظتين، تنفيذاً لبرنامج عمل كان قد أعد من قبل اللجنة التنفيذية لاتحاد طلبة كوردستان ـ العراق المنتخبة في المؤتمر السادس للاتحاد الذي أنعقد أواسط تموز عام ١٩٧٠ في منطقة ناوبردان المحررة حيث انتخبت اللجنة من بين أعضائها الـ(٢١) مكتباً للسكرتارية ضم سبعة أعضاء بعضهم كانوا متفرغين أو شبه متفرغين للعمل الاتحادي جمعتهم دار كانت قد اتخذت مقراً بالقرب من مبنى سفارة الجمهورية التركية في حي الوزيرية ببغداد العاصمة.

كانت اللجنة التنفيذية وهي أعلى هيئة قيادية لاتحاد طلبة كوردستان تعقد اجتماعاتها الدورية مرة كل شهرين في بغداد غالباً وأحياناً كانت مدن كركوك وأربيل والسليمانية ودهوك تشهد عقد مثل هذه الاجتماعات في مقرات هيئات فروع الاتحاد عندما كنا نشعر بأهمية عقدها في تلك المدن لتكن محفزاً عملياً لتلك الهيئات ووضع الحلول للمشاكل التي كانت تحدث في بعض المناطق المختلطة جراء السياسات التي كانت مرسومة من قبل أجهزة الدولة المركزية ضمن خطة التعريب التي كانت قد بدأت منذ العهد الملكي واستمرت حتى يومنا هذا بأشكال وأساليب مختلفة بلغت ذروتها بعد الانقلاب الدموي في ٨/شباط/١٩٦٣ والذي أطاح بنظام حكم اللواء عبدالكريم قاسم حيث تم أخلاء قرى ومناطق بالكامل من سكانها الأصليين في أرض آبائهم

(*) نشر في مجلة (كولان العربي) العدد ٣٣ في شباط ١٩٩٩.

وأجدادهم ولم تنته هذه الأساليب المقيتة والتي تمخضت عنها فيما بعد عمليات الأنفال السيئة الصيت وضرب مناطق مختلفة بأسلحة الدمار الشامل وتهجير السكان من ثلث أراضي كوردستان بحجج ومبررات واهية أقل ما يقال عنها أنها جلبت معها استياء وغضب سكان كوردستان وأدت في النهاية إلى اندلاع انتفاضة شعبية عارمة قل نظيرها عمت كوردستان بكاملها في ربيع عام ١٩٩١ وقلعت جذور الأجهزة التي كانت تنفذ تلك العمليات بحق شعبنا.

في أحد أيام شهر آذار ١٩٧١ كانت سيارة الفولكا وهي السيارة الوحيدة التي كان الاتحاد يملكها لتمشية أعماله داخل وخارج بغداد تتجه بنا في الصباح الباكر نحو مدينة الموصل وتنقل الزملاء جلال خوشناو ويوسف مولود القصاب عضوي مكتب السكرتارية وسيروان عبدالله سعيد عضو فرع بغداد وأنا حيث كنت أشغل موقع السكرتير العام للاتحاد آنذاك تنفيذاً لبرنامج العمل الذي كان مرسوماً من قبل اللجنة التنفيذية للاطلاع على سير الأمور التنظيمية وفعاليات هيئات الفروع والتفاعل مع تنظيمات اللجنة المحلية ابتداء من زاخو وسنجار وتلعفر وبعشيقة وعقرة ومروراً بأربيل وكركوك والسليمانية وخانقين ومندلي وانتهاء باللجان المحلية في كل من مدينة الكوت وأقضية بدرة وزرباطية في أوقات مختلفة بين كل اجتماعين للجنة التنفيذية حيث كانت تلك الزيارات قد أثمرت نتائج جيدة للغاية وأثرت بشكل إيجابي في سير عمل اتحاد طلبة كوردستان والذي توسعت قاعدته وأصبح يشبه حزباً جماهيرياً.

لم تكن مصادفة عندما وقع اختيارنا على فندق الجزائر القريب من منطقة باب الطوب مقابل جامع الصابونجي في مركز مدينة الموصل حيث أعتدنا أن نحل في ذلك الفندق لموقعه الممتاز في وسط المدينة بالإضافة إلى كون صاحبه كان كوردياً حيث كان يخصص لنا غرفة جيدة ومريحة وذات أفرشة نظيفة وكان يقع على يسار الفندق كازينو النهرين الراقي آنذاك وقد كنا نرتاده كلما خرجنا من الفندق لتناول كوب قهوة بالحليب الطازج.

كان الوقت ظهراً عندما وصلنا مقر فرع الاتحاد هناك حيث كان الزملاء رنج نوري شاويس وصباح عبيد عقراوي وبقية الزملاء الآخرين بانتظارنا إذ كانوا على علم مسبق بموعد زيارتنا وحال وصولنا عقدنا اجتماعا موسعاً مع هيئة الفرع لمتابعة

الأمور التي كانت تخص الفرع (جامعة الموصل أولاً واعداديات مركز المدينة) بالإضافة إلى سير الأمور في اللجان المحلية وتقرر في ذلك الاجتماع تنظيم جدول عمل وفق الترتيب الآتي:

أ – البقاء في الموصل لمدة يوم واحد.

ب – زيارة اللجان المحلية في كل من تلكيف وبعشيقة في اليوم الثاني.

ت – زيارة اللجان المحلية في كل من مركز دهوك والعمادية وزاخو لليومين الثالث والرابع.

ث – زيارة اللجان الاتحادية في كل من تلعفر وسنجار في اليوم الخامس.

وربما يتساءل القارئ عن العلاقة بين هذه المقدمة ومعسكرات الطلبة في الريف الكوردستاني الذي أستمد موضوع من الذاكرة هذه المرة العنوان منه وربما له الحق في ذلك لكنني عندما أستعيد الذكريات عن معسكرات الطلبة لابد من العودة إلى كيفية ولادة فكرة إقامتها منذ بدايتها وكيف اختمرت ونضجت وأخذت طريقها إلى حيز التنفيذ ودفعني إلى ذلك أيضاً عاملين أساسيين للكتابة عنها:

أولهما عدم الإشارة إلى هذا الموضوع منذ حوالي ربع قرن من الزمن الموضوع المكتوب في عام...... باستثناء صدور كراس مطبوع بعنوان (معسكرات الطلبة في الريف الكوردستاني) من منشورات اتحاد طلبة كوردستان عام ١٩٧١ ويجهل أبناء الأجيال اللاحقة عن تلك المعسكرات الشيء الكثير ولربما تحفزهم استذكاراتنا للاهتمام بإقامة مثل هذه المعسكرات في الوقت الحاضر بعد أن تهيأ المناخ الملائم لهم وخاصةً بعد ترسيخ تجربة شعب كوردستان منذ نحو (٨) أعوام (عام ١٩٩٩ وقت كتابة هذا الموضوع).

وثانيهما أن تلك التجربة وأعني بها تجربة معسكرات الطلبة في الريف الكوردستاني كانت تجربة فريدة دخلت تأريخ اتحاد طلبة كوردستان من أوسع أبوابه وتستحق الدراسة والتمعن في نتائجها والتي جسدتها مقدمة كراس (معسكرات الطلبة في الريف الكوردستان) من خلال أسطر رأينا من الفائدة إعادة مقطع منها حيث جاء في مقدمة الكراس ما يلي: (لقد كانت لتلك الحملات الخلاقة، أهمية بالغة بالنسبة للطلبة كفئة مثقفة واعية والفلاحين باعتبارهم يرزحون تحت كوابيس ثقيلة من التخلف والفقر

ولكونها وضعت الطلبة على أبواب مرحلة جديدة من التطبيق العلمي لما درسوه وما أطلعوا عليه خلال حياتهم الدراسية فاستطاعت أن تعزز لهم حقائق وتجارب رائعة ستبقى تساهم بصورة فعالة من صقل قابلياتهم وشحذ طاقاتهم وبلورة مفاهيمهم عن الحياة والواقع) بالإضافة إلى إن تلك التجربة استمرت طيلة فترة السلام التي أعقبت اتفاقية الحادي عشر من آذار عام ١٩٧٠ واستطاعت خلق تفاعل قوي ساعد الطلبة على فهم واقع الفلاحين من شعب كوردستان والذين كانوا وقود ثورة أيلول الكبرى التي اندلعت شرارتها بين ثنايا جبال وكهوف وسهول كوردستان حيث كان الفلاحون لا يندفعون نحوها رغم ما تحملوا من متاعب وما قدموا من تضحيات جسام.

كانت حصيلة زيارتنا تلك وما سبقتها من زيارات مماثلة لكل من محافظة كركوك وأقضيتها ومناطق خانقين وبدرة ومندلي وزرباطية والتي كانت ضمن برامج عملنا وباستمرار كانت التفكير بالقيام بعملٍ ما يساهم في التحقيق عما كان يعانيه طلبتنا وفلاحو تلك المناطق والتي كانت تسمى من قبل أجهزة السلطة المركزية بالمناطق المختلطة لأبعاد السمة الكوردستانية عنها بطرق ووسائل شتى كانت معروفة وما تزال للجميع.

كان الزميل سيروان يقود سيارتنا تلك وقد أخذنا التعب جراء تلك الجولة التي استغرقت أسبوعاً ونحن في طريق عودتنا إلى بغداد وكل واحد من الزملاء الأربعة ربما كان يفكر بما رأى وبما سمع وخاصةً من طلاب تلعفر وبعشيقة وسنجار عن المشاكل التي كانوا يواجهونها وتواجه منطقتهم وقد تذكرت في تلك اللحظة قول أحد طلبتنا في زرباطية قبل ذلك عندما كنت في زيارة مع الزميل حسين الحاج على أحمد لمنطقة بدرة قوله (لا تتركونا وحدنا زورونا بين حين وآخر حتى لا نكون فريسة سهلة لهم وإن وجدوكم بيننا خير وسيلة لرفع معنوياتنا) وحافزاً للاستمرار بما نملك من إمكانيات أثبتت عملياً من خلال تلك الجولات بأننا قد بدأنا نتعلم الشيء الكثير ونشعر بما كانوا يعانونه وما يصادفونه من مشاكل جراء السياسات الخاطئة التي كانت معالمها الرئيسية تخطط من قبل أعلى الجهات في بغداد لاحتواء بنود اتفاقية آذار ومحاولة أفراغها من معانيها الأصلية حيث كانت قد كلفت أكثر من جهة في أجهزة الدولة للتعامل مع منطقة كوردستان بسياسات كانت بعيدة كل البعد عن روح الاتفاقية مما

حدا باتحاد طلبة كوردستان الوقوف بوجه هذا الانحراف بكل ما كان يحمله من عنفوان الشباب وإرادة قومية وقد كان أمام ناظرنا دوماً قول البارزاني الخالد بأن (الطلبة هم رأس الرمح في كل الثورات والمعارك الوطنية).

وبينما كانت سيارتنا تسير ببطء ظاهر لارتفاع درجة حماوة محركها والتي غالباً ما كنا نعاني من تلك المشكلة، طرأت عليّ فكرة القيام بعمل جماعي في الصيف عند انتهاء العام الدراسي آنذاك، وخاصةً في المناطق القلقة سياسياً وقد أشغلتني هذه الفكرة خلال المسافة المتبقية من الطريق وعند وصولنا إلى مشارف الكاظمية أحدى مناطق بغداد كانت الفكرة قد اختمرت بالنسبة لي وهنا قلت لزملائي الثلاثة (أتعرفون ماذا كانت حصيلة زيارتنا هذه يا أخوان؟) فأجاب كلٌ منهم بما رآه من ايجابيات مثل هذه الزيارات التي أعتدنا عليها حينئذٍ قلت لهم (صحيح إن لهذه الزيارات مردودات ايجابية فلماذا لا نستثمره بعمل جماعي تقوم به هيئات ولجان اتحاد طلبة كوردستان؟) وشرحت لهم الفكرة وقبل وصولنا إلى مقر الاتحاد في الوزيرية اتفقنا بعرض الفكرة على مكتب السكرتارية وإقناع بقية الزملاء بصواب الفكرة وقد كان الحماس ظاهراً عند زملائي الثلاثة.

وفي أول اجتماع لمكتب السكرتارية عرضت تقريري المعد عن الجولة وفي ختامه قدمت مشروع الفكرة كاقتراح أمام الزملاء في المكتب حيث نال استحسان الجميع، وقبل الموافقة النهائية عليها أقترح أحدهم عرض الفكرة على الأستاذ سامي عبدالرحمن الذي كان مشرفاً على عمل الاتحادات والمنظمات الكوردستانية آنذاك لتأخذ الفكرة شكلها النهائي.

وتقرر القيام بزيارة الأستاذ سامي في مكتبه بديوان وزارة شؤون الشمال الكائن في شارع الجمهورية بالقرب من ساحة الخلاني حيث غالباً ما كان يتواجد فيه مساء أغلب أيام الأسبوع لانجاز أعمال وشؤون وزارته.

بعد احتفالات عيد نوروز وحسبما أتذكر بيومين زرنا الأستاذ سامي مساءً في مبنى وزارته نحن الثلاثة (جلال ويوسف وأنا) وعندما صادفنا الزميل فاضل سنجاري سكرتيره الخاص عند مدخل مكتبه قال لنا (لاشك عندكم مشكلة كبيرة؟) فأجابه الزميل جلال خوشناو (لنا مشروع كبير) وفي تلك اللحظات دخل الأستاذ سامي غرفة

فاضل وبادرنا بقوله (أهلاً بالشباب، لقد أنجزت تواً عملي هل لديكم شيء ما تودون الكلام عنه؟) فقلنا له (إن مجيئنا في هذا الوقت قد يحمل معه أشياء لا تخطر على البال) فأشار لنا بالدخول إلى غرفته وطلب لنا الشاي وبادرت أنا بالحديث فقلت: (كما هو معلوم لديكم وأنتم على اطلاع كامل بمجمل نشاطاتنا ومشاكلنا، قبل أسبوع كنا في آخر جولة لمدينة الموصل ومناطق بهدينان وهذه هي رابع جولة لأعضاء مكتب السكرتارية من زاخو إلى مندلي وزرباطية ولقد لمسنا المشاكل التي تخلق لتنظيماتنا هناك ونحن بحاجة إلى القيام بمبادرة إقامة معسكرات للطلبة في الريف الكوردستاني وخاصةً في مناطق سنجار وكركوك وخانقين ولمدة أسبوعين وابتداء من الثلث الأول من شهر تموز وقد درسنا الفكرة في مكتب السكرتارية واتخذنا به قراراً ونأمل مساعدتكم في تحقيقها).

وعقب الأستاذ سامي عبدالرحمن على كلامي قائلاً: (وهل درستم استجابة الطلبة لها؟) وأجابه الزميل جلال خوشناو قائلاً: (حسب تقديرنا أنهم أي الطلبة تواقون لإقامة مثل هذه الفعاليات وإن إصدار بيان من مكتب السكرتارية بشأن الموضوع كفيل بتسابق الطلبة للمشاركة في المعسكرات).

وتساءل الأستاذ سامي مجدداً: وماذا بشأن نفقات المعسكرات وهل يوجد لديكم المبلغ الكافِ لإقامة المعسكرات لمدة أسبوعين ولهذا العدد من المشاركين؟ وهنا تدخل الزميل يوسف القصاب بصفته المسؤول عن الشؤون المالية في الأتحاد قائلاً: (لدينا مبلغ بحدود (٢٠٠٠) دينار وحسب تقديرنا سنحتاج إلى مبلغ مماثل وباستطاعتنا ادخار المبلغ الإضافي خلال الأشهر القادمة.

فعقبت على أقوالهم وقلت: أجمالياً سيحتاج كل معسكر إلى (١٠٠٠) دينار وإلى (١٠٠٠) دينار آخر إضافي سيكون بحوزة مكتب السكرتارية ويخصص للحالات الضرورية وسنحتاج أيضاً إلى دعم معنوي ومفاتحة الجهات الإدارية في المحافظات الثلاث حتى تأخذ المسألة أبعادها الرسمية تجنباً لحدوث أية إشكالات.

وأنهى الأستاذ سامي عبدالرحمن بقوله: أقترح عدم الإعلان عن ذلك في الوقت الحاضر لسببين أولهما يجب مفاتحة القيادة (المكتب السياسي للحزب الديمقراطي الكوردستاني) وأخذ الموافقة منه لأن الموضوع ليس بهذه البساطة وثانيهما أن

عنصر المفاجأة وعدم الإعلان عنه في وقت مبكر سوف لا يعطي المجال للآخرين بوضع العراقيل أمام تنفيذ إقامتها على الوجه الأكمل أدرسوا الموضوع جيداً مرة أخرى ومن كل الجوانب وستكون القيادة عوناً لكم وسنبحث في المسألة في وقت لاحق بأذن الله.

وقد كنت الوحيد من بين زملائي في مكتب السكرتارية متفرغاً للعمل آنذاك حيث كنت قد أكملت دراستي الجامعية قبل عام في جامعة بغداد وكان الزملاء الآخرون مازالوا مرتبطين بالدوام في كلياتهم مما ساعدني بحكم ذلك على التحرك من كافة النواحي من خلال الاتصال بهيئات الفروع وبحث المسألة معهم ومناقشة السبل الكفيلة بنجاحها واختيار الأمكنة وتحديداً مواقع إقامة المعسكرات، وعندما فاتحت زميلي العزيز عبدالموجود طه الذي كان عضواً في هيئة فرع السليمانية آنذاك رحب كثيراً بالفكرة وقال لي: إن تحديد مناطق سنجار وكركوك وخانقين لإقامة هذه المعسكرات الطلابية كفيل بنجاح هذه المبادرة وأقترح منذ البداية بأن نجعل (من أجل كوردستان وشعبها نناضل) شعاراً للمعسكرات الطلابية، وهذا ما ثبت في معسكر (خالو بازيان) في محافظة كركوك لاحقاً.

كنت أطلع الزملاء في مكتب السكرتارية على الخطوات التي أقوم بها أول بأول ولاسيما الزميل عادل مراد رئيس اتحاد طلبة كوردستان آنذاك، ليكونوا على اطلاع تام بالموضوع، وكنت أحاول جهد الإمكان عدم إرهاق زملائي بالتفاصيل لأنهم كانوا منشغلين بأداء الامتحانات النهائية في كلياتهم وكنت أراعي ظروفهم الدراسية وخاصةً الزميل عادل الذي كان في الصف المنتهي من كلية العلوم ـ قسم الكيمياء ـ ولأنه كان قد خسر سنتين دراسيتين سابقاً (١٩٦٨ – ١٩٦٩) و (١٩٦٩ – ١٩٧٠) بسبب التحاقه بالثورة الكوردية وعندما انتهت السنة الدراسية في الثلث الأول من شهر حزيران عام ١٩٧١ تعاقبت اجتماعاتنا الواحد تلو الآخر وخاصةً بعد صول موافقة قيادة الحزب لدراسة الخطوات التفصيلية واختيار مسؤولي وهيئات المعسكرات الثلاثة وتحديد عدد المشاركين من الطلبة الراغبين ومكان إقامة المعسكرات ورصد المبالغ الضرورية وأصدر مكتب السكرتارية بياناً بهذا الشأن نشرته جريدة (التآخي) يوم ١٩٧١/٦/٢٤ وأدون هنا نصه: في العاشر من شهر تموز، ستبدأ أول حملة توعية لاتحاد طلبة كوردستان والتي ستشمل النواحي الاجتماعية والصحية والسياسية على شكل

معسكرات متنقلة في ربوع كوردستان وسيساهم فيها بشكل رئيسي أعضاء الاتحاد وبالأخص طلبة الجامعات العراقية وقسم من طلبة الثانويات وقبل الخوض في تفاصيل هذه الحملة التي تعتبر الأولى من نوعها في تأريخ الاتحاد ذلك الاتحاد الذي ساهم مساهمة فعالة في كافة انتفاضات شعبنا وثورته المجيدة.

بعد اتفاقية آذار التاريخية التي جاءت نتيجة كفاح شعبنا الصامد وتضحياته الجسيمة ونضاله المتواصل من أجل حقوقه القومية.

رأى اتحادنا المساهمة بصورة عملية لأول مرة بما لم يستطيع القيام به من قبل بسبب الظروف الصعبة القاسية التي مر بها شعبنا خلال حركته التحررية أن يساهم من جانبه بحملة توعية كبرى باعتباره فصيلة مثقفة إن الهدف من حملة التوعية المرتقبة التي سيقوم بها الاتحاد هو التوجه إلى طبقات الشعب المختلفة والعيش معهم ومساعدة وتوعية الفلاحين في القرى من جهة وتعريف طلبتنا بمشاكل طبقات الشعب الأساسية وتعليمهم ممارسة الخدمة عملياً من جهة أخرى.

إن اتحادنا إذ يهيب بأعضائه للمشاركة في هذه الحملة بروح عالية من الشعور بالمسؤولية إنما يهدف من ذلك إلى تقوية الروابط النضالية بين الطلبة كفئة مثقفة وبين الجماهير الغفيرة من الفلاحين الذين هم عماد ثورة الشعب الكوردي إذ لا يمكن للطلبة أن يؤدوا دورهم كفئة مثقفة واعية من دون أن يرتبطوا بجماهير الشعب.

وفيما يتعلق بمشروع التوعية فيتلخص في النقاط التالية:

١ - إقامة معسكرات للطلبة للتوجه إلى القرى وسيضم كل معسكر مجموعة من الطلبة يتجولون أثناء النهار في القرى المحيطة بمركز المعسكر وسيقومون بإلقاء بعض المحاضرات التثقيفية ليلا.

٢ - يتحمل الاتحاد كافة المصاريف المتعلقة بالمعسكر وستتألف لجان للأشراف على كافة الأمور المتعلقة به.

٣ - على كافة فروع الاتحاد تسجيل أسماء الطلبة المتطوعين وإحضار القوائم في مدة أقصاها الخامس من تموز القادم وتقديمها إلى مكتب السكرتارية.

ويتوجه مكتب سكرتارية اتحاد طلبة كوردستان العراق بنداء حار إلى الجهات الرسمية والمنظمات الشعبية وذلك لمساعدته وتسهيل أموره كي يستطيع القيام

بواجبه على الوجه المطلوب. مكتب سكرتارية اتحاد طلبة كوردستان. وفي أول يوم من شهر تموز تدارسنا في مكتب السكرتارية الخطوات النهائية وتقرر البدء بالعمل في العاشر من تموز وتمت تسمية مسؤولي المعسكرات على الشكل التالي:

١. رنج نوري شاويس مسؤولاً عن معسكر سنجار.
٢. فاضل طيب مسؤولاً عن معسكر باوه محمود في خانقين.
٣. فرهاد عوني مسؤولاً عن معسكر خالو بازياني في منطقة كركوك.

ولقد تحققت أمنيتي بالإشراف وتولي مسؤولية معسكر (خالو بازياني) في محافظة كركوك لأنني سبق وأن كنت أتردد بين الحين وآخر إلى مدينة كركوك والأقضية التابعة لها عندما كنت مكلفاً من قبل مكتب السكرتارية للأشراف على فرع كركوك وعلى أثره أصبحت ملماً بكافة جوانب الأمور في الفرع المذكور حيث كنت أزوره كل شهر مرة أو مرتين وغالباً ما كنت أقضي عدة أيام في المدينة وأحل في مقر الفرع الكائن في محلة شاطرلو مدخل شارع الأطباء الحالي(الجمهورية) مقابل بناية الفرع الثالث للحزب الديمقراطي الكوردستاني حيث تولى مسؤولية فرع الاتحاد على التوالي كل من الزملاء عثمان خوشناو والشهيد سعدي خليل وظاهر روزبياني الذين كانوا يفضلون بقائي فيها لعدة أيام كل مرة لحل المشاكل التي كانت قد تحدث بين تنظيماتنا وتنظيمات الاتحاد الوطني لطلبة العراق والأجهزة الحكومية حيث كان الصراع قوياً وكان هم الجانب الآخر طمس معالم كوردستانية كركوك بكافة السبل وكان للطلبة الكوردستانيين من كورد وتركمان وآشوريين مواقف بطولية ومشرفة في الانتخابات التي جرت في شباط من ذلك العام والتي فاز فيها مرشحو اتحاد طلبة كوردستان في أكثرية الاعداديات داخل كركوك بالإضافة إلى اعداديات دوبز والرياض وكفري وطوز خورماتو بالرغم من الضغوطات المستمرة وتأجيل الانتخابات لمدة شهر في بداية الأمر مما خلق حالة غير طبيعية أدت إلى مجيء وفد مشترك متكون من السادة سامي عبدالرحمن عضو المكتب السياسي لحزبنا وزير شؤون الشمال آنذاك والمرحوم مرتضى الحديثي عضو القيادة القطرية لحزب البعث العربي الأشتراكي اللذين كانا عضوين في لجنة السلام المشكلة بعد اتفاقية آذار لحل المشاكل التي كانت تحصل، واجتماعهما بنا في نادي نقابة عمال النفط القريب من ساحة الطيران لغرض الوصول

إلى حل وسط قبل إجراء الانتخابات ولم تحقق زيارتهما نتيجة معينة وعلى أثرها تقرر سفري إلى بغداد لبحث المشاكل العالقة مع لجنة السلام بحضور قادة اتحاد طلبة كوردستان والاتحاد والوطني لطلبة العراق ولا مجال هنا لشرح أبعاد هذا الموضوع ونتائجه وربما سيكون ذلك ضمن حلقة أخرى من حلقات (من الذاكرة) مستقبلاً بإذن الله. وهكذا تم اختيار أماكن إقامة المعسكرات بعد دراسة وافية والسبل الكفيلة بإنجاحها وقد اختيرت محلة (برزوكي) والتي تقع في الشمال الغربي في مدينة سنجار موقعاً لإقامة المعسكر هناك وكانت من أبرز معالمها (المنارة) والتي تشبه إلى حدٍ ما منارة أربيل الأثرية والتي تعود تأريخ بنائها (منارة سنجار) إلى زمن العباسيين وكان توجد في المحلة المذكورة مدرسة ابتدائية وبناية القشلة القديمة وأمامها سهل مترامي الأطراف والذي هو جزء من البادية الشمالية وعلى طريق ناحية البعاج والتي أصبحت فيما بعد قضاءً للاختزال وتقليل نسبة الكورد من قضاء سنجار وكانت المنطقة وأطرافها يسكنها الكورد من المسلمين والأيزيديين منذ مئات السنين وقد تعرضت فيما بعد إلى حملة تعريب قاسية قل نضيرها حيث أفرغوا المدينة من أفراد العوائل الكوردية الذين كانوا عماد أهل سنجار من عوائل خضر خلف وخشولي وغيرها إلى مدن دهوك وزاخو وأربيل كما هجروا فلاحي المنطقة من قراهم الأصلية إلى معسكرات جماعية سميت بالقرى العصرية والطريف هنا أنه في أواخر الثمانينات زار سنجار جنديان كان أحدهما كوردياً والآخر كان من عرب الناصرية عندما كانت وحدتهما العسكرية في منطقة سنجار في أحد أيام شهر آب حيث كان المناخ حاراً وجرت العادة على قيام الجنود عندما تكون وحداتهم العسكرية خارج المدن أن يزوروا خلال أوقات إجازاتهم الزمنية مراكز المدن لارتياد المقاهي للراحة وعندما طلب الجندي قدحاً من الماء البارد من نادل المقهى فقال له النادل (لا يوجد عندنا ثلج) ولما أستفسر الجندي عن أسباب عدم وجود الثلج في هذا الوقت من الصيف رد عليه نادل المقهى: (كان يوجد في سنجار معمل للثلج لصاحبه خلف عبدالكريم وبعدما هجرته الحكومة تعرض المعمل للإهمال والنهب) فتعجب الجندي العربي وأستفسر ثانية ولماذا هجر أبو معمل الثلج؟ فرد عليه النادل بكل بساطة: (لأنه كوردي)!!.

وقد اختيرت لجنة للإشراف على معسكر (برزوكي) في سنجار وانيطت مسؤوليتها للزميل رَنج نوري شاويس عضو مكتب السكرتارية أما أعضاء لجنة الإشراف فقد كانوا كلٌ من الزملاء نجم الدين عمر كريم وحاجي محمد كريت مسؤول فرع دهوك للاتحاد ورشيد رمضان مسؤول الاتحاد في زمار ومحمد سليمان ومحمد طاهر سبيينداري، ولا أتذكر العدد لإجمالي للمشاركين في معسكر سنجار وهذا ما أتركه للزملاء المساهمين فيه.

وقد زار المعسكر المذكور جمع من الكوادر الحزبية وآخرون من مختلف الشرائح وفي مقدمتهم المرحوم حسو ميرخان آمر هيز (فرقة) عقرة واالشيخان وكذلك الأستاذ على سنجاري مسؤول الفرع الأول للحزب الديمقراطي الكوردستاني آنذاك أما معسكر (باوه محمود) في منطقة خانقين فلم يكن يختلف عن معسكر سنجار من حيث الأشراف والمسؤولية وليعذرني الزملاء المساهمين فيه حيث لا أتذكر من أسماء مسؤوليه غير الزملاء محمد قرداغي وخليل أركوازي ونجم الدين عزيز، لأني لا أتذكر تفاصيل الأمور في ذلك المعسكر ولهم أُقَدِمُ المعذرة مرة ثانية وأتمنى من مساهميها سواء كانوا مشرفين على المعسكر أو المساهمين فيه الكتابة عن معسكرهم في باوه محمود خدمةً للتأريخ وتوثيقاً لهذه التجربة الرائدة.

في السادس من شهر تموز توجهنا نحن هيئة الأشراف على معسكر (خالو بازياني) في محافظة كركوك وكانت الهيئة تضمني، كوني مسؤول المعسكر بالإضافة إلى الزملاء المرحوم فاضل ملا محمود عضو مكتب السكرتارية وعثمان خوشناو عضو اللجنة التنفيذية والشهيد الدكتور محمد باجلان مسؤول اللجنة الاتحادية في كلية الطب جامعة بغداد وئازا خفاف وسيروان عبدالله سعيد وضياء عباس أعضاء لجنة منطقة بغداد لاتحاد طلبة كوردستان، وحال وصولنا إلى مقر فرع الاتحاد هناك كان الزملاء ظاهر روزبياني ونوري قارداش ومحمد عزيز أعضاء لجنة الفرع في انتظارنا وأثر وصولنا عقدنا اجتماعا مشتركاً ضم الزملاء مسؤول وأعضاء فرع كركوك والهيئة المشرفة وقد تقرر في الاجتماع تبليغ المشاركين من الطلبة بالوسائل المتاحة للحضور إلى مقر الفرع صباح ٩/تموز/١٩٧١ مع مستلزماتهم الضرورية ومنها أفرشة النوم والحاجيات الأخرى، وفي السابع من تموز قمت بزيارة ديوان محافظة كركوك مع الزميل

المرحوم فاضل ملا محمود لإيصال رسالة من الأستاذ سامي عبدالرحمن إلى السيد أحمد عبدالقادر النقشبندي معاون المحافظ آنذاك لإبداء المساعدة الضرورية لنا. ولقد رحب السيد نقشبندي بنا وقال لنا: (في حدود إمكانياتي وصلاحياتي سوف أساعدكم) وقد طلبنا منه تخصيص سيارة بيكاب لنا لتسهيل أمورنا خلال فترة إقامة المعسكر وقد وعدنا الرجل خيراً وأوعز بتخصيص سيارة بيكاب قديمة من نوع شفروليت مع سائقها محمد عثمان الذي كان لحين إعلان اتفاقية ١١ آذار ١٩٧٠ أحد أفراد (البيشمركَه) ضمن بتاليون الشهيد (عزالدين قره) وقد ساعدنا كثيراً لمعرفته التامة بالمنطقة.

وفي الثامن من تموز أكملنا جميع استحضاراتنا وقمنا بشراء كميات من الطحين والرز والدهن وأرسلناها إلى خالو بازياني حيث كان الزميل نوزاد الذي لا أتذكر للأسف أسم والده، كان من أهالي قرية خالو بازياني وكان قد أكمل دراسته الجامعية في كلية الآداب ـ قسم الجغرافية حيث سهل لنا الكثير من الأمور وقد كنا متفقين معه عندما اقترح لنا بناية المدرسة الابتدائية في القرية لتكون المقر الرئيسي لإقامة المعسكر.

وفي صباح التاسع من تموز التحقت مجاميع المشاركين من الطلبة من اعداديات مدينة كركوك وكذلك أقضيتها ونواحيها ومعهم المشاركون من كليات جامعتي بغداد والسليمانية بالسيارات التي كنا قد استأجرناها لهذا الغرض مارين بمركز ناحية قره حسن في ليلان وقرى ترجيل وتركه أشكان العليا والسفلى وصولاً إلى قرية خالوبازياني التي كانت هي مركز ناحية قره حسن ذات يوم والتي تقع شرق مدينة كركوك وجنوب غرب قضاء جمجمال على رابية ذات تضاريس متعرجة وذات مياه كثيرة نسبياً حيث كنا نعتمد على العين الرئيسية (خورخور) لما نحتاجه من المياه نظراً لقربها من بناية مقر للمعسكر.

وحال وصولنا إلى القرية استقبلنا جموع من فلاحي القرى المتناثرة في المنطقة وكان دور الزميل نوزاد ظاهراً للعيان حيث كان في مقدمة المستقبلين وعندما توجهنا إلى بناية المدرسة الابتدائية وجدنا أنه قد رتب لنا المكان مع العم عبدالله الذي كان

طباخاً في مقر البتاليون (فوج البيشمركَه) والذي تطوع بدوره لتهيئة الطعام للمشاركين صباحاً ومساءً كل يوم طيلة مدة إقامة المعسكر والتي دامت أسبوعين.

وأستكمل تعداد الطلبة المشاركين بحلول الظهر العاشر من تموز وفي عصر ذلك اليوم عقدنا أول اجتماع عام لكافة المشاركين حيث تم تسجيل الأسماء ووزعت على خمس عشرة مجموعة كل مجموعة تتكون من (١٥) إلى (٢٠) مشاركاً واختير لكل مجموعة مسؤول مع بيان محاور العمل وتبليغهم بالإرشادات لضرورية ومن أهمها عدم إرهاق عوائل الفلاحين بطعام الغذاء والاكتفاء بالخبز واللبن فقط وكان البرنامج اليومي للمعسكر يبدأ بالنهوض في الساعة الخامسة صباحاً وبعد تناول الفطور وتلاوة نشيد (ئه ي رقيب) تبدأ الفصائل بالتحرك مشياً على الأقدام وتعود في السادسة مساءً ففي الساعة السابعة يتم تقديم وجبة الطعام الرئيسية والتي كانت تتكون من (التمن والمرك باللحم) مع أرغفة من خبز التنور والتي كان العم عبدالله يهيئها مع الخباز الذي لا أتذكر أسمه كان من فلاحي القرية أيضاً.

وكما ذكرت كانت التعليمات صارمة ومن جملتها أيضاً عدم ارتداء البيجامة والالتزام بموعد النوم في الساعة الثانية عشرة ليلاً والنهوض في الخامسة صباحاً وعدم مغادرة المعسكر ليلاً والالتزام بالخفارة والحراسة الليلية وكانت فعاليات المعسكر تقام في قرى المنطقة ومنها (خالوبازيان، ترجيل، فرقان تركه شكان السفلى، تركه شكان العليا، أومر كَدة، باش بلاغ العليا، باش بلاغ السفلى، زنكنه، شبح جيري، خدر بك، حسن سلام، بنجة علي، قره ويس، تيمزاوا، بزَله). وكان المناخ حاراً عموماً خلال النهار ومعتدلا أثناء الليل حيث كانت الحفلات الترفيهية تقام في الساعة الثامنة ليلاً وكانت تتضمن استعراض أعمال فصائل الطلبة في القرى التي كانوا قد عملوا فيها نهاراً وما صادفوه من مفاجآت مع تقديم محاضرة بسيطة من قبل مشرفي المعسكر وإلقاء القصائد الوطنية من قبل الزميل كمال ميراودلي وآخرين لا أتذكر أسماءهم وفي بعض الليالي كان الزميل دارا حسن ياره المشارك الفعال في نشاطات المعسكر يشدو بصوته الشجي أغاني قومية وعاطفية على أنغام العود الذي كان يداعب أوتاره بمهارة الشهيد آزاد هَورامي الذي كان شاباً صغيراً آنذاك ومتحمساً للعمل رغم صغر سنه، وكانت تلك السهرات الترفيهية تنتهي بمشهد تمثيلي كوميدي يبدع فيه الزميل زيبار

نوري بك وأحياناً كانت تتخلل تلك الحفلات الترفيهية ندوات تثقيفية حول المسائل المطروحة في الساحة السياسية آنذاك وقد كان المعسكر تجربة حية شعر الفلاحون وربما لأول مرة بأن أبناءهم وإخوانهم الطلبة قادرون على التفاعل مع ظروفهم القاسية وإبداء المساعدة لهم إذا أتيحت الفرص ولقد أطلعت مجاميع الطلبة المشاركين في تلك المعسكرات على الظروف الحياتية القاسية التي يعيشها أخوانهم الفلاحون الذين كانوا عماد حركتنا التحررية المتمثلة بثورة أيلول الكبرى. خلال ساعات النهار عندما كانوا ينهمكون مع فلاحي تلك القرى في أعمال الزراعة وتنظيف الحقول وكذلك المساهمة في عملية ترميم البيوت الطينية.

وبالإضافة إلى الزملاء الذين وردت أسماؤهم من قبل، أتذكر أسماء آخرين وهم كل من جلال أحمد برقي المهندس حالياً وصلاح رشيد اذلي وفؤاد سعدالدين وجمال عبدالله وسوار محمد سلته وأنور جلال والشهيد آزاد ملا محمد والشهيد هيوا عبدالغفور وصلاح حمد أمين سوره وجلال محمد أحمد الموظف في مطبعة جامعة صلاح الدين حالياً ودلير رشيد علي (يقيم الآن في أمريكا) ود. كاووس محمد فرج وسامال رشيد ودلشاد عبدالله وأنيس شاكر حكيم. وشارك معنا أيضاً الزملاء عبدالموجود طه المستشار حالياً في وزارة الثقافة بالإقليم وهيوا جلال حمدي ومحمد فرج آغا وآزاد رشيد وآخرون حيث قضينا أجمل أسبوعين من حياتنا العملية في ربوع سهول وتلول كركوك، تلك المنطقة التي شهدت حملات التعريب والتهجير وتغيير معالمها. ولكن كركوك كمدينة سهولها وتلالها ستبقى في قلوبنا رغم ما جرى فيها من تغييرات سكانية وتبديل الأسماء وتغيير القومية لكنها ستتعانق نارها الأزلية يوماً مع إرادة شعب كوردستان.... وهكذا ينتهي حديث الذكريات عن معسكرات الطلبة في الريف الكوردستاني.

وأستميح عذراً زملائي المشاركين في تلك التجربة الرائدة الذين لم ترد أسماؤهم هنا ولربما يعذرونني لأن الذاكرة قد تخوننا أحياناً وهذه هي طبيعة الذاكرة التي أستعين بها كمصدر وحيد في كتابة حلقات (من الذاكرة) لأن خزينها من الوثائق والمصادر أصبح في مهب الريح خلال العشرين عاماً الماضية بعد أن جرفتها رياح الحقد في عام ١٩٧٤ في بغداد أول الأمر ثم ما جمعتها بعدئذ ألتهمتها نار الحرب الداخلية أواخر عام

١٩٩٤ في أربيل لذا أعتمد على الذاكرة فحسب ولأن الذاكرة قد تخون أحياناً فقد تعرضت للانتقاد من قبل الأستاذ محمد إسماعيل من خلال تعقيبه المنشور في العدد (٢٩) من مجلة (كَولان العربي) الغراء حول ما ورد في الحلقة (١٢) من حلقات (من الذاكرة) بعنوان (في صفحة أخرى من ثورة أيلول الكبرى) بخصوص التباسات وردت فيها والتي قال عنها أنه (لا يمكن إرجاعها إلى عامل النسيان)، وكذلك قوله (فإن عدم تصحيحها وتنبيه القارئ إليها يسيء إلى تأريخ الشعب الكوردي)، وهنا أود أن أسجل ملاحظاتي حول التعقيب المذكور بما يلي:

١ - بسبب الاعتماد على الذاكرة كما أشرت ربما حصل بعض الالتباسات بشأن العوائل التي رحلت من بغداد إلى كوردستان عشية استئناف القتال من جانب الحكومة المركزية عام ١٩٧٤ وهذا أمر وارد ولا أنفي ذلك لأن مرور مدة ٢٤ عاماً على ما جرى ربما التبس عليّ ذلك من دون قصد ولكن وبنفس هذا القياس التبس الأمر على الأستاذ محمد إسماعيل نفسه عندما أراد أن يثبت عدم صحة أسماء بعض العوائل المرحلة آنذاك ولا أريد هنا تسجيل ما دار من ملابسات الترحيل والتي ربما يسيء إلى البعض وفي نفس الوقت لا يغير الموضوع شيئاً لكني أرى ضرورة التوقف عند عبارة وردت في التعقيب وهي (فإن عدم تصحيحها وتنبيه القارئ إليها يسيء إلى تأريخ الشعب الكوردي) وأعتقد أن هذه الجملة بحد ذاتها إساءة وقول جارح وقد كنت أتمنى أن لا ينجر أستاذنا الكريم إلى ذكر مثل هذه العبارة لأن وجود التباسات غير مقصودة في موضوعٍ ما وخاصةً عند الاعتماد على الذاكرة لا تعد إساءة لتأريخ شعبنا لأننا (الأستاذ محمد إسماعيل وأنا) لسنا من كتاب التأريخ وإن كل ما نكتبه لا يتعدى إطار كتابة الذكريات الشخصية وخواطر حول ما مررنا به من أحداث.

٢ - ذكر الأستاذ محمد بأنني أنساق وراء عاطفتي إذ أشار في تعقيبه إلى (أنه في بعض الأحيان الأخرى تجرفه العاطفة ـ حسب اعتقاده فلا يستطيع إبراز الحقيقة الواقعة فعلاً للقراء وفي هذه الحالة فهو غير معذور ويفضل أن لا يتطرق إلى هذه المواضيع التي تتضارب فيها العاطفة مع الحقائق).

وهنا أسجل شهادتي حول صحة ما ذهب إليه بشأن انجرافي وراء العاطفة ولكن ليس كما يقول هو في (بعض الأحيان) وإنما أؤكد هنا بأن العاطفة قد تشكل حيزاً كبيراً في تفكيري وسلوكي ولا أعتبرها مأخذاً، كما هو معروف ميله إلى التفاعل مع الأحداث والأشخاص والتي لا يمكن بدونها أن يحيا حياة طبيعية وإن التفاعل الصميمي لا يأتي في الفراغ وإنما يأتي من وجود شحنات العاطفة المبنية على التفكير السليم للإنسان الواعي وأنه مادام للقلب وجوده فتكون للعاطفة تأثيرها في حياة الإنسان وهي تتحكم في سلوك البشر، إذ لا يمكن فصل العاطفة عن الفكر وإذ جرد أحدهما عن الآخر فيتحول الإنسان إلى (نيرون) آخر يضحك ويغني مثلما فعل نيرون عندما كانت روما تحترق! وأما نصيحته لي (بعدم التطرق إلى مثل هذه المواضيع التي تتضارب فيها العاطفة مع الحقائق) ففيها بعض التجني وتجاوز على حقوق الآخرين وإن من حقه إبداء الملاحظات بشأن المواضيع التي تمسه أو تهمه أو تخصه نافياً أو مؤيداً لهذا الحدث أو ذاك، لكن وللأسف نرى أن الأستاذ محمد يطلق العنان لنفسه دون مراعاة لقواعد اللياقة ويدعوني صراحةً بعبارة (ويفضل أن لا يتطرق إلى مثل هذه المواضيع) وكأنه هو صاحب الحق في توجيهي نحو كتابة المواضيع التي يراها هو بأن الكتابة عنها ضرورية، ومن حقه أيضاً كما هو من حقي الكتابة عن أي موضوع نختاره فلا يستطيع أحد حجب هذا الحق عن الآخرين وإن أية محاولة من هذا القبيل ومن أي منطلق كان يعتبر خروجاً عن الفهم الصحيح لمعاني الحرية التي (نتشدق) بها على مدار الساعات يومياً، وقد كنت ومازلت أرحب بأية إضافات قد تنشر حول حلقات (من الذاكرة) لأنها تعزز وتغني تلك المواضيع بالفائدة وتساهم في توثيق الوقائع والأسماء التي ربما خرجت من دائرة ذاكرتي بفعل تقادم الزمن، ومن هذا المنطلق أنظر إلى كتابات الآخرين حول مثل هذه المواضيع بعين الرضا والتقدير ويجب أن نكون هكذا ويفضل لانطلق الأحكام المرتجلة أيضاً ولا ندعو الآخرين للكف عن الكتابة بهذا الأسلوب وذاك لأننا جميعاً معرضون للخطأ وسبحان الذي لا يخطأ وإن ورود خطأ ما في تقديم أو تأخير أسمٍ ما أو عدم ذكر أسمٍ ما في حدث معين أو في فترة زمنية ما لا يعدو كفراً ولا انتقاما لأحد ولا إنكاراً لأدوار الآخرين ومساهمتهم في مسيرة شعبنا النضالية وكان بإمكان الأستاذ محمد إسماعيل التطرق إلى ذلك وإضافة ما لديه من معلومات

وتسجيل مآثره وهذا ما فعله فعلاً وهو مشكور في ذلك وتعد إضافة جديدة للقراء وللباحثين إذا أراد أحدهم يوماً الكتابة عن تلك الأحداث ولكن مأخذي على الأستاذ محمد هو إطلاقه لاتهامات موجهة لي (كالانجرار وراء العاطفة) و(الإساءة إلى تأريخ الشعب الكوردي) لا لشيء سوى لأنني لم أذكر وبدون قصد أسمه ودوره في الأمانة العامة للتربية خلال المدة من (١٩٧٤/٣/١١ – ١٩٧٥/٣/١١) في المناطق المحررة أبان تلك المرحلة من عمر ثورة أيلول الكبرى. وأعتقد إن ذلك بحد ذاته انجرار وراء العاطفة من قبل الأستاذ محمد وليس من قبلي وكنت أتمنى أن لا يقع هو في مثل هذه المطبات وخاصةً كما هو معروف عنه قد ساهم في توعية أجيال من الطلبة في مبادئ اللغة والخلق الرفيع.

١ – لقد ألمني وكما ألم غيري من قراء المجلة عندما وقع نظري ونظرهم على جملة تخص الأستاذ دارا توفيق والتي تعبر عن كوامن شعور الأستاذ محمد إسماعيل تجاه عزيزنا دارا بعبارة ذكر فيها (فكنت أنا أقوم بتمشية أمور التربية ولم يكن للمرحوم (ويقصد دارا توفيق) دور ايجابي يذكر لأسباب لا أرى ضرورة لذكرها).

عجيب أمر هذا الزمان في مقاييسه وأحكامه والأعجب من هذا كله عندما ننظر في الأمور بمقياس ذاتي الصرف وأحادي الجانب ومنطلق شخصي بحت ربما بسبب مشاكل قد حدثت بين شخصين سببها الاختلاف في النظرة للأمور أو تبادل في مواقع بأمر فوقي وإن مدة ربع قرن من الزمان لم تستطع محو آثارها في القلب وبتأثيرها نطلق الأحكام ونقيم الأمرين ونخالف قوله تعالى (واذكروا محاسن موتاكم) إمعاناً لنرجسيتنا التي تحجب المحبة عن القلوب.

دارا توفيق الذي يقيمه الأستاذ محمد إسماعيل بعبارة (بأنه لم يكن له دور ايجابي يذكر) أرى أنه ليس من حقي الخوض مرة أخرى في حياة دارا توفيق ولقد أوفيت بجزء صغير من الدين المترسخ في وجداني دائماً خلال كتاباتي سواء كانت بالعربية أو الكوردية وفاءً لدوره النضالي المشرف في حركة شعبنا التحررية ووفاءً للأحياء أيضاً الذين يناضلون ويضحون من أجل شعوبهم والذين ينتقلون إلى جوار ربهم يوماً ما ولن أضيف كلمة أخرى في حق دارا هنا وأكتفي بعبارة وردت في كتاب (الاختيار المتجدد)

لمؤلفه المرحوم د. رحيم عجينة الطبقة الأولى ١٩٩٨ ـ بيروت والذي ذكر في الصفحة (٥٤) ما يلي: (في أواسط ١٩٥٧ وبعد اتصالات ومشاورات تم وضع اللبنات الأولى للحركة الطلابية الكوردية في أوروبا، وانبثقت هذه المبادرة أيضاً في التجمع الطلابي لليسار الكوردستاني العراقي، كان دارا توفيق المحرك النشط لتعبئة الطلبة الأكراد في بريطانيا ولتحشيدهم لعقد المؤتمر التأسيسي لجمعية الطلبة الأكراد في أوروبا، وذلك في مدينة ميونيخ في ألمانيا ١٩٥٧).

وبعد كل هذا ترى هل بقى في جعبة الأستاذ محمد إسماعيل (مع احترامي الزائد له). ما يقوله حول (عدم وجود دور ايجابي يذكر لأسباب لا يرى هو ضرورة لذكرها)؟!.

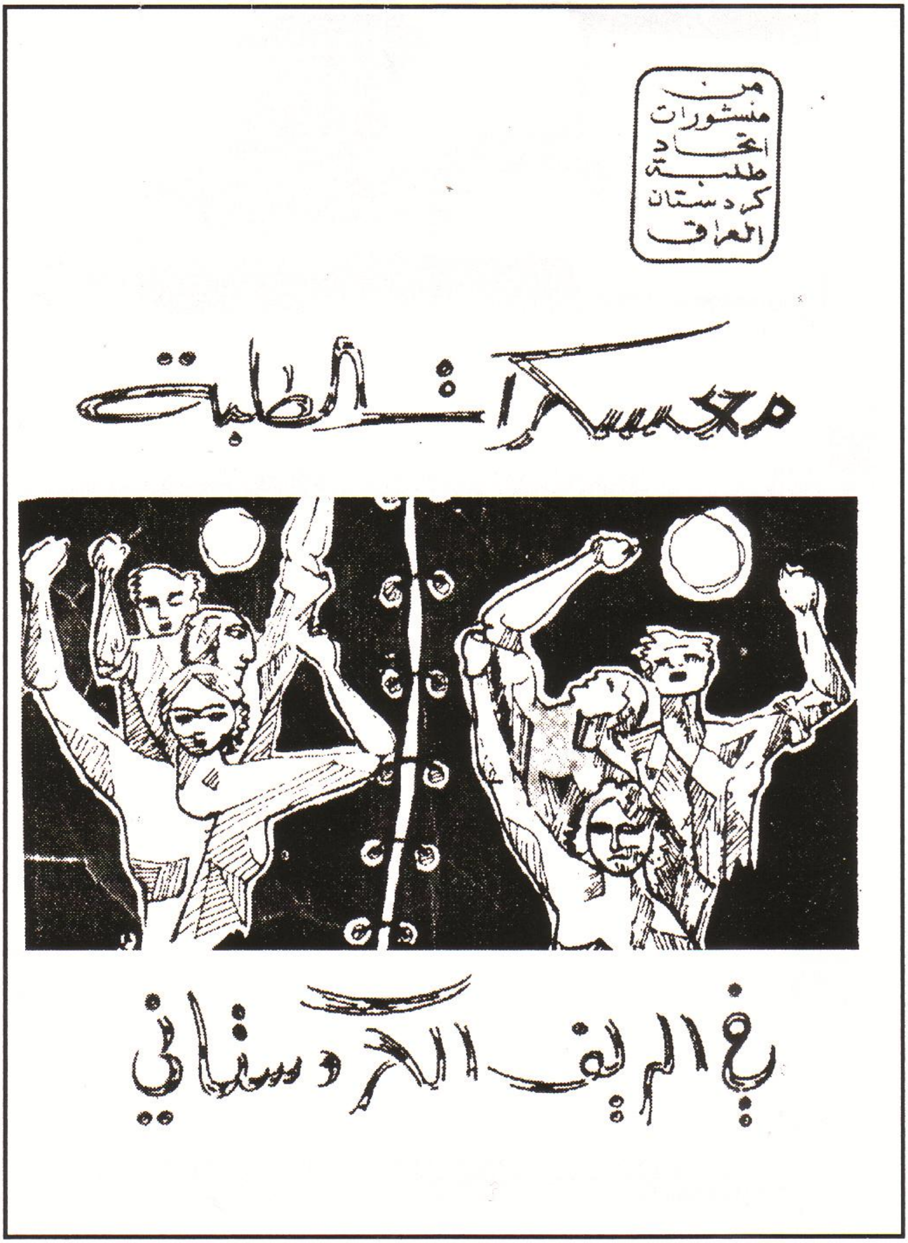

كراس اصدره مكتب سكرتارية اتحاد طلبة كوردستان بعد الانتهاء من تجربة المعسكرات في عامها الأول صيف عام ١٩٧١

ساحة المعسكر الطلابي في قرية (خالو بازياني) أثناء مناقشة المنهاج اليومي للمعسكر

المشاركون في المعسكر ينقلون امتعتهم خلال وصولهم إلى المعسكر الطلابي في يومه الأول

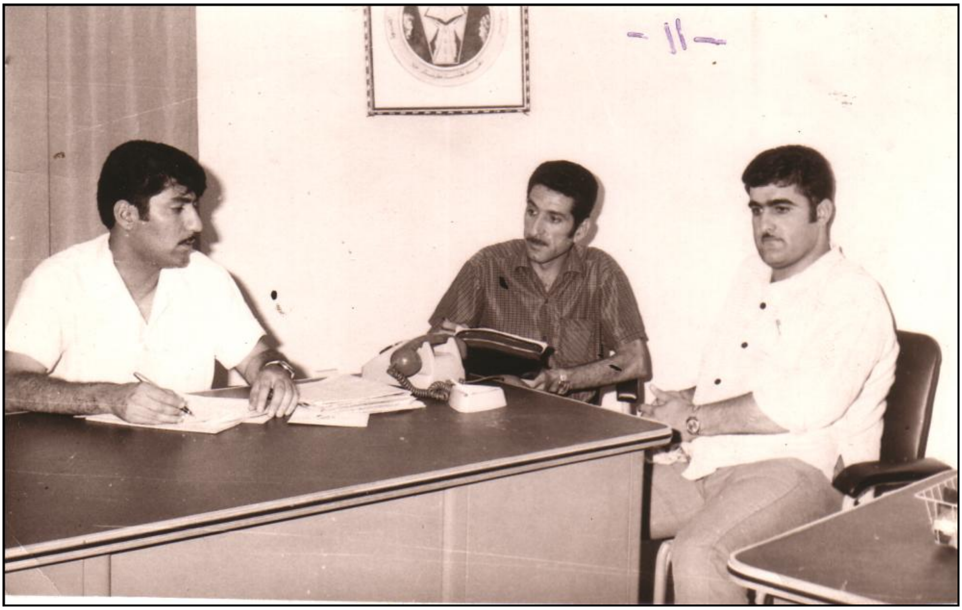

الأديب والصحفي الراحل محمد البدري يتوسط عادل مراد رئيس اتحاد طلبة كوردستان ويوسف مولود قصاب عضو مكتب سكرتارية الاتحاد خلال التحضير لإصدار كراس خاص بمعسكرات الطلبة

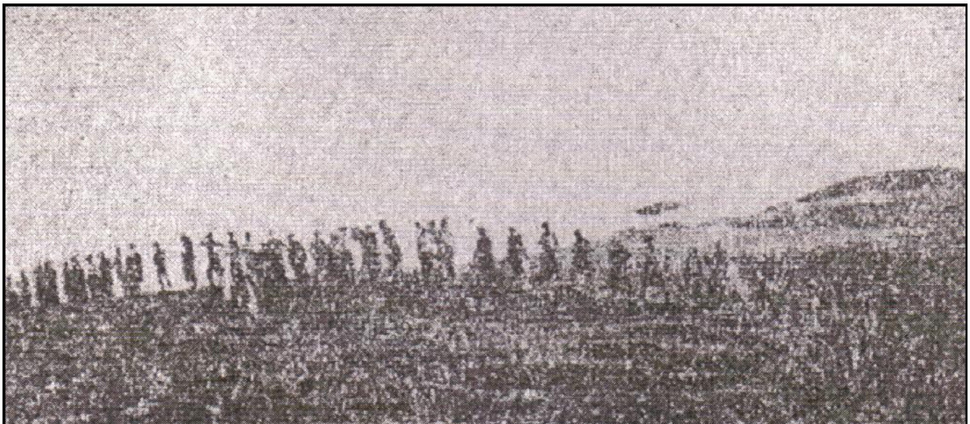

مجموعة من الطلبة المشاركين في المعسكر الطلابي اثناء توجههم نحو قرية اومر كده في ريف كركوك

دارا حسن ياره مع فرهاد عوني في قرية خالو بازياني

حيث مقر المعسكر الطلابي الأول في محافظة كركوك

الطبلة المشاركون في المعسكر الطلابي خلال جلسة استراحة بحقل احد الفلاحين في قرية ترجيل

سفرة طلابية اقامها اتحاد طلبة كوردستان العراق في احد بساتين مدينة الحلة على شرف الطلبة الجدد يوم ١٩٧١/١٢/١٠، ويبدو فرهاد عوني سكرتير عام اتحاد طلبة كوردستان واقفا أمام المايكروفون

اعضاء اللجنة التنفيذية لاتحاد طلبة كوردستان البالغ عددهم ٢١ عضوا في بلدة ناوبردان المحررة، يوم ١٩٧٠/٧/١٧

الواقفون من اليسار

١. فرهاد عوني
٢. عادل مراد
٣. ؟؟
٤. نوري كريم خان
٥. عبدالقادر محمد أمين
٦. محمد حاجي شيرواني
٧. أنور عبدالله
٨. صباح عقراوي
٩. شيركو رشيد سندي
١٠. حاجي محمد كريت
١١. جرجيس حسن
١٢. وزيرة بيرداود

الجالسون من اليسار

١. عثمان خوشناو
٢. عادل ليلاني
٣. عارف تيفور
٤. سعدي خليل
٥. جواد شيرواني
٦. جلال خوشناو
٧. يوسف مولود قصاب
٨. أكرم منتك
٩. رنج نوري شاويس

أسرار وخفايا الانتخابات الطلابية في محافظة كركوك قبل ٣١ عاما (*)

عادت بي الذاكرة عصر يوم ٢٠ تشرين الأول ١٩٧٠ وانأ أهم بالدخول إلى الصالون الأمامي لفندق شهرزاد في مدينة كركوك الى أيام شهر شباط عام ١٩٥٣ عندما كنت تلميذا في الصف الأول من الدراسة الابتدائية حيث انتهز المرحوم والدي فرصة عطلة نصف السنة والتي كانت تصادف الاسبوعين الأولين من شهر شباط لغرض السفر الى بغداد وأنا بمعيته لمعاجلة عيني اللتين كانتا قد أصيبتا بمرض آنذاك وكانت محطتنا الأولى هي مدينة كركوك لأن السفر آنذاك من كويسنجق الى كركوك كان يستغرق من خمس الى سبع ساعات في أيام الشتاء نظرا لرداءة الطريق حيث لم يكن الطريق الذي يربط كويسنجق بكركوك مبلطا، باستثناء بعض المسافات القصيرة، وكان المسافر يضطر للمبيت في كركوك لكثرة ما كان يعانيه من تعب، وإرهاق نتيجة سفره بالباصات الخشبية الكبيرة، ولتكرار طمس إطاراتها في الطين، وما كان يبديه المسافرون من مساعدة لسائق الباص، ومساعدته في عملية إخراج الباص من الطين ودفعها الى الأمام مقترنا بالدعاء من الله عز وجل، واياديهم مرفوعة الى السماء راجين الخلاص من تلك المحنة وعندما أقول عادت بي الذاكرة الى تلك الأيام من شهر شباط ،انا أدخل صالون فندق شهرزاد بعد مرور سبعة عشر عاما، (وقت كتابة الموضوع) لأن الفندق المذكور كان قد ترك أثرا في نفسي لا يمحوه تقادم السنين بكل ما كانت تحملها من أفراح وأتراح، لأن فندق شهرزاد كان يديره المرحوم (كاكه حمه) الشخصية الاجتماعية المعروفة.

كان الفندق ملتقى الشخصيات الكوردية في مدينة كركوك، وتجار السليمانية وكويسنجق والمسافرين الى بغداد عبر كركوك، حيث كان صالون الفندق يعج دائما وخاصة في الأماسي والليالي بمجموعة من النزلاء ورواده من أهل المدينة حيث كانوا

(*) نشر في مجلة (كولان العربي) العدد ٦٦ في تشرين الثاني ٢٠٠١.

يتبادلون الأحاديث السياسية وأخبار التجارة وحركة السوق، وقررت وأنا أغادر بغداد العاصمة في ١٩٧٠/١١/٢٠ بعد مرور تلك المدة الاستقرار في فندق شهرزاد طيلة فترة مكوثي في كركوك استذكارا لتلك الليلة من شباط ١٩٥٣ وما تركت من أثر جميل في نفسي، وعندما وقعت عيناي على واقع الفندق للمرة الثانية أصبت بالخيبة والدهشة إذ لم تبق من معالم بناية الفندق غير جدرانها التي كانت بدورها قد تشوهت بفعل الإهمال جراء ما حل بكركوك المدينة من فواجع وكوارث بعد اشتداد الهجمة الشرسة التي تعرضت لها عقب مرور عامين على ثورة ١٤ تموز عام ١٩٥٨ حيث تكالبت عليها القوى الرجعية وأجهزة السلطة والعناصر الموتورة لتغيير معالم كوردستانية كركوك والتأثير على معنويات سكانها وفق خطة مرسومة كانت تتمثل بتلفيق التهم وإباحة عملية الاغتيالات للعناصر الكوردية ومناضلي القوى الوطنية، ولقد بلغت تلك الهجمة ذروتها بعد الانقلاب الدموي في ٨ شباط ١٩٦٣ والتي استمرت حتى يومنا هذا وفق خطط مدروسة لإخلاء مدينة النار الأزلية من سكانها الكورد بالدرجة الأساسية وشملت في المراحل اللاحقة أبناء القوميتين من التركمان والآثوريين وكادت أن تفشل المفاوضات التي جرت بين قيادة ثورة أيلول الكبرى والسلطة المركزية عشية بدء الحوار في شهر كانون الأول عام ١٩٦٩ عندما أنكر عبدالله سلوم السامرائي عضو الوفد الحكومي المفاوض آنذاك كوردستانية كركوك مما حدا بالبارزاني الخالد الرد عليه بقوة حين قال به بالحرف الواحد: (إنك ان لم تكن جاهلا بالتأريخ والجغرافيا لما تفوهت بهذا الكلام البائس).

كان سبب مجيئي إلى كركوك في الأول من شهر تشرين الأول عام ١٩٧٠ هو الإشراف على الانتخابات الطلابية التي كان من المزمع إجراؤها في ٢٠ تشرين الثاني ١٩٧٠ إثر قرار أعقب الاجتماع الموسع للجنة التنفيذية ومكتب سكرتارية اتحاد طلبة كوردستان بحضور الأخ سامي عبد الرحمن عضو المكتب السياسي للحزب الديمقراطي الكوردستاني والمشرف على المنظمات الكوردستانية بعد توقيع اتفاقية ١١ آذار ١٩٧٠ حيث عقدت اللجنة التنفيذية ومكتب السكرتارية اجتماعها في مقر اتحاد طلبة كوردستان بحي الوزيرية في بغداد العاصمة لدراسة مقترح المكتب التنفيذي للاتحاد الوطني لطلبة العراق لإجراء الانتخابات في كافة اعداديات العراق في

يوم واحد وهو ٢٠ تشرين الثاني ١٩٧٠ وإجراء الانتخابات في كافة معاهد وكليات الجامعات العراقية بعد مرور سبعة أيام على إجراء الانتخابات في الاعداديات وشمل المقترح أيضا الخطوط الأساسية لوجهة نظر الاتحاد الوطني لطلبة العراق وكما يلي:

١- يحق لاتحاد طلبة كوردستان تنظيم قوائم المرشحين في اعداديات محافظات دهوك وأربيل والسليمانية كما يختاره هو وبأسم اتحاد طلبة كوردستان.

٢- تجرى الانتخابات في جامعة السليمانية وفق القوائم التي ينظمها اتحاد طلبة كوردستان مع ضم عضو واحد لتنظيمات الاتحاد الوطني لطلبة العراق في كل كلية من جامعة السليمانية تحت واجهة اتحاد طلبة كوردستان.

٣- بالنسبة لجامعة الموصل كان المقترح أن يكون الاتحاد الوطني لطلبة العراق هو المسؤول عن تنظيم القوائم وإضافة عضو واحد من اتحاد طلبة كوردستان في الكليات التي تتواجد فيها كثرة طلابية كوردية.

٤- أما في باقي الاعداديات وجامعات بغداد والبصرة والمستنصرية فيكون الاتحاد الوطني لطلبة العراق مسؤولا عن تنظيم القوائم وإعداد المرشحين لذلك.

٥- الإقرار بتشكيل فرع بغداد لاتحاد طلبة كوردستان للإشراف على التنظيمات الطلابية لطلبة كوردستان المتواجدين في اعداديات بغداد وجامعتي بغداد والمستنصرية مع تواجد مقر مكتب سكرتارية اتحاد طلبة كوردستان مع المكتب التنفيذي للاتحاد الوطني لطلبة العراق في بغداد.

٦- أما بالنسبة إلى محافظة كركوك فكان المقترح يتمثل في النقاط التالية:

أ- يكون الاتحاد الوطني لطلبة العراق الواجهة في عموم المحافظة ويتحمل المسؤولية أمام إدارات المدارس.

ب- من حق الاتحاد الوطني لطلبة العراق تنظيم القوائم في الاعداديات والمرحلتين الأخيرتين في الثانويات في عموم مدارس محافظة كركوك باستثناء اعداديات وثانويات (١١ آذار وكوردستان وإمام قاسم) وقد أعطى المقترح بموجبه لاتحاد طلبة كوردستان تنظيم القوائم مع عدم إشراك الطلبة التركمان في تلك القوائم.

كان الاجتماع الموسع لمكتب السكرتارية واللجنة التنفيذية في أواخر الاسبوع الأول من شهر تشرين الأول من عام ١٩٧٠ مكرسا لدراسة المقترحات المقدمة من قبل

الاتحاد الوطني لطلبة العراق، ولم يكن أمامنا غير اسبوع واحد لدراسة المقترح وإشعار الاتحاد الوطني لطلبة العراق النتيجة، وفي بداية الاجتماع تحدث الأخ سامي عبدالرحمن عن أهمية الانتخابات الطلابية واختيار المرشحين وفق ضوابط معينة يراعي فيها الكفاءة والجرأة والذكاء ومن ثم تمت مناقشة مقترحات الاتحاد الوطني لطلبة العراق ودارت حولها جملة من الاستفسارات وأصابتنا الدهشة والاستغراب حول بعض فقرات المقترح، وفي النهاية توصل الاجتماع إلى جملة من القرارات وقد تمت صياغتها على الشكل التالي:

١- الموافقة على الفقرات (١) (٢) (٣) (٥).

٢- أما الفقرة (٤) فكان قرارنا يتلخص في نقطتين هما:

أ- لاتحاد طلبة كوردستان الحق في إعداد القوائم وباسم اتحاد طلبة كوردستان في أقضية سنجار، بعشيقة، شيخان، تلكيف، وتلعفر في محافظة الموصل.

ب- واما بالنسبة لمحافظة ديالى فكان قرارنا أن يكون لاتحاد طلبة كوردستان الحق وحده أن ينظم قوائم المرشحين وباسم اتحاد طلبة كوردستان في أقضية خانقين، ومندلي وكذلك في قضاء بدره وقصبة الزرباطية في محافظة الكوت.

أما بالنسبة للفقرة (٦) فكان قرار الاجتماع الموسع والذي تم إشعار المكتب التنفيذي للاتحاد الوطني لطلبة العراق به كالآتي:

١- يكون اتحاد طلبة كوردستان هو الاتحاد الرسمي ومسؤولا عن النشاطات الطلابية أمام الهيئات الرسمية بموجب الفقرة الخامسة من اتفاقية ١١ آذار ١٩٧٠ في محافظة كركوك مع مراعاة تمثيل أبناء القوميات الأخرى من التركمان والآثوريين والعرب من الطلبة في اللجان والهيئات الطلابية في عموم مدارس محافظة كركوك ويكون الاتحاد الوطني لطلبة العراق مسؤولا عن تنظيماته الطلابية في عموم مدارس المحافظة ويكون التنسيق في حالة حدوث مشاكل بين أعلى الهيئات القيادية للطرفين والممثلين في مكتب سكرتارية اتحاد طلبة كوردستان والمكتب التنفيذي للاتحاد الوطني لطلبة العراق.

٢- في حالة عدم موافقة الاتحاد الوطني على المقترح المذكور في الفقرة السابقة تجرى الانتخابات بصورة ديمقراطية كبقية المدارس في أنحاء الجمهورية العراقية وعلى شكل قوائم.

٣- عدم التدخل في شؤون الانتخابات من قبل دوائر الدولة والأجهزة الحزبية للطرفين وتكون الدعاية الانتخابية مشروعة للطرفين والأطراف الأخرى ان وجدت.

بعد صياغة القرارات بشكله النهائي في ثاني اجتماع وفي اليوم نفسه توصل المجتمعون بالإجماع بعد توجيهات الأخ سامي عبدالرحمن عضو المكتب السياسي للبارتي إلى جملة من القرارات كانت ملزمة للجميع كالآتي:

أولا: إلزام الزملاء أنور عبدالله رئيس اتحاد طلبة كوردستان آنذاك والذي كان يشغل موقع نائب رئيس الاتحاد الوطني لطلبة العراق وجلال خوشناو وعادل ليلاني عضوي مكتب سكرتارية اتحاد طلبة كوردستان واللذين كانا عضوين في المكتب التنفيذي للاتحاد الوطني لطلبة العراق كممثلين لاتحاد طلبة كوردستان فيه بموجب الاتفاقية المذكورة تبني مقترحاتنا وعدم التنازل عن أية فقرة من تلك المقترحات.

ثانيا: اختيار كاتب هذه السطور بصفته سكرتيرا عاما لاتحاد طلبة كوردستان الإشراف على الانتخابات في محافظة كركوك وأن يكون متواجدا في مقر اتحاد طلبة كوردستان-فرع كركوك بشكل دائم ويكون في نفس الوقت على اتصال دائم مع الأخ سامي عبدالرحمن وكذلك مع الزملاء أعضاء مكتب السكرتارية.

كان الوقت قد بلغ الساعة السادسة مساء عندما انفض الاجتماع والذي استغرق بجلستيه ما يقارب السبع ساعات وعندها انفرد بي الأخ سامي عبدالرحمن حيث توجهنا بسيارته الحكومية (كان يشغل منصب وزير شؤون الشمال في الحكومة العراقية) إلى مقر وزارته الكائن في شارع الجمهورية والمطل من الجهة الغربية على ساحة الخلاني، وعند استقرارنا في مكتبه بالوزارة بادر بتقديم سيكاره لي وأشعل واحدة له وبعد برهة قصيرة قال:

(لقد تم اختيارك من قبل المكتب السياسي لذا اقترحت في اجتماعكم الموسع قبل ساعات بأن تكون أنت مشرفا ومسؤولا على الانتخابات الطلابية في محافظة كركوك وأننا في قيادة الحزب والقائد البارزاني بالذات مهتمون كل الاهتمام بهذه الانتخابات

وخاصة في محافظة كركوك والأقضية الكوردية في محافظتي الموصل وديالى وكذلك قضائي بدره وزرباطية ولكن كركوك ستكون في دائرة اهتمامنا الأول وان اختيارك لم يأت اعتباطا لأننا نعرف مدى قابلياتك التنظيمية وجديتك في العمل وتفانيك المبدئي بالإضافة لما تتمتع به من قابلية لإقناع الآخرين، وسنضع مبلغ (١٠٠٠) دينار تحت تصرفك ويجب أن تتوجه إلى كركوك غدا وحال وصولك ستلتقي مع الأخ عزيز عقراوي مسؤول فرع حزبنا هناك وانه على دراية كاملة بالموضوع وسوف يساعدك في أعمالك وحاول قدر المستطاع تجنب المشاكل مع البعثيين والأجهزة الحكومية لأننا لا زلنا نعيش شهر العسل مع حزب البعث وإننا متحالفان بموجب اتفاقية ١١ آذار، ولكن يجب أن تعرف حقيقة لا تقبل النقاش بأن البعثيين بكل ما لديهم من إمكانيات مادية وحكومية وبشرية سيكرسونها من أجل الفوز في هذه الانتخابات لأنهم وهذه معلوماتنا الأكيدة من أجهزتنا المختصة بأنهم لم ولن يتوقفوا عن التعريب والتبعيث، ولقد تم تكريس إمكانياتهم الحزبية والحكومية الضخمة لهذا الغرض ومن جهتنا كما يؤكد سيادة البارزاني ان كركوك ستبقى قلب كوردستان النابض وقد سبق أن أخبركم سيادته بذلك قبل توقيع الاتفاقية عندما زرتموه في قرية ديلمان في شباط الماضي ويجب مراعاة التركيبة القومية عند اختيار المرشحين لأنهم يعيشون في كوردستان كإخوة لنا ويجب إشعارهم بأن مصيرهم مرتبط ارتباطا مباشرا مع الكورد وأخيرا عليك أن تنتبه لنفسك وحاول إيجاد مكان ملائم لك وإشعار فرع الحزب بذلك، حاول الاتصال بي يوميا سواء عن طريق الهاتف أو اختيار شخص موثوق به لتبادل الرسائل الشفهية والمكتوبة وأنا على يقين بأنك ستنجح في مهمتك الصعبة ومن الله التوفيق.

وفي اليوم التالي وبعد إجراء المشاورات مع الزملاء في مكتب السكرتارية سافرت ومعي الزميل سعدي خليل عضو اللجنة التنفيذية لاتحاد طلبة كوردستان والذي استشهد عام ١٩٨١ عندما كان منخرطا في صفوف البيشمركه ضمن تنظيمات الاتحاد الوطني الكوردستاني، وكان قد تولى مسؤولية فرع كركوك لاتحاد طلبة كوردستان بعد مرور أشهر قلائل على توقيع اتفاقية ١١ آذار ١٩٧٠، وبعد وصولنا الى كركوك عصر يوم ٢٠ تشرين الأول ١٩٧٠ أخبرت زميلي سعدي بأنه قد وقع اختياري لفندق شهرزاد للمبيت فيه طيلة بقائي في كركوك، ولكن أصبت بالخيبة عندما شاهدت حالة الفندق

وما آل إليه من إهمال وعندما شاهد الزميل سعدي ترددي وتغيير قراري بعدم المبيت في فندق شهرزاد اقترح علي التوجه الى فندق الشرق الأوسط في وسط المدينة وهكذا وافقت على اقتراحه واخترت الفندق المذكور مكانا للمبيت وفي مساء اليوم نفسه التقيت مع الأستاذ عزيز عقراوي عضو المكتب السياسي للبارتي ومسؤول الفرع الثالث (كركوك) بحضور رشيد عارف الأتروشي الذي كان عضوا للفرع الثالث. ونقلت إليهما بالتفصيل ما دار في الاجتماع الموسع في بغداد وتوجيهات سامي عبدالرحمن وتبين لي بأن كاك سامي كان قد اتصل بعزيز عقراوي وأخبره بأنني أحمل معي رسالة شفوية له حول مهمتي وسبل تقديم الدعم الكامل لي وتسخير كل الجهود لإنجاح المهمة على أحسن وجه، وعندما عرضت عليه الموضوع بتفاصيله استقر الرأي على أن يكرس الفرع الثالث للحزب جميع إمكانياته في سبيل إنجاح الانتخابات، وإناطة مهمة دعم الفرع الثالث لاتحاد طلبة كوردستان بالسيد رشيد عارف الأتروشي الذي كان يعرف بديناميكيته وصلابته وجسارته أمام الأحداث فضلا عن كونه ضمن الهيئة العاملة للفرع الثالث للبارتي، وعندما عرف عزيز عقراوي ورشيد عارف الأتروشي باتخاذي فندق الشرق الأوسط مكانا لمبيتي اعترضا حول ذلك الاختيار ونصحاني بالانتقال من الفندق الى بناية مقر اتحاد طلبة كوردستان القريب من مقر الفرع الثالث لأسباب أمنية واتخاذ إحدى غرفها مكانا للاستقرار وهكذا انتقلت في اليوم التالي الى مقر اتحاد طلبة كوردستان واتخذت من الغرفة التي كانت في الطابق العلوي مكانا لي، وتبرع كل من الزميلين نوري قارداش المسؤول الثاني في فرع اتحاد كوردستان وظاهر روزبياني عضو فرع الاتحاد البقاء معي ليلا ونهارا بالتناوب لحين الانتهاء من الانتخابات.

بدأنا بالعمل منذ اليوم الأول حيث عقدنا اجتماعا مع هيئة الفرع المتكونة كما أتذكر من الزملاء نوري قارداش وظاهر روزبياني، ومحمد صالح والزميلة سعدية ومحمد نوري وزميلين آخرين لم أعد أتذكر اسميهما (وأرجو المعذرة منهما) وبدأنا بتنظيم الخطط المتمثلة بعقد الاجتماعات لجميع اللجان الاتحادية في المدارس المشمولة بالانتخابات من اعداديات وثانويات الزراعة والصناعة والتجارة ودار المعلمات والمعلمين في مركز المحافظة أولا، ومن ثم القيام بزيارات ميدانية ولأكثر من

مرة الى الأقضية والقصبات المشمولة مدارسها بالانتخابات في كل من كفري، وطوز خورماتوو، والحويجة والرياض ودوبز وليلان.. حيث عقدنا لقاءات موسعة مع الطلبة وإدارات المدارس كنشاط انتخابي حيث ساهم معنا زملاء لنا من الخريجين في جامعة بغداد ومن أبناء كركوك وكانوا كلا من الزملاء عادل ليلاني، أنيس شاكر حكيم، فريدون عثمان، نوزاد محمد وآخرون لا أتذكر أسماؤهم وربما يعذروني في ذلك لأن تقادم السنين وما آلت إليه موجودات بيتي في بغداد وما تحويه من أثاث وصور ودفاتر المذكرات بسبب استيلاء أجهزة الأمن عليه ومصادرتها في ربيع عام ١٩٧٤ اثر التحاقي وأسرتي بثورة أيلول الكبرى في آذار من العام نفسه.

في الاسبوعين الأولين من مكوثنا في كركوك انشغلنا بالاجتماعات المتواصلة وعقد الندوات الموسعة مع طلاب وطالبات المدارس واستطعنا اكتساح الساحة حيث عقدنا لقاءات مباشرة في اعداديات إمام قاسم و١١ آذار وكوردستان والتأميم وداري المعلمين والمعلمات مع الطلاب والطالبات، ومع إدارات المدارس معا ولقد انتبه الاتحاد الوطني لطلبة العراق والأجهزة الحكومية ومديرية التربية لذلك أزعجتهم تلك النشاطات. وفي تلك الفترة أتصل بي أحمد العبيدي مسؤول فرع الاتحاد الوطني لطلبة العراق في كركوك واقترح علي عقد لقاء ثنائي معي حيث دعاني الى عقد اللقاء في مقرهم، لكنني رفضت ذلك بلباقة مقترحة بشأن مكان اللقاء بحجة عدم معرفتي بموقع مقرهم واقترحت عليه المجيء الى مقرنا أولا ثم عقد اللقاء الثاني في مقرهم وفي الموعد المتفق عليه زارنا بصحبة شخصين لم يبد على محياهما كونهما من الطلبة وكانا مسلحين بالمسدسات تحت سترتيهما، وطلب مني أحمد أن نكون لوحدنا لبحث بعض المسائل المتعلقة بالانتخابات لأنه حسب قوله وبموجب التوجيهات الصادر إليه من المكتب التنفيذي للاتحاد الوطني لطلبة العراق في بغداد عليه التنسيق معي لتجنب حدوث أية مشكلة وعندما أصبحنا لوحدنا قال لي بالحرف الواحد: إننا نراقب نشاطاتكم منذ مجيئكم الى كركوك وإن مسألة تواجدكم في كركوك أمر طبيعي ولكن هنالك إشكالات قد حدثت نحسب لها ألف حساب لقد تطرقتم عند لقائكم بطلبة إعدادية إمام قاسم وعلى مرأى ومسمع الطلبة والمدرسين جميعا ما معناه إنكم ترفضون مبدأ المشاركة معنا في الانتخابات وهذا يتناقض مع روح بنود بيان آذار وذكرتم في كلمتكم أمام طلبة

ومدرسي إعدادية إمام قاسم بأنكم ترفضون تقسيم مدينة كركوك الى قسمين قسم لنا وقسم لكم وشبهتم مقترحنا حول التقسيم بوضع مدينة برلين وقد ذكرت بأنكم لن تسمحوا بإقامة جدار برلين آخر في كركوك، وأكدت أكثر من مرة بأن مدينة كركوك وكذلك محافظة كركوك كوردية وكوردستانية وهذا أيضا يقف بالضد من روح بيان آذار التاريخي ولقد أخبرت الرفاق في بغداد بذلك وطلبوا مني إيضاحات أكثر.. والآن ماذا تقولون..؟

وعندما أنهى أحمد العبيدي حديثه معي إذ كان يتكلم كأحد منتسبي دائرة الأمن من حيث سلوكه الفظ وأسلوب كلامه، لكن ذلك لم يؤثر علي مطلقا، وبكل هدوء قدمت له سيكاره وأشعلت لنفسي سيكاره أخرى وبعد مرور لحظات بدأت حديثي وقلت له: أهلا بك في مقرنا ومن باب الضيافة لا استطيع أن أرد عليك بنفس الأسلوب وكل ما عندي أوجزه بهذه النقاط فأولا وقبل كل شيء نعتبر كركوك قلب كوردستان وكذلك الأقضية والقصبات التابعة لها وهذا لا يتناقض مع روح اتفاقية آذار وان الإحصاء السكاني المزمع إجراؤه مستقبلا سيؤكد ذلك وإذا لم يبق كوردي واحد كما أكد سيادة البارزاني قبل وبعد توقيع الاتفاقية فستبقى كركوك كوردستانية الى الأبد، وثانيا ان ما ورد على لساني بشأن مبدأ التقسيم أي تقسيم كركوك الى منطقتين انتخابيتين واحدة لكم وواحدة لنا فهذا مرفوض أساسا لأننا نعتبر ذلك من الأساس تفريطا بحقنا، ولا يمكن القبول به، ثالثا أما عن مبدأ المشاركة أي النزول بقائمة واحدة معا فلقد رفضناها في بغداد وأعلمنا المكتب التنفيذي بذلك لأن اقتراحاتكم تقف بالضد من كوننا أصحاب الدار ولقد أردتم بذلك أن تفرضوا علينا الوصاية وتعرفون بأننا قمنا بثورتنا المسلحة قبل تسع سنوات لأن غيركم أراد فرض وصايته علينا وأخيرا فإننا نرحب بالتعاون وعدم إثارة المشاكل وإجراء الانتخابات في جو من الهدوء والطمأنينة. وعند الانتهاء من كلامي لم يتمالك العبيدي أعصابه وقال لي: (سترون النتيجة) حينئذ بادرته بقولي: (النتيجة مضمونة لنا).

لم التق بأحمد العبيدي ثانية إلا في أول مساء من الاسبوع الثالث من تواجدي في كركوك حيث أخبرني السيد رشيد عارف الأتروشي هاتفيا في حوالي الساعة الثامنة صباحا بأننا (رشيد عارف وكاتب السطور) مدعوان للقاء غانم عبدالجليل محافظ

كركوك آنذاك لأمر هام وطلب مني الالتقاء به في مقر الفرع الثالث قبل التوجه الى مكتب المحافظ وعند لقائي بالأتروشي اتفقنا على جملة من الأمور وتوحيد الآراء بشأن ما كان يدور في مناطق مختلفة من المحافظة حول ممارسة الضغوطات من قبل إدارات المدارس وعناصر من طلاب الاتحاد الوطني على الطلبة بصورة عامة، وعلى الطلبة المسيحيين والتركمان بصورة خاصة.

في الساعة العاشرة كنا على موعد مع محافظ كركوك وحال دخولنا مكتبه شاهدت ثلاثة من الطلبة التركمان كانوا قد اتخذوا أماكنهم بالقرب من المحافظ وعرفت في الحال بأنني واقع في مقلب وعلي تداركه بسرعة لأنني وبحكم مسؤوليتي كنت أتصل منذ وصولي الى كركوك بممثلي المجاميع الطلابية من الشيوعيين والطلبة التركمان والمسيحيين للاتفاق على صيغة مقبولة من الترشيحات ومشاركتهم في قائمة اتحاد طلبة كوردستان، وصادف ان كان قد تم لقاء بيني وبين ثلاثة من طلبة التركمان (نجاح، فيصل، حسين) ولا أتذكر أسماء آبائهم في دار الزميل (نوري قارداش) في محلة اسكان في الليلة السابقة من لقائنا مع المحافظ وقد اتفقنا معهم وبصورة نهائية على تمثيلهم في قوائمنا وبنسب معقولة وبرضاء الطرفين لقد أخذني العجب وأنا مع الأخ الأتروشي ندخل مكتب المحافظ عندما رأيت (نجاح وفيصل وحسين) جالسين على الأرائك قرب منضدة المحافظ وكأنهم كانوا على معرفة سابقة به. لكن مع ذلك صافحتهم واحدا تلو الآخر واتخذنا مكاننا معا، وبدون مقدمات وبشيء من الجدية تكلم المحافظ حيث دار الحوار التالي بيننا:

المحافظ (غانم عبدالجليل): شوف كاكه فرهاد بنود بيان آذار واضحة للعيان وينص البند الخامس منه على حقكم بتشكيل المنظمات الجماهيرية، وأن تكون تلك المنظمات عضوة في المنظمات المركزية ولم يتضمن منحكم الحق بالتحايل علينا وتوريط الآخرين وكسبهم الى جانبكم في معاداة السلطة الوطنية، وإنكم ومنذ مجيئكم الى كركوك قد سببتم نوعا من البلبلة في الوسط الطلابي ويوميا نسمع عن خروقات تحدث هنا في كركوك ويوم آخر في كفري وكذلك في طوز و دوبز وليلة أمس اجتمعتم مع نجاح وفيصل وحسين لغرض ضمهم إلى قائمتكم وهذا يخالف الاتفاق وبمقدورنا وضع حد لهذه النشاطات التخريبية بطرق أخرى، لكننا لا نريد أن نخدش روح بيان آذار

وان سبب دعوتكما إلى ديوان المحافظة هو تنبيهكما حول هذه التجاوزات والخروقات التي تحدث هنا وهناك وكل ما نرجوه من الصميم أن تجري الانتخابات بدون حدوث مشاكل وهذا يتوقف عليكم أولا وأخيرا.

وبعد انتهاء المحافظ من كلامه، رد عليه الأخ الأتروشي بكلام أقوى وقال: (إننا لم نأت إلى هنا لأخذ النصائح وتلقي التهديدات، وإننا على ثقة تامة بالأخ فرهاد وحسن تصرفه وإن مجيئه إلى كركوك نابع من حرصنا على إجراء الانتخابات بصورة هادئة أما عن بقية الاتهامات فأتركه لفرهاد للرد عليه).

شكرت الأخ الأتروشي باللغة الكوردية على رده بذلك الأسلوب الحازم بعدئذ وجهت كلامي إلى المحافظ حيث قلت له: اتفاقية آذار جاءت نتيجة كفاح الشعب الكوردي بعد فشل الحلول العسكرية وإنها ليست منة ولا صدقة من أحد وان الاتحادات والمنظمات الكوردستانية موجودة منذ سنين وقد تشكلت قبل تأسيس الجمهورية العراقية وان المادة الخامسة من الاتفاقية والتي تنص على تشكيل الاتحادات لا تعني عدم وجود هذه الاتحادات قبل الاتفاقية وإنما الاتفاقية أعطت الطابع الرسمي وإجازات عمل هذه الاتحادات علنا، ثانيا لم يكن ولن يكون التحايل أسلوبنا في التعامل مع الآخرين ولم نورط أحدا وعملنا مكشوف وعندما لم نتفق في بغداد مع الزملاء في المكتب التنفيذي للاتحاد الوطني لطلبة العراق على النزول بقائمة مشتركة كوننا لم نؤمن بالصيغة المطروحة من قبلهم واتفقنا على إجراء الانتخابات في محافظة كركوك، وبعض الأقضية الكوردية في محافظتي ديالى والموصل بصورة تنافسية وان التنافس يمنح الجهتين على قدم التساوي بالدعاية وكسب أكبر عدد ممكن من الطلاب لصالح قائمته وإن مجيئي إلى كركوك لم تكن الغاية منه تعكير صفو الأمن أو التشويش على إجراء الانتخابات وإنما جاء للإشراف المباشر من قبلي كوني السكرتير العام لاتحاد طلبة كوردستان تجنبا لحدوث أية مشكلة ومن حقي الالتقاء بالطلاب وعقد الندوات والالتقاء بإدارات المدارس بصورة اعتيادية، أما عن مأخذكم على لقائي بهؤلاء (وقد أشرت إلى الطلبة الثلاثة الموجودين في مكتبه) فإننا أحرار بمن نلتقي ومع مع نتفق، في ليلة أمس تم لقاء بيني وبين هؤلاء الثلاثة واتفقنا على صيغة مقبولة ولم يمض أكثر من عشر ساعات وها نحن نراهم هنا وكما هو واضح فقد أثرتم عليهم وتم كسبهم إلى

جانبكم وهذا لا يستفزنا، بالأمس كانوا معنا واليوم معكم، فالناس أحرار فيما يختارون فلماذا حلال لكم وحرام علينا؟ وأما عن مسألة الخروقات والتجاوزات فأرجو أن تدلني على واحدة منها وأكون شاكرا في الوقت الذي أحمل معي من معلومات حول عشرات الخروقات التي حدثت من جانبكم والتي تتمثل في تهديد الطلبة وأولياء أمورهم حيث وصل الأمر بأعضاء الاتحاد الوطني لطلبة العراق في إعدادية الرياض وطوز خورماتو بالضرب علنا لبعض من طلابنا وهذا ما يتناقض مع روح اتفاقية آذار وإن السلطة هي المسؤولة عن توفير الأجواء المناسبة لإجراء الانتخابات في الوقت الذي لا أتحمل أنا ولا اتحاد طلبة كوردستان مسؤولية تعكير الجو العام لأنكم صاحب الأمر والنهي في محافظة كركوك وإننا حريصون كل الحرص على أن تجري الانتخابات في جو يسوده الأمان والحرية.

وعندما انتهيت من كلامي التفت رشيد الأتروشي نحوي وقال لي بالكوردية (خوش محاضرة بارك الله فيك)، وبعدها لم نر (الأخ الأتروشي وأنا) ضرورة البقاء أكثر في ديوان المحافظة حيث قال الأتروشي للمحافظ: (بإذن الله كل الأمور تجري على خير ما يرام ونستأذن) وحال رجوعي إلى مقر فرع اتحاد طلبة كوردستان شرعت بكتابة رسالة مطولة للسيد سامي عبدالرحمن ومكتب السكرتارية حول لقائنا مع المحافظ وما دار فيه مع شرح واف للمناخ السياسي في كركوك عشية التحضير للانتخابات.

بعد مرور يومين أو ثلاثة وبينما كنت في مقر الاتحاد جاءني مسؤول لجنة محلية دوبز صباحا (وللأسف لا أتذكر اسمه) والقلق باد على وجهه وحدثني عن خروقات فاضحة لقائممقام القضاء بشكل كانت تؤثر على نتيجة الانتخابات في قضاء دوبز حيث كان يوجد صف واحد مشمول بالانتخابات وهو الصف الرابع الثانوي في ثانوية دوبز وكان عدد طلاب الصف الرابع ستة عشر طالبا عشرة طلاب منهم كانوا أعضاء في اتحاد طلبة كوردستان والستة الآخرون كانوا عربا ومن غير أهالي المنطقة أعضاء في الاتحاد الوطني لطلبة العراق لذا كنا نتفوق عليهم عددا بأربعة طلاب، مما حدا بالسلطة لإصدار أوامر إدارية وبتوقيع المحافظ وبناء على المصلحة العامة (كما كان مكتوبا في الأمر الإداري) بنقل خمسة من فنيي وعمال الكورد في منشأة الكهرباء ومنشآت أخرى إلى خارج قضاء دوبز مشروطة بنقل عوائلهم معهم خلال ثلاثة أيام مع

وجود إيعاز في صورة نسخة من الكتاب المذكور إلى إدارة ثانوية دوبز بنقل الطلاب الخمسة (أبناء العمال المنقولين) وترقين قيدهم في الثانوية المذكورة إلى مدارس في مناطق أخرى نقل إليها أولياء أمورهم وكانت نتيجة ذلك الإجراء حدوث خلل كبير في ميزان الانتخابات في قضاء دوبز لصالح مرشحي الاتحاد الوطني لطلبة العراق أي أصبح ستة مقابل خمسة من طلابنا.

حال سماعي لهذا الخبر توجهت إلى مقر الفرع الثالث للبارتي وأخبرت الأخ عزيز عقراوي بتفاصيل قضية ثانوية دوبز، وبعد سماعه للخبر انفعل للغاية وحرر برقية على الفور إلى مقر سيادة البارزاني والمكتب السياسي بالتشاور مع رشيد الأتروشي وأنا، وأوعز للأتروشي وكاتب هذه السطور بالتوجه حالا إلى قضاء دوبز ومواجهة قائممقام القضاء والإطلاع على خفايا الأمر بينما توجه هو للالتقاء مع محافظ كركوك. وفي الطريق حيث كنا نتوجه إلى دوبز بسيارة الأتروشي من نوع لاندروفر وكان يرافقنا أربعة من أفراد البيشمركه المسلحين ببنادق من نوع كلاشنكوف، قال لي الأتروشي: (سأقلب الدنيا على القائممقام وألقنه درسا لن ينساه) عندئذ حاولت قدر المستطاع تهدئة الأتروشي وقلت له: إن القائممقام ليس مسؤولا عن هذا الإجراء الأخرق وإنه (أي القائممقام) ينفذ أوامر المحافظ وليس بمقدور القائممقام إصدار مثل هذه الأوامر وإن هذا الإجراء يأتي ضمن تطبيق سياسة مركزية في محافظة كركوك، وإن البعث لا يطيق فوز اتحاد طلبة كوردستان فيها لأنه يعطي مدلولات كبيرة عن واقع كركوك وكوردستانيتها خاصة وإن هناك نية لإجراء عملية الإحصاء السكاني مستقبلا، وإنهم في سباق مع الزمن لطمس حقائق إحصاء عام ١٩٥٧ والتي توضح واقع كركوك القومي.

حال وصولنا إلى دوبز توجهنا إلى القائممقامية وأوعز الأتروشي قبل دخولنا المبنى إلى رجال البيشمه ركه الأربعة بأن يكونوا حذرين لمجابهة أي طارئ قد يحدث!

لم يكن قائممقام قضاء دوبز على علم بتوجهنا إليه ولقد تفاجأ بمظهر الأخ الأتروشي وهو بملابسه الكوردية متمنطقا بمسدس وبادرنا بالسلام عليه ولم يكن مرتاحا وهذا ما بدا على ملامحه، وقد انتهز الفرصة وخرج من غرفته قبل أن نبدأ بالحديث عن الغرض من زيارتنا وكان سبب خروجه على ما اعتقدنا هو التأكد من

وجود أفراد البيشمركه خارج الغرفة وتنبيه عناصر شرطة القائممقامية للاستعداد لمجابهة أي طارئ قد يحدث وبرجوعه بادره الأخ الأتروشي بالسؤال عن ملابسات نقل خمسة من عمال الكهرباء إلى خارج القضاء مشروطة بنقل عوائلهم وأبنائهم الطلبة معهم خلال ثلاثة أيام، وبدا القاممقام متغطرسا حيث تحدث عن الموضوع وبدون مقدمات قائلا:

القائممقام: (العراق وطن واحد بشماله وجنوبه وإذا اقتضت المصلحة العامة فإننا نمارس سلطتنا دون مراعاة المسائل الصغيرة وإن نقل خمسة من عمال الكهرباء ليس بالحدث المهم ولا ينسف بيان آذار، العراق وطن واحد وشعب واحد وحكومة واحدة وعلينا إطاعة القوانين وقرارات مجلس قيادة الثورة وتعليمات القيادة، ويأخذني العجب عندما أراكم تركضون وراء الظل الكوردي وكأنكم من صلب شعب آخر).

الأتروشي: (وقد أخذه شيء من الحدة) حيث قاطع حديث القائممقام بصوت عال قائلا: إن سبب مجيئنا إلى هنا لم يكن بدافع سماع محاضرة جوفاء عن الوطنية ولسنا زراع بصل ولقد قمنا بالثورة من أجل الإنسان الكوردستاني ووطنه وإن نقل خمسة من العمال بهدف التأثير على انتخابات الطلبة حيث كنا نتفوق عليكم وقد نفوز فيها وهذا خلاف للقانون وروح اتفاقية آذار وعدم احترام الوعود بالإبقاء على الوضع الراهن لحين إجراء عملية الإحصاء السكاني كما هو متفق عليه. وهنا أراد القاممقام تلطيف الجو عندما وجه حديثه نحوي قائلا: ألا ترى يا أستاذ ان كاكه رشيد أخذ المسألة بجدية أكثر من حجمها؟

كاتب السطور: اتفق مع الأخ الأتروشي مائة بالمائة وهنا أريد إضافة نقطة أخرى على كلامه ومفادها لا يمكن القبول بهذا الإجراء وأؤكد لكم إن إجراء الانتخابات سيتوقف على معالجة هذه المسألة ولا نستطيع السكوت عنها وقد تبين لنا بأن هذا الإجراء جاء وفق خطة مركزية وإنه يتنافى مع روحية التحالف ولسنا مسؤولين عن فشل إجراء الانتخابات في حالة عدم إلغاء تلك الأوامر. وعندما أراد القائممقام مقاطعتي قاطعه الأتروشي بحدة وقال للقائممقام: (كفى عنتريات ولسنا مستعدين بعد لسماع المزيد من مثل هذا الكلام). لم ينطق القائممقام بحرف واحد ولم نودعه

وخرجنا من غرفته وهو واقف وراء منضدته وتوجهنا إلى سيارتنا وشرعنا بالرجوع إلى كركوك.

انشغلت في اليومين اللذين أعقبا ذهابنا إلى قضاء الدوبز مع الزملاء أعضاء الفرع ولجنة محلية كركوك لاتحاد طلبة كوردستان بما حدث من مستجدات الأمور وواصلت اتصالاتي مع الزملاء في مكتب السكرتارية وبدورهم مع السيد سامي عبدالرحمن وأعلمتهم أولا بأول بما كان يحدث من خروقات وانتهاكات سواء كانت من الأجهزة الحكومية أو تنظيمات الاتحاد الوطني لطلبة العراق أو ضغوطات مدير تربية كركوك (اعتقد كان اسمه عزالدين محمد علي السردار-عضو شعبة في حزب البعث وهو من الموصل-) وقد نبهت مكتب السكرتارية في إحدى اتصالاتي التلفونية بإعلام الأخ سامي عبدالرحمن بأنه ليس باستطاعتي الوقوف بوجه تلك الحملة المنظمة والتي كانت تشارك فيها الأجهزة الحكومية (دوائر الأمن والتنظيمات الحزبية لحزب البعث وفرع الاتحاد الوطني لطلبة العراق ومديرية تربية كركوك) ككتلة واحدة بالضد من نشاطات اتحاد طلبة كوردستان حيث كان محافظ كركوك غانم عبدالجليل يترأس الحملة المذكورة وقد قلت لهم أيضا ان مسؤول الفرع الثالث للبارتي عزيز عقراوي ورشيد عارف الأتروشي يشاركاني الرأي حول إصدار بيان باسم فرع كركوك لاتحاد طلبة كوردستان حول تلك التجاوزات والانتهاكات التي كانت قد حدثت في أنحاء متفرقة من محافظة كركوك.

في نهاية الاسبوع الأول من شهر تشرين الثاني عام ١٩٧٠ وبينما كنت منهمكا في مقر فرع كركوك لاتحاد طلبة كوردستان وإذا بمكالمة تلفونية من الزميل جلال خوشناو عضو مكتب سكرتارية الاتحاد تعلمني بأن السيد سامي عبدالرحمن سيحضر مع مرتضى الحديثي عضو مجلس قيادة الثورة وسكرتير لجنة شؤون الشمال آنذاك الى كركوك عصر ذلك اليوم لعقد اجتماع موسع مع الطلبة وبحضور هيئة فرعي الاتحاد الوطني لطلبة العراق واتحاد طلبة كوردستان واللجان الاتحادية في المدارس المشمولة بالانتخابات للطرفين في نادي نقابة عمال النفط القريب من ساحة الطيران في كركوك وطلب مني الزميل جلال الاستعداد لطرح كشوفات الانتهاكات

والتجاوزات، وقد أعلمت الزميل جلال خوشناو بأن المعلومات وبتفصيل دقيق متوفرة عندي ولا خوف على ذلك.

في الساعة الثالثة من عصر ذلك اليوم توجهت مع الأخ الأتروشي الى مكان الاجتماع وحال وصولنا التقينا أمام الباب الخارجي بالأستاذ سامي عبدالرحمن ومعه مرتضى الحديثي وهما ينـزلان من سيارتهما حيث صافحنا الأستاذ سامي بحرارة ولم يبد على ملامح الحديثي الارتياح حيث وجه كلاما لي وقال باللهجة العامية: (شغلتونه على خال بلاش) وعندما أردت الرد عليه لم يسمح لي الأستاذ سامي بإشارة منه حيث قال له: (علينا أن نتكاتف وبتعاون الجميع ستحل كافة المشاكل).

في القاعة المخصصة للاجتماعات والتي كانت مزدحمة بالطلاب وبوجود عناصر من الأجهزة الأمنية اعتلى الأستاذ سامي والحديثي وكاتب هذه السطور وأحمد العبيدي مسؤول فرع كركوك للاتحاد الوطني لطلبة العراق المنصة حيث بدأ الحديثي كلامه مشيرا الى (أهمية بيان آذار وحل مشكلة الشمال وتربص الدوائر الاستعمارية وأذنابها في المنطقة للإجهاز على البيان واستعداد السلطة الوطنية وحزب البعث العربي الاشتراكي للسير الى النهاية مع الحزب الديمقراطي الكوردستاني لتنفيذ بنود بيان آذار وعلى الجميع الالتزام بروحية التحالف بين الحزبين وعدم إفساح المجال أمام المخربين للنيل من البيان) وبعده مباشرة ألقى الأستاذ سامي عبدالرحمن كلمته مؤكدا على (أهمية اتفاقية ١١ آذار لحل المشكلة الكوردية سلميا وان الحزب الديمقراطي الكوردستاني برئاسة البارزاني لن يألو جهدا في سبيل تنفيذ بنود الاتفاقية. وأكد على أهمية (مدينة كركوك من الناحية السياسية والاقتصادية وشرح وجهة نظر البارتي حول المشاكل التي تجابه الحزبين بشأن كركوك والحلول المقترحة لها مؤكدا على نجاح تجربة الانتخابات الطلابية باعتبارها تجربة حضارية لاختيار الطلبة ممثليهم بكل حرية). وفي نهاية حديثه التفت نحوي قائلا: (أن اختيارنا الزميل فرهاد للتواجد في كركوك في هذه الفترة نابع عن حرصنا على معالجة الأمور بتروي ودون حدوث مشاكل)، واستغرق الاجتماع حوالي ساعة واحدة، وفي نهاية الاجتماع أكد الطرفان على التكاتف ودعا الطلاب لتحمل المسؤولية وعدم تضخيم المشاكل الصغيرة، وحال الانتهاء من الاجتماع مع الطلاب توجهنا (سامي عبدالرحمن ومرتضى

الحديث ورشيد الأتروشي، وأحمد العبيدي وكاتب هذه السطور) الى غرفة الإدارة حيث كان بانتظارنا مدير أمن كركوك الذي كان اسمه (قاسم) وبرتبة عقيد. وخلال توجهنا الى غرفة الإدارة انتهز الأخ سامي عبدالرحمن الفرصة حيث قال لي بالحرف الواحد: (تكلم بصراحة عن كل ما عندك من معلومات حول التجاوزات والانتهاكات التي حدثت منذ تواجدك في كركوك) وبعد أن اتخذنا مكانا في غرفة الإدارة بدأ الحديثي بالكلام مع الأستاذ سامي:

أبو صلاح، (ويقصد الأستاذ سامي) لم نلمس وجود مشاكل بين الطلاب ويتبين بأن الأخ فرهاد بالغ في تصوير الواقع وأرجو منك اختيار زميل آخر من قيادة اتحاد طلبة كوردستان بدلا عنه لأنه وحسب معلوماتنا قد تجاوز حدوده حيث أنه يتدخل في كل صغيرة وكبيرة وحتى في أمور دوائر الدولة وكذلك نلقي اللوم على بعض تصرفات كاكه رشيد الأتروشي بشأن إطلاق التهديدات أينما كان وقد أعلمنا محافظ كركوك قبل يومين ببرقيته الى لجنة السلام عما دار في قضاء دوبز وكذلك محاولتهما للتأثير على الطلبة التركمان والمسيحيين وعقد الاجتماعات العامة مع الطلاب أثناء الدوام الرسمي في المدارس وكل ما نرجوه الكف عن هذه النشاطات وعدم التدخل في شؤون دوائر الدولة والضغط على إدارات المدارس.

سامي عبدالرحمن: تحدثنا مساء أمس في لجنة السلام عما يدور هنا في كركوك وإننا نعتمد على معلومات فرهاد اعتمادا كاملا وقد جئنا حسب الاتفاق الى كركوك لتدارك الأمور والسيطرة على المشاكل ومعالجتها وبإمكان فرهاد تنويرنا بالمعلومات التي لديه.

كاتب السطور: لم نأت الى كركوك لإثارة المشاكل وإنما جئنا الى هنا بقرار من مكتب السكرتارية وقد كلف زملاء آخرون من المكتب واللجنة التنفيذية لاتحاد طلبة كوردستان للإشراف على الانتخابات في المحافظات الكوردستانية وكان نصيبي محافظة كركوك ومنذ مجيئي وأنا أحاول السيطرة على الوضع لأن تنظيمات الاتحاد الوطني ومديرية التربية والأجهزة الحكومية تعمل جاهدة على تهميش دور اتحاد طلبة كوردستان في الوسط الطلابي وبمختلف الأساليب الملتوية ولدي قائمة طويلة حول الانتهاكات وكان آخرها نقل خمسة من عمال الكهرباء من قضاء الدوبز وترقين قيد

أبنائهم من الطلبة لغرض الإخلال بميزان التنافس في القضاء (وفي هذا الأثناء حاولت قراءة الفقرات المدونة عندي بالتفصيل حول تلك الخروقات والانتهاكات التي حدثت). لكن الحديثي عندما شعر بجديتي حول قدرتي إظهار تلك المعلومات وبالحقائق الدامغة، قاطعني قائلا: (ليس لدينا الوقت الكافي وسنعود الى بغداد حالا سنبحث الموضوع في لجنة السلام ونوافيكم بالنتيجة وستتحمل يا فرهاد أنت بالذات أية مشكلة تحدث في كركوك).. وفي الحال أجبته بالحرف الواحد: (أنا لست سلطة هنا وان الأجهزة الحكومية والاتحاد الوطني لطلبة العراق في كركوك يتحملان المسؤولية لأنهما السلطة)، وأثناء توديعنا لهم حذرني الأستاذ سامي من الذهاب والإياب وحدي وانتظار ما يرسله هو من تعليمات في القريب العاجل ولم يمر سوى ثلاثة ايام على زيارتهم وإذا بنداء تلفوني من الزميل يوسف مولود القصاب عضو مكتب السكرتارية يعلمني بالعودة حالا الى بغداد بناء على توجيهات الأستاذ سامي عبدالرحمن لأمر هام.. وحال وصولي الى بغداد عصرا توجهت في الحال الى حي الوزيرية حيث كان فيه مقر اتحاد طلبة كوردستان وهنالك شاهدت الزملاء أنور عبدالله رئيس الاتحاد وكلاً من الزملاء عبدالقادر حمد أمين وجلال خوشناو ويوسف مولود القصاب وعادل فاضل ليلاني ورنج نوري شاويس أعضاء مكتب السكرتارية ينتظرون عودتي الى بغداد وعلمت منهم بأن النية تجري لتأجيل الانتخابات كما أعلمهم بذلك الأستاذ سامي، ولم يمض سوى نصف ساعة على وجودي في مقر مكتب السكرتارية وإذا بالأستاذ سامي يتصل بالمكتب هاتفيا ويستفسر عن وصولي الى بغداد وحينئذ ناولني الزميل أنور عبدالله السماعة حيث قال لي الأستاذ سامي (عندنا اجتماع في مقر لجنة السلام حول موضوع الانتخابات وأحضر أنت وأنور عبدالله وعبدالقادر حمد أمين في المكان والزمان المحددين) وقبل الموعد المحدد بربع ساعة كنا (أنور، وعبدالقادر وأنا) في سيارة الاتحاد من نوع فولكا موديل ١٩٧٠ رصاصية اللون حيث كان يقودها يوسف القصاب نتوجه الى المكان المحدد ونتداول في شأن الاجتماع المرتقب وقبل الموعد بحوالي خمس دقائق كنا أمام بناية لجنة السلام وترك لنا يوسف السيارة للعودة بها وغادر هو في سبيله بينما دخلنا نحن الثلاثة البناية التي كانت عبارة عن منزل اعتيادي في أحد الشوارع الفرعية القريبة من شارع أبي نؤاس الشهير وحال دخولنا الى البناية كان

عثمان فائق الذي كان يقوم بمهمة إدارة وتنظيم سكرتارية لجنة شؤون الشمال واقفا في أحد أطراف الحديقة الأمامية للبناية وحين لمحنا أشار لنا بالتوجه الى إحدى الغرف حيث كان يتواجد فيها أثناء دخولنا إليها الزميلان كريم الملا رئيس المكتب التنفيذي للاتحاد الوطني لطلبة العراق ومحمد دبدب سكرتير الاتحاد الوطني لطلبة العراق آنذاك ورحبا بنا كثيرا حيث كنا قد أصبحنا أصدقاء بعد المناخ الذي ساد الوضع السياسي بعد اتفاقية آذار وقد انشغلنا بمواضيع جانبية ولم يتطرق أحدنا عن أسباب حضورنا ولا عن المشاكل التي جابهتنا فيما يتعلق بالانتخابات.

وبعد مرور حوالي ساعة من الزمن وإذا بعثمان فائق يدخل غرفتنا ويطلب منا الانتقال الى غرفة أخرى حيث كان فيها الاجتماع منعقدا، كانت الغرفة فسيحة نوعا ما وعلى شكل حرف (L) مؤثثة بأثاث أنيق يضم طاقمين من القنفات ذات لون قهوائي داكن مع منضدة اجتماع مستطيلة الشكل وحواليها أعداد من الكراسي الخشبية وكانت الصورة الوحيدة المعلقة في الغرفة هي صورة أحمد حسن البكر رئيس الجمهورية آنذاك باللونين الأبيض والأسود وعندما ألقينا السلام أشاروا لنا بالجلوس على الكراسي الخشبية ولأول وهلة شعرت بأن جو الاجتماع لم يكن طبيعيا وكان كل من السادة مرتضى الحديثي وسعدون غيدان وطه الجزراوي متخذين أماكنهم في الجهة المقابلة التي كان يجلس فيها كل من الشهيد دارا توفيق والمرحوم نوري شاويس وسامي عبدالرحمن وفي صدر الغرفة كانت توجد منضدة متوسطة الحجم وعليها مجموعة من الأضابير والأوراق وقد تبين بأنه كان مكان عمل عثمان فائق ولم تمض دقائق معدودة وإذا بمرتضى الحديثي يوجه كلامه لي قائلا:

(كنا نأمل أن تجري الانتخابات في جميع أنحاء القطر بشكل هادئ ودون حدوث المشاكل وقد اتخذت جميع الترتيبات من أجل إنجاحها ولكن ومع مزيد من الأسف حدثت بعض المشاكل الطفيفة في كركوك وخانقين ولا نريد إلقاء اللوم تحديدا على أي طرف وان كانت لدينا المعلومات وهذا ما تداولناه قبل مجيئكم ولقد توصلنا في النهاية إلى اتفاق وقرار حول تأجيل الانتخابات لمدة شهر حفاظا على روح وسمعة بيان آذار ولكي نتدارك الأمور أمام شعبنا وكأننا لسنا متفقين على كل هذه الأمور في الوقت الذي أمامنا مهمات أكبر وتنفيذ الالتزامات المتقابلة ومنذ الآن لن نسامح أحدا

عند افتعال المشاكل وعليكم أنتم أصحاب القضية وبالأخص المكتب التنفيذي للاتحاد الوطني ومكتب السكرتارية لاتحاد طلبة كوردستان التعاون من أجل إنجاح الانتخابات).

نوري شاويس: علينا تشخيص المشاكل أولا وبحضور الإخوان من الطرفين ثم وضع حلول لها ومعالجتها حتى لا تتكرر الأخطاء والتجاوزات.

دارا توفيق: عند إطلاعي على البرقيات المرسلة من قبل محافظ كركوك وقائمقام خانقين وما نملكه من معلومات يتبين بوضوح أن هناك تدخلا مباشرا من قبل الأجهزة الحكومية وهذا ساهم في تعقيد الأمور كثيرا.

سعدون غيدان: وجه كلامه مباشرة لي قائلا وبدون مقدمات: من علمك بكوردية كركوك؟!.

كاتب السطور: والدي عندما كنت صغيرا وحزبي عندما انتميت إليه لاحقا.

سامي عبد الرحمن: موجها كلامه لسعدون غيدان قائلا: أبو سمرة يبدو إنك تريد امتحان فرهاد.

طه جزراوي: ووجه كلامه لي أيضا وسألني : في أية منطقة من كركوك توجد مشاكل؟.

كاتب السطور: في جميع أنحاء المحافظة بصورة عامة وفي قضاء الدوبز بصور خاصة.

طه جزراوي: كم عدد طلاب ثانوية دوبز؟

كاتب السطور: ستة عشر طالبا.

طه جزراوي: من أجل عدد قليل من الطلاب تريدون تخريب العلاقة بين حزبينا؟!.

كاتب السطور: الأجهزة الحكومية هي التي أساءت التصرف ونقلت خمسة من عمال الكهرباء وقامت بترقين أسماء أبناءهم من الطلبة وهم في الصف الرابع الثانوي بقضاء دوبز.

طه جزراوي: خلي نذب عليه قنبلة ونخلص من هالمشاكل.

كاتب السطور: الإنسان أثمن رأسمال ونحن لا نقبل أن يتأذى طير في سماء كركوك فكيف أن نقبل بإلقاء قنبلة على ستة عشر طالبا؟

وهنا توقف الحديث وساد جو من الصمت في مكان الاجتماع ولاحظت حينئذ بأن مرتضى الحديثي انشغل بكتابة شيء ما على ورقة صغيرة وحال الانتهاء منها ناولها إلى طه الجزراوي حيث قرأها ثم ناولها بدوره إلى سامي عبدالرحمن الذي قرأها أيضا ثم وضع تلك الورقة في جيب سترته الداخلية ولم ينطق بشيء، ثم اقترح الحديثي مدة نصف ساعة كفترة استراحة لتناول الشاي والقهوة وتخصيص بعض الوقت لمداولة كل طرف على حدة، وعندما هممنا بترك الغرفة أمسك سامي عبدالرحمن بيدي وخرجنا معا باتجاه الحديقة ووقفنا تحت نخلة كانت وسط الحديقة حينئذ سألته (**ما هو فحوى الورقة التي ناولك إياها طه الجزراوي؟!**).

سامي عبدالرحمن: لماذا أنت مهتم بفحوى تلك الورقة؟.

كاتب السطور: فراستي تخبرني بأنها كانت تخصني.

سامي عبدالرحمن: أخرج تلك الورقة وناولني إياها وكانت مكتوبة بالحبر الأخضر ونصها ما يلي: (**لمعلوماتكم فرهاد عوني شيوعي ويريد تخريب العلاقة بيننا واقترح عدم إرساله إلى كركوك ثانية!!**) ربما استشف ذلك من قولي "الإنسان أثمن رأسمال" لأنها مقولة ماركسية.

وعند قراءتي لتلك الأسطر أخذني العجب من عقلية وتوجهات مرتضى الحديثي ومن سكوت سامي عبدالرحمن وعدم رده على ذلك أثناء الاجتماع حيث قلت له (**يا أستاذ لماذا لم ترد عليهم بوجودي؟!**).

سامي عبدالرحمن: (إنك مثلي...) وقد كنت على وشك الرد لكنني تريثت لأن الدفاع عنك بحضورك تكون نتيجته ضعيفة وقد قررت عند انتهاء فترة الاستراحة عندما نجتمع ثانية دون حضورك كيف سأرد عليهم وإنني استغرب أيضا من تصرف مرتضى، ألا يعرف إنك سكرتير عام اتحاد طلبة كوردستان وعضو متقدم في البارتي؟. اترك الأمر لي.

ولم نحضر نحن أعضاء مكتب السكرتارية والمكتب التنفيذي الاجتماع ثانية مع لجنة السلام وعند حوالي الساعة التاسعة مساء غادرنا البناية حيث أوصلني الزميلان أنور عبدالله وعبدالقادر حمد أمين إلى داري الكائنة آنذاك في منطقة كمب سارة بجانب النادي الرياضي الآثوري إذ كنت أسكن مع زميلي جلال خوشناو فيها وقد كان

ينتظرني هو عند رجوعي إلى الدار وبعد أن رويت له ما دار في الاجتماع قال لي (عليك بالحيطة والحذر).

وعندما تمددت في سريري تسمرت عيناي عل صورة القائد مصطفى البارزاني التي كانت معلقة قبالتي وقد قلت في سري: كيف يمكن لإنسان أن يدخل الخوف في قلبه إن كان مؤمنا بمستقبل شعبه إيمانا صادقا واختار بكامل إرادته الانخراط في معترك تجربة قاسية مؤمنا بها كثورة قادها رجل وأصبح أسطورة وكلماته كانت ما تزال ترن في أذني عندما التقيناه في داره المتواضع جدا في قرية ديلمان في ليل شتائي بارد قبل عشرة أشهر من ذلك التاريخ وبالتحديد في ٧/شباط/١٩٧٠ قبل التوقيع على اتفاقية آذار حيث قال لنا: (الكل يعلم أن كركوك كوردية وهي قلب كوردستان النابض ولن نقبل بأنصاف الحلول بشأن هذه المدينة ولن نتنازل عن شبر واحد من أرض كوردستان... وسأقابل ربي يوم القيامة مرفوع الرأس).

وفي الفترة التي أعقبت تأجيل الانتخابات لمدة شهر بسبب الانتهاكات والتجاوزات التي حصلت من قبل السلطة العراقية وأجهزتها المتعددة التي تعاملت مع القضية الكوردية ووقعت في أخطاء لم يكن بالمستطاع معالجتها مما أدت إلى النهاية إلى تنصل الحكومة من التزاماتها التي أقرتها اتفاقية ١١/آذار/١٩٧٠ والتي اختتمت فصولها بطرح مشروع هزيل من قبل الحكومة حيث لم تكن محافظة كركوك ضمنها مما حدا بقيادة ثورة أيلول أن ترفضه جملة وتفصيلا وفرض القتال من جديد على شعب كوردستان وكان ذلك فصلا آخر من فصول المساومات الرخيصة ونهايتها بقدر ما كانت محزنة ومأساوية لنا كانت وبالا على الآخرين وإلى يومنا هذا.

عدنا إلى كركوك بهمة أكبر حيث تفانى زملاؤنا في هيئة الفرع ولجنتها المحلية وكان يؤازرهم طلبة كركوك الكوردستانيون بحماس منقطع النظير وخاضوا الانتخابات في يوم خريفي بارد ولكنهم جعلوه ربيعا وسجلوا مأثرة كبرى حين فازوا في أغلب المراكز الانتخابية ضمن محافظة كركوك.

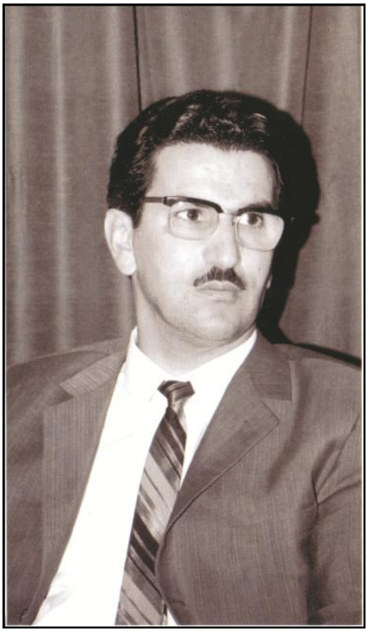

سامي عبدالرحمن عندما كان وزيرا لشؤون الشمال (١٩٧٠–١٩٧٤)

غانم عبدالجليل

مرتضى الحديثي

قلعة مدينة كركوك

رشيد عارف الاتروشي

كوردستان كانت حاضرة معنا في رومانيا قبل ٢٤ عاما! (*)

كانت مفاجأة طيبة عندما تقدم مني شاب وسيم في منتصف العقد الثالث من العمر في مطار بوخارست عاصمة جمهورية رومانيا الاشتراكية بعد أن حطت بنا طائرة (اليوشن) العاملة على الخطوط الجوية الرومانية عصر يوم ١٧/حزيران/١٩٧٣ أي قبل ٢٤ عاما قادمة من بغداد استجابة لدعوة كانت قد وجهت الى جريدة (التآخي) لسان حال الحزب الديمقراطي الكوردستاني من قبل الجريدة المركزية للحزب الشيوعي الروماني (سكانتيا) ضمن برنامج الجريدة المذكورة سنويا بدعوة عشرة الى اثني عشر صحفيا من مختلف بلدان العالم لزيارة رومانيا والتعرف على معالمها الحضارية ومشاهدة ربوعها الجميلة ذات الفصول الثلاثة (الربيع والشتاء والصيف) في مثل هذا الشهر من السنة كانت فبوخارست العاصمة تعيش حلتها الربيعية بينما كانت حرارة الصيف تؤرق مضجع النائم ظهرا في دار استراحة الضيوف لمدينة (ياش) الجنوبية في الوقت الذي يضطر زائري مدن الجبال (براشوف وسينايا) أخذ الاحتياطات اللازمة للوقاية من البرد وهذا مالم نفعله نحن (الشباب) آنذاك بعكس الأمير الكمبودي نوردم سيهانوك الذي صادفناه عند زيارتنا لأحد المعابد القديمة في قمة جبل (ستارتو) إذ كان يلف جسمه بمعطف ذي لون أسود بينما كانت الأميرة قرينته تضع على رأسها قبعة من الفرو الطبيعي بالإضافة الى معطف سميك مما جعلنا نختصر الزيارة ونعود الى المكان المهيأ لنا عند سفح الجبل لننعم ثانية بالدفء إذ كانت بناية الاستراحة مكيفة بأنابيب المياه الحارة في طوابقها الثلاثة.

وفعلا كانت المفاجأة هنا وأنا واقف أمام شباك ضابط الجوازات أنتظر إكمال الوافدين الإجراءات الأصولية بالنسبة للداخلين إلى هذا البلد والضابط المذكور يلوح بيده اليسرى لأحد الشبان الواقفين في يمين الطابور المتحرك وفي الحال اقترب مني

(*) نشر في مجلة (كَولان العربي) العدد ٩ في ٢٥ شباط ١٩٩٧.

شاب وبادرني بالعربية وبلهجة عراقية واضحة وتلفظ اسمي أولا ثم رحب بي كثيرا وقدم نفسه كمترجم يعمل في قسم العلاقات الخارجية في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الروماني وأخذني في الحال إلى كافتريا المطار لشرب قدحا من (الكابشون) وهو عبارة عن خليط من الدوندرمة وثمار نبات الشليك المطعمة بأوراق نبات النعناع، ذات النكهة الطيبة والموجودة بكثرة في مثل هذه الأماكن إذ تُقدم في أقداح من الكريستال الروماني لتضفى عليها نوعا من الجمالية وتجعل من الناظر إليها أن يسرع في تناولها وهكذا كانت البداية وكان مترجمنا (جورج مانسكو) الذي كان بانتظاري في القاعة الداخلية للمطار وهكذا قدم نفسه على أنه خريج قسم اللغة العربية في جامعة بغداد للسنة الدراسية ١٩٦٢-١٩٦٣، وكان يتكلم اللهجة البغدادية بإتقان واضح ويميل إلى السمنة وكان أشقر اللون أنيقا في ملبسه ويسجل الملاحظات في دفتر صغير وقال لي عندما كنا جالسين في المقعد الخلفي من السيارة المتجهة إلى مكان الاستراحة بأن له أصدقاء من بين كورد العراق وقد تعرف على الكثيرين منهم عندما كان طالبا في جامعة بغداد زاملهم خلال السنوات الأربع الدراسية وكان بين حين وآخر يتذكر اسما منهم ويستفسر عن مدى معلوماتي عنهم وبينما كان هو مستمرا في استفساراته الكثيرة على خلاف العادة كان تفكيري موزعا بينه وبين الإمعان في النظر إلى الشوارع والأبنية والمساحات المزروعة بأنواع من النباتات والأزهار الموسمية الملونة ذات التنسيق الهندسي البديع التي كانت تحلو للناظر التمعن أكثر وأكثر فيها إشباعا للعين التي لا تشبع من رؤية مثل هذه المناظر الخلابة وهكذا استمر المشوار إلى أن توقفت بنا السيارة في أحد الشوارع الفرعية العريضة وأمام بناية كبيرة ذات طابع كلاسيكي مبني بالقرميد والطابوق ذات اللون الأحمر الغامق ومغطاة في بعض زواياها بالنباتات المتسلقة. وحال وصولنا انفتح الباب الرئيسي ذو اللون الأسود المشبك على مصراعيه أمام سيارتنا وإذا بنا نرى حديقة غناء لا تقل مساحتها عن خمسة آلاف متر مقسمة إلى أشكال هندسية بديعة مطعمة بالعشرات من أنواع الورود ذات الألوان المختلفة تتخللها نافورات تنثر رذاذها على الزوايا والألواح الملونة أشبه بمرور الأنامل الناعمة على أوتار العود وهو يتسلل لتلك الأزهار التي أضفت جمالا وزادت من هيبة هذه التحفة المعمارية ذات الطوابق الثلاث والتي أخبرني (جورج) بأنها أي

البناية مخصص لضيوف الحزب الكبار فقط لكي لا يزعجهم مناخ الإقامة في الفنادق، وعند المدخل استقبلنا سيدة كانت في العقد السادس من العمر بيضاء اللون حلوة المعشر وتضع نظارة طبية في عينيها أنيقة المظهر ورشيقة القوام وتبادلت مع (جورج) بعض الكلمات بالرومانية وإذا بها تمد يدها مرحبة بنا بوقار واضح وعن طريق (جورج) علمت بأن السيدة تدعي (ماريا) وهي راعية ومديرة دار ضيافة الحزب وتشغل هذا المنصب منذ عشر سنوات وهي تتصف بالصرامة وحب النظام والنظافة ودقيقة في التعامل وتهتم بالتفاصيل وكانوا يسمونها (حفيدة ماركس) نظرا لجديتها وتفانيها في العمل وضبط هذا المرفق الحيوي، حيث كانت تعمل لمدة ١٤ ساعة يوميا إذ تباشر بعملها في الساعة الثامنة صباحا إلى العاشرة مساءا حيث توزع الأعمال وتعطي التوجيهات اللازمة وتشرف على المطبخ وتفتش أجنحة المنام وكانت في اهتمامها بالنظافة والنظام تبلغ حد التطرف وفي العاشرة مساءا كانت تأوي إلى جناحها المخصص للراحة والنوم وحينئذ يشعر العاملون بنوع من الراحة والحرية وبينما كنا نرتشف القهوة في مكتبها الفخم أخرجت مظروفا من إحدى فتحات الخزانة الخشبية وناولتها إلى المترجم وبدأت هي حديثها بأهمية هذه الزيارة وتمنت طيب الإقامة لنا وعندما انتهت هي من مقدمة الحديث استمر المترجم في شرح برامج الأسبوعين اللذين نقضيهما نحن الصحفيين الاثنا عشر في ربوع رومانيا شمالا وجنوبا وبعض المدن والمناطق والسواحل التي تهم الزائر وتتخللها ثلاثة لقاءات مهمة أولها تنظيم أمسية في نادي الصحافة الروماني حول (أهمية الصحافة ودورها المؤثر في الحياة السياسية) وثانيها (تعريف الضيوف بصحفهم التي يمثلونها لطلبة المعهد العالي للصحافة)، في حديقة معمل صنع النبيذ في مزرعة (مورتلافر) وآخرها تنظيم لقاء على سطح أحد البواخر في نهر الدانوب منطلقة من مدينة (تولجا) بين الضيوف ورؤساء تحرير الصحف والمجلات الرومانية حول أهمية تبادل الزيارات للصحفيين في البلدان المختلفة وأخبرت بأن برامج الزيارة ستبدأ في صباح اليوم التاسع عشر من حزيران وحال سماعي تفاصيل يوميات الزيارة الحافلة بالسفرات واللقاءات التي تتم بين ثنايا أوقات مدة الزيارة والتي تستغرق أسبوعين بعد إمهالنا يوما يسبق بداية الشروع في الجولة ذات الأربعة عشر يوما لأني لم أكن أتصور بأن هذه الزيارة ستكرس لعقد

لقاءات والحديث عن أمور ربما ستحتاج إلى معلومات وتفاصيل ضرورية بقصد التنوير والإطلاع ولكن الذي جعلني أتنفس الصعداء وجود أرقام هواتف وعناوين مجموعة من الزملاء والأصدقاء في فرع جمعية الطلبة الكورد في أوروبا ولحسن الحظ أيضا كان وجود ثلاث نسخ من كراس (مرشد الصحافة الكوردية) للكاتب والصحفي جمال خزندار ومجموعة من أعداد جريدتي (التآخي) و(برايه تي) وبعض المطبوعات الأخرى باللغتين الكوردية والعربية حول الكورد وكوردستان بحوزتي والتي ساعدتني كثيرا عند مراجعتي لها على عجل في اليوم الذي كان يسبق موعد عقد اللقاء الأول والذي حدد له الساعة الثالثة من عصر يوم ١٩٧٣/٦/١٩ وكما ذكرت سابقا في نادي الصحافة الرومانية القريب أيضا من مبنى اللجنة المركزية.

وقبل موعد اللقاء الأول بنصف ساعة كنت أدردش مع (جورج) المترجم حول كيفية الترجمة والاتفاق على جملة من الأمور التي من شأنها توضيح بعض المسائل المتعلقة بالقضية الكوردية وقبل إتمام حديثنا دخل الدكتور (يحيى حميد) والذي كنت قد تعرفت عليه سابقا في بغداد حيث كان يراسل (التآخي) من بوخارست وهو من النشيطين في جمعية الطلبة الأكراد – فرع رومانيا (شاب من مواليد ١٩٤٢ في مدينة كركوك وحائز على شهادة الدكتوراه في الأمراض النسائية مقيم في رومانيا ومتزوج من فتاة رومانية ويجيد اللغات الأجنبية منها الرومانية والإنكليزية) وعند دخوله المبنى لم أعرفه تماما ولكن ملامحه الكوردية كانت شاخصة للعيان وعرفني هو بنفسه أولا وقال لي إنه قد زار كوردستان بعد اتفاقية الحادي عشر من آذار ١٩٧٠ وأنه تذكر لقاءنا في مقر مكتب سكرتارية اتحاد طلبة كوردستان في بغداد، وفعلا كان مجيئه مصدر سعادتي نظرا لكونه مقيما في رومانيا ويجيد اللغة وله إلمام كاف بالقضية الكوردية ووعدني بأنه قد يأخذ إجازة من العمل طيلة بقائي خدمة لقضيتنا في هذه اللقاءات والتي تحضرها، بالإضافة إلى الصحفيين الضيوف جمهرة من الكتاب والصحفيين الرومان.

وهكذا كنا الداخلين إلى كافتريا نادي الصحافة الروماني وكان في الاستقبال رئيس تحرير صحيفة (سكانتايا) ونقيب الصحفيين الرومان ومدير نادي الصحافة وخمسة من المترجمين بلغات مختلفة وتم التعارف وشعرت من أول وهلة باهتمامهم غير

الاعتيادي بي وبعد تبادل كلمات الترحيب المعتادة همس رئيس تحرير (سكانتايا) ببعض كلمات للدكتور (يحيى) وعند الترجمة عرفت منه بأننا سنكون موضع اهتمامهم وقال فيما بعد (بأن الرفيق أوردو) عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الروماني ومسؤول العلاقات الخارجية فيها أوصاهم بنا خيرا وأخبرنا بأن الأستاذ (حبيب محمد كريم) السكرتير العام للحزب الديمقراطي الكوردستاني آنذاك سيكون ضيفهم أيضا وسيصل خلال أيام ويكون مقر إقامته كذلك في دار ضيافة الحزب وهكذا بدأ الضيوف بالحضور إلى هناك وحصل التعارف بيننا وفي الساعة ٣:٣٠ دخلنا القاعة المخصصة للقاء.

كانت قاعة الاجتماع دائرية الشكل وثلاث أرباعها مثبت فيها الكاونترات على شكل أنصاف دوائر وأمامها كانت المنصة نصف دائرية مرتبة بشكل أنيق وكان اللون الكاكاوي الفاتح هو الغالب على أثاث ولون القاعة تتوسطها صورة كبيرة وملونة لـ(شاوشيشكو) ومزودة بالميكروفونات وأمام كل مقعد كانت هناك دفاتر للملاحظات وقنينة مياه معدنية للشرب. وبدأت فقرات اللقاء بكلمة قصيرة لرئيس تحرير صحيفة (سكانتايا) مرحبا بالضيوف وبالحضور واضح بأن الغرض من تنظيم هذه الزيارة هو تبادل المعلومات والإطلاع المتبادل على أوضاع الصحافة ودورها المؤثر في الحياة السياسية، وشكر الضيوف على تلبيتهم لدعوة (سكانتايا) بزيارة رومانيا وتمنى طيب الإقامة لهم ثم فسح المجال بعدة عدة دقائق لكي تأخذ فقرات اللقاء بالتواصل مما حدا بمدير نادي الصحافة أن يتخذ مكانه على المنصة ومناداة الضيوف تاركا لكل واحد منا مدة نصف ساعة كأقصى حد للحديث عن الموضوع وهكذا إلى أن جاء دورنا وحسبما أتذكر كان دوري في التسلسل الرابع وقد كنت مأخوذا بجو القاعة وحضورها وكنت إلى حد ما مرتبكا وأنا أسير في طريقي إلى المنصة وحال وصولي إليها تمالكت نفسي وكان إلى جانبي المترجم الروماني (جورج) وبأت حديثي بمقدمة تعريف لصحيفتي (التآخي) و(برايه تي) بصورة موجزة ثم أبرزت للعيان بيدي اليسرى مرشد الصحافة الكوردية المكتوب باللغات الكوردية والعربية والإنكليزية وقلت بما معناه (قبل ٧٥ سنة صدرت أول صحيفة كوردية في بلاد الغربة وفي مدينة القاهرة عاصمة مصر وبعدها انتقلت إلى مدينة جنيف ثم مرة أخرى إلى القاهرة وبعدها

إلى لندن ثم فولكستون ثم إلى مدينة جنيف مرة أخرى) أتعرفون لماذا أيها السادة الحضور؟ وعند الترجمة ساد القاعة صمت مطبق وأنا مسترسل في كلامي وقلت (إن مساحة كوردستان الكبرى تساوي مساحة فرنسا وتعداد سكانها يربو على ٢٥ مليون نسمة وشعبنا مستمر في ثوراته وانتفاضاته منذ مئات السنين ولكن وإلى هذه اللحظة لن تجدوا أسم (كوردستان) لا على الخرائط ولا على الأطالس السياسية والطبيعية ولكن مع هذا نحن مستمرون في إصدار المجلات والجرائد منذ سنة ١٨٩٨ أما في الغربة أحيانا وأما في الجبال وأما في الدهاليز المظلمة أحيانا أخرى والسبب في ذلك لأننا ننتمي إلى عالم غير عالمكم ونعيش ظروف سياسية ليست هي ظروفكم ولأننا شعب نعيش في وطن مجزأ على عدة دول بدون كيان سياسي ظلمنا التاريخ والجغرافية وظلمتنا المصالح الدولية ظلمنا الرجعي وكذلك ظلمنا التقدمي وظلمنا الشرق وظلمنا الغرب عن سابق إصرار وإلى يومنا هذا. ولكن مع هذا سنستمر في النضال إلى تجد صحفنا مناخها الطبيعي وعندئذ سندعوكم إلى بلاد كوردستان لكي تتعرفوا على واقع شعبنا وظروف إصدار صحفنا وتأثيراتها في الحياة السياسية الكوردية.

وما أن انتهيت من كلامي حتى بدأ الحضور بالتصفيق كثيرا وتبين بأنهم بعد ترجمة الكلمات إلى الإنكليزية والرومانية قد تأثروا كثيرا وطلبوا مني نسخا من مرشد الصحافة الكوردية ولكن للأسف لم يكن معي غير ثلاث نسخ فأعطيت واحدة لرئيس تحرير (سكانتيا) وأخرى لصحفي من كوبا والأخيرة لصحفي من جريدة (لومانتيه) الشيوعية الفرنسية وبعد انتهاء الأمسية الأولى التي استمرت حتى الساعة التاسعة مساءا وتخللتها فترات الاستراحة في كافتريا النادي أبلغنا بأن موعد اللقاء الثاني سيكون في مزارع (مورتلافر) والتي تبعد مسافة ساعتين عن بوخارست شرقا وكان على الضيوف الحضور في الساعة السابعة صباحا في مقر جريدة (سكانتايا) لكي يتمكنوا من الوصول إلى (مورتلافر) قبل الساعة العاشرة صباح يوم ١٩٧٣/٦/٢١ وهكذا كان وقبل الوصول إلى (مورتلافر) وبساعة واحدة بدأت تظهر شجيرات الكروم بكثافة كبيرة وعلى امتداد البصر بشكل خطوط مستقيمة ترتفع عن سطح الأرض بطول لا يزيد على المتر الواحد، متدلية منها عناقيد من (الحصرم) الخضراء بكميات كبيرة وفي وسط هذه المزارع كانت تبرز عدة أبنية هنا وهناك وأكبرها بناية معمل صنع النبيذ

والذي ينتج سبعة أنواع من أجود أنواع النبيذ الروماني مخصص قسم كبير منها للتصدير وكانت توجد في أقبيتها المئات من البراميل الخشبية المملوءة بالأصناف السبعة ذات السنة الواحدة من العمر إلى عشر سنوات خيرنا مدير المعمل بأخذ نماذج منها بعد الانتهاء من اللقاء الذي كان قد بدأ في العاشرة صباحا وكان طلاب معهد الصحافة الرومانية سبقونا في الجلوس على المقاعد الخلفية لصالة المناسبات في المعمل والتي كانت مغلفة بسيقان شجيرات الكروم (العنب) والتي كانت تتسع لجلوس مائتي شخص ومهيأة تماما لمثل هذه المناسبات من كافة النواحي ولاحظت بأن تنظيم هذا اللقاء كان مرتبا أكثر من سابقه وكان جمع من عاملات المعمل يقمن بالخدمة وتوزيع عصير (الحصرم) المحلى بالسكر السائل على الحاضرين. وفي بداية اللقاء رحب مدير معهد الصحافة الرومانية بالحضور وتحدث عن أهمية هذه اللقاءات وأكد بأن طلاب معهده تواقون لسماع ما نقوله عن تأريخ ونوعية الصحف التي نمثلها وعن طريق المترجم فهمت بأن كلامي في اللقاء الأول كان حافزا للأصدقاء الرومانيين لإحاطتي بالرعاية والاهتمام الزائدتين وعندما أخذت مكاني على منصة القاعة شكرت في بداية حديثي المسئولين عن تنظيم هذه اللقاءات وقلت إن مثل هذه المواقف ليست وليدة الصدفة لدى الأصدقاء الرومان الذي يزخر تاريخ شعبهم المجيد ببطولات كثيرة منذ أقدم العصور حيث قاوم احتلال تراجان في القرن الثاني للميلاد كما قاوم غزو روما وحارب عمليات الاستيطان والاستعمار والصهر القومي أيام الإمبراطورية الرومانية ودافع عن كرامته ضد غزوات الغوط والهون والأفار والسلاف والتتر كما قاوم الغزو التركي قبل أكثر من خمسة قرون وناضل ضد النازية فأصبحت رومانيا بحكم موقعها الجغرافي مسرح حضارات كثيرة مثل الحضارة اليونانية واللاتينية والروسية والبلغارية وثقافات الشرق وكذلك ليس بغريب على الشعب الروماني الصديق أن يتمتع بمثل هذا الانفتاح على الشعوب الأخرى ويتفهم واقعها مهما بلغ بعده عنها وما أن ترجم (جورج) كلماتي تباعا حتى غصت القاعة بعاصفة من التصفيق واسترسلت في كلامي بعدها عن جريدة التآخي وشرحت لهم بأن الصحفية التي أمثلها هي امتداد لأول صحفية كوردية صدرت قبل ٧٥ سنة باسم (كوردستان) هذا الاسم الذي صعد من أجله الآلاف أعواد المشانق وماتوا وأمنية استقلال كوردستان لا تفارق شفاههم

وهي امتداد لصحيفة (رزكاري) التي صدرت بعد المؤتمر التأسيسي الأول للحزب الديمقراطي الكوردستاني عام ١٩٤٦، وكذلك امتداد لشقيقتها المناضلة (خه بات) التي تصدر منذ ما يقارب العشرين عاما (١٩٥٣-١٩٧٣) وامتداد أيضا لكل الصحف والمجلات التي تبنت بشرف قضية شعب كوردستان وشرحت بإسهاب تأريخ صدور التآخي في ١٩٦٧/٤/٢٩ في المرحلة الأولى وكذلك صدورها في المرحلة الثانية وطبيعة المواد التي تنشرها ومعالجة المشاكل التي تخص الجماهير بالإضافة إلى معالجاتها للقضايا القومية لكوردستان وشعبها بجانب توأمها الكوردي (برايه تي) ومساحة انتشارها والكميات المطبوعة منهما والأقلام التي تساهم في تحريرها عربية كانت أو كوردية وقلت كذلك بما معناه أن الصحفية التي شرفتني أن أمثلها في لقائنا هذا ليست بجريدة حكومية ولا جريدة حزب حاكم في السلطة ولا يساهم في تمويلها أحد وإن مصدر تمويلها هو مبيعاتها وإعلاناتها الكثيرة التي تحظى باحترام الجميع وهي جريدة شعب مجزأ مغبون تاريخيا وعلمها لا يرفرف فوق بناية الأمم المتحدة ولا في أية دولة في هذا العالم الواسع وهي بالأساس جريدة شعب مظلوم ولكنها أصبحت منذ صدور عددها الأول جريدة الشعوب العراقية بلا منازع. وكدت أسترسل في كلامي خارجا عن الموضوع الرئيسي عندما وقعت عيناي على الساعة المعلقة قبالة المنصة وانتبهت بأني قد تجاوزت الفترة المحددة لحديث كل واحد منا وعندها اختتمت كلامي بالشكر للأصدقاء الرومان لإتاحتهم الفرصة لنا بزيارة رومانيا والالتقاء بالأخوة الضيوف وطلاب معهد الصحافة، وبعدها تحدث الآخرون من الصحفيين الضيوف عن تجاربهم وعن الصحف التي يمثلونها، وفي الساعة الثانية والنصف كنا على مائدة مدير معمل النبيذ في (مورتلافر) حيث شرح بدوره كيفية العمل ونوعية الإنتاج في معمله وأهدى لكل واحد منا قنينة من النبيذ المعتق.

وفي الفترة الواقعة بين ٢١-٢٥ حزيران زرنا المصايف الجميلة المطلة على سواحل البحر الأسود (كوستانزا)، (ماميا) إلى آخر منتجع سياحي على الحدود الرومانية البلغارية التي كانت تعج بالآلاف من السياح الذين كانوا يقضون أمتع الأوقات على البلاجات المتاخمة أو بين طرق الحدائق والمتنزهات غير آبهين بما يدور حولهم تاركين المشاكل ومعوقات العمل ويستمتعون بإجازاتهم السنوية على أحسن وجه وهكذا مرت

الأيام إلى أن وجدنا أنفسنا في (تولجا) وهي إحدى الموانئ الرومانية الواقعة علي الضفة الشرقية لنهر الدانوب وكان الضباب يلف الميناء والمناخ كان باردا والصيادون كانوا يراقبون الجو انتظارا لانبلاج الغيوم لكي يمخروا بسفنهم الصغيرة عباب البحر على أمل الحصول واصطياد الأسماك البحرية وكنت أراقب هذا المشهد بشغف من نافذة مقصورة سفينتنا المعدة سلفا لعقد اللقاء الأخير بين الصحفيين والضيوف الاثنا عشر ورؤساء تحرير الصحف والمجلات الرومانية والتباحث حول أهمية تبادل الزيارات بين الصحفيين في البلدان المختلفة، وكان جو المقصورة دافئا وفي الساعة التاسعة صباحا تحركت السفينة ولم تكن مياه النهر صافية والرياح كانت باردة إذا لم يكن بالإمكان الخروج إلى سطح السفينة وكان نائب رئيس تحرير صحيفة (سكانتايا) أول من تحدث عن أهمية تبادل الزيارات بين الصحفيين لاكتساب المعرفة الكافية والتعرف على تجارب الآخرين بالإضافة إلى مشاهدة المناطق المختلفة من العالم وطلب من الضيوف مفاتحة المسئولين في بلادهم لتنظيم مثل هذه الزيارات مما حدا بالصحفي (أنتوني لادن) مسئول قسم الدراسات السياسية في جريدة الحزب الشيوعي الكوبي (ربما كان يصل طوله إلى المترين ضخم الجسم في العقد الخامس من العمر وشراب من الدرجة الأولى ومنكتا ولطيف المعشر) أن يقترح زيارة كوردستان عندما حان دوره للحديث تعقيبا على كلمة نائب رئيس تحرير (سكانتايا) وأشار بيده نحوي منتظرا الجواب مني وعندها وعبر مترجمي قلت سأشرح الأمر عندما يحين دوري في الكلام ولكنه أصر وكرر مرة أخرى ودعاني نيابة عنهم الحديث عن الموضوع وبدأت بالحديث بالشكر لعواطف (أنتوني) وقلت كنت أتمنى من كل قلبي دعوتكم إلى بلادي كوردستان والقيام بواجب الضيافة كالأصدقاء الرومان ومشاهدة الجبال وكهوفها التي تؤوي النساء والأطفال عند قصف الطائرات والمدافع التي لا ترحم ورؤية القرى المهدمة ومواقع الأبطال من فدائي شعبنا الذين يدافعون عن شرف بلادهم وشعبهم بأسلحة متواضعة وغير متكافئة بعزيمة لا تلين وإرادة لا تقهر ولكن كما قلت لسنا في وضع نمنح الفيزا (تأشيرة دخول) لزيارة كوردستان وإن الوصول إلى كوردستان يمر عبر طريقين لا ثالث لهما فأما سلك طريق بغداد وهذا صعب للغاية ولا يتم في أي حال من الأحوال وخاصة في زمن الحرب والاقتتال وأما الوصول عن طريق

الصحفي الأميركي (دانا آدم شميدث) الذي خاطر بحياته في صيف السنة الأولى من عمر الثورة ووصل كوردستان عبر حدود ثلاث بلدان وقابل البارزاني القائد وألف فيما بعد كتابه عن الثورة الكوردية بعنوان (رحلة بين الرجال الشجعان) وهذا ما لم يحصل لصحفيي البلدان الاشتراكية وهو موضع عتابنا الشديد لهم جميعا وإن لم تطأ أقدامهم بلادنا في حين زار مناطق الثورة العشرات من مراسلي الصحف من بلدان مختلفة وكتب كثيرون منهم ريبورتاجات معززة بالصور وألف قسم منهم الكتب باللغات الأوروبية عن الثورة الكوردية ولكن أنتم يا معشر صحفيي البلدان الاشتراكية هل كتبتم يوما مقالة ما عما يعانيه شعب كوردستان؟ ونحن نلومكم على هذا التجاهل في حين أننا نحفظ عن ظهر قلوبنا أسماء قادتكم وبطولات شعوبكم ومآثركم النضالية وكان مثقفو وسياسيو شعبنا يتعاطفون معهم وأصبحتم قدوة لنا في يوم من الأيام ولكن ماذا فعلتم عندما كنا نتعرض للنابالم والأسلحة الفتاكة؟ مع هذا إذا استطعتم الوصول إلى كوردستان سنستقبلكم بالأحضان ومعروف عن الكورد أنهم شعب مضياف ولا ينسى أحدا من المدافعين عنه حتى بكتابة مقالة وعندما تمت ترجمة أقوالي تقدم نائب رئيس تحرير صحيفة الحزب الشيوعي الروماني وصافحني وعانقني طويلا وقال أشكركم على هذا الإيضاح وسنقوم بالواجب بدلا عنكم وأتمنى من كل قلبي أن تزور رومانيا مرة ثانية كممثل عن جريدة (دولة كوردستان) وعندما أكتب الآن هذه الأسطر أتذكر صاحبي نائب رئيس تحرير صحيفة سكانتايا (فيلاسكي ساتاسكو) إذ تحققت أمنيته وشرفني الحزب بمسؤولية رئاسة تحرير جريدته اليومية في كوردستان الفيدرالية ولا أعرف مع الأسف ماذا حل به بعد أحداث شهر كانون الأول ١٩٨٩ عندما اندلعت شرارة الانتفاضة في مدينة تمشوارا الحدودية فاكتسحت رومانيا بكاملها ولكن وحتى هذه اللحظة لم أنسى مبادرة هذا الصديق (فيلاسكي) عندما زارني في مقر إقامتنا بفندق الحزب صباح يوم ما قبل الأخير من زيارتي لرومانيا على غير معتاد مع المترجم (جورج) وقال لي بالحرف الواحد هناك مفاجأتان لك اليوم أولهما سنقوم معا بزيارة الرفيق (ديكالونو) في الساعة الحادية عشرة من ظهر اليوم وثانيهما ستعلن في الساعة السابعة مساءا وأيضا سنكون معا وفعلا كانت مفاجأة لأن (ديكالونو) هو نجل زعيم رومانيا (نيكولاي شاوشيكو) ومسئول مكتب العلاقات الخارجية لاتحاد الشبيبة

الشيوعية الروماني والجدير بالذكر أن (ديكالونو) قام بزيارة كوردستان استجابة للدعوة الموجه له من قبل مكتب سكرتارية اتحاد طلبة كوردستان العراق للحضور في مؤتمره السابع الذي عقد في مدينة السليمانية من الفترة الواقعة بين ٣/٢٨-٢/٤/١٩٧٢ وكذلك زار مقر سيادة البارزاني حيث أستقبله شخصيا وقد أعطت هذه الزيارة ثمارها فيما بعد وكنت قد التقيته في ذلك الوقت بصفتي السكرتير العام لاتحاد طلبة كوردستان آنذاك في فندق إمباسادور بمدينة بغداد مع الأخ حسين سنجاري وكان ضيفنا في مدينة السليمانية أيام المؤتمر وعندما التقيته ثانية في مكتبه بصحبة الصديق (فيلاسكي) حيث كان المكتب يقع وسط مدينة بوخارست فوقعت عيناي على صورة كانت معلقة في المكتب تجمعه معنا نحن أعضاء مكتب السكرتارية في منتزه (سرجنار) بمدينة السليمانية ورحب بي كثيرا وأستفسر عن أوضاعنا وسألني عن انطباعاتي في رومانيا وقلت هذا ما أكتبه في صحيفتنا عند عودتي وشكرته كثيرا وبعد نصف ساعة من اللقاء استأذنته وقبل مغادرتي المكتب أهداني حقيبة يد من الجلد الطبيعي مصنوعة في رومانيا وعندما كنا خارج مكتبه سألت (فيلاسكي) ماذا عن المفاجأة الثانية؟ فأجابني خذ قسطا من الراحة سأكون عندك في الساعة السابعة مساءا.

وفي الساعة السابعة مساءا كنا نحن الثلاثة (فيلاسكي والمترجم (جورج)) وأنا في سيارة (فيلاسكي) نسير باتجاه شمال غرب مدينة بوخارست في طريق معبد على جانبيه الأشجار الباسقة والمصبوغة سيقانها إلى حد متر ونصف باللون الأبيض للتنبيه حماية السواق من حوادث الاصطدام ليلا وبعد نصف ساعة كنا في منتجع (زناكوف) البديع وهي منطقة تكثر فيها الأشجار والحدائق والبحيرات الصغيرة الجميلة حيث توجد فيها كازينوهات ومطاعم سياحية فاخرة وحال وصولنا خيرني الصديق باختيار أحد المطاعم حسب ذوقي ولكني فضلت أن يكون الاختيار له وعندما أختار أحد المطاعم وأسمه (بيسكرو) أي الديك الأسود وعند جلوسنا قلت مع نفسي ربما أخطأ (فيلاسكي) في اختيار ضيافته لي في هذا المكان مفاجأة لأنني رأيت الكثير من المناطق الجميلة في هذه الفترة ولكن شكوكي لم تدم طويلا عندما طلب مني النهوض للقيام بجولة في ربوع هذه المنطقة حيث تتوفر فيها مستلزمات السياحة

وعلى حافة جهتها الشرقية كانت توجد مجموعة من الفيلات المظللة بالأشجار وعند باب إحداها كان أحد العاملين واقفا بالانتظار وفتح الباب لنا وعند دخولنا الفيلا المتكونة من غرفتين للنوم وصالة ومطبخ صغير مؤثث وأرضيتها مكسوة بألواح من الخشب ذات اللون القهوائي ودعاني (فيلاسكي) للجلوس في الصالة وقال: وعدتك بمفاجأتين الأولى كانت عند (ديكالونو) أما الثانية فهي هذه الفيلا بالذات وعندما ترجم (جورج) أقواله استغربت لحديثه وقلت أين هي المفاجأة هنا؟ ياصديقي أشكرك على حسن الضيافة وتركك العمل من أجل دعوتي إلى هذا المكان. حقا إنها منطقة جميلة للغاية وأشكركم كثيرا مرة ثانية ولن أنسى هذه الأيام التي قضيتها في ربوع بلادكم. عندها قال لي لا تستعجل صحيح كما قلت المنطقة جميلة ولكن الأجمل فيها ارتباط هذه المنطقة بذكرى تعود تأريخها إلى خمس عشرة سنة قبل الآن وأردت أن تكون خاتمة زيارتك رؤية هذا الفيلا الصغير أتعرف لماذا؟ وأستطرد قائلا بعد قيام ثورة ١٤ تموز سنة ١٩٥٨ في العراق وصل زعيمكم البارزاني إلى رومانيا قادما من الاتحاد السوفيتي وذلك في شهر آب ١٩٥٨ وحل ضيفا في هذا المنتجع وفي هذه الفيلا بالذات وقضى عدة أيام هنا وأستقبله رئيس الجمهورية الرومانية آنذاك وهذا مثبت عندنا وأني على يقين بأن رؤية هذا المكان سيسرك كثيرا وفعلا سرني كثيرا فقمت ثانية بجولة في أرجائه وشكرته على هذه المبادرة اللطيفة وطلبت التقاط صور تذكارية في هذا المكان وهذا كان وكنت محتفظا بالصور وبالحقيبة الجلدية وطقم من الفخار الصيني ذي اللون الشذري المتكون من سبعة قطع والمهداة من الصديق (فيلاسكي) نفسه عندما حضر بنفسه إلى المطار لتوديعي وتقديم هذه الهدية لي وأنا مشغول بتوديع مجموعة من الأخوة والزملاء الكورد الذين كانوا يتلقون الدراسة في رومانيا وعندها قال لي (فيلاسكي) مع السلامة وأرجو الاحتفاظ بالصور والحقيبة وهذه القطع النادرة من الفخار وربما تفيدك في كتابة موضوع شيق وفعلا جاءت كتابة هذه الذكريات بعد ٢٤ عاما ولكنني أجهل مصير تلك الهدايا ولا أعرف ماذا حل بها في الوقت الحاضر لأنها نهبت مع مجمل ما كنت أملكه من الأثاث البيتي والبومات الصور والأوراق الشخصية سنة ١٩٧٤ في مدينة بغداد العاصمة بسبب التحاقي بالثورة الكوردية آنذاك وحرمنا منها ومن أشياء أخرى لا تعوض ماعدا مقالة كتبتها في العدد

١٣٨٦ من جريدة (التآخي) الصادرة يوم ١٩٧٣/٧/١٧ في ضوء تلك الزيارة وجاء فيها حرفيا، (إن الشعوب الصغيرة والمظلومة تجد بصعوبة بالغة إيجاد أصدقاء حقيقيين لها بسبب تداخل المصالح في العلاقات الدولية لاسيما منذ بداية الستينات وانخفاض حدة التوتر الدولي وتقليص سياسة الحرب الباردة ومع هذا نرى إن الشعب الروماني وحزبه الشيوعي قد أبديا تفهما عميقا للمسألة الكوردية في كوردستان العراق وحركة شعبنا بقيادة البارزاني باعتبارها الحركة التحريرية للشعب الكوردي كجزء هام من حركة التحرر العالمي وأكدوا خلال تلك الزيارات المتبادلة وقوفهم بجانب الحقوق القومية للشعب الكوردي وثمنوا استقلالية قيادة الحركة الكوردية وعدم القبول برفض الوصايا عليها والتدخل في شؤونها الداخلية كانعكاس لطبيعة الحركة وتقدميتها).

وهكذا توطدت علاقات الصادقة بين الشعبين الكوردي والروماني، فزار عدد من قادة حزبنا في فترات مختلفة جمهورية رومانيا الاشتراكية والتقوا بقادتها وزعيمها (شاوشيكو) وكذلك استقبلت رومانيا عددا من الطلبة الكورد للحصول على الشهادات العليا في جامعاتها وحين زار (شاوشيكو) زعيم رومانيا القوي آنذاك الجمهورية العراقية على رأس وفد ضم في عضويته وزير الخارجية (جورجي ماكوفسكو) يوم ١٩٧٤/٢/١٩ حيث حل ضيفا في قصر بغداد ذلك القصر الذي أرسى دعائمه الأولى المرحوم الملك فيصل الأول وسماه قصر الزهور في أوائل ثلاثينيات هذا القرن وأكمل بناءه الملك غازي وبعد وفاة والده الملك فيصل وشهدت أورقة القصر زواجه من الملكة عالية كذلك ولد فيه الملك فيصل الثاني سنة ١٩٣٥ وأشتهر هذا القصر بوجود محطة إذاعة فيه ذات توجه وطني والذي سميت بإذاعة قصر الزهور وعلى مقربة منه اصطدمت سيارة المرحوم الملك غازي بعمود حديدي وأدى الحادث إلى مصرعه في نيسان ١٩٣٩ وتغير أسمه إلى قصر بغداد بعد ثورة ١٤/تموز/١٩٥٨ وأستقبل الكثير من الملوك والرؤساء الذين حلوا ضيوفا على الدولة العراقية بينهم زعيم رومانيا الراحل (نيقولاي شاوشيكو) الذي وصل إلى بغداد يوم ١٩٧٤/٢/١٩. وفي يوم ١٩٧٤/٢/٢١ أي قبل ثلاثة وعشرون عاما كنا على موعد للقاء (شاوشيكو) بصحبة الأستاذ (حبيب محمد كريم) في قصر بغداد حيث وصلناه الساعة الرابعة عصر اليوم المذكور وأول ما وقعت عيناي على معالم القصر ونحن ندخله تذكرت ما كنت قد قرأته عن تأريخ تأسيس المملكة

العراقية في ١٩٢١ بتتويج فيصل الأول ملكا على العراق حيث لم يجد مكانا لائقا ومناسبا لأسرته للسكن فيه مما حدا به إلى إقناع وزير ماليته (حسقيل ساسون) بالطلب من مجلس الوزراء لتخصيص مبالغ معينة لبناء القصر المذكور ذي الواجهة البسيطة جدا بالمقارنة مع القصور الحديثة في هذا الزمن. وكان جمع من مرافقي الرئيس الروماني من صحفيين وموظفي التشريفات وعدد من مصوري الصحف المجلات تغص بهم القاعة الأمامية في الطابق الأرضي ومن حسن الصدف كان (جورج) المترجم الذي رافقني في زيارتي لرومانيا ضمن الموجودين على رأس طاقم الترجمة المرافق لـ(شاوشيكو). وعند صعودنا الدرج المفروش بالسجادة الحمراء إلى الطابق العلوي من القصر همس (جورج) في أذني ببعض الملاحظات حول بروتوكول اللقاء ولم يكد ينتهي من كلامه حتى كنا وجها لوجه مع الرئيس (شاوشيكو) الذي كان يرتدي بدلة كحلية مع ربطة عنق ذات لون ماروني قبل وصولنا أنه كان يتمشى مع وزير خارجيته (جورجي ماكوفسكو) فقدمنا إليه مسئول تشريفات الرئاسة ودعانا إلى الجلوس وأخذ هو مكانه بين الأستاذ حبيب محمد كريم وبيني وعلى أريكة واحدة وبعد تبادل عبارات المجاملة رحب الأستاذ (حبيب) بزيارته إلى العراق باسم الحزب الديمقراطي الكوردستاني ورئيسه مصطفى البارزاني وشكره كثيرا على موقف رومانيا الرسمي تجاه قضية الشعب الكوردي وأكد على أهمية هذا التعاون الذي تبديه رومانيا تجاه مناصرة الحقوق القومية لنا وذلك الزمن بالذات حيث كانت العلاقة بيننا وبين الحكومة المركزية تمر بمرحلة حرجة، وعندما انتهى الأستاذ (حبيب) من كلامه أومأ (شاوشيكو) بإشارة من عينه لرئيس تشريفاته بأبعاد المصورين من القاعة واستعدل في مكانه وأراد أن يتكلم هو ولكنه توقف قليلا وبدا لي أنه يريد أن يوزن كلماته باختيار الجمل والكلمات المناسبة وخاصة أنه كان ضيف العراق ويستقبل سكرتير الحزب الديمقراطي الكوردستاني في ذلك الوقت بالذات وكانت سيماؤه توحي بالاتزان والحكمة ورايته وديعا للغاية وأستطاع بواقعيته التوفيق بين مصالح الدولتين العظيمتين وسداد ديون رومانيا للعالم الخارجي والذي يبلغ ١٣مليار دولار ضمانا لاستقلالية رومانيا وعدم الارتماء في أحضان أحد، وبدأ حديثه بصوت خافت نسبيا وكان ينتظر المترجم إلى أن ينتهي من ترجمة أقواله وقال (أنا مسرور بلقائكم وكنت

أرغب بزيارة ربوعكم لولا الظروف الخاصة وأنا ضيف دولة العراق الرسمي نتمنى أن تحل المشاكل بينكم وبين المسئولين في الدولة العراقية بالطرق السلمية والأخوية وأحثكم على مواصلة السير بما تخدمكم جميعا) وكان يتوقف قليلا ثم يبدأ الحديث ثانية وأستمر اللقاء زهاء الساعة وحمل الأستاذ (حبيب) تحياته وتحيات رفاقه إلى قادة البارتي وعلى رأسهم سيادة مصطفى البارزاني وعند التوديع أصر على المشي عدة خطوات باتجاه باب القاعة. وهكذا كان يوم ١٩٧٤/٢/٢١ عندما التقينا هذا الرجل والذي وصفته مجلة (الحوادث) اللبنانية بأنه: (واجه مصيره بشجاعة نادرة ومات بلا خوف ووجل مع زوجته (إيلينا) وعندما تعمدوا تخويفه في المحاكمة السرية والتي لم تدم أكثر من ساعتين قال لهم أنا لا أخاف الموت وعندما صدر الحكم بإعدامه قابلهم بالضحك مع (أيلينا)، فلم يتخاذل بل قال لقاتليه: أفعل وليتحمل محرضوك مسؤوليتهم أمام التأريخ والكرامة. هذا ليس تنفيذ إعدام بل ذبح نعاج لا تقللوا من شأن رومانيا. عار عليكم)!!

منظر عام لمدينة بوخارست

الرئيس الروماني السابق نيكولاي شاوشيسكو يتوسط حبيب محمد كريم سكرتير عام الحزب الديمقراطي الكوردستاني. وفرهاد عوني مدير إدارة جريدة التآخي في قصر الزهور ببغداد خريف عام ١٩٧٣

الأمير الكمبودي نوردوم سيهانوك

تكريم دياكو نجل الرئيس الروماني شاوشيسكو

من قبل مكتب سكرتارية اتحاد طلبة كوردستان

خلال انعقاد المؤتمر السابع لأتحاد طلبة كوردستان في مدينة اللسليمانية عام ١٩٧٢

خلال انعقاد المؤتمر السابع لاتحاد طلبة كوردستان في مدينة السليمانية يوم ١٩٧٢/٤/٢٩

ذكريات عن مشاركة أكبر وفد شبابي كوردستاني في المهرجان(*) العالمي العاشر للطلبة والشباب في برلين ١٩٧٣

كانت طائرتنا من الخطوط الجوية العراقية تعج بالمسافرين من الشباب الكوردستاني عند إقلاعها من مطار بغداد الدولي مساء يوم ١٩٧٣/٧/٢٥ متوجهة إلى برلين عاصمة جمهورية ألمانيا الديمقراطية ولم يكن أحد منا ونحن مسمرون في مقاعدنا يفكر بما يجري في هذا العالم الشاسع لحظة إقلاع الطائرة مبتعدة عن الأرض بضجيجها ورجاتها القوية والتي ولدت نوعا من الشعور بالخوف لثواني معدودات وأيادينا ممسكة بحزام الأمان والتي سرعان ما تلاشت حال استقرار سير الطائرة في الجو وهي في طريقها المرسوم صوب محطتها الأولى وهي مطار مدينة استانبول والذي لم يتحمل بقاءنا فيه أكثر من خمس دقائق من مدة الخمس والأربعين دقيقة وهي فترة تزود الطائرة بالوقود والمعمول بها في جميع مطارات العالم بسبب إقامة حلقات من الدبكة الكوردية على أصوات (الطبل والمزمار) في ساحة مطار استانبول من قبل الشباب الكورد الوافدين من العراق ما بعد اتفاقية الحادي عشر من آذار عام ١٩٧٠ المتوجهين بهذا العدد الكبير ضمن وفد عراقي مشترك ضم بارتيين وشيوعيين وبعثيين صوب مدينة برلين، إذ سرعان ما أحاطت بنا قوة من البوليس التركي وأجبرتنا على الصعود إلى الطائرة لنواصل كرنفال الرقص والغناء هذه المرة على أرضية الطائرة بين ثنايا المقاعد والفسحة الوسطية غير آبهين بتعليمات كابتن الطائرة ومضيفاتها الأنيقات اللواتي امتنعن عن تقديم وجبة من الأكل الخفيف لنا بسبب هذا التزاحم وعدم فسح المجال لهن بالمرور بالتالي ولم يبق أمامهن غير الانضمام إلى حلقات المحتفلين ونسين واجباتهن الأساسية.

(*) نشر في مجلة كَولان العربي في العدد ١١ في ٢٥ نيسان ١٩٩٧.

ومع تباشير الفجر الأولى كنا على موعد مع برلين تلك المدينة التي كانت تحلم في يوما ما أن تحكم العالم وحاربت من أجل تحقيق هذا الهدف بكل ما لديها من إمكانيات وقدمت من أجلها الملايين من الألمان وغيرهم وقودا لإشباع غريزة رجل مريض بداء العظمة كان يفكر بمنطق القوة والاستعلاء متجاوزا الحدود والمواثيق والمشاعر القومية وتجارب من سبقوه في تأريخ البشرية وبفعله هذا انقلبت الآية عليها وأصبحت مدينة منقسمة إلى شرقية وغربية يحكمها القطبان الجباران على طرفي خط وهمي وعلى أساسها بني أشهر جدار كونكريتي للفصل بين مشاعر وتأريخ وجغرافية وقومية الشعب الواحد، والذي سميت بجدار برلين وفي مطارها كانت حركة الطائرات على أشدها، والوفود تتقاطر من أرجاء العالم المختلفة وكان الوفد الكوردي متميزا بملابسه القومية وتشكيلته الرائعة وكان الأخوة أعضاء جمعية الطلبة الكورد في أوروبا فرع ألمانيا في استقبالنا مع مندوبتين من سكرتارية اللجنة التحضيرية للمهرجان، كانت الفرحة لا توصف عند لقاء الأحبة من زملائنا الطلبة الدارسين في المدن الألمانية وكان الأخ عادل فاضل ليلاني ضمن المستقبلين (العضو السابق في مكتب سكرتارية اتحاد طلبة كوردستان العراق) الذي كنت قد تعرفت عليه في حديقة كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ببغداد في اليوم الأول من التحاقنا بالدوام في الكلية المذكورة في خريف سنة ١٩٦٦، وكان يتصف بشطحاته المحببة على القلوب ولم يكن قد تغيّر سلوكه وطبائعه ولا في صداقته الأصيلة وكانت مفاجأة كبيرة عندما وقعت عيناي عليه وهو يحمل باقة من الزهور وبدأ بنثرها علينا جميعا في اللحظات الأولى من اللقاء تعبيرا عن فرحته بسلامة وصولنا.

برلين لم تكن نائمة عند وصولنا إليها في الساعات الأولى من الفجر والاستعدادات كانت على أشدها وبالرغم من الإرهاق بسبب طول المسافة بين بغداد وبرلين وانشغالنا طوال هذه الفترة بالاحتفال داخل الطائرة لم نشعر بالتعب مطلقا لحين وصولنا إلى إحدى العمارات المخصصة للوفد العراقي وكان الطابق السابع منها من نصيبنا حيث حللنا فيها موزعين بين شققها المؤثثة تأثيثا كاملا وكانت دول المجموعة الاشتراكية تحتضن هذه المهرجانات وأصبحت تقليدا جميلا حيث عقد المهرجان الأول في براغ من ٢٥ تموز وحتى ١٧ آب ١٩٤٧ والثاني في بودابست عام ١٩٤٩ والثالث في برلين

١٩٥١ والرابع في بوخارست عام ١٩٥٣ وعندما كان شباب وطلبة العالم المجتمعين في هذا المهرجان العالمي يعبرون عن تضامنهم الكفاحي ونضالهم المشرف في سبيل تحقيق الأهداف المشتركة للشباب، كان الشباب والطلبة الكورد يناضلون بحماس وفي أصعب ظروف النضال السري من أجل تطوير وتقوية تنظيمات اتحاد طلبة كوردستان واتحاد الشبيبة الديمقراطي الكوردستاني منذ شباط ١٩٥٣ وتوسيع قاعدتهما الجماهيرية لكي تستطيع القيام بدورها في مجمل النضال الوطني التحرري الذي كان يخوضه شعبنا من أجل حريته وحقه المقدس في تقرير مصيره ومستقبله بنفسه ولم تكد تمض مدة طويلة على ميلاد المنظمات الجماهيرية الكوردستانية حتى كان شباب العالم يحتفلون بالمهرجان الخامس في وارشو عام ١٩٥٥ تحت شعار (من أجل السلم والصداقة) كان الشباب والطلبة الكورد هناك ضمن الوفد العراقي يعبرون عن صداقة شعبنا الكوردي المضطهد مع شعوب العالم المحبة للحرية والسلام، وهكذا كان الشبيبة الكورد يشاركون في المهرجان السادس في موسكو عام ١٩٥٧ والسابع في فينا عام ١٩٥٩ مخلصين لأهدافهم الوطنية والإنسانية وسباقين إلى التضامن والنضال المشترك مع شباب العالم وعندما بدأت ثورة شعبنا في أيلول ١٩٦١ تحت قيادة الحزب الديمقراطي الكوردستاني ورئيسه الخالد مصطفى البارزاني قدمت المنظمات الكوردستانية مساهمات مشرفة وفعالة في النضال التحرري لشعبنا من أجل حريته وعلى الرغم من هذه الظروف القاسية المحيطة بشعبنا وثورته فأن الشباب وطلبة كوردستان لم ينسوا مهامهم، في المهرجان التاسع المنعقد في صوفيا عام ١٩٦٨ كان الشباب والطلبة الكورد قد طالبوا بتأييد قضية شعبهم العادلة وثورته التحررية، ولأول مرة في تأريخ هذه المهرجانات شارك أضخم وفد من الشباب الكورد ضمن وفد الشبيبة والطلبة العراقيين في المهرجان العاشر الذي شارك فيه (٢٦٠٠) شاب وشابة من (١٤٠) دولة من دول العالم محتفلين طيلة عشرة أيام بفعاليات متنوعة. أجناس شتى من شعوب مختلفة جمعتهم إرادة السلام والصداقة بين الشعوب، خمسة وستون من شباب وطلبة كوردستان شاركوا بملابسهم القومية وبشعورهم القومي الفياض في تشكيلة اتحاد الطلبة والشبيبة الديمقراطي الكوردستاني بفضل المناخ السياسي الذي ولد عقب اتفاقية الحادي عشر من آذار عام ١٩٧٠ والتي نصت على ممارسة

منظمات الطلبة والشباب والنساء والمعلمين لنشاطاتهم بشكل علني، وكان التحضير لهذا المهرجان قد أستغرق أكثر من شهر في بغداد وكوردستان وأنيطت رئاسته بأحد أعضاء اللجنة آنذاك وهو (عبدالوهاب الأتروشي) الذي كان محافظا آنذاك في أربيل وجرى التحضير للفعاليات في غابات (صدر القناة) ببغداد عصر يوم ٢٤ تموز ١٩٧٣ حيث قدم وفد شباب كوردستان نماذج لفعاليته ونشاطاته ومعروضاته ونشيد الشباب العالمي وكان للفرقة الفنية المشتركة ودورها المتميز في أعداد مجموعة من الأناشيد القومية والأغاني الفولكلورية منها (ئه ي رقيب، سلاو لةه بارتي، هه ي مينه، فاتمى زالمى) التي غنتها العضوة المشاركة (ساكار أحمد) بمصاحبة الدبكات الشعبية الكوردية.

وفي ظهيرة يوم ١٩٧٣/٧/٢٨ بدأ المهرجان الدولي العاشر للطلبة والشباب بمسيرة ضخمة لشباب العالم متجهة نحو استاد الشباب العالمي حيث أعلن (روبرتو فييزي) الايطالي الجنسية ورئيس الاتحاد الدولي للشباب الديمقراطي افتتاح المهرجان بكلمة قصيرة لم تستغرق أكثر من خمس دقائق، وكانت الفرقة الموسيقية تسير في مقدمة مجاميع الشباب، وكان شباب كوردستان يتقدمون الصفوف الأمامية مباشرة بعد وفد شباب الدولة المضيفة للمهرجان التاسع (بلغاريا) وكانت تشكيلة رائعة جدا شابات وشبان كورد وبألوان ملابسهم الكوردستانية الجميلة وما كان ينقصهم (على حد قول أحد أعضاء وفد جمهورية اليمن الديمقراطية) إلا سارية علم كوردستان!! وهكذا توالت الفعاليات لمدة عشرة أيام وفي ذروتها فوجئنا بوفاة الزعيم الألماني السكرتير العام للحزب الشيوعي الالماني (أولبرخت) حيث لم يعلن عن وفاته إلا في آخر يوم المهرجان تقديرا للمناسبة ومشاعر المحتفلين!.

كنا نتبادل الزيارات مع الوفود المشاركة ونقدم فعالياتنا القومية في ساحة (الكسندر بالاس) وسط برلين ونتبادل فيها الأعلام والباجات الملونة وكان مصطلح (تاوشن) الألماني أي (تبادل) بالعربية قد أصبح القاسم المشترك في التبادل وإن كنا لا نحمل من الأعلام والأشياء الأخرى غير باج ذهبي عليه صورة محفورة للبارزاني الخالد وكنا نتبادله بباجات الوفود الصديقة باعتزاز لا مثيل له.

وعقب انتهاء مدة المهرجان دارت بخلدنا زيارة بعض المناطق والمدن التاريخية هناك ومنها مدينة (بوتسدام) نظرا لأهميتها التاريخية حيث أنعقد فيها مؤتمر الدول الثلاث الكبرى (أمريكا، بريطانيا، الاتحاد السوفيتي) والذي سمى بـ(مؤتمر بوتسدام) كما عقدت فيها أولى جلسات ذلك المؤتمر في ١٧ تموز ١٩٤٥ عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية ووقع فيها أيضا أتفاق المبادئ السياسية والاقتصادية الواجب أتباعها في العلاقات مع ألمانيا وإفهام الشعب الألماني بأنه (منّي بهزيمة عسكرية)!!.

الساعة العاشرة من صباح يوم ١٩٧٣/٨/٢ كنا عند مدخل بناية كبيرة في مدينة بوتسدام ذات أسوار من القرميد الأحمر الغامق مغطاة من الداخل بالنباتات المتسلقة ولم يكن هنالك زوار آخرون، وتبين لنا أننا كنا أول الزائرين في ذلك اليوم وكانت غرفة الاستعلامات على يسار المدخل وعند دخولنا إليها للاستفسار والتعرف حسب الأصول المتبعة والتقيد بالتعليمات غير المدونة حيث إن مثل هذه الزيارات تعد وفق قواعد وأصول خاصة ولاسيما الأماكن الأثرية والقصور التاريخية التي شهدت القرارات الكبيرة حفاظا على التراث واحتراما للحاضر.

في غرفة الاستعلامات تلك كانت هنالك فتاتان على غاية من الجمال والأناقة البسيطة وكانتا تنتظران قدوم الزوار فرحّبتا بنا باللغة الانكليزية بعبارات من المجاملة التقليدية، وبادر أحدنا (الأخ طاهر بيتوشي) والذي كان طالب دكتوراه في أحدى جامعات برلين وتولى طيلة أيام المهرجان مهمة الترجمة والتجوال معنا وباللغة الألمانية شارحا لهما كوننا من الوفود التي شاركت في المهرجان العاشر ونود التعرف على معالم هذا المكان التاريخي، بادرت إحداهن وتقدمت أمامنا بحركة رشيقة وبدأت بالتحدث عن تأريخ هذا القصر وتوقفت لحظات لحين انتهاء الأخ بيتوشي من الترجمة واستفسرت منا بأية لغة نتحدث وسجلت ملاحظاتها أيضا في دفتر صغير كانت تحمله.

محطتنا الأولى كانت قاعة كبيرة نوعا ما في وسطها كانت طاولة مستديرة مصنوعة من خشب ذي لون قهوائي داكن وحولها أرائك مصنوعة من الخشب ذاته وبمقاعد جلدية فخمة وعلى حيطان القاعة كان بعض اللوحات الزيتية قد علق وفق ترتيب جميل وعندما شعرت دليلتنا برغبتنا في التعرف عما دار في هذا المكان حالنا حال أي زائر آخر بدأت بالكلام شارحة لنا وكأنما كانت موجودة فعلا في هذا المكان أثناء

المؤتمر قائلة: (الكبار كانوا يجتمعون هنا والجلسات الرسمية كانت تعقد في هذه القاعة وقادة الحلفاء كانوا متمثلين بالرؤساء ترومان من الولايات المتحدة الأمريكية وجوزيف ستالين من الاتحاد السوفياتي ونستون تشرشل من بريطانيا العظمى وبعد الجلسة التاسعة من الاجتماع توقف المؤتمر بسبب الانتخابات في بريطانيا وعندها حل محل تشرشل على رأس الوفد البريطاني رئيس وزراء انكلترا الجديد (أتلى) وهكذا أستمر المؤتمر إلى الثاني من آب من العام نفسه (١٩٤٥) متوجها قراراته بتوقيف ومحاكمة جميع مجرمي الحرب وتشكيل محكمة لهذا الغرض) وأشارت إلى أحد المقاعد الكبيرة نسبيا مركونة في أحدى زوايا القاعة وقالت (إن هذا المقعد يعود للسير ونستون تشرشل لأنه كان بدينا وجيء به خصيصا له)!.

وهنا دخل زائر آخر لم يلفت اهتمامنا في بادئ الأمر وأنشغل أيضا بالتفرج وبعدها بدا يقترب منا وتبين فيما بعد أن الذي لفت اهتمامه هو ملابس الأخ (طاهر محمد) الكوردية وكان يختلس النظرات إليه بينما كانت دليلتنا منهمكة بالشرح والتوضيح إذ كنا مشدودين إليها لسماع المزيد من الأحداث والطرائف التي كانت قد حدثت في وقتها أثناء المؤتمر العتيد وعندما انتقلنا إلى غرفة استراحة المحاربين الكبار كان صاحبنا الشيخ العجوز الذي كان في العقد السابع من العمر وبيده عكاز أسود اللون وكانت أحدى ياقة سترته مزينة بميداليتين من الميداليات التي كانت تمنح من القيادات العليا إلى الأبطال الشجعان في ساحات الوغى تقديرا وتثمينا لجهد معين أو بطولة نادرة في ساحات المعارك، شاركنا الاستماع بعفوية طاهرة ودون تدخل أو استفسار معين وسمحت لنا دليلتنا بالجلوس قليلا كالتفاتة تقدير إذ لم يكن الجلوس هناك مسموحا كما تبين لنا فيما بعد وعندما كنا ندردش فيما بيننا أستأذن الجنرال المتقاعد بعد أن عرّف نفسه لدليلتنا الجميلة وسألنا عبر الأخ طاهر وباللغة الألمانية عن هويتنا القومية وكان جوابنا نحن من بني الكورد ومن كوردستان العراق وفوجئ صاحبنا وتبين أنه كان يعرفنا ولم يستفسر عن شيء آخر وإنما طلب منا وبإلحاح أن نقضي معه بعض الوقت بعد الانتهاء من الزيارة ورحبنا بفكرته وكان ذلك مبعث سرورنا.

شكرنا دليلتنا الألمانية على حسن الاستقبال ولباقتها وشرحها الوافي وكانت وكانت تتحدث بلغة المحاضرين وتجعل من السامع أن ينتبه لها ودون أن تفارقه ابتسامتها الهادئة. سرنا وراء الجنرال المتقاعد إلى باحة القصر التي كانت عبارة عن مساحة كبيرة من الثيل الأخضر المقصوص بعناية فائقة تحيط به الأزهار الملونة المنسقة وكانت ثمة مصطبات خشبية موزعة في أركان الحديقة الباسقة تنتظر عشاق الجمال والطبيعة الساحرة وأختار جنرالنا هذه المصطبات للجلوس عليها وبعد ثوان معدودات كان صاحبنا أول المتحدثين باللغة الألمانية التي كان يجيدها. وقدم نفسه بأنه جنرال متقاعد خدم أربعين عاما في الجيش الأحمر ومؤسسات أخرى في الاتحاد السوفياتي وكان مع الطلائع الأمامية عند اجتياح برلين في نيسان ١٩٤٥ وأنتقل بعدها إلى قاطع هذه المدينة (بوتسدام) ليستقر فيها مدة عامين تزوج خلالها من فتاة ألمانية وعاد بها إلى الاتحاد السوفيتي عندما استبدلت وحدته وبعد أن عرّفنا بنفسه لم نكن ننتظر شيئا آخر يقوله عدا عموميات من الكلام يقال في مثل هذه المناسبات ولكن توقعاتنا لم تكن في مكانها كما تبين فقد عاود الكلام مرّة ثانية متوقعا بأننا على عجلة من أمرنا وأضاف: (سررت جدا بمشاهدتكم، فرصة نادرة وغير متوقعة أساسا لاسيما بالنسبة لوضعي ولظروفي الصحية، سعيد بمشاهدة رجال الكورد، اعتبروني صديقا لشعبكم، عرفتكم منذ زمن وبالتحديد قبل عشرين عاما تعرفت على الكورد من خلال زعيمكم البارزاني ربما تستغربون... عرفت قائدكم لأول مرّة في مدينة طاشقند عام ١٩٥٣ عندما كنت مكلفا بمهمة ما وكان لي لقاء مع البارزاني والآن ما هي أخباره؟ في أول لقاء لي معه ترك عندي انطباعا ايجابيا للغاية وكان يعاني متصورا شعبه في محنة ولا أحد يحميهم ومع هذا كان واثقا بأنه سيعود ذات يوم إلى جباله حال زوال الأسباب متحليا بالصبر والعزيمة حاله حال سكان الجبال، ولم التق به ثانية إلا بعد ثلاثة أعوام وربما أكثر في أحد المعاهد الدراسية في موسكو وكانت معاناته أكبر مع شعور بالمرارة لربما لغيابه عن وطنه طوال تلك المدة وكنت متعاطفا معه، هكذا كان إحساسي وكنت صادقا فيه وأنا متعاطف بطبعي مع المضطهدين إذ شاهدت أهوال الحرب ومصائبها في بلادي وهنا، وكانت عائلتي أمي وأبي وأحد إخوتي من ضحاياها واستمرت لقاءاتي مع البارزاني عدة مرات أخرى وكانت حصيلتها خلق انطباع لم يمح من

ذاكرتي لحد الآن (بأنه سيصبح ذا شأن في يوم ما عندما يعود إلى أحضان أمته). وفارقته بعد هذه اللقاءات ولم أجد له أثرا وأنا في سبيلي من مكان إلى آخر حتى صيف ١٩٦٣ عندما كنت في زيارة صوفيا وعرفت من وسائل الأعلام هناك بأنه يقود ثورة كبيرة بعد أن عاد إلى بلاده أثر تطورات حصلت فيها. ثم طلب منا الجنرال المتقاعد أن نحدثه بمزيد من الأحداث والحوادث والتطورات التي جرت له (أي للبارزاني) وحققنا رغبته شاكرين وكان سعيدا للغاية بلقائنا ولم يكن يصدق بأنه سيلتقي بشباب من الكورد بعد هذه المدة الطويلة ليحدثهم ويحدثونه عن البارزاني، وبدورنا لم نكن نتوقع بأننا في زيارتنا لـ(بوتسدام) سنصادف رجلا كان في يوم ما ذا شأن أبان الحرب العالمية الثانية في موقعه، وأمضى بعض الوقت هنا في (بوتسدام) على رأس قوة عسكرية وتزوج من فتاة ألمانية وأنه في يوم ما يقوده الحنين لزيارة هذا المكان استذكارا لماض ذهب وإكراما ووفاء لموطن فتاة أحبها وبادلته الحب وتزوجها! بل لم نكن نتوقع أيضا أن يلتقينا بمحض الصدفة ويروي لنا بعضا من ذكرياته عن البارزاني عندما كان لاجئا سياسيا في أرض السوفيات.

وعندما قاربت الساعة من الواحدة ظهرا أستأذن منّا الرجل بأدب جم وقال لنا (هذا يكفي، سعيد برؤيتكم بلغوه تحياتي، قائدكم إنسان كبير فحافظوا عليه). تركنا وذهب في سبيله..... وما أن وطأت قدماه باب القصر التفت ثانية تجاهنا ملوحا بيده تحية الوداع، في الوقت الذي كانت كلماته ما تزال ترن في آذاننا (**قائدكم إنسان كبير فحافظوا عليه**).

عدد من أعضاء وفد طلبة وشبيبة كوردستان المشارك في المهرجان العالمي العاشر

للطلبة والشباب الذي انعقد في برلين عاصمة جمهورية ألمانيا الديمقراطية وهم

على متن طائرة الخطوط الجوية العراقية المتوجهة من بغداد إلى برلين. ويبدو في الصف الأمامي من اليسار الزملاء

جلال خوشناو، خسرو گول محمد.

وفي الصف الثاني من اليسار الزملاء سيروان عبدالله سعيد، فرهاد عوني بالزي الكوردي، جبار صابر

بوابة براندن بيرغ غيت في برلين

النافورة الأمامية وسط برلين قبالة فندق شتات برلين

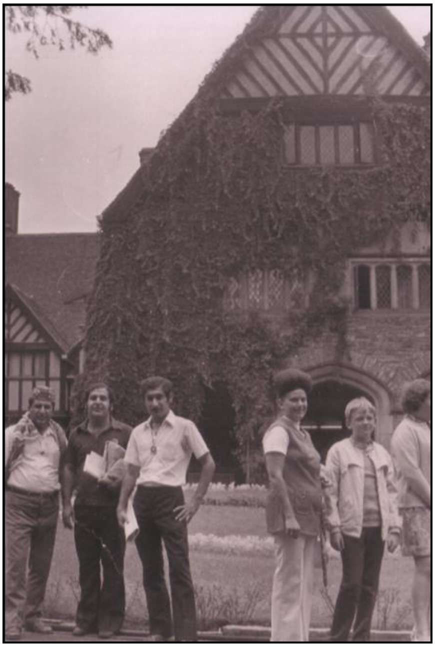

أعضاء من الوفد الكوردستاني

المشارك في المهرجان العالمي بمدينة بوستدام

أمام نافورة وسط برلين

عدد من المشاركين في المهرجان العاشر للطلبة والشباب المنعقد في برلين تموز عام ١٩٧٣ ويبدو من اليسار الزميل محمد رضا، وفي أقصى اليمين فرهاد عوني وهما بالأزياء القومية

ساحة ألكسندر بالاس في وسط برلين

قصة إيصال رسالة موجهة من البارزاني الخالد(*) إلى مؤتمر قمة دول عدم الانحياز المنعقد في الجزائر عام ١٩٧٣

مع بدايات الأيام الأولى لعام ١٩٧٣ كان مبنى جريدتيّ (التآخي) و (برايه تي) قد استقر أخيرا في مقره الجديد بجوار سينما أطلس الواقع على يمين شارع السعدون بالنسبة للسائر صوب النصب السابق للجندي المجهول من جهة الباب الشرقي في بغداد العاصمة. وكان يشغل طابقا بكامله بشققه السبع وقد ضم مكاتب التحرير والإدارة ومكانا للزائرين وبالأخص الساسة ومثقفي الأحزاب والفئات الوطنية على اختلاف ميولهم وانتماءاتهم القومية والوطنية، ورغم وجود مقر الفرع الخامس للحزب في مكان آخر من بغداد فإن مبنى الجريدة كان أيضا ملتقى لأعضاء المكتب السياسي واللجنة المركزية عند تواجدهم في بغداد وكانت إحدى شققه مخصصة لهذه الغاية ولاجتماعاتهم ومداولاتهم الكثيرة بشأن القضايا والمسائل المتعلقة بمستقبل ومراحل تنفيذ بنود اتفاقية الحادي عشر من آذار عام ١٩٧٠ وكان لوجود الأستاذ دارا توفيق الذي جمع بين رئاسته لتحرير الجريدتين وعضويته للجنة المركزية للحزب الديمقراطي الكوردستاني وشخصيته المحبوبة أبلغ الأثر في جعل المبنى مركز الاستقطاب لكبار الإعلاميين وصحفيي البلدان المختلفة عندما كانوا يقومون بزيارة بغداد أو السفر إلى كلاله معقل الثورة الكوردية أبان ثورة أيلول الكبرى (١٩٦١-١٩٧٥).

ومن خلال هذه الأجواء السياسية والإعلامية تعرف العاملون في الجريدتين على وجوه عديدة وصقلت مواهبهم وقابلياتهم وأصبحت (التآخي) رمزا حقيقيا للكلمة الصادقة وشهدت توأمها الكوردي (برايه تي) في تلك الحقبة الزمنية ميلاد عهد جديد لها في تأريخ الصحافة الكوردية إذ دشنت مرحلة الصدور اليومي لأول مرة بعدما

(*) نشر في مجلة كَولان العربي العدد ١٠ في ٢٥ آذار ١٩٩٧.

كانت تصدر أسبوعيا، وفي هذه المدرسة تعلمنا المبادئ الأولية للصحافة وتعرفنا على العديد من الصحفيين والساسة ومثلناها في مناسبات لا تمحى من الذاكرة ومن خلالها أيضا تم تكليفنا بمهمات هي مدعاة الاعتزاز ولا يمكن أن تنسى رغم تعاقب الزمن الرديء وبقيت راسخة في الذاكرة بانتظار تدوينها ذات يوم على شكل شريط من الذكريات.

كنا نناديه بـ(مام يوسف) أي العم يوسف ذلك العامل والإنسان المسيحي الذي كان يعمل في مكتبنا، كان شيخا في منتصف العقد السادس من العمر، كادحا بمعنى الكلمة أمينا ومخلصا في عمله ويسهر على راحتنا طوال ساعات العمل وكان من أهالي قصبة مانكيش في محافظة دهوك وقد نزح إلى بغداد أبان سنوات القتال تاركا حقله ومسقط رأسه مثل عشرات الألوف من مواطني كوردستان هربا من بطش القوات الحكومية التي كانت تبطش بمواطني كوردستان أثناء العمليات العسكرية ضد الثوار (البيشمركه) وفق سياسات حرق الأخضر واليابس معا انتقاما من كل ما هو كوردستاني شجرة كانت أو قرية آمنة أو مواطنا مثل (مام يوسف) الذي نادرا ما كان يتحدث عن تلك الأيام إلا لمن كان يشعر في قرارة نفسه بأن كلامه يأخذ محمل الجد عند سامعيه، وعندما دخل على ظهيرة يوم السبت المصادف ١٩٧٣/٩/١ كان محموما وكان يعاني من التهاب الكلى فأوصيته بمراجعة الطبيب وأخذ يومين من الأجازة ولكنه عاند كعادته وأخبرني بأن الأستاذ يطلبني (وكان القصد الأخ دارا توفيق) وعندما همّمت بترك الغرفة همس بصوت خافت بأن الأستاذ سامي عبدالرحمن موجود كذلك وكان أمرا مألوفا لدينا لأن كاك سامي كان على احتكاك مباشر بالجريدة ومقرها وتجمعه مع كاك دارا علاقات وصداقة متينة بالإضافة إلى كونهما أعضاء في قيادة الحزب ومن المقربين من سيادة البارزاني الخالد وكانا من أنشط الكوادر القيادية الموجودين في بغداد آنذاك وعلى صلة مباشرة مع قياديي الدولة وحزب البعث للتنسيق وإيجاد الحلول الممكنة للمشاكل التي كانت تحدث باستمرار بين الجانبين (الكوردي والحكومي) وعندما دخلت عليهما كانا جالسين أحدهما قبالة الآخر ويدردشان في أمر لم أكن أعرف في البداية عن أي شيء يتحدثان وبادرني الأخ دارا بالجلوس بإشارة منه وعرفت منه مغزاها بأن الموضوع لم يكن قد أتخذ شكله النهائي

وانتظرت مستمعا لعدة دقائق وكان حديثهما يدور حول مؤتمر القمة لدول عدم الانحياز المزمع عقده في الجزائر يوم الأربعاء المصادف ١٩٧٣/٩/٥ وبطبيعة الحال استنتجت بأن ثمة أمرا حول الموضوع يتعلق بي ولكن لم أكن أتصور بأن المهمة ستأخذ شكل سفر وإيصال رسالة ما إلى الجزائر، وبينما كنت مصغيا إلى الحديث أستفسر الأخ سامي عبدالرحمن عن مدى صلاحية جواز سفري للقيام بسفرة إلى القاهرة ومنها إلى الجزائر لإيصال رسالة خطية من سيادة البارزاني إلى مؤتمر القمة لدول عدم الانحياز شارحا بأن السرعة والاستعجال وإنجاز الأمور الضرورية فيما يتعلق بالسفر أمر ضروري وسألني سؤالا محددا حول مدى استعدادي للسفر والقيام بهذه المهمة. وعندما فرغ هو من كلامه عقبه الأخ دارا بتعليق مقتضب مؤكدا كامل أهليتي للقيام بمثل هذه الأمور وبعدها جرى نقاش حول تفاصيل الموضوع ابتداء من حجز التذاكر وأخذ الفيزة من سفارة جمهورية مصر العربية والاتصال بسفارة الجزائر في القاهرة وترتيب أمر السفر من القاهرة إلى الجزائر بأقصى سرعة ممكنة فأبديت من جانبي تحفظا حول السفر لوحدي شارحا بأن مثل هذه الأمور تحتاج إلى شخصين لأسباب أمنية وضرورات أخرى ليست بالحسبان ربما سأصادفها في طريقي وهكذا تم الاتفاق على سفر زميل آخر معي (وهو الأخ عادل مراد الذي زاملته في قيادة اتحاد طلبة كوردستان الذي أصبح رئيسا له في المرحلة الثانية بعد المؤتمر السادس للاتحاد المذكور الذي انعقد في ناوبردان في تموز عام ١٩٧٠ حيث بقيت أنا كسكرتير عام لتلك المنظمة حتى انعقاد المؤتمر السابع لها في ربيع عام ١٩٧٢ حيث كنا على وفاق وتفاهم تامين طيلة بقائنا معا وإلى يومنا هذا) وتركا لي ترتيب الأمور الفنية وأبديا الملاحظات الضرورية حول التمسك بالكتمان الشديد لإنجاح إيصال الرسالة في وقتها المحدد، وهكذا وخلال يومي الثاني والثالث من شهر أيلول استطعنا أنجاز كل ما يتعلق بالسفر وأخذ أرقام التلفونات الضرورية ورسالة توصية من الأخ دارا لصديقه الصحفي بدار الأهرام و(الأستاذ صلاح الدين حافظ) والذي كان قد زار بغداد في نيسان من العام المذكور والتقى بـ(كاك دارا) عدة مرات خلال فترة وجوده وأمضيا سهرة في حدائق مطعم حمورابي الكائن في قناة الجيش ومن حسن الحظ كنت حاضرا مع الزميل الصحفي يونان هرمز بصحبة الأخ دارا في تلك السهرة.

في الساعة الخامسة من عصر اليوم الثالث من أيلول هبطت طائرتنا في مطار قاهرة الدولي وكان الازدحام على أشده حيث تزامن وصول طائرتنا مع عدة طائرات أخرى في نفس الوقت إلى المطار وبدأت الإجراءات الأصولية بأخذ الجوازات والتدقيق في المعلومات المكتوبة والإجراءات الأمنية الأصولية وحال وصولنا إلى أمام الشباك المقرر لإعطاء الجوازات سارت الأمور بشكلها الاعتيادي للقادمين على متن الطائر العراقية وكنا تقريبا في مؤخرة الصف الواقف بالانتظار لإكمال المعاملات وكنت مأخوذا بالمشاهد التي كانت تجري في الصالة الكبرى والازدحام، وتسابق القادمين والمسافرين وضجيج العمال من حاملي الأمتعة واللهجة المصرية المحببة على قلوبنا وبين لحظة وأخرى كنت أطمئن على الحقيبة التي كانت تحوي الرسالة ونتقدم ببطء نحو الشباك لا إراديا وبعد فترة استغرقت ثلاثة أرباع الساعة وجدت نفسي أمام الشباك وجها لوجه مع موظف مدني جالس في مكانه وبجانبه ضابط عسكري حليق الذقن والشارب أسمر اللون طويل القامة سارح الرأس وكان يدقق في الجوازات بترفع ظاهر بعد أكمالها من قبل الموظف المختص، وعندما حان دوري قدمت جوازي وخلال لحظات ختم الجواز والتوقيع على مكان تأشيرة الدخول ثم ناوله إلى الضابط الواقف وأخذ يتفحص الجواز ويقلب صفحاته أكثر من مرّة ودارت في خلدي لحظتها أفكار معينة وقلت مع نفسي ترى ما هو السبب في هذا التأخير؟ وأنا أنظر بطرف عيني إلى وجه الضابط وحركات يديه وحافظت على رباطة الجأش وفي الحقيقة لم أكن أخاف من شيء عدا الرسالة التي كنت احملها كأمانة تاريخية وبينما كنت أفكر في هذه الأمور نظر الضابط إلي بإمعان وسألني عن أسمي وبلدي وقوميتي وأشار إليّ بهدوء وقال (تفضل يا بيه) عندها لم أستطع التمييز بين الخير والشر وخرجت حالا من الصف بعد أن أعلمت زميلي (عادل مراد) في السفر لا يجعل من نفسه طرفا إلى أن ينجلي الأمر ودخلت الغرفة الملاصقة التي أشار إليها الضابط وهي تقع على يسار غرفة تدقيق الجوازات وعند دخولي عليه طلب مني الجلوس وتفوه بعبارة (حمدا لله على السلامة) وبدأ يسألني عن الكورد ومناطق تواجدهم وقبل الإجابة على أسئلته المتطفلة قلت له بما معناه ما هو الغرض من هذا الانفراد دون سائر القادمين؟ ولماذا توجه لي هذه الأسئلة؟ وهل يشك في أمر ما؟ وعندما لاحظ جديتي وهدوئي أعلمني بأن الاسم كان

غريبا عليه وخاصة كما قال لي (من بلد عربي مثل العراق) وأنه لاحظ في الجواز تغيير المهنة من طالب إلى صحفي وشك في كوني غير عربي وأنه سمع كثيرا، والكلام له عن حرب الكورد في العراق وأراد كما قال لي أن يتأكد بدافع الفضول والمعرفة (عن مدى جدية الكورد في الانفصال عن العراق) وأعتذر مسبقا عن تأخيري وعندها طلب كوبين من الشاي وكان ينتظر التوضيحات مني وعندما أيقنت بأن المسألة لا تعدو أكثر من مفارقة وكانت معاملته في غاية من الاحترام واللياقة وبعد أن أطمأن قلبي من عدم وجود أية محاذير قلت بما معناه (أننا لسنا دعاة انفصال وكل ما نطالب به الاعتراف بالحقوق القومية ضمن دولة العراق الواحد وهذا من حقنا وأما ترويج أسطوانة الانفصال فهذا شأن الحكومات العراقية والفئات التي لا تريد للعراق خيرا ولا توجد فقرة واحدة في برامجنا ومطاليبنا ومذكراتنا تدعو إلى هذا الشيء) وهكذا أستمر النقاش مدة ثلث ساعة وبعد أن شعر بأني على عجلة من أمري ناولني الجواز وأبدى ارتياحه الكامل للأجوبة وتفهم عملي كصحفي وسألني ونحن واقفان عن مدى معرفتي بمدينة القاهرة ومعالمها وفنادقها وذكر لي أسماء بعض الفنادق وأجورها وفي الحال نادى على شرطي وأوصاه بسيارة تاكسي وإيصالنا إلى المكان الذي نختاره وشكرته عند خروجي وأول ما خرجت من الغرفة رأيت زميلي عادل مع زميل آخر تعرفنا عليه في الطائرة وهو كان من الأخوة الكورد الفيليين وعندئذ بادرته بكلام أفهمته بأن الأمر لم يكن أكثر من مزحة.

وفي سيارة الأجرة فيما كنا نسير نحو قلب مدينة القاهرة والساعة تشير إلى السابعة مساء وسائق السيارة لم يتوقف لحظة عن الكلام عن تلك المدينة (أم الدنيا) ومعالمها الحضارية وشوارعها المزدحمة وأزمة المرور فيها و(نيل)ها العظيم وأدعى بأنه خريج إحدى كليات جامعة القاهرة ومتخصص في التأريخ وكان دليلا سياحيا بمعنى الكلمة وتكلم كثيرا عن تأريخ مدينته القاهرة وحدد عمرها بـ(ألف وأربع سنوات) في ذلك الوقت إذ بناها جوهر الصقلي سنة ٩٦٩م وقد ألحّ علينا وأوصانا بزيارة المتحف المصري والذي يعد من أعظم المتاحف في العالم والذي يزوره الملايين سنويا وكيف أنه شاهد على تأريخ مصر ولم يكد ينتهي من سرده للتأريخ حتى كنا أمام مدخل فندق شبرد ذلك الفندق الذي تم إعادة بنائه ثلاث مرات (إذ أسسه المستر شبرد سنة ١٨٢٤ وأعيد

بناؤه في نفس موقعه الأول في شارع إبراهيم باشا إلى أن أحترق سنة ١٩٥٢ أثناء حريق القاهرة المشهور وأعيد بناؤه للمرة الثالثة في الموقع الذي أختاره ووضع تصميمه المهندس (إيلي شاغوري) على كورنيش النيل)، وطلبنا من أدارة الفندق تخصيص إحدى الغرف المطلة على النيل وكانت أجرتها على ما أذكر أغلى من الغرف المواجهة للناحية الغربية.

وفي صباح اليوم الرابع من أيلول توجهنا مباشرة إلى سفارة جمهورية الجزائر (الدولة المضيفة للمؤتمر الرابع) إذ سبقته ثلاث مؤتمرات أخرى بعد مؤتمر (باندونغ) في نيسان سنة ١٩٥٥ والذي شهد بداية ظهور هذه الحركة السياسية الدولية إذ شارك فيه عمالقة الاتجاه الجديد لهذه الحركة (نهرو وتيتو وعبد الناصر ونكروما وسيكوتوري) حيث أنعقد المؤتمر الأول في بلغراد سنة ١٩٦١ وتلاه المؤتمر الثاني في القاهرة سنة ١٩٦٤ أما المؤتمر الثالث فقد أنعقد في (لوسكا) عاصمة جمهورية زامبيا أيام كان (كينث كاوندا) رئيسا لتلك الجمهورية الأفريقية وكانت عدة بوسترات معلقة في صالة استراحة الزائرين في السفارة الجزائرية تتوسطها صورة كبيرة للرئيس هواري بومدين تجمعه مع الرئيس الراحل جمال عبد الناصر، ولم تمض أكثر من خمس دقائق في قاعة الانتظار حتى تقدم أحد موظفي السفارة منا وأستفسر منا عما نريده ونحن بدورنا طلبنا مقابلة أحد المسئولين الكبار من السفارة لأمر هام وعاجل وعرّفناه بأنفسنا وسجل هو تلك المعلومات في دفتر جيب كان يحمله وتركنا لفترة دامت حوالي ربع ساعة وكنا مستعجلين للغاية ونحن نلتفت يسارا ويمينا عن كل حركة تحدث هنا وهناك وانفرجت أساريرنا عندما حضر موظف آخر وكان على ما يبدو أعلى مرتبة من الموظف الذي سجل المعلومات وجلس أمامنا وطلب توضيح الأمر والغرض من زيارة السفارة والاطلاع على جوازات السفر عندئذ تكرر مطلبنا برؤية أحد المسئولين وأفهمناه ثانية غرضنا في الزيارة بالتفصيل وغاب عنا هو الآخر مدة ربع ساعة أخرى وعندما عاد ثانية انفرجت أساريرنا وطلب منا باحترام أن نتبعه إلى إحدى الغرف في الطابق العلوي وعند بابها أفهمنا بأننا سنلتقي السكرتير الأول في السفارة وفتح الباب لنا وأنسحب. لم تكن غرفة السكرتير الأول تزيد مساحتها عن العشرين مترا مربعا وفيها طقم من الجلد الأسود وصورة كبيرة للرئيس بومدين وفي أحد أركانها كانت

منضدة السكرتير ذات اللون القهوائي ولم تكن أثاث الغرفة منسجمة أطلاقا ومنذ إلقاء النظرة الأولى عليه لم أكن مرتاحا منه وبصعوبة ظاهرة قام من مقعده وصافحناه وارتجلنا بعض العبارات المألوفة حول شخصيتنا ابتداء من الأسم إلى آخر شيء يهم المقام وبعد فترة صمت طلب القهوة لنا وأمسك بقلم وطلب منا ما نريده بالتحديد ولم نستغرب من سلوكه وإعادة وتكرار ما كنا نريده ولخصناه (بأننا ننوي زيارة الجزائر وإيصال رسالة خطية من قائد الحركة التحررية الكوردية مصطفى البارزاني إلى سكرتارية مؤتمر القمة باعتبارها الإطار العام لجميع الدول غير المنحازة ولحركات تحرير الشعوب في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية بصفة مراقبين وبما أن الجزائر هي الدولة المضيفة للمؤتمر نرجو الموافقة على منحنا تأشيرة الدخول إليها) وأثناء حديثنا لاحظنا عدم الارتياح على وجهه وأشغل نفسه بتحريك القلم على ورقة كانت أمامه وعند الانتهاء من كلامنا بادرنا بسؤال عجيب وغريب مفاده (ماذا تظنون أنفسكم حتى تحضروا مؤتمرا كبيرا كمؤتمر القمة لدول عدم الانحياز؟!) وبطبيعة الحال استفزنا من أسلوب كلامه ونوعية السؤال الذي واجهنا به ولكن مع ذلك تظاهرنا بالهدوء وكأن شيئا لم يكن وقلت له (يا أستاذ جئنا إلى سفارتكم طلبا لتأشيرة الدخول وزيارة بلدكم العزيز على قلوبنا، لقد كنا متعاطفين إلى آخر درجة مع ثورتكم عندما كنتم تناضلون من أجل نيل الجزائر لاستقلالها وأصبحت ثورتكم مادة غنية لشعرائنا وكتابنا وكنا نحفظ أسماء قادتكم وكانت صورة بطلتكم المناضلة (جميلة بوحيرد) توزع بأعداد كبيرة في مدن وقصبات كوردستان وناصرنا ثورتكم بقلوبنا وحملنا أعضاء فريقكم لكرة القدم على أكتافنا عند حضورهم لبلدنا وتعمدنا الخسارة أمامهم حبا وإكراما لهم ونحن مثلكم قاومنا الغزاة والمستعمرين وسالبي حقوقنا القومية منذ مئات السنين وسيتحرر بلدنا يوما مثل الجزائر وكل ما نطلبه منكم السماح لنا بالسفر إلى بلدكم وإيصال الرسالة).

وبينما كنا مستمرين في كلامنا قاطعنا السكرتير الأول بكلام لم أفهم فحواه أولا إذ قال لي (إن مؤتمر القمة على مستوى الرؤساء، وليس بمقدور غيرهم الحضور إليه بتاتا) عندئذ تأكد لنا بأن المسئولين في السفارة لن يسمحوا لنا بدخول بلادهم مهما حاولنا وأصبح حوارنا أشبه (بحوار الطرشان) ومع هذا لم أتمالك نفسي وقلت له

(عندما كنا في صالة الانتظار قرأت خبرا في صحيفة الأخبار القاهرية الصادرة صباح هذا اليوم مفاده بأن وزراء خارجية دول عدم الانحياز وافقوا على قبول منظمة التحرير الفلسطينية كمراقب في المؤتمر وأنتم لا تسمحون لنا بإيصال رسالة والسفر إلى بلدكم) وعندما انتهيت من كلامي شعرت بأن السيد السكرتير أستفز من كلامي أيضا ولم يتمالك نفسه وقال بالحرف الواحد (أذا سمحنا لكم بزيارة الجزائر وإيصال الرسالة إلى سكرتارية المؤتمر ينبغي السماح (للبربر) أيضا بتحرير رسالة وإيصالها إلى المؤتمر)!!.

وهكذا لم تشفع حججنا في أقناع المسئول الجزائري أو تليين موقفه تجاهنا إذ لم يتفهم هذا المسئول حقيقة وجود قضية مصيرية تخص شعبا ثار قبل الجزائر بمئات السنين دفاعا عن وجوده وإن عدم تفهمهم لقضية شعب كوردستان انجلى بصورة أكثر وضوحا عندما أصبحوا (عرابا) لاتفاقية السادس من آذار سنة ١٩٧٥ سيئة الصيت والتي انعقدت في عاصمة بلاد (المليون شهيد) التي تنهكها الحرب الأهلية منذ سنوات.

وحال مغادرتنا مبنى سفارة الجزائر في القاهرة توجهنا مباشرة إلى سفارة جمهورية يوغوسلافيا باعتبارها إحدى الدول المؤسسة لحركة عدم الانحياز ومؤتمراتها وكانوا متفهمين أكثر لمثل هذه القضايا وعندما كنا داخل السفارة طلبنا من موظف الاستعلامات الذي كان يجيد التكلم بالعربية مقابلة مسئول في السفارة لأمر هام وضروري وعن طريق جهاز الهاتف الداخلي أستطاع خلال دقائق تسهيل مقابلة أحد كبار المسئولين لنا ولم تستغرق فترة الانتظار أكثر من عشرة دقائق حتى كنا في مكتب السفير إذ قابلنا المدير المسئول عن مكتبه وبصحبتنا الموظف الذي كان يتكلم العربية في صالة الاستقبال حيث رحب بنا كثيرا وشرحنا له طبيعة مهمتنا وعما لاقيناه في سفارة جمهورية الجزائر واستفسرنا من مدير المكتب عن مدى أمكانية مساعدتهم لنا بإرسال الرسالة وضمان وصولها إلى سكرتارية المؤتمر وحال انتهاء الموظف من ترجمة أقوالنا وحيث كنا جالسين في مكتبه رفع سماعة الهاتف وأتصل لعدة دقائق وقبل أن ينهي مكالمته أستفسر عن طريق المترجم أين تكون الرسالة فأخبرناه بأن النسخة الأصلية منها هي معنا وأخبرنا هو بدوره المتكلم من الطرف الآخر على الهاتف وعندما وضع السماعة في مكانها طلب منا الرسالة وفتحت حقيبتي

وأخرجت المظروف الذي يتضمن الرسالة وناولتها إياه وهو واقف في مكانه وحال استلامه الرسالة توجه عبر الباب الداخلي إلى غرفة أخرى وحينما عاد بعد عدة دقائق أخبرنا بأن الرسالة ستصل اليوم بالتأكيد إلى سكرتارية المؤتمر وعندما أحس بأننا بحاجة إلى الاطمئنان وزيادة في التأكيد حرر لنا كتابا باللغة الانكليزية أشعارا باستلام الرسالة والجهة التي أرسلت إليها مختومة بختم السفارة اليوغوسلافية.

وعندما كنا خارج بناية السفارة شعرنا بالراحة النفسية وتلاشى نوعا ما قلقنا حول وصول الرسالة إلى جهتها المطلوبة وكان لجريان نهر النيل ونحن نتمشى في كورنيشه المطل على النهر بالقرب من فندق سميراميس أبلغ الأثر في تهدئة الخواطر والهواجس التي نجمت عن عدم نجاحنا بالسفر إلى الجزائر وانجاز مهمة إيصال الرسالة مباشرة من قبلنا وتذكرت حديثا للأخ دارا توفيق في أمسية مطعم حمورابي حين جمعنا مع الصحفي المصري صلاح الدين الحافظ حول وجود ظاهرة يتصف بها (الإخوة) في مصر وهي أن المصريين يركنون إلى جوار النيل عندما تصادفهم مشكلة ما أو يتعرضون للأزمات، وبوصولنا إلى الفندق اتصلنا مباشرة بعدة أرقام هواتف كنا نحملها معنا وكانت تخص الصحفية المصرية الكوردية الأصل درية عوني والكاتبة صافيناز كاظم ولم أفلح في الاتصال بهما لأنهما كانتا خارج القاهرة في ذلك الوقت وكذلك كنت أحمل رسالة شخصية من الأخ دارا توفيق إلى صلاح الدين حافظ الكاتب والصحفي في جريدة الأهرام واتصلت برقم هاتفه في دار الأهرام وأخبرت لسوء الحظ أيضا بأنه خارج مصر بمهمة صحفية وأن المتكلم في الجانب الآخر بغرفة الأستاذ صلاح الدين حافظ الكاتب والصحفي (سعدالدين وهبة) فعرّفته بنفسي وبهويتي الصحفية وشخصية زميلي عادل وبالرسالة التي نحملها وعندها كعادة الأخوة المصريين أبدى الرجل ترحيبه الحار وهنأنا بسلامة وصولنا إلى أرض الكنانة وأخبرنا هو بتحديد الساعة التي نستطيع فيها زيارته في مبنى جريدة الأهرام واتفقنا على اللقاء في الساعة الخامسة من مساء اليوم نفسه.

في الساعة الخامسة إلا ربعا كنا أمام بناية دار الأهرام بطوابقها الأربعة الشامخة بلونها المائل إلى الرصاصي الفاتح أما أسم الدار فقد أستمد من الآثار العظيمة لأهرامات مصر وتصدر عن الدار أقدم صحيفة يومية مصرية وهي مازالت تواصل

الصدور حتى يومنا هذا وقد أسسها الأخوان سليم وبشارة تقلا في عام ١٨٧٥ وهما سوريان بالأصل حيث بدأ بإصدار الصحيفة أسبوعيا في مدينة الإسكندرية ثم تحولت إلى جريدة يومية بعد ست سنوات من تأسيسها وانتقلت إلى القاهرة سنة ١٨٩٩ وتعاقب على رئاسة تحريرها صاحباها مع الشاعر خليل مطران وداود بركات وأنطوان الجميل وأحمد الصاوي وعزيز مرزا وفي عام ١٩٥٧ رأس تحريرها محمد حسنين هيكل الذي أستطاع بقابلياته الكبيرة وذكائه وفطنته وقربه من رجالات ثورة ٢٣ تموز ١٩٥٢ وبالأخص زعيمها الراحل جمال عبدالناصر تحويل هذه الجريدة إلى مؤسسة صحافية كبيرة وأصبحت مقالاته الشهيرة (بصراحة) مادة ينتظرها الساسة والمثقفون وصناع القرار من هذا البلد وذاك نظرا لقربه من مصادر صنع القرار وصداقته لعبدالناصر ومن خلال عمله الصحفي ألّف عشرات الكتب وأستطاع بأسلوبه الذكي والسلس جذب جمهرة كبيرة من القراء سواء أكانت بالعربية أو الانكليزية وفي أحد فصول كتابه الشهير (زيارة جديدة للتأريخ) يتحدث عن لقائه بالبارزاني الخالد في إحدى ضواحي مدينة طهران بعد اتفاقية السادس من آذار الخيانية ونشرتها نصا صحيفة (الوطن) الكويتية في ١٩٧٥/٩/٥ تحت عنوان (مناقشة مع صقر كوردستان) حيث يقول فيها (في وقت من الأوقات كنت أريد أن ألقاه عبر الطريق الطويل والخطر... كان الترتيب أن أذهب إلى فينا عاصمة النمسا. وهناك أضع نفسي تحت تصرف مندوبين له يرقبون أمر سفري أو تهريبي إلى كوردستان لألتقي في قرية من قرى الجبال هناك بمصطفى البارزاني قائد الثورة الكوردية. كان ذلك منذ سنوات لكني أخيرا قابلته وبأقصر الطرق، وأكثرها أمانا) ثم ترك هيكل رئاسة تحرير الأهرام في أواخر عام ١٩٧٣ أثر خلافه مع الرئيس الراحل أنور سادات. فتولى رئاستها علي أمين ثم أحمد بهاء الدين وإحسان عبدالقدوس وعلي حمدي الجمال وأخيرا وإلى يومنا هذا إبراهيم نافع..................

وعند وصولنا إلى البوابة الرئيسية لمبنى الدار شاهدنا أثنين من البوابين وهما يرتديان زيا خاصا بالجريدة ذات اللون الكحلي الغامق والقريب من طراز ملابس البحارة مع اختلاف اللون ومثبت على الجهة اليسرى منها الباج الخاص بالجريدة وهو محفور على قطعة معدنية من النحاس ذات اللون البرونزي، وحال وصولنا إليهم أديا

التحية لنا بأدب جم وفتحا لنا بابا وإذا بموظف قبالتنا ويبدو أنه كان على علم مسبق بموعد وصولنا فتقدم أمامنا بخطوتين ووضع يده على زر المصعد ووجدنا أنفسنا في داخله، وفي الطابق الثالث كنا وجها لوجه مع الصحفي والكاتب سعدالدين وهبة الذي كان بانتظارنا أيضا وتم التعارف في اللحظات الأولى قبل الولوج إلى مكتبه.

ومكتبه عبارة عن غرفة لا تتجاوز مساحتها عشرين مترا مربعا وكان مؤثثا تأثيثا أنيقا وكان اللون الرصاصي هو الغالب على شكلها العام، الأثاث ولون الجدران وكان هو يرتدي بنطلونا من اللون الرصاصي أيضا مع قميص ذي نصف أكمام وخيّرنا بين تناول المرطبات أو الشاي والقهوة وكعادتهم جاملنا كثيرا مؤكدا بأن العلاقة مع الكورد قديمة وذكّرنا بفترة حكم الأيوبيين الكورد والتي دامت قرابة ثمانين سنة وحدثنا عن بقايا أخلافهم، حدثنا أيضا عن مساهمة الكورد في الحضارة الإسلامية وأبدى أسفه للنزاع الناشب بين كورد العراق والحكومات العراقية مؤكد بأن دور مصر كان على الدوام الابتعاد عن اللجوء الى القوة وحل الخلافات بالطرق السليمة وهكذا لبثنا ننتظر بصبر ريثما ينتهي من كلامه وأسلوبه الشيق الذي كان يجمع بين السلاسة واللياقة وعندما شعر بأنه قد أسترسل في كلامه كثيرا وأعتذر منا بأسلوب لطيف تاركا لنا ما نريد أن نقوله ولم ينس عندما سلمناه رسالة الأخ دارا والمرسلة أصلا إلى الأستاذ صلاح الدين حافظ صديقه وزميله في الأهرام أن يقول لنا بلهجته المصرية المحببة (مافيش فرق)! وعند انتهائه من قراءة الرسالة سألنا عن فحوى الزيارة وعندئذ شرحنا له بالتفصيل الغرض من زيارتنا للقاهرة وما جرى لنا في السفارة الجزائرية من موقف متعنت وأسلوب خشن التعامل والامتناع عن منحنا تأشيرة الدخول إلى بلادهم في الوقت الذي يتواجد العشرات من الصحفيين والمراقبين الأجانب في الجزائر، وعندما كنت أنا المتحدث لاحظت عليه الارتياح ولم يعلق بشيء إلى أن انتهيت من كلامي وحينئذ شعرت بأنه كان متعاطفا معنا دون الإشارة إلى ذلك بصراحة وأبدى ملاحظة ذكية مفادها (إن المؤتمر سيكون أفضل مناسبة لحركات التحرر لطرح قضاياها على بساط البحث).

فشكرناه على حسن استقباله لنا وقدمنا له نسخة مصورة من (الرسالة) التي كانت في حقيبة الأخ عادل مراد وتركنا له حرية الاختيار فيما يراه مناسبا بصدد نشر

الرسالة أو الإشارة إليها وفي ختام اللقاء أستحسن القيام بجولة سريعة في بعض أقسام الأهرام وكيفية العمل فيها والتي استغرقت زهاء ساعة أخرى تجولنا خلالها في طوابقها وأقسامها ومكاتب كبار كتابها ومنهم نجيب محفوظ وتوفيق الحكيم وغيرهما. وأطلعنا على شعبة استقبال الأخبار الخارجية والأجهزة المستعملة فيها وتذكرت ما كنا نعانيه نحن في بغداد آنذاك من شحة الأجهزة والطريقة البدائية في جمع وصنع الأخبار كانعكاس للواقع السياسي الذي يعيشه الكورد بسبب الغبن الذي ألحق بحقهم حيث لم يستطع رواده الأوائل إصدار أول صحيفة كوردية في بلادهم وفضلوا بدلا عنها اختيار (القاهرة). وفي العاشرة ليلا كنا مشدودين أمام جهاز التلفاز في إحدى صالات الفندق ونحن نشاهد وقائع افتتاح مؤتمر القمة الرابع لدول عدم الانحياز بقصر الصنوبر بالجزائر ومئات المصورين والصحفيين يحيطون بالقاعة من الداخل والخارج لنقل وقائعه في الوقت الذي لم يسمح لنا بدخول هذا البلد الذي يستضيف المؤتمر، هذا البلد الذي تعاطف جيل من المثقفين والساسة الكورد تعاطفا مع ثورتهم وقد تحول فيما بعد إلى مكان لعقد وتوقيع أكبر اتفاقية خيانية بحق الكورد في القرن العشرين!! ولم نستطع متابعة التلفاز وخرجنا إلى الكورنيش لنتأمل مياه النيل العظيم في سيره الحالم ورحلته الطويلة من جبال القمر إلى شواطئ المتوسط نناجيه ونبثه بعضا من همومنا التي لم تنته بعد حتى يومنا هذا في الوقت الذي يواصل النيل الخالد جريانه الأبدي.

ولاطلاع القارئ الكريم على رسالة البارزاني الخالد الآنفة الذكر ننشرها هنا خدمة للتاريخ....

نص رسالة البارزاني إلى مؤتمر عدم الانحياز
الذي عقد في العاصمة الجزائرية في شهر آب عام ١٩٧٣

رئاسة مؤتمر القمة الرابع لدول عدم الانحياز:

تتجه أنظار شعوب العالم بما فيها شعبنا الكوردي نحو العاصمة الجزائرية حيث يعقد مؤتمر القمة الرابع لدول عدم الانحياز في ظروف دولية مهمة للغاية والتي تتطلب تعبئة

الجهود لمعالجة المسائل الدولية والوطنية الملحة التي تواجه شعوب هذه الدول، حسب مصالحهم الوطنية المشتركة.

ان ما يتوجه إلى مؤتمركم على وجه الخصوص، هو انظار الشعوب المظلومة والمغلوبة على أمرها حيث انكم بانفسكم تمثلون شعوبا كانت قد عاشت وتعيش في ظل ظروف مشابهة تمر بها هذه الشعوب المضطهدة اليوم.

لقد انجزت حركة عدم الانحياز مكاسب مهمة لصالح شعوب العالم خلال مؤتمراتها السابقة والتي عقدت في بلغراد والقاهرة ولوساكا، ثم انها تتمتع بمسؤولية كبيرة في العالم وفي مقدرتها تحقيق انفراج دولي وتمكين شعوب عديدة في الحصول على طموحاتها القومية وحريتها واستقلالها.

ان شعوب العالم تتجه انظارها إلى المؤتمر وتأمل ان تترجم المبادئ النبيلة في محاربة الاستعمار والتهديدات الموجهة إلى أمن الشعوب والاستغلال والاضطهاد، ومن أجل التعاون الدولي لحل القضايا الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ولكي يقدم العون إلى الشعوب لتحقيق طموحاتها المشروعة المتمثلة في حريتها واستقلالها إلى الواقع وذلك لخلق جو يمكن من خلاله وضع اسس جديدة للعلاقات الدولية، وتعاون الشعوب النامية بينها في العالم وعلى مستويات الدولة الواحدة نفسها والتي تتواجد فيها أكثر من قومية واحدة.

ان العديد من الأقطار غير المنحازة، يعيش فيها أكثر من قومية واحدة، ولقد عانت القوميات الصغيرة من بينها، من اضطهاد (مزدوج) وذلك في العهود الاستعمارية. ولاتزال هذه الشعوب الصغير تعاني من الاضطهاد القومي الذي استمر بالنسبة لها بعد تحرر البلاد التي يعيش فيها من الاضهاد الاستعماري. وليس هذا فحسب بل وبسبب ضيق افق الحكام وفشلهم في الاستجابة لمتطلبات الحياة العصرية وظهور المسألة الوطنية على مسرح الحياة السياسية كمسألة ملحة وعاجلة فلقد اتخذ هذا الاضطهاد في بعض من هذه الأقطار أشكالا أكثر خطورة عما كانت عليه أثناء السيطرة الاستعمارية ان هذا أدى ويؤدي إلى بعثرة الجهود في هذه البلدان في اتجاه المعالجة الخاطئة للمسائل الوطنية بدلا عن الاتجاه نحو ايجاد حلول راسخة وسليمة لهذه القضايا وعلى الأخص المسألة القومية.

ان شعبنا الكوردي الذي يشكل واحدا من شعوب منطقة الشرق الأوسط الرئيسية والذي عانى طويلا من الاضطهاد الأجنبي والذي كان دوما في حالة ثورة مستمرة ونضال دؤوب في

سبيل حقوقه القومية والديمقراطية، تتجه اليوم بأنظاره نحو شعوب العالم، وبالأخص نحو دولكم وشعوبكم لمد يد العون إليه من أجل تحقيق طموحاته والتي هي طموحات مشتركة بين جميع هذه الشعوب. عن اعتراف الحكومة العراقية بحق الشعب الكوردي في تمتعه بالحكم الذاتي ضمن إطار الجمهورية العراقية شريطة ان ينطبق في حدود مدة لا تتجاوز الأربع سنوات من تاريخ عقد الاتفاقية التي تنتهي في ١١ آذار ١٩٧٤. لقد عبر الشعب الكوردي بل الشعب العراقي بأكمله وجميع الشعوب العربية عن عظيم ابتهاجها بهذه النتيجة كطريق صائب لتعزيز الروابط المشتركة بين الشعبين العربي والكوردي حيث ان ذلك من شأنه دعم الجبهة الوطنية وتقوية النضال المشترك للشعبين للوصول إلى أهدافها المشتركة.

وفي الوقت الذي نقترب فيه من الذكرى السنوية الرابعة لاتفاقية آذار والموعد النهائي لتطبيق الحكم الذاتي، فان قضايا مهمة وعقبات حقيقية تواجه التطبيق المنشود والتي ربما ستكون مانعا له ومن بين هذه القضايا والعقبات الأكثر خطورة هي المحاولات المدبرة لغرس تغيير حقيقة الوجود القومي في بلادنا لأسباب قومية ضيقة كذلك اعمال تنمية المنطقة الكوردية ومحاولة اضعاف دور الحركة الكوردية والحزب الديمقراطي الكوردستاني في الحياة السياسية للبلاد.

اننا في الوقت الذي نتوجه إليكم بهذه الرسالة نود أن نجلب انتباهكم إلى هذه المسألة ونأمل أن تستخدموا تأثيركم ونفوذكم في دعم ومساندة آمال الشعب الكوردي المتمثلة في التمتع بالحكم الذاتي ضمن الجمهورية العراقية ومن أجل تطوير متكافئ للبلاد ومشاركة فعالة في إدارتها، وحلق امكانية تمتين الاخوة العربية الكوردية بعيدا عن الدعوات والحملات العنصرية التي هي جزء من سياسات العهد الاستعماري واستمرار لها، ومن أجل توجيه طاقات البلاد نحو تنمية وتحقيق مصالح الشعبين.

اننا نعتقد بأن على مؤتمر دول عدم الانحياز، إعادة النظر في المسألة القومية في الدول المشاركة ومناقشة أسبابها وتأثيراتها في سبيل الوصول إلى صيغ مناسبة لكل هذه المسألة بشكل يوفر على البلدان المعنية الكثير من الجهود والنفقات التي تحتاجها تلك البلدان إلى أبعد حد لصرفها على مشاريع التنمية لإكمال مهمات التحرر الاقتصادي وبناء الدول العصرية من جميع الأوجه.

في الوقت الذي نتابع فيه أعمال مؤتمركم باهتمام فاننا نعبر عن ايماننا العميق بأن عقده في هذه الأيام يأتي كخطوة كبيرة إلى الأمام نحو توطيد مبادئ عدم الانحياز وتأمين حياة أفضل في عالم تهيمن عليه روح الاخوة وترفرف على ربوعه رايات السلام.

المخلص

مصطفى البارزاني

رئيس الحزب الديمقراطي

الكوردستاني

من اليسار عادل مراد وإلى جانبه فرهاد عوني خلال حضورهما مؤتمر المعارضة

العراقية في لندن كانون الأول عام ٢٠٠٢

مدينة القاهرة

مؤسسة (الأهرام) الصحفية في القاهرة

عدد ١ — يوم السبت في ٥ اب — سنة ١٨٧٦

الاهرام

(ثمن الاهرام)

في الاسكندرية عن سنة واحدة ثلاثة وعشرون فرنكا وعن ستة اشهر خمسة عشر فرنكا واما في الخارج خالصة اجرة البوسطة بالصورة الآتية

	عن سنة فرنك	ستة اشهر فرنك
في مصر وسائر الارياف الخديوية	٢٥	١٦
في الاستانة العلية	٢٥	١٦
في سورية وسائر الممالك المحروسة	٢٥	١٦
في اوروبا والجزائر وتونس	٣٠	١٧
في عجامي وكلكته	٣٠	١٧

ان كل نسخة من الاهرام ذات اربع صفحات نصف فرنك

(مكاتبات الاهرام)

جميع المكاتبات التي ترسل الينا متعلقة بالاهرام ينبغي ان تكون خالصة الاجرة باسم سليم افندي تقلا محرر الاهرام ومحل ادارتها على شارع البورص امام بنك الرهونات

(وكلاء الاهرام في الخارج)

اسماء وكلاء الاهرام تذكر في آخر الجريدة وعند وجود محل يمكن الحصول على الاهرام في الاماكن التي ليس بها وكلا بارسال حوالة الى مديرها او بارسال طوابع البوسطة من اي نوع كان على قدر مدة الاشتراك

بالاسكندرية في يوم السبت ٥ اغسطس (اب) سنة ١٨٧٦ — الموافق ١٥ (رجب الفرد) سنة ١٢٩٣

هذا هو العدد الاول من السنة الاولى لجريدة الاهرام المرتبة بعناية الحكومة السنية والمستعدة الاستعداد التام لان تجعل من صفحاتها واتقانها بمطالعة لانها تعاني البحث لتقف على الفوائد الصحيحة فتوفي بحقوق الجرائد وتكسب قبول الجمهور والاستقبال شاهد. فعلى اولي الغيرة والهمة مد يد المساعدة الادبية المنتجة المادية وذلك بالاقدام على الاشتراك فتتشجع ولا تبالي بالصعوبات الابتدائية كيف كانت. وعلى الجمهور ان يلاحظ من عدد الى عدد التقدم الذي يحدث بالتدريج فانه لمؤكد

ومتى بحثنا مدققين في الفرد الواحد مما هو في ذاته وقابلناه بالنسبة الى غيره لاح لنا من وراء الحجاب تلك الصفة الغريزية التي لا يخلو منها انسان ولا تحول عن احد فهي كغول من قال عادة في البدن لا يغيرها الا الكفن وان اردنا ان نعبر عن هذه الصفة بما يدل عليها تدعونا الافكار مسابقة الى التصريح بها بقولنا حب الذات وبالحقيقة ان هذه الصفة الغريزية مستقلة في كل فرد ولها عليه دواع ودعاو فهي الامبرة المطاعة والسلطانة المطلقة التصرف ولا ننكر ان هذه الخلة هي من الخلال

الى هدم الراحة ليستروا نبراس السلام بكثافة غيوم الحروب والقلاقل غير مبالين بما هنالك من تشويش الافكار وانقلاب مركبات الاعمال بتعطيلهم مسالكها القويمة كانهم هم العالم وليس سواهم فنرى اذ ذاك تغييرات شتى وانقلابات عديدة ومقاصد متنوعة ومذاهب مختلفة ونصعضعا مستمدا من حركات متجاذبة متدافعة فنلتزم وقتئذ بعد معاناة البحث ان نرجع هذه الفروع الى اصل واحد انتج هذه النتائج وندعوه بالمثال ودليل الحال حب ذات غير مرتب اصدر طمعا فعل ما جرى

العدد الأول من جريدة (الأهرام) المصرية

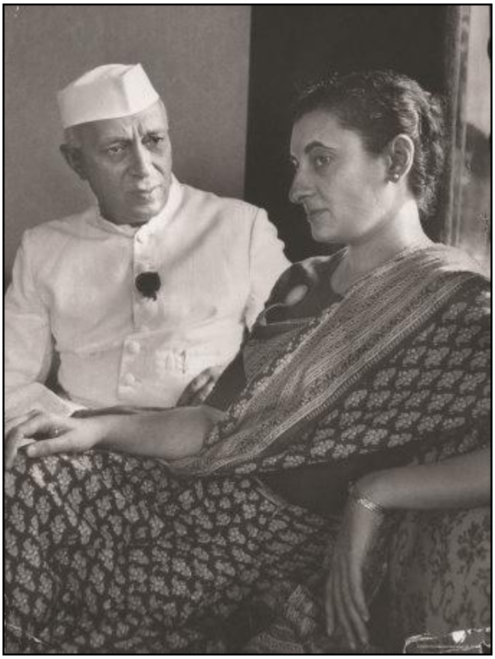

الزعيم الهندي جواهر لال نهرو مع ابنته أنديرا غاندي

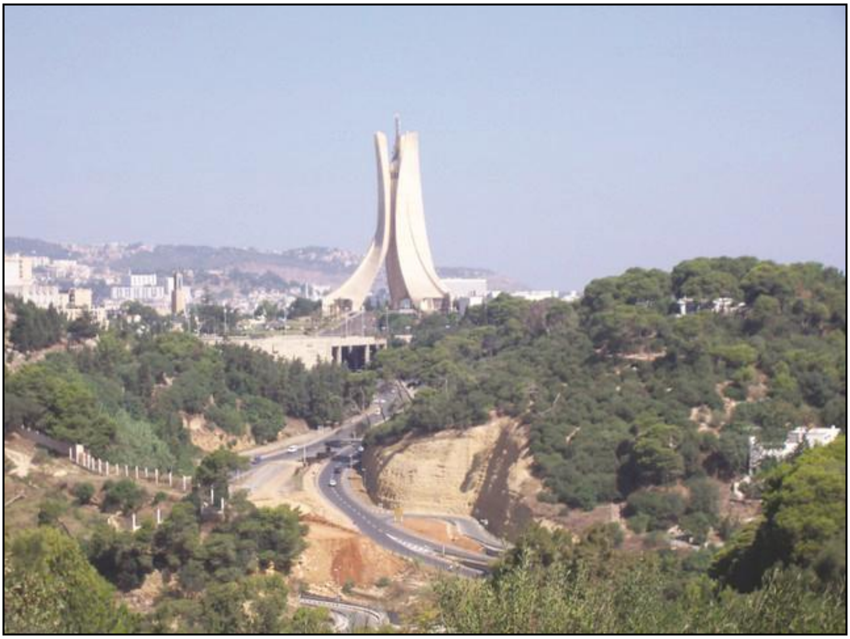

مدينة الجزائر

صفحة أخرى من صفحات ثورة أيلول الكبرى: (*)
كيف آلت الأوضاع وأدت إلى استئناف القتال في كوردستان ربيع عام ١٩٧٤؟

كان المطر ينهمر بغزارة في ذلك اليوم (الثالث من شهر آذار عام ١٩٧٤) عندما كنت واقفاً أمام أحدى الواجهات الزجاجية في فندق هورامان بمدينة أربيل كموفد صحفي لجريدة (التآخي) الناطقة الرسمية باسم الحزب الديمقراطي الكوردستاني طيلة مدة السلام التي بدأت بإبرام اتفاقية ١١/آذار/١٩٧٠ التاريخية بين قيادة البارزاني الخالد والحكومة المركزية وانتهت في ١١ آذار عام ١٩٧٤ أثر تعنت الحكومة في تنفيذ كافة بنود اتفاقية آذار وإصرارها على عدم الاعتراف بكوردستانية مدينة كركوك وعدم الرجوع إلى إحصاء عام ١٩٥٧ الذي بموجبه كما ظهر من نتائج ذلك الإحصاء وجود الأغلبية الكوردية المتعايشة مع الأقليات الأخرى من التركمان والآثوريين والعرب الوافدين إليها منذ زمن.

الكل كانوا منهمكين بتناول طعام الغذاء المقام في صالة الفندق المذكور على شرف الحضور من مندوبي مؤتمر اتحاد الشبيبة الديمقراطي الكوردستاني (الذي أنعقد في الأول من آذار وانتهى في الثالث منه) والوفود المشاركة في ذلك المؤتمر من منظمات عربية كانت متواجدة في بغداد والهيئات الحزبية ومندوبي المنظمات الكوردستانية والمركزية وفي تلك اللحظة كنت أستمتع بمشاهدة هطول المطر الذي غالباً ما يجلب لي نوعاً من التفاؤل بالإضافة إلى مشهده الجميل وخيراته التي تعم الأرض وقد كنت منشغلاً به مستعيداً بعض من أبيات قصيدة الشاعر بدر شاكر السياب رحمه الله في قصيدته الشهيرة (أنشودة المطر) والتي يقول في مطلعها:

عيناك غابتا نخيل ساعة السحر
أو شرفتان راح ينأى عنهما القمر

(*) نشر في مجلة (كولان العربي) العدد ٢٨ في أيلول ١٩٩٨.

عيناك حين تبتسمان تورق الكروم
وتزهر الأشجار إذا انهمر

ولم أكن متفائلاً تلك المرة بالمطر بعكس الحالات السابقة، ربما كنت أتوقع أن يحمل معه الأحزان، لأنني كنت على يقين بأن القتال سيفرض ثانية على شعب كوردستان وستمحو رياح الشر ما بُني خلال الأعوام الأربعة التي أعقبت إعلان الاتفاقية ولم تكن قناعتي متأتية من الفراغ لأن مسؤوليتي كمدير لإدارة جريدة (التآخي) وإشرافي على المواد الصحفية السياسية لجريدة (برايه تي) وتنظيم وتوزيع البريد اليومي حسب الأولوية والاختصاص بتكليف من قبل الشهيد دارا توفيق رئيس تحرير الجريدتين المذكورتين ولاتخاذ مقر الجريدة مكاناً لعقد الاجتماعات القيادية للأخوة المتواجدين في بغداد من أعضاء المكتب السياسي واللجنة المركزية للبارتي منذ شهر تموز عام ١٩٧٣ كما كنت أطلع بحكم العمل المكلف لي من قبل (كاكه دارا) بإعادة تنظيم محاضر الاجتماعات القيادية تلك أحياناً وإعادة كتابة محاضر اللقاءات التي كانت تعقد بين الأخوة في قيادة البارتي والمسؤولين الحكوميين وقيادة البعث واستنساخها في الجهاز الذي كان موجوداً في غرفتي بغية إرسالها إلى مقر القيادة في ناوبردان، لذلك كنت في النتيجة مطلعاً على ما كان يدور من أمور وما يجابه حزبنا والثورة في كوردستان من تعقيدات ومشاكل معدة سلفا من قبل الأجهزة البعثية وما زلت أتذكر عندما حضر الأستاذ سامي عبدالرحمن عضو المكتب السياسي الذي كان وزيراً لشؤون الشمال إلى مبنى الجريدة في الساعة الثانية عشر ظهراً أواخر شهر شباط عام ١٩٧٤ بعد انتهاء اجتماع مباشر مع أحد كبار المسؤولين في الدولة وحزب البعث العربي الاشتراكي وهو (صدام حسين) حول آخر التطورات وما آلت إليها نتائج اللقاءات الثنائية بشأن صيغة الحكم الذاتي التي كان في النية إعلانها في ١١آذار عام ١٩٧٤ حسبما ورد الوعد في الاتفاقية التي أعلنت قبل أربعة أعوام من ذلك التأريخ، إذ لم يكن (كاكه دارا) موجوداً آنذاك وإذا بكاك سامي يدخل إلى غرفتي مباشرةً ولم تكن أساريره توحي بالتفاؤل فنزع معطفه وجلس على أريكة ملاصقة لمنضدتي وفتح حقيبته السوداء وأنهمك بمراجعة بعض الأوراق الموجودة فيها فيما كنت أتابع

حركاته وقسمات وجهه غير الطبيعية في تلك اللحظات وبعد مضى نحو خمس دقائق بادرته بالسؤال التالي:

هل تتوقعون خيراً؟

فتأخر جوابه عدة لحظات ثم قال لي بالحرف الواحد (بكل أسف، (الجماعة) وكان يقصد الجانب الحكومي كما تبين لي ينوون فرض القتال علينا ثانية بعدما كسبوا جانب الاتحاد السوفياتي والحزب الشيوعي العراقي وأسلحة جديدة ووعود من هذا الطرف أو ذاك وهم يتكلمون من موقع القوة وخيّرونا بين الإذعان لصيغتهم في قانون الحكم الذاتي المعد من قبلهم أو لاشيء سواها وهذا يعني إن استئناف القتال أقرب من أي شيء آخر إذا رفضنا صيغتهم للحكم الذاتي ولهذا فأنني لا أتوقع غير الشر) وبعد فترة وجيزة أستطرد في الكلام من تلقاء نفسه حول ما يؤول إليه مصير وضع الدراسة الكوردية ومشاريع هيئة سكرتارية أعمار الشمال من أبنية المدارس والمرفقات السياحية في مصايف كوردستان وغيرها من المنجزات التي حصل عليها شعب كوردستان بدمائه وتضحياته الكبيرة إذا ما استؤنف القتال ثانية وأوضح إن الشعب الكوردي سيتضرر حتماً ولكن ليس باستطاعة أية قوة فرض أرادتها عليه (والكلام مازال لكاك سامي) نحن نتأسف لضياع تلك الجهود التي بذلت في سبيل أعمار كوردستان وأعداد المناهج الدراسية الكوردية وفتح المدارس في القرى النائية ومئات المشاريع الأخرى إذ ستتحول هذه المآثر بمجرد تجدد القتال إلى دقيق منثور بين الأشواك.

وبينما كنت ما أزال واقفاً في ظهيرة ذلك اليوم في فندق هورامان ناداني أحدهم وكان الأخ (كريم جلال) الذي تربطني به علاقة وطيدة جمعتنا الصداقة والعمل معاً إذا كان عضوا في تنظيمات مدينة أربيل قبل آذار عام ١٩٧٠ في صفوف اتحاد طلبة كوردستان وأخبرني بأن الأخ فرنسو حريري أبلغه هاتفياً (كونه كان على اتصال دائم معهم) من كلاله بأن رسالتي قد وصلت إلى (كاكه دارا) الذي كان موجوداً هناك وأنه يطلب مني الالتحاق به فوراً لأمور مستعجلة قبل عودتي إلى بغداد وكانت الرسالة التي أرسلتها إليه من أربيل أثناء حضوري إلى مؤتمر الشبيبة قبل يوم من ذلك التأريخ تتضمن طلب توضيح منه بشأن ما سأفعله عند عودتي إلى بغداد في ختام أعمال مؤتمر الشبيبة كما

علمت من الزميل أنور عبدالله (الذي تزاملنا في صفوف اتحاد طلبة كوردستان) بأن الشهيد صالح اليوسفي الذي حضر أعمال مؤتمر الشبيبة سيغادر إلى ناوبردان في الساعة الثانية من ظهر ذلك اليوم وأنه يستقل سيارته (الحكومية) المرسيدس وبإمكاني الطلب منه والسفر معه إلى هناك.

وفي الوقت المحدد لنا كان (الأستاذ اليوسفي والزميلة كوردستان علي عبدالعزيز نائبة رئيس اتحاد نساء كوردستان السابقة وأنا) بالإضافة إلى سائق السيارة نغادر أربيل في جو شتائي بارد وممطر باتجاه مقر قيادة الثورة الكوردية في ناوبردان واستغرقت الرحلة زهاء أربع ساعات ولم أشعر خلالها بطول السفر لأن الحديث ونحن داخل السيارة أخذنا وكان الكلام قد دار في معظمه حول الأيام المتبقية والحاسمة من عمر الاتفاقية والتي دامت أربع أعوام ابتداء من ١١/آذار/١٩٧٠ وإلى التأريخ نفسه في عام ١٩٧٤ وكان الشهيد اليوسفي يتكلم بهدوء ظاهر ولم يكن متشائماً كثيراً وعندما وصلنا إلى حافات جبل سبيلك شاهدنا بوادر الإحساس الشعبي لدى الناس هناك بقرب استئناف القتال مجدداً من خلال مشاهدتنا لمجاميع صغيرة من القرويين وعوائلهم فوق ظهور دوابهم، محملين متاعهم البسيطة في الطريق العام صوب الشمال باتجاه المناطق المحررة وعندئذ طلب الشهيد اليوسفي من السائق أن يخفف من سرعة السيارة وتنهد عميقاً ثم قال (ربما ستنتظرنا أياماً قاسية وسوف يفرض علينا القتال ثانية والحكومة هي التي ستدفعنا إلى ذلك في الوقت الذي كانت جميع الأبواب موصدة بوجهنا، الاتحاد السوفياتي سينحاز إلى جانب بغداد هذه المرة بعد توقيعه اتفاقية للصداقة والتعاون مع الحكومة العراقية وإن الدول المحيطة بنا لا نتوقع منها خيراً ولم يبق لنا غير إيران الشاه الذي لم ولن ينسى حقده على الكورد لأنه يعرف ماذا يدور في مخيلتنا) وهنا سألته الزميلة كوردستان (هل يوجد سبيل آخر يا أستاذ؟) وأرادت كوردستان الاسترسال في كلامها حول مغزى التعاون مع إيران لكن الأستاذ اليوسفي سرعان ما أدرك لب السؤال مجيباً (إن قدرنا وجغرافيتنا يفرضان علينا التعاون والتنسيق ونحن لسنا مخيرين في ذلك وقد كنا نرغب صميماً في أن يستمر السلام مع بغداد ونتحاور أكثر فأكثر ولكن ماذا بوسعنا والأبواب توصد واحداً تلو الآخر وشعبنا لا حول له ولا قوة ولكننا مؤمنون بأن أصدقاء السلام والشعوب كثيرون

ولربما لا نبقى في النهاية وحيدين ولقد مرت الثورة الكوردية بمراحل أقسى وأصعب وأنها كانت محاصرة في محيطها المحدود وأستطاع البارزاني بحنكته السياسية وتكتيكاته العسكرية الخروج من المحن منتصراً).

ولعل أصدقائي المقربين، يتذكرون عما دار من حديث بيني وبين الأستاذ اليوسفي عندما كنا في زيارة له في بيته بمدينة بغداد مع الشهيد دارا توفيق في خريف عام ١٩٧٩ بحضور كل من الشهيد د. حسين محمد بارزاني والمحامي (الأستاذ كمال محي الدين) حول الانتقادات الموجه من قبل البعض لقيادة ثورة أيلول حول ظروف النكسة والتي كانت تأتي غالباً ليست من باب الإخلاص وإنما من باب التجريح والتشفي متناسين ظروف وملابسات النكسة الأليمة والتي جاءت أثر مؤامرة إقليمية دنيئة وبمباركة الكبار من أصحاب القرار في السياسة الدولية آنذاك وكان جواب الشهيد صالح اليوسفي معلقاً على الكلام كالآتي (المسؤولية تقع على عاتق الكل إن كانت هناك ثمة مسؤولية وأني لا أبريء ذمة أحد كنا جميعاً ضمن تلك المسؤولية ولا يتحمل أحد المسؤولية بكاملها بمفرده وإذ كان هناك مجال لإلقاء اللوم فيجب أن يوجه أولاً وأخيراً على أخلاقيات السياسة الدولية وحتى أولئك الذين ينتقدون الآن فقد كانوا يستحسنون ويباركون موقف القيادة في التعامل مع الأحداث) وعندما أشار الشهيد دارا إلى موقف أحد المنتقدين الكبار ومتذكراً موقف ذلك الأستاذ المنتقد في ربيع عام ١٩٧٤ كيف أنه قد ذكر معلقاً على أدارة الصراع من جانب قيادة الثورة الكوردية بقوله (لقد كنا مخطئين في الماضي والآن تيقن لي بأن البارزاني هو الرجل الوحيد الذي يعرف فن المفاوضة واختيار الوقت المناسب لاتخاذ القرارات الصائبة) وقد علق المرحوم اليوسفي على كلام المرحوم دارا (دعهم يقولون وكانوا ملكين أكثر من الملك ولربما كانت هنالك أخطاء ولكن الشيء الذي سبب النكسة هو الموقع الجغرافي والعامل الإقليمي والدولي ومصالحهم السياسية والتي تستصغر أمامها حقوق الإنسان ومصائر الشعوب) وكان يتكلم بمعنويات عالية في الوقت الذي كان يقيم في مدينة بغداد ولم يكن يفكر في شيء عدا قضية شعبه وأستشهد فيما بعد أثر انفجار رسالة ملغومة كانت مرسلة إليه من قبل أعلى قيادات حزب البعث وأجهزته القمعية بقصد اغتياله وإسكات صوته النضالي إلى الأبد.

في حوالي الساعة السادسة مساءً وصلنا إلى ناوبردان وكان الظلام يخيم على المنطقة وهطول المطر قد خف من شدته وعندما وصلنا إلى مقر المكتب السياسي في ناوبردان عرفت بأن (كاكه دارا) موجود هناك ولم ينس الأستاذ اليوسفي توصية سائق سيارته لإيصال الزميلة كوردستان إلى المكان الذي تريده.

كل شيء كان على ما يرام واجتماعات القيادة كانت ذات طبيعة احترازية واحتواء الأحداث وقراءة المستجدات ولكن كان هنالك تخوف (وليس الخوف) من نوايا الحكومة المركزية على استئناف القتال ومع هذا لم يكن الأمل مفقوداً وكانت المحاولات مستمرة للوصول إلى حل وسط وكانت قضية مدينة كركوك هي العقدة المستعصية بالنسبة للطرفين فالقيادة الكوردية لم تكن في نيتها التخلي عن كوردستانية كركوك والإدارة المشتركة لها كحل وسط شريطة ربطها بمنطقة كوردستان للحكم الذاتي في حين كانت الحكومة تصر على نوع من الإدارة المشتركة (ولربما كانت أدارة صورية) وربطها بالمركز وفهمت من كاكه دارا (بأن الرياح لا تجري بما تشتهيها السفن) فالحكومة كانت على حد قول كاكه دارا تشعر بأنها في موقع القوة قياسا أو مقارنة بظروف توقيع اتفاقية ١١ من آذار عام ١٩٧٠ ولقد استطاعت كسب ود الاتحاد السوفياتي ودول أخرى لأن المصالح المشتركة كانت أقوى من المبادئ وحق تقرير مصير الشعوب إضافة إلى أن مناخ الحرب الباردة كان يسهل على العراق اللعب على عدة حبال وأسعار النفط كانت تحقق للعراق ثروة لم تكن متوقعة إضافة إلى الاستعدادات العسكرية التي جاءت بعد اتفاقية آذار ١٩٧٠ التي خلقت مناخ الراحة والسلام للجيش العراقي الذي كرس جهده لإعادة التنظيم والتسليح بما هو جديد ومتطور في عالم الأسلحة ذات مناشئ مختلفة، في حين كانت القيادة الكوردية معتمدة على الالتفاف الكبير الذي قل نظيره في الحركات التحررية من جانب شعوبها وكان وجود البارزاني كقائد لثورة وزعيم لشعب ورئيس لحزب سياسي كبير كفيلاً باستقطاب شعب كوردستان بعد أن أستطاع بحكمته وحكنته السياسية والعسكرية توحيد صفوف شعب والالتفاف حول الثورة كحزام أمين بالإضافة إلى وعود خارجية من أعلى المستويات كانت كفيلة بتغير الميزان. وقد أوصاني كاكه دارا في زحمة هذه المشاكل ونحن عند منتصف الليل بالعودة إلى بغداد وضبط شؤون أدارة الجريدة

وإيصال وصاياه إلى الزملاء هناك ومنح المساعدة المادية للأخوة الراغبين في الالتحاق بالثورة والمناطق المحررة وعدم الضغط على الزملاء الصحفيين من العرب بالدوام إن لم يرغبوا في ذلك مراعاة ظروفهم وكان هناك عدد من الزملاء الصحفيين العرب يعملون في الجريدة كتاباً ومحررين أمثال السادة (عبدالغني الملاح، ويوسف الصائغ، ضياء المرعب، جعفر ياسين، عبدالله اللامي، سعيد القدوس، فاروق الحريري، عبدالمنعم الأعسم، عبدالحميد الزبيدي) وغيرهم ممن لا أتذكر أسماءهم الآن مع توصية أخرى بإيداع المبالغ المستحصلة يومياً من الإعلانات إلى مصرف الرافدين فرع الوثبة بواسطة السيد عبدالرحمن وَفي أمين صندوق الجريدة كما أوصى بإرسال بعض الأوراق والمحاضر إلى ناوبردان حال وصولي إلى بغداد بواسطة أحد العاملين في الجريدة في مساء الرابع من آذار وصلت إلى بغداد ونفذت جميع ما أوصاني به كاكه دارا وكان العاملون في الجريدة في سباق مع الزمن للالتحاق بصفوف ثورتهم وبعد يومين ودعت زوجتي في دار والدها ببغداد (ولم يكن قد مضى على زواجنا سوى شهر واحد) وتوجهت صوب كوردستان للتفاعل مع المسيرة القومية تلبيةً للنداء الوجداني والسياسي وللمرة الثانية بالنسبة لي خلال ١١ عاماً (كان التحاقي للمرة الأولى بالثورة في عام ١٩٦٣) وعند وصولي إلى هناك (المناطق المحررة) حللت ضيفاً على مقر مكتب سكرتارية اتحاد طلبة كوردستان الذي كان موجوداً آنذاك في قصبة كلاله مع الزملاء: (عادل مراد، جلال خوشناو، حسين علي الحاج أحمد، آزا خفاف، وسيروان عبدالله سعيد وآخرون) وكنت أتوجه صباح كل يوم وخلال اسبوعين تقريبا إلى ناوبردان حيث كانت اللبنة الأولى لمقر أعلام الثورة قد وضعت أساسها هناك في بداية الأسبوع الأول من شهر آذار ١٩٧٤.

مساء ١١ من آذار عام ١٩٧٤ أعلنت الحكومة صيغتها للحكم الذاتي وبذلك قطعت الطريق أمام كل المحاولات للوصول إلى صيغة مقبولة لدى الطرفين وأزداد عدد الملتحقين بالثورة وشكلت لجنة وبأمر من كاكه دارا من ثلاثة أشخاص في بداية الأمر مكونة من الزملاء (عبدالقادر حمدأمين، أنور عبدالله وأنا) لتنفيذ عملية الاستيعاب بالنسبة للأعلام وكان المرحوم الفنان رسول كه ردي من أوائل الذين التحقوا بصفوف أعلام الثورة وكنا مسؤولين عن تسجيل أسماء الإعلاميين الملتحقين ومقدار ما كانوا

يتقاضونه من رواتب لدى الدولة أو القطاع الخاص ولقد تحدد نصف الراتب الذي كان يأخذه سابقاً كأساس للرواتب الممنوحة من قبل أجهزة الثورة وتحول المكان إلى خلية نحل بفعل الألتحاقات المستمرة (كتاب، أدباء، شعراء، مغنون، أساتذة الجامعة وطلابها، فنانو المسرح والرسم والموسيقى، إذاعيون، إداريون وغيرهم).

ولم يكن لدينا في بداية الأمر سوى أربع غرف وكانت هنالك ظاهرة جديرة بالثناء وهي ظاهرة وجود الانضباط الذاتي إذ لم تكن هنالك أية آثار للتذمر بأي شكلٍ كان وإن الأمل الذي كان يراود الجميع هو الانخراط في أجهزة الثورة والسهر على خدمتها بعد أن ألتحق مئات الألوف من أبناء كوردستان بالثورة وكان يخيل للمرء آنذاك بأن شعب كوردستان قد ألتحق برمته بالثورة مما شكل وإلى الآن سابقة تاريخية إذ لم تتكرر هذه الظاهرة الفريدة إلا في أيام الانتفاضة الجماهيرية الكبرى ربيع عام ١٩٩١.

بعد إعلان الحكومة لصيغتها من جانب واحد بما كان يسمى (بمشروع قانون الحكم الذاتي) مساء ١١ من آذار عام ١٩٧٤ خيرت القيادة الكوردية بإعلان قبول القانون المذكور خلال خمسة عشر يوماً وكان رد القيادة الكوردية الرفض التام لمشروع القانون وبعد انقضاء المدة المذكورة فوجئنا بصدور جريدة (التآخي) من قبل الموالين للدولة في بغداد وبنفس الاسم والشكل والتغير الجوهري الذي طرأ عليها هو نهج الجريدة وتغير أسمي صاحب الامتياز ورئيس تحريرها حيث منح حق إصدارها إلى كل من عزيز رشيد عقراوي وهاشم حسن مما دفعنا نحن أسرة التآخي والبالغ عددنا حوالي خمسة عشر أو ستة عشر شخصاً إلى إصدار بيان استنكار تمت إذاعته في إذاعة صوت كوردستان ـ العراق معلنين استنكارنا وشجبنا لهذا العمل المشين.

كانت عملية الاستيعاب على أشدها بالنسبة للملتحقين الذين كانوا في ازدياد مستمر وتم تشغيل الإذاعة بعد توقف دام أربع أعوام مبتدئة البث بإذاعة بيان مطول صادر من المكتب السياسي للبارتي حول استئناف القتال من جانب الحكومة المركزية موضحاً موقف قيادة الثورة الكوردية حول تلك الأحداث وكان مقر الإذاعة يطل على وادي جومان وناوبردان وعلى يمين طريق هاملتون بالقرب من قرية (ممي خلان) وعلى بعد حوالي (٥٠٠م) من بناية مطبعة خه بات وسط الأحراش والأشجار الجبلية..

كان ربيع ذلك العام يمتاز بكثرة أمطاره لكن الحياة لم تتوقف نتيجة ذلك وبدأت الإدارات تنظيم عملها بنسق إداري ممتاز بعيداً عن الروتين وأخذ كل واحد من الملتحقين طريقه في المجال الذي كان يعمله سابقاً من الموظفين وكذلك الكوادر الحزبية وبعد مدة قصيرة صدر قرار مركزي بتسمية الأمنّاء العامين ونوابهم للإدارات المختلفة بسرعة قياسية وعلى لشكل الآتي:-

١. الأمانة العامة للمالية تولى إدارتها الأستاذ على عبدالله والأستاذ خسرو توفيق نائباً له.
٢. الأمانة العامة للثقافة والأعلام والشباب وتولى إدارتها الشهيد دارا توفيق والدكتور كمال مظهر أحمد نائباً له والدكتور كمال سعيد خياط نائباً ثانياً وقد انتقل الثاني إلى الأمانة العامة للتربية في فترة لاحقة.
٣. الأمانة العامة للأشغال والبلديات تولى إدارتها المرحوم نوري شاويس والمهندس سردار عبدالرحمن نائباً له.
٤. الأمانة العامة للصحة والشؤون الاجتماعية وتولى إدارتها الدكتور محمود عثمان.
٥. الأمانة العامة للداخلية وتولى إدارتها الأستاذ محسن دزه يي والأستاذ كانبي عزيز دزيي نائباً.
٦. الأمانة العامة للزراعة وتولى إدارتها الأستاذ شمس الدين مفتي.
٧. الأمانة العامة للتربية تولى إدارتها في بداية الأمر وكالة الشهيد دارا توفيق وقد جرى تغيير في منصب الأمين العام بتولي الدكتور كمال سعيد خياط أميناً عاماً والدكتور دارا رشيد جودت نائباً له.
٨. الأمانة العامة للأوقاف تولى إدارتها الشهيد صالح اليوسفي والمرحوم عمر مصطفى (دبابه) نائباً له.
٩. المكتب العسكري تولى إدارته عبدالوهاب الأتروشي وبعضوية كل من السادة جميل يوسف ميران وحميد برواري ورشيد سندي.

وفي منتصف شهر أيار من العام نفسه انتقلت الأمانة العامة للثقافة والأعلام والشباب إلى منطقة آزادي مقابل قرية (زينوي) عند أسفل منحدر جبل (كودو) حيث

نصبت مجموعة كبيرة من الخيام على خنادق محفورة بشكل مستطيل ولم تكن تتجاوز مساحتها أكثر من أربعة أمتار كأجراء احترازي لدرء مخاطر قصف الطائرات المعادية ولقد اتخذت أنا من خيمة أخرى مكاناً للسكن عند أسفل انحدار قرية زينوي مع زوجتي التي تم ترحيلها ضمن الوجبة الأولى من العوائل التي جرى تسفيرها ليلة ٢٨-١٩٧٤/٤/٢٩ بعد أن اقتادتهم سيارات مديرية الأمن العامة من بيوتهم وإلى مقر المديرية المذكورة ومنها إلى أربيل ـ شقلاوة ـ سبيلك ـ ثم مشياً على الأقدام إلى وادي كلي علي بك والرجوع ثانيةً إلى سبيلك بسبب نسف أحد الجسور في الوادي المذكور ثم العودة إلى شقلاوة وعلى مشارفها باتجاه ناحية هيران وعندها خاطبهم أحد الضباط قائلاً (هذا دربكم، شمرة عصى توصلون إلى ربعكم) وقد وصلوا فعلاً إلى ناحية هيران مشياً على الأقدام بعد ست ساعات من المسير المتواصل وكانت هذه المجموعة المرحلة تتألف عوائل السادة:-

١. عائلة المرحوم نوري شاويس
٢. عائلة المرحوم صالح اليوسفي
٣. عائلة المرحوم حمد أمين بك
٤. عائلة الضابط (سنور)
٥. وريا دزه يي مع عائلته
٦. عمر دزه يي مع عائلته
٧. سعدي دزه يي
٨. عائلة الشهيد دارا توفيق
٩. عائلة عبد الرزاق عزيز فيلي
١٠. عائلة عادل مراد
١١. عائلة (كاتب هذه السطور)

وقد صادرت الحكومة الأموال المنقولة وغير المنقولة لقسم من هذه العوائل (حيث كنت أنا من ضمنهم)، وللمرة الثانية تعرض كل ما كنت أملكه من المتاع والأثاث البيتية وألبومات الصور وأرشيفي والمكتبة إلى المصادرة وبيعها في المزاد العلني.!!

وقد وصلت تلك العوائل المرحلة في المرحلة الأولى إلى مدينة (نغدة) الإيرانية في ليلة ٤-٥/٥/١٩٧٤ وقد تبلغنا بذلك (أصحاب العوائل) بعملية ترحيلهم حيث كنا بانتظارهم في مدينة نغدة ووجدنا بعضاً منهم ليلاً في بناية مستشفى (شيرو خورشيد) ولحظة لقائنا بهم بادرتني السيدة ناهدة شيخ سلام التي كانت في مقدمة المرحلين بقولها مازحة (زوجتك كانت أمانة في عنقي (حيث ائتمنني والدها في بغداد أثناء عملية الترحيل) وخذها مني رجاءً.

ربما لا يعرف الكثيرون أسس عمل الإدارة في كوردستان المحررة آنذاك في عمر ثورة أيلول الكبرى وربما لهم الحق في ذلك لأن المعلومات المتداولة عنها وهي بالغة الأهمية ومن أخصب الفترات تعد شحيحة لا تتعدى كتابات قليلة منشورة هنا وهناك ولم توثق تفاصيلها على الوجه المطلوب خلال تلك المدة وإن الأعداء والخصوم والسائرين في ركابهم كانوا يحاولون تشويه الحقائق والصور المشرقة لتلك الأيام ويمجدون (الانجازات التقدمية) للحكومة العراقية والتي كانت في نظرهم تساهم وتسرع في أنجاز عملية البناء الاشتراكي في العراق والتي كانت تعري على حد قولهم (الجناح اليميني في قيادة الحركة الكوردية ومن ثم الحركة العميلة المشبوهة) متناسين في ذلك وللأسف إن تأميم النفط وإدخاراته الهائلة وإبرام معاهدة التعاون والصداقة مع (صديق الشعوب) الاتحاد السوفياتي وخطوات (ايجابية) أخرى لم تكن تخفف من أيمان الإنسان الكوردستاني بعدالة قضيته وتمسكه بنهج قيادته التي صقلتها أحداث الانتفاضات والثورات المستمرة وكانوا متناسين أيضاً إن الرموز القومية ستبقى في العقل والوجدان رغم تعرضها للتشويه وسيسجل التأريخ تلك الحقائق بتفاصيلها في يومٍ ما ..

منذ زمنٍ بعيد كان البارتي يهتم بالجانب الإعلامي سراً وعلناً ومع بدايات تأسيسه ظهرت جريدة (رزكاري) الناطقة الأولى باسمه وبعد فترة أخذت جريدة (خه بات) الراية وانضمت إلى مسيرة (نركه ي جوتيار، ئامانج والتآخي وبرايه تي وغيرها إلى المسيرة النضالية الإعلامية مع العشرات الأخرى من الإصدارات المتنوعة في الوقت الذي شهد فيه جبل (كرده ره ش) في العام الثاني من عمر ثورة أيلول عام ١٩٦٣ في منطقة (ماوه ت) بمحافظة السليمانية ولأول مرة ميلاد إذاعة (هنا صوت كوردستان) مستمرة في

عطائها النوعي رغم صرف مبالغ هائلة من قبل الحكومات العراقية على تركيب موجة معاكسة لإذاعة التشويش عليها بأغنيتها العابثة والسيئة الصيت (هاني هاني) وقصف مقر الإذاعة بقنابل النابالم والقنابل الموقوتة في أوقات مختلفة من عمر الثورة وكل ذلك وأعلام البارتي واصل المسيرة وكان في مقدمة اهتمام قيادة الثورة الكوردية في ربيع عام ١٩٧٤ التسرع في بناء (الأمانة العامة للأعلام والثقافة والشباب) والتي دشنت تلك المرحلة بأسماع العالم بـ(هنا صوت كوردستان العراق) مرة أخرى وتوضيح وجهة نظر البارتي من خلال بيان مكتبه السياسي حول المشروع الحكومي للحكم الذاتي.

اللبنة الأولى في ناوبردان وكانت الغرف الأربع قد شهدت حركة واسعة من حيث الاستيعاب واللمسات الأولى في تشغيل الإذاعة وتقوية النشرة المعروفة بـ(الإنصات) ثم ما لبث وإن أحتل جيش الأعلام المساحة الأرضية والمشجرة بالبلوط والصفصاف والمحيطة بالبناية العتيدة إذ كان يتوزع الإعلاميون بين ثنايا الصخور وظلال الأشجار لأداء مهمتهم الإعلامية القتالية وعندما شهدت جبهات القتال التي كانت قد ظلت ساكنة لمدة (٤) أعوام، شهدت المناوشات الخفيفة ثم تحولت إلى ميادين قتال جبهوية وبدأت (صقور الجو البواسل) بالطيران والقصف فوق المنطقة ولم تكن تميز بين القرى الآمنة والمؤسسات المدنية وبين جبهات القتال وأتجه التفكير نحو اختيار مكان يتسم بالهدوء بعيداً عن تحليق الطائرات في سمائه وأستقر الاختيار أخيراً على منطقة آزادي القريبة من (عش النسر) والمحاطة في طرفها الشرقي والجنوب الشرقي بسلسلة جبال (كودو) وبطرفها الشمالي بسلسلة الجبال والتلول الحدودية وقبالة قرية (زينوي شيخ) وعلى بعد كيلومترات قليلة من مصيف (حاج عمران) وبوشر بنصب الخيم الكافية على خنادق محفورة وعلى مسافات قريبة من بعضها واختيرت ضفتها الجنوبية مكاناً للمطبخ والمخزن والسواق مع سياراتهم (إذ كانت لنا سيارتان من نوع لاندروفر) وأربعة سواق يتناوبون العمل ليلاً ونهاراً وهم كل من (حكيم كاكه ره ش وحاجي الحاج طاهر وفرياد رسول وإسماعيل حمد) وأربعتهم كانوا من مدينة كويسنجق، وأنتظم عمل الأمانة العامة للأعلام والثقافة والشباب حسب التقاليد المتبعة في العمل الإداري مع مراعاة تقليص الروتين واختيار الرجل المناسب في المكان المناسب وقد كانت

أمانتنا تحظى بالرعاية لأهميتها الكبيرة كمركز أعلامي له دوره الأساس في توضيح الحقائق للرأي العام وتم تثبيت ملاكاتها على الشكل التالي:

١- اختيار الأخ الشهيد دارا توفيق فتح الله أميناً عاماً كامتداد لعمله الإعلامي السابق كرئيس تحرير لجريدتي (التآخي) و(برايه تي) ولشخصيته المؤثرة والمرنة من حيث التعامل مع الآخرين وباعتباره عضواً في اللجنة المركزية للبارتي وكونه ذا أفق أعلامي واسع حيث سبق له أن تلقى دراسته في أوروبا وكان من مؤسسي (جمعية الطلبة الكورد في أوروبا) وكان يشغل أيضاً مركزاً مرموقاً في سكرتارية اتحاد الشبيبة الديمقراطي العالمي وكان رحمه الله يتقن فن التعامل بصدق مع من هم أدنى مكانة من منطلق إنساني شفاف ومسؤولية وطنية وكان يحب عمله بلا حدود وقد كرس جل جهوده لمجال عمله، متزن خلوق وهو أعلامي في الدرجة الأولى وأثبتت الأيام مدى ما كان يحظى به من التقدير والاحترام ولقد نجح في عمله وفي أداء مسؤوليته وإداراته المرنة نجاحاً منقطع النظير.

٢- بعد انتقالنا إلى منطقة آزادى ألتحق الدكتور كمال مظهر أحمد بصفوف الثورة ولم يكن بعيداً عن قضية شعبه يوماً ما رغم أنه كان من المستقلين تنظيميا (أي أنه لم يكن منخرطاً في صفوف الحزب الديمقراطي الكوردستاني) كعضو حزبي ومع هذا كان يتمتع بمكانته الكبيرة وقد سبقته شهرته قبل أن يصل إلى هناك وكان من كتاب (التآخي) البارزين في دراساته الكوردية والتاريخية في الفترة من (١٩٧٠-١٩٧٤) وكان أيضاً أميناً عاماً مساعدا للمجمع العلمي الكوردي ويشهد له الجميع بالرصانة والموضوعية في كتاباته واطلاعه الكبير وأنه كان يمتاز بتعامله الأخوي مع العاملين معه وأستطاع خلال تلك المدة فرض شخصيته القوية علينا جميعاً وكان محترماً من الجميع وكان ذا حس مرهف. وفي البداية جمعتنا بناية واحدة في مجمع آزادي السياحي حيث كنا نعيش فيها مع الأخوة د. دارا رشيد جودت ود. كمال سعيد خياط والأخ جلال عمر سام آغا والأخ سيروان عبدالله سعيد، ولقد قاد الدكتور كمال مظهر مسؤولية التحرير كأمين عام مساعد للأمانة العامة للأعلام والثقافة والشباب بجدارة فائقة.

٣- أما المساعد الثاني والذي انيطت به مسؤولية الإدارة هو الدكتور كمال سعيد خياط القادم من جامعة السليمانية حيث كان يشغل منصب رئيس الجامعة المذكورة وبعد مدة من الزمن وأعتقد في شهر تشرين الثاني انيطت به مسؤولية الأمين العام للأمانة العامة للتربية.

وكانت للأمانة العامة للإعلام والثقافة والشباب أربع مديريات عامة ولهذه المديريات العامة أقسامها وشعبها ومهماتها المتنوعة كالآتي:

أولاً: المديرية العامة للأعلام وتولى إداراتها الزميل فلك الدين كاكه يي الذي كان يجمع في عمله بين اللجنة الثقافية المشكلة بقرار من المكتب السياسي لإصدار جريدتي (خه بات) ومجلة (الكادر) وبين عمله في مسؤولية التحرير لإذاعة صوت كوردستان حيث كان دائماً منشغلاً بالكتابة والمتابعة (ولقد كتب بحثاً مطولاً عن (العام اليتيم) بعنوان صفحات من أعلام البارتي منذ عام ١٩٧٤ حتى انتفاضة آذار ١٩٩١ في مجلة (مه تين) الغراء في عددها ٥١ الصادر في نيسان ١٩٩٦ والذي يغني القارئ في الاطلاع على بعض جوانب أمور الأعلام خلال عام ١٩٧٤ وما بعده.

ثانياً: المديرية العامة للثقافة والتي اهتمت بالجانب الثقافي والفني كثيراً ولقد انظمت الأكثرية الساحقة من فناني كوردستان والفرق الموسيقية إلى هذه المديرية ونظمت معارض فنية كبيرة نالت استحسان وإعجاب الصحفيين الأجانب وأتذكر قولاً لأحد الصحفيين الفرنسيين عند افتتاح المعرض التشكيلي الكبير في قاعة (فندق دربند) في ذلك العام مفاده (أن الشعب الذي أنجب هؤلاء الفنانين جدير به أن يكون لديه كيان.... وأن لا يكتفي بالحكم الذاتي).

وطبعت كذلك تقويماً جدارياً ملوناً مزداناً بصورة جانبية للبارزاني الخالد مع كتابة الأحرف الثلاثة بالانكليزية K.D.P والتي ترمز إلى اسم البارتي وقد كتبت في أسفل صفحتها الأولى عبارة (سالنامه ي شورشي كوردستاني عيراق) أي (تقويم ثورة كوردستان ـ العراق) مع ترجمتها الانكليزية المكتوبة في أسفل الكتابة الكوردية. ولقد نظمت المديرية المذكورة مهرجانات غنائية ومسرحية في حاج عمران ومخيمات اللاجئين الكورد داخل الأراضي الإيرانية ولقد تولى مسؤولية المدير العام فيها الزميل طلعت نادر خريج أحد أقسام القانون الدولي في أحدى جامعات الاتحاد السوفياتي وهو

من عائلة أربيلية معروفة وقد مارس العمل السياسي قبل وبعد النكسة أتجه للعمل التجاري وكان يعاونه (أي كمعاون المدير العام للثقافة) الزميل كاكه مه م بوتاني وهو من الأدباء المعروفين وله كتابات عديدة في مجالي القصة والشعر وقد كتب موضوعاً حول التقويم المذكور في مجلة (زاكروس) الغراء في عددها (٤) لعام ١٩٩٧ بعنوان (ذكريات عن أول تقويم جداري لثورة أيلول).

ثالثاً: المديرية العامة للشباب، سأورد هنا بشيء من التفصيل تشكيل وعمل هذه المديرية لكوني قد تشرفتُ بمسؤوليتها (كمدير عام) منذ البداية وحتى آخر أيام عملها في آذار ١٩٧٥ وقد اختير الزميل دارا شيخ نوري لتولي منصب معاون المدير العام وكانت التشكيلة الإدارية للمديرية العامة للشباب كالآتي:

قسمت المديرية العامة إلى ثلاث مديريات:

١- مديرية الرياضة، وكان مديرها الزميل جميل محمود ب وهو من شباب السليمانية ومُدَرس الرياضة في جامعتها آنذاك ولقد نشطت هذه المديرية في مجال جمع لاعبي كرة القدم الملتحقين بالثورة وتشكيل فريق باسم (منتخب كوردستان لكرة القدم وأنيطت مسؤوليته من حيث التدريب بالزميل جمال قرداغي وأقيم لهم مخيم للاستقرار في مدينة شنو في كوردستان إيران وبعد فترة من الأعداد والتدريب أجرى ثلاث مباريات مع منتخب مدينة ورمي (رضائية سابقاً) ومع منتخب مدينة مهاباد والأخيرة منها مع منتخب آذربيجان الغربية حيث فاز منتخبنا على الفرق الثلاثة وسط تشجيع حماس كبير من قبل ساكني مخيمات اللاجئين والأخوة الكورد من كوردستان إيران ولقد أنتقل الفريق مع كوادره عند حلول الشتاء إلى منطقة (أندمشك) ذات المناخ الدافئ وعلى الطريق الرئيس المتجه إلى مدينة الأهواز حيث بقوا هناك إلى الأيام الأخيرة من شهر آذار عام ١٩٧٥ وكانت هناك فكرة وإن كانت في بداياتها وهي دراسة أمكانية إرساله بعد تأهيله إلى خارج كوردستان للعب مع الفرق الأخرى كواجهة رياضية لثورة أيلول وقد كنا متأثرين بتأريخ جولات المنتخب الجزائري أبان ثورة الاستقلال ولم تر هذه الفكرة النور كسائر الأفكار والطموحات آنذاك بسب توقيع اتفاقية الجزائر الخيانية والجريمة التي ارتكبت بحق شعبنا وثورته التحررية، (ولقد كتب الزميل اللاعب السابق أسعد علي عن ذلك المنتخب) في الجريدة الأسبوعية

الرياضية الملونة (وه رزشي برايه تي) في العدد ٢١ الصادرة في ١٩٩٨/٦/١٦ وكان المنتخب المذكور يتألف من اللاعبين التالية أسماؤهم (نجاح درويش، مجيد ميرخان، صالح عبدالله، صباح شيخ جلال، هلين فتاح، مامند رمضان، عادل شاكر، كانبي كجكه، على حسن، دارا جميل، عبدالله أبوزيد، جلال والكابتن أسعد علي).

بالإضافة إلى منتخب كوردستان لكرة القدم قامت مديرية الرياضة بتنظيم وفتح نادي للشطرنج وكرة المنضدة في كراج البناية التي كنا نشغلها والواقعة على يمين طريق هاملتون عند مدخل مصيف دربند والتي كانت ملكيتها تعود إلى المرحوم (جمال آغا كاكه يي) وقد حولناه بعد تغليفه بمادة (الجنفاص) وتعديل أرضيته إلى قاعة صغيرة وأنيقة نسبياً مع توفير منضدة لعب (البينك بونك) وعدة طخومات للشطرنج وكان يوم الافتتاح أشبه بكرنفال بديع في ذلك الجو المتلبد بالحرب من قبل الشهيد دارا توفيق وكبار مسؤولي الأمانة العامة للأعلام وحضره أيضاً السيد فؤاد معصوم عندما كان يزور كوردستان في ذلك الوقت بعد عودته من القاهرة حيث كانت له مسؤولية حزبية هناك في صفوف البارتي آنذاك.

٢- مديرية الفنون وقد انيطت مسؤوليتها بالمرحوم الفنان (أنور توفي) المولود في بامرني والذي كانت له اهتمامات متنوعة في مجالات الفنون التشكيلية والإخراج، والمسرح، وكنا نحترمه كثيراً لكبر سنه وتفانيه في العمل وقد كنا نقضي ساعات الليل في غرفته لسماع أقواله ونكاته اللطيفة أحياناً وكان معه في هذه المديرية كل من الزميل على جولا الفنان التشكيلي المعروف والفنان نوري إسماعيل والمصور نوري هونه ر والذي كلف في أواخر شهر تشرين الثاني بتصوير فلم عن الثورة وقد أنجز عمله بمساعدة المرحوم أنور توفي وزهير عبدالمسيح ولم نعرف ماذا حل بذلك الفلم الوثائقي أثر إيداعه في مخازن الثورة في إيران بعد النكسة الأليمة وأنضم إليهم أخيراً الفنان ومهندس الديكور كمال عبدالله خريج أحدى جامعات بلغاريا. ولقد نظمنا معرضاً في أواخر شباط على ما أتذكر وتم افتتاحه من قبل الأستاذ سامي عبدالرحمن وحضره جمهور كبير في المنطقة وقد كانت لوحاتنا تعبر عن واقع الثورة وقد كتب في أسفل كل لوحة بيت من الشعر الكوردي منسجماً مع موضوع اللوحة.

٣- مديرية الثقافة وانيطت مسؤوليتها بالزميل الشهيد جميل رنجبر وقد كنت على اتصال دائم مع عمل هذه المديرية لأنها كانت أقرب إلى اهتماماتي ولقد استطعنا مع المرحوم جميل رنجبر بتحرير وطبع عددين من مجلة (دياري لاوان) على الآلة الطابعة وطبعها على جهاز الرونيو وقد كان العدد الثالث قيد الإنجاز عندما حلت الكارثة بالثورة، وكانت الأمور الإدارية والمالية ومسؤوليتها من حصة الزميل يوسف مولود القصاب والذي أدار الأمور الإدارية للمديرية على أحسن وجه، حيث كان مسؤولاً أيضاً عن توفير الراحة والحراسة والأكل وحسابات المديرية العامة وكثيراً ما كان ينهر (محمد) طباخ المديرية عندما كان يطبخ التمن ولم يكن يجيد الطبخ وكان بمعيته الإدارية أيضاً اثنان من أفراد البيشمركه لضمان أمن الدائرة وهما ملا ناصر وأصبح فيما بعد حاجّاً وهو من مدينة شقلاوة (وله الآن محل باسم برادوست لبيع العسل والجوز والزبيب وعصير الرمان) وحسن الذي لا أتذكر أسم أبيه وقد كانا مسلحين ببندقيتين من نوع كلاشينكوف ولقد أنظم في أواخر شهر حزيران أحد أشقائي وهو نزاد وكان حينذاك مفوضاً للشرطة (خريج إعدادية الشرطة) بعد آذار عام ١٩٧٠ وتم فصله من سلك الشرطة بعد النكسة وأبعد إلى محافظة السماوة مدة حوالي أربعة أعوام.

وبالإضافة إلى المديريات العامة الثلاث (الإعلام، الثقافة، الشباب) كانت الأمور الإدارية - الإدارة، الذاتية، حسابات المخازن تدار أيضاً من قبل مديرية عامة حيث كانت مساحة عملها واسعة جداً لأن طبيعة العمل الإداري تتطلب جهداً كبيراً وأن المديرية المذكورة كانت تقوم بتغطية هذا الجانب المهم وإدارة شؤون حوال (٣٠٠) شخص و دون أية نواقص تذكر. ولقد شغل هذا الموقع الزميل والإداري الناجح جلال عمر سام آغا والقادم من جامعة السليمانية حيث كان يشغل مدير إدارة الجامعة المذكورة قبل التحاقه بالثورة وقد كان ضبطه للأمور جيداً وإنه كان يلام من قبل بعض المنتسبين بسبب جديته ورصانته وأمانته كان يرتبط به الزميل ناصر ظاهر حسين مسؤول للذاتية والزميل بختيار معروف جياووك محاسب وسالم فيلي أميناً للصندوق والزميل شيرزاد أمين المخزن وكان الأشراف على أمور المطبخ وشؤون السواق والخدمات من المهام الإدارية التي كانت مناطة بالزميل حنا مربين العضو

القديم في الحزب والذي أنخرط في صفوف البارتي منذ بداية شبابه ومنذ منتصف الخمسينات وهو ينتمي إلى عائلة مسيحية في مدينة كويسنجق وقبل التحاقه كان قد تعين كاتباً في قسم حسابات الإعلانات في جريدة (التآخي) بعد آذار عام ١٩٧٠ وكانت ترتبط به مجموعة السواقين وهم المرحوم إسماعيل أسطه أحمد والمرحوم حاجي الحاج طاهر وفرياد رسول بايز وحكيم كاكه ره ش وخالد واسطة حسن وكانوا من أهالي مدينة كويسنجق ويتناوبون في العمل ليلاً ونهاراً وفي أصعب المهام، كان استمرار التنقل بين مقر الأمانة العامة للأعلام ومقر الإذاعة والمطبعة لإيصال مواد التحرير والأخبار اليومية والتي كانت ترسل إلى إذاعة صوت كوردستان البعيدة نسبياً والمحفوفة بالمخاطر وخاصةً عند اشتداد استمرار القصف الجوي على الإذاعة بالقنابل الفسفورية والموقوتة وكانوا يضطرون إلى عدم استعمال أضوية السيارة ليلاً حتى لا تكون هدفاً سهلاً للقصف المعادي.

وكانت ترتبط بمركز الأمين العام والأمين العام المساعد شعبة ومديرية ومكتب آخر نظراً لأهميتها القصوى إذ كانت شعبة الإنصات ترفد مركز الأمانات والمكتب السياسي بنشرة يومية للإنصات المطبوعة على الآلة الطابعة ومسحوبة على جهاز الرونيو وأرجو أن يعذروني فرسان الإنصات على عدم ذكر أسمائهم لأن الذاكرة لا تسعفني في الوقت الحاضر لإيراد أسمائهم. أمّا مكتب العلاقات فكان من المكاتب المهمة والحيوية إذ كان يستقبل مراسلي الصحف العالمية لتغطية جبهات القتال والحياة العامة في المناطق المحررة وأتخذ من فندق دربند مقراً لعمل المكتب وإيواء الصحفيين الأجانب ومن الزملاء الذين عملوا في هذا المكتب الزميل سيامند عبدالصمد بنا تاركاً دراسته وعمله في انكلترا ملتحقاً بصفوف الثورة بعد تجدد القتال في آذار ١٩٧٤ وأنه كان وما يزال من الشباب المتحمس والملتزم بمبادئ البارتي و (قبل مدة تم اختياره ليكون ممثلاً لحكومة إقليم كوردستان في العاصمة لندن) ثم سفيرا في مملكة هولندا بعد سقوط النظام الفاشي عام ٢٠٠٣ وعمل في هذا المكتب أيضاً السيد منذر النقشبندي. وكانت لمطبعة (خه بات) دورها الريادي آنذاك بأجهزتها القديمة والحديثة القديمة وكانت بنايتها تقع بالقرب من مقر الإذاعة بمسافة نصف كيلومتر مبنية بالخرسانة المسلحة تحت الأرض على شكل حرف L الانكليزي وكان شغيلة

المطبعة هم من الفنيين الجيدين وكانوا يتقنون عملهم بدرجة كبيرة، وأذكر منهم، الزملاء الطباع المخضرم مجيد كه ساس وبشكو وصفر زكي وزرار صبري بوتاني ومغديد شيرواني وتوفيق، وسامان وللأسف لا أتذكر أسماء الآخرين وكان الزميل نافع عقراوي مسؤولها الفني تحت أشراف مديرها المرحوم فائق عقراوي. وقد انيطت مسؤوليتها بعد تجدد القتال بمهندس ميكانيكي شاب وكان قد ألتحق حديثاً بصفوف الثورة وهو سيروان عبدالله سعيد الذي كان متفانياً في عمله وقد كنت قريباً من عمل المطبعة لأن الأمين العام كان يكلفني بإدارة المطبعة وكالة عند غياب مديرها وقد كلف الأخ سيروان للذهاب إلى طهران لإكمال نواقصها وفي تموز ١٩٧٤ سافرنا فعلاً معاً إلى هناك لمدة ثلاثة أسابيع وتم شراء ما حمولته أربع سيارات حمل كبيرة من مواد فنية واحتياطية للأجهزة ومواد الطباعة والورق والأصباغ مما كان له الأثر الكبير في تقدم عمل المطبعة وكان في النية شراء مطبعة حديثة نسبياً من بيروت للمرة الثانية وقد سافر الزميل سيروان فعلاً إلى هناك في الثلث الأخير من شباط عام ١٩٧٥ وكاد أن ينجز شراء المطبعة ولكن النكسة المشؤومة أسدلت الستار على محاولة شراء مكائن طباعية جديرة لمطبعة خه بات في ذلك الوقت.

وعند إبرام الاتفاقية المشؤومة كانت الأمانات العامة تعمل ليل نهار كظهيرة لملحمة القتال الجبهوي والتي فُرضت علينا فرضاً والتي كان الأبطال من البيشمركه يفدونها بدمائهم الزكية وقد كنا في عملنا أشبه بعمل دولة منظمة إن لم نكن دولة وكانت حوادث تلك الفترة بمرها وحلوها، تضحياتها، وانتصاراتها (تُردد على المسامع وتنقل للآخرين وللذين لم يحالفهم الحظ بالالتحاق بصفوف ثورتهم لأي سببٍ كان) بعد العودة إلى الصف الذي سمي (بالوطني) وكان الآباء يروون قصص البطولة عن (العام اليتيم) لأولادهم وإخوانهم وزوجاتهم والأصدقاء كانوا يتجاذبون أطراف الحديث عن مشاركتهم المتنوعة كلما جمعهم لقاء أو جلسة صداقة بينما ظل الشغل الشاغل لبعض من اكتوت قلوبهم بنار الهجرة الوقتية للثورة وظل الحنين إلى ذلك العام وأحداثه يراود عقول البعض وكنت أرى أناساً يتفننون في إسداء المديح لها وكلهم رغبة وشوقاً إلى معاودة الكَرّة وفي الوقت المناسب في الوقت الذي كنا نرى أناساً يبالغون في الانتقاد وإن لم يكن انتقادا عادلاً بل كان ظالماً إلى حد التجريح والتشكيك في الوطنية وربما لن

أنسى كلمات رثاء لهؤلاء المنتقدين قالها إنسان نبيل ووطني شريف بحق زميل له عند التقائهما بعد النكسة ولم يكن الأخير ملتحقاً ومفادها (لا تكن ضمن جوقة الأعداء والحاقدين لأن ما تقوله هراء ربما يقال أن التأريخ يكتبه المنتصرون ولكنه تأريخ مزيف والصحيح منه ما يترسخ في العقل وما يبقى في الوجدان وسيرى النور يوماً ما لا محالة) وصدقت نبوءة صاحبنا لأن الذي ترسخ في الوجدان والعقول تحول إلى وقود نار انتفاضة عارمة اكتسحت بلهيبها بنود الاتفاقيات القديمة والجديدة (سعد آباد، وحلف بغداد، واتفاقية الجزائر) وإلى الأبد والتي أرادوا بها أن يبقى الإنسان الكوردستاني بلا وطن.

أطلال مبنى المديرية العامة للشباب التابعة للأمانة العامة للثقافة والإعلام والشباب

الصورة التقطت عام ١٩٩٥

من اليسار جميل محمود بك، يوسف مولود قصاب، فرهاد عوني،

سيروان عبدالله سعيد، مجيد حداد، زرار مولود قصاب، نژاد عوني في مبنى المديرية العامة للشباب شتاء عام

١٩٧٤

دارا توفيق مصافحا لاعبي منتخب كوردستان قبل مباراتهم مع منتخب مهاباد

صيف عام ١٩٧٤

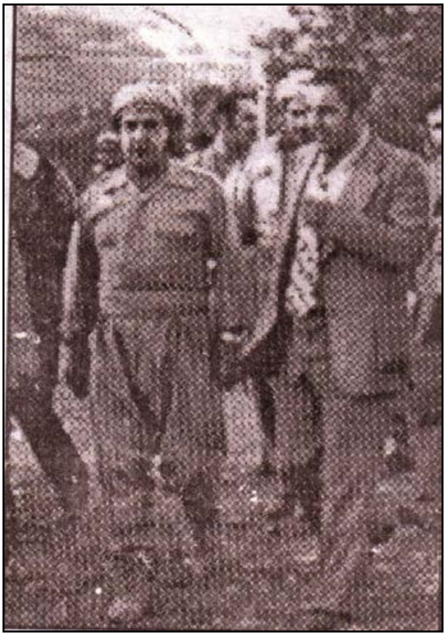

دارا توفيق وإلى جانبه فرهاد عوني

في ملعب مدينة شنو في كوردستان إيران

بعد اختتام مباراة منتخب كوردستان مع فريق

أذربيجان الغربية خريف عام ١٩٧٤

فريق منتخب كوردستان الذي تشكل خلال ثورة أيلول عام ١٩٧٤ من قبل المديرية العامة للشباب في الأمانة العامة للثقافة والإعلام والشباب

وضمت تشكيلة المنتخب كل من اللاعبين:

١. **صالح محمد شريف.**
٢. **مامند رمضان**
٣. **يدالله حسين نظر**
٤. **مجيد**
٥. **عادل شكر قادر**
٦. **هلين**
٧. **أبو زيد محمد عبدالله**
٨. **صباح سرسورا**
٩. **علي حسن بابير**
١٠. **عمر**
١١. **نجاح**
١٢. **حارس المرمى**

صفحات مجهولة من حياة دارا توفيق [*]

كانت الساعة تقارب الواحدة بعد الظهر في أحد أيام أوائل شهر تشرين الأول عام ١٩٨٠ عندما دخلت بناية المنشاة العامة للنقل النهري المطلة على ساحة الشهيد كمال جنبلاط ببغداد لزيارة الأستاذ دارا توفيق، وكانت مثل هذه الزيارات قد أصبحت شيئاً مألوفاً بيننا، لذلك كنت كلما زرت بغداد، ألتق به في البيت أحياناً أو في مكتبه أحياناً آخر، وفي تلك الزيارة عندما دخلت عليه لم يدر بخلدي بأنها ستكون الزيارة الأخيرة وسيختفي بعدها دارا عن مسرح الحياة بهذا الشكل التراجيدي تاركاً وراءه لغزاً محيراً منذ ثمانية عشر عاماً حتى يومنا هذا!.

وحال دخولي مكتبه كان منشغلاً بسماع آخر البلاغات في المذياع عن الحرب العراقية ـ الإيرانية ولم تكد تمضي على نشوبها مدة تزيد عن الأسبوعين وعندما لمحني نهض من وراء مكتبه مرحباً بي وحاول أن يبدو وكأنه بحالة اعتيادية رغم مسحات الحزن التي كانت بادية على وجهه وبدى لي مكسور الخاطر على غير عادته ففسرت ذلك مع نفسي وكأنها نتيجة اعتيادية لساعات في العمل الروتيني في دوائر الدولة وفجأةً أشار بإحدى أصابع يده اليمنى إلى أجهزة الهواتف الموضوعة على أحد طرفي منضدته ملفتاً نظري إلى السكوت وعرفت حالاً بأنه أصبح في وضع صعب. كان خائفاً عليّ، لذلك لم أتطرق إلى غير السؤال عن الأحوال العائلية والأمور الشخصية وعندما حان وقت انتهاء الدوام أقترح عليّ ونحن نتجه صوب سيارته (الفالفو) والتي كانت واقفة على الرصيف الأمامي لمبنى المنشأة إن لم يكن هنالك مانع أن نتناول الغداء في المطعم الايطالي القريب من دائرته وقضاء بعض الوقت فيه مبرراً ذلك على حد قوله بأن المطعم المذكور يسوده جو هادئ ويتميز بوجود (أكلات) لا تتوفر في المطاعم الأخرى وعندما مازحته حول عزوفه عن ارتياد مطعم (ستراند) في هذه

---

[*] نشر في مجلة (كولان العربي) العدد ٢٣ في ٢٥ نيسان ١٩٩٨.

المناسبات التي غالباً ما كان يعزم ضيوفه فيه منذ بداية السبعينات أجابني قائلاً: (ربما الحالة النفسية تمنعني من ارتياد مطعم ستراند إذ كنا أيام العز (كان يقصد سنوات ١٩٧٠-١٩٧٤) نستضيف فيه أصدقاءنا وكنا معروفين فيه فكيف أستطيع الآن ارتياده ونحن في وضع آخر!!).

واتخذنا طاولة جانبية في أحد أركان المطعم الايطالي ذي القاعة الفسيحة ولم تمنحني حالة الجوع التي كنت أشعر بها من تجاوز الموضوع الذي كان يشغلني كثيراً وحاولت قدر المستطاع جره إلى الحديث عنه وخاصةً أن قاعة المطعم لم تكن توحي بأن ثمة مراقبة أو أي شيء آخر من هذا القبيل وعندما أستقر اختيارنا على الأكلة المفضلة، بادر هو بالكلام وأخبرني بأنه يشعر ومنذ مدة بوجود جهاز مراقبة مثبت في أجهزة الهواتف الموجودة في مكتبه وأن حاسته السادسة على حد قوله توحي له بأنه قد يتعرض إلى مكروهٍ ما وتذكر حادثة أخرى أثناء وفاة والده قبل شهور من ذلك التاريخ حيث لم تمنح له الإجازة الاعتيادية من قبل وزارته للسفر إلى السليمانية إلا بعد التأكد من جانب الأجهزة المختصة بحدوث حالة الوفاة ثم أستطرد في كلامه بأنه قد عرف وهو جالس في مجلس الفاتحة المقامة على روح والده في الجامع الكبير هناك بوجود سيارتين من سيارات شرطة النجدة واقفين خارج الجامع وكان ذلك إحراجا له ولاسيما وهو معروف في مدينته السليمانية وعندما أستفسر بواسطة الأقارب من ضباط الشرطة المرابطين في داخل السيارتين عن أسباب وجودهم في ذلك المكان فكان جوابهم إن السبب من ذلك هو حماية دارا وحينئذ تدخل شخصيا في الأمر وأستطاع بلباقته إقناع ضباط الشرطة المذكورين بالابتعاد عن المكان كان تفسيره (أي كاك دارا) لتلك الحالة بأنهم كانوا يراقبونه شخصياً خشية انتهازه الفرصة للتوجه إلى المناطق الخاضعة للحركة الكوردية. فحاولت من جانبي طمأنته بكلام عام بأن السلطة باستطاعتها تصفية أيّاً كان وإلحاق الأذى به خاصة وأنه معروف على أعلى المستويات حيث كان هو في يومٍ ما الوسيط والمحاور وأحد عناصر الوفد الكوردي المفاوض الذي توصل إلى أتفاق الحادي عشر من آذار عام ١٩٧٠ وهنا خرجت آهة من أعماقه ومد يده كعادته لفرك شعر رأسه إذ غالباً ما كان يلجأ إلى القيام بمثل هذه

الحركة كلما كان هناك شيء غير طبيعي يعكر مزاجه وحاول في النهاية التخفيف من الحالة محاولاً عدم إزعاجي بهذا الأمر خاصةً أنه كان يعرف مدى احترامي وتقديري له وعندما تركنا المطعم أوصلني بسيارته إلى حيث مكان إقامتي (مسكن العم العميد المتقاعد عبدالله سعيد والد زوجتي) واتفقنا على الالتقاء ثانيةً في مساء اليوم نفسه في داره الكائنة قرب النصب الجديد للجندي المجهول في صوب الكرخ.

تعود بدايات معرفتي للأخ دارا توفيق إلى عام ١٩٦٣ وتحديداً بعد انقلاب ٨ شباط حيث اتسعت رقعة ثورة أيلول الكبرى إذ جرف تيارها الكثير من أبناء كوردستان بمختلف الأعمار والمهن والمذاهب تحت تأثير لمعان وبريق وعدالة وقوة التيار القومي المتمثلة بمبادئ الثورة الممزوجة برومانسية الحالمين بمستقبل كوردستان وشعبها.

ففي هذا المناخ وجدت نفسي كالكثيرين من أبناء شعبي منخرطاً في صفوف الثورة التي كان يقودها البارزاني الآتي من رحم أمة مجزأة جغرافياً حيث كان يعاني من الغبن الذي ألحق بشعبه وفي هذا المناخ وجدت نفسي مع عمي المرحوم (عمر حبيب) في قصبة ماوه ت التابعة لمحافظة السليمانية في بناية محكمة ماوت ضمن تشكيلات المحكمة العليا للثورة. ففي بداية شهر تشرين الثاني في العام نفسه انتقلنا إلى قرية عيساوي التابعة لناحية ماوه ت والواقعة بين قرية زازلي ونهيرة (تيتي) على حدود كوردستان إيران فسكنا بيتاً ريفياً مبنياً بالطوب والطين المحليين على طراز بيوت الريف الكوردستاني من بين البيوت المتناثرة وكان شاغلوها مسؤولون عن الإدارات والتموين والمخابرة على مقربة من مقر المكتب السياسي للبارتي آنذاك حيث كانت تلك البيوت مبنية تحت ظلال الأشجار المعمرة تفادياً لكشف مواقعها من قبل الطائرات المعادية.

والبيت الذي كنا نسكنه كان متكوناً من غرفتين متداخلتين وبارتفاع منخفض أحدهما كانت مخصصة للراحة والنوم والثانية كانت بمثابة مكتب يجري فيها تمييز ومصادقة القرارات القضائية الآتية من المحاكم الموجودة للثورة، وكان ترتيب البيت الذي كنا نسكنه الأول من بين تلك البيوت بالنسبة للقادم من ناحية ماوه ت وعلى بعد أمتار قليلة من الممشى العام الذي كان مخفياً عن الأنظار بسبب كثافة الثلوج

المتساقطة في المنطقة في موسم الشتاء في العام ١٩٦٣ وكانت حركة الذهاب والأياب بطيئة للغاية بسبب ذلك المناخ القاسي إلا في حالات محدودة كوصول برقية عاجلة عن إنتصار حققه البيشمركه أو تحطيم دبابة في إحدى المواجهات مع العدو بالسلاح الجديد (البازوكا).

وفي الثلث الأخير من شهر تشرين الثاني عام ١٩٦٣ وتحيداً في الثاني والعشرين منه وعندما كنا منهمكين بتناول غذائنا البسيط المكون من صحن شوربة عدس مع عدة أرغفة من الخبز غير الناضج وكان معنا الفنان عمر دزيي حيث كان قد حل ضيفاً علينا قبل ذلك التأريخ بيومين حين دخل علينا شاب بدت على محياه الوسامة ولم تكن ملابسه الخاكية متلائمة مع قيافته. فقد كان قصر سرواله ظاهراً للعيان ودورة حزامه الملفوف على وسطه لم يكن يتجاوز المترين من القماش الأسود وكان حاملاً حقيبة جلدية من حجم متوسط جوزية اللون وحيّانا باستحياء ظاهر ولم يشخص أحدنا القادم الجديد في اللحظات الأولى ودعوناه للجلوس ظننا بأنه قد ظل طريقه وربما قد جاء ليسألنا عن مكان صديق له أو أحد معارفه وعندما أتخذ مكاناً للجلوس معنا فاجأنا عمر دزيي بصيحة مقرونة بتلفظ أسم دارا مما أدى إلى تغيير ملامح القادم الجديد وقدم عمر دزيي الضيف بتعريف مختصر لنا قائلاً: (دارا توفيق مهندس مدني من السليمانية ومناضل معروف) فتم الترحيب به كثيراً وكان سيماه توحي لأول وهلة باللطافة والبساطة والبسمة لم تكن تفارقه مما جعلنا نهتم به كثيراً ولم تمض نصف ساعة على مجيئه حتى تبرعت بالذهاب إلى المطبخ العام في المقر لجلب الغذاء له وهو صحن من شوربة عدس مع رأس بصل إضافي وأرغفة من خبز التنور. وبعد الانتهاء من تناول الطعام بدأ يتحدث عن مهمته خلال المدة الماضية، أي بعد استئناف القتال مع الحكم الجديد حيث كان مكلفاً على رأس فريق بجمع مقادير من الحنطة في مناطق مختلفة من الأراضي المحررة دعماً للثورة الكوردية، التي كانت تواجه أقسى حملة عسكرية بعد حزيران عام ١٩٦٣ وذكر بأن فريقه كان من أنشط الفرق التي تشكلت. وحينها ولاحظت بأنه كان يتكلم دون حماس ظاهر ولم يكن مرتاحاً من هذا العمل الذي كان قد كلف به رغم أدائه على الوجه الأكمل.

بقي دارا معنا أسبوعاً كاملاً وتبدل جو غرفتنا بوجوده إذ كان يتحدث باستمرار عن الحياة في أوروبا وعن حياته السياسية إذ دخل معتركها في ريعان شبابه عندما كان طالباً في المرحلة الإعدادية في مدينة السليمانية حيث ولد فيها علم ١٩٣٢ رغم كونه كان من عائلة ميسورة وأستمر معه النشاط السياسي في صفوف الحزب الشيوعي العراقي بفاعلية أكثر عندما أنتقل إلى بغداد العاصمة ملتحقاً بجامعتها جامعة بغداد في القسم المدني بكلية الهندسة وسببت له نشاطاته الديناميكية في مجالي السياسة والثقافة عقوبة الفصل لمدة سنتين وعلى أثرها سافر إلى انكلترا عام ١٩٥٢ لتكملة دراسة الهندسة في أحدى جامعاتها وأصبح مهندساً عام ١٩٥٧.

وخلال وجوده هناك لم يترك العمل السياسي بل أزداد نشاطه بفعل المناخ السياسي الليبرالي والديمقراطي فكان من المساهمين النشطين في التحضير للمؤتمر الأول لجمعية الطلبة الكورد في أوروبا والذي أنعقد في مدينة (فيزبادن) الألمانية بتأريخ ١٩٥٦/٨/١٠ مع زملائه المؤسسين (عصمت شريف فانلي، نورالدين زازا، سعدي حمد أمين دزه يي، تحسين هوراماني، ظاهر حسين، نهاد ماجد مصطفى) مساهماً في تشكيل تلك المنظمة الطلابية الكوردية المناضلة التي كانت سفيرة للكورد وكوردستان ذات يوم، كما أنه أي دارا أحتل مكانة مرموقة في سكرتارية اتحاد الشبيبة الديمقراطي العالمي مؤثراً في قراراتها على الدوام لصالح قضية شعبه بفعل خليفته السياسية والمرونة العالية التي كان يبديها في عمله.

قبل مجيئه كنا مشدودين على الدوام إلى جهاز الراديو من نوع (ماسكوت) الياباني ذات البطارية الكبيرة لسماع الأخبار حيث كنا متلهفين لسماعها وخاصةً لسماع خبرٍ ما حول ثورة الكورد من إذاعة أجنبية إذ كانت الإذاعات في تلك الأيام حافلة بالأخبار الكوردية بعدما تبنى الإعلام في دول أوروبا الشرقية ذلك الموضوع أثر أنقلاب٨/شباط/١٩٦٣ والإعلان عن إبادة الشيوعيين العراقيين من قبل النظام الذي جاء إلى دست الحكم بعد مقتل الزعيم عبدالكريم قاسم، فكان مجيء دارا متزامناً مع حدوث واقعة مثيرة للغاية إذ اغتيل الرئيس الأمريكي جون كينيدي في مدينة دالاس حيث أشارت بعض التحليلات والأخبار الأولية إلى اتهام كوبا بتدبير الحادث وأصبح

دارا أكثرنا اهتماماً بالموضوع وذيوله إلى ساعة متأخرة من الليل ومشغولاً بتحريك مؤشر الراديو يميناً ويساراً وتنقلاً من إذاعة إلى أخرى وباللغات العربية والانكليزية لسماع آخر الأخبار حول الحادث المذكور.

في قرية عيساوي وبعد مرور أسبوع كامل ودعنا دارا متجهاً هذه المرة صوب عمل جديد مختلف كلياً عن مهمته السابقة بعد أن عرف المهتمون بمصير الثورة معدنه ومزاياه وتركنا بعد أن قدم لي أكبر وأثمن نصيحة في حياتي وهي الاستمرار في الدراسة مهما كلف الثمن ونصحني بالابتعاد عن اللجوء لخلق التبريرات الوهمية وترك لي الجزأين الأول والثاني من رواية (الفولاذ سقيناه) وكراس ملون أنيق مطبوع عليه رباعيات عمر الخيام باللغات الفارسية والعربية والانكليزية وقد احتفظت بها إلى أن امتدت إليها أيادي رجال السلطة عام ١٩٧٤ في بغداد ونهبت داري مع دور الآخرين من أعضاء البارتي كوننا كنا قد التحقنا بالثورة في آذار ١٩٧٤.

وهكذا ترك عندي دارا انطباعاً جيداً للغاية لم تستطع الأيام والشهور والسنين محو ما سجلت في ذاكرتي عنه وأصبحت نصيحته لي بالاستمرار في الدراسة خير حافز لإكمال دراستي الثانوية في كويسنجق حيث كانت نتيجتي في الامتحان الوزاري مؤهلة لقبولي في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية في جامعة بغداد للعام الدراسي ١٩٦٦ — ١٩٦٧ وفي الفترة التي كان الانشقاق قد أثر سلبياً على صفوف الحركة التحررية الكوردية والمتمثلة في ثورة أيلول بقيادة البارزاني الخالد، والذي أنعكس أيضاً على صفوف المنظمات الكوردستانية ومنها اتحاد طلبة كوردستان العراق.

في تلك الأيام كنا نزور مبنى جريدة التآخي الكائن في حي العيواضية والذي أصبح ملتقى للجميع (مثقفين، سياسيين، طلاب، حزبيين، مستقلين، ومن عرب والكورد) وتحول إلى مركز جذب للقوى الديمقراطية باعتبار أن جريدة التآخي كانت تمثل الجانب الثاني من المعادلة السياسية في العراق حيث كان المناخ السياسي ملائماً نوعاً ما في فترة حكم الفريق عبدالرحمن عارف، وفي إحدى أمسيات خريف عام ١٩٦٧ التقيت بدارا ثانيةً في دار التآخي ووجدته شاباً أنيقاً ووسيماً ومختلفاً تماماً مما رأيته عندما تعرفت عليه في شتاء عام ١٩٦٣ في قرية عيساوي، فعرفني في الحال وسره كثيراً

كوني طالباً في الجامعة ودعاني للبقاء معه بعد الانتهاء من زيارة الشهيد صالح اليوسفي وأعضاء هيئة التحرير، وحال خروجه أمسك بيدي وخرجنا من مبنى الجريدة واتجهنا إلى الشارع العام صوب محلة رأس الحواش في الأعظمية وكان حديثنا مركزاً على الوضع السياسي العام في كوردستان وظروف الانشقاق فلام كثيراً سلوك المجموعة المنشقة وقيم نشاطاتنا في صفوف اتحاد طلبة كوردستان فأفادتني ملاحظاته في ذلك المجال كثيراً ووعدني باللقاء ثانيةً وثالثةً، كلما سنحت الظروف. وشاءت الأقدار أن نلتقي مرة أخرى وهو ضمن الوفد الكوردي المفاوض مع أخوانه المناضلين (إدريس البارزاني، مسعود البارزاني، نوري شاويس، صالح اليوسفي، سامي عبدالرحمن، نافذ جلال، ود. محمود عثمان) في أواخر شهر كانون الأول ١٩٦٩ في القصر الأبيض ببغداد، عندما حلوا ضيوفاً على الحكومة العراقية للتباحث حول بنود اتفاقية السلام والتي مهدت لها قناعة الطرفين (الكوردي والحكومي) بالوصول إلى حل يحقق طموحات شعب كوردستان والذي من أجله سافر دارا أوائل عام ١٩٦٩ إلى بيروت بتكليف من البارزاني الخالد للالتقاء بالأمين العام لحزب البعث العربي الاشتراكي (ميشيل عفلق) كما زار بغداد في أوائل العام نفسه والالتقاء بنائب رئيس مجلس قيادة الثورة آنذاك (صدام حسين) تمهيداً لبدء حوار بشأن الوصول إلى حل المسألة الكوردية حلاً سلمياً عادلاً وقد تكللت بنجاح مبادرة السلام وتوصل الطرفان إلى صيغة اتفاقية أعلنت بنودها في ١١/آذار/١٩٧٠ وتضمنت الاعتراف من قبل السلطة المركزية في بغداد بالحقوق القومية للشعب الكوردي على أساس الحكم الذاتي، وهي تعتبر أهم اتفاقية منذ تأسيس الدولة العراقية في العشرينات من القرن الماضي حتى يومنا هذا، بالإضافة إلى كونها وثيقة تاريخية في حياة الشعب الكوردي أرست الأسس المقبولة لحل المسألة الكوردية سلمياً.

بعد الاتفاقية ساد جو من الوئام بين الحكومة وقيادة الثورة الكوردية وخاصةً في الأشهر الأولى وأصبح بالإمكان عقد المؤتمر الثامن للبارتي بصورة علنية وبشكل واسع وحضور كبير دعي إليه إضافةً إلى الرفاق أعضاء المؤتمر الذين انتخبوا في الكونفراسات الحزبية ـ جمع غفير من ممثلي الأحزاب العراقية وفي مقدمتهم ممثلو

الحزب الشيوعي العراقي وحزب البعث العربي الاشتراكي والأحزاب الكوردية في الأجزاء المختلفة من كوردستان الكبرى والمنظمات الديمقراطية وجمعية الطلبة الأكراد في أوروبا والشخصية الكوردية المعروفة كامران بدرخان.

ففي ذلك المؤتمر الكبير الذي خرج بنتائج وقرارات هامة أصبح دارا توفيق ولأول مرة عضواً في اللجنة المركزية بعد مرور سبعة أعوام على التحاقه بصفوف الثورة حيث لعب أدواراً هامة قبل أن يصبح عضواً في قيادة البارتي نظراً لثقة البارزاني به كونه كان من العناصر المثقفة وذا خلفية سياسية سابقة في صفوف الحزب الشيوعي العراقي وسكرتارية إتحاد الشبيبة العالمي وإتقانه اللغة الإنكليزية بحكم دراسته في انكلترا، بالإضافة إلى كونه كان يتصف بخلق رفيع وبساطة السلوك وطيبة القلب، فأصبح مرشحاً في بداية الأمر لتولي وزارة الزراعة في التشكيلة الوزارية التي أعقبت إعلان الاتفاقية والتي على أثرها أستوزر السادة (سامي عبدالرحمن، نوري شاويس، صالح اليوسفي، إحسان شيرزاد، ونافذ جلال) ولكن جرى تغيير في الترشيح وأصبح المرحوم نافذ جلال وزيراً للزراعة بدلاً من دارا توفيق بينما ترشح الأخير لمهمة أخرى وبعد فترة انيطت به رئاسة تحرير جريدة التآخي في ١٩٧١/٤/٥ وقد شغل منصبه بجدارة فائقة وقدرة عالية في قيادة هذا المركز الإعلامي الكبير إذ شهدت الساحة الصحفية مساجلات صحفية هامة قل نظيرها مع جريدة (التآخي) تارة مع جريدة (الجمهورية) البغدادية التي كانت تنطق بلسان الحكومة العراقية وتارةً مع جريدة (الثورة) لسان حال حزب البعث العربي الاشتراكي وتارةً أخرى مع جريدة (طريق الشعب) لسان حال الحزب الشيوعي العراقي بأسلوب رصين أخاذ ومنطق عقلاني، وعلى أثرها أصبحت (التآخي) جريدة العراق الأولى.

التقيت مع الأستاذ دارا توفيق مرةً أخرى عام ١٩٧٢ اختلفت عن المرات السابقة حيث أبلغني الأستاذ سامي عبدالرحمن (عضو المكتب السياسي ووزير شؤون الشمال) آنذاك بقرار التحاقي بالعمل في جريدة التآخي كمدير للإدارة، بعد انتهاء مهمتي في سكرتارية إتحاد طلبة كوردستان - العراق وسرني كثيراً ذلك التكليف

لسببين أولهما: العمل مع دارا في الوقت الذي كان هو مسؤولاً عن ذلك المؤسسة الصحفية. وثانيهما: دخول عالم الصحافة من أوسع أبوابه.

عرفت دارا بعد انتقالي إلى (التآخي) عن كثب وأصبحت علاقاتنا تسودها المحبة فمنحني ثقته الكاملة في الإدارة أولاً والشؤون المالية ثانياً والإطلاع على بريد الجريدة وفحص المواد الصحفية وأخيراً تكليفه لي بالإشراف على جريدة (برايه تي) وخاصةً في اختيار وصلاحية المواد السياسية بعد وفاة المرحوم رفيق جالاك في ١٩٧٣/١١/٣٠ وأستمر عملي حتى شهر آذار عام ١٩٧٤ أي إلى حين مغادرتنا لمدينة بغداد للالتحاق بصفوف الثورة مع ظهور بوادر تجدد القتال اثر تلكؤ الحكومة في تنفيذ بنود الاتفاقية.

وحين استذكر الثقة التي منحني إياها دارا يومذاك أثناء وجوده أو في حالات غيابه عن بغداد بسبب زياراته المتعددة لمقر قيادة الثورة في كوردستان أو في زياراته إلى خارج العراق تحضرني حالات كثيرة ربما لا أستطيع إعطاءها الحق ويكفيني فخراً تكليفه لي مع الأستاذ سامي عبدالرحمن بحمل رسالة سيادة البارزاني إلى مؤتمر عدم الانحياز الذي عقد في الجزائر مع الزميل عادل مراد عن طريق العاصمة المصرية (القاهرة)، حيث تناولت الحديث عن هذا الموضوع في أحدى حلقات (من الذاكرة) بالإضافة إلى ترشيحي للذهاب إلى خارج العراق مرتين، الأولى إلى جمهورية رومانيا الاشتراكية..... والثانية إلى جمهورية ألمانيا الديمقراطية....، بالإضافة إلى تكليفي بزيارات متعددة إلى كوردستان. ولم يكن من طبعه الإنفراد بالقرارات وكان معتاداً بأخذ آراء بعض الأخوة من الكتاب والمحررين العاملين في (التآخي) في الأمور الهامة التي كانت تعكسها كتابات التآخي وكان كبيراً في تعامله الأخوي وفي تقييم الآخرين ولم يكن يتظاهر في تعامله اليومي معنا بأنه مطلع على كل شيء أو قادر على إنجاز عملٍ ما بمفرده وكانت روحية (الفريق الواحد) هي السائدة عنده ومن خلالها كان يكسب ود المحيطين به دون أن يصطنع ذلك. وحين أتحدث الآن عن مزايا الرجل تتسابق عندي الأحداث والمناسبات المحفورة في الذاكرة حيث كان يتصرف كقائد في موقعه دون أن يؤثر ذلك في جوهره الإنساني وتعامله مع الآخرين وخاصةً مع من كانوا يوماً نجوماً في

دائرة الشهرة (ورجالات زمانهم) إذ كان يتصرف معهم وكأنهم لازالوا في المواقع التي كانوا يشغلونها سابقا.

في عصر أحد أيام فصل الخريف عام ١٩٧٣ حيث كنت معتاداً البقاء في مقر الجريدة لإنجاز الأعمال الروتينية ومتابعة الأمور المتعلقة بالجريدة فاجأني دارا بدخول غرفتي الملاصقة لغرفته حيث كنا نشغل شقة واحدة بغرفها الأربع من مجموع الشقق الاثنتين عشرة في الطابق الأول من عمارة أطلس الواقعة في شارع السعدون، على بعد عشرا الأمتار من ساحة النصر. ولم يكن معتاداً على البقاء بعد الساعة الثانية ظهراً إلا في الحالات الضرورية أو عند كتابة المقال الافتتاحي للجريدة لأنه كان يعاود الدوام في الساعة العاشرة ليلاً وكان مجيئه إلى غرفتي بالذات في ذلك اليوم وتلك الساعة (الساعة الثالثة بعد الظهر) مثار استغرابي لأنه لم يكن قد أخبرني بشيءٍ ما عندما أنهى دوامه الصباحي ذلك اليوم حيث كان عائداً من كوردستان في الليلة التي سبقت ذلك اليوم وسألني قائلاً: (هل تناولت طعام الغداء؟)، فأجبته بالنفي. وحينئذ اقترح على تناول الغداء معه في مطعم ستراند وتوجهنا بسيارته (الفيات) حيث كان يقودها بنفسه. وفي الطريق أخبرني بأنني سأكون معه لزيارة شخصية عسكرية كان في يومٍ ما موضوع حديث الناس واكتفى بهذا القدر من الحديث لحين أخذنا مكاناً في صالة المطعم حيث عاد للحديث عن الموضوع ثانيةً وأعلمني بأننا سنكون في الساعة الرابعة عصر ذلك اليوم في دار الفريق المتقاعد نورالدين محمود رئيس الوزراء العراقي الأسبق لإيصال رسالة من سيادة البارزاني إليه وعلمت بأن هذه الزيارة هي الزيارة الثانية له ولم أستفسر عن مغزى تلك الزيارة ومن كان معه في زيارته الأولى لأنه كان بطبيعته يتحدث عما يراه ضرورياً.

كان المرحوم نورالدين محمود أحد كبار قادة الجيش العراقي وهو كوردي من الموصل وكان رئيساً لأركان الجيش عندما كلف من قبل البلاط الملكي لتسنم رئاسة الوزراء أيام اشتداد المد الجماهيري عام ١٩٥٢ ظناً من البلاط بأن شخصية نورالدين محمود العسكرية قادرة على إسكات المعارضة والسيطرة على الأوضاع العامة في البلاد.

لم يكن منظر داره من الخارج (دار الفريق نورالدين محمود) عند وقوف سيارتنا أمام بابها يوحي بأن صاحبها كان في يومٍ ما رئيساً للوزراء فقد كانت داراً بسيطة في أحد الأحياء السكنية بمدينة بغداد واستقبلتنا امرأة عجوز حيث قادتنا إلى غرفة الصالون المطلة على الحديقة الأمامية للدار وواجهتنا في صدر أحد جدرانها صورة ذات حجم متوسط تضم التشكيلة الوزارية التي كان المرحوم قد ترأسها في ١٩٥٢/١١/٢٣ مع صورة أخرى شخصية له بآخر رتبة عسكرية مزينة بمجموعة من النياشين مثبتة على الجانب الأيسر من صدره، ثم استقبلنا الرجل بحفاوة بالغة وتبين بأن حياته العسكرية حافلة بالنشاط في زمنه قد أنهكته إضافةً لدخوله عالم النسيان على قاعدة التعامل في شرقنا حيث ينسى الناس (الكبار) عندما يتقاعدون أو ينزاحون بقوة السلاح أو عندما يتقدم بهم العمر والحالة الوحيدة التي يستذكرون فيها هي عندما يكتب مؤرخ أو كاتب مذكرات موضوعاً حينئذ يظهر (البطل) مرة ثانية على المسرح ولكن ظهوره في هذه المرة لا يتعدى أسطراً قليلة على صفحات الورق!!.

تناولنا القهوة المرة وعندما تأكد من شخصيتي بعد أن عرّفني به دارا، دار الحديث في اللقاء على الشكل التالي:

دارا توفيق: يهديك البارزاني تحياته الحارة ويسأل عن صحتك وكان بوده رؤيتك في كوردستان إذا سمحت ظروفك الصحية وأوضاعك العامة وأنه أي (البارزاني) حمّلني رسالة خطية لسيادتك (وهنا مد كاكه دارا يده إلى حقيبته وأخرج الرسالة منها وسلمها إلى الفريق نورالدين محمود) وكلفني بأن ألبي ما تطلبونه ويمكنكم الاتصال بنا على أرقام هواتف جريدتنا.

الفريق نورالدين محمود: أشكر سيادته (لم يستطيع إكمال الحديث إذ دمعت عيناه من شدة التأثر ولم تكن بامكان نظارته الطبية إخفاءها، ثم بدأ بقراءة الرسالة وقد استغرقت زهاء عشر دقائق) وعندما أسترد أو عاد الى وضعه الاعتيادي عاود الكلام ثانيةً وقال: عاصرت الكثيرين وعملت مع وبمعية قادة الجيش الكبار وعرفت الساسة من طينات مختلفة ولم أحظ من خلال كل ذلك بما حظيت به من تكريم وجداني نابع عن الأصالة من خلال ما وجدته من فقرات رسالة البارزاني الذي كنا (وكان يقصد

الضباط العراقيين) قد ظلمناه ولم نكن نعرف حقيقة الرجل وأنه حورب بكل ما كان لدى النظام من قوة (كان يقصد العهد الملكي) إلى أن اجبر على الانسحاب عبر حدود دول ثلاث إلى الاتحاد السوفيتي ولقد عاتبت يوماً عمر علي (وكان يقصد اللواء عمر علي الذي شغل لآخر مرة في حياته العسكرية منصب قائد الفرقة الأولى لحين حدوث ثورة ١٤/تموز/١٩٥٨) على نهجه الصارم في (حركات بارزان) عام ١٩٤٥ عندما كان يقود (رتل الأمير) وهو برتبة مقدم ركن ولكنني ذهلت وأصبت بالخيبة عندما كنت أسمع في السنوات الأخيرة تصرفات بعض من عسكريينا وقساوة بعضهم تجاه السكان الآمنين وتجاه الشعب الكوردي بصورة عامة، فحمداً لله ونشكره على ما آلت إليه الأوضاع واستطعتم الحصول على مطاليبكم ولقد آن الأوان لكي يرتاح قائدكم بعدما عانى الكثير من الأهوال والمصاعب.

دارا توفيق: سيادة الفريق أنتم أدرى بما جرى في العهد الملكي وكنتم خير شاهد على ذلك. لقد حورب البارزاني بقوة وتعرض أهله وعشيرته إلى مظالم واضطر هو إلى ترك البلاد واختيار المنفى في الاتحاد السوفيتي وحوكم شقيقه الشيخ أحمد البارزاني بالحبس المؤبد. ولقد جرى ما جرى للبارزانيين عقب الانتهاء من الحركات العسكرية عام ١٩٤٥ وما آل إليه مصير الضباط الأربعة ونشكركم على معاتبتكم لعمر علي لقد كان قاسياً فعلاً سواء أكان في قيادة رتل الأمير أو عندما كان متصرفاً في السليمانية.

الفريق نورالدين محمود: أصبحنا في دائرة النسيان وصحتي لا تسمح الآن ولو لم أكن في وضعي الصحي هذا لوددت أن أكون في صحبته (أي صحبة البارزاني).

دارا توفيق: سيادة الفريق (وكان يخاطبه طوال اللقاء بهذه التسمية) نعرف مشاعركم والبارزاني خصكم من دون الآخرين بتمنياته القلبية ولاشك أنه يعرف معدنكم وحبكم لشعبكم وأنه يقدر مكانة الضباط الكورد وما كانوا يعانون لمجرد كونهم من القومية الكوردية.

طال اللقاء زهاء ساعة وشعرت في النهاية بأن الفريق نورالدين محمود كان راضياً كل الرضى عما دار في اللقاء واستنتجت من كلامه ونحن على وشك مغادرة الصالون بأنه ومنذ ثورة ١٤ تموز عام ١٩٥٨ لم يتذكره أحد ولم يكرم مثل ما كرمه البارزاني

وما سمعه من دارا توفيق ولم ينس عتابه للزعيم الراحل عبدالكريم قاسم لأنه أعتذر عن الالتقاء به عندما زاره في وزارة الدفاع خلال الأيام الأولى للثورة ولم يتذكره أحد حتى الآن، وأصر على توديعنا إلى الباب الخارجي ولكن إصراره جوبه بلباقة كاكه دارا الذي أثناه عن الإصرار. وتركناه وشعرت بأن كاكه دارا قد بالغ في تقدير الرجل وأخبرته بما كان يدور في مخيلتي حول تقديره المتزايد للرجل ونحن داخل سيارته في طريق عودتنا إلى مبنى الجريدة عندئذ نظر إليّ بطرف إحدى عينيه وعرفت مغزاها في الحال وبعد دقيقة صمت قال لي: (مهما على شأنك لا تنس نفسك كإنسان وأن الإنسان مهما وصل إلى أية مرتبة عليه أن لا ينسى إنسانيته وإذا لم ينس إنسانيته، لا يظلم الآخرين وبالتالي لا يظلم إنسانيته) وأستطرد قائلاً: (إن احترام الكبار والذوات وأصحاب الجاه والسلطة في ذروة قوتهم لا تحتسب فضيلة لأحد ولا تعتبر من باب الحب والإكرام وأن إشعار (المنسيين) بكونهم لايزالون شيئاً في الحاضر هو تكريم للذات نفسه وانتشال إنسان في دائرة معاناته وكم نكون كريمين إذا ما استطعنا إشعار (المتقاعدين المسنين) بأهميتهم وبكونهم مازالوا حاضرين في الذاكرة ولا ننسى (والكلام مازال لكاكه دارا) بأن كل منا في مراحل مختلفة سيصل إلى هذه الحالة والشيخوخة لا تستثني أحداً!!).

في الأشهر الأخيرة من عام ١٩٧٣ كان الجو السياسي ملتبداً بالغيوم وكانت علاقة الحركة الكوردية مع السلطة المركزية تمر بمرحلة صعبة وهذا ما كنت أدركه خلال استنساخ أوراق المحاضر في الجهاز المنصوب في أحدى غرف شقتنا في مبنى الجريدة، تلك الأوراق التي كان يتولى تبييضها دارا وكنت أتولى استنساخها وكانت عبارة عن محاضر الحوار والجلسات التي كانت تعقد بين بعض الأخوة من أعضاء المكتب السياسي بحضور الأستاذ حبيب محمد كريم سكرتير الحزب آنذاك وبين الجانب الحكومي وحزب البعث العربي الاشتراكي وكانت الآمال معقودة على نتائج المباحثات. وكان الجانب الكوردي يحاول قدر الإمكان عدم التفريط بالفرصة التأريخية، وكانت كركوك والمناطق المختلطة كـ(سنجار وخانقين) هي العقد المستعصية في الحوار بين الجانبين ولم تكن القيادة الكوردية مستعدة للتنازل وإن كانت تحاول تأجيل الموضوع

إلى فترة أخرى ولكن القيادة العراقية كانت ترفض أي مسعى للخروج من تلك الأزمة بعد ضمان جانب الإتحاد السوفيتي وحصوله على السلاح الشرقي والغربي. ففي هذا المناخ الغير الطبيعي عقدت اللجنة المركزية البارتي اجتماعاً اعتيادياً بعد منتصف كانون الأول ١٩٧٣ لتدارس وتقييم الوضع السياسي.. وفي ١٩٧٣/١٢/٢٢ عاد كاكه دارا من كوردستان إلى بغداد وكان الوقت في حدود الساعة الرابعة عصراً ودخل غرفتي في أول الأمر وبعد استراحة قصيرة فاجأني بخبر في ذلك الوقت وأخبرني بنيته الاجتماع مع كادر ومحرري جريدة برايه تي وجعلها يومية بدلاً من أسبوعية والاستعداد لتحضير المواد لكي يصدر العدد (٠) من برايه تي بشكلها اليومي في أول أيام عام ١٩٧٤.

ومرت الأيام ومع تباشر فجر أول يوم من عام ١٩٧٤ ولأول مرة في تأريخ الصحافة الكوردية ولدت أول صحيفة يومية كوردية على يد دارا توفيق بعد مرور ٧٦ عاماً على صدور أول جريدة كوردية (كردستان) في ٢٢/نيسان/١٨٩٨ في القاهرة على يد أحد أبناء الأسرة البدرخانية المناضلة وهو مقداد مدحت بدرخان، واستمرت برايه تي في الصدور إذ صدر العدد الأول منها في ١٩٧٤/١/٨ وسجلت هذه التجربة الصحفية الرائدة والتي لم تستمر طويلاً بفعل قرار أصدره وزير الإعلام العراق آنذاك (حامد الجبوري) ثم عادت برايه تي إلى صدورها الأسبوعي وسجلت العدد (٨٦) في ١٩٧٤/٣/٢ نهاية المرحلة الثالثة من عمرها. وفي تلك الأيام أضطر محررو وكادر جريدتي برايه تي والتآخي بالانتقال إلى كوردستان تلبيةً لنداء الواجب القومي وكان في مقدمتهم دارا توفيق حيث بدأ تدشين مرحلة أخرى من مراحل إعلام البارتي وكانت تلك المرحلة قد بدأت من ١٩٧٤/٣/١١ حتى حصلت المؤامرة القذرة والمشؤومة في ٦/آذار/١٩٧٥ والتي سميت باتفاقية الجزائر.

بعد تلك المؤامرة التي حيكت خيوطها في عدة عواصم وشاركت فيها عدة حكومات عربية وغير عربية وأوساط دولية كبرى كلٌ من منطلقاتها الأنانية ومصالحها الضيقة واتفقت على إسدال الستار على أطول ثورة في تأريخ الكورد قاطبةً (١١/أيلول/١٩٦١ – ١٩٧٥/٣/٦) حيث أخذ المارد الكوردي يخيف البعض، أي لئلا تنتقل العدوى إلى جزء

آخر من الجسم الكوردستاني في حين استعد آخرون للتنازل عن نصف مياههم الإقليمية وترسيم الحدود مرة أخرى لكي (يحرم) الكورد وعلى أرض أجدادهم من التمتع بحقوقهم التي وهبها الله للجميع دون تمييز، وقد جرى ذلك أمام أنظار العالم بمعسكريه الشرقي والغربي، فيا لسخرية السياسة والمصالح الدولية!!.

كانت الساعة تقارب الواحدة بعد منتصف ليلة ٦ – ١٩٧٥/٣/٧ وقد كنا في مبنى المديرية العامة للشباب التابعة للأمانة العامة للإعلام والثقافة والشباب قابعين في أحدى غرفنا، حيث كنا نستمع إلى نشرات الأخبار والتحليلات الإذاعية حول الحدث الذي هزنا جميعاً وأتذكر حرفياً ما قالته إذاعة مونت كارلو في نشرتها الثانية تعليقاً على حدث الاتفاقية التي أبرمت في الجزائر من ذلك اليوم حيث قالت (الخاسران الوحيدان هم ثوار ظفار وكورد الملا مصطفى البارزاني والرابحون في ذلك هم أعداء الكورد في كل مكان).

وعندما تجاوزت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل دخل إلى المبنى دارا فجأةً، وكان يحاول قدر الإمكان أن يبدو طبيعياً في حركاته. وعندما سألناه عن مغزى الاتفاقية ونتائجها، أراد أن يخفف من آثارها السلبية دون إهمال مخاطرها ونصحنا بضبط الأعصاب لحين انبلاج الحقيقة وعندما هم بالخروج انفرد بيّ، وفي ظلمة الليل وفي تلك الساعة المتأخرة من الليل تمشينا باتجاه جومان حيث كان مقرنا في دربند، دون أن ينبس أحدنا بكلمة لعدة دقائق، ولحظتها كنا نسمع أصوات التراشق بعتاد المدافع في جبهة جبل زوزك وحين سألته: (ماذا يدور في الأفق وكيف تقدر الوضع؟) أجابني والحزن كان بادياً في كلامه (قبل مدة كنت عند سيادة البارزاني وسألني عن المشروع الجديد الذي كلف مجموعة من القانونيين والساسة بإعداده حول حل المشكلة الكوردية على أساس الفيدرالية ليكون أساساً في مفاوضتنا المستقبلية مع الحكومة العراقية وعندما سألته (وكان يقصد السؤال من البارزاني) إلى أي حد متفائل سيادتك؟ فكان جوابه: نحن سائرون في طريقنا من أجل شعبنا وما نرضى به اليوم لا نرضى به في المستقبل) وهنا أستعاد دارا بعض حيويته ووجه كلامه لي (كونوا متهيئين فلقد جئنا إلى الثورة بمحض إرادتنا وأن الشعب الكوردي بوجود قيادة

البارزاني قادر على البقاء ولا حل لمشكلة الشعب الكوردي إلا مع قيادته). وهنا تذكرت مع نفسي الحوار الذي جرى بينه وبين غانم عبدالجليل عضو القيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي الذي كان يشغل آنذاك منصب مدير مكتب نائب رئيس مجلس قيادة الثورة عندما زار دارا والمرحوم إدريس البارزاني بغداد للمرة الأخيرة في ١٩٧٤/٣/٨ محاولة من سيادة البارزاني وقيادة البارتي تجنب القتال بتقديم اقتراح حول تأجيل نقاط الخلاف لمدة سنة أخرى وعدم إعلان قانون (الحكم الذاتي) من طرف واحد درءاً للأخطار التي تصيب الشعب العراقي ككل. ولكن الجانب الحكومي أصر على موقفه وجرى ما جرى.

والحوار الذي نحن بصدده أخبرني به دارا في إحدى زياراتنا لمدينة رواندوز في أواخر شهر آذار عام ١٩٧٤ عندما كنا نتفقد الفندق السياحي الذي أصبح من ممتلكات أمانة الإعلام وحملني على الاحتفاظ بذلك السر لأسباب كثيرة حيث كشف لي يومها:

(كان من المزمع أن نعرف النتائج التي جئنا من أجلها مع المرحوم إدريس البارزاني ليلة ٩ – ١٩٧٤/٣/١٠ حول اقتراحنا الذي كنا قد تقدمنا به إلى الجانب الحكومي وفي حدود الساعة الثامنة في تلك الليلة خابرني غانم عبدالجليل واقترح عليّ اللقاء بمفردنا في مكانٍ ما وفي بداية الأمر حسبت بأن هناك اقتراحاً مقابلاً يريدون البحث معي قبل عرضه على المرحوم إدريس البارزاني وعند اللقاء جرى الحوار التالي بيني وبين غانم عبدالجليل:

غانم عبدالجليل: نحن مصرون على إعلان الحكم الذاتي من طرف واحد كما أعلنا ذلك للشعب العراقي وعليكم تأييد المشروع بدون نقاش.

دارا توفيق: جئنا مع الأستاذ إدريس البارزاني لإنقاذ العلاقة التي ربطتنا معاً منذ ١١/آذار/١٩٧٠ ومعالجة الوضع المتأزم وقدمنا مقترحات جديدة ونحن ننتظر نتائج جديدة.

غانم عبدالجليل: أترك هذه المسألة جانباً وأنا بصدد فتح موضوع آخر لا يقل أهمية بالنسبة لك عن أي موضوع آخر.

دارا توفيق: تفضل قل ما لديك من كلام.

غانم عبدالجليل: كلفت من قبل أعلى المستويات أن أخبرك بأن هناك منصب نائب رئيس الجمهورية يستحدث في القانون الجديد وإن القيادة ترى في شخصك خير من يشغله، وأنصحك لوجه الله القبول به وأن هذه الفرصة بالنسبة لك لن تتكرر ثانيةً.

دارا توفيق: أنا عضو في اللجنة المركزية للحزب الديمقراطي الكوردستاني برئاسة البارزاني وأن موقعي في الحزب بالإضافة إلى ثقة البارزاني بي، هي التي أهلتني لكي أكون في موقع المتفاوض مع الأستاذ إدريس البارزاني معكم وأن اقتراحكم بتعييني في منصب نائب رئيس الجمهورية لن يضيف إلى رصيدي السياسي شيئاً بل بالعكس، ففي حالة قبولي لاقتراحكم سأخسر ثقة القيادة واحترام شعبي لأنني من خلال تضحيات شعبي أصبحت هذا الشخص الذي تراني وإني أقترح عليكم التفاهم مع القيادة الكوردية لحل المشكلة بدلاً من شراء الذمم.

غانم عبدالجليل: (بانفعال) أديت ما عليّ من واجب وستخسر!!.

وعند رجوعنا مع كاكه دارا إلى مبنى دائرتنا في دربند كانت الساعة قد تجاوزت الثانية بعد منتصف الليل وودعته على أمل اللقاء به صباح اليوم التالي.

جرت الأحداث بشكلها التراجيدي وانتقلنا إلى إيران وعقدنا العزم على البقاء فيها في بداية الأمر وانتظار ما يحمله لنا القدر وكنا نتابع الأخبار هنا وهناك. مع بداية تغيير السلوك الإيراني تجاه اللاجئين في حين لم يمض على وجودنا فيها أكثر من عشرة أيام حتى صادفنا يوم ١٩٧٤/٣/٢٦ حينما كنا (أنا والزميل جلال خوشناو مع صديق آخر) نتمشى بالقرب من التقاطع الأربع لمحلة بالقجي في مدينة (نغده) صادفتنا سيارة من نوع لاندروفر ذات الحجم المتوسط، كان يسوقها دارا، وكان اللواء المتقاعد فؤاد عارف جالساً بجانبه وعندما رآنا كاكه دارا أوقف سيارته بجانب الطريق ونزل منها وبعد الاستفسار والسؤال عن الأحوال دار الحوار التالي بينه وبيننا:

دارا توفيق: كنت قد تصورت بأنكم عدتم إلى العراق مع المجاميع التي استفادت من فترة العفو العام فماذا تنتظرون؟

كاتب السطور: قررنا البقاء هنا في إيران.

دارا توفيق: لماذا البقاء في إيران، ألا يكفيكم ما فعل بنا الشاه وما سيفعله بنا مستقبلاً؟

جلال خوشناو: البقاء في إيران أصلح من الناحية الأمنية كأشخاص وأن عودتنا إلى العراق تعني التوجه إلى المجهول وإلى مصير أسود قد ينتظرنا.

دارا توفيق: صحيح ما تقولونه في حالة لو كنا مجموعة صغيرة والآن ترون بأعينكم عودة المئات والألوف ولقد علمت اليوم من قريب قادم من العراق بأن (العائدين) يعاملون معاملة حسنة ولا يتدخل في شؤونهم أحد ولم تتخذ أية إجراءات قانونية بحق أحد منهم وأن إصراري على الرجوع بعد التأكد من الإجراءات في العراق نابع بأن العودة إلى الوطن أفضل من البقاء هنا وعلينا أن لا نهجر وطننا وأن كلمة واحدة عن كوردستان في العراق أفضل من البقاء على الأقل بالنسبة لكم هنا، وكوردستان بحاجة إلى أبنائها وعلينا أن لا ننسى تجربة الفلسطينيين فأنا لست مع عودة الجميع ولكن التخفيف عن كاهل القيادة أمر ضروري وليس باستطاعتهم في هذا الظروف مداراة الكل وقد يحتاجون إلى عدد غير هذا العدد والقيادة لا تلوم أحداً عندما يعود إلى الوطن ولا يخونه وأنا قررت العودة إلى العراق ولكن عن طريق بيروت لتصفية بعض الأمور.

استغرقت محاورتنا زهاء نصف ساعة دون أن يفلح في إقناعنا في بداية الأمر ومع ذلك دعانا في اليوم التالي في مدينة رضائية (اورميه).

وفي صباح اليوم التالي كنا نحن الثلاثة (جلال والصديق الآخر وأنا) على موعد مع الأخ دارا وحال وصولنا إلى اورميه توجهنا إلى داره الواقعة في الطرف الغربي من المدينة وفضلنا التمشي في الشارع المشجر المؤدي إلى أطراف البساتين وكان الجو بديعاً للغاية ولكننا لم نحس ببداعة الجو ولا المناظر الجميلة لتلك المدينة التي تجمع الجبال من جهة والبحيرة المالحة من جهة أخرى، مما كان يشكل تناقضاً في الطبيعة، فنادراً ما ترى مدينة تحيطها من الشمال والشمال الشرقي بحيرة مالحة لا تعيش فيها الأسماك ولا الحيوانات البحرية وتحيط بها من جهاتها الأخرى البساتين، ومصايف وادي (بندي) وقريباً من الجبال. ومع ذلك لم يكن باستطاعة ذلك الجمال إدخال البهجة إلى نفوسنا، حيث كنا نعيش في تناقض كتناقضات طبيعة تلك المدينة التي كنا نسير

في شوارعها الفرعية والتي استطاع فيها دارا إقناعنا بالعودة إلى الوطن والتأكيد على نقطتين أولهما: المحافظة على التماسك الموجود بين تلك المجاميع وبالأخص رفاق الدرب الواعين وثانيهما: الاحتفاظ بالأسرار والابتعاد عن دوائر الأضواء. ولقد ذكرته بملاحظاته تلك عندما كنا في سيارته (الفولكس واكن) في طريق العودة من محافظة الكوت إلى بغداد. في عطلة نهاية الأسبوع في أحد أيام فصل الصيف عام ١٩٧٧ حيث كنت في زيارة له عندما كان مديراً لبلدية الكوت (تم تعيين أعضاء القيادة العائدين إلى العراق بوظائف مثل (مدير بلدية، مدير غابات وما شابه ذلك) انتقاماً منهم وإمعاناً في الإذلال وعندما ذكرته بتلك الملاحظات التي كان قد أوصانا بها عندما أقنعنا بالعودة إلى العراق وكانت لهجتي أقرب إلى العتاب، خفف حينئذ من سرعة سيارته وقال (إنها ليست نهاية التأريخ وتأريخنا بدأ يعيد نفسه وسيندم أولئك الذين يعاملون الكورد بهذه الطريقة) وشعرت بأنني ربما جرحت مشاعره بكلامي ذلك ولم يكن قصدي ذلك مطلقاً وقدمت له ما يشابه الاعتذار بطريقة غير مباشرة وحاولت التخفيف من حدة الكلام وتغيير الموضوع إلى وجهة أخرى. وهنا عرف دارا ماذا كان يدور في خلدي وعرف أنني أحاول خلق التبريرات والاعتذار لتهميش الموضوع، لحظتها لم يترك لي مجالاً وقال: (كنت قد أردت توجيه اللوم لي وأنا أقبله ولكن ثق بأنني أعاني كثيراً ولم أكن أريد لنفسي هذا الموقع، المهم كما قلت لك إنها ليست نهاية التأريخ وعرفت من الإخوة في الحزب الديمقراطي الكوردستاني الإيراني الموجودين في بغداد بأن هناك نشاطات كبيرة وقيادة مؤقتة للبارتي تسير أمور الحزب والثورة وهم في تقدم ملحوظ ولكني أخاف كثيراً على صحة البارزاني لأن الأخبار المتواترة تؤكد إصابته بمرض مستعص وأتمنى بقاءه على قيد الحياة وبأي شكل كان يعد قوة ويزيد من المعنويات بالإضافة إلى شخصيته الأسطورية والتي يحسب لها حساب سواء من لدن الأصدقاء أو من الخصوم).

عندما تواعدنا على اللقاء ليلاً بعد أن أوصلني بسيارته إلى مكان إقامتي في آخر زيارة لي في شهر تشرين الأول عام ١٩٨٠ كما ذكرت في بداية الموضوع حيث تناولنا الطعام في المطعم الإيطالي شعرت عندما انفردت بنفسي في عصر ذلك اليوم بأن دارا في

محنة ومحنته كانت في كونه كان يشعر بالقلق وقلقه ولم يكن آتٍ من الفراغ وعندما حاولت معه ونحن نحتل ركناً في مطعم الإناء الذهبي الذي توجهنا إليه في تلك الليلة بدل بيته معرفة سر ذلك الشعور بالقلق لديه وخاصةً وهو ما يزال مديراً عاماً للمنشاة العامة للنقل النهري ولم يكن يوجد شيء ظاهر للعيان يؤكد تلك الهواجس. عرف إن إصراري لمعرفة سبب وجود ذلك القلق نابع عن تقديري واعتزازي وحبي له ولم يحاول إخفاء الأمور عني وقال بلهجته المحببة (قبل عامين صدر أمر بتعييني بمنصب مدير عام الشؤون الكوردية في مكتب المنظمات الشعبية التابع لمجلس قيادة الثورة، فلم أتجاوب مع ذلك التعيين وقد قلت للوسطاء الخيرين بأنني لا أصلح لذلك المنصب في الوقت الحاضر وصرف النظر عن الموضوع وقبل عام أيضاً أخبرت بواسطة أحدهم بأن القيادة العراقية ترغب في تسنمي مسؤولية رئاسة مجلس إدارة جريدة العراق بالإضافة إلى رئاسة التحرير رفضت ذلك في حينه وتكرر نفس الطلب قبل فترة قريبة عن طريق أحدهم أيضاً فاعتذرت ثانيةً عن القبول. ولقد استدعيت يوما مع عدد من المدراء العامين في المؤسسات التابعة لوزارة النقل والمواصلات لحضور اجتماع مع شخصية هامة في الدولة والمقصود (صدام حسين) وحين كنا في الانتظار سجلت أسماؤنا حسب الأحرف الأبجدية وقد كان أسمي في الترتيب الأول وبعد مرور نصف ساعة أخبرنا بأن الاجتماع قد تأجل إلى موعد آخر وبعد أسبوع واحد تم عقد ذلك الاجتماع مع المجموعة المذكورة باستثنائي أنا وهذا يدل على شيء وكما أخبرتك عند زيارتك لي في مكتبي ظهر اليوم بأنني أشعر بأن هواتفي الخاصة منصوبة لمراقبتي وتأكدت من هذه الحقيقة بنفسي).

ولقد حاولت مرة أخرى التخفيف عنه وقلت بما معناه أن العراق شعباً وحكومةً مشغول بالحرب مع إيران وليس في المعقول إهمال هذه المسألة المصيرية من قبل الدولة وإشغال أنفسهم بأمور لا تقدم ولا تأخر في الموضوع، وحاول دارا الظهور بموقف اللامبالاة في النهاية. وافترقنا في حدود الساعة العاشرة والنصف على أمل اللقاء في زيارة أخرى لي إلى بغداد.

لكنني لم ألتق معه مرة أخرى والسبب في ذلك يعود إلى اختفائه من الوجود أو بالأحرى إلى إخفائه وقصة الإخفاء جرت كما يلي:

في السابعة والنصف من صباح يوم ١٩٨٠/١١/٥ أستعد دارا للذهاب إلى دائرته (المنشاة العامة للنقل النهري ببغداد) حيث كان مديراً عاماً لها وبدأ بتشغيل سيارته لغرض الإحماء (السيارة كانت من نوع فولفو صالون حكومي بيضاء اللون تحمل الرقم ٥٥١)، وصعد إلى السيارة برفقة أبنته الصغرى لغرض إيصالها إلى مدرستها القريبة من منزله الواقع شرق النصب الجديد للجندي المجهول في جانب الكرخ وبعد إيصال أبنته الطالبة الى مدرستها توجه إلى دائرته وكما هو معلوم كان طريقه يمر في الشارع العام لكرادة مريم وعبر الجسر المعلق ووصولاً إلى ساحة الشهيد كمال جنبلاط حيث تقع دائرته في البناية المطلة على الساحة.

ولم يعد دارا ظهراً إلى البيت ولكن دائرته سجلت انقطاعه عن الدوام الرسمي بتأريخ ١٩٨٠/١١/٥. وبعد الانتفاضة حصلت من الشهيد البطل (شيروان سور) على مجموعة من الأوراق والوثائق الرسمية كان قد حصل عليها أثناء تحرير مدينة كركوك عشية العيد القومي للكورد (نوروز) ومن مفارقات الأقدار كان من ضمنها كتاب رسمي يخص دارا ويروي قصة عجيبة وغريبة أدناه نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

القسم: الإداري/ الأفراد

الرقم: ٧٨

التأريخ: ١٩٨١/١/١٣

بدالة عشرة خطوط ٩٥٠١١

شارع سعدون ـ بغداد

ص.ب ٣٠٥٢

وزارة النقل والمواصلات

المؤسسة العامة للنقل المائي العراقية

سري وشخصي وعلى الفور

إلى/ وزارة النقل/المكتب الخاص

م/ تحري عن سيارة

لاحقاً بكتابنا المرقم ٢٤١٨ في ١٩٨٠/١١/١٠ أعلمنا مديرية شرطة محافظة دهوك/ الحركات بكتابها المرقم ٢٨ في ١٩٨١/١/٣ – المعنون إلى مديرية شرطة بلدة دهوك ونسخة منه المنشاة العامة للنقل النهري بغداد ومرفقة برقيتها المرقمة ١٥٧٨١ في ١٩٨٠/١١/١٠ بأنه تم العثور على السيارة المرقمة حكومي الفالفو صالون بيضاء اللون والتي كان بصحبة مدير عام المنشاة العامة للنقل النهري دارا توفيق فتح الله والذي انقطع عن الدوام بتأريخ ١٩٨٠/١١/٥ متروكة بالقرب من قرية (ديره بون) ناحية السليفاني وبعد الكشف وجد عليها آثار اطلاقات نارية من الأمام والخلف ولم يشاهد ما يستفاد منه عن وقوع جريمة قتل وغيرها وطلبت تزويدها باسم السائق الذي كانت السيارة بذمته.

راجين العلم بأن سائق السيارة المذكور هو السيد ناجي هادي سمير راجين التفضل بالموافقة على إيفاده إلى محافظة دهوك جلب السيارة وإعلامنا مع التقدير.

رئيس المؤسسة

بالوكالة

علي حسين العسكري

– صورة منه إلى/ المنشاة العامة للنقل النهري/ بغداد كتابكم المرقم في ١٩٨١/١/١٠

– الإداري/ الأفراد ـ مع الأوليات

وهكذا اختفى دارا ولم يعثر له على أثر ونشرت جريدة اللوموند الفرنسية خبر اختفائه بعد ستة أشهر ونشرت (ريكاي كوردستان) خبراً يتيماً عنه بعد فترة وبعنوان مثير للغاية (يد السلطة تمتد إلى أزلامها)!!.

وأخيراً أستذكره الصحفي والمحامي جرجيس فتح الله في منفاه ببلاد السويد بتقييم (أشبه بهذيان المجانين) في مقابلة صحفية له مع د. حسين محمد عزيز انتقاما منه عما كتبت عنه في جريدة (التآخي) عام ١٩٧٣ على اثر ماورد عن جرجيس فتح الله بتورطه في قضايا لم تكن في صالحه وإدعائه وقت ذاك بأنه مازال مرتبطاً بالتآخي...

ومرت أربعة أعوام على اختفائه، وفي شتاء عام ١٩٨٤ حل الأخ حسين سنجاري ضيفاً على بيتنا بمدينة كويسنجق أثناء (الحوار) بين الدولة والإتحاد الوطني الكوردستاني وسهرنا تلك الليلة الشتائية بسرد الحوادث والتطورات وقضايا الساعة وقد كنا مختلفين في التوجهات السياسية في ذلك الوقت إذ كان هو في قيادة الإتحاد الوطني وعضواً في وفدهم (المفاوض).

في الوقت الذي كنت أنا مع خطي (القديم) ولكن اختلاف وجهات النظر بيني وبين الأخ حسين سنجاري لم تؤثر مطلقاً على صداقتنا الأخوية، ولقد سألني من جملة ما سأل عن دارا توفيق وما آل إليه مصيره، لأنه كان على إطلاع بصداقتي الوطيدة معه في سالف الزمان واقترح عليّ زيارة (سورداش) والطلب من قيادة الإتحاد بحث مصيره عند لقائهم مع المسؤولين في بغداد عسى أن يفعلوا شيئاً من أجله وعندما شعر الأخ حسين سنجاري بحراجة موقفي من السفر إلى سورداش حاول إقناعي بفكرة أخرى مردها توجيه دعوة شخصية لي من قبله، لئلا يفسر تفسيراً آخر وبعد مرور أسبوع رتب الأخ سنجاري اللقاء وطرحت المسألة على السيد نوشيروان مصطفى فوعدني خيراً واتفقنا على إعلامي بالنتيجة بعد رجوعه من بغداد لمعرفة النتيجة. وفي المرة الثانية أخبرني السيد نوشيروان بأنهم طرحوا الموضوع على السيد عزت الدوري في أحد اجتماعاتهما وقد أجابهم السيد الدوري بهذه العبارة التي نقلت لي حرفياً ومفادها: (إذا كان طيب - حي - راح يرجع إلى أهله).

ومرت الأعوام (ودجلة الخير ما تزال صامتة) ولربما لدجلة الحق في صمتها لأن دارا كتب يوماً وبالتحديد عام ١٩٧٣ مقالاً في جريدته (التآخي) عن سوء التقدير وكان محتاراً في اختيار عنوان المقال وكان الوقت عصراً وترك موضوع اختيار العنوان للساعات القادمة من الليل وعندما حضر الأستاذ سامي عبدالرحمن ليلاً إلى مقر الجريدة وجرى النقاش بينه وبين دارا حول عنوان المقال الافتتاحي واختار صاحبنا (أي كاك سامي) العنوان التالي (سوء التقدير كما نفهمه نحن وكما يفهمه بعض من أعدائنا) ولكن دارا أبى أن يختار ذلك العنوان وفضل العنوان الآتي (سوء التقدير كما نفهمه نحن وكما يفهمه بعض من أصدقائنا) ولم يكن يدور في خلد دارا عندما كتب عن سوء التقدير بأنه سيكون ضحية سوء تقديره يوماً وخاصةً مع من اعتبرهم يوماً (الأصدقاء) ولربما صاغ عنوان مقالته على ذلك المنطق الذي لم يرحمه ولم يرحم الآخرين!!.

الفريق الركن نورالدين محمود رئيس وزراء العراق عام ١٩٥٢

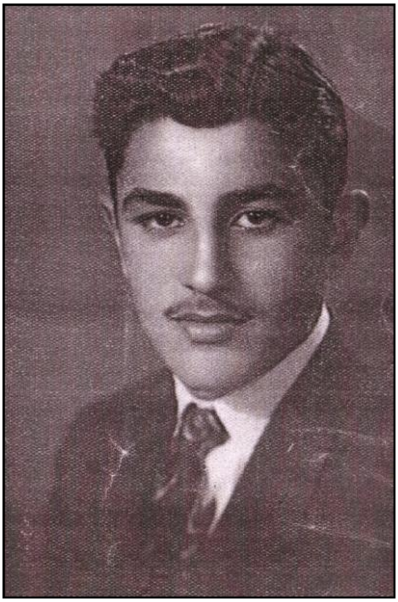

الشهيد دارا توفيق بين زمنين

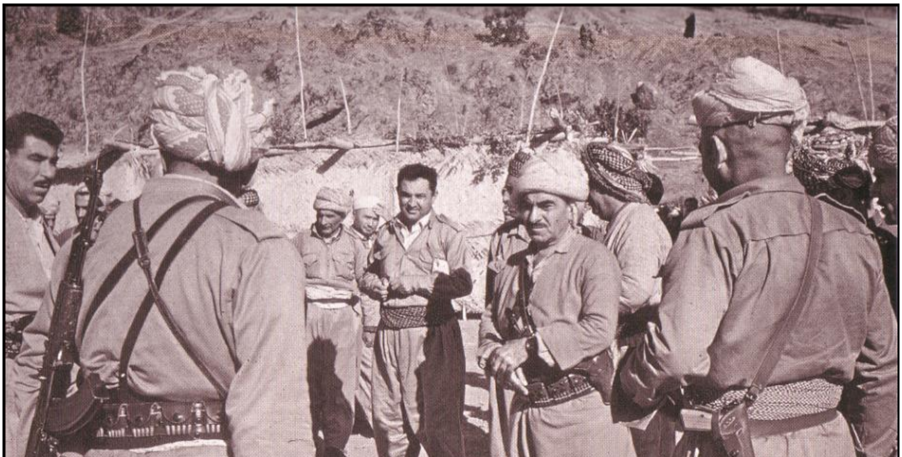

مصطفى البارزاني بين عدد من مقاتلي الثورة الكوردية وكوادر الحزب الديمقراطي الكوردستاني ويبدو إلى جانبه دارا توفيق

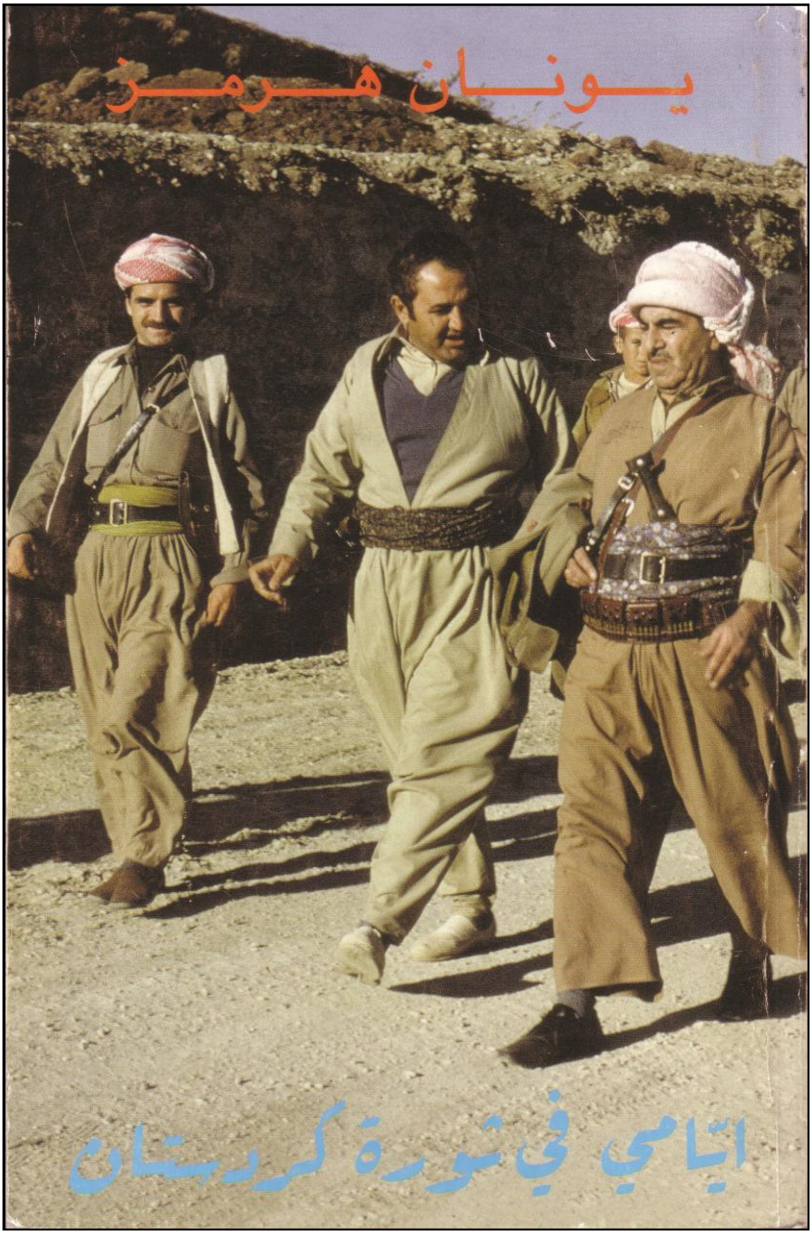

غلاف كتاب (أيامي في ثورة كوردستان) لمؤلفه الراحل يونان هرمز

مصطفى البارزاني متحدثا مع دارا توفيق وخلفهما عدد من البيشمركه في جبال كوردستان سبعينات القرن الماضي

دارا توفيق وحبيب محمد كريم

في احد المؤتمرات العالمية عام ١٩٧٣

صفحات مجهولة من حياة عزالدين الملا فندي النائب الأول (*) لرئيس مجلس النواب في العهد الملكي

لن يجد المرء أي أثر لقصر باداوه الذي كان ذات يوم شاخصاً لوحده في الجانب الشرقي لمدينة أربيل والذي كان يعود للعالم الديني الجليل والشخصية المعروفة المرحوم الملا أبوبكر أفندي (١٨٦٥-١٩٤٢) وكان موقع القصر يبعد عن مركز مدينة أربيل ببضعة كيلومترات، وقد شهدت أورقته وغرفه حضور شخصيات كبار حلوا فيه ضيوفاً كرماء بعد أن أصبح بفضل صاحبه مكاناً يلتقي فيه وجوه هذا البلد الذين لعبوا أدواراً في تأريخ كوردستان والعراق خلال عهود مختلفة كما كان ملاذا آمناً للذين لم يحالفهم الحظ في وقت من الأوقات وأصبح القصر جزءاً من تأريخ هذه المدينة التي حافظت على تراثها العريق كونها تتسم بالتسامح فاتحةً أبوابها لكل من وطأت قدماه أرضها الطيبة.

ويشعر المرء بخيبة الأمل عندما يقارن ما حل بتراثنا من القصور والمضايف والدواوين والمخطوطات التي لا تقدر بثمن والدواوين الشعرية التي ضمت الكثير والكثير من قصائد المديح والهجاء والوصف والقومية وما تعرضت له الأماكن الأثرية من إهمال مقارنة مع يراه المرء عندما يزور البلدان الأوروبية وحتى بعض البلدان الشرق الأوسطية من قصور وأماكن تراثية وقد حافظت على جمالها ومحتوياتها فاتحة أبوابها للزوار، حتى أن البعض يضطر للمشي في بعض هذه الأبنية حافياً لكي لا تخدش أرضيتها حفاظا على سلامتها وجمالها.

كنا ضمن مجاميع المشيعين صباح يوم ١٩٩٩/٥/١٣ عندما دخلنا باحة مقبرة باداوه لتشيع جنازة المرحوم عزالدين الملا، وأول ما واجهتنا ونحن نقف في مدخل المكان المخصص لدفن جثمان أفراد عائلة الملا فندي، كانت آية قرآنية كريمة مكتوبة

(*) نشر في مجلة (كولان العربي) العدد ٣٨ في تموز ١٩٩٩.

باللون الأخضر على أحد جدران المكان (أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيّدة) وعندها تذكرت مناقشتي مع المرحوم عزالدين الملا الذي غالباً ما كنت أناديه بـ(الأفندي) تقديراً واحتراما، تلك المناقشة التي جرت معه في أحدى ليالي شتاء عام ١٩٩٧ في داره عندما كنا نتحدث عن فلسفة الحياة والموت، حيث كان يفسر الموت بنهاية حتمية لحياة الدنيا وبداية حياة جديدة لا يعرف أسرارها إلا الخالق سبحانه عز وجل.

تعود بداية معرفتي بالمرحوم (أفندي) إلى شهر تموز من عام ١٩٩٤ عندما رتب لنا نجله السيد آزاد (يشغل الآن وظيفة حاكم في محاكم أربيل) والذي تعود معرفتي به إلى بداية السبعينات عندما كان عضواً معنا في اتحاد طلبة كوردستان آنذاك، لقاءً مع والده بغية أعداد بحث عن شخصية ودور العالم الديني الكبير والشخصية الاجتماعية المعروفة (الملا أبوبكر أفندي والد المرحوم عزالدين الملا) تمهيداً لنشره على شكل حلقات في جريدة (برايه تي).

كنا ثلاثة، الزميل الصحفي طارق إبراهيم شريف الذي يهتم كثيراً بشخصيات الحقب السياسية في تأريخ العراق المعاصر وله كتاب مطبوع بعنوان (شخصيات تتذكر) وكان قد أستطاع بعد جهد جهيد الخوض في عالم المرحوم عزالدين الملا وتمكن من أجراء أول حوار صحفي معه أستعاد خلاله السيد عزالدين الملا ذكرياته عن أحداث حركة مايس عام ١٩٤١ وأسباب انتقال العائلة المالكة العراقية أبان تلك الحركة إلى أربيل حيث حل أفرادها ضيوفاً في قصر والده في باداوه، ثم الأستاذ كريم شارَزا الذي كان مكلفا من قبلي بإعداد بحث على عدة حلقات لنشرها في جريدة (برايه تي) عن الملا أفندي لدرايته بجمع المعلومات من مصادر مختلفة وأعدادها عن الشخصيات السياسية والأدبية، وثالثهم كاتب هذه السطور.

كان الوقت الساعة السادسة مساءً عندما دخلنا دار نجله السيد آزاد في حي زانياري بمدينة أربيل وحين دخلنا غرفة الاستقبال قدمنا السيد آزاد إلى والده الذي كان مهيئاً لاستقبالنا مرتدياً بدلة قهوائية اللون وربطة عنق متناسقة معها وكأنه يحضر أحدى الحفلات الكثيرة التي أعتاد على حضورها أيام الحكم الملكي في العراق

(١٩٢١-١٩٥٨) عندما أشغل في فترات مختلفة منصب نائب في مجلس النواب عن لواء أربيل ثم وزيراً وأخيراً نائب أول لرئيس مجلس النواب قبل قيام ثورة ١٤/تموز/١٩٥٨.

رحب بنا الرجل وأبدى كل استعداده لتزويدنا بالمعلومات والصور المطلوبة عن والده الذي كان أحد أشهر وجوه مدينة أربيل وذا مكانة مرموقة في أوساط الناس وحظوة عند ساسة العراق بالإضافة إلى كونه أحد أشهر العلماء المتبحرين في العلوم الدينية حيث أجيز على يده الكثيرون من طلاب العلم والفقه الإسلامي، وكانت حصيلة ذلك اللقاء أعداد بحث مطول عن الوجيه الملا أفندي وقد نشر في حينه في جريدة (برايه تي) اليومية الصادرة بالكوردية في خمس حلقات متتالية حيث نال استحسانا كبيراً من لدن القراء وبالأخص طلبة العلوم الدينية وفئة رجال الدين وأبناء الجيل المخضرم. ولم تنته علاقتي بالمرجوم عزالدين أفندي بعد نشر البحث المذكور بل كان ذلك اللقاء بداية طيبة لاستمرار اللقاءات معه فيما بعد حتى رحيله عن عمر ناهز ٨٢ عاماً.

كنا نرتاد داره مع الزميل طارق إبراهيم شريف ليلاً بعد أتنهاء أعمالنا الصحفية في الجريدة مرة كل أسبوع أحياناً! ومرة كل أسبوعين أحياناً أخرى وعندما كان العمل الصحفي يتراكم علينا، كنا نضطر لزيارته في الشهر مرة على الأقل حيث أصبحت صداقتنا وطيدة للغاية وكثيراً ما كان يتصل بنا هاتفياً عندما كنا نتغيب عنه في فترات كانت قد تطول شهراً أو أكثر وكنا نتحدث عن الشؤون السياسية والاجتماعية والثقافية والإصدارات الجديدة من الكتب والمجلات إذ كان شغوفاً بقراءتها باللغتين الانكليزية والعربية وكان يجيدهما كتابة وتكلماً إجادة تامة وبفعل صداقتنا أعتاد على القراءة باللغة الكوردية حيث كان قد تم تخصيص نسخة من جريدة (برايه تي) كل يوم تقديراً له وكثيراً ما كان يردد على مسامعنا وأنه بفضل هذه الجريدة أستطاع متابعة الأخبار والأحداث باللغة الكوردية، وإن كان يصعب عليه فهم بعض المصطلحات الجديدة التي دخلت إلى اللغة الكوردية بعد الانتفاضة المجيدة عام ١٩٩١ شأنه في ذلك شأن الكثيرين من أبناء جيله.

ولم تنقطع حواراتنا طوال تلك المرة وكنت أريد بدافع الحصول على معلومات منه كانت خافية علينا لأن الرجل رحمه الله كان قد أشغل مناصب سياسية وزار بلدان عديدة وأقام في البعض منها في فترات مختلفة قبل وبعد ثورة ١٤/تموز/١٩٥٨ وكانت لي الرغبة الشديدة لأجراء لقاء صحفي معه حول أمور وأحداث معينة مرت على العراق وتغيرت حولها المفاهيم، لكن إصراري كان يجابه بالرفض أحياناً أو بالاعتذار اللبق أحياناً أخرى وكثيراً ما كان يردد على مسامعنا بأنه كتب مذكراته التي هي في مراحلها الأخيرة. وقد دون فيها ما مرت عليه من أحداث منذ طفولته في قصر باداوه حتى استقراره النهائي بمدينة أربيل حيث شهد الكثير من الأحداث وشارك في صنع القرار في البعض من الأمور وعاصر الكثيرين من رجال السياسة والدبلوماسيين وأن مذكراته كما كان يقول (سوف تصبح ملكاً لعائلته وبالأخص نجله آزاد وإن له حق التصرف في طبعها بعد وفاته إن أستطاع إليه سبيلاً) وعندما كنا نتناقش في بعض الأمور وأمام أصرارنا كان ينهض من مقعده ويترك غرفة الاستقبال ليعود إلينا ثانية ومعه أوراق المذكرات لكي نطلع على الجزء الذي كان يدور حوله النقاش. ولقد كان كريماً معنا لأقصى الدرجات وكثيراً ما كان يردد على مسامعي وبوجود نجله السيد آزاد والزميل طارق مؤكداً بأنه يعزني كثيراً وأنه يفتح لي قلبه ولكن ليس للنشر والكتابة عنه!! ولقد خرجت بانطباع معين كمحصلة لتلك المدة والتي دامت خمس سنوات، أنه كان يفضل الانزواء وعدم الظهور في وسائل الأعلام لأنه وحسب قوله قد شبع من هذه الأمور، وأنه لا يحب دغدغة مشاعر الآخرين والتحدث عنهم، مادام هو على قيد الحياة، وأنه سوف يترك ذلك للزمن والتأريخ، ولكن مع ذلك استطعت أقناعه بأجراء حوار صحفي مطول وخلال عدة جلسات تارة بالأسلوب الشخصي وتارة أخرى بالإجابة على أسئلتي تحريرياً وأحياناً بالاطلاع على أجزاء معينة من مذكراته والتي كانت تشبع فضولي الشخصي والصحفي، وفي البدء كانت الأسئلة تدور حول بعض المسائل الشخصية البسيطة لغرض كسر حاجز الصمت، ثم الولوج إلى بعض الأحداث التي ساهم فيها أو كان شاهد عليها وللحق والتأريخ أقول أن الرجل كان صادقاً للغاية مع نفسه ومع الآخرين وقد كان وفياً ومتمسكاً بآرائه حول تقييمه للأشخاص

والأحداث ولم يكن يتراجع قيد أنملة عن طروحاته التي أصبح على قناعة كاملة بها لكن وللأسف أن ذلك الحوار الطويل لم يكتمل كلياً كما كنت أريده بسبب رحيله الأبدي.

كان يحدثني عن ولادته في قصر باداوه بمدينة أربيل يوم الجمعة المصادف ٢٣/آذار/١٩١٧ من أسرة كوردية معروفة حيث كان والده المرحوم (الملا أبوبكر) بن الحاج عمر الملا أبوبكر الملقب بكوجك ملا بن عثمان بن أبوبكر وهو أول من سكن مدينة أربيل بعدما نزح من منطقة حرير وباطاس ودرس وخطب في الجامع الكبير بقلعة أربيل بموجب الفرمان الهمايوني من السلطان محمد الرابع والمحفوظ لدى العائلة حتى الآن) وقد أحاط والده المرحوم الملا أفندي نجله عزالدين بكل عطف وعناية لأنه وحسب قوله: (كنت أول طفل ذكر عاش بعدما تجاوز والدي الخمسين من العمر) ولقد ألتحق المرحوم الملا بالمدرسة الابتدائية ولم يكن قد أكمل السن الخامسة من عمره وكان الإقبال على الدخول إلى المدرسة معدوماً آنذاك نظراً للشعور الديني القوي السائد في أربيل.

ويومها راجع المهتمون بإدارة المعارف في أربيل والده الملا أفندي وكان من ضمنهم الأستاذ أحمد ناجي والد السيد جودت أحمد ناجي (رحمه الله) حيث رجوه بإدخال ولده عزالدين إلى المدرسة لكسر الجمود وأعلاناً بأن المدرسة أنشئت لغرض تحصيل العلم ولا علاقة لها بالكفر، وقد كانوا مجموعة من الطلاب من ضمنهم أبن عمه المرحوم رشاد المفتي الذي أصبح قاضي أربيل وكان للمدرسة أثرها الكبير في حياة المرحوم عزالدين الملا حيث أثرت في مجرى حياته وتكوين شخصيته، وذكر لنا بأن المدرسين الذين أثروا في تكوين أفكاره واتجاهاته لدرجة كبيرة كأن كل من الراحلين رفيق حلمي ومحمود النعيمي وعلى حيدر سليمان من خلال كتابه القيم (تأريخ الحضارة والنهضة الأوروبية) وقد كانت المدارس في حينه عند التحاق أفندي بها تدرس باللغة التركية وكانت تدرس العربية فيها كمادة دراسية وعند وصوله إلى الصف الرابع عام ١٩٣٢ تحولت لغة التدريس إلى اللغة الكوردية بعد تشريع قانون اللغات المحلية بعد دخول العراق عصبة الأمم، ولم ينس أفندي دور وتأثير المرحوم رفيق حلمي عليه وعلى

الآخرين حيث كان يستذكر محاسن ومواقف هذا المربي الفاضل والوطني المعروف الذي كان مشبعاً بالروح القومية الكوردية ويعلم الطلاب معنى القومية وتأريخ الكورد وكثيراً ما كان يقص عليهم قصصاً عن الفلكلور الكوردي الذي يمجد الأمة والحرية والنضال.

وفي أواخر العام الدراسي ١٩٣١-١٩٣٢ أكمل أفندي الدراسة المتوسطة ولم يفلح في أقناع ولداه بتكملة الدراسة الثانوية في مدينة الموصل لأنه كما ذكر الأفندي (لم تكن هنا في أربيل مدارس ثانوية في أوائل الثلاثينات من هذا القرن).

وبينما كنا نتجاذب أطراف الحديث كنت أشعر بميله نحو سرد قصص طفولته وأيام شبابه بشوق كبير وقد كان يحاول قدر المستطاع إفهام المقابل بأنه منذ بدايات حياته قد أُقحِم في أحداث سياسية لكونه أبناً للعالم الديني الكبير والشخصية الاجتماعية المعروفة على صعيد كوردستان والعراق والعالم الإسلامي، وكان يستذكر بأسف بالغ دور قصر باداوه وما شهدته من أحداث وقدوم الشخصيات الكبيرة والمؤثرة في الحياة السياسية آنذاك ومن جملة ما كان يتذكره وساطة والده بين الحكومة العراقية والشيخ محمود الحفيد الذي نُصِبَ يوماً كملك لكوردستان وحين بادرته بالسؤال: عن كيفية تلك الوساطة في الوقت الذي كان المرحوم الشيخ محمود يقود ثورة وطنية في جبال منطقة السليمانية، بينما كان مركز الحكومة العراقية في العاصمة بغداد، في وقت عرف عن والده أنه نادراً ما كان يغادر مدينة أربيل إلى خارجها؟ أجابني قائلاً ومستعيناً بأوراق مذكراته المكتوبة والتي جاء فيها: (قال لي والدي بأن نوري السعيد (وبالمناسبة كان أفندي كلما تكلم عن نوري السعيد لم يكن يتلفظ أسمه مجرداً عن الألقاب وكان دائما يسبغ عليه لقب الباشا حيث كان يقول نوري الباشا) عندما كان وزيراً للدفاع في وزارة جعفر العسكري الثانية زار والدي في قصر باداوه بأربيل أواخر عام ١٩٢٦ كعادته كلما كان يزور أربيل وفي أثناء الحديث سأل نوري باشا والدي إن كان بإمكانه التوسط بين الحكومة والشيخ محمود لإيقاف القتال وحقن الدماء العراقية... فقال له والدي أنه سبق وإن فوتح في هذا الموضوع من قبل المستشار السياسي البريطاني في أربيل والذي نقل إليه رسالة من مستشار وزارة

الداخلية (كورنواليس) وقال والدي بأنه مستعد لعمل ما في وسعه في هذا الخصوص ولكن عليه أن يتأكد من حسن نوايا الحكومة ويفضل إجراء المفاوضات على أساس الحقوق القومية للكورد وصيانة كرامة وممتلكات الشيخ محمود ومكانته، عندئذ طمأن نوري باشا والدي وأعطاه وعداً بذلك على أساس المقابل بالمثل وعلى هذا الأساس جرت عدة مراسلات واتصالات بين والدي وبين الشيخ محمود بواسطة أثنين من معتمدي الشيخ محمود هما كل من السيد أحمد البرزنجي ورضا بك أحد الضباط الكورد في الجيش العثماني من الملتحقين بالشيخ والذي كان قد عُيّن قائمقاما لقضاء راوندوز في تأريخ لاحق من قِبَل الحكومة العراقية، ولما بدت في الأفق أمكانية الوصول إلى أتفاق مشرف أقترح والدي على وزارة الداخلية أن ينقل أبن عمه أحمد عثمان الذي كان متصرفاً للواء أربيل آنذاك إلى متصرفية لواء السليمانية ليطمئن الشيخ محمود إلى نوايا الحكومة وأن يشترك في المفاوضات تطمينا له وقد استجابت الحكومة العراقية لذلك وفعلاً تكللت مساعي المرحوم أحمد عثمان بعد مدة وجيزة بالنجاح التام كما هو معلوم ومدون في العديد من المصادر).

وعندها سألت أفندي ماذا عن دورك آنذاك وقد أنهيت عامك العاشر من العمر بقليل؟ فأجابني بعد أن ضحك قائلاً: (من قال لك بأنه كان لي دور في ذلك؟ كل ما سهمت فيه هو أنني في ذلك العمر استدعاني والدي صباح يوم أول نيسان عام ١٩٢٧ وقال لي لا تذهب إلى المدرسة هذا اليوم بل ستودع عمك أحمد (وكان يقصد المرحوم أحمد عثمان متصرف أربيل المنقول إلى متصرفية السليمانية) وذهبت برفقة والدي إلى جامع قلعة أربيل بدل المدرسة وأعطاني مظروفاً وطلب مني تسليمه إلى عمي أحمد عثمان أفندي في السيارة دون أن يطلع عليه أحد، فذهبت إلى دار عمي أحمد أفندي القريبة من الجامع والتي كانت تعج بالمودعين من الموظفين والأهالي وبعد فترة ركبنا السيارة التي كانت تعود لوالدي وتوجهنا إلى منطقة قوشتبه حيث كانت تعقبنا السيارات وقبل وصولنا إلى قوشتبة أعطيت عمي أحمد أفندي المظروف وكان معنوناً إلى الشيخ محمود ثم ودعت عمي الذي بدوره أستقل السيارة التي كانت مهيئة له ورجعت أنا إلى أربيل).

وأستطرد أفندي في حديثه عن الموضوع قائلاً: (أنه يريد أن ينقل لي شهادة سمعها حديثاً من الأستاذ مسعود محمد (كان يربط المرحوم عزالدين أفندي مع الأستاذ مسعود محمد أواصر صداقة قديمة تعود إلى أيام دراستهما في متوسطة أربيل حيث حل الأستاذ مسعود محمد آنذاك في قصر باداوه لإكمال دراسته المتوسطة إذ لم تكن في مدينة كويسنجق آنذاك مدرسة للمتوسطة مما حدا به للتوجه إلى أربيل وبالنظر لكون والد الأستاذ مسعود محمد المرحوم الملا محمد الكبير إمام وخطيب جامع كويسنجق الكبير كان من المقربين جداً من الملا أبوبكر أفندي وكانت تربطهما أواصر الصداقة المتينة كونهما كانا علماء دين أفذاذ مما حدا بوالد الأستاذ مسعود لإرسال أبنه إلى أربيل والإقامة في قصر الملا أبوبكر أفندي ليكون زميل دراسة عزالدين أفندي حيث استمرا معاً في مرحلة الدراسة المتوسطة وتوطدت صداقتهما ويذكر كل من الأستاذ مسعود والمرحوم عزالدين أفندي في مذكراتهما المطبوعة بالنسبة للأول والمخطوطة بالنسبة للثاني تفاصيل أحداث تلك الأيام، وقد استمرت صداقتهما الوطيدة حتى آخر أيام حياة المرحوم عزالدين أفندي ورحم الله الأستاذ مسعود محمد) وكانت شهادة الأستاذ مسعود محمد كما نقل لي المرحوم عزالدين أفندي والمدونة أيضاً في مذكراته حول موضوع الوساطة بين الشيخ محمود الحفيد والحكومة العراقية كما يلي: (ذكر لي الأستاذ مسعود محمد أمام شهود عديدين بأن والده كان صديقاً صدوقاً لوالدي وقد كان في ضيافة والدي في باداوه أبان اتصالات والدي بالشيخ محمود بغية التوسط بينه وبين السلطات العراقية) حيث ذكر الأستاذ مسعود: (إن والده قال له أن المرحوم الملا أفندي أخبره بعد أن حلف بأغلظ الأيمان أنه يفعل ذلك حقناً للدماء وأنه مستعد شخصياً أن يضحي بآخر قطرة من دمه في سبيل الأمة الكوردية وكوردستان لو عرف إن ذلك يفيد الكورد وكوردستان ولكنه يعرف إن ما جرى الآن محكوم عليه بالفشل ولا يؤدي إلا إلى المزيد من إراقة دماء الكورد).

وكان عزالدين أفندي رحمه الله كثير الاعتزاز بقوميته وذا شعور فياض تجاه مصير الكورد وكوردستان وأنه كثيراً ما ردد على مسامعي من الأحداث التي مرت عليه أو ساهم في تسهيل أمور المعنين قدر المستطاع أو ما كان يسمح به المقام عندما كان

يعيش في كنف والده في قصر باداوه أو عندما كان نائباً أو وزيراً أو نائباً أول لرئيس مجلس النواب، وعندما كنت ألح عليه بنشر ما يراه مناسباً حول هذه الأمور والأحداث خدمةً للحقيقة والتأريخ كان يجيبني في أكثر الأحيان بقوله: (لست أنا الآن في موقع يستطيع التأثير على مجرى الأحداث وأن ما مر أصبح جزءاً من التأريخ فقد قيل الكثير عن هذا الموضوع أو ذاك ولربما أستقر في أذهان الكثيرين ولن يكون بوسعي تغير المفاهيم في أذهان الناس بشأن تلك المواضيع).

وفي إحدى المرات حاولت إثارته طلباً للحصول على معلومات لما تختزنه ذاكرته عن أحداث ثورة بارزان ١٩٣١-١٩٣٢ نظراً لكون أربيل كانت ولا تزال تضم بين حدودها الإدارية منطقة بارزان وميركَة سور بالإضافة إلى الأقضية والنواحي الأخرى التابعة لها، وعندئذ انفرجت أساريره وعدل نظارته الطبية ورمقني بنظرة فاحصة وقال لي: (قلت لك في جلساتنا السابقة بأني دونت ما رأيت من أحداث مهمة وسوف لا أنشرها مادُمتُ حياً ويصبح بعد مماتي ملكاً لأبني آزاد ولكن ومع هذا إن محبتي لك أولاً وإصرارك ثانياً يجعلني ألبي طلبك ولكن بشرط واحد (وهنا ألتفت نحو زميلي طارق إبراهيم شريف) الذي كان جالس قبالتنا وسأله قائلاً: (ماذا تقول يا طارق؟) فأجابه الزميل طارق قائلاً: (كما ترى يا أفندي ولكنني أشهد أن كاك فرهاد قد تعب معك كثيراً يطرح أسئلته واستفساراته منذ أول زيارة لنا معاً وربما يرغب كصحفي وبدافع المهنة تحقيق سبق صحفي معك ولقد وعدته خيراً في السابق فلماذا تحاول تأخير الموضوع يا أفندينا؟!) وعندئذ قال له الأفندي: ألا تتذكر يا طارق قصتك معي عندما كنت بصدد أجراء الحوار معي عام ١٩٨٦ من خلال كتابك (شخصيات تتذكر) وهل نسيت عدد المرات زرتني فيها لتحقيق ما كنت عازماً عليه وقد قلت الكثير لفرهاد هذه الليلة أما فيما يتعلق بثورة بارزان فسأطلعه على تفاصيلها في جلسة لاحقة ولكن شريطة أن تعاودا زيارتي هنا في داري بعد أسبوع.

ولم يكن شرط الأفندي علينا لزيارته في داره من باب التعجيز فقد كان رحمه الله يرغب من كل قلبه أن نزوره باستمرار شريطة أن تكون زياراتنا في الليل حيث أعتاد

السهر وكانت قريحته تنفتح خلاله أكثر مما هو في النهار وكثيراً ما كان يقول لنا (إن باب داري موصد بوجهكم في النهار).

وفي جلسة أخرى لم ينس وعده لي حول الحديث عن ثورات بارزان وخاصةً في بداياتها في الثلاثينات من هذا القرن، ووضع أمامي الجزء المتعلق بالموضوع في مذكراته وقال لي حرفياً: (خذ ما تريد منها ولكن أحبذ ألا ينشر شيء منها وأنا على قيد الحياة وقد حاول الكثيرون غيرك عن طريق أفراد عائلتي كسر هذا الحاجز ولكني كنت أعتذر منهم دائماً) حينئذ قلت له: (يا أفندي هناك ظاهرة بدأت بالتوسع والانتشار وتتمثل في سباق المساهمين في صنع القرارات في بلدانهم أو القريبين من أصحاب القرار وأحياناً حتى بعض من أفراد من الحاشية محاولين الإيحاء من خلال كتابة مذكراتهم الظهور وكأنهم كانوا قد ساهموا أيضاً في صنع قرار معين ولقد قلت لي في جلسة سابقة بأن أحسن كتاب قرأته عام ١٩٩٨ هو كتاب مذكرات شوارسكوف علماً أنه لم يمضي على حرب الخليج عقد من الزمن وشوارسكوف في أوج عظمته) وهنا ألتفت نحوي

وقال لي: (ما شأني بشوارسكوف فلكل واحد منا نظرته وهو يحاول حرق المراحل الزمنية وله طموح في الوصول إلى كرسي الرئاسة في أمريكا يوماً ما بينما أنا أكملت الثمانين عاماً من العمر ولا أريد أن أغضب أحداً وأنا باقٍ على قيد الحياة بسبب نشر مذكراتي وكفى)!! ولربما كان الأفندي على حق لأنه كان يحب أن لا ننظر إلى الأمور بمقياس مطلق إذ لا توجد مقاييس ثابتة عند تقييم الأمور حتى داخل العائلة الواحدة أو مجموعة معينة عندما تثار مسألة معينة وهذه هي أحد قوانين الحياة.

وعندما أدرك أفندي بأنني أدركت امتناعه عن نشر شيءٍ ما عنه شخصياً وعن مذكراته وهو على قيد الحياة مد يده لي وناولني أوراق المذكرات التي تضم معلومات عن المرحوم الشيخ أحمد البارزاني قائد ثورة بارزان عام ١٩٣١ وطلب مني قراءته بصوت مسموع حيث لبيت طلبه وقد جاء في مذكراته ما يلي: (المرحوم الشيخ أحمد البارزاني غني عن التعريف فمسيرته مدونة في كثير من الكتب المعنية بفترة محدودة من تأريخ العراق وباللغات العربية والكوردية والأجنبية وحتى التركية فلا أريد التطرق

هنا إلى الأحداث التي أدت إلى مروره بأربيل ولا أسبابها أو خلفياتها فهي مدونة بالتفصيل في الكتب المذكورة ولكني أريد أن أسجل مشاهداتي الشخصية عنه فحسب في كلتا المرتين أولهما وهو في طريقه من الموصل إلى بارزان منتصراً كما كان وثانيتهما وهو في طريقه إلى المنفى في بغداد وكانت بينهما قرابة ثلاث سنوات وذلك أتماماً لسياق ذكرياتي التي أريد أن أدونها عما رأيت وشاهدت وسمعت في مجالس والدي..

(في أواسط عام ١٩٣٣ زار متصرف أربيل آنذاك السيد محمود فخري والدي في باداوه كعادته أحياناً وبعد انصرافه قال لي والدي أن الحكومة قد أذنت للشيخ أحمد البارزاني ورفاقه بالعودة إلى قراهم في بارزان وقد أختار الشيخ العودة عن طريق أربيل ورفض ضيافة المتصرف خلال أقامته في أربيل بضعة أيام وأصر على أن يحل ضيفاً علينا وسيصل بعد غد عن طريق الكوير فأريدك يا عزالدين أن تذهب لاستقباله نيابةً عني وتصحبه بسيارتنا إلى باداوه، وفي اليوم المذكور ذهبت برفقة أبن عمتي محسن محمد آغا وأبن عمنا إبراهيم يوسف إلى منطقة الكوير ولم يكن فيها حينئذ جسر لعبور النهر بل كانت هناك عبارة تنقل السيارات والمشاة والحيوانات من جهة إلى أخرى وعند وصولنا ذهبنا إلى بناية مديرية الناحية فوجدنا متصرف أربيل ومدير الشرطة جالسين في غرفة مدير الناحية فانضممنا إليهم وبعد مدة أخبرنا الشرطي المكلف بالمراقبة بأن جماعة الشيخ أحمد قد وصلوا إلى الضفة المقابلة وتوجهنا بدورنا إلى حيث تقف العَبّارة التي كانت تتهادى على ضفة النهر متوجهة إلينا وعلى متنها المرحوم الشيخ أحمد وجماعته وأمتعتهم، وعندما وصلت العَبّارة ونزل منها الشيخ أحمد تقدمنا إليه وقدمني المتصرف إلى الشيخ أحمد قائلاً: (هذا عزالدين أبن الملا أفندي جاء يستقبلك نيابةً عن والده) فأجابه الشيخ (ولازلت أتذكر كلماته جيداً لأني كما ذكرت سابقاً عندما كنت أنوب عن والدي في بعض الأحيان كان يسألني بعد رجوعي أسئلة دقيقة جداً عما حدث وعما قيل في تلك الحالات) قال الشيخ: (أني مشتاق للتعرف على والدك وتناول الخبز والملح معه) فقلت له: (إن والدي يعتذر عن عدم مجيئه لاستقبالك شخصياً) ولكن الشيخ لم يدع لي مجالاً لأكمل حديثي بل قال: (أنت أبنه وهذا فيه الكفاية)، وبعد استراحة قصيرة عند مدير الناحية ريثما يتم نقل

جماعته وأمتعتهم تقدمنا إلى حيث السيارات المعدة لنقلهم، وأراد المتصرف أن يصعد الشيخ أحمد في سيارته ولكن الشيخ ألتفت إليّ وقال تفضل قلت إن سيارتي هناك ثم قال للمتصرف أنا أستقل سيارة مضيفي، واستقلينا سيارتنا هو وأنا في المقعد الأمامي وانطلقنا ولا أدري مع سيارة من ركب محسن آغا وإبراهيم يوسف؟ ولما وصلنا إلى باداوه رأينا إن رتل السيارات كانت تتبعنا وكان الوقت عصراً عند وصول الموكب وكان والدي ينتظر في الحديقة الخارجية وأستقبل الشيخ عند ترجله من السيارة مرحباً به وتصافحا وتعانقا وبعد شرب الشاي والقهوة ودعنا المتصرف ومن معه وبقى الشيخ في ضيافتنا لمدة ثلاثة أيام وتبادل خلالها الزيارة مع المتصرف ثم سافر إلى بارزان عن طرق ميركَسور وودعه والدي حتى باب بستان قصرنا.

وكنت آنذاك في السادسة عشر من عمري وكلي حماس للقضية الكوردية وكان والدي يلاحظ ذلك وينصحني بعدم التطرف ويشجعني على ذلك بطريقته الخاصة.

وفي أحدى الأمسيات وبينما كنت أدرس عند والدي العلوم الدينية وبعد الانتهاء من الدرس استبقاني على عادته أحياناً وقال: (شعرت ولاحظت أن ما رأيته وسمعته خلال أيام وجود الشيخ أحمد هنا قد أولدت لديك حماستك تجاهه وحماستك للقضية الكوردية وأريد أن أوضح لك شيئاً عليك أن تستوعبه إن القضايا العادلة لا تموت بل تنتصر حتماً في النهاية ويجب أن تكون هناك دوماً حركة وفيما يخص القضية الكوردية هناك حركة في بارزان يقودها الشيخ أحمد وهو رمز لها وحامل مشعلها وأنه سيبقى رمزاً للقضية الكوردية).

(وبهذه المناسبة كان المرحوم عزالدين أفندي يردد كلمة الرمز كثيراً وكان يطلق هذه الصفة على القادة المتميزين الذين خدموا شعوبهم أمثال تشرشل وديغول وغاندي وغيرهم، وروى لي يوماً كيف أن كلمة الرمز سببت له متاعب مع أحد الساسة الكبار ذات يوم عندما كان يقيم في العاصمة الفرنسية باريس عام ١٩٦٧ حيث حدثني بهذا الصدد بما يلي (كنت أقيم في ربوع مدينة باريس الجميلة عام ١٩٦٧ وقد صادف يوماً أن التقيت مع أحد الساسة الكورد في أحد مقاهي شارع شانزليزيه وبحكم العادة تحدثنا عن الأوضاع في كوردستان آنذاك حيث كانت الثورة الكوردية بقيادة البارزاني

حاضرة في بعض المحافل الفرنسية بسبب صفقة طائرات الميراج التي كانت تنوي فرنسا بيعها إلى العراق أيام حكم الفريق عبدالرحمن محمد عارف مما حدا بالبارزاني إلى إرسال رسالة إلى الجنرال ديغول يطالبه فيها بإلغاء الصفقة لأن تلك الطائرات سوف تستخدم لأغراض قصف مدن وقرى كوردستان الآمنة وعلى أثرها وبمبادرة الجنرال ديغول ألغيَت تلك الصفقة، مما شكل انتصارا للقضية الكوردية بقيادة البارزاني وكان ذلك الحدث حينئذ مدخلاً لنقاش طويل مع ذلك السياسي الذي كان قد ترك صفوف الثورة الكوردية يومها وأبدى آراء مخالفة حول موضوع الثورة والأوضاع السياسية في كوردستان، وعندما وصل النقاش بيننا إلى نقطة معينة قلت لذلك السياسي حرفياً: (يا فلان أن الثورة الكوردية تمثل إرادة شعب كوردستان وأن البارزاني أصبح رمزاً لها وإن أي إنكار لهذه الحقيقة لا تنفعك ولن يؤثر عل موقع الثورة والبارزاني أطلاقاً) وهنا أستفزه كلامي عن الرمز صاحبنا السياسي لدرجة كبيرة وعلى أثرها تركني ومشى منزعجاً إلى حال سبيله... ثم صادف أن التقيت ذلك السياسي في أربيل بعد انتفاضة عام ١٩٩١ أي بعد مرور نحو ربع قرن على ذلك الحوار والنقاش الذي كان قد دار بيننا في باريس آنذاك حول موضوع الرمز فذكرني بما دار بيننا مما أشعرني بأنه لم يغفر لي تمجيدي بالبارزاني آنذاك واعتباره رمزاً للشعب الكوردي).

كان عزالدين أفندي رحمه الله ومنذ معرفتي به لم يكن يميل للتحدث عن أحداث الماضي لغرض النشر وقد كنت أستغرب من ذلك ولم أجد تفسيراً واضحاً حول ذلك في بداية الأمر ولكن بعد مرور الزمن ومنذ تعارفنا عام ١٩٩٤ حتى يوم وفاته أتضح لي بأن أفندي قد أصيب في حياته بنوع من رد الفعل تجاه هذا الموضوع فحياته الحافلة لسنوات طويلة بالجاه والمركز وأشغال الوظائف المرموقة حتى قيام ثورة ١٩٥٨/١٤ واصطدامه بالواقع السياسي الجديد الذي لم يحفظ له نمط حياته ولا مركزه الوظيفي، والأهم من ذلك أنه عانى كثيراً لما حل بقصر باداوه في العهد الجديد، (عهد ثورة ١٤ عام ١٩٥٨)، ذلك القصر الذي كان يستذكره بألم شديد والذي كان قد عاش بين جدرانه وما شاهده فيه من كبار الشخصيات وأفراد العائلة المالكة العراقية وعلماء

دين أفذاذ وما ترك من ذكريات وأرشيف صور وكتب وحاجات شخصية ثمينة والتي تحولت بفعل النهب والحريق الذي نشب في القصر إلى ما يشبه الأطلال والذكريات الحزينة، ثم ما تعرض له أرشيفه ومذكراته ثانيةً أثناء مدة إقامته في لبنان خلال أعوام السبعينات بسبب الحرب الأهلية الطاحنة في ربوعها الجميلة وتحولها إلى وقود نار لم ترحم أحداً، ولكن بالرغم من تعرضه لهذه المصائب والمصاعب أستطاع أن يجمع ما تبقى في ذاكرته بعد استقراره النائي في مدينة أربيل وأشغال نفسه بكتابة مذكراته مرة أخرى دون أن يطلع عليها إلا أناس محدودون من المقربين منه، ولهذه الأسباب كلها بقيت محطات كثيرة في حياته خافية عن الآخرين ولربما يجهل الكثيرون من الناس بأن الأفندي كان له دور من خلال مركزه للحيلولة دون إعدام الضباط الكورد الأربعة في ١٩/حزيران/١٩٤٧ بسبب التحاقهم بثورة بارزان بقيادة البارزاني الخالد وتركهم صفوف الجيش العراقي ثم الانخراط مع البارزاني في قوات حماية جمهورية كوردستان والتي كانت عاصمتها مهاباد عام ١٩٤٦، ويقول أفندي في جزء من مذكراته حول الموضوع ما يلي: (في الحقيقة أن أثنين من هؤلاء الضباط الأربعة كانا من أعز أصدقائي حيث أن عزت عبدالعزيز كنت قد تعرفت عليه خلال اصطيافنا في شقلاوه في أواخر الثلاثينات قد توطدت بيننا صداقة حميمة، أما خيرالله عبدالكريم فقد كان زميل دراستي في المدرسة الابتدائية كما أنه كان يتردد مع والدته إلى دارنا في باداوه ويقيمان عندنا وكان صديق صباي وشبابي لذلك منذ أن صدرت أحكام الإعدام بحقهم كنت أنتهز كل فرصة للسعي إلى تبديل هذه الأحكام حتى أنني تمكنت أن أحصل على وعد من الوصي على العرش الأمير عبدالإله بعدم تنفيذ حكم الإعدام بحقهم ولكن ما كل يتمنى المرء يدركه!!.

في صباح يوم ١٩٤٧/٦/١٨ وبينما كنت في مجلس النواب فوجئت بأن السيد على عبدالعزيز شقيق عزت عبدالعزيز يبحث عني فلما قابلته وجدته في حالة ارتباك شديد وكان متقع الوجه تكاد الدموع تنهمر من عينيه، ولما سألته ما الحكاية؟ قال وهو يجهش بالبكاء أنهم أبلغوا عزت ورفاقه بأن حكم الإعدام سينفذ بهم يوم غد، ونزل كلامه هذا علي نزول الصاعقة فقد كنت متأكداً بعد المقابلة الطويلة التي تحدثنا فيها

مع الأمير عن المسألة الكوردية ووعده القاطع لي بأن الإعدام سوف لن ينفذ وكنت متأكداً من ذلك، وقال لي السيد على عبدالعزيز ماذا يمكن عمله لإنقاذ حياتهم؟.

وهرعت حالاً إلى البلاط الملكي وطلبت من موظف التشريفات الذي كان صديقي وهو عبدالرزاق الهلالي بأني أريد مقابلة الأمير عبدالإله بأسرع وقت ممكن، فقال إن ذلك مستحيل لأنه مشغول بالمقابلات المقررة حتى الساعة الواحدة ويمكن أن يرتب لي مقابلة بعد ذلك قبل عودته إلى قصر الرحاب، قلت أريد مقابلته الآن قال مستحيل، فذهبت إلى كبير المرافقين عبيدالله المضايفي وقلت له أريد مقابلة الأمير حالاً، فقال لماذا؟ قلت له وعدني الأمير بعدم إعدام الضباط الأربعة وقد علمت أنهم سينفذون أحكام الإعدام بحقهم غداً، وللحقيقة والتأريخ أقول أن المضايفي أبدى استغرابه وانزعاجه من ذلك وقال أنتظر سوف أعمل ما في وسعي، وبعد غياب نصف ساعة قضيته على أحر من الجمر رجع المضايفي وقال لي تعال لقد وافق الأمير أن يتحدث معك لمدة عشر دقائق فقط لأن يومه مشحون بالمقابلات مع الوزراء والأشخاص المهمين وذهبت إلى الأمير ولم يدع لي أن أقول له أي شيء بل بادرني قائلاً: (أعرف ماذا تقول لقد وعدتك وأحلف بالله العظيم كنت صادقاً ومخلصاً في وعدي ولم أتمكن من الوفاء بوعدي وإنِّ آسف) فقلت له كيف؟ أليست من صلاحياتك أبدال العقوبة بالمؤبد؟ قال: بلى ولكن صالح جبر يصر على ذلك وهدد بأنه سيستقيل من رئاسة الوزراء إذا لم يعدم الضباط الأربعة كما أن وزير الدفاع ورئيس أركان يقولان أن هؤلاء الضباط تمردوا وحاربوا ضد جيشهم فإن لم يعدموا سوف لن يبقى في الجيش أي انضباط أو طاعة وأنت تعرف إن الظروف لا تسمح بقبول استقالة صالح جبر، أذهب إلى نوري السعيد لعله يمكنه إقناع صالح جبر وأن وزير الدفاع شاكر الوادي هو من أتباعه وأنا مستعد لإصدار إرادة ملكية بإلغاء الإرادة السابقة إن وافقوا هم).

وخرجت من البلاط الملكي وذهبت إلى نوري السعيد في مجلس الأعيان حيث كان رئيس المجلس آنذاك وطلبت منه الاتصال بصالح جبر فقال ألم تقل لي أن صاحبك الأمير عبدالإله قد وعدك؟ قلت كنت عنده الآن وكررت ما قاله لي الأمير فقال ماذا تريد؟ قلت أتصل بصالح جبر ربما تقنعه قال لا أعتقد ولكن مع ذلك أحاول ثم طلب رئيس

الوزراء بواسطة الهاتف السري فأجابه شخصٍ ما بأن رئيس الوزراء خرج منذ الصباح ثم أوصل نوري السعيد ببيت صالح جبر هاتفياً فقالوا أنه مسافر إلى الحلة وهو في مضارب أنسابه آل جريان.

ورجعت إلى مجلس النواب فإذا بجماعة من الكورد وفي مقدمتهم علي كمال نائب السليمانية ينتظرون رجوعي وأفهمتهم أن الموضوع يتعلق برئيس الوزراء وهو خارج العاصمة الآن في الحلة فأقترح علي كمال أن نتصل بمحسن الجريان رئيس العشيرة أو نذهب إليه هناك واتصلنا بمحسن هاتفياً في الحلة فقال لا علم لي بوجود صالح في مضارب العشيرة وهكذا سعينا حثيثاً حتى ساعة متأخرة من الليل للاتصال بصالح جبر ولم نفلح ورجعت إلى البيت، والله يعلم بأني لم أنم تلك الليلة وكانت ليلة ليلاء لا أعتقد إني مررت بمثلها أبداً حتى عندما بلغوني وأنا في بيروت نبأ وفاة والدي ولا أتمنى أن يمر بمثلها حتى على ألد أعدائي، فقد كان عزت من أعز أصدقائي يتقاسم معي أدق أسراره وكان خيرالله عبدالكريم رفيق دراستي وصباي وصديقي الحميم عاش معي في باداوه أيام التلمذة مدة طويلة كما كان معهم الشهيدين الآخرين (محمد قدسي ومصطفى خوشناو) من مناضلي الكورد الذين ذهبوا فداء لكوردستان والتحقوا بقافلة الشهداء رحمهم الله جميعاً رحمة واسعة).

إن الكثير من محطات حياة المرحوم عزالدين الملا دون في أوراق مذكراته والتي أنشغل بها بعد استقراره النهائي في أربيل عام ١٩٧٦ والتي ربما تجد طريقها للنشر في يومٍ من الأيام وستلقيّ الضوء كثير من الأحداث منذ العشرينات من هذا القرن حتى يوم ١٤/تموز عام ١٩٥٨، وقد كنا نحثه مراراً على طبع مذكراته وهو على قيد الحياة لكيّ يرى بنفسه ردود أفعال الآخرين تجاه مذكراته لكنه لم يكن يقنع بمبرراتنا ويردد دائماً: (لا أنوي وأنا في هذا العمر جلب الأنظار إليّ ولا أحبذ إقحام نفسي في متاعب من الذين ترد أسماؤهم في هذه المذكرات وأنا على قيد الحياة).

كان رحمه الله يطالع كثيراً رغم تقدمه في السن وكانت مكتبته عامرة بالكتب المتنوعة والمجلات العربية والانكليزية إذ كان يتقن عدة لغات منها الكوردية والعربية والتركية والانكليزية وقليلٌ من الايطالية ولكن مطالعاته بالكوردية كانت ضعيفة

حسب قوله وكان حريصاً على قراءة جريدة (برايه تي) الكوردية كل يوم وكثيراً ما كان يردد على مسامعنا أن جريدة (برايه تي) قد أفادته كثيراً في تعلمه اللغة الكوردية وكان يعاني من صعوبة حصوله على الكتب والمجلات الصادرة حديثاً وغالباً ما كان يستعين بمكتبته لانتقاء كتاب ما ربما كان قد قرأه من قبل وعندما سألته في أحدى ليالي خريف عام ١٩٩٨ عن أفضل كتاب قرأه في ذلك العام؟ فأجابني: (إن أفضل كتاب قرأته كان مذكرات شوارسكوف حول حرب الخليج).

وكثيراً ما كان يتحدث عن المدن التي زارها وعن مشاهداته وانطباعاته حيث سبق له أن زار مدناً كثيرة منها معظم عواصم أوروبا وكذلك معظم بلدان الشرقين الأوسط والأدنى وعندما سألته مرة: أية مدينة قد استهوته أكثر من سواها؟ أجابني بقوله: (من الصعوبة أن أقول هذه المدينة استهوتني أكثر من سواها فلكل مدينة نكهتها الخاصة ولكن لو خيروني اليوم أن أعيش ما تبقى من حياتي في أية مدينة أريدها بعد مدينتي أربيل فإنني أفضل باريس الجميلة على جميع المدن التي زرتها لأنها جنة الله على الأرض قاطبة).

كما سألته يوماً: أنه خلال الأعوام الثمانين التي عاشها إلى أية مرحلة زمنية يحن؟! فرمقني بنظرة ذات معانٍ وأمتنع في النهاية عن الإجابة على هذا السؤال ولما سألته عن سبب الامتناع حينئذ بادرني بالقول: (ألا يوجد مجال لترك الإجابة عن هذا السؤال يا أخ فرهاد).

ولربما لم أكن موفقاً في طرح ذلك السؤال لأن المرء يحاول بغريزته الاحتفاظ بأسراره الشخصية وعدم اطلاع الآخرين عليها لكي لا يفسر بغير واقعه وهذا أيضاً حق لن يلام عليه أحد.

وكان موضوع أكمال مذكراته من أهم المسائل التي كانت تشغل باله وقد أنجز الكثير منها ولكن لتقدمه في العمر ولظروفه الصحية لم يتمكن من تحقيق ذلك، ورداً على سؤال لي عن أمنية له لم تتحقق؟! أجابني بكل بساطة: (حياة المرء مليئة بالأمنيات تتغير بتغير الظروف ومنها ما تتحقق ومنها ما لا تتحقق وأحبذ في الوقت

الحاضر أن أكمل كتابة مذكراتي بالشكل الذي أريده وهي أمنية قد تتحقق وقد لا تتحقق وأنا في سباق مع الزمن)!!.

نعم أنه فعلاً كان في سباق مع الزمن وكما هو حال البشر جميعاً ولكن الخسارة ستكون من نصيب أبناء آدم دائماً وقد حاول يوماً كلكامش الحصول على أكسير الحياة لإدامة حياته نحو الخلود لكنه كان غافلاً عن سير الزمن وتجاوزه الجميع بلا استثناء وأصبح ذلك منذ خلق البشرية وحتى الآن معادلة لم ولن تتغير.

رحم الله أفندينا الذي كان مستعداً لاستقبال نهاية حياته بروح رياضية عالية مؤمناً بقول الله تعالى: (أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة).

أخيراً.. أن انطباعاتي هذه عن الراحل عزالدين الملا وما كتبه عن سيرته وشخصيته ومذكراته كانت حصيلة لقاءات متعددة معه كنت أنوي نشرها على شكل حديث صحفي مطول معه، لكن بسبب رحيله فإن حديثنا لم يكتمل!!.

أسرار جديدة عن ثورة ١٤ تموز عام ١٩٥٨ بعد ٤٢ عاماً على قيامها (*)
كشفها عزالدين الملا قبل رحيله

مع تباشير فجر يوم ١٤/تموز/١٩٥٨ أيقظنا صوت الإذاعة الداخلية المنصوبة في ساحة مخيم الكشافة المدرسية الذي كان مقاماً في أسفل منحدرات جبل سفين في منطقة (سه رميدان) بالقرب من مدينة شقلاوة حيث اعتادت وزارة المعارف (التربية حالياً) أن تقيم مثل هذه المخيمات الكشفية لطلاب المدارس الابتدائية والمتوسطة خلال موسم الصيف مع بدء العطلة الصيفية لغرض تعليمهم تسلق الجبال واستيعاب خشونة الحياة بعيداً عن الأهل بالاعتماد على النفس بالإضافة إلى اختلاط الطلبة في مختلف مدارس ألوية (محافظات) العراق بعضهم مع البعض للتعارف فيما بينهم وجمعهم في عدة مناطق مختلفة، وغالباً ما كانت تقام مثل هذه المخيمات الكشفية في ربوع مصايف كوردستان نظراً لما تتمتع بها من مناظر خلابة واعتدال في المناخ إذا ما قورنت بالمناطق الأخرى من العراق، وكانت تستغرق إقامتها مدة أسبوعين وعلى شكل وجبات حيث كانت وجبتنا تضم (١٢٠) طالباً من مدارس ألوية أربيل وبغداد والديوانية والحلة وبأشراف هيئة اختصاصيي الحركة الكشفية والرياضية للواء أربيل والتي كانت تضم كلٌ من الراحلين (عزيز مولود ونوري أمين وكمال طيب) مع معلمي الرياضة في المدارس المشاركة في المخيم.

كانت الأيام الخمسة الأولى قد مضت وفق البرنامج المعد مسبقاً من قبل الهيئة المذكورة، وفي مساء اليوم السادس الموافق ١٣/تموز/١٩٥٨ وبينما كنا متراصفين في ساحة المخيم لتقديم فعاليات اليوم المنصرم تقدم المرحوم عزيز مولود المشرف الأول على المخيم نحو سماعة الميكروفون وأخبرنا بأن المجاميع الكشفية ستتوجه صباح يوم غد ١٤ تموز إلى قضاء رواندوز ومصيف بيخال مروراً بشلال كَلي علي بك

(*) نشر في (كولان العربي) العدد ٥٠ في تموز ٢٠٠٠.

حيث يكون التوقف هناك في الساعة السابعة صباحاً لتناول الفطور ثم قضاء ساعة للراحة، وعندما سمع الطلاب الخبر بدأوا بالتصفيق وظهرت على محياهم علامات الفرح والسرور وكان مبعث فرحهم هو مشاهدة المزيد من المناطق الجميلة التي قلما شاهدوها في تلك المرحلة من العمر مما خلق لديهم شعوراً بالغبطة.

وفي الساعة الخامسة من صباح يوم ١٤/تموز/١٩٥٨ تحرك رتل السيارات الكبيرة محملة المجاميع الكشفية وفق تنظيم مرتب للغاية ماراً بشقلاوة وحرير وجبل سبيلك وخليفان وصولاً إلى شلال كَلي علي بك حيث توقفت السيارات في الجانب الأيمن من الطريق وبدأ الطلاب بالنزول حيث أرشدهم معلمو الرياضة ووزعوهم على مجاميع صغيرة استعدادا لتناول الطعام (فطور الصباح) المعد مسبقاً والذي كان يتكون من البيض المسلوق وخبز وبصل وكوب من الشاي بجانب حافة النهير الذي كانت مياهه تنساب من الشلال باتجاه الشمال الشرقي من الوادي محاذياً الطريق العام.

كانت وجبة الطعام شهية لا سيما ونحن كنا ننتظرها بعد مسير دام ساعتين حيث كنا قد بكّرنا النهوض من النوم استعداداً وتنفيذا لأوامر مشرفي المخيم إذ حددت الساعة الخامسة صباحاً كموعد للاستيقاظ ثم التهيئة للسفر نحو رواندوز وحينما كنا منشغلين بتناول وجبة الفطور عند الشلال وإذا بسيارة صغيرة من نوع (جيب) أمريكي الصنع توقفت قبالتنا ونزل منها أربعة أشخاص مرتدين القمصان والبناطيل وكان أحدهم يعتمر قبعة بيضاء أشبه بقبعات المهندسين والمساحين الذين غالباً ما كانوا يعتمرونها درأً لضربة الشمس وتوجهوا نحو مكان تجمعنا حيث كان أعضاء هيئة المشرفين مجتمعين حول طاولة خشبية سفرية وهم يتناولون وجبة الفطور أيضاً وكانت تبدو على محياهم وكأنهم كانوا على عجلة من أمرهم لقول شيء ما وعند وصولهم إلى حيث كانت هيئة الإشراف تطرقت إلى إسماعنا وشوشة من الكلام في بداية الأمر ثم بدأ صوت أحدهم يعلو على الأصوات الأخرى وبحماس ظاهر للعيان وبدأنا نسمع بعضاً من الكلمات الغريبة على أسماعنا كـ(ثورة سقوط نظام الحكم، مقتل الملك، حدوث تغيير في بغداد) وفي أثناء ذلك توقفت سيارة أخرى ونزل منها عدة أشخاص ومع نزولهم صاح أحدهم بصوت عال (انتهت الملكية، قتل الملك) واستمر في

ترديد هذا الكلام حتى اقترابه من التجمع مما خلق نوعاً من الإرباك الخفي بين صفوف الطلبة وهيئة المشرفين دون أن ينبس أحدنا بكلمة واحدة ومرت بخاطري لحظتها حكاية أعادتني إليها الذاكرة إلى عام قبل ذلك التأريخ حين كنت طالباً في الصف الخامس الابتدائي ويومها كنت أحمل معي كتاب التأريخ المدرسي لتلك المرحلة من الدراسة الابتدائية حيث دخلت غرفة الاستقبال في دارنا وكان فيها بالإضافة إلى المرحومين (والدي وعمي) كل من السيدين (وريا علي كاني ماراني) خريج كلية الحقوق والذي أصبح حاكماً فيما بعد و(محمد شوان) الذي كان صاحب مكتبة ومحل للتصوير في كويسنجق وعرفت فيما بعد أنهما كانا من أعضاء الحزب الديمقراطي الكوردستاني وعند رؤية السيد وريا الكتاب في يدي تناوله مني حيث كانت صورة للملك فيصل الثاني مثبتة في صدارة الصفحة الأولى من الكتاب وعند مشاهدته للصورة بادرني بالسؤال التالي:

– هل تحب الملك؟

في البداية لم أستطع الجواب، وعندئذ أنقذني السيد محمد شوان من ذلك الموقف موجهاً كلامه للسيد وريا بقوله كيف يحب الملك، ألم يكن هو السبب في اعتقال والده وعمه وتحري دارهم بين فترة وأخرى؟ وتذكرت في الحال وأنا واقف أمامهم حادثة اعتقال والدي وعمي المرحوم عمر حبيب قبل عامين أو ثلاثة من ذلك التأريخ وذلك في يوم (عرفات) أي اليوم الذي يسبق عيد الأضحى المبارك وكيف أمسكت جدتي يدي ويدي شقيقي الأكبر خسرو وابن عمتي بهرام عصر اليوم نفسه وتوجهت بنا نحو الباب الخارجي لدارنا الواقعة على الشارع العام وعلى مقربة من بناية السراي وقالت لنا (انتظروا بعض الوقت لكي تشاهدوا الوالد والعم)، وبعد مدة قصيرة شاهدنا مجموعة من أفراد الشرطة محاطين بوالدي وعمي وأيديهما كانت مكبلة بالقيود (الكلبجة) وكان يقودهم نائب عريف الشرطة (مغديد حمه رحيم) الذي كان قد حضر الى دارنا في الليلة التي سبقت ذلك اليوم وهو يترأس مجموعة من أفراد الشرطة ومختار المحلة وقد كنا في حينه نيّاماً وأيقظونا لكي نفسح المجال لأفراد الشرطة للقيام بالواجب المكلفين به وهو تحري دارنا الى تفتيش الغرف والزوايا بحثا عن الكتب

والمناشير والبيانات الممنوعة، وعند مشاهدتنا لأفراد الشرطة وهم يقتادون والدي وعمي من السراي إلى سجن بناية القشلة الواقعة على قمة رابية (ككون) المقابل لجبل (هيبت سلطان) والتي كان قد بناها الأتراك العثمانيون عندما كانوا يحكمون المنطقة والتي أصبحت بعد الحرب العالمية الأولى ثكنة لضباط الإنكليز وجنودهم وتحولت فيما بعد إلى مركز للشرطة الخيالة وأصبحت إحدى غرفها الأمامية الكبيرة نسبياً معتقلاً، وبعد مشاهدتنا لوالدي وعمي وهما يقتادان إلى القشلة عدنا ثانية إلى الدار حيث تحولت الأجواء فيها إلى ما تشابه حالة العزاء وخاصةً إننا كنا ننتظر بعد عدة ساعات حلول العيد بكل أفراحه، وحال دخولنا باحة الدار شاهدت جدتي وهي تذرف الدموع رافعة أرغفة خبز حارة خرجت تواً من التنور بيدها نحو السماء وهي تدعو الله سبحان وتعالى بأن ينتقم من الملك بسقوط عرشه وحكمه فيما خاطبت الشيخة المسنة فاطمة (وهي امرأة لم يكن لها معيل وكانت تعيش معنا في دارنا منذ زمن جدي) جدتي مستنكرة أقوالها فيما يتعلق بشخص الملك فيصل الثاني وموجهة الكلام لجدتي ولأفراد العائلة قالة:

(لا تدعين بسوء على الملك لأن فيصل الثاني مازال صغيراً وهو من أسرة كريمة ويعود نسبهم إلى النبي محمد (**صلى الله عليه وسلم**)، وينبغي الابتهال إلى الله ودعوته للانتقام من نوري السيعد هذا اللعين الذي هو مصدر الشر وأن فعلته هذا يسيء إلى الملك، الهم انتقم منه، يارب اجعل عيدنا عيدين وأفتح باب الفرج لنا وفي حالة إطلاق سراحهما نذرت نفسي بتوزيع خمسين قرص من رغيف على الفقراء).

ثم دارت هذه الأحداث في خلدي وعادت بي الذاكرة وأنا مستمر في مكاني أنظر إلى الهرج والمرج اللذين قد حصلا منذ وقوف سيارة الجيب بالقرب منا عند شلال كَلي علي بك صبيحة يوم ١٤/تموز/١٩٥٨ عندما أخبرنا أولئك الأشخاص بما يجري في بغداد العاصمة في تلك الساعات الحاسمة من تأريخ العراق حيث سقط النظام الملكي بعد أن دام ٣٧ عاماً اثر ثورة قام بها مجموعة من الضباط من ذوي الرتب المختلفة أطلقت على نفسها تسمية (الضباط الأحرار) وأطل على العراق عهد جديد يسمى بالعهد الجمهوري.

ترك الطلاب الكشفيون الأماكن المخصصة لهم بعد سماعنا الخبر وتجمعوا حول طاولة هيئة الأشراف واتسعت الحلقة عندما توافد بعض السيارات الأخرى إلى المكان ونزل الركاب منها للاستطلاع ومعرفة ما كان تدور من تكهنات، حينئذ تدراك أعضاء الهيئة المشرفة على المخيم الأمر، وقرروا الاستمرار في الجولة والتوجه نحو رواندوز.

وعند الظهيرة بقليل وصلت قافلتنا رواندوز وبوصولنا إلى مركز المدينة فوجئنا بتحشد الناس في الشارع الرئيس لسماع المزيد من الأخبار والقيام بتظاهرة التأييد للثورة وقد كنا نسمع كثيراً كلمات (يعيش.. يعيش) وكانت الوجوه مستبشرة وتبدو على محياها الفرح والسرور وبصعوبة بالغة استمرينا في المسير للوصول إلى شلال بيخال لقضاء الوقت المتبقي من ذلك النهار الذي تغير فيه مجرى التأريخ في العراق، والذي تناول أحداثه فيما بعد المؤرخون والباحثون في كتبهم وكتبوا عنه الكثير حتى يومنا هذا.

هكذا تلقيت نبأ ثورة ١٤ تموز والتي خلقت أبطالاً حقيقيين كانوا أو وهميين، وسرعان ما بدأت الثورة تأكل رجالها وكأنما كانت أرواح جثث الذين تم سحلهم في الشوارع يوم ١٤ تموز تلاحق أشباحها أبطال التغيير وأولهم المرحوم الفريق الركن عبدالكريم قاسم قائد الثورة الذي عرف بـ(الزعيم الأوحد) ولم ينل هذا الزعيم الذي كان يصفق له الملايين بصدق وعفوية فيما بعد مساحة صغيرة من التراب العراقي الذي كان أحب شيء إلى قلبه حتى ساعة إعدامه في استوديوهات الإذاعة والتلفزيون يوم ٩/شباط/١٩٦٣ بعد استجواب قصير مهين من قبل الانقلابيين على نظام حكمه لم يستغرق سوى نصف ساعة ثم ألقيت جثته ليلاً وهي داخل كيس محمل بثقل إلى نهر دجلة لئلاً تطفو الجثة إلى سطح المياه وتدفن خوفاً من أن يتحول قبره مزاراً فيما بعد، وثانيهم هو العقيد عبدالسلام محمد عارف الذي تآمر على قائده منذ اليوم الأول للثورة وأبعد عن منصبه كرجل ثان بعد خمسة أشهر من قيام الثورة بسبب تآمره ثم دخل قفص الاتهام في المحكمة حيث وفر له الدفاع وحوكم بالإعدام ولكن قائده الزعيم (عبدالكريم قاسم) أبى أن يتم التنفيذ وفاءً لزمالتهما فأخرجه من السجن وأعاده إلى بيته حتى سنحت له الفرصة فأصبح المحكوم بالإعدام يوم ٨/شباط/١٩٦٣ قائداً

وبطلاً ورئيسا للجمهورية وترأس جلسة الاستجواب لمحاكمة الرجل الذي عفى عنه على قاعدة (عفا الله عما سلف) وكان من أشد المنادين بإعدامه فوراً في تلك اللحظات الدراماتيكية، وهكذا كانت نهاية قائد ثورة ١٤ تموز الذي أحتفظ برباطة جأشه حتى اللحظات الأخيرة من حياته.

لقد صدرت من أوائل الثمانينات دراسات وكتب ومذكرات عديدة حول ما دار ليلة ١٣-١٤/تموز/١٩٥٨ من وجه نظر أبطال التغير والدارسين والباحثين وبكل تفاصيلها الدقيقة وصدر في خارج العراق بعض المذكرات لرجال العهد الملكي وبقيت أسرار أخرى خافية حتى يومنا هذا وربما تكون مخزونة في ذاكرة الذين رحلوا إلى العالم الآخر حيث لم تتح لهم الفرصة لنشرها أو ربما كانت هنالك أسرار أخرى محفوظة في ملفات ودهاليز دوائر الوثائق والمستمسكات في العاصمتين البريطانية والأميركية إلى يوم موعود.

وبدافع الفضول الصحفي واستزادة المعلومات ومعرفة الأمور الخفية كنت أسأل المرحوم (عزالدين الملا) في زيارتنا الليلية لداره حول ذلك وهو الذي كان نائباً ثم نائباً أول لرئيس البرلمان العراقي على مدى ١١ عاماً حتى قيام ثورة ١٤ تموز واستوزر في وزارة المرحوم عبدالوهاب مرجان التي استمرت منذ أواخر عام ١٩٥٧ لغاية أوائل عام ١٩٥٨، وكانت تربطني بالمرحوم الملا علاقة صداقة متينة منذ أن تعرفت عيله بواسطة نجله السيد آزاد (يشغل وظيفة حاكم في محاكم أربيل حالياً) في أحد أيام عام ١٩٩٤ حين زرته لأول مرة في داره مع زميلي الصحفي طارق إبراهيم شريف وبعد ذلك كثيراً ما كنا نزوره ليلاً بين حين وآخر وكان يلح علينا بتواصل زياراتنا له وقد كان كريماً في ضيافته لنا وكنا نتحاور معه حول أحداث مضى عليها الزمن كونه واحداً من رجالات العهد الملكي وهذا ما ذكرته في احدى حلقات من الذاكرة بالتفصيل.

كان المرحوم عزالدين الملا أفندى يحن إلى الماضي بأفراحه وأتراحه ولكن مع ذلك كان يقيم الأمور بمنظار واقعي ورؤية سليمة وكان يصف العهد الملكي بالعهد الذهبي لأن القانون كان يتحكم في تمشية الأمور آنذاك وأن فصل السلطات كان أمراً واقعاً لا يقبل الجدل وفي إحدى زياراتنا له حيث كنا نتأخر إلى منتصف الليل اتفقت مع زميلي

طارق مسبقاً أن نستدرج الأستاذ الملا إلى الحديث عن أسباب سقوط نظام الملكي وما آل إليه مصير نوري السعيد الرجل القوي وكذلك العائلة المالكة يوم ١٤/تموز/١٩٥٨ وقد كنت متردداً في البداية بطرح مثل هذا النوع من الأسئلة عليه مباشرةً لأسباب شتى أولهما كتمانه لبعض الأمور وعدم كشفه الأوراق وهو على قيد الحياة وثانيها أن ما مرت عليه من أحداث وأمور وأسرار قد دونه الرجل في مذكراته المخطوطة والتي ذكر فيها (ما له وما عليه) وأصبحت ملكاً للتأريخ ولنجله السيد آزاد إذ ما أراد نشرها يوماً ما، وكان الراحل كعادته يفضل عدم التطرق إلى المسائل الجادة في بداية جلستنا، وقد كنا نقضي الوقت بالمجاملات وتبادل المعلومات حول الأخبار والحوادث اليومية ورويداً رويداً كنا ننتقل بطريقة غير مباشرة إلى حديث الذكريات والأحداث التي مرت على العراق كسقوط الوزارات وإعادة تشكيلها وأسرار مصرع الملك غازي وسيرة الشخصيات التي عاصرها وسفراته المتعددة إلى خارج العراق ومأساة قصر باداوه ودوره في إعادة إسكان البارزانيين في قراهم وكذلك دوره في محاولة إنقاذ الضباط الكورد الأربعة من حبل المشنقة عام ١٩٤٧ وغير ذلك من الأمور كانت مثار نقاشاتنا وكان دفاعه قوياً لبعض الأحداث موضحاً بالأدلة والبراهين ما كان يراه صحيحاً وعندما كانت مناقشاتنا تصل إلى مرحلة معينة كان يستعين بأوراق مذكراته المخطوطة للتوضيح وزيادة معلوماتنا.

وكعادتي اتصلت به هاتفياً ذات يوم دون أن أنتبه إلى تأريخ ذلك اليوم للاستفسار عن صحته وأحواله وقد سألني لماذا أخترت ذلك اليوم للاتصال به هاتفياً وأراد أن يعرف مني هل تعمدت اختيار ذلك اليوم أم لا وعندما استفسرت منه متعجباً ماذا يقصد بذلك كان جوابه كالآتي:

(ألا تعرف يا فرهاد أن يومنا هذا هو يوم ١٤/تموز/١٩٩٨ وقد مر ٤٠ عاماً على سقوط النظام الملكي وما رأيك بعد انتهاء عملك في الجريدة ليلاً أن تأتي مع زميلك طارق لنتحدث قليلاً عن هذه المناسبة وربما يفيدك ذلك يوماً في عملك الصحفي، فقلت له مازحاً:

نتشرف بذلك وسنأتي بشرط أن تضع النقاط على الحروف ونطلع على ما دونته بهذا الصدد في مذكراتك) فعلق على ذلك بقوله أنه لم يخف شيئاً عنا يوماً ما.

وهكذا كنا في ضيافة الأستاذ الملا (الذي كان يحلو لنا نناديه بالأفندي دائماً) وقد كا يفضل أن تكون جلساتنا دائماً في صالون داره حيث المائدة العامرة تنتظرنا وعندما دخلنا الصالون وجدناه منشغلاً بقراءة كتاب (ثورة ١٤/تموز/١٩٥٨ في العراق)لمؤلفه (ليث عبدالحسن الزبيدي) وعندما شاهدنا ونحن ندخل الصالون نهض من مكانه مرحباً وسألنا (هل اطلعتما على هذا الكتاب فأنا وقبل مجيئكما بساعتين أردت أن أشغل نفسي بالمطالعة انتظارا لمجيئكما وبالصدفة العجيبة عندما كنت في غرفة المكتبة مددت يدي إلى أحد الكتب وإذا بهذا الكتاب يقع في متناول يدي) وكانت تلك بداية طيبة شجعتنا أن ندخل معه في الموضوع وعندما أحس الأفندي بذلك قال لنا: (تريثوا فما زلنا في بداية جلستنا وأمامنا ليل طويل ولا تنسوا أن حركة التغير والقضاء على النظام الملكي قد بدأت في الساعة العاشرة ليلاً في معسكر جلولاء والساعة الآن حوالي التاسعة مساءً ومازال لدينا متسع من الوقت للحديث..).

كان الأفندي (رحمه الله) يتمهل في الكلام وخاصةً عندما كان يتحدث عن الماضي وكنت ألاحظ نوعاً من التأثر بادياً على وجهه وربما كان يستذكر الأيام الخوالي وعندما سألته ذات مرة أما زال يحنُ إلى الماضي؟! فكان جوابه: (من منا لا يحن إلى الماضي أوليس الماضي جزءاً من التأريخ وهل باستطاعة أحدٍ ما شطب سطر واحد من تأريخ العراق؟، فلربما بمقدور أحدهم ـ وكان يقصد بذلك القادة الذين تبوأوا كراسي الحكم بعد سقوط النظام ـ حجب الحقائق مدة من الزمن عن الشعب لكن للتأريخ لسان كما يقولون).

دقت الساعة المعلقة على الجدار معلنةً العاشرة مساءً، وكما قال الأفندي بلغنا الساعة التي انطلق فيها الضباط قبل ٤٠ عاماً من معسكرهم في جلولاء نحو بغداد العاصمة حيث بدأوا في تلك الساعة الحاسمة من تأريخ العراق السياسي باعتقال العقيد الركن (ياسين محد رؤوف) آمر الفوج الثاني من اللواء العشرون أثناء سير اللواء من بعقوبة باتجاه بغداد والسيطرة على مقر الفرقة الثالثة التي كانت مقرها في بعقوبة

آنذاك بعد اعتقال قائدها اللواء الركن غازي الداغستاني من قبل النقيب قاسم الجنابي الذي أصبح فيما بعد مرافقا للزعيم عبدالكريم قاسم حتى آخر ساعة من حياته ١٩٦٣/٢/٩ عندما أقدم انقلابيو شباط على إعدام الزعيم في استوديوهات الإذاعة والتلفزيون في الصالحية، وفي هذه اللحظات وقبل الإقدام على جريمة الإعدام دخل حردان عبدالغفار التكريتي أحد الضباط البعثيين الكبار الى غرفة الأستوديو حيث قام بسحب قاسم الجنابي إلى خارج الغرفة وأنقذه من الموت المحتم.

واستعدل الأفندي في جلسته بعد أن كان منشغلاً لبضع دقائق في تفحص أوراق مذكراته التي تروي قصته في تلك الليلة الحاسمة من تأريخ العراق المعاصر وبدأ بتحدث بهدوء قائلاً: (في البدء أشير هنا إلى موضوع أعتقد أنه مهم جداً ولقد حدث ذلك عندما كنت في لندن ربيع عام ١٩٥٨ بعد اجتماعات مجلس الإتحاد البرلماني الدولي وطالما ترددت عن ذكره وإني سأذكره لكما هنا لأني أريد أن تكون هذه الذكريات سجلاً صادقاً وكاملاً وربما يستخلص من يريد أن يستخلص منه ما يعتقده حرياً بالاستخلاص فقد تعرفتُ على شخصية سياسية بريطانية مرموقة منذ عام ١٩٤٨ وهو (اللورد استانكيت) أي قبل أن يحمل لقب لورد من خلال إسهاماته في المؤتمرات البرلمانية الدولية، استوزر مراراً في الوزارات البريطانية وكان ينتمي لحزب العمال. وكان في عام ١٩٤٨ رئيساً للإتحاد البرلمان الدولي حيث توثقت علاقاتنا إلى أن بلغت إلى صداقة حقيقية بعد أن انتخبت عضواً في اللجنة التنفيذية التي كان هو رئيسها والتي كانت تقتصر على ستة أشخاص، وعندما سافرت من جنيف إلى لندن في ربيع عام ١٩٥٨ دعاني اللورد (استانكيت) مع زوجتي وابني فاروق إلى تناول شاي العصر في البرلمان البريطاني (وستمنسر) وبعد حضورنا جانبا من اجتماعات مجلس العموم ومجلس اللوردات انتقلنا إلى مائدة الشاي التي أقامها لنا اللورد (استانكيت) وعلى مائدة الشاي سألني اللورد متى ستسافر إلى بغداد؟ فقلت له سوف أسافر غداً إلى إسبانيا ثم إلى بغداد فسألني هل يطول مكوثك في إسبانيا؟ قلت له لا أعتقد.. فقال لي أأمل ذلك ثم انتحى بي جانباً وقال: (قل لصديقي نوري السعيد (وبالمناسبة فقد كان صديقاً حميماً له) أن يراقب خطواته ويراقب جيشه جيداً فهناك في صفوف ضباط

الجيش العراقي حركة تشجعها (جماعتنا) منذ تحمسه لقضية الكويت فيجب عليه أن لا يثق كثيراً بضباطه وخاصةً رئيس أركانه!!) أخذتني الدهشة من أقوال اللورد كثيراً فسألته من هم جماعتكم الذين أشرتم إليهم بأنهم يشجعون حركة الضباط ضد نوري السعيد؟ فقال لي اللورد حرفياً هم الذين يعملون هناك (وأشار إلى غرفة استراحة أعضاء الحكومة البريطانية) وأردت أن أستوضح منه أكثر فيما يتعلق بهذا السر الخطير لكن اللورد (استانكيت) أغلق الموضوع وقال لي (هذه الرسالة مني إلى صديقي نوري السعيد أرجو إبلاغه له حرفياً وبأسرع وقت ممكن وأرجو أن لا تسألني عن المزيد). وعندما وصلت بغداد كان أول عمل قمت به هو مقابلة نوري السعيد حيث أبلغته رسالة اللورد (استانكيت) الشفهية حرفياً فلما سمع نوري باشا فحوى الرسالة الشفهية ضحك كثيراً وقال لي بالحرف الواحد (الظاهر أن صديقنا مخرف) حيث كان اللورد (استانكيت) في الثمانين من عمره آنذاك وأضاف نوري السعيد قائلاً لي (لا تقلق الجيش مطلق الولاء للعرش والنظام) فقلت له يا باشا لا مانع من الحيطة والحذر فابتسم الباشا وقال ما عليك (فدار السيد مأمونة) ثم ضحك مرة أخرى ولم يعر الموضوع اهتماما وصدق من قال: (إذا جاء القدر عمى البصر))!!.

ثم توقف الأفندي عن الحديث بعدما انتهى من سرد هذه الرواية ووضع الأوراق التي كانت بين يديه جانباً بعد أن كان ينظر إليها بين الحين والآخر وسكت قليلاً ومن جانبنا فضلنا الصمت لئلا نؤثر على الأفندي في استعادة ذكرياته وقد كان بحاجة إلى الراحة والتأمل ولكنه فجأةً بدأ بالحديث ثانية واستنتجت أنه كان يريد أن يسرد مزيداً من الذكريات وبدأ منشرحاً يتحدث بنبرة أقوى من قبل قائلاً: (وفي هذا السياق أتحدث لكما عما قاله لي المرحوم بهجت العطية مدير الأمن العام حين كنا معتقلين معاً في أوائل أيام الثورة حيث قال لي (والكلام لبهجت العطية): (إنني قدمت تقريراً إلى وزير الداخلية سعيد قزاز قبل ١٤ تموز بأسبوع واحد ذكرت فيه أسماء بعض الضباط ونواياهم للقيام بانقلاب عسكري في أول فرصة تتاح لهم وبعض التفصيلات الأخرى وعند قراءة وزير الداخلية لتقريري أطلع رئيس الوزراء أحمد مختار بابان هذا بدوره أطلع الأمير عبدالإله فطلبني الأمير مساءً إلى قصر الرحاب حيث سألني قائلاً ما هذا

التقرير يا بهجت؟ فأعدت عليه المعلومات الواردة في التقرير المقدم إلى وزير الداخلية عندئذٍ قال لي الأمير ماذا تريد أن تفعل؟ فقلت للأمير أريد أن أحقق مع هؤلاء الضباط وإني متأكد من كشف كافة أسرار هذا التنظيم ونواياهم وكان الفريق الركن رفيق عارف رئيس أركان الجيش حاضراً لقائنا فنظر إليه الأمير عبدالإله ثم قال: (رفيق عارف يقول هؤلاء الضباط هم من أخلص ضباط الجيش العراقي وأكفأهم ولا يوجد شك في إخلاصهم للعرش والنظام وأن الجيش منضبط للغاية ولا يمكن أن توجد فيه حركة كهذه وأن دوائر الأمن لها حساسياتها تجاه الجيش وإنك (والكلام مازال موجه لبهجت العطية) تريد أن تنكل بهؤلاء لغاية في نفسك؟) وعند ذلك انفجر رفيق عارف غاضباً في وجهي دون أن يدع لي مجالاً للإجابة وقال (أنتم رجال الأمن تريدون تخريب الشعب وجعلتموه يثور) عندئذ التفت الأمير نحوي وقال لي: (اذهب ولا تتدخل في أمور الجيش فقد أحيل تقريرك إلى وزارة الدفاع وإذا كان هناك ضرورة للتحقيق فرئاسة الأركان ستحقق في ذلك، فانصرفت وأصبحت متيقناً بأن الكارثة واقعة لا محال في وقت قريب وكنت أردد حال انصرافي عند الأمير مع نفسي لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم)!!

وعندما كان الأفندي يسرد ما سمعه يومذاك على لسان بهجت العطية آخر مدير أمن عام في العهد الملكي كنت ألاحظ بأن الأفندي قد أخذه الحماس في استعادة ما في ذاكرته وأوراق مذكراته حول تلك الأيام التي كانت حبلى بتلك المفاجأة ولم يفسح لنا المجال لطرح بعض الأسئلة الأخرى وعندما قلت له ربما نحتاج إلى إيضاحات صغيرة هنا وهناك لغرض الاستزادة في إكمال الصورة قال لي: (لا تستعجل فأن أوراق مذكراتي ستفي بالغرض وأريد الآن التركيز على أحداث ليلة ١٣-١٤/تموز/١٩٥٨ حسب ما رواه لي رجالات العهد الملكي وربما قد طالعتما الكثير من الكتب والمقالات حول تفاصيل أحداث الثورة ومذكرات المساهمين فيها ولكن لكي تكتمل الصورة أرى من الضروري سماع هاتين الشهادتين لأناس كانوا في مراكز المسؤولية حتى الساعات الأخيرة من العهد الملكي وأول شهادة هي ما رواه لي السيد جميل عبدالوهاب الذي كان وزيراً للعدلية في آخر وزارة للعهد الملكي والتي كان رئيس وزرائها أحمد مختار

بابان حيث كنا (جميل عبدالوهاب وأنا) نقيم معاً في بيروت عام ١٩٦٦ وقد قال لي جميل عبدالوهاب أنه في ليلة ١٣-١٤/تموز/١٩٥٨ كان يقيم في فندق بغداد لأنه لم يكن قد نقل أهله بعد من بيروت حيث كان سفيراً للعراق قبل استيزاره وذلك لإشغال السفارة اللبنانية في بغداد بيته، وأنه في تلك الليلة كان يسهر عند أحد أصدقائه في حي المنصور إلى ما بعد منتصف الليل وفي طريق عودته إلى فندق بغداد مر من جسر الملك فيصل الثاني (جسر الأحرار حالياً) فرأى جنوداً مسلحين منتشرين في نهايتي الجسر ثم مر من أمام دائرة التلفونات فرأى جنوداً آخرين محيطين بها ولما مر من أمام جسر الملكة عالية (جسر الجمهورية حالياً) رأى المشهد نفسه وحين وصل إلى الفندق بادر إلى الاتصال هاتفياً بنوري السعيد في داره وأخبره بما شاهده فعنفه نوري السعيد وقال له (الظاهر إنك سكران وأسرفت في الشرب اذهب ونام وأطمئن فأن الجيش ذاهب نحو الحدود الأردنية بأمرة الزعيم الركن عبدالكريم قاسم وأنا مطمئن منه ولكني (والكلام مازال لجميل عبدالوهاب) لم أطمئن ولم أنم وتأكدت أن وراء الأكمة ما ورائها لذلك استأجرت سيارة تاكسي وتوجهت إلى خانقين ثم الحدود الإيرانية فوصلتها عند الفجر مع إعلان الثورة في الإذاعة وبذلك نجوت من كل مضايقة ومحاكمة.

وبعدما أنهى الأفندي سرد تلك الروايات المتعلقة بأحداث الثورة قبل وقوعها بأيام وساعات توقف برهة ثم قال: (هذا بعض ما كان بجعبتي وهل بقى شيئاً لم أذكره؟) فقلت له على مهلك يا أفندي فقد تكلمت عن الآخرين وأقوالهم وشهاداتهم للتأريخ ورويت لنا ما قاله اللورد (استانكيت) وقد نقلت لنوري السعيد صادقاً ما أخبرك به اللورد وفاء للرجل ولكن لي سؤال عما جرى لك وأين كنت في تلك الليلة الفاصلة بين عهدين وما أعقبتها من أحداث ربما لم تكن في صالحك.. وتنهد الأفندي عند سماعه العبارة الأخيرة وكان يومذاك قد بلغ الثانية والثمانون من العمر ورأي وزار من البلدان والمدن ما سره وعاش حياة سعيدة وتنقل بين الوظائف والمراكز ولم يبخل على نفسه بأي شيء بقى أبى النفس وكان يعتز بكرامته كثيراً حيث قال جواباً على العبارة الأخيرة من سؤالي قائلاً: (أنا مؤمن بالقول المأثور.. لكل زمان دولة ورجال، ولو دامت لغيرك لما وصلت إليك) وأن إيماني بالله عز وجل لم ولن يتزعزع مطلقاً وأصبحت منذ

شبابي أردد كثيراً تلك الآية الكريمة التي تقول: (قل لن يصيبنا إلا ما كتب لنا الله) وأنا مؤمن بقدري ومرتاح البال لأن سجلي نظيف وقد خدمت شعبي وبلدي بكل إخلاص ولم أنس يوماً قوميتي وكورديتي ووطني كوردستان ولقد حدثتك بالتفاصيل عن تلك المواضيع وهذا ما دونته في أوراقي بكل أمانة وسأتركها للتأريخ ولنجلي آزاد وهو حر فيما يتصرف بها، وأما ماذا جرى لي ليلة ١٣-١٤ تموز وما أعقبتها من أحداث لها قصتها وهذه تفاصيلها: (في مساء يوم ١٣ تموز ذهبت مع جارنا الزعيم الطيار كاظم العبادي قائد القوة الجوية وزوجته إلى نادي المنصور حيث كان يعرض كل أيام الأحد فلم سينمائي في الهواء الطلق وبعد مشاهدتنا الفلم وتناول طعام العشاء عدنا إلى البيت وقد تواعدت مع كاظم العبادي على الذهاب سوية صباح اليوم التالي المصادف يوم الاثنين ١٤/تموز/١٩٥٨ إلى المطار لنكون في توديع جلالة الملك فيصل الثاني الذي كان مقرراً أن يغادر مطار بغداد على رأس وفد يضم نوري باشا في الساعة الثامنة إلى اسطنبول لحضورهم اجتماعات قمة حلف بغداد ومن ثم التقاء الملك مع خطيبته في لندن، وقد أويت إلى الفراش مبكراً واستيقظت صباحاً حوالي الساعة السادسة ودخلت الحمام للحلاقة فسمعت أصوات المدافع والرشاشات من بعيد حيث كان بيتنا يقع عند أطراف الساحة التي تسمى حالياً بـ(ساحة الواثق) وبعد مرور عدة دقائق رن جرس الهاتف فإذا بأحمد العامر يقول لي دون عبارة صباح الخير (افتح الراديو لقد وقعت الكارثة) وهنا تحضرني أن أروي لكما ما جرى بيني وبين أحمد العامر الذي كان نائباً في البرلمان عن مدينة البصرة وصديقاً حميماً لي وكنا نتزاور عائلياً ففي أوائل شهر تموز عام ١٩٥٨ سهر العامر وزوجته عندنا في البيت فوجدته متهجماً على غير عادته وساهما يفكر في شيءٍ ما ولما سألته عما يشغله قال لي (يا أخي غريب أمر هؤلاء فقلت من هم هؤلاء؟ فقال أركان الحكم والمسؤولون، وحينئذ قلت له ما أمرهم؟ قال إنك تعرف أن لي أصدقاء كثيرون من الضباط وقد علمت من أحاديثهم وخاصةً أحدهم الذي يثق بي كثيراً أن هناك حركة نشيطة وواسعة في الجيش للقيام بحركةٍ ما ضد الحكم القائم وقد ذهبت بعد سماعي ذلك إلى رئيس الوزراء أحمد مختار بابان وأبلغته مخاوفي وشكوكي وبعض التفاصيل التي استنتجتها من أحاديث هؤلاء

الضباط وطلبت منه أن يبلغه إلى الأمير عبدالإله وأن الموضوع قد أحيل إلى وزارة الدفاع وتحقق فيه رئاسة الأركان، ولما سألت أحمد العامر ونحن نتجاذب أطراف الحديث (وأنت ماذا تعتقد؟)، عندئذ قال لي أنا واثق بأن الكيان سينهار على رؤوس هؤلاء الغافلين ويجب أن تحسب حساب الكارثة التي ستحل بالبلد قريباً جداً!!

وبعد سماعي أقوال العامري من خلال الهاتف بأن الكارثة قد وقعت!! عدت إلى غرفة النوم وأيقظت زوجتي وفتحت الراديو وبدأت أستمع إلى البيانات وإذا بالهاتف يرن ثانية والمتكلم هذه المرة هو عبدالوهاب مرجان يسألني هل سمعت؟ قلت له نعم الراديو مفتوح وبعد ساعة من الزمن جاءني المرحوم أنور عبدالله المعروف بـ(أنور دلسون) مع شقيقه نيازي وهما من أبناء الأعمام وكان أنور يسارياً ذا فكر ماركسي سجن مرات عديدة بسبب نشاطاته وأفكاره وقد عملت مراراً على إطلاق سراحه وكان يشتغل بالأعمال الحرة وفور مجيئهما طلبا مني الانتقال إلى بيتهما فرفضت ذلك وقلت لهما لماذا أترك البيت والكل يعلم أن صفحتي بيضاء ولم أفعل شيئاً أضر بأحد هؤلاء الضباط وإذا كانوا حقاً وطنيين وصادقين فلا خوف عليّ منهم سيما أن من بين الوزراء الجدد أصدقاء لي يعرفونني حق المعرفة وكذلك أعضاء مجلس السيادة الثلاث وأن أحدهم وهو صديق لي ويدين لي ببعض المعروف، فقال لي أنور أنا لا أعني هؤلاء بل أعني الغوغاء فإذا انفلت الغوغاء فلا ندري ماذا يحصل وماذا يفعلون والكل يعلم أنك نائب رئيس البرلمان فأرجوك أن تأتي إلى بيتي، وهكذا ذهبنا إلى بيت أنور مع زوجتي وبقى أفراد العائلة الآخرين في بيتنا ومكثنا في بيت أنور حتى يوم ١٦ تموز وخلال تلك الأيام كان المرحوم أنور وشقيقه نيازي يذهبان إلى بيتنا كل يوم مرتين وقالا أن كل شيء طبيعي ولا يوجد أي إزعاج ولم يسأل عنك أحد وكان أنور قد عرض عليّ أن يهربني إلى الأردن بإحدى سيارات شركة النقليات التي كان له شراكة فيها حيث كانت تعمل سياراتها بين بغداد وعمان ولكنني رفضت ذلك وقلت له لماذا أهرب من بلدي وأنا لم أفعل شيئاً أخجل منه؟ بعد ذلك قررت العودة إلى أربيل لأن ذلك كان الشيء الطبيعي لأنني سكنت بغداد لكوني كانت نائباً أو وزيراً والآن تغيرت الأوضاع فعليّ

العودة إلى مدينتي ومصالحي في أربيل وقد تداولنا بشأن ذلك مع أنور ونيازي وعلى أثرها وصلت أربيل يوم ١٧ تموز وحللت في بيت شقيقي المرحوم قاسم.

وهنا أراد الأفندي أن ينهي حديثه بعد سرده تفاصيل ما جرى له وللآخرين وما حدثت من تطورات لكن بقيت محطة أخرى من محطات حياته المهمة وهي عودته إلى قصر باداوه لكي يستقر فيها بعد حياة حافلة قضاها في بغداد ردحاً من الزمن كان خلالها نائباً في البرلمان عن لواء أربيل ثم وزيراً فنائباً لرئيس مجلس الأعيان، وكان فضولي الصحفي يدفعني إلى معرفة ما جرى له بعد انتقاله إلى أربيل وعودته إلى قصر باداوه إذ ليس من المعقول بعد انتصار الثورة وهياج النفوس وسيطرة لغة الشعارات الثورية في بداية عهد قضى على كل ما ينتمي إلى العهد القديم ابتداء من خلع تمثال أول ملوك العراق فيصل الأول وانتهاء بما جرى وما يجري حتى الآن في العراق أنها أحداث طويلة سيحتاج المؤرخون إلى سنين طوال وإلى آلاف الصفحات لكي تروي فصول تلك الأحداث التي لم تنتهي حتى يومنا هذا، وعندما عرضت على الأفندي أفكاري هذا ووجهت له سؤالاً محدداً حول ما جرى له في الأيام الأولى من الثورة وهو في مدينته أربيل، بادرني (رحمه الله) بالجواب لكنه أراد أن يسجل حقيقة تاريخية حول ظاهرة التطرف في المجتمع العراقي واستشهد بالواقعة التاريخية التالية:

(أمر الوليد بن عبدالملك بن مروان حين قرر بناء مسجد في دمشق (الجامع الأموي) أن يأتيه كل رجل بلبنة واحدة، ففعلوا، إلا عراقياً كان يأتيه بلبنتين فسأله الوليد: من أين أنت؟

قال الرجل: من العراق.

فقال الوليد: يا أهل العراق تفرطون في كل شيء حتى في الطاعة)!

واستمر الأفندي في حديثه قائلاً: (بعد وصولي إلى أربيل في الساعة الواحدة بعد الظهر وحال وصولي أردت الاتصال بمتصرف أربيل الجديد اللواء الركن علاء الدين محمود الذي كنت أعرفه في السابق ولكنهم أعلموني أنه غادر مدينة أربيل إلى مصيف صلاح الدين ليستريح فاتصلت به ثانيةً في المساء وقلت له إني الآن في أربيل حيث لم يبق لي ما أعلمه في بغداد وأردت أحيطك بذلك بنفسي وإذا كان هناك أية تعليمات

بالنسبة لي فأنا رهن الإشارة، فرحب الرجل بي كثيراً وقال لي أهلاً وسهلاً وهذه مدينتك وليس لدي أي تعليمات بالنسبة لك فأفعل ما تشاء وإذا أردت مقابلتي فأهلاً بك في ديوان المتصرفية صباح يوم السبت وفعلاً قابلته صباح يوم ٢١/تموز/١٩٥٨ ودار الحديث عن الأيام السابقة ثم سألته أن كان هناك مانع من الذهاب إلى بيتي في باداوه فأجاب لا يوجد أي مانع ولقد اتصلت ببغداد (مديرية الاستخبارات العامة) فلم يكن هناك شيء ضدك أو تنقلاتك ومجيئك إلى أربيل وأعتبر أن كل شيء طبيعي وتصرف بموجبه وعلى أثر ذلك انتقلت من بيت شقيقي قاسم إلى قصرنا في باداوه وخلال الأسبوع الأول لم أتعرض إلى أية مضايق وعشت خلالها مرتاح البال وفي صباح يوم ٢٩/تموز/١٩٥٨ رأيت سيارة عسكرية متجهة نحو بيتنا في باداوه حيث كانت المسافة التي تفصل بين قرية باداوه ومركز مدينة أربيل تربو على ميلين وربع آنذاك وكانت عبارة عن أراضٍ زراعية مخصصة لزراعة الحنطة والشعير فعرفت بفطرتي أن شيئاً ما قد حدث ولما وصلت تلك السيارة العسكرية دخل عليّ شقيقي قاسم وقال لقد جاءه ضابط برتبة مقدم وأراد منه أن يستصحبه إلى باداوه لأن أمر الحامية يريد مقابلتي فعرفت أن في الأمر ما فيه وأوصيت زوجتي بما يجب عمله وشددت عليهما بعدم الذهاب إلى أي شخص لطلب المساعدة في إطلاق سراحي وعند دخولي إلى غرفة الاستقبال رأيت ضابطاً برتبة مقدم قدّم نفسه لي باسم المقدم الركن عزيز أحمد شهاب ثم قال لي بأن أمر الحامية يريد مقابلتي وعندما استفسرت منه هل من الضروري جلب ما يلزم للاعتقال فقال لي من الأفضل أن تجلب ما هو ضروري لأن سوف تبقى في الحامية حتى المساء وبعد ذلك نسفرك بالقطار إلى بغداد حيث إنك مطلوب من الاستخبارات.

وأفَضِلْ أن تأتي معي بسيارتك لأن ذلك أليق بك وحال وصولي إلى حامية أربيل العسكرية استقبلني العقيد منير فهمي الجراح أمر الحامية بكل احترام وأفهمني بأن قضيتي ليست لها علاقة بهم وأن هناك برقية وردت من بغداد صادرة من مديرية الإستخبارات العسكرية حول إرسالي مفخوراً إلى بغداد ووفر لي مشكوراً كافة وسائل الراحة وخصص لي غرفة وخيّرني باستقبال الضيوف لحين حلول المساء وتسفيري

بالقطار إلى بغداد بصحبة آمر الانضباط الرائد حيدر سليم الذي هو أبن عمتي وضابط آخر برتبة ملازم حيث وصلنا بغداد ثم إلى وزارة الدفاع فمديرية الاستخبارات العسكرية ومن ثم إلى المعتقل حيث استلمني آمر معتقل الموقف العام الرئيس أنور عبدالقادر الحديثي وكان ذلك يوم ٣٠/تموز/١٩٥٨).

ومن باب التوضيح أود أن أذكر أن سبب اعتقالي (الذي دام شهراً واحداً وثلاثة وعشرون يوماً) كما عرفت فيما بعد وأنا في بيروت عام ١٩٦٦ لأن ذلك بقى في الواقع لغزاً محيراً بالنسبة لي فقد التقيت وأنا في بيروت بالمرحوم فائق السامرائي الذي كانت تربطني به صداقة وزمالة في المجلس النيابي وفي الوفود البرلمانية وكان يعرف آرائي جيداً وعندما التقينا في بيروت دعوته لتناول العشاء وبدأنا نتحدث عن الأوضاع في العراق فتطرق الحديث إلى مرحلة أوائل ثورة ١٤ تموز فقلت له يا فائق لا أدري إلى الآن لماذا اعتقلت في أوائل أيام الثورة إذ لم يحقق معي أحد ولم توجه لي أية تهمة بل دخلت المعتقل وخرجت منه وأنا لا أدري لماذا اعتقلت ولماذا أطلق سراحي؟ عندئذ قال لي المرحوم السامرائي أنا أقول لك سبب اعتقالك وأضاف قائلاً:

(في عصر أحد الأيام الأولى للثورة جاء إلى مكتبي بعض الأشخاص من أربيل من ضمنهم محاميان يتقدمهم (...) وبعد أن أبدو سرورهم وفرحتهم بنجاح الثورة قالوا أن مدينتنا أربيل لم يتغير فيها شيء فقلت لهم ماذا تريدون أن يتغير فيها؟ فقالوا جئنا إليك لأنك كنت المعارض للحكم البائد وأنت صديق العقيد عبدالسلام عارف الرجل الثاني في الثورة جئناك لتساعدنا وتساعد أربيل فقلت لهم أنا مستعد إذا كان طلبكم مقبولاً قالوا أن عزالدين الملا أفندي الذي كان من نواب نوري السعيد وصديق البلاط وهو الآن حرٌ طليق في أربيل ويقيم في قصره ببداوه حيث يتلألأ نور الكهرباء فيه ليلاً، فقلت ماذا تريدون؟ قالوا نريد اعتقال عزالدين الملا وغلق قصر باداوه ومصادرة أراضيه وتوزيعها على الفلاحين، فقمت من وراء مكتبي (والحديث مازال للمرحوم فائق السامرائي) فضحكت بوجه هذا المحامي وقلت لهم إني أعرف عزالدين الملا جيداً وليت كل النواب كانوا مثله ولم يكن نائباً لنوري السعيد بل كان نائب مدينتكم أربيل ولو أجريت الانتخابات اليوم في أربيل فأني لا أشك في نجاحه وإني أعرف أن الأمير

عبدالإله كان يكرهه وأنهم أرغموه على النيابة وأضيفكم علماً أنه حاول جاهداً خدمة مدينته أربيل التي مُدينة له فهو الذي كان وراء إنشاء المستشفى الجديد والمدرسة الثانوية وغيرهما من المشاريع وعارٌ عليكم أن تطلبوا اعتقاله بدلاً من احترامه وأنا آسف لأني ضيعت وقتي هذا للتحدث إليكم فقد كنت آمل أن تقترحوا شيئاً مفيداً لبلدكم لكي أساعدكم فمع السلامة فإني مشغول. وهكذا طردتهم فخرجوا وهم واجمون ثم عرفت باعتقالك والإفراج عنك وعلمت أنهم تمكنوا من مقابلة العقيد عبدالسلام عارف الذي كان لا يعرف شيئاً عنك فأمر باعتقالك ولما لم تكن هنالك تهمة يوجهونها لك أطلقوا سراحك).

كانت الساعة تشير إلى الواحدة بعد منتصف الليل عندما أنهى الأفندي حديث ذكرياته عن ثورة ١٤/تموز/١٩٥٨ وقد لاحظنا أنه قد تعب لأنه كان هو المتحدث وأننا كنا نصغي إليه وربما أتعبناه نحن بالإكثار من الأسئلة وشكرناه على حسن ضيافته وكرمه وإجاباته على أسئلتنا ولم ينس الرجل ونحن نودعه أن يستذكر لنا شيئاً (لأبن عاصم الغرناطي في كتاب ـ حدائق الأزهر) كما هو مدون فيه والذي يقول فيه: (سأل عبدالملك بن مروان، مسلمة بن يزيد وكان من المعمرين:

* أي الملوك رأيت أكمل؟ وأي زمان رأيت أفضل؟

فقال:

– أما الملوك فلم أر إلا مادحا أو ذاماً، وأما الزمان فيضيع أقواماً ويرفع أقواماً، وكلهم يذم زمانه لأنه يلي جديدهم، ويفرق عديدهم، ويهرم صغيرهم، ويهلك كبيرهم).

وبينما كنت أقود سيارتي في طريق عودتنا لإيصال زميلي طارق إلى داره تذكرت بيتاً شعرياً من قصيدة للشاعر الفارسي الكبير حافظ شيرازي ورددته على مسامع زميلي وفحواه:

(مكتوب على رزقة السماء بأحرف من ذهب: على هذه البسيطة، لا يبقى من الناس إلا مآثرها).

المرحوم عزالدين الملا فندي

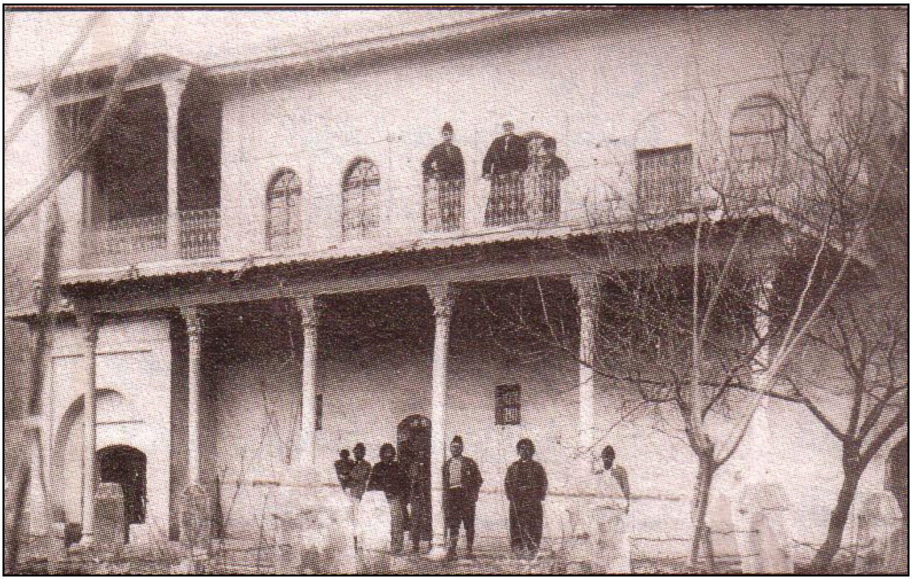

قصر باداوه في ضواحي مدينة أربيل في عقد الخمسينات من القرن الماضي

عزالدين الملا فندي متحدثا للمؤلف في داره بمدينة أربيل

المؤلف مع عزالدين الملا فندي

عزالدين الملا فندي وإلى يساره في الصورة نجله آزاد وإلى يمينه فرهاد عوني وطارق إبراهيم شريف

نوري السعيد مستقبلا عدنان مندريس رئيس الوزراء التركي في مطار بغداد عام ١٩٥٥ ويبدو خلفهما رفيق عارف رئيس اركان الجيش ووصفي طاهر مرافق نوري السعيد

الضباط الأربعة الكورد الشهداء عزت عبدالعزيز، مصطفى خوشناو، خيرالله عبدالكريم، محمد قدسي
الذين اعدموا في ١٩٤٧/٦/١٩

الجماهير المحتشدة أمام مبنى وزارة الدفاع ببغداد بعد إعلان ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨

قصر الرحاب الملكي في بغداد بعد اقتحامه من قبل الثوار يوم ١٤ تموز ١٩٥٨

قصر الرحاب الملكي ببغداد أيام العز

احدى غرف قصر الرحاب الملكي ببغداد يوم ١٤ تموز ١٩٥٨

نوري السعيد الوجه البارز في مؤتمرات حلف بغداد

نوري السعيد يتبادل الانخاب مع السفير البريطاني بعد التوقيع على الاتفاق الخاص بين العراقي وبريطانيا عام ١٩٥٥

الملك فيصل الثاني آخر ملوك العراق
الذي لقي مصرعه صباح يوم ١٤ تموز ١٩٥٨

صالح جبر احد رؤساء الوزارات العراقية
السابقين في العهد الملكي

أحمد قاضي يستذكر أيام جمهورية مهاباد عام ١٩٤٦ (*)

كان المناخ يميل إلى البرودة قليلاً عندما أقلتنا السيارات من ساحة مؤسسة (برايه تي وخه بات) الصحافية صباح يوم ١/كانون الأول/١٩٩٩ قبل بزوغ الفجر، حيث اتفقنا نحن أعضاء الوفد الثقافي الكوردستاني للتحرك في مثل هذه الساعة لغرض الوصول إلى نقطة الحدود في حاج عمران لكي لا نتأخر عن الموعد الذي حدد لنا من قبل وهو في الساعة العاشرة حيث كان من المقرر أن يتم استقبالنا من قبل المسؤولين أصحاب الدعوة عند نقطة العبور من أرض كوردستان ـ العراق إلى جمهورية إيران الإسلامية، وكانت سياراتنا تتسابق عبر طريق هاملتون الشهير وهي تقل خمسة عشر شخصاً كانوا يشكلون الوفد الثقافي من كوردستان متوجهاً نحو مدينة كرمانشاه للإشتراك في الندوة الثقافية المخصصة لتخليد ذكرى المثقف والأديب الكوردي الكبير (سيد طاهري هاشمي) بمناسبة مرور ثماني سنوات على رحيله والمقامة من قبل (مركز انتشارات صلاح الدين الأيوبي) ومجلة (سروه) الكوردية والتي تصدر عن المركز نفسه.

في الموعد المحدد وصلنا حاج عمران وعندما ترجلنا من سياراتنا جابهتنا الرياح شديدة البرودة حيث تمتاز منطقة حاج عمران بمناخٍ قاس في الشتاء إذ يحيط بها يساراً جبل هلكورد الشامخ وتعد قمتها أعلى قمة جبلية في كوردستان ـ العراق حيث يبلغ ارتفاعها (١٠٨٢١) قدماً عن سطح البحر وتتواجد الثلوج فيها على مدار أيام السنة وعلى يمين المنطقة سلسلة جبال كودو وكَرده مند وسكران والتي كانت مكللة بالثلوج عند وصولنا إليها، وكنا قد اتخذنا الاحتياطات اللازمة لذلك بارتدائنا المعاطف والقماصل منذ تحركنا من أربيل وبعد انتظارنا لبعض الوقت أخبرنا بوصول مضيفينا وكانوا كلٌ من السادة أحمد قاضي رئيس تحرير مجلة (سروه) الشهرية

(*) نشر في مجلة (كولان العربي) في العدد ٤٤ كانون الثاني ٢٠٠٠.

وبهرام ولدبكَي رئيس تحرير جريدة (اويه ر) نصف الشهرية والتي تصدر في مركز محافظة سنندج ومحمد حسين برزي من مجلة (سروه) أيضاً وأحمد شريفي أحد كتاب ومثقفي مدينة مهاباد وأثنين من مسؤولي العلاقات الإيرانيين وكانوا قد هيأوا لنا سيارة باص كبيرة وحديثة، فرحبوا بنا كثيراً وأخذونا بالأحضان ودامت هذه المراسيم نحو ربع ساعة شعرنا خلالها بأننا قريبون من بعض وتربط بعضنا بالآخر وشائج روحية لم ولن تنفصم عراها وحين حاولت الصعود إلى الباص مع زملائي أعضاء الوفد الثقافي استوقفني أحمد قاضي وبادرني بقوله: (مهلك يا كاك فرهاد فأن الأخ بهرام بمعيته سيارة صغيرة من نوع (بيجو) فاتفقنا أن نستقل معاً نحن الأربعة (أحمد قاضي، بهرام ولدبكَي، محمد حسين برزي وأنا) تلك السيارة ويكون سيرنا في مقدمة الوفد إذا لم يكن لدينا مانع، عندئذ تنازعت عندي رغبتان الأولى أن أكون مع زملائي في سيارة الباص باعتبارنا أعضاء وفد موحد والثانية احترام مشاعر مضيفينا ورغبتهم وعرفت من ملامحهم بأنهم يودون أن أكون معهم في سيارة البيجو وبعد المداولة مع نفسي استأذنت من زملائي أعضاء الوفد وصعدت مع أحمد قاضي وزملائه في سيارتهم في رحلة دامت زهاء عشر ساعات.

كان الطقس بارداً وقد استحسنت فكرة زوجتي بأخذ المعطف معي عندما ألحت على ذلك في الليلة التي سبقت الرحلة لأنني لم أكن أنوي أخذه معي ومردها بأنني عندما كنت في زيارة إيران في شباط ١٩٩٩ ضمن وفد الحزب الديمقراطي الكوردستاني لحضور احتفالات ذكرى مرور عشرين سنة على انتصار الثورة الإيرانية والإطاحة بنظام الحكم الشاهنشاهي المقبور ويومها لم أرتد المعطف وإن كان ملازما لي طوال مدة الزيارة بسبب المناخ الدافيء الذي ساد المنطقة آنذاك وعندما أردت نزع المعطف وأنا أهم بدخول السيارة والجلوس في المقعد الخلفي منعني أحمد قاضي من ذلك وقال لي (أستقل المقعد الأمامي لوحدك مع المعطف وأظن أن حرارة المحرك لا تصل إلى الداخل بسبب خلل فني ومن المستحسن أن لا تنزع المعطف وربما يغالبك النعاس لأن الطريق طويل وأخشى أن يصيبك البرد).

لم يغالبني النعاس كما تكهن أحمد قاضي والسبب في ذلك أنني بطبيعتي أحبذ معرفة جغرافية المناطق التي أمر بها وخاصةً إذا لم يكن لي إلمام بالمنطقة وثانيهما

أن وجودي داخل سيارة مع أناس ينتمون إلى الوسط الثقافي والإعلامي وفي بلد آخر يعتبر فرصة نادرة قلما تتكرر وخاصةً أنني كنت أود ومن كل قلبي التعرف إلى الأستاذ أحمد قاضي لأسباب ربما يجهلها البعض وهذا ما أتناوله في مسار الحديث عن ماضي وحاضر القاضي والذي قال لي كلاماً ونحن نرتشف الشاي على الطريقة الإيرانية في عصر ذلك اليوم حول المدفأة النفطية الكبيرة في مقهى الحرية (قاوخانه ي ئازادي) الواقعة على تلة مرتفعة نوعاً ما، المطلة على قرية (سه راو) على يمين الطريق العام إذ قال لي: (أنني أشعر وكأننا نعرف أحدنا الآخر منذ مائة سنة) لأننا وطوال الطريق كنا نتحدث، تارة يكون هو المتحدث وأنا أستمع إليه بكل جوارحي وتارة كنت أبادره بالأسئلة وكانت تتخللها تبادل السكاير بيني وبينه لدرجة تسببت في مضايقتنا للأخ بهرام ولدبكَي، الذي لم يستطع إخفاء مشاعره وقال لنا أخيراً: (أشكركم على هذه الضيافة الدخانية!!).

الطريق الموصل بين (حاج عمران) وكرمانشاه وعبر مدن (خانه، نغده، مهاباد، مياندو آب، سقز، بوكان وسنه) يستغرق زهاء عشر ساعات وأن قطع تلك المسافة قد يحتاج إلى التوقف أحياناً في أحد المقاهي، أو كما يسميه أهل إيران بـ(قاوخانه) طلباً للراحة لدقائق معدودة مقرونة بشرب قدح الشاي الخفيف قد يبعد عن المسافر الشعور بالإرهاق ولكننا لم نكن نشعر بشيء من التعب أو شيء من هذا القبيل لأننا كنا نتجاذب أطراف الحديث حول شؤون الصحافة، كون ثلاثتنا رؤساء تحرير صحف ومجلات باختلاف المكان والزمان وقد كنت أحاول قدر المستطاع من خلال الحديث معرفة ما في أعماق أحمد قاضي، كونه أولاً ينتسب إلى تلك الأسرة المناضلة والعريقة التي شغلت يوماً، الموقع القيادي في نضال الأمة الكوردية في الجزء الشرقي من كوردستان وتبوأ رمزها الشهيد (القاضي محمد) منصباً هاماً في أعقاب التطورات التي حصلت بعد الحرب العالمية الثانية حيث تبوأ مركز رئيس جمهورية كوردستان والتي كانت عاصمتها مهاباد لفترة زهاء السنة الواحدة ثم دفع في النهاية جراء ذلك ضريبة وطنيته إبان مرحلة تداخل المصالح عل حساب المبادئ من قبل كبار الساسة والتي انتهت باتفاق (قوام السلطنة رئيس وزراء إيران في ذلك الوقت مع جوزيف ستالين) حيث أسدل الستار على مشهد آخر من مشاهد تراجيديا الخيانة والتي ترتكب بحق

الكورد دائماً وأصبحت مهاباد هذه المرة ضحية غدر آخر وأختار قائدها طريق المشنقة بكل أباء متحدياً جور الزمن والتقاء المصالح بعد أن سلم الأمانة والتي كانت عبارة عن (علم كوردستان) إلى قائد آخر وهو البارزاني الخالد لأنه كما وصفه الشهيد القاضي محمد بأنه أي البارزاني (خير من يؤدي الأمانة)، وثانيهما أن أحمد قاضي ينتمي إلى فئة المثقفين الكورد في كوردستان إيران ويشغل حالياً رئاسة تحرير أول مجلة كوردية تصدر بأستمرار في مدينة (اورمية) منذ حوالي خمسة عشر عاماً.

وقد حدثني ونحن نسير بسيارة (البيجو) نحو مدينة كرمانشاه بعد أن بدأ الظلام يخيم على المنطقة، عن بدايات مسيرته وبعد أن أخذ نفساً عميقاً من سيكارته، بدأ حديثه قائلاً: (أتيت إلى هذه الدنيا عام ١٩٣٦ في قرية جميلة أسمها (قازياوه) قريبة من مدينة مهاباد من أسرة كانت رموزها تشغل منصب قضاة الشرع وفي عشية إعلان جمهورية كوردستان انتقلت مع أسرتي إلى مدينة مهاباد العاصمة حيث كانت تختلف كثيراً عن القرية التي تركناها كونها كان مدينة كبيرة نسبياً وتشرف أبنيتها على ضفاف (جومي سابلاغ) أي (نهير سابلاغ) الكثير المنعطفات وكان عدد نفوسها حوالي ستة عشر الفاً آنذاك وكانت تعج بالناس ليلاً ونهاراً وعند استقرارنا في مهاباد التحقت بالمدرسة الرسمية والتي كانت تسمى (قوتابخانه) وتم قبولي في المرحلة الثالثة من الدراسة الابتدائية حيث كان لدي الإلمام بالقراءة والكتابة التي تعلمتهما في القرية بفضل العادة المتبعة في أسرتنا والتي كانت تتمثل في تعلمنا قراءة القرآن الكريم ومن ثم مطالعة كتاب (كَولستان سعدي).

وتوقف الأستاذ أحمد قاضي عن الحديث قليلاً وعندما التفتُ نحوه رأيته بأخذ نفساً عميقاً من سيكارته ولمحت على محياه وكأنه تذكر شيئاً ما عن تلك الفترة وأنه يحاول استعادة ذاكرته ولم أحاول من جانبي أن أوجه له استفسارا آخر وأردت أن يكون استمراره في الحديث طبيعياً لأنه ربما كان يريد تجميع أفكاره ومن ثم إجاباته ولم يستغرق صمته إلا دقائق معدودات وإذا به يكمل حديثه ولكن نبرة صوته كانت أقوى من ذي قبل قائلاً: (وعندما دخلت المدرسة الابتدائية في مهاباد وتم قبولي في صفها الثالث وجدت أن الدراسة كانت باللغة الكوردية حيث لم يكن ذلك مألوفاً وأزداد شغفي بالدراسة لأننا أصبحنا نقرأ ونكتب باللغة التي نتداولها في البيت ومع أصدقائي

الصغار في الزقاق والشارع على أيدي معلمينا الأوائل الذين كان أكثريتهم من كورد العراق أمثال الراحلين عثمان دانش، محمد توفيق وردي، والأستاذ كريم زند أطال الله في عمره، مع معلمينا من كورد مدينة مهاباد الذين جمعهم مع معلمي كورد العراق حب كوردستان والتفاني من أجل جمهورية كوردستان وبفضلهم أكملت الصف الثالث بنجاح وباللغة الكوردية وكانت المرحلة الأولى والأخيرة من حياتي التي درستها بلغة الأم لأن عمر جمهورية مهاباد لم يتجاوز عمرها السنة الواحدة حيث ذبحت قرباناً للمصالح الآنية وهكذا حرمت من الدراسة باللغة الكوردية منذ ذلك الحين وحتى يومنا هذا).

ثم أكمل القاضي دراسته الابتدائية والمتوسطة والإعدادية في مهاباد وألتحق بجامعة طهران في أحدى كلياتها حيث أكمل دراسة اللغة الانكليزية وأصبح مدرساً للمادة المذكورة في مدارس مدينتيّ مهاباد وبوكان.

كان الطريق بين مدينتيّ سنندج وكرمانشاه تستغرق زهاء ثلاث ساعات في النهار ولكننا كنا نجتازه وقد خيم الظلام الدامس وكان رذاذ المطر قد بدأ يتساقط فوجدنا بادرة خير وقد كنا ندعو سبحانه عزوجل بالمزيد منه لأنه وكما هو معروف أن المنطقة برمتها قد سادها الجفاف في العام الماضي مما سبب للمنطقة وخاصةً كوردستان ـ العراق متاعب جمة وقد أثرت سلبياً على الزراعة وإمدادات المياه وبالتالي على حجم الطاقة الكهربائية. ولقد عانى السكان من جرائه كثيراً وهذا ما لمسه أيضاً الوفد الثقافي الإيراني الذي زار كوردستان ـ العراق في ذلك الوقت مما حدا بالزميل بهرام ولدبكي الذي كان جالساً في الجانب الأيسر من المقعد الخلفي للسيارة أن يقول كلاماً مفاده: (كانت الحرارة تلسعنا كالعقرب يومذاك) ولقد شعرت بنوع من التغير الذي شهده الطريق الذي كنا نسلكه عندما كنا نجتاز الممرات الجبلية شديدة الانحدار والصعود أو عند المرور داخل الأنفاق الصخرية المنظمة تنظيماً كاملاً من حيث العلامات المرورية والإشارات التي تنبه سائقي السيارات عند التعرجات والسيطرة على السرعة لقد تذكرت معالم الطريق عندما مررت به قبل ربع قرن من الزمن في طريقي إلى مدينة (اندمشك) لتفقد أحوال منتخب كوردستان لكرة القدم التابع للأمانة العامة للثقافة والإعلام والشباب عام ١٩٧٤ في زمن ثورة أيلول الكبرى وكان المنتخب

الرياضي يتواجد في تلك المنطقة آنذاك لمواصلة تدريباته الرياضية نظراً لملائمة المناخ باعتبارها منطقة دافئة في موسم الشتاء.

انقطعت أحاديث الذكريات بيننا في المسافة المتبقية من الطريق إلى كرمانشاه لأن المطر كان قد أشتد في هطوله بالإضافة إلى الإحساس بنوع من الحذر من الطريق الذي أصبح أملساً بفعل المطر مما حدا بسائقنا إلى التخفيف من السرعة حتى بانت أضواء مدينة كرمانشاه التي كانت تتلألأ من بعد ثلاثة كيلومترات وعند وصولنا المدينة في الساعة العاشرة والنصف ليلاً لم نجد كثافة حركة السير فيها نظراً لاشتداد هطول المطر مع نسمات باردة من الهواء واتجهنا نحو فندق الحرية (ازدكَان).

وبعد استراحة قصيرة انزوينا في ركن من الصالون الواسع للفندق بعيداً عن ضوضاء التلفزيون منتظرين وصول زملائنا من أعضاء الوفد الذين كانوا في سيارة الباص الكبيرة وبعد الانتهاء من تناول الشاي بدأ أحمد قاضي حديثه من جديد عند النقطة التي توقفنا عندها في الطريق مستطرداً: (مازلت أتذكر أيام الجمهورية الفتية حيث كان عمري عشر سنوات وكانت مدينة مهاباد مكتظة على آخرها وكنت أجد حسبما أتذكر أشكال من البشر وأسمع لهجات متباينة وألوان مختلفة من ملابس الرجال مدنيين كانوا أو عسكريين وكنا نميز البارزانيين بعمائمهم الحمراء المتميزة اللون وبنادقهم وكأنهم كانوا في ساحة حرب، وكانت فرحة الناس لا تضاهيها فرحة أخرى، حيث كانوا يعيشون في جو كرنفالي بهيج وعلى حين غرة تعكر مزاج الناس وكنت أسمع كلمات معينة (الجمهورية في خطر، الجيش أتى إلى مهاباد، سقوط أذربيجان، البارزانيون يقاومون، الملا مصطفى في مهاباد، رجال العشائر مرتبكون ولازلت أتذكر ملامح البارزاني الخالد عندما رأيته لأول مرة قبل ثلاثة وخمسين عاماً إذ كان مسكنه قريباً من بيتنا وفي أحد الأيام عندما كنت في طريقي إلى المدرسة شاهدت البارزاني بزي جنرال مع عدد من مرافقيه المسلحين وعندما أصبحت معه وجهاً لوجه رفعت يدي وأديت له تحية عسكرية على طريقة صبيان مهاباد الذين كانوا يقلدون الكبار من المقاتلين البيشمركه، وقد شعر البارزاني بحركتي واستوقفني ووضع يده على رأسي ثم قبلني قبلة حارة وكانت شهرته وشهرة مقاتليه تتناقلها الألسن وقد كنا نحن الأطفال نسمع ذلك في البيت وفي المدرسة وفي الشارع، ولم تدم

فرحتنا كثيراً حيث كنت أسمع في البيت أحاديث كانت تنم على الشعور بالخطر وكان شقيقي الكبير (عبدالرحمن) مدركاً لهذه الأمور حيث كان شاباً يافعاً في ذلك الوقت وقد كان عائداً للتو من باكو عاصمة جمهورية أذربيجان السوفيتية بعد أن كان قد تخرج من دورة عسكرية هناك.

شارفت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل وكان الأستاذ أحمد قاضي يواصل سرد ذكرياته عن تلك الأيام العصبية في حياة جمهورية كوردستان والسيكارة لا تفارق شفتيه وبين فترة وأخرى كان يغادر مجلسه لإحضار كوبين من الشاي ذي اللون الأصفر من (السماور الكهربائي) الموجود على منضدة خشبية أنيقة في الركن الأيسر من صالة الفندق الفسيحة والمرتبة بالأرائك الخشبية المغلفة بالقماش الصوفي السميك. وقد كنا نشعر بشيء من القلق جراء تأخير وصول سيارة الباص التي كانت تقل أعضاء الوفد الثقافي وكان تفكيري منشغلاً، تارة كنت أستمع لذكريات الأستاذ أحمد قاضي بكل جوارحي وتارةً أخرى كنت مشغول البال عن سبب تأخر زملائي عن الوصول إلى الفندق وقد شعر أحمد قاضي بذلك وكان يحاول التخفيف عن قلقي عندما تجاوزت الساعة الثانية بعد منتصف الليل ألح عليّ أحمد قاضي بالتوجه إلى غرفتنا (وكانت الغرفة رقم ٢٤٠ قد أصبحت من نصيبنا نحن الثلاثة: أحمد قاضي، بهرام ولدبكَي وأنا) وبعد أخذ ورد توجهنا إلى الغرفة وانشغلنا بكلام عام بعيداً عن سرد الذكريات اللاحقة وقد كنت أشعر بالتعب فعلاً لأننا كنا أعضاء الوفد الثقافي الكوردستاني قد تحركنا من أربيل في الساعة الخامسة من صباح اليوم نفسه متوجهين إلى مدينة كرمانشاه لكي لا تفوتنا المناسبة التي جئنا من أجلها إلى كرمانشاه ونصحني أحمد قاضي بالاستلقاء على الفراش في الوقت الذي ترك هو الغرفة وبقى ساهراً في صالون الفندق لحين وصول أعضاء الوفد في الساعة الثالثة فجراً وكان سبب التأخر كما علمنا فيما بعد حصول خلل ميكانيكي لسيارة الباص مما اضطرها للإبطاء في السرعة بسبب رداءة الجو في تلك الليلة.

أيقظني أحمد قاضي في الساعة الثامنة والنصف صباحاً وإن كنت لم أشبع من النوم بعد، بسبب بقائنا ساهرين في الليلة السابقة وبعد أن حياني بكلمة (روز باش) أي (صباح الخير) فاجأني بقوله: (قدومكم كان خيراً)، ولما إستفسرت عنه عن هذا القول

اللطيف وإن لم يكن هناك داعي لهذا الاستفسار لأن الإيرانيين كورداً وفرساً وآذريين يمتازون بالرقة والأدب الجم في علاقاتهم الاجتماعية ونادراً ما يسمع المرء منهم كلمات خشنة تعكر المزاج وبعدها شاهدت أحمد قاضي يفتح ستائر الشباك طالباً مني النظر إلى خارج الغرفة من وراء زجاج النافذة لأرى هطول الثلوج، عندئذ نهضت من السرير لأرى الثلوج وقد غطت سطوح المباني المجاورة للفندق، ومرة أخرى رجوت الله عزوجل أن يشمل كوردستان ـ العراق أيضاً بهذه النعمة، وبعدها توجهنا إلى صالة الطعام المخصصة لضيوف المناسبة وجلسنا على طاولة ذات عدة كراسي لتناول فطور الصباح وبينما كنا منهمكين بتناول الفطور اقترح عليّ أحمد قاضي أن نؤجل تكملة الحديث نظراً لانشغالنا بأمور الندوة واستقبال الضيوف والتعرف على الوجوه الثقافية والأدبية القادمين من أنحاء الجمهورية الإسلامية الإيرانية وما نقوم به من فعاليات ثقافية ومنها إقامة المعرض التشكيلي وتوزيع الكتب الكوردية التي كنا قد حملناها معنا هدية للأخوة هناك لحين الانتهاء من المناسبة وعندما علم بأننا سنكون في مدينة مهاباد مسقط رأسه في آخر يوم من زيارتنا لإيران، إنشرحت أساريره أكثر وقال لي: (ستكونون في ضيافة أسرة القاضي عندما تحلون في مهاباد عندئذ سنكمل حديثنا هناك بإذن الله وأرجو أن ينال رضاكم).

وفعلاً كما تكهن الأستاذ أحمد قاضي فقد انشغلنا طيلة الأيام الثلاثة التي قضيناها في كرمانشاه وكذلك اليومين التاليين في مدينة سنندج بأمورنا الثقافية وزيارة المناطق الأثرية والمؤسسات الصحافية حتى يوم وصولنا إلى مهاباد تلك المدينة التي كانت وماتزال عزيزة على قلوب الكورد أينما كانوا، لأنها ترتبط بحدث مهم للغاية وهو انبثاق أول جمهورية كوردية على أرضها الطاهرة وكذلك تلك النكسة التي ألمت بها وبمصير الجمهورية وإعدام رموزها في تلك البقعة التي شهدت إعلان الجمهورية وهي ساحة (جارجرا) أي المشاعل الأربعة.

في آخر يوم من زيارتنا للجمهورية الإسلامية الإيرانية وصلنا مهاباد في حوالي الساعة الخامسة مساءً وعندما توقفت سيارتنا أمام باب فندق (كويستان) شاهدت أحمد قاضي وشقيقه مصطفى القاضي ينتظران أمام بوابة الفندق لأن أحمد قاضي قد سبقنا في العودة إلى مهاباد بيوم واحد لأعداد أمور ضيافتنا وعندما ترجلنا من

السيارة بادرني بقوله: (أقلقني تأخركم في الوصول إلى مهاباد وها أنا منذ ساعتين أنتظر مجيئكم فما هي أسباب التأخر حتى الآن؟) عندئذ شكرته على هذه اللباقة والبادرة الطيبة من عنده وعندما أخذنا راحتنا في صالة الفندق شرحت له أسباب تأخرنا ومكوثنا في مدينة بوكان لمدة ساعتين وتناولنا الطعام فيها مع الأخوة من مثقفي تلك المدينة العريقة وفي حوالي الساعة السابع توجهنا راجلين إلى بيت شقيقه مصطفى القاضي، لأن أحمد قاضي يسكن حالياً في مدينة (اورميه) نظراً لكونه رئيساً لتحرير مجلة (سروه) الكوردية التي تصدر عن (مركز انتشارات صلاح الدين الأيوبي) بمدينة اورميه.

في أحد أحياء مدينة مهاباد وفي الطرف الجنوبي الغربي يقع منزل مصطفى القاضي على يسار شارع فرعي وعندما اقتربنا من المنزل شاهدت أشقاء أحمد قاضي ينتظروننا عند الباب وقد خجلت من حفاوتهم وخاصةً عندما أبصرت شقيقهم الأكبر عبدالرحمن القاضي والمشهور بـ(رحماني قازي) واقفاً في مدخل المنزل لاستقبال مجموعتنا ولم يكن باستطاعتنا سوى أن نشكرهم من صميم قلوبنا وندعو لهم بدوام الصحة والعزة.

كان محل استضافتنا عبارة عن غرفة الاستقبال الرئيسي في المنزل، وهي غرفة واسعة وكبيرة لا تقل مساحتها عن سبعين متراً مربعاً وقد فرشت بالسجاد الإيراني وعلى طريقة العادات الشرقية المتبعة وكانت الوسائد كبيرة الحجم قد رتبت على أطراف الجدران الداخلية للغرفة التي كانت دافئة للغاية بفعل طريقة توزيع المياه الدافئة وعبر أنابيب معدنية داخل المنزل وهي الطريقة المتبعة في كافة أنحاء إيران وتسمى بـ(شوفاز) وهي طريقة سهلة وحضارية للغاية، حيث تبعد الناس عن الانشغال بأمور إعداد المدافئ النفطية والغازية وما أكثر متاعبها.

وقد كنت أحاول لفت نظر أحمد قاضي لتكملة حديثنا حيث لم يبق لنا سوى ساعات قليلة في هذه المدينة وحديثنا لم يكتمل بعد وعندما أستقر بنا المقام بادرني أحمد قاضي بقوله: (بعد الانتهاء من تناول طعام العشاء سنكون (أنا وأنت) في أحدى الغرف الجانبية لأكمل حديثي لك وأعلم أنك على أحر من الجمر وأنني لا ألومك لأنني صحفي مثلك وأقدر مشاعرك).

في حوالي الساعة الثامنة والنصف مساءً أومأ لي أحمد قاضي بإشارة من رأسه وفهمت مغزاها واستأذنت الحضور ودخلنا غرفة أصغر حجماً من غرفة الاستقبال ومكث معنا أحد أنساب العائلة لكي يساعدنا عندما نحتاج إلى شيءٍ ما ولم ينس صاحبي القاضي ما توقفنا عنده في كرمانشاه وبدأ يسرد ذكرياته بهدوء وعلى مهله قائلاً: (كنا نشعر أن تغيراً قد حصل في البيت كانعكاس لما كان يجري في مدينتنا مهاباد وكنا نرى حركة غير اعتيادية تجري من حولنا والكل كانوا يعيشون على أعصابهم وكنا ننهر من أقل حركة قد تبدر منا نحن الصغار وكنا نسمع كثيرا ما كان يتردد على الألسن، من كلمات (القاضي محمد، السجن والعشائر والإعدام، والجيش....) وفي صباح أحد الأيام وبينما كنت في طريقي إلى المدرسة حاملاً كتبي ودفاتري المدرسية صادفت ضابطاً من الجيش القادم إلى مهاباد فاستوقفني وسألني بلهجة غاضبة: ماذا تحمل معك؟

فأجبته بكل عفوية: (أنها كتبي الكوردية ودفاتري) حينئذ أخذ الضابط مني الكتب والدفاتر وألقاهما في النهير القريب منا وبدأ لسانه بالسب واللعنة وأخيراً صفعني صفعة قوية على خدي ثم قال لي: (أذهب..) ومن يومها ومنذ حدوث هذه الواقعة التي لم ولن أنساها أصبحت مولعاً بالكتب الكوردية وبآدابها ولغتها وقد حاولت قدر المستطاع الإلمام بكافة نواحي هذه اللغة لغرض المساهمة في تطورها وإغنائها).

وأستطرد أحمد قاضي في وصفه لأحداث تلك الليلة المشؤومة التي أعدم فيها الشهيد (القاضي محمد) وهنا خفت نبرة صوته وكأنه كان يعيش لحظاتها ثم تنهد وأخذ نفساً عميقاً من سيكارته وقال: (كانت ليلة ليلاء والظلام كان يخيم على المدينة وتأريخها صادف (١٠ خاكه ليوه عام ١٣٢٦) الإيراني الموافق ١٩٤٧/٣/٣٠ الميلادي وكانت توجد في بيتنا غرفة كبيرة نسبياً يسمونها (دادكاه) أي المحكمة حيث كان آباؤنا وأجدادنا كلهم من القضاة ولهذا تسمى أسرتنا بأسرة القاضي وأما صلتنا بالشهيد القاضي محمد فوالدي والشهيد القاضي محمد أبناء عم ولهذا كانت مصيبتنا أكبر من الآخرين لأننا من أسرة واحدة وعندما جمعنا شقيقنا الأكبر عبدالرحمن في غرفة محكمة لئلا نخرج منها، عرفنا بأن خطراً قد داهمنا وكان شقيقي عبدالرحمن

الذي أوفد قبل هذه الفترة في بعثة مع (٥٠) طالباً إلى الإتحاد السوفياتي لتلقي التدريبات وبعض العلوم العسكرية وبعد مدة من الزمن قفل راجعاً مع أصدقائه الطلبة إلى مهاباد بعد انتهاء الدورة هناك. وقد كان يدرك بحسه العسكري ماذا كان يدور في تلك الليلة، سمعنا في منتصف الليل صوت البوق العسكري قال لنا شقيقي عبدالرحمن بأن صوت البوق العسكري يشكل نذير شؤم ومنعنا من مغادرة الغرفة وكان الجنود قد بدأوا منذ المساء باحتلال سطوح المباني ومنها سطح منزلنا وقد كنا نرى أنهماك الجنود بنقل ونصب الأعمدة الخشبية في ساحة (جارجرا) حيث كانت نافذة غرفة المحكمة في بيتنا تطل على الساحة المذكورة وقد كنا نرى ولكننا لم نكن نعرف ماذا يجري وإن كان الخوف يمتلكنا وعند منتصف الليل بقليل سمعنا صوتاً أشبه بالهتاف وأن شقيقي عبدالرحمن أخبرنا بأن ذلك الصوت هو صوت الشهيد القاضي محمد عندما صعد بكل إباء إلى المشنقة وقال كلاماً موجهاً إلى جلاديه: (بدمائي ستعيش كوردستان) وعندها زأر شقيقي عبدالرحمن كالأسد ونزل إلى سرداب المنزل حيث كان قد أخفى فيه بندقيته وعندما أخرج البندقية واجه والدي وقال له: (سأحارب ببندقيتي وسأنتقم منهم) عندئذ قال له الوالد بنبرة حزينة: (لا تستطيع أن تفعل شيئاً بهذه البندقية لوحدك).

وفي الصباح الباكر عندما اقتربنا من النافذة تسمرت عيناي على منظر غير مألوف لن أنساه ماحييت إذ رأيت جثث القاضي محمد وشقيقه صدر القاضي وأبن عمه سيف القاضي معلقة على أعمدة المشانق وكان منديل القاضي الأبيض اللون يتدلى على جبهته ولم تمض إلا دقائق معدودات وإذا بالناس بدأوا يتجمهرون حول الساحة حيث لا حول لهم ولا قوة وكلما أشاهد صورة السيد المسيح وهو معلق على الصليب أتذكر مشهد القاضي محمد عندما كان معلقاً على أعمدة المشنقة وكان والدي بمثابة كبير العائلة بعد الشهيد ونزل إلى الساحة وأخذ الجثث ثم حملت على الأكتاف إلى جامع (الحاج باين) حيث تمت مراسيم الغسل والكفن هناك ومن ثم حملت توابيتهم على أكتاف الجماهير إلى المقبرة التي كانت مكتظة بأهالي مهاباد الذين واروا جثمان الشهداء التراب، الذي أخلصوا له حتى الرمق الأخير من حياتهم وسط الآهات والدموع.

وعندما كان أحمد قاضي يسرد تلك الذكريات بدا وكأنه يعيش لحظاتها في الوقت الحاضر إذ بدأ صوته يخف شيئاً فشيئاً وكأنه يعزف لحناً جنائزياً وسط مؤثرات وأجواء حزينة للغاية وهنا شعر بما تركه حديثه من تأثير على مشاعري وعندئذ طلب الشاي من أبن شقيقه وأخرج سيكارتين من علبته الإيرانية من نوع (تير) أي السهم وقدم لي إحداها وقال لي: (لن نبرح مكاننا إلا وقد أكملنا حديثنا).

وبعد استراحة قصيرة تخللتها تناول الشاي بدأ أحمد قاضي بسرد ذكرياته مجدداً عن حياته السياسية، بعد إكماله الدراسة الجامعية في العاصمة قائلاً:

(في عام ١٩٥٨ انتميت إلى الحزب الديمقراطي الكوردستاني الإيراني وبعد مرور عام واحد أصبحت عضواً عاملاً فيه وسبب انتمائي للديمقراطي الكوردستاني كان نابعاً عن خلفية حبي للشهيد القاضي محمد وترأسه لذلك الحزب ذات يوم وما قدمه للشعب الكوردي من تضحيات وأصبح نشاطنا لافتاً للنظر من قبل أجهزة القمع في زمن الشاه المقبور دفاعاً عن قضية شعبي وشعوب إيران المضطهدة حتى يوم اعتقالي مدة أربعة أعوام كاملة ولقد عانينا نحن السجناء الكورد ظروفاً قاسية وكما هو معروف فأن أجهزة (السافاك) القمعية لم تكن تتورع عن فعل أية جريمة بحق الناس الوطنيين وخاصةً الكورد منهم وكان عددنا يربو على ٢٥٠ سجيناً وكان معي في السن كلٌ من أبن عمي عمر القاضي وكذلك عزيز شاروخي، ويوسف خسروي من مدينة مهاباد وبعد صدور ما يسمى بمرسوم العفو العام لم يبق معنا في السجن إلا (١٣) سجيناً لم يشملنا العفو الصادر وقد كنا نجابه يومياً رئيس مجلس التحقيق الذي كان يدعى (النقيب زيبايي) وكان مجرماً شرساً للغاية ومشهوراً بجرائمه بحق السجناء وكان يقول لنا: (سنعدم في مهاباد ثلاثة منكم هم أحمد قاضي وعمر القاضي ويوسف خسروي وفي مدينة سقز سنعدم حسن آغا جوانمردي وسولتاني) وكان النقيب المذكور يهددنا كل يوم بالقتل ولقد حدثت في ذلك الوقت اضطرابات في منطقة خوزستان وأعتقل العشرات من المواطنين العرب هناك بتهمة التحريض والدعاية للرئيس المصري الراحل جمال عبد الناصر حيث أعدم في سجننا (٦) أشخاص منهم وكان مقررا إعدامنا أيضا ولكن الذي أنقذنا من حبل المشنقة هو تنامي قوة الثورة الكوردية في كوردستان-العراق بقيادة الجنرال مصطفى البارزاني وأراد الشاه التقرب من الثورة الكوردية لخلق

التوازنات في المنطقة ولما كانت التهمة المنسوبة إلينا هي التعاون ومساعدة الثورة الكوردية في كوردستان–العراق مما حدا بالسلطات الإيرانية أخيرا إلى إطلاق سراحنا بعدما قضينا مدة أربعة أعوام في السجن وقد منعت من العودة الى مهاباد وكوردستان برمتها في بداية الأمر وبعد مرور بعض الوقت كنت أستطيع زيارة مهاباد في أوقات متباعدة بعد أخذ الموافقات الرسمية من السلطات ولهذا انقطعت علاقتي بالحزب الديمقراطي الكوردستاني الإيراني منذ ذلك الوقت وشغلت نفسي في طهران بالتدريس في المدارس الرسمية وكذلك بدأت أشغل نفسي بالترجمة من الإنكليزية الى الفارسية والكوردية تحت إشراف شقيقي المرحوم محمد القاضي الذي كان مترجما كبيرا وقد ذاع صيته في الوسط الثقافي الإيراني حيث ترجم روائع من الأدب والروايات العالمية من الفرنسية الى الفارسية وقد تعلم اللغة الفرنسية في بداية الأمر على يد المرحوم (كَيو موكرياني) وبعد أن حصل على البكالوريوس في القانون انشغل كليا بالترجمة حتى غدا من أشهر المترجمين الإيرانيين جميعا بحيث لم يتفوق أحد عليه في هذا المجال وتوفي عام ١٩٩٨ عن عمر ناهز (٨٣) عاما وخلف وراءه كنزا من الأعمال المترجمة وقصة حياته كتبها بأسلوب روائي جميل تحت عنوان (مذكرات مترجم).

عند دخولنا منزل (آل القاضي) في ذلك المساء كان كبيرهم عبد الرحمن القاضي الشقيق الأكبر لهم وهو بمثابة شيخ العائلة في الوقت الحاضر، كان واقفا كما ذكرت في سياق هذا الموضوع عند المدخل الداخلي ليكون في استقبالنا وكان يضع النظارة الطبية على عينه وقدرت عمره بما يزيد عن (٧٥) عاما ولكنه كان محتفظا بلياقته البدنية وذا حس مرهف للغاية وعندما صادف ان كنت بجانبه في غرفة الاستقبال سمعته يتكلم عن الأدب والثقافة ويحفظ عن ظهر قلب قصائد الشعراء الكبار من الكورد والفرس وكان يلقي بين الحين والآخر أبياتا في تلك القصائد، عرفت كذلك أنه يحتفظ بخزين من الذكريات الحلوة والمرة ولكن الوقت والمقام لم يسمحا لي بالغوص في أعماقه وعندما كنا في نهاية حوارنا مع شقيقه الأصغر أحمد قاضي في الغرفة الملاصقة لغرفة الاستقبال حيث كان زملائي من أعضاء الوفد متواجدين فيها مع مضيفينا سألت أحمد قاضي عن شقيقه الأكبر عبدالرحمن الذي أوفد يوما ضمن بعثة الشبان الكورد الى جمهورية باكو السوفياتية عشية إعلان جمهورية كوردستان في

مهاباد عام ١٩٤٦ وتخرج منها بنجاح وأصبح ملما للقواعد العامة للحياة العسكرية، سألت أحمد قاضي: (أليست لدى شقيقك عبدالرحمن نية كتابة مذكراته خاصة وأنه كان شاهدا على الكثير من الأحداث، التي مرت في حياة الجمهورية وعلى الشهيد القاضي محمد؟).

في بداية الأمر لم ينطق لسان أحمد قاضي بشيء عن حياة شقيقه وما ينوي عمله وعن مذكراته ولقد استنتجت بأن أحمد لاينوي التكلم نيابة عن شقيقه أو ذكر شيء من هذا القبيل ولكن استنتاجي لم يكن في محله وعرفت أن أحمد قد سرح بفكره الى موضوع آخر وقام من مكانه وغاب لمدة دقائق معدودة وعندما عاد الى الغرفة شاهدته يحمل علبة جديدة من السيكاره ويهم بفتحها وأخرج منها سيكارتين قدم لي إحداهما عندئذ قال لي: أنهينا سكائرنا منذ ربع ساعة وكنت انتظر انتهاءك من توجيه الأسئلة وعندما عرفت بأن أسئلتك قد تطول وان سكائرنا قد تنفذ، خرجت الى غرفة الصالون وأخذت علبة من السكائر وطلبت كذلك كوبين من الشاي لنا لكي نستطيع تكملة الحديث، وها أنا معك مرة أخرى وإليك جوابي عن سؤالك:

(شقيقي الأكبر عبدالرحمن هو بمثابة والدنا ولقد ذاق هو أيضا المصائب والمصاعب في حياته لأن القدر فرض علينا أن نكون هكذا ولسنا بنادمين عليها، وكما ذكرت لكم كان شقيقي عبدالرحمن ضمن أول بعثة من طلبة وشبان مهاباد الى الاتحاد السوفياتي لغرض تلقي التدريبات العسكرية ولكن أمله في خدمة الجمهورية قد تلاشى بعد النكسة التي أصابت الجمهورية وعاش بعد ذلك حياته وان لم يبتعد عن هموم شعبه ولقد كتب ما يقارب (٦٠٠) صفحة من مذكراته الشخصية منذ بداية شبابه ولحد الآن وربما تحتوي مواضيع هامة أو أحداثا تاريخية باعتباره شاهدا على مجرياته ولقد تم تنضيد المذكرات وهي مبوبة بالكامل ولقد عمل فيها أحد أنساب العائلة حتى النهاية وإنها اي المذكرات تنتظر المرحلة الأخيرة وهي إرسالها الى المطبعة لترى النور). وأشار أحمد قاضي الى الشخص الثالث الجالس قبالتنا في الغرفة حيث قال لي: (هو هذا الشخص الذي عمل في تهيئة المذكرات ويدعى كاكه خسرو وبإمكانك توجيه أسئلتك له فيما يتعلق بمذكرات شقيقي عبدالرحمن). وهنا وبدافع الفضول الصحفي أردت التمهيد وإيجاد مقدمة مناسبة لكي أجر صاحبنا خسرو الى

الحديث عن موضوع مذكرات عبدالرحمن القاضي باعتباره قائما بالإشراف على المذكرات آنفة الذكر ولكن مبادرة خسرو وتطوعه للكلام عن المذكرات اختصر الطريق علي بحيث لم احتج الى تهيئة الجو لذلك بدأ من تلقاء نفسه بالكلام قائلا: (ان مذكرات شيخنا عبدالرحمن القاضي لدي حيث عملت على تنضيدها وتصحيحها وإذا رغب صاحبه يستطيع من الآن إرسالها الى المطبعة ولن أكتف بهذا القدر من الكلام عن الموضوع لأنني عرفت من خلال توجيهك الأسئلة إلى أحمد قاضي بأنك ترغب في معرفة ما تحتويها تلك المذكرات فأنا لا أستطيع تلبية رغبتك بالكامل ولكن أسرد عليك قصة اللقاء الأخير الذي جرى بين البارزاني الخالد والشهيد القاضي محمد في مسكن الأخير بمدينة مهاباد وأن قصة اللقاء كما وردت في تلك المذكرات تنطبق تماماً وبالكامل مع ما سمعتها شخصياً من المرحومة (مينا خانم) زوجة الشهيد القاضي محمد ولهذا أعرف أن تلك المذكرات صحيحة وموثقة من الألف إلى الياء وأما فيما يتعلق بقصة اللقاء الأخير بين البارزاني والقاضي محمد فكما قرأتها في هذه المذكرات، فهي كالآتي: (عندما كانت الجمهورية تعيش أيامها الأخيرة بعد سقوط جمهورية أذربيجان الديمقراطية وما فعله الغوغاء في تبريز العاصمة واقتراب موعد وصول قطعات الجيش إلى مهاباد في ذلك الوقت دخل البارزاني مسكن القاضي محمد لكي يقنعه للمرة الأخيرة بمغادرة مهاباد ولكنه أي البارزاني لم يفلح في مسعاه ولم يستطع إقناع القاضي بالعدول عن بقائه في مهاباد، وعندئذ ألقى البارزاني تحية الوداع على القاضي محمد الذي طلب من زوجته (مينا خانم) إعطاء البارزاني ما يطلبه من ممتلكات البيت وخاصةً ما غلى ثمنه وخف وزنه ليساعدهم على الاستمرار في كفاحهم الشاق والطويل وسط اشتداد الردة وتكالب الأعداء عليهم وهنا خاطب البارزاني الخالد الشهيد القاضي محمد قائلاً: (لسنا بحاجة إلى شيء من مالكم ومن متاع الدنيا قاطبة وأنني جئت من أجل إقناعكم بالمغادرة معنا وقيادة مقاتلينا)، عندئذ أجابه القاضي محمد: (إنني أفهمكم وأعرف ماذا تقولون وما يدور في نفوسكم ولكني لا أستطيع مغادرة مهاباد وسأبقى فيها متضامناً مع شعبي لكي لا يتعرض إلى المجازر)، وهنا تسرد (مينا خانم) بقية قصة اللقاء الأخير بين القائدين التاريخيين بقولها أن البارزاني قد قال للقاضي محمد: (سوف يقتلكم الأعداء) وإجابة القاضي محمد أعرف ذلك ولكن أنا

باق، وعندما يئس البارزاني من إقناع القاضي محمد عانقه طويلاً وترك المنزل ولم يكن قد ابتعد بضع خطوات من الدار حتى التفت ثانية إلى النافذة المطلة على الطريق العام حيث كنا واقفين أمامها وشاهدنا البارزاني وهو يرفع يده اليمنى تحية للقاضي محمد الذي سلمه في هذا اللقاء (علم كوردستان) بأعتباره كما قال له القاضي محمد: (أنتم خير من تحفظون الراية إلى أن يحين يوم رفعها عالية خفاقة).

وعندما كان صاحبنا خسرو يسرد هذا الجزء من مذكرات عبدالرحمن القاضي شقيق صديقي أحمد قاضي كنا (أحمد وأنا) كلنا آذان صاغية وكأننا نعيش أحداثها بكافة تفاصيلها، عندها دقت الساعة المعلقة على الجدار اثنتي عشرة دقة معلنة إنتصاف الليل وعرفت بأننا قضينا مدة ثلاث ساعات ونصف الساعة في تكملة الحديث مع أحمد قاضي وقبل إلقاء تحية الوداع عليهم ونحن على أعتاب باب المنزل قلت لأحمد قاضي: (أن الأمانة التي سلمها الشهيد القاضي محمد إلى البارزاني الخالد في اللقاء الأخير بينهما، قد حفظت بأمانة كاملة لمدة ثلاثة وخمسين عاماً من قبل البارزاني ومن بعده من قبل قيادة الحزب الذي أسسه البارزاني الخالد في مدينة مهاباد بالتحديد وقد أدى رجاله الأوفياء الأمانة إلى أهلها عندما أقر أول برلمان كوردستاني منتخب، الراية لكوردستان حيث ترفع الآن عالية في القاعة التي يجتمع فيها أعضاء برلمان كوردستان وعلى أسطح البنايات هنا وهناك وقد أصبحت الراية رمزاً يجسد نضال وتضحيات شعب أنجب رجالاً عظماء أمثال الشهيد القاضي محمد ورفيق نضال أمته البارزاني الخالد).

من اليمين: رحماني القاضي، أحمد القاضي، وأحمد سالار في مهاباد شتاء عام ١٩٩٩

مريم القاضي، تقرأ قصة من تأليفها

أحمد القاضي يتوسط المؤلف وأحد ادباء مدينة مهاباد

المؤلف يتوسط المرحوم عبيدالله أيوبيان، وأحد ادباء مدينة مهاباد

خلال الاحتفال بذكرى الشاعر والأديب سيد طاهر هاشمي في كرماشان ويبدو من اليسار كل من فريد زامدار، حسين عارف، أحمد سالار، فرهاد عوني

خلال مأدبة العشاء التي اقيمت في دار مصطفى القاضي في مهاباد

في منزل مصطفى القاضي بمدينة مهاباد

المؤلف مع عبيدالله أيوبيان في مقهى بمدينة بوكان

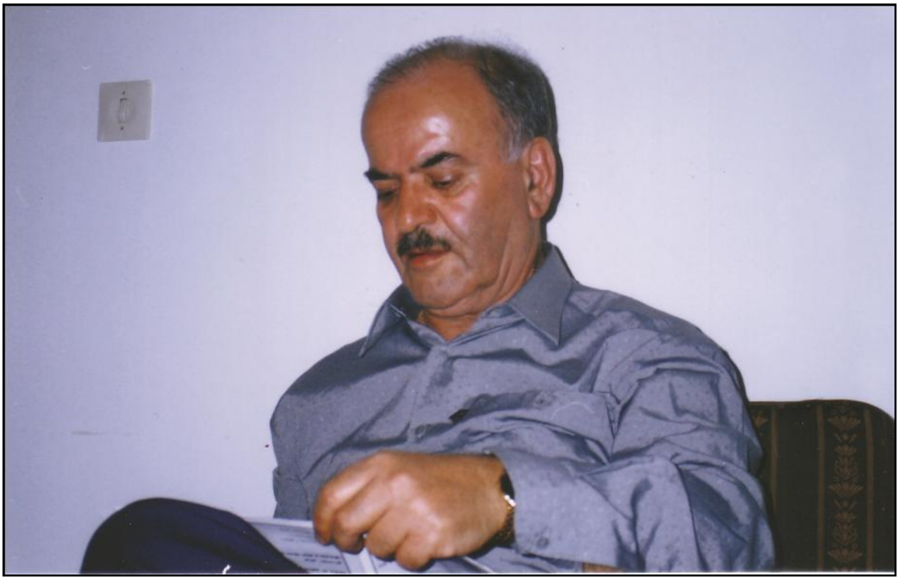

أحمد القاضي يتذكر

المؤلف على المنصة قبيل إلقاء كلمته في مدينة كرماشان

المؤلف يتوسط أحمد القاضي من اليسار والمشرف على مجلة (سروه) من اليمين

خلال الحوار الصحفي مع أحمد القاضي في داره بمدينة مهاباد

من اليمين رحماني قاضي، أحمد القاضي، والمؤلف خلال جلسة استراحة

في دار مصطفى القاضي بمدينة مهاباد

واستمر الحوار مع احمد القاضي حتى منتصف الليل

د. عزالدين مصطفى رسول يتوسط حسين شريفي من اليسار والمؤلف من اليمين

في سفح جبل أوير بمدينة سنه

د. عزالدين مصطفى رسول يتوسط آزا حسيب قرداغي من اليسار والمؤلف من اليمين

في سفح جبل أوير بمدينة سنه

الوفد الكوردستاني في دار مصطفى القاضي بمدينة مهاباد

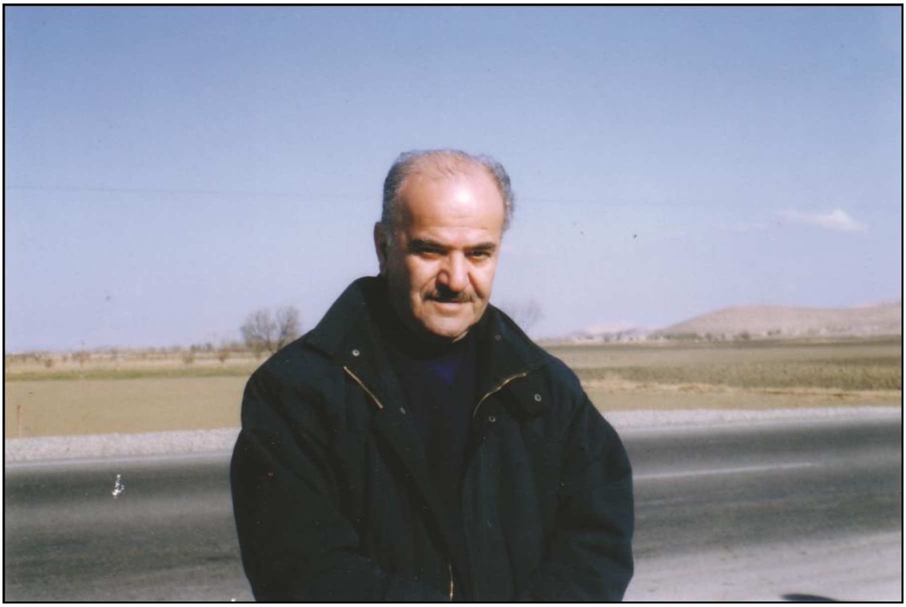

أحمد القاضي في لحظة تأمل

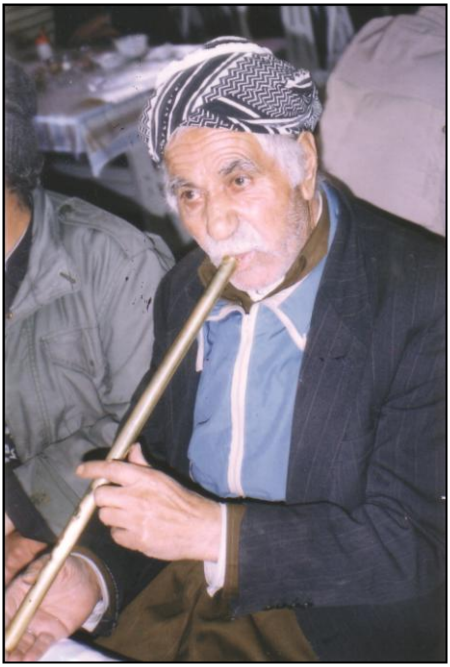

الفنان المرحوم (قاله مره) الذي صاحب الوفد الكوردستاني إلى مدينة بوكان

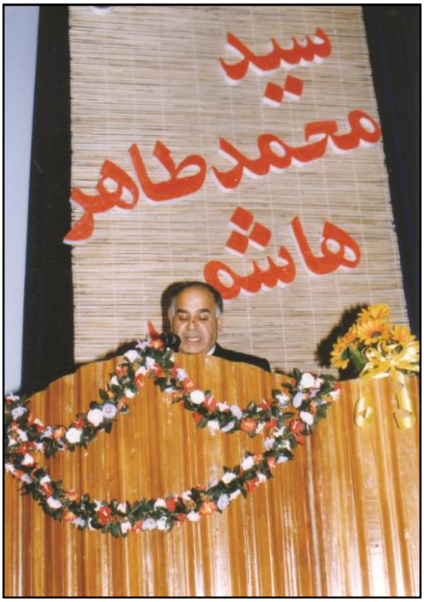

المؤلف أثناء إلقاء كلمته في مهرجان ذكرى محمد طاهر هاشمي

المؤلف مع رحماني قاضي (عميد العائلة)

مرثية لمحطات ثلاث تعرضت فيها ممتلكاتي ومكتبتي وأوراقي وشهادات أولادي وأرشيفي للنهب والضياع.. (*)

ترددتُ كثيرا قبل الشروع في كتابة هذا الموضوع لأسباب شتى منها شخصية ومنها عامة وفي مقدمتها خشية تفسيره من قبل البعض وكأنه يدخل في صلب المواضيع الشخصية البحتة ولا فائدة من نشره، أو ربما يفسره البعض بأنني أنوي من وراء تدوينه جلب الأنظار والظهور بمظهر الضحية في الوقت الذي تعرضت كوردستان وشعبها منذ ما يقارب الأربعة عقود إلى دمار وخراب حيث تكاد لا تجد أحدا من أبناء هذا الشعب من ليست له حكاية أو حصة من هذه المسيرة التراجيدية في الثلث الأخير من القرن العشرين في الوقت الذي ينعم الآخرون في أرض الله الواسعة بحياة سعيدة ومستقرة في ظل القانون وحماية الفرد واحترام الرأي والرأي الآخر دون أن يتعرض أحد بسبب آرائه السياسية إلى مصاعب ومصائب شخصية، وهنا استميح القارئ العزيز عذرا وأود أن أقول هنا مقدما إنني لست نادما على ما تعرضت له بسبب قناعات وجدانية وسياسية وما تعرضت إليه على الأقل ضياع أثاث بيتية ومكتبية عامرة وأرشيف صور ودفاتر المذكرات وأشياء شخصية ثلاث مرات في فترة لا تتجاوز ثلاثة عقود ونصف لأنني بقناعتي الكاملة قد اخترت وما زلت هذا الطريق للمساهمة ضمن مسيرة شعبي وبجهد متواضع جدا حيث لا يقاس ذلك بقطرة دم لإنسان ضحى بأغلى شيء وهو الحياة في سبيل سعادة شعبه وحرية وطنه، وأرجو المعذرة مرة أخرى.

في أحد أيام ربيع عام ١٩٩٥ وبينما كنت أتجاذب أطراف الحديث مع أفراد عائلتي المتكونة من رفيقة دربي بروين وأبني ريكان وابنتي لانه، تحت أشجار (الكاز-الصنوبر) الطبيعية والتي توجد منها الكثير كموطن أصلي لها في منطقة زاويته الواقعة

(*) نشر في مجلة (كولان العربي) العدد ٣٩ في آب ١٩٩٩.

في مثلث طريق أربيل-دهوك-العمادية-دهوك من طرف مدينة دهوك والتي بنى فيها الملك غازي (١٩١٢-١٩٣٩) ثاني ملوك العراق بعد رحيل والده الملك فيصل الأول دارا للاستراحة في بقعة جميلة للغاية وسط تلك الأشجار المعمرة دائمة الخضرة ليصطاف فيها صيفا أو شتاء ليخلد للراحة والاستجمام بفعل جمالها الأخاذ وطبيعتها وهدوئها، وبينما كنا جالسين في تلك البقعة من حديقة دار الاستراحة والتي أصبحت في الوقت الحاضر كمطعم وكازينو على الجانب الأيمن للقادم إلى دهوك من أربيل، بادرتني ابنتي لانه بسؤال تستفسر فيه عما كنت أنويه بصدد ما وعدتها ليلة ١-٢/كانون الثاني/١٩٩٥ للكتابة عن أحداث عاصرتها عندما كنت متواجدا مع زملاء كانوا يعملون في صفوف إعلام البارتي في مقر الحزب الشيوعي الكوردستاني في مدينة أربيل أثناء الجولة الثانية من حرب الاقتتال الداخلي والتي شهدتها أربيل منذ منتصف شهر كانون الأول عام ١٩٩٤، وبسببها اضطررنا للتوجه إلى بناية فندق شيراتون لمواصلة المسيرة الإعلامية للبارتي وانتقلنا منها فيما بعد إلى بناية مقر الحزب الشيوعي لاجئين وليلتها وفي حدود الساعة الثانية عشرة اتصلت هاتفيا من خلال جهاز الهاتف الذي كان موجودا في الطابق الأرضي من البناية وكان وسيلة الاتصال الوحيدة بعالم خارج البناية بسبب قطع وتمزق أسلاك الهواتف نتيجة تراشق النيران، ومن هناك اتصلت هاتفيا بالمنزل الذي كانت تتواجد فيه عائلتي بحكم القرابة مع أصحابه أثر ترك عائلتي دارنا الملاصقة لمبنى مؤسسة (برايه تى وخه بات) الصحافية بعد اشتداد القتال وخلو أربيل العاصمة من أية وجود عسكري للبارتي باستثناء مقر الفرع الثاني للبارتي وبناية فندق شيراتون الذي التجأنا إليها بعد مغادرتنا بناية مؤسسة (برايه تي وخه بات) الصحافية للاطمئنان على وضعهم وأخبارهم عن أحوالنا عندها بادرتني ابنتي بالسؤال وبعفويتها وكانت تبلغ من العمر الثانية عشرة عاما آنذاك قائلة: (هل تكتب شيئا يوما عما أصابنا؟ فأجبتها بكل تأكيد وسأعدكِ بذلك يا ابنتي العزيزة.. وبعد فترة تم لم شمل العائلة في مصيف صلاح الدين إثر سيطرة الاتحاد الوطني الكوردستاني على مدينة أربيل فذكرتني ابنتي مجددا بذلك عندما كنا جالسين في مطعم وكازينو زاويته ونحن على وشك الوصول إلى مدينة دهوك لغرض معالجة (لانه) من وعكة صحية ألمت بها. وعندما ذكرتني بالوعد الذي قطعته لها

سابقا عندما كنت في مبنى مقر الحزب الشيوعي بالكتابة عن تلك الأيام عادت بي الذاكرة إلى محطات أخرى سابقة قد مرت علي في عامي ١٩٦٣ و ١٩٧٤ حيث تعرضنا فيها كعائلة إلى ما تعرضت له لانه وريكان من فقدان وضياع أجمل وأغلى ما كانا يحتفظان بهما من البومات صور تخص مراحل عمرهما وشهادات مدرسية منظمة في سجل كبير مع صورة ذات حجم متوسط ملصقة في الصفحة المقابلة لشهادة كل سنة من تلك السنين حيث كنت معتادا بأخذ صورة جديدة لهما عندما كانا يستلمان الشهادة المدرسية في نهاية كل سنة دراسية ناهيك عن قطع اللعب التي كانا يحتفظان بها كل في غرفته، تذكرت هذا وتذكرت المحطة الأولى أو بالأحرى التجربة القاسية الأولى التي مرت على عائلتي عام ١٩٦٣ عندما عدنا مع العوائل الأخرى إلى مدينتنا كويسنجق بعد غياب طال قرابة عام عندما التحقنا بالمناطق المحررة من قبل الثورة الكوردية اثر اشتداد المعارك على أطراف طريق كويسنجق-كركوك وكويسنجق-أربيل بين قطعات من الجيش العراقي وما سمي بقوات فرسان صلاح الدين والوليد غير النظامية وبين قوات البيشمركَه المدافعة عن كوردستان واختيارنا ترك المدينة والتوجه إلى مدينة قلعة دزة الصامدة حيث كانت محررة آنذاك تاركين منازلنا مع نحو سبعين عائلة أخرى بكل ما كانت تحويها من أثاث وممتلكات ولم نكن نحمل معنا إلا عددا قليلا من البطانيات ونحن محشورون في سيارة لاندروفر كانت تعود للمرحوم الأسطه (سليمان النجار) واضطررنا نحن الأربعة (من الفتيان شقيقي الأكبر واثنين من أبناء عمتي وأنا الصعود إلى سقف السيارة نظرا لضيق المكان داخل السيارة حيث كان بقية أفراد العائلة والبالغ عددهم خمسة عشر فردا قد حشروا داخل السيارة.

كانت ليلة ليلاء حقا والناس كانوا هائمين على وجوههم متوجهين نحو الوديان والقرى القريبة من المدينة وغير مبالين بما تركوا فيها، لأن إشاعة قوية انتشرت بين الناس كالنار في الهشيم آنذاك مفادها بأن قصف الطائرات لكويسنجق سيبدأ مع فجر اليوم التالي لأن المدينة تحولت ومنذ انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣ إلى مركز لتواجد قوات الثورة الكوردية وقادتها وعقد فيها أيضا المؤتمر الشعبي الكبير بقيادة البارزاني الخالد وذلك خلال شهر آذار من العام نفسه لإقرار ما بشأن المفاوضات مع الحكومة المركزية اثر سقوط حكومة الفريق عبد الكريم قاسم، حيث كانت الأجواء مناسبة

لتصديق إشاعة القصف من قبل أهالي المدينة وان الناس قد سمعوا بما حل بالمناطق الأخرى من العراق من مصائب وما ارتكب من مجازر وفضائع من قبل أفراد قوات الحرس القومي المشكلة آنذاك لغرض السيطرة على المدن وتصفية الخصوم وكنت ألاحظ آثار القلق أحيانا على المرحوم والدي بعد إطلاق سراحه من سجن (نقرة سلمان) في بداية شهر آذار من العام نفسه ضمن قائمة كبيرة معدة من قبل الحزب الديمقراطي الكوردستاني بعد تسنم البعثيين الحكم في ٨شباط ١٩٦٣ وإدعائهم في بداية الأمر بأنهم جاءوا إلى الحكم لحل قضايا الشعب العراقي وفي مقدمتها القضية الكوردية وتلقيهم برقية تأييد في الساعات الأولى من قيام الانقلاب من المرحوم صالح اليوسفي عضو المكتب السياسي للبارتي، يعلن فيها تأييد الثورة الكوردية للتغيير الذي حصل في الحكم وعندما سألت الوالد يوما بعد إطلاق سراحه من السجن ونحن جالسين في غرفة الاستقبال في دارنا نستمع معا إلى نشرة الأخبار من إذاعة (به يكى ئيران) وهي الإذاعة السرية التي كانت تذاع برامجها في مدينة براغ للتحريض ضد نظام الشاه في إيران وتحولت بعد الثامن من شباط إلى إذاعة باسم صوت الشعب العراقي معادية لحكم البعثيين في العراق وفضح الانقلاب الدموي ودعوة الكورد إلى عدم الثقة بالنظام الجديد لأنه قد يشن النظام يوما ما حربا عليهم لا تقاس قسوتها بما شن في عهد الفريق قاسم، مستفسرا منه أي من الوالد عن سبب القلق الذي كان باديا على وجهه ودون أن يتفوه بكلمة، مد يده إلى علبة السكاير الموضوعة على المنضدة التي كانت أمامه وسحب منها سيكارة وأشعلها بكل هدوء وقال لي عندذاك: (عندما كنا مع الآلاف من المساجين في سجن نكره سلمان الصحراوي كان السجن يضم عناصر من مختلف الاتجاهات السياسية منهم شيوعيون وبارتيون وقوميون مستقلون ومجموعة قليلة من العناصر البعثية، وكان كل قاعة من قاعات السجن تضم المحسوبين على جهة سياسية معينة حيث كنا ننعم بنوع من الحرية داخل السجن وكانت المناقشات تجري بيننا بكل هدوء، وعندما حدث الانقلاب ومنذ لحظاته الأولى انقلبت الآية وأصبحت أوضاع السجن لا تطاق ورأينا بأم أعيننا ماذا حل بالسجناء الشيوعيين ولن أنسى كلمات الضابط الشيوعي السجين مهدي حميد عندما اقتادوه إلى خارج السجن وهو يلوح بيديه إشارة لنا نحن الكورد بأن نوحد صفوفنا وأن لا نثق بالانقلابيين، وبعد

إطلاق سراحنا ضمن قائمة البارتي وعودتي إلى كويسنجق وتشرفي بلقاء البارزاني عندما حل ضيفا قبل فترة على كويسنجق حيث ترأس المؤتمر الشعبي الكبير لإقرار ما هو مناسب للتعامل مع نظام الحكم الجديد لاحظت عدم ارتياح البارزاني من نهج الحكومة الجديدة تجاه الكورد والعراقيين وقد صدق ظنه إذ لم تبد الحكومة الجديدة أية مرونة تجاه حل القضية الكوردية وتبين بأنهم مصابون بالغرور والغطرسة وسيشنون حربا لا هوادة فيها على كوردستان وإنني عازم بنتيجتها على الابتعاد مئات الكيلومترات عن مراكز تواجد القوات الحكومية لأنني رأيت ما فعلوه بالسجناء في سجن نقرة سلمان ونسمع ما يفعلونه في باقي أنحاء العراق بأبناء الشعب.

في الساعة الرابعة من فجر يوم ٨حزيران ١٩٦٣ وصلنا قلعة دزة وقد أنهكنا التعب جراء قطع المسافة من كويسنجق إلى قلعة دزة ليلا وقد استغرق ذلك زهاء الخمس ساعات بسيارة لاندروفر حيث كان البعض منا قد تعب من الجلوس طيلة الفترة فوق سقف السيارة وتوجهنا نحو منزل عمي المرحوم عمر حبيب والذي كان حاكما في محكمة بداءة قلعة دزة آنذاك ثم انضم فيما بعد عند استئناف القتال إلى الثورة الكوردية.

وتوجهنا بعد أيام إلى قرية (هه لشو) على الحدود الإيرانية خوفا من عمليات قصف الطائرات حيث كانت طبيعة المنطقة ووقوعها بين سلاسل الجبال وبالقرب من الحدود قد ساعدت على الاطمئنان والتجاء جمع كبير من العوائل إليها، وبعد مدة لم تتجاوز الأسبوعين سافرت مع عمي إلى مدينة (ماوه ت) المحررة بعد تشكيل المحكمة العليا للثورة واختيار عمي رئيسا لها.

بعد انهيار حكم البعث في ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ ساد جو من الهدوء جبهات القتال وأراد عبدالسلام عارف التقرب من الثورة الكوردية وإيقاف القتال وإرسال رسل ووفود يحملون معهم نوايا الحكومة بإجراء مفاوضات جديدة والتوصل إلى اتفاق يلبي مطاليب الثورة الكوردية، وبعد أخذ ورد كثيرين توصل الجانبان إلى اتفاق وقف إطلاق النار في العاشر من شباط عام ١٩٦٤.

وعلى اثر ذلك بدأت العوائل الملتحقة بالثورة ومناطقها المحررة بالرجوع رويدا رويدا إلى أماكنها الأصلية وقد كنا ضمن الدفعات الأخيرة العائدة إلى كويسنجق في

منتصف نيسان عام ١٩٦٤ وكان الوقت عصرا عندما وصلنا المدينة وتوجهنا إلى منزلنا القديم في محلة بفرقندي الذي عشنا فيه حتى أواخر عام ١٩٥٨ قبل الانتقال إلى المنـزل الجديد الذي بناه الوالد على مساحة قدرها ما يقارب الألفين م٢ وسط بستان ضم أشجار الرمان والتفاح والكروم خارج حدود البلدية آنذاك بجانب منـزل المرحوم كاكه زياد آغا غفوري.. أما لماذا لم نتوجه إلى منـزلنا الحديث وتوجهنا بدلا عنه إلى المنـزل القديم الذي كان قد أجرناه للغير؟ فمرده أنه وقبل عودتنا إلى كويسنجق طرق أسماعنا ما حل بكويسنجق من أهوال ومصائب قلما شهدت مثيلا لها طوال تأريخها حيث أعدم رميا بالرصاص أناس مدنيون وهم مربوطون بالأعمدة الكونكريتية على طرفي الشارع الرئيسي للمدينة لا لذنب اقترفوه بل إمعانا في زرع الرعب في المدينة، ولقد عانت كويسنجق طوال الثمانية أشهر ابتداء من دخول قطعات من الجيش العراقي إليها ولحين الوصول إلى اتفاق لوقف إطلاق النار مع الحكومة العراقية كابوسا أسود حيث جرت الاعتقالات بالجملة وكذلك الإعدامات اليومية وتم نهب المنازل التي كانت عوائلها قد تركت المدينة، وقد كنت متلهفا لرؤية منـزلنا الحديث حيث لم امكث أكثر من ساعة واحدة في المنـزل القديم حتى كانت تنتظرني مفاجأة لن أنساها وهي مشاهدة منـزلنا الحديث حيث تحول بستانه وحديقته الأمامية إلى أرض جرداء إذ لم يبق فيها شجرة واحدة إلا وقد اقتلعت من جذورها وكان منظر المنـزل يوحي بأن الحقد والقساوة قد فعلا فعلهما حيث لم يبق أثر للشبابيك والأبواب ولم تنج قطعة واحدة من أحجار الكاشي المرصوص في أرضية البناء سليمة ولم يبق هناك أثر للتأسيسات الكهربائية والصحية، وأما الحديث عن الأثاث البيتية ومحتويات المنـزل فلربما لن يصدق القارئ إذا قلت بأن المرء لم يكن يصدق بأن ذلك المنـزل كان مسكونا في يوم من الأيام وعندما صعدت إلى غرفتي في الطابق الثاني من المنـزل تراءى أمام عيني مكان المكتبة المتواضعة التي اشتريتها بخمسة دنانير من النجار بكر حمد والتي كنت أعتز بها غاية الاعتزاز منذ أن بدأت رحلتي مع الكتاب في أوائل عام ١٩٦٠ عندما دخلت المرحلة المتوسطة من الدراسة وكذلك مكان جهاز المسجل من نوع (كرونديك) الألماني ذي البكرة المدورة والموضوع على طبلة خشبية بجانب المكتبة وكذلك مكان السرير الحديدي والصور المعلقة على جدران الغرفة وخزانة الملابس

ذات البابين وفجأة تذكرت ألبومي الصور اللذين ضم ما جمعت فيهما من صور الطفولة وصور الفعاليات المدرسية وصور مشاهد من الأعياد حيث كنا معتادين على التقاط الصور في تلك المناسبات، وعندما عرفت مصائرها الفاجعة وأنا أنظر يسارا ويمينا داخل الغرفة أصبت بالذهول ولعنت مع نفسي أعداء الكورد وكوردستان إلى يوم الدين وغادرت المنـزل خائبا ولم أستطع تناول طعام العشاء مساء رغم إلحاح الأهل علي في ذلك، وبعد مرور أحد عشر عاما على ذلك المشهد تذكرت ثانية عندما غادرنا (زوجتي وأنا) غرفة موظف الواردات في وزارة الاقتصاد بمدينة بغداد اثر مراجعتنا للوزارة المذكورة بعد عودتنا مكرهين إلى الوطن بعدما حلت النكسة المشؤومة بالثورة الكوردية اثر اتفاقية الجزائر الخيانية في السادس من آذار عام ١٩٧٥ والتي ساهمت في الإعداد لها أطراف ودول عبر مخطط تآمري قل نظيره في حياة الشعوب وثوراتها على ثورة قومية فتية كان يقودها رجل أصبح أسطورة وهو البارزاني الخالد معتمدا على نفسه وشعبه وجباله أولا والوعود التي أصبحت فخا من قبل كبار أصحاب القرار في إطار (سياسة لا أخلاقية تجاه الكورد) كما اعترف بذلك كيسنجر وزير الخارجية الأمريكية الأسبق بنفسه. ولقد قيل لنا آنذاك بأن (العائدين إلى الصف الوطني) وكانت عبارة قد أطلقت على الملتحقين بالثورة الكوردية عام ١٩٧٤ والذين عادوا إلى العراق بعد النكسة بأن حقوقهم محفوظة وقد صدر قرار بذلك يومذاك من الحكومة بإعادة الممتلكات المنقولة وغير المنقولة لهم مما دفعنا لمراجعة الدائرة المختصة في بغداد وهي مديرية الواردات في وزارة الاقتصاد، وعندما دخلنا غرفة الموظف المعني بذلك شاهدت ثلاثة موظفين جالسين وراء مناضدهم وتوجهنا مباشرة إلى الموظف الجالس في وسط الغرفة والذي كان في العقد الخامس من العمر وكان يضع نظارة طبية على عينيه يوجه الكلام يمينا ويسارا إلى زميليه الموظفين الآخرين ويبدو أنه كان كما ظهر مدير قسم في الدائرة المعنية وبحكم العادة وجهت لهم التحية ولكن لم أحظ بالجواب ودار بيننا الحوار التالي:

مدير القسم: كَول شتريد (أي قل ماذا تريد):

أنا: لقد صدر قرار قبل أيام بإعادة الممتلكات إلى أصحابها من الكورد الملتحقين أثناء القتال وقد راجعك الكثيرون، استلم قسم منهم مفاتيح بيوتهم وقسم آخر منهم استلموا أغراضهم حسب القوائم المعدة من دائرتكم.

مدير القسم: أسمك؟

أنا: ذكرت اسمي وعنواني له

مدير القسم هم بإخراج قائمة من إحدى مجرات منضدته وقبل النظر إليها أشعل سيكارة ونظر إلي وكأنه يريد الانقضاض على فريسة.. ثم قال بتهكم واضح: (جنابك كنت ملتحق بحركة التمرد؟!)..

أنا: حينها غمزت لي زوجتي بطرف من عينيها بإشارة ما معناه بالسيطرة على أعصابي ولقد فعلتها وقلت بكل هدوء.. نعم.

مدير القسم: صحيح كالوا هم نزل هم يدبك على السطح!! وأضاف بقوله: ساكن بغداد، يأخذ راتب من الحكومة معزز مكرم وبعدين يرفع السلاح ضد الحكومة والأفندي جاي اليوم يطلب التعويض يابة وين صايرة؟!

واسترسل صاحبنا في محاضرته الوقحة وكأنه كان أحد قادة المعارك التي دارت من آذار عام ١٩٧٤ إلى آذار عام ١٩٧٥.

هنا تدخل موظف كان جالسا إلى يساره بطريقة مؤدبة جدا وخاطب مدير القسم بقوله: (يا أبا فلان هذا المواطن جاي يستفسر عن مضمون القرار الذي صدر قبل مدة لصالح العائدين إلى الصف الوطني وهذا حق، وعندنا قائمة بالأسماء التي حجزت أموالهم وممتلكاتهم بأمر من الجهات الخاصة وإن إلقاء نظرة على القائمة توصلنا إلى الغرض المطلوب).

مدير القسم مخاطبا زميله الموظف المعني بذلك في الوقت الذي ناوله القائمة المطلوبة قائلا له: (تفضل دور على الاسم). وهنا استلم موظف القسم القائمة وتفحصها وبعد برهة وجيزة خاطبني قائلا: الاسم موجود وأوامر الحجز موجودة أيضا ولكن لا توجد ممتلكات مسجلة باسمك في القوائم المرفقة.

وعندئذ عرفت بأنه لا توجد فائدة من المناقشة معهم وغادرنا غرفة الدائرة المعنية مع زوجتي (أم ريكان) باتجاه الشارع العام وقد اقترحت عليها التوجه إلى كازينو الفرع

الرئيسي لأسواق أورزدي باك في شارع الرشيد ذلك الكازينو الذي كان يحتل الجزء الجنوبي من الطابق الثاني لهذه الأسواق حيث كان يقدم المرطبات للمتسوقين الذين كانوا يفضلون الجلوس فيه بعد الانتهاء من التسوق والتبضع حيث كانوا يتمتعون بمنظر أخاذ جميل بواجهاته الزجاجية الثلاث المطلة على نهر دجلة الذي خاطبها يوما الجواهري الكبير بقصيدة رائعة جاء في مطلعها:

حييت سفحك عن بعد فحييني
يا دجلة الخير يا أم البساتين
حييت سفحك ظمآنا ألوذ به
لوذ الحمائم بين الماء والطين
يا دجلة الخير يا نبعا أفارقه
على الكراهة بين الحين والحين

وكان سبب اختياري التوجه إلى كازينو أورزدي باك هو لأخذ قسط من الراحة النفسية مع زوجتي بعد ضياع ما كنا قد بنيناه منذ عام ١٩٧٣ من أثاث بيتية لترتيب بيت الزوجية بالإضافة إلى المقتنيات الجميلة والتي كنت قد اشتريتها من عواصم بعض البلدان الأوروبية والعربية أثناء سفراتي إلى خارج العراق ضمن الوفود الطلابية أو أثناء عملي الصحافي في جريدة "التآخي" وقد كنت شغوفا بالشراء وهي عادة تلازمني حتى الآن لسوء الحظ.

وعندما أخذنا مكانا في إحدى زوايا الكازينو تذكرنا معا عدد المرات التي كنا نرتاد إلى هذا الكازينو أيام خطوبتنا والتي تكللت بزواج ناجح وتأثيث بيت في شارع ٢٥ بمدينة الضباط جانب الرصافة الملاصقة لمسكن اللواء الركن صالح زكي توفيق ومقابل مسكن العقيد نامق عبدالله حويزي قبل الالتحاق بالثورة الكوردية في آذار عام ١٩٧٤ بمدة شهر ونصف حيث ضاع على أثرها كل ما كنا نمتلكه ولم تنج من ذلك حتى الوثائق الشخصية الرسمية كهويات الأحوال المدنية وشهادات الجنسية العراقية وكذلك ألبومات الصور التي كانت تحوي أجمل الصور لأيام دراستنا الجامعية ببغداد

وسفرات اتحاد طلبة كوردستان وصور النشاطات الطلابية وصور المهرجان العاشر للطلبة والشبيبة المنعقد في برلين صيف عام ١٩٧٣ وأخيرا صور الألبوم الخاص بحفلة زواجنا مما ترك علينا أثرا نفسيا سيئا أتذكره كلما اشتريت بضاعة ثمينة أو التقطت صورا في المناسبات، وقد لاحظت على زوجتي تأثرا بالغا ونحن نتجاذب أطراف الحديث حول ما جرى وخاصة إنها لم تكن راغبة في عودتنا إلى العراق اثر النكسة التي أصابت ثورة أيلول عام ١٩٧٥ (ولقد شرحت أسباب العودة في حلقة من حلقات من الذاكرة)، وحينئذ انتبهت إلى الحالة وقلت في نفسي هل يستحق ضياع ممتلكات الفرد التأثير على المعنويات وخاصة ونحن خسرنا ثورة دام عمرها أربعة عشر عاما بفعل مؤامرة إقليمية ودولية دنيئة وإن خسارتنا لممتلكات بيتية مهما غلا ثمنها لا تساوي قطرة دم صغيرة من دم ثائر كوردي ضحى بها من أجل سعادة شعبه وحرية وطنه وعندها استعدت العافية وقلت لزوجتي (سنكوّن أنفسنا من جديد) وذكرتها بشطر بيت من قصيدة للشاعر التركي الراحل ناظم حكت عندما كان قابعا في السجن مخاطبا زوجته (منور) بقوله: (ان أجمل الأيام لم تأت بعد!).

وبعد أيام عدنا إلى مدينتي كويسنجق حيث نصحني المرحوم والدي بالاستقرار فيها وخصص لنا دارا مستقلة قريبة من داره وفي نفس الشارع من الدور التي كان يمتلكها وبدأ مشوارنا الثالث من ذلك الحين لتكوين البيت مجددا والمكتبة الشخصية وفضلنا الانزواء في كويسنجق بعيدا عن الأضواء وقلما كنا نغادرها إلا في المناسبات الاجتماعية أو زيارة الأصدقاء المخلصين الأوفياء ونشغل أنفسنا بقراءة الكتب والمجلات والجرائد والاهتمام بالحديقة المنزلية وسماع نشرات الأخبار حتى ساعة متأخرة من الليل ورعاية أبننا ريكان وابنتنا لانه، واستمرت هذه الحالة قرابة ستة عشر عاما إلى أن حدثت الانتفاضة المباركة عام ١٩٩١ وعلى أثرها انخرطت مرة أخرى في صفوف البارتي والذي لم يكن بعيدا عن وجداني ومشاعري وسلوكي يوما من الأيام منذ ثلاثة عقود ونصف، وشرفتني قيادة الحزب الديمقراطي الكوردستاني بعد الانتهاء من المؤتمر الحادي عشر والذي كنت فيه مندوبا ضمن مرشحي مدينة كويسنجق بمسؤولية رئاسة تحرير جريدة (برايه تى) اليومية الكوردية في ١٩٩٣/١٠/٢٦ وانتقلت بحكم تولي هذه المسؤولية إلى أربيل عاصمة إقليم كوردستان

واتخذنا من بناية ملاصقة لمبنى الجريدة بيتا لنا حاملين ما كنا كوناه من الأثاث البيتية والمكتبة طيلة تلك المدة التي أعقبت النكسة عام ١٩٧٥ في كويسنجق ولم يمر بخلدنا بأننا سنتعرض مرة أخرى وعلى يد أبناء جلدتنا إلى عمليات النهب والسطو مما كان وقعها أقسى وأصعب في نفوسنا، فقد كان الجهود تنصب في خانة عدم تعرض مدينة أربيل لأية هزة بسبب ما تعرضت لها مناطق السليمانية وبعض من أقضية محافظة كركوك ومدينة كويسنجق في الجولة الثانية من الاقتتال الداخلي المؤسف بعد فترة من الهدوء النسبي ولكن ومع بداية الشهر الأخير من عام ١٩٩٤ تلبدت سماء كوردستان ثانية بغيوم الاقتتال وكنا في جريدة (برايه تى) نحاول قدر الإمكان تهدئة الأوضاع.

وحسب توجيهات قيادة البارتي وإبراز أخبار المحاولات والجهود السلمية التي كانت تبذل هنا وهناك أملا في الوصول إلى نتيجة ترضي الطرفين ولكن (تجري الرياح بما لا تشتهي السفن) كما يقال ولكن مع هذا كنا متفائلين بأن العاصمة أربيل ستكون في مأمن من أي تطاول عليها ولم نكن نتصور ان الحقد سيطال مقدسات شعبنا وستكون أربيل هدفا للجولة الثانية من هذا الاقتتال الداخلي، لكن ومع هذا نظمنا الخفارات الليلية لمنتسبي الجريدة لمتابعة أخبار المساعي الخيرة وجهود أعضاء البرلمان المعتصمين في بناية برلمان كوردستان والبالغ عددهم (٥٩) عضوا من أصل (١٠٥) أعضاء لمنع تطور الأحداث نحو الأسوأ.. وفي صباح يوم ٢٥ كانون الأول ١٩٩٤ وبينما كنت في مكتبي بمبنى الجريدة ومعي الزميل مدير التحرير وإذا بسائق سيارة توزيع الجريدة لمدينة أربيل يدخل إلى مكتبي لاهثا وعرفت منه بأن النسخ المطبوعة من العدد الصادر من جريدة (برايه تى) والذي يحمل الرقم _٢١١٥) في ١٩٩٤/١٢/٢٥ قد تعرضت للحرق علنا بعد أن تم اقتياد سيارة الجريدة مع سائقها من قبل مسلحين إلى قبالة بناية (مصرف الإقليم) القريب من جامع شيخ جولي آنذاك ومن ثم نقلت رزم الجريدة والبالغة (١٥٠٠) نسخة إلى وسط الشارع وأشعلت النيران فيها دون أي وازع من ضمير لحرمة الصحافة والرأي العام، ثم تمت السيطرة على السيارة وأخذت إلى مكان مجهول دون العثور عليها حتى الآن وقد استطاع سائقها الهرب والوصول إلى مبنى الجريدة وفي خطوة سريعة اجتمعت هيئة تحرير الجريدة وأسرتها للتداول بشأن

ذلك العمل اللاحضاري وتقرر في حينها إصدار الطبعة الثانية في خطوة تعد الأولى من نوعها في تاريخ الصحافة الكوردية وتم إنجاز ما عقدنا العزم عليه ولكن ومع تلك المأساة لم تنجر هيئة التحرير إلى مواقف متشنجة بل استمرت وفق نهجها السابق، إذ حمل العدد الصادر أي بعد أيام من تلكم المأساة أكبر مانشيت صحفي في عمر الصحافة الكوردية تحت عنوان (تم إيقاف حرب اقتتال الإخوة) ولكنه تبين إننا كنا في وادي وإرادة الشر في وادي آخر، إذ تطورت الأحداث نحو الأسوأ ساعة بعد أخرى وكنا نعاني من توزيع الجريدة يوميا نظرا لكثرة نقاط السيطرة وانتشار المسلحين هنا وهناك.. وفي عصر يوم ١٩٩٤/١٢/٢٩ علمت بأن مسلحي الطرف الآخر سيطروا على مطبعة جريدة (برايه تى) و(خه بات) والتي تعود ملكيتها إلى وزارة التربية في حكومة إقليم كوردستان وقاموا بطرد الفنيين منها واستولوا على كميات كبيرة من مستلزمات طبع الجريدتين والتي كانت تقدر بعشرات الآلاف من الدنانير، وبعد هذا الحدث بساعة واحدة قطعوا جميع وسائل اتصالاتنا مع عالم خارج مبنى جريدتي (برايه تى) و(خه بات) من هواتف وأجهزة الفاكس الداخلي وأصبحنا في دائرة ضيقة من الحصار العسكري وبنتيجتها اضطر عدد من العاملين إلى مغادرة مبنى الجريدتين مضطرين خوفا على عوائلهم في تلك الأيام العصيبة، حيث لم تكن لغير لغة البنادق وسيلة أخرى للتفاهم في أربيل آنذاك، وتعطل الدوام الرسمي في الدوائر وحرم الطلاب من الذهاب إلى مدارسهم وشرع أصحاب الدكاكين ومحلات التجارة والمطاعم وباعة المفرد بنقل موجودات محلاتهم ودكاكينهم إلى بيوتهم خوفا من النهب والسلب بعد انفلات الأمن الذي شهدته المدينة في ليلة ٢٩-١٩٩٤/١٢/٣٠ وسهرنا مع الزملاء العاملين في (برايه تى) داخل مكتبي لإصدار عدد اليوم التالي من الجريدة إذ كان يحدونا الأمل بالانفراج في آخر لحظة وكانت شاشة التلفزيون هي المصدر الوحيد لمتابعة الأخبار، وعندما قاربت الساعة الواحدة والنصف بعد منتصف الليل وبعد أن دخل اليأس إلى قلوبنا قطعنا الأمل بانفراج وشيك واتفقت مع الزميلين ظاهر روزبياني نائب رئيس التحرير وشه مال الحويزي عضو هيئة التحرير إلى المبيت في داري الملاصقة لمبنى الجريدة إذ كنت معتادا في تلك الأيام الذهاب والإياب من الدار إلى مبنى الجريدة وبالعكس عن طريق يشبه جسرا حديديا طوله متران يربط سطح مبنى الجريدة في الجانب الخلفي

مع داري وكان السكون لحظتها مخيما على مدينة أربيل باستثناء سماع إطلاق العيارات النارية هنا وهناك وقد كنا غافلين عما يجري من حولنا من أحداث.

في الساعة الخامسة والنصف من صباح يوم ١٩٩٤/١٢/٣٠ أيقظتنا أصوات المدافع والرشاشات القريبة، وقد كنا نعيش لحظات وكأننا داخل حصار مطوق ولم يكن معنا غير بندقية كلاشنكوف عائدة لحارس مبنى الجريدة وشعرت بإحساس بأن الخطر محدق بنا وفكرت في عائلتي المتكونة من زوجتي وابني وابنتي وقد قلت مع نفسي ماذا أفعل؟ لأن داري كانت مستهدفة كونها ملاصقة لمبنى الجريدة، وقررت على عجل العمل لإنقاذهم مهما كلف الأمر دون زرع الخوف لديهم لأنني وفي الأيام السابقة منها كنت متفائلا إلى درجة عندما زارتنا عمتي قادمة من كويسنجق حيث نصحتنا باتخاذ الحيطة والحذر ونقل قسم من الأثاث البيتية وألبومات الصور ومخطوطة ديوان قصائد والدي إلى مكان أكثر أمانا، وقد ثرت بوجهها وعاتبتها على تشاؤمها، وقالت لي كلاما حينها تذكرته في تلك اللحظات وأنا أودع أفراد عائلتي من الباب الخلفي للدار والطلقات النارية كانت تتسابق في سماء المنطقة وأقوال عمتي كانت ترن في أذني (الحرب لن ترحم النوايا الحسنة كن حذرا يا فرهاد وأرحم عائلتك) وعندما ودعت أفراد العائلة المتوجهين إلى بيت أحد الأقرباء من خلال الشوارع الخلفية والفرعية خلف بناية الجريدة تنفست الصعداء ورجعت إلى حيث زملائي الذين كانوا في داخل الدار وتوجهنا إلى مبنى الجريدة حيث كان عدد من العاملين ينتظرون قراري وخلال ربع ساعة تداركنا الأمر وتوجه الباقون صوب الشارع الخلفي وعلى انفراد في طريقهم إلى حيث مناطق سكناهم ولم يبق معنا سوى أربعة من المقاتلين من حراس مبنى الجريدة الذين أقسموا أن يدافعوا عن المبنى حتى آخر قطرة من دمائهم، وفي الساعة الحادية عشرة لم يبق لنا مجال للبقاء أكثر إذ انسحب الحراس المذكورون إلى مبنى مديرية زراعة أربيل القريب من مبنى الجريدة والمتميز بموقعه الاستراتيجي ومع هذا لم يكن بمقدورهم منع الآخرين من استهداف مبنى الجريدة من الرمي المتقطع من الجهات الثلاث ثم فضلنا التوجه إلى مبنى فندق شيراتون-أربيل الذي اتخذته مؤسسة (كولان) الثقافية والإعلامية مقرا لها في وقت سابق وقبل عام تقريبا وقد كان محصنا لموقعه الاستراتيجي ولقربه من بناية مقر الفرع الثاني للحزب الديمقراطي الكوردستاني

وانسحبنا أيضا عن طريق الشوارع الفرعية خلف الجريدة، وعندما دخلنا المبنى (مبنى شيراتون) أنا ونائب رئيس التحرير ومصور الجريدة محي الدين عزيز وجدنا حركة غير اعتيادية للمقاتلين البيشمركَه الموجودين داخل وخارج مبنى شيراتون حيث كانوا منهمكين في تحضيرات الدفاع عن الشيراتون ودخلنا نحن الثلاثة إلى الطابق الأرضي الذي يسمى بالسرداب حيث كان يتواجد فيه الكادر الإعلامي لمؤسسة (كَولان) مع أجهزة البث الإذاعية والتلفزيونية واضعين أنفسنا في خدمة إعلام مؤسسة (كَولان) التي كانت وما تزال يحسب لها حساب من قبل أصدقائها وخصومها، وقضينا يومنا الأول في ذلك السرداب منشغلين بالكتابة وإعداد النداءات المطلوبة بما ينسجم مع الموقف آنذاك مسترشدين بتوجيهات الأستاذ محمد ملا قادر عضو اللجنة المركزية الذي كان متواجدا معنا في ذلك الوقت، وعندما بلغت الساعة الخامسة عصرا استؤنف تراشق النيران من جديد وأصبح مبنى الشيراتون ومبنى الفرع الثاني للحزب هدفين مركزيين للمهاجمين، وازدادت كثافة النيران مع اشتداد الظلام وقد كنا نخرج من السرداب بين حين وآخر إلى الطوابق الأخرى لنرى عن كثب ماذا كان يجري في الخارج، وفي إحدى المرات وقعت عيناي على آمر القوة العسكرية الذي كان مكلفا بمسؤولية حماية مبنى الشيراتون وهو الأخ المناضل (جمال مورتكه) حيث وجدته رابط الجأش إلى آخر درجة واثقا بالنفس هادئا وممسكا بقوة بزمام الأمور يوجه تعليماته إلى المقاتلين البيشمركَه كأي قائد عسكري محترف في ميادين القتال دون أن ينتابه الإرباك في الوقت الذي كان المدافع من عيار (١٠٦ملم) تقصف المبنى وعندما لمحنا استغرب من وجودنا في ذلك المكان ورحب بنا كثيرا ونصحنا بأن نبتعد عن واجهات النوافذ والأماكن المكشوفة لكي لا نتعرض إلى مكروه وقال لنا بالحرف الواحد: (حرام أن يصاب أحد منكم، لأن الكادر الإعلامي لن يعد بسهولة وأنتم أعزاء علينا).

وقضينا الليلة الأولى بعد انتهاء البث التلفزيوني والإذاعي في إحدى غرف الطابق الخامس المحصنة مع بعض الإخوة المتواجدين معنا، وفي الصباح الباكر كان آخر يوم في عام ١٩٩٤ استيقظنا على عجل على أصوات رشقات كثيفة من النيران وبمختلف الأسلحة الموجهة للمبنى من كافة الجوانب، ودار بخاطري ما كان يجري في تلك الأثناء في أرجاء المعمورة من تحضيرات للساعات المتبقية من آخر نهار لعام يمضي وآخر

يأتي يستقبله الناس بفرح غامر على أمل أن يكون العام القادم أكثر سعادة للبشرية من العام الذي سبقه.

وولت ساعات النهار واحدة تلو الأخرى بتثاقل كبير وربما كانت الحالة النفسية ذات أثر كبير على ما كنا فيه حيث أصبحنا شبه محاصرين داخل مبنى الشيراتون والذي كان من المؤمل أن يكون واجهة سياحية بطوابقه المتعددة وموقعه المتميز وسط العاصمة أربيل بدلا من أن يكون هدفا لإطلاقات المدافع ومهارة القناصين من حملة البنادق ومجامع من الغوغاء والرعاع الذين لا هم لهم غير الانتظار لحين استكمال الفرصة السانحة للانقضاض على الفريسة ونهب ما يستطيعون حمله من ممتلكات، وعندما خيم الظلام على المدينة لم يبق أي أثر للنور حيث قطعت أسلاك التيار الكهربائي بفعل القصف المركز ولكن أجهزة البث الإذاعي والتلفزيوني لمؤسسة (كولان) بقيت على عملها بفعل وفضل المولدة الكهربائية التي كانت موجودة في سرداب البناية وقد كنا موجودين فيه مع العاملين نتفرج عن طريق القنوات التلفزيونية الأجنبية على ما كان يجري في مدن وعواصم العالم من احتفالات بهيجة احتفاء بقدوم أول إشارة للعام الجديد، ولم يكن يدر بخلدي أو ربما لم أكن أتوقع بأن زوار الظلام في تلك اللحظات يجوبون غرف داري مستعينين بنور حرق الكتب ليبصروا أمامهم وسرقة ما غلا ثمنه وما خف وزنه ثم ومع تباشير الفجر الأولى شرعوا بنقل ما استطاعوا نقله بواسطة سيارتين من نوع لادا وبيك آب تويوتا كما أخبرني ذلك أحد الجيران من شهود العيان.

ومع الساعات الأولى من صباح أول أيام عام ١٩٩٥ هدأت أصوات الرمي وتنفسنا الصعداء على أمل أن يكون العام الجديد قد جلب معه نوعا من الغيرة على التجربة الكوردستانية وإنقاذ ما يمكن إنقاذه، ولكن بعد مرور ساعة من الزمن عادت إرادة البنادق إلى نشاطها من جديد بكثافة أكبر واستمرت حتى حلول الظلام من جديد بعد انقضاء اليوم الأول من العام الجديد وحينها تقرر أن نتجه نحن المدنيين إلى بناية مقر الحزب الشيوعي الكوردستاني الذي كان يفصله مع مبنى الشيراتون شارع عريض حيث توجه قبلي إلى هناك جميع زملائي مخاطرين بأنفسهم، وعندما حان دوري وبعد إلحاح الحريصين على بقائنا على قيد الحياة رضخت لنصائحهم واستعدت لمغادرة

مبنى الشيراتون تاركاً ورائي أبطاله الميامين الذين سطروا أروع آيات الصمود والبسالة مدة اسبوعين بأيامها ولياليها، وعندما عبرت الشارع تحت جنح الظلام كان رذاذ المطر يلامس وجهي والعيارات النارية كانت تتشابك في سماء المنطقة وبلحظة خاطفة عبرت الشارع راكضا ووصلت سياج مقر الحزب الشيوعي حيث كان زملائي قد استقروا فيه قبلي، وبعد وصولي إلى هناك تعرف الإخوة المسؤولين من الشيوعيين في البناية على هويتي وهوية الزملاء الآخرين حيث استضافونا في غرفة غير مفروشة كانت توجد فيها منضدة حديدية وأربعة كراسي حديدية ومدفأة نفطية من نوع علاء الدين وجهاز هاتف، وعندما عرف الإخوة هناك بأننا لم نذق طعام الغداء والعشاء أحضروا لنا عددا من أرغفة الخبز المقلي بالدهن (ناوساجي) وبعد تناولنا وجبة العشاء الشهية راودتني فكرة الاتصال بالعائلة للاطمئنان عليهم وإخبارهم بما جرى وبعد ذهاب زملائي إلى الغرف الأخرى لمعرفة مصير الأصدقاء والمعارف من المتواجدين في ذلك المقر، أمسكت بساعة التلفون وأدرجت أرقام مسكن قريبي الذين آويت إليهم عائلتي، رفعت السماعة من الطرف الآخر ابنتي لانه التي كانت تترقب منذ يومين مكالمة مني ودار بننا الحوار التالي:

لانه: الو

أنا: الو يا لانه كيف الحال؟

لانه: (هنا صاحت بأعلى صوتها.. بابا) ولم تستطع إكمال الجملة لفرط تأثرها وقد كانت والدتها بجانبها حيث أخذت السماعة في يدها.

أم لانه: الحمد لله يا فرهاد كيف حالكم، ونحن منذ مفارقتنا لك ووصولنا إلى بيت الأقرباء نفكر بكم وأصبحنا قلقين حيث لا نعرف مصيركم والأنباء متضاربة وسمعنا عصر هذا اليوم بأنكم معتقلون لدى الطرف الآخر.

أنا: يا رفيقتي العزيزة أنا سالم وأصدقائي بخير فنحن الآن في مكان آمن للغاية اطمئنوا.

أم لانه: أين هذا المكان؟

لم استطع إخبارها بأننا كنا في مقر الحزب الشيوعي لأسباب احترازية وقلت لها لا استطيع البوح بموقع وجودي وكوني على ثقة بأننا الآن في مكان آمن بعد انتقالنا إليه

من مبنى شيراتون ونحظى بالاحترام من قبل الإخوة هنا، وكعادة زوجتي فإنها وما تزال تثق بكلامي مما ساعدني على طمأنتها حول وجودنا في مكان آمن، وكانت ابنتي لانه بعد ان استجمعت شجاعتها كنت أسمع محاولتها لأخذ سماعة الهاتف من والدتها لتواصل الحديث معي.

لانه: بابا لماذا وصلت الأمور إلى هذه الحالة؟

أنا: سأخبرك يا لانه الحكاية بالتفصيل عند استتباب الأمور.

لانه: خنقتها العبارات من جديد ولكنها بعد لحظات عادت إلى الكلام وقالت لي: (هل يتعرض بيوت حراس كوردستان إلى النهب والسرقة على يد الكورد؟) وبسرعة خاطفة تذكرت ما كنت أبذله من جهد عندما كانت لانه في الصف الأول الابتدائي وكذلك حال شقيقها ريكان بتعليمهما حفظ القصائد الوطنية في سنوات المحنة (١٩٨٠-١٩٩٨) للشعراء دلدار ودلزار وبيكه س حول الكورد وكوردستان، وكنت أشرح لهما ما معنى كوردستان؟ وماذا يعني الدفاع عنها لخلق وترسيخ حصانة وطنية داخلية لهم في زمن ما قبل الانتفاضة المباركة عندما كانت السلطة المركزية تقوم بعملية كبيرة لغسل دماغ الأطفال في المدارس فكريا لمقولة صدام حسين (علينا بتطويق الكبار عن طريق الصغار).

أنا: الحراس الفعليون هم الذين يتعرضون إلى أسوأ المصائر ولكن ليس على يد أبناء الكورد بل على يد أعدائهم ولكن ما جرى كان غلطة كبيرة يحاسبهم التاريخ على ذلك.

لانه: متى؟

أنا: آجلا أم عاجلا.

لانه: ماذا حل بألبومات صورنا (وعرفت فيما بعد أنهم عرفوا بنهب دارنا من قبل مسلحي الطرف الآخر).

أنا: سنلتقط صورا جميلة أخرى بإذن الله.

لانه: وشهاداتنا المدرسية (وقد كنت احتفظ بشهاداتهم بين طيات سجل منظم حسب السنين مع صورة جديدة في كل عام عندما كانوا يستلمون شهادتهم بتفوق).

أنا: سنحصل على أخرى جديدة من إدارات مدارسكم.

لانه: ما هو عقاب اللصوص؟

أنا: هذا من إرادة الله سبحانه عز وجل.

لانه: متى؟

أنا: في الدنيا وفي الآخرة.

ولم أتحمل أكثر من توجيه هذه الأسئلة المليئة بالبراءة والصدق من طفلة لم تتجاوز الثانية عشرة من العمر وفي الصف السادس الابتدائي تعرضت إلى هذه الحالة النفسية القاسية بفعل ما تعرضت لها العائلة وممتلكاتها وفقدانها هي ألبومات صورها الشخصية وشهاداتها المدرسية ولعبها وأجواء غرفتها ولم تكن تدرك معنى الصراع الذي كان يدور قبل ولادتها بسنين واستمر وطال ووصل إلى يوم تعرضت فيها صور وشهادات لانه المولودة صيف عام ١٩٨٣ إلى الضياع وبغير رجعة في زمن ما بعد الانتفاضة بأعوام ثلاثة وتدرك الآن ماذا حل بأشيائها الشخصية وإلى أين ذهبت، كما تدرك أيضا ما حل بالعائلة عام ١٩٧٤ وعام ١٩٦٣ من فقدان ممتلكات وضياع سنوات الدراسة ويقينا تعرف الآن ما حل بممتلكات وأموال وكتب جدها المرحوم (عوني) في كويسنجق حيث غنى لكوردستان وشعبها عبر قصائده القومية منذ بداية الثلاثينات وحتى يوم رحيله في ١٩٩٢/٧/٢٠ وتدرك أيضا كما يدرك الكبار في كويسنجق ماذا حلت بممتلكات جدها المرحوم من دكاكين وشقق ودور سكنية تمت بنائها بمبالغ من عرق الجبين وعصارة جهد دام أكثر من نصف قرن تم الاستيلاء عليها بعد السيطرة على كويسنجق أثناء القتال الداخلي بدون مبرر كما لم يكن هناك مبرر قانوني بسحب مبالغ مودعة يعود إلى مودعيه لدى محكمة كويسنجق كسابقة لم تحدث قبلها مطلقا وجرحت مشاعرها عندما علمت بخبر الاستيلاء على سيارة جدها التي كانت تأمل أن تبقى تذكارا في الكراج وإنني واثق بأنها لم تتألم عندما أخذوا سيارتهم (سيارة العائلة من نوع برازيلي بيضاء اللون موديل ١٩٨٣) مع الأثاث البيتية عشية الاحتفال برأس السنة الميلادية وتدرك ماذا حلت بجدتها عندما شن مسلحون في الذكرى الثالثة لوفاة جدها (عوني) منزل العائلة الكبير في كويسنجق في ١٩٩٥/٧/٢٠ لإرغام الجدة التي كانت (في السادسة والسبعين من العمر) آنذاك وعمة والدها التي كانت تبلغ يومذاك (الخامسة والستين من العمر) وعمتها المعلمة بترك المنزل ومغادرة كويسنجق وإلا

ستحصدهن نيران رشاشاتهم لا لشيء إلا لكونهن قد تربين في أحضانهن أفراد كانوا وما زالوا ينتمون إلى مدرسة البارزاني الخالد، تلك المدرسة التي استلهمت منها العديد من الأجيال وفي كافة أجزاء كوردستان دروس الوطنية الحقة.

ربيع عام ١٩٩٤، مكتب جريدة برايتي المؤلف يتوسط الرئيس مسعود البارزاني
وجوهر نامق سالم رئيس برلمان كوردستان

مكتب جريدة برايتي عام ١٩٩٤، الرئيس مسعود البارزاني يطلع على بعض من الصور
النادرة للبارزاني الخالد التي كانت لدى المؤلف

في باحة مؤسسة براتي وخبات الصحفية الرئيس مسعود البارزاني،

المؤلف، رئيس برلمان كوردستان سابقا جوهر نامق سالم في ربيع عام ١٩٧٤

كويسنجق عام ١٩٦٢ حديقة دار عائلة المؤلف

الذي تعرض للنهب والحرق في حزيران عام ١٩٦٣

الواقفون/ من اليسار المرحوم محمد مولود سبيلكي، المؤلف

الجالسون/ من اليسار خسرو عوني، المرحوم عبدالكريم محمد

مسكن المؤلف الذي تم نهب محتوياته ليلة رأس السنة عام ١٩٩٥

الواجهة الخلفية لمسكن المؤلف المطلة على بناية جريدة (برايتي) عام ١٩٩٤–١٩٩٥

صورة عائلية للمؤلف من اليمين فرهاد عوني وعلى يساره زوجته بروين وابنه ريكان

من اليسار لانه–ريكان–بروين عائلة المؤلف

رحلة في ذاكرة عبدالله زيباري (*)

ليس هناك منظر أجمل وأبهى يترائى أمام العين عندما يقترب المرء من مشارف مدينة السليمانية من اتجاه مدينة كركوك ولا سيما عند إطلالة شهر آذار حيث تتصارع بقايا الثلوج المتبقية في أعالي جبل بيرة مكرون، الشامخ مع أشعة الشمس التي تبدأ بعنفوان أكبر عند الشروق بعد أن كانت حتى شهور خلت غير قادرة على الصمود أمام موجات البرد التي يصاحبها نزول كميات من الثلوج وهي تغطي مساحات شاسعة وبكثافة كبيرة، ولكنها وبفعل قانون الطبيعة تبدأ بالذوبان وتتحول إلى جداول وتتعرج هنا وهناك وتتجه نحو الانحدارات بتناسق جميل أو كما يصف الشاعر الكبير أحمد شوقي منظرا مشابها من ربوع لبنان بأبيات من قصيدة رائعة يقول فيها واصفاً مثل ذلك المنظر:

حلو التسلسل موجه وخريره

كأنامل مرت على أوتار

وقد كنا مأخوذين بهذا المنظر الرائع ونحن عند مشارف مدينة السليمانية في ذلك الموسم الجميل من ربيع عام ١٩٧١ ضمن جولة جديدة لتفقد فرعيّ اتحاد طلبة كوردستان في كل من كركوك والسليمانية. وعند وصولنا إليها توجهنا مباشرةً إلى مقر اتحاد طلبة كوردستان الكائن آنذاك في شارع نوروز مقابل مصرف الرافدين. وقد كان المقر مرتباً ومزدحماً بأعضاء الاتحاد من طلبة الثانويات وطلاب وطالبات جامعة السليمانية وبعد إنجاز جزء من مهامنا في اليوم الأول للزيارة تجولنا في غرف المقر ولفتت نظري غرفة مخصصة للكتب كانت عبارة عن مكتبة خشبية ذات رفوف وبضعة كراسي ومنضدة مستطيلة من نوع فورميكا ومن باب الفضول مددت يدي إلى

(*) نشر في مجلة (كولان العربي) العدد ٤٢ في تشرين الثاني ١٩٩٩.

أحد رفوف المكتبة لتفحص عناوين الكتب الموجودة فيها وعند تفحص الأغلفة الداخلية لبعض منها جلبت انتباهي عبارة مدونة هي: (هديتي إلى مكتبة اتحاد طلبة كوردستان ـ فرع السليمانية وموقعه من قبل عبدالله زيباري) وعند استفساري من الأخ هيوا جلال حمدي مسؤول الفرع آنذاك عمن يكون عبدالله زيباري الذي كان قد أهدى هذه المجموعة من الكتب لهم، أعلمني بأن الأستاذ عبدالله زيباري هو أحد مدرسي مادة اللغة العربية في إحدى ثانويات السليمانية وهو مناضل قديم وعضو في صفوف البارتي ومربي فاضل ومخلص لواجباته إلى أبعد حدود.. .

وبقى اسم الرجل محفوراً في ذاكرتي ولم ألتق به إلا بعد سنوات حيث صادفته أيام الالتحاق الجماعي لأبناء شعب كوردستان بالثورة الكوردية في آذار عام ١٩٧٤ عندما تراجعت الحكومة العراقية عن تنفيذ بنود اتفاقية ١١/آذار/١٩٧٠ حيث تولى هو وظيفة نائب رئيس محكمة التمييز الشرعية في الأمانة العامة للأوقاف التي كان يترأسها الشهيد صالح اليوسفي في المناطق المحررة آنذاك.

ربما يتسائل المرء عن سبب الاهتمام بسيرة إنسان لم يشغل خلال حياته موقعاً قيادياً في الحياة السياسية وهو ما يزال على قيد الحياة (أطال الله في عمره)؟ وهل أن مرد البحث عن ذلك يعود إلى رغبة الكاتب في إشغال نفسه بهذه المواضيع من باب الفضول الصحفي أو ما شابه ذلك؟ وأسئلة أخرى ربما تدور في مخيلتنا والإجابة على كل ذلك تقتصر في نقطتين لا ثالث لهما، فأولهما إن الذي لا يعتمد على التأريخ لا يفهم الحاضر ولا يستطيع السير بخطوات نحو المستقبل والثانية أن ما نراه اليوم وما ننعم به في ظل هذه التجربة الكوردستانية وما كنا نحلم به في سنوات المحن والشدة وهي ثمرة كفاح ونضال وتعب وتضحية كل أولئك الذين ساهموا بقسط معين من الكفاح الشاق والطويل في مسيرة شعب كوردستان عبر مراحلها التراجيدية بقناعة كاملة حالمين برومانسية شفافة بمستقبل شعبهم ووطنهم الغالي دون أن يفكروا يوماً ما بمردود أتعابهم وتضحياتهم وتفانيهم اللامحدود من أجل حرية الوطن وسعادة شعبه وكأنهم دراويش حلقات الذكر عندما تشتد الحمية في قراءة التراتيل الدينية ومنها حالات تضحية ذلك الفلاح في أعالي جبل مَتين بجزء من غلته تبرعاً للمقاتلين البيشمركه في السنوات الأولى من عمر الثورة الكوردية حيث لم يكن للثورة خزين يوم

واحد من الخبز، وحالة الطالب الذي كان يواصل دراسته في ثانوية سنجار في الجزء الأبعد من غرب كوردستان حيث يفصل بينه وبين الثورة الكوردية نهر دجلة ومساحات شاسعة من السهول ولم يكن يتطرق إلى سمعه إلا شذرات من الأخبار وإذا به يبالغ في تضخيمها فينظم بها حلقات من الطلاب ويجعلهم على أهبة الاستعداد للانخراط في صفوف تلك الثورة البعيدة عنهم جغرافياً وقد أصبحت حاضرة في وجدانهم، وكذلك حالة عامل البناء في قلعة دزه والذي لم يكن يحلم بشيء سوى سد رمق عيش أفراد عائلته وهو بكامل قناعته كان يتبرع بأجر يوم كمال في عز الشتاء أو تحت حرارة الشمس اللاهبة وكان تبرعه عبارة عن مبلغ لا يتجاوز ربع دينار لخليته الحزبية واثقاً بأن ذلك المبلغ كان يشكل مع مبالغ أقرانه المتبرعين ما يسهم في شراء العتاد وتمشية أمور الثورة، وكذلك حالة اندفاع شباب السليمانية الذين لم يكن يعتريهم الخوف يوماً في مقارعة أزلام النظام وهم عزل السلاح وكذلك حالة العضو الحزبي من مناضلي كركوك الذي كان يوزع المناشير ليلاً في أزقة أحياء شورجة، وشاطرلو وقورية وأخي حسين وإمام قاسم إضافةً إلى حالة فلاح في سهل أربيل كان قد ترك عائلته دون معيل ليلتحق بالثورة وهو نصف حافي وكذلك حالة أفراد الشرطة الذين كانوا يؤججون الروح الثورية وهم يلتحقون بالثورة أفراداً وجماعات ببنادقهم الإنكليزية القديمة دون أن يفكروا بأن التحاقهم قد ينعم عليهم خيطاً إضافياً على الأذرع للترفيع مستقبلاً في الوقت الذي كان للبندقية احترامها ووقارها!

وقد لعب الجنود المجهولون في أقصى مناطق مندلي وخانقين وعبر كَرميان وكويسنجق وحتى القرى النائية في زاخو والعمادية من طلبة ومعلمين ومدرسين وتجار وكسبة وفلاحين وعمالة ونساء وكذلك جنود وضباط صف وضباط من الرتب المختلفة أدواراً مشرفة عبر تلك المسيرة التي دامت عقوداً من الزمن مسترشدين بالنداء الوجداني الذي ألهب مشاعرهم ودفعهم للانخراط في صفوف البارتي، الحامل للواء القومية يقوده مناضل أصبح أسمه نبراساً لكل أولئك الذين كانوا يحلمون قبل نصف قرن وحتى يومنا هذا بأن يتبوأ شعب كوردستان مكانته المرموقة.

يقال عن نابليون بونابرت عندما أصبح إمبراطوراً أنه كان ذات يومٍ يتجول بالعربة ذات الحصانين في شوارع باريس ولمح من بعيد شيخاً طاعناً في السن فأمر الحوذي

بالاقتراب من الرجل وعندما وصله ترجل نابليون من العربة وسلم على الرجل وأكرمه وعندما سُئل نابليون عن الرجل قال لهم (كان الرجل معلمي في صغري وقد علمني القراءة وأصول التربية ولن أنسى فضله ما حييت) ولقد كان باستطاعة نابليون وهو يتربع على عرش إمبراطورية وقد مرت بحياته المئات بل الألوف من الأشخاص وربما أكثر من ذلك أن لا ينسى شيئين في حياته أولهما الوفاء لمن علمه الدروس الأولى في التربية وثانيهما عندما أوصى وهو قابع في جزيرة (سانت هيلانه) أسيراً وكسيراً بعد أن عاش حياة مليئة بالأحداث الجسام أن يدفن بجوار نهر السين الذي أحبه كثيراً لكي يبقى عندما ينقل إلى العالم الآخر بالقرب منه وفاءً للنهر الذي زاد في اشراقة باريس الجميلة وعرفاناً للمياه المنسابة التي روت ظمأ نابليون في صغره عندما كان صبياً وكبر معها وتلذذ بعذوبتها وجمالها الساحر، وأخيراً فضل أن يبقى بجوار السين في رقدته الأبدية وهكذا يعلمنا نابليون درساً في الوفاء لمعلمه الأول ولنهر السين فكيف لا نتعلم ونحن أحوج لهذه الدروس في هذا الزمن الرديء المليء بقصص وروايات إنكار جهود الآخرين ونسيان معلمينا الأوائل الذين تربت أجيال بكاملها على أيديهم وهم عزل من مصادر القوة والجاه المادي ماعدا إيمانهم بقضية شعبهم وحبهم لوطنهم الذي مزقه الأعداء والأشرار على مرأى ومسمع من أبنائه ولم يبق أمامهم إلا الانخراط في صفوف مسيرة الكفاح والنضال نحو هدف لم يكن قريب المنال وعندما يستذكر بعض هؤلاء السادة الأيام الخوالي أمامك ستصاب بالحزن وأي حزن! والجواب أنه حزن ولكن ليس من نوع الحزن العذب وإنما حزن يصاحبه الغثيان لنسياننا دور الرواد الأوائل والرعيل المقدام من المحاربين والمناضلين الذين لا يطلبون شيئاً ولا يحملوننا مالا طاقة لنا بها وجل أمانيهم استذكار التأريخ ورجالات الماضي الذين تعبوا كثيراً لكي ننعم نحن أبناء الجيل الحاضر بأجواء الحرية، التي ساهموا هم فيها كل حسب طاقته في المراحل النضالية المختلفة في سفر تراجيديا شعب كوردستان.

لقد حدثني الأستاذ عبدالله زيباري (الذي كنت أحمل أسمه في ذاكرتي منذ ما يقارب من ثلاثة عقود عندما تعرفت على اسمه لأول مرة من خلال كتبه المهداة لأبنائه من طلبة كوردستان في السليمانية) عن قريته (بياوي) في ناحية زيبار التابعة لقضاء عقرة والتي ولد فيها في احد أيام عام ١٩٢٠، وعاش في كنف والدين إهتما بتربيته ونشأته في

المدارس الدينية أولاً وإدخاله بعد ذلك في المدارس الرسمية في عقرة ويتذكر يوم انتقاله إلى مدينة الموصل كطالب مقبول في الجامع الكبير هناك كأحد طلبة العلوم الدينية ففي الوقت الذي كانت الأفكار القومية بشكلها البدائي تعيش في تفكيره متأثراً بجو قريته ومدينته الأولى عقرة وما كان يسمعه وهو لم يتخط الخامسة عشرة من عمره آنذاك من أخبار عن حركات بارزان في المنطقة المتاخمة لقريته، وعندما انتقل إلى مدينة الموصل في بداية الأربعينات لمواصلة الدراسة الدينية، أنتسب كطالب في الجامع الكبير ثم دخل المدرسة الفيصلية وكانت ثانوية عائدة للأوقاف والتي كان يدرس فيها مختلف فروع الدراسة الدينية ولكنه وبالنظر لاستعداده النفسي تقبل بصورة طبيعية الانتماء إلى حزب هيوا الذائع الصيت في حينه على أيدي المغفور لهما عوني يوسف (كان يشغل منصب حاكم في محاكم الموصل آنذاك) والطبيب العسكري جعفر عبدالكريم، مع خمسة وعشرين طالباً كوردياً من الدارسين في الموصل حيث يعتبر هو ذلك بداية المرحلة الأولى في الانخراط في الحياة السياسية المنظمة، حيث تبلورت أفكاره القومية وأستوعب الدروس الأولى في الوطنية على أيدي أستاذيه المار ذكرهما وكانت فترة بقائه في الموصل التي دامت ما يقارب أربع سنوات من العوامل التي ساعدته على صقل قابلياته وتطوره الفكري واستعداده لتكملة الدراسة وعندما سنحت له فرصة القبول في جامع الأزهر في مدينة القاهرة على نفقة المرحوم (مصطفى الصابونجي) لم يتردد ولو لحظة واحدة وتقبل الفكرة التي غيرت مجرى حياته وسافر مع المجموعة المتكونة من ستة طلاب، أربعة منهم كانوا من الطلبة العرب والاثنان الآخران هما كلٌ من الأستاذ عبدالله النقشبندي (الدكتور فيما بعد) وعبدالله زيباري وتوزعوا على الكليات الموجودة في جامع الأزهر وكان نصيبه القبول في كلية الشريعة حيث استغرقت رحلته الدراسية في الأزهر ما يقارب الثماني سنوات.

ومع انتقال الأستاذ زيباري إلى القاهرة كشاب لم يتجاوز الخامسة العشرين من العمر وهو قادم من إحدى قرى زيبار ومن ثم مدينة الموصل، طرأ تغير آخر على تفكيره حيث لم يهتم بمباهج مدينة القاهرة وسحرها الفاتن على القلوب وإنما شغلته الدروس البحث عمن يدله إلى أحد أولئك الذين تطرق إلى سمعه وهو لايزال طالباً في الموصل ألا وهو الأستاذ محمد علي عوني وهنا يحدثنا الأستاذ زيباري عن كيفية

الوصول إلى العلامة المرحوم محمد علي عوني حيث يقول (بعد استقرارنا في الأزهر وانتسابنا إلى الكليات الموجودة فيها تعرفنا نحن الطلبة الكورد على شيخ جليل وعالم من علماء الأزهر وهو الأستاذ (عمر وجدي) شيخ رواق الكورد في الأزهر وهو كوردي مولود في مدين ماردين بتركيا وكان إنساناً في غاية من البساطة وحاملاً لواء العلوم الدينية وكان يعتز بكورديته وفي إحدى جلسات المناقشة جاء على ذكر محمد علي عوني وحين سماعنا أسمه رجونا الشيخ عمر وجدي ترتيب لقاء معه، لأننا كنا أحر من الجمر للتشرف بزيارته والتعرف عليه واستطعنا نحن الطلبة الكورد إقناع الشيخ عمر، حيث وعدنا بتلبية رغبتنا وفي احد أيام العطلة الأسبوعية التي تصادف يوم الجمعة قمنا بزيارة مسكن الأستاذ عوني في أحد أحياء القاهرة المرموقة آنذاك وعند وصولنا إلى المسكن قام باستقبالنا شيخ جليل حيث كان يرتدي بدلة أوروبية ويعتمر الطربوش وقادنا إلى صالون المسكن الذي اعتاد على استقبال ضيوفه فيها وعندما عرف بلهفتنا لرؤيته والتعرف عليه قال لنا (مرحباً بأبنائي الطلبة الكورد، من دواعي سروري وابتهاجي إني أستقبل طلاب علم من أبناء كوردستان المحرومين من كل شيء وأن سبب ابتهاجي هو وصولكم ومن سبقكم من الطلبة الكورد الطامحين للعلم والمعرفة وقد يستفيد شعبكم يوماً من تحصيلكم العلمي وأن بيتي مفتوح لكم متى ماشئتم زيارتنا).

ولد الأستاذ محمد علي عوني عام ١٨٩٧ في مدينة (سويرك) التابعة لمحافظة ديار بكر في كوردستان تركيا ودرس في مدارسها في المراحل الأولى المتوسطة ولغرض دراسة العلوم الدينية وتعلم اللغة العربية أنتقل إلى بلاد مصر وأستقر في العاصمة وأنتسب هو أيضا كطالب علم في الجامع الأزهر وحصل على درجة متقدمة فيه وتبحر في اللغتين العربية والفارسية وكان يجيد اللغة الفرنسية بالإضافة إلى لغته الأم، وساهم مساهمة فعالة مع البدرخانيين الرواد في النضال الكوردي وقد شارك معهم في تأسيس جمعية (خويبون) وأصبح فيما بعد مترجم اللغات الشرقية في بلاط ملك مصر وقد أنتبه مع الأستاذ (فرج الله زكي الكوردي) ناشر الكتب والآثار الإسلامية إلى كتاب (الشرفنامة) وحصلا على النسخة المطبوعة في روسيا وقاما بمراجعتها وسجلا الهوامش والتعليقات عليها وقد أنفرد الأستاذ محمد علي عوني بتعريب المقدمة

الفرنسية التي كتبها المستشرق الروسي العلامة (ف. فليا مينوف زرنوف) وطبعه على نفقة الأستاذ فرج الله زكي الكوردي عام ١٩٣٠ وقد عربه كاملاً إلى اللغة العربية حيث طبعته وزارة التربية في مصر عام ١٩٥٨ بعد وفاته حيث أنتقل إلى جوار ربه في ١٩٥٢/٧/١١ في مدينة القاهرة ودفن في تكية الشيخ مفاور في جبل المقطم. ويحتفظ الأستاذ زيباري بذكريات كثيرة عن تلك الفترة التي قضاها في القاهرة والمتعلقة بالمرحوم محمد علي عوني حيث اعتاد هو وزملاؤه الطلبة الكورد على زيارته مرتين في الشهر وعندما كان يقترب حلول عيد نوروز القومي كما يقول زيباري كان المرحوم يقوم بالاستعداد للاحتفال بهذا العيد حيث كان يوجه الدعوة إليهم إلى بيته ولقد اعتاد في هذه المناسبة إقامة وليمة غداء لهم وكانوا بحدود (٢٥) طالباً حيث كان يحدثهم عن نوروز ومغزى الاحتفال به وكان يتصف بالشهامة وعزة النفس كان كورديا حتى العظم ويقول الأستاذ زيباري (في أحدى زياراتنا له قدمت له ديوان الشاعر الكوردي (جكَر خوين) بالحروف اللاتينية وعندما تصفحه المرحوم أجهش بالبكاء متأثراً برؤية ديوان شعري كوردي مطبوع باللغة الكوردية) وفي إحدى المرات وعندما كانوا على موعد لإقامة الاحتفال بعيد نوروز في بيته حيث كانوا تواقين للمناسبة وقد جاءهم ليلاً نجله (عصام) وأخبرهم بتأسف والده لعدم إقامة الاحتفال في بيته في نهار اليوم التالي بسبب وفاة والدته (والدة عصام) ورجاهم الاحتفال بنوروز في مكان آخر وبدلاً من إقامة الاحتفال حضروا مجلس الفاتحة على روح زوجته.

وحدثني الأستاذ زيباري عن جانب آخر من حرص الأستاذ المرحوم محمد علي عوني على تكملة دراسته حيث قال: (أكملت الدراسة في كلية الشريعة في الأزهر عام ١٩٤٧ ولما علم الأستاذ عوني بأنني عازم على العودة إلى العراق ولم يكن باستطاعتي الحصول على شهادة الماجستير على نفقتي وقد انتهت مدة البعثة على نفقة الصابونجي حينئذٍ فاجأني الأستاذ عوني بأن باستطاعتي تكملة الدراسة والحصول على شهادة الماجستير حيث أتفق مع أحد الأثرياء الكورد الوطنيين وهو المرحوم علي كمال أحد أعيان مدينة السليمانية بتحمل النفقة إذ كان المرحوم علي كمال مشهوداً بمساعدة الطلبة الكورد لغرض إكمال دراستهم) وهكذا استمر الأستاذ زيباري في الدراسة لمدة سنتين أخريين حتى حصل على شهادة الماجستير عام ١٩٥٠.

ولم يكن الأستاذ زيباري بعيداً عن قضية شعبه وهو الذي انتمى إلى حزب هيوا ذي الأهداف القومية التحررية قبل سفره إلى القاهرة وكان يحمل معه مشاعره وعواطفه ولقد سببت له تلك الأفكار مشاكل مع الوسط التدريسي في الأزهر ووصلت إلى حد فصله من الدراسة في المرحلة الثانية ولكن بجهود الخيرين ووساطات المرحوم محمد علي عوني أعيد إلى مواصلة الدراسة وقد حدثني عن محطة أخرى في رحلة ذكرياته وهو طالب في الأزهر مفادها بأنهم عندما تلقوا خبر إعدام الضباط الكورد الأربعة في العراق ثارت ثائرتهم وهزت كيانهم وخاصةً أنه وزملائه قد تأثروا إلى أقصى حد بذلك الخبر المفجع وهم في ديار الغربة بعيدون عن الوطن الغالي وتدارسوا فيما بينهم كيفية إظهار عواطفهم القلبية تجاه تلك الجريمة التي اقترفت بحق أولئك الضباط وتوصلوا إلى قرار القيام بزيارة (حسن البنا) مرشد الأخوان المسلمين في مصر آنذاك حيث سبق أن تعرفوا عليه بواسطة محمد محمود الصواف ولكنهم لم يفلحوا هذه المرة بزيارة المرحوم (حسن البنا) وكل ما استطاعوا القيام به الاتصال بجماعة البنا وشرحوا لهم قضية إعدام الضباط الكورد الأربعة واضطهاد الكورد من قبل النظام الملكي في العراق و(رجوناهم بإعلان الاستنكار عن هذا الجريمة، لكن جهودنا باءت بالفشل نظراً لكون الجماعة كانوا مدعومين من البلاط الملكي المسنود من الانكليز ضد حزب الوفد الذي كان يجاهر بعدائه للانكليز واضطررنا إلى الذهاب لجمعية الشبان المسيحيين آنذاك في مصر الذي كان يقودها المناضل الديمقراطي المشهور سلامة موسى الذي تفهم القضية وكان إنساناً ذا نزعة ديمقراطية وأحترم مشاعر الشبان الكورد)، وعندما طلبوا منه كما يقول الأستاذ زيباري كتابة مقال عن قضية إعدام الضباط الكورد الأربعة، أستحسن الفكرة وتعاطف معها وبعد عدة أيام نشر مقالاً مطولاً دفاعاً عن الكورد وقضيتهم في جريدة (المقطم) مما شجعهم على القيام بزيارة المسؤولين في جريدة (المصري) التي كانت تصدر من قبل حزب الوفد واستطاعوا إقناعهم بنشر مقالٍ ما على غرار ما فعلته (المقطم) وقد استجابت هيئة تحرير (المصري) لنداء هذه المجموعة من الطلبة الكورد حيث نشرت في إحدى أعدادها مقلاً بعنوان (شعب يعيش تحت ظلال المشانق) ولم يكتف أفراد هذه المجموعة بهذا القدر من التحرك وإنما طرقوا أبواباً عديدة لكنهم جوبهوا بالرفض تارةً وعدم الملاقاة تارةً أخرى وكان جواب

الرافضين مبني على العلاقة القائمة آنذاك بين مصر والسودان قبل حصول الأخيرة على الاستقلال لأنه كان هناك تخوف بربط مسألة كورد العراق بنزعة السودانيين للانفصال عن مصر!

وهكذا يسرد الأستاذ زيباري ذكرياته عن الفترة التي قضاها في عاصمة مصر حيث دخلها كطالب علم وغادرها وهو حامل لشهادة الماجستير في الشريعة وبعد عودته إلى العراق عام ١٩٥١ عرض عليه القيام بالتدريس في مدراس بغداد ولكنه أصر وفضل مدينة دهوك على بقية مدن العراق لأنه كما قال لي: (كانت مدينة دهوك وطلابها أعزاء على قلبي ومشاعري) وهكذا وأمام إصراره عيّن كمدرس في ثانوية دهوك وقام بالتدريس أيضاً في دار المعلمين الريفية الموجودة آنذاك في قضاء دهوك وقد قام مع أخوانه التدريسيين بنشر الأفكار القومية الكوردية بين الطلاب والأهالي ضارباً (دعوات التعقل للمحافظة على الوظيفة والخبز) عرض الحائط وهي الدعوات التي كانت (تنصح) بها من قبل البعض مما جلبت له نقمة السلطة وعلى أثرها تم صدور قرار إداري بنقله إلى قضاء بدره التابع للواء الكوت بعد سنة تدريسية واحدة قضاها في قضاء دهوك ولم يفلح في إقناع المسؤولين بإعادته إلى دهوك وقضى مدة ثلاث سنوات (١٩٥٢ – ١٩٥٤) في تلك القصبة (بدره) التي اشتهرت بإيواء المبعدين إليها كوسيلة من قبل السلطات آنذاك للانتقام من حملة الأفكار (القومية والوطنية) ولم يفلح زيباري في إقناع (حسن الدجيلي) الذي تعرف عليه عندما كان طالباً في الأزهر حيث كان الدجيلي ملحقاً ثقافياً في السفارة العراقية في مصر، ثم أصبح مديراً للتربية فيما بعد في العراق وكان من أشد القوميين الحاقدين على الشعب الكوردي واكتفى بجملة واحدة فقط عندما راجعه بشأن نقله إذ قال له (ابق في مكانك أحسن) وعندما راجع زيباري صديقه المرحوم علاء الدين السجادي بشأن قضية النقل عسى ولعل يساعده بواسطة أحد معارفه من الموظفين من وزارة المعارف وعندها أشار عليه المرحوم السجادي بمراجعة السيد محمد على القرداغي مفتش التربية في الوزارة آنذاك والذي توسط له ونجح في مسعاه حيث تم نقل الزيباري إلى السليمانية عام ١٩٥٤، وبنقله إلى السليمانية تلك المدينة التي فاقت شهرتها في الوطنية تلذذ زيباري بجمال المدينة وطبيعة أهلها ومناخها السياسي حيث ساعده على الاستقرار النفسي.

ولم تمض إلا فترة قليلة على تواجده في السليمانية حتى أتصل به أحدهم وهو المحامي جمال شالي للانضمام إلى البارتي وبهذا الصدد يقول الأستاذ زيباري (لم يكن البارتي غريباً عليّ فقد كنت أعيش معه منذ لحظة عودتي إلى العراق عام ١٩٥١ من مصر فلقد كنت مهيئاً لقبول الفكرة والانضمام إلى البارتي الذي كان البارزاني الخالد مؤسسه ورئيسه، إذ سبق أن كان أسمه قد دخل قلوبنا ومشاعرنا قبل تأسيس البارتي، ولهذا الأسباب كانت موافقتي قد تمت لحظة مفاتحتي به واستمريت عضواً في صفوفه حتى قيام ثورة ١٤/تموز/١٩٥٨ وبعدها أصبحت مفتشاً في اللجنة المحلية السليمانية مع المرحوم أنور توفي وكانت المنافسة يومها على أشدها بين الاتجاهين البارتي والشيوعي إذ لم يكن هنالك تيار آخر وكانت المنافسة موجودة وظاهرة للعيان منذ أيام الحكم الملكي ولكن الذي كان يجمعنا هو هدف واحد وهو النضال ضد النظام الملكي ومع قيام ثورة ١٤ تموز أصبح العمل السياسي علنياً إذ فتحت تلك الثورة في السنوات الأولى من عمرها المجال أمام الكل لممارسة النشاط السياسي وأصبحت للبارتي قاعدة جماهيرية واسعة وأستطاع استقطاب جماهير كبيرة إلى جانبه ولكن للأسف لم تستمر علنية النشاط السياسي حيث انحرفت الثورة عن مسارها وأزداد نشاط العملاء والمأجورين ولم يبق أمام البارتي غير الألتجاء إلى العمل السري وحدثت مشاكل هنا وهناك مع متنفذي السلطة وزادت من جو التوتر وكلفت من قبل اللجنة المحلية للذهاب إلى منطقة (خلكان) حيث كان التجمع العشائري المسلح متواجداً فيها وقد سافرت فعلاً إلى خلكان يوم ١٩٦١/٩/٧ والتقيت مع المرحومين عباس مامند آغا رئيس عشيرة آكو والشيخ حسين بوسكين من وجهاء المنطقة وتم التعارف بيننا سراً ولم يعجبني الجو السياسي هناك وقفلت راجعاً إلى السليمانية وفي يوم ١٩٦١/٩/٨ ذهبت إلى منطقة (دربندي بازيان) حيث كانت هناك مجموعة أخرى من المسلحين من أبناء العشائر وفي اليوم التالي ذهبت إلى جبل أزمر مع المجموعة المسلحة للاجتماع والتداول في أمور الحزب والثورة لاستطلاع الموقف ميدانياً حيث كانت الأوضاع تمر من سيء إلى أسوأ بسبب تحرك القطعات العسكرية وأفراد قوة الشرطة السيارة وقد كنا نعمل كخلية نحل ليلاً ونهاراً والوضع كان في تدهور مستمر وفي منتصف شهر أيلول من عام ١٩٦١ تم إلقاء القبض عليّ من قبل أجهزة الشرطة في

السليمانية بتهمة التحريض ضد الحكومة وبقيت في المعتقل مدة شهرين وعندما لم يُثبت شيء ضدي أطلق سراحي وبعد شهر على ذلك اعتقلت ثانية من قبل نفس الأجهزة في السليمانية ودام اعتقالي ثلاثة أشهر أخرى واندلعت ثورة أيلول الكبرى بقيادة البارزاني وقد كانت الأخبار تأتينا بواسطة أفراد الشرطة المنضوين في صفوف البارتي وعندما أطلق سراحي نقلوني إلى مدينة الكوت وقد سبقني إليها الكثيرون من أبناء جلدتي ومن حسن الحظ وجدت المرحوم مصطفى نريمان أيضاً وتمت معاودة الاتصال بالأخوة المبعدين ونظمت الخلايا الحزبية وأصبحنا مع المرحوم مصطفى نريمان في مركز المسؤولية لتنظيمات الكوت، الناصرية، البصرة والعمارة بالتناوب.

كانت السنوات الثلاث (١٩٦١ – ١٩٦٤) التي قضاها زيباري في المنطقة الوسطى من العراق بعيداً عن أرض آبائه وأجداده (كوردستان) وهو المبعد السياسي والمنقول إدارياً تعتبر من السنوات الصعبة والإيجابية في حياته فمكمن الصعوبة في تلك الفترة يعود بالأساس إلى البعد عن كوردستان وشحة الأخبار الواردة إليه والمتعلقة بثورة شعبه بقيادة البارزاني، إذ كان هو وزملاؤه يضطرون أحياناً إلى السفر إلى بغداد والالتقاء بالأصدقاء والرفاق القدامى بغرض الحصول على الأخبار الآتية من كوردستان لأن الإذاعة (إذاعة صوت كوردستان ـ العراق) لم تكن في تلك الفترة تغطي دائرة تبعد أكثر من ثلاثين كيلومتراً وأما الجانب الإيجابي لتلك الفترة فهو لم شمل العشرات بل المئات من موظفي الدولة من الكورد المبعدين خارج مناطق كوردستان إلى المحافظات الوسطى والجنوبية في التنظيمات الحزبية أو حلقات الصداقة والتي غالباً ما كان تتحول إلى مراكز لتبادل المعلومات والأخبار الواردة عن نشاطات البيشمركه ومناطقهم المحررة واستمرت الحالة على هذا المنوال إلى أن حدث الشرخ في جسم الثورة والبارتي في أعقاب التوصل إلى أتفاقية لوقف القتال بين قيادة الثورة الكوردية المتمثلة في شخص البارزاني الخالد وحكومة المشير عبدالسلام عارف في ١٠ شباط ١٩٦٤.

ويحدثنا الأستاذ زيباري عن تلك الفترة كما روى لي: (في عام ١٩٦٤ وعندما حدث الانشقاق كنت في مدينة الكوت وقد كنا نسمع في بداية الأمر عن حدوث ذلك الأمر الذي أزعج الكورد جميعاً في وسط وجنوب العراق لأننا كنا نعاني من حياة الغربة والبعد عن

كوردستان وقد كنا نعلق آمالنا وأحلامنا على بقاء الثورة وتماسك قيادة الحزب خلف القائد البارزاني ولكن وكما هو معلوم أن المصالح الذاتية قد لعبت لعبتها واستدعيت من قبل المسؤول الحزبي في بغداد حيث طلب مني الحضور إلى قصبة (ماوه ت) للحضور إلى ما سمي بكونفرانس (ماوه ت) ولم أكن على بينة من الأمور ورتبت سفري من الكوت إلى السليمانية بعد ورود برقية من الأستاذ علي سنجاري يقول فيها (نظراً لاشتداد حالة المرض على أخيك، يرجى حضورك إلى السليمانية) ومن السليمانية سافرت بسيارة لاندروفر إلى (ماوه ت) وفي بداية الأمر شاركت في الكونفرانس المذكور ولكن وبعد اشتداد المناقشات العقيمة جوبهت مقترحاتي بالرفض من قبل الحضور وعلى أثرها طردت من الكونفرانس ورجعت إلى بغداد وبوصولي إلى بغداد زرت الشهيد صالح اليوسفي وشرحت له الموقف حيث أبدى امتعاضه الشديد حول سير هذا الاتجاه من قبل بعض القياديين من الحزب وأقترح عليّ زيارة الأستاذ فؤاد عارف لشرح الموقف له عسى ولعل أن يبذل مساعيه الخيرة باتجاه تقليص الفجوة القائمة وهكذا زرت الشهيد اليوسفي الأستاذ فؤاد عارف في بيته عصراً وقد قلت مافي جعبتي حول الوضع في كوردستان واقترحنا (اليوسفي وأنا) قيامه بزيارة كوردستان لبذل جهوده باتجاه وقف التصدع لأن الأستاذ فؤاد عارف كان ومايزال يحظى باحترام الجميع ولكنه امتنع عن السفر إلى كوردستان حيث قال لنا: (الآن أنا مراقب ولا أستطيع الذهاب إلى كوردستان).

(كان المناخ السياسي وبعد وقف إطلاق النار في شباط عام ١٩٦٤ قد أصبح ملائما للعودة إلى كوردستان وبعد عدة توسطات من قبل الأخوان في البارتي لدى الحكومة صدر أمر نقلي ثانية إلى السليمانية وبعودتي إليها تم الاتصال فوراً بالرفاق البارتيين).

وبالنظر لكون الأستاذ زيباري معروفاً في أوساط البارتي آنذاك نظراً لصلاته السابقة بالحزب في أعوام ١٩٥٧ – ١٩٦١ بالإضافة إلى أنه كان يحمل ورقة الاعتماد الحزبي من تنظيمات الكوت كونه كان أحد مسؤولي التنظيمات هناك قُبل كعضو للجنة المحلية في السليمانية وقد بذل جهوده وطاقاته من أجل تقوية البارتي وتنظيماته بعد الآثار التي تركته حركة الانشقاق، ولكن وكما هو معروف بدأت حكومة المشير عبدالسلام عارف التنصل من وعودها بتلبية مطاليب الثورة الكوردية وظهرت

بوادر التوتر من جديد وعلى أثرها أعتقل زيباري مرة أخرى بتأريخ ١٩٦٥/٤/٤ في السليمانية لمدة سنة واحدة وأصبح مسحوب اليد من الوظيفة كأجراء انتقامي لمنعه من أخذ الراتب وأحيل إلى المحكمة العسكرية التي كان مقرها في مدينة كركوك وفي المعتقل وقبل يوم المحاكمة بيوم واحد ساومه المحامي الذي وكله حيث نصحه المحامي بترك الحزب والسياسة مقابل الإفراج عنه في المحكمة ولكن زيباري أبى الانصياع لهذا النوع من الابتزاز الرخيص وفي يوم المحاكمة لم يثبت شيء ضده لعدم توفر الأدلة الجرمية ولكن المحكمة العسكرية لم تستطع كعادتها الإفراج عن متهم أحيل إليها ولابد من فعل شيء أو إصدار قرار بالتجريم وهكذا حكم بالحبس لمدة ستة أشهر مع وقف التنفيذ في كركوك ونقل إلى معسكر التاجي وعند وصوله إلى معسكر التاجي أجريت له محاكمة ثانية أمام هيئة عسكرية أخرى لكن هذه المرة وأثناء المحاكمة اعترف عليه المدعو (علي سلمان بيجان) ولكن زيباري رد التهمة وأنكر ما ورد في أقوال (علي) وإنكاره للتهمة لم يشفع له حيث أبقوه مدة ثمانية أشهر في السجن ليواجه الإهانة والتعذيب الجسدي ولكنه حافظ على توازنه ولم تضعف عزيمته وصلابته حيث كان يستمد صلابته من صلابة الثورة الكوردية وشموخ البارزاني الخالد وعندما توصلت الثورة الكوردية مع حكومة المرحوم د. عبدالرحمن البزاز في ٢٩/حزيران/١٩٦٦ أطلق سراح مجموعة من المعتقلين المحسوبين على البارتي والثورة الكوردية وكان الأستاذ زيباري أحد هؤلاء الذين خرج إلى النور ثانيةً مع قرار بإعادتهم إلى الوظيفة السابقة وفي أماكنهم الأصلية قبل حدوث الاعتقال وبعودته إلى السليمانية راجعا إلى صفوف البارتي ولم تمض أسابيع قلائل حتى صدر أمر آخر من وزارة المعارف بنقله إلى ناحية المشخاب في لواء الديوانية ولم يتمكن الاستمرار في العيش في تلك الناحية المحرومة من أبسط وسائل العيش واضطر إلى السفر إلى المملكة العربية السعودية كمدرس أعيرت خدماته مع مجموعة من المدرسيين العراقيين للتدريس في مدارسها وبوصوله إلى هناك شعر بنوع من الارتياح لأبعاده عن أجواء النقل والإبعاد والحبس والمحاكمة ولكن كان حنينه إلى وطنه كوردستان يقلق راحته حيث لم تستمر حالة العزلة والحنين إلى كوردستان إذ عوضه بعد فترة قصيرة بالتعرف وتقوية الصداقة

مع مجموعة من المدرسيين الكورد المتواجدين هناك حيث كانوا يلتقون في المناسبات وأيام العطل.

واستغرقت تلك الرحلة زهاء ثلاث سنوات وكان جل اهتمامه متابعة أخبار الوطن والثورة من الإذاعات التي نادراً ما كان يجد فيه خبراً هنا وهناك ولكن وبسليقته كان يستطيع الوصول إلى نوع من الحقيقة وعندما أعلنت اتفاقية ١١/آذار/١٩٧٠ من الإذاعة العراقية بين قيادة البارزاني والحكومة العراقية أستبشر خيراً بالحدث الكبير وزاد شوقه إلى العودة وتحرك هنا وهناك ونظم لقاءً في بيته حيث جمع مجموعة من المدرسيين الكورد مع المرحوم نزاد أحمد عزيز آغا-الذي شغل لاحقاً منصب نائب رئيس برلمان كوردستان-وتحدثوا عن كيفية العودة وفسخ العقد المبرم مع الجهات التربوية في السعودية وأبكر في العودة حيث نقل كمدرس إلى مدينة أربيل بناءً على طلبه.

واستراح محاربنا القديم والمناضل الذي دخل معترك الحياة السياسية في سبيل حرية شعبه بعد تأدية القسم القومي في أواخر تشرين الثاني عام ١٩٤٢ مع مجموعة من الرعيل الأول في غرفة من غرف الجامع الكبير (جامع النوري) في الموصل بحضور موفدي المركز العام لحزب هيوا المرحومين عوني يوسف والدكتور جعفر عبدالكريم. ولكنه (أي الزيباري) عندما يتذكر الساعات الأولى من أداء القسم الذي ظل مخلصا له حتى يومنا هذا لم ينس تنصل البعض منهم بعد أداء القسم بفترة وجيزة بحجج وأسباب واهية في حين بقى هو ورفاقه المناضلون (الشهيد أسعد شاهين، وصبغة الله المزوري، فقي سعيد ملا عبدالمحسن البرازي) على اندفاعهم القومي غير مبالين بما كانوا يتعرضون له من مصاعب ومصائب، وفعلاً أخلص زيباري منذ أدائه القسم وكما يقول إلى أن ينتقل إلى جوار ربه (أطال الله في عمره[١]) لقضية شعبه وبعودته إلى العراق وتعيينه في مدينة أربيل شعر بالاستقرار لا مثيل له منذ أن عرف السياسة بفضل دماء الشهداء وحنكة رمز أمته البارزاني الخالد وعندما هبت جماهير شعب كوردستان تلبية لنداء البارتي أختار مرة أخرى المعترك الذي دخله طالباً وتخرج منه مناضلاً

---

[١] انتقل إلى جوار ربه.

معاودة الدخول ثائراً في آذار عام ١٩٧٤ مفضلاً حياة الثوار في أعالي الجبل حيث أعيرت خدماته إلى الأمانة العامة للأوقاف التي كان يترأسها الشهيد صالح اليوسفي كنائب لمحكمة تمييز الشرعية وكان الملا حمزة يشغل رئاسة المحكمة المذكورة في المناطق المحررة آنذاك.

وابتداءً من آذار عام ١٩٧٤ وإلى آذار عام ١٩٧٥ كان زيباري شاهداً على ما جرى من بطولات البيشمركه والمعارك التي خاضوها بسلاح غير متكافئ مع عدو لم يكن يميز الأخضر عن اليابس ويتذكر جهود الإدارة الكوردية تحت رحمة القنابل والمدافع في بناء المدارس للطلبة النازحين من مدارسهم في المدن وتأسيس المحاكم واحترام الأسرى في المحافظة على كرامتهم وشق الطرق الجبلية وتنظيم الدوائر والملاكات الوظيفية وتقوية الإعلام بدماء جديدة وكذلك يتذكر بحسرة وألم كبيرين النهاية التراجيدية لأشهر وأطول ثورة من عمر الكورد وكوردستان وما آلت إليه الأوضاع بعد المؤامرة الدنيئة التي صاغها وساهمت فيها أطراف الشرق والغرب معاً حيث خسر العراق (الوطن المشترك) نصف مياهه الإقليمية وأراض شاسعة لقاء القضاء على الثوار متناسياً إن الثورة ربما يتوقف إلى حين ولكنها لن تنتهي وهكذا يتذكر الأستاذ زيباري كيف أن نبوءة البارزاني الخالد حول الثورة ومعاودة النضال قد تحققت بعد أشهر قلائل من النكسة.

وهكذا استعدنا مع الأستاذ عبدالله عمر زيباري ذكرياته وفصولاً من حياة إنسان أحب شعبه وأخلص لقضيته ومن جرائها تعرض إلى الإبعاد والفصل من الوظيفة والسجن في معتقلات مختلفة وحرم من حقوقه كمواطن وعندما كنت أودعه إلى الباب الخارجي لمبنى جريدة (برايه تي) حيث اللقاء معه على مراحل هنا تذكر كيف أنه كان أول من أتصل بمحمود آغا الزيباري بعد دخوله حزب هيوا عام ١٩٤٣ عندما طلب منه فرع الحزب في الموصل أن يذهب إلى محمود آغا الزيباري باعتباره عنصراً مهماً في منطقة الزيبار وقد ذهب فعلاً إلى محمود آغا في قريته التي كانت تقع خلف قمة جبلية عالية بعد اجتيازه مصاعب الطريق حيث لم يكن يعرفه قبلاً وقد تم التعارف وطلب منه أن ينظم إلى حزب هيوا كعضو أو أن يكون مؤازراً له وعلى أثره قبل محمود آغا الفكرة بعد أن بين له عبدالله زيباري أهداف الحزب والقضية الكوردية عن قناعة وقال

أنه (أي محمود آغا الزيباري أنه مستعد للتضحية في سبيل القضية الكوردية) وأهدى له كتابين مهمين (الكورد وكوردستان) لـ(محمد أمين زكي) وكتاب (من عمان إلى العمادية) لـ(علي سيد كَوراني) وعلى أثر ذلك (كما يقول الأستاذ عبدالله زيباري) حصل تقارب بينه أي بين (محمود آغا زيباري) وبين (البارزاني الخالد) أثناء ثورة بارزان عام ١٩٤٥ حيث ساهم فعلاً مع البارزاني الخالد في الثورة واشترك في جبهات القتال إلى أن انسحب البارزاني إلى كوردستان إيران والالتحاق بجمهورية مهاباد.

وتذكر الأستاذ عبدالله زيباري أيضاً... أنه كان من ضمن أولئك المعلمين والمدرسين الذين قاموا بتأسيس إتحاد معلمي كوردستان بتأريخ ١٩٦٢/٥/١٥ في مدينة السليمانية، حيث أنعقد المؤتمر الأول لذلك الإتحاد في دار المرحوم (كامل البصير)، ولقد لعب إتحاد معلمي كوردستان أدواراً مشهودةً في لم شمل المعلمين والمدرسين الكوردستانيين للالتفاف حول راية ثورة أيلول الكبرى والتضحية في سبيل القضية الكوردية.......

وعندما كنت أودع الأستاذ عبدالله زيباري، كان يمشي على مهل مستعيناً بعصا خشبية يتكئ عليها ولا على غيره وربما لايعرفه إلا القلائل من أبناء الجيل الحاضر وساسة هذه الأيام، إذ تذكرت المقولة المشهورة لأحدهم (إن ذاكرة الشعوب ضعيفة) وتمنيت أن نكون نحن أبناء كوردستان خارج دائرة هذه المقولة ربما لسبب يحضرني دائماً وخاصةً عندما أجلس قبالة المحاربين القدماء وأتساءل مع نفسي: ماذا كنا لو لم نكن أصحاب نماذج من هؤلاء المناضلين الذين أفنوا زهرة شبابهم في سبيل قضية شعبهم العادلة دون أن يفكروا يوما بالجاه والمال والسلطة التي تغير كثيرا من المفاهيم؟!

عبدالله الزيباري مع أصدقائه الكورد في حديقة الملز في العاصمة السعودية

في يوم نوروز عام ١٩٦٩

مصر–القناة الخيرية سفرة أعضاء بعثة الصابونجي عام ١٩٤٥

أعضاء بعثة الصابونجي في سفرة سياحية لمنطقة قناة الخيرية عام ١٩٤٥

طلاب كلية الشريعة في سفرة واحة حلوان عام ١٩٤٥

أربيل فندق السكك عام ١٩٧١ اخذت هذه الصورة بمناسبة زيارة الاستاذ الشيخ عمر وجدي إلى كوردستان في الدعوة التي اقامها القاضي رشاد المفتي على شرفه

عصام شيخ عمر وجدي مع اخته نرمين بالملابس القومية الكوردية عند زيارتهم العراق عام ١٩٧٢

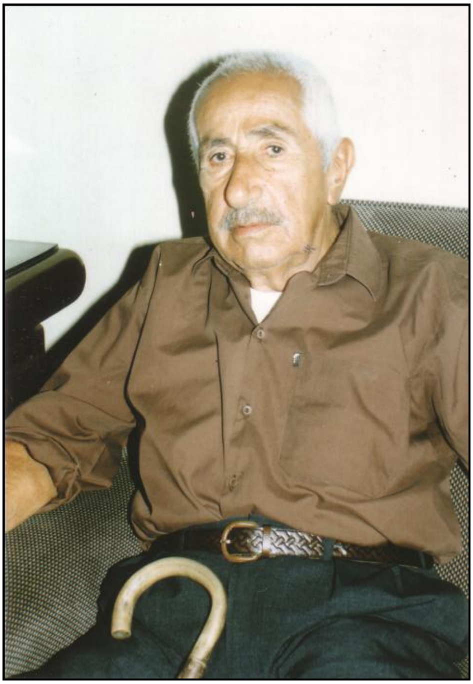

عمر الزيباري: هكذا كان قدري

عمر الزيباري يتحدث إلى المؤلف في مكتب جريدة برايتي في عام ١٩٩٨

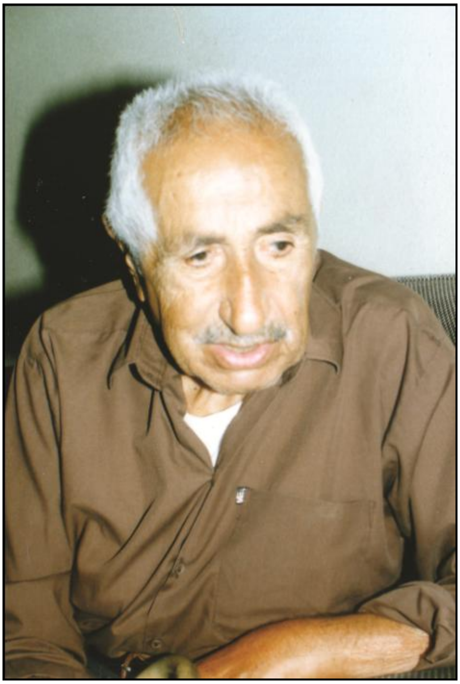

أرهقتني المعتقلات والإبعاد وسجون الأنظمة العراقية المتعاقبة

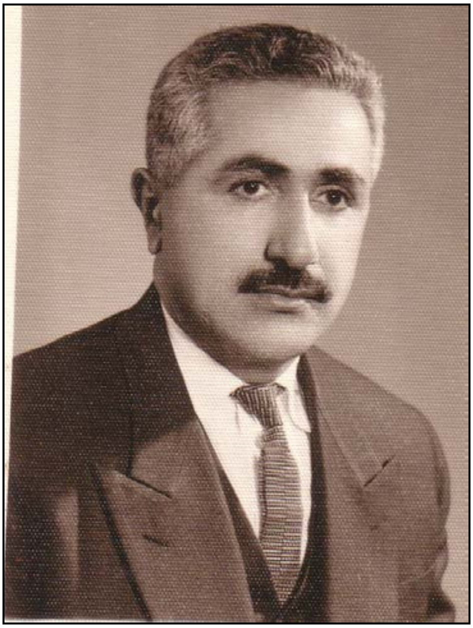

الزيباري في ستينات القرن الماضي

صورة تجمع المناضل حسن حاجو آغا مع الزيباري
وأصدقائه عام ١٩٤٨

ذكريات مع فرنسو حريري.. الغائب الحاضر (*)

لم تكن (قلاته سور) أو القلعة الحمراء تحلم بأنها ستكون يوماً ما ساحة تجمع لعشرات الألوف من البشر وعيونهم شاخصة تارةً نحو سلسلة جبل بني حرير الجرداء وتارةً أخرى باتجاه سهل حرير الذي ينبض بالحياة والخصوبة، كما لم تكن تعرف إنها سوف تحتضن يوماً ما جثمان مناضل أوصى في حياته مرات عديدة أمام أصدقائه بأنه إذا ما نال شرف الشهادة فما عليهم إلا التوجه بجثمانه نحو هذه الرابية التي شهدت يوماً ما عز امارة سوران ومعارك الكورد الأبطال في ثورتهم وانتفاضاتهم على مر العصور من أجل أن تعيش كوردستان وشعبها حياة حرة كريمة كباقي الشعوب القاطنة في أرجاء المعمورة.

كنت وسط أمواج من البشر شيباً وشباناً رجالاً ونساءً منهمكين في الصعود نحو قمة (قَلاته سور) في ظهيرة يوم ٢٠/شباط/٢٠٠١ بعد رحلة دامت عدة ساعات ابتداء من الكنيسة الواقعة في محلة شورش بعد قراءة التراتيل الدينية من قبل رجال الدين المسيحيين الذين كانت عيونهم دامعة أسفاً على صلب أحد أبناء عيسى (عليه السلام) بعد ما يزيد عن عشرين قرناً على صلب السيد المسيح وكأن الزمن والحضارة والمدنية ومعرفة مباديء حقوق الإنسان لم تستطع أن تمحو الحقد والجهالة والنظر الى الحياة بمنظار أسود قاتم بالرغم من مرور هذه القرون بعقودها وسنينها وشهورها وأيامها ولياليها من تفكير وتصرفات مجاميع وأفراد من البشر الذين مازالوا يؤمنون بالعنف وسيلة لتحقيق الأغراض الشريرة دون أن يدركوا بأن (من قتل نفساً بغير حق كأنما قتل الناس جميعاً) كما يوصينا سبحانه عزوجل في كتابه الكريم.

كانت أربيل العاصمة في ذلك اليوم قد خرجت عن بكرة أبيها توديعاً لأحد أبنائها البررة وفاءً على ما قدمه طوال أكثر من أربعة عقود من الزمن خلال عمره البالغ ٦٤

(*) نشرت في مجلة كولان العربي العدد ٥٨ آذار ٢٠٠١.

عاماً منخرطاً في صفوف الحركة الوطنية إذ لم يكن يبلغ العشرين من عمره عندما دشن الحياة السياسية في صفوف الحركة الطلابية العراقية عندما كان طالباً في ثانوية شقلاوه والتي إنتقل إليها بعد مغادرته مسقط رأسه ببلدة حرير عندما لم تكن فيها الدراسة الثانوية ومن ثم انتقاله إلى أربيل لتكملة ما تبقى من الدراسة الإعدادية فمزج بين السياسة والرياضة اللتين أصبحتا عنده الشغل الشاغل فبقدر ما كان قريباً من السياسة كان شغوفاً بالرياضة حتى أصبح نجمها المتألق.

كانت العواطف جياشة فالكل كان يتسابق في إظهار حبه ومودته له في الوقت الذي كان هو راقداً في صندوقه الخشبي محمولاً في السيارة تارة وعلى أكتاف محبيه تارةً أخرى وربما أخطأ القتلة في حساباتهم إذ كانوا يحسبون أن فرنسو لن يرى مبنى البرلمان الكوردستاني مرة أخرى ولكن دخوله للبرلمان هذه المرة كان مختلفاً عن سابقاته إذ لم يكن هذه المرة رئيساً لكتلة الحزب الديمقراطي الكوردستاني في البرلمان فحسب بل كان بالإضافة إلى رئاسته للكتلة المذكورة أصبح مكللاً بالشهادة التي استحقها عن جدارة وشرف قل نظيرهما ومحاطاً بسياج من البشر اختلفت ألوانهم وقومياتهم وآرائهم السياسية ونشأتهم الدينية حيث أضاف على التسامح الديني والمذهبي والقومي بعداً آخر وجمعنا جميعاً أمام صورة البارزاني الخالد المعلقة في صدر قاعة البرلمان الأمامية تلك الصورة التي أحب فرنسو صاحبها من أعماق نفسه وأخلص له وأحبه إلى درجة العبادة وكيف فقد حدثني يوماً بأنه عندما علم بأن التدخين يضر بصحة البارزاني بناءً على إرشادات الأطباء فأنه (أي فرنسو) قد عزم على ترك التدخين مهما كلفه من الجهد والحرمان من هذا الدخان السحري وأقسم بينه وبين نفسه بأن لن تلمس شفتاه السيكارة مرة أخرى مادامت تضر بحصة البارزاني وأستمر في تركه التدخين حتى بعد وفاة البارزاني وإلى يوم استشهاده حباً ووفاءً له.

كانت الجموع الحاشدة وهي تقطع الشارع الستيني، في مدينة أربيل مشياً على الأقدام خلف الجنازة قد خرجت بعفوية لأن فرنسو تفانى في سبيل كوردستان منذ أن ألتحق بصفوف ثورة أيلول الكبرى عام ١٩٦٣ وتواصل معها بالرغم مما أصابت الثورة من محن ونكسات وسنوات عجاف ولكنه أبى أن يبتعد قيد أنملة عن دائرة البارزاني الخالد وكان يجري باستمرار وراء ظله أينما كان موجوداً في محيطه طوال أربعة عقود

من الزمن مما جعله أحد الرموز القلائل الذين تجسد فيهم هذه الحالة الفريدة من الوفاء والإخلاص مما انعكس عليه وهو محمول على الأكتاف والجموع الهادرة تذرف الدموع وتلعن تلك الأيادي التي أطلقت النار لا على فرنسو فحسب وإنما أطلقتها لغرض اغتيال الثقافة الكوردستانية والصحافة الكوردستانية والحركة والروح الرياضية وبالتالي اغتيال تجربة شعب كوردستان برمتها.

وكانت المرحلة الثانية في يوم كرنفال الوداع الملعب الرياضي ذي المواصفات الدولية في مركز أربيل العاصمة حيث ربط كاك فرنسو الليل بالنهار من أجل إخراجه بصورته البهية ليكون الملعب المكان الذي يتجمع فيه الآلاف المؤلفة من عشاق الرياضة بشكل يليق بهم ويشبع طموحاتهم في رؤية هذا الصرح الجميل ليتحول في أحد أيام شهر تموز من كل عام إلى منبر آخر عندما يحتفي الملعب الأثير لديه إلى ساحة استعراض بهية لخريجي الكليات ومعاهد جامعة صلاح الدين بعد نيلهم شهاداتهم الجامعية وأداء القسم ليتحولوا إلى كوادر تساهم في إعادة بناء كوردستان التي تعرضت إلى أقسى هجمة بربرية في العقود الأخيرة قبل الانتفاضة المباركة، وعندما مر الموكب في ساحة الملعب امتزجت هلاهل أخوات وبنات فرنسو من الطالبات مع زغاريد النسوة اللواتي فقدن بعضن أعزاء لهن من الأبناء والأزواج والأخوة في المسيرة التي كان شهيدنا فرنسو أحد فرسانها البررة مع آهات وزفرات أبناء كوردستان الذين كانوا لهم حصة في تراجيديا وملاحم شعبهم الذي لم يكن له في أكثر الأحيان صديقاً غير الجبال، وعندما سألت أحد النسوة وهي تلطم بقوة على خدها الأيسر وهي خارجة من الملعب الرياضي ماذا دهاك يا أماه وأنت تقسين على وجهك بهذه القوة؟ أجابت وهي تتنهد قائلة: (أتمنى لهذا الفارس أن يقوم من صندوقه ويترجل وأن يرى بنفسه ماذا يجري وفاءً له ولكل الرجال الذين على شاكلته) ولقد كنت مقتنعاً بكلمات هذه المرأة ولكن قلت مع نفسي ربما كان شهيدنا قد أسدى لها إحساناً في يومٍ ما ووفاءً لهذا الإحسان تذرف الدموع وتلطم ولكن كلمات أحد سواق سيارات التاكسي في اليوم الثاني من مراسيم العزاء وهو ينقلني إلى بيتي بسيارته ويخفض صوت المذياع المثبت على إذاعة صوت كوردستان العراق والذي كان يتلو برقيات التعازي وكلمات الرثاء ليقول لي: (عجيب أمر هذا الرجل وكان يقصد الشهيد فرنسو حريري لم أكن أتصور بأنه كان

محبوباً إلى هذه الدرجة فمنذ يومين لم يبق لنا عمل فالكل يتجه مشياً على الأقدام أفراداً وجماعات إلى القاعة المخصصة لحضور مراسيم العزاء وأصبح أسمه على كل شفاه والناس واجمين لهذه المصيبة) وهنا قلت له: (عن أية مصيبة تتكلم فهذه ليست مصيبة وإنما كان امتحاناً نجح فيه عزيزنا الراحل بدون واسطة) وعندئذ خفف سائق السيارة من سرعة سيارته ونظر إليّ قائلاً: (يا أخي كلامك جميل أشبه بكلمات السياسيين ولكني أعتبرها مصيبة والمصيبة عندي وكما أحسبها تتمثل في رحيل إنسان كرس حياته لشعبه ووطنه وفي أوج نشاطه أنهت طلقات قتلة جهلة حياة إنسان عظيم كفرنسو فكيف ستكون المصيبة إذن؟!) كانت أرتال السيارات محملة برفاق وأصدقاء ومحبي فرنسو ونهجه السياسي وهي تتجه من أربيل العاصمة وعبر طريق (هامتلون) الشهير إلى بلدة حرير مسقط رأسه حيث كان قد أوصى مرات عديدة أمام أصدقائه بأن يدفن جثمانه في حالة انتقاله إلى العالم الآخر ولأي سبب كان في قمة (قلاته سور) بجوار قبر جده (كانون) قبالة جبل بني حرير وقد كنت مع زميلي (ممتاز حيدري) و(زيرك كمال) في سيارتي واجمين ولم نكن ننطق بكلمات إلا ما ندر حزناً على فقيدنا الغالي وكانت لكلمات كامران خفاف الصحفي في إذاعة صوت كوردستان وهو يتلو المقاطع النثرية والبرقيات المرسلة إلى الرئيس البارزاني بهذا المصاب الجلل وهي تمتزج بمقاطع من الموسيقى الحزينة جعلتني أن لا أسيطر على دموعي الذي كنت أذرفه على فرنسو كصديق ورفيق عزيز تعرفت عليه عام ١٩٥٩ في مدينتي كويسنجق وكانت:

المحطة الأولى:

كان الوقت خريف عام ١٩٥٩ وقد كنت في الصف الأول المتوسط في ثانوية كويسنجق للبنين منخرطاً في النشاط الرياضي وخاصةً في لعبتي الركض السريع وكرة القدم حيث كان المناخ السياسي بعد ثورة ١٤/تموز/١٩٥٨ قد فجرت الطاقات الكامنة في السياسة والرياضة والعلاقات الاجتماعية نحو آفاق أوسع وزمن جديد حيث ظهر النشاط السياسي إلى العلن المكشوف وزادت الحركة الرياضية من نشاطها بفعل مناخ الحرية الكاملة وأصبحت للطبقات والشرائح الاجتماعية فرقها لكرة القدم حيث كانت

تتنافس فيما بينها في المناسبات الوطنية وأيام الاستعراض السنوي للمدارس وأصبحت مدينة كويسنجق ملتقى فريقيّ نادي بروسك في أربيل ومنتخب مدينة السليمانية حيث كانا يتباريان على ملعب الرياضة في كويسنجق وقد كنت شغوفاً بهذه اللعبة منذ أن كنت في الصف الرابع الابتدائي حيث كان لنا فريق في محلتنا وكانت لأسماء (يورا، وعمو بابا، وجمولي) السحر الساحر علينا وبانتقالي إلى مرحلة الدراسة المتوسطة أصبحت ضمن فريق ثانوية كويسنجق ولاعباً أحتياطاً في فريق كرة القدم الأهلي وهو الفريق الأكثر شهرة في المدينة آنذاك حيث كان يقوده المرحوم (فتاح حكيم) الذي كان أحد الأعضاء النشطين في الحزب الديمقراطي الكوردستاني وقد كنت أبدو أكبر من عمري بسنوات من حيث التركيب الجسماني مما ساعدني فيما كنت أطمح إليه، وفي أحد أيام الربيع كنا على موعد لقدوم فرق كرة القدم والطائرة والباسكتبول من مدينة أربيل حيث توجهت جمهرة غفيرة من عشاق الرياضة من كويسنجق إلى بناية (دار الضيافة) الحكومية لاستقبال رياضيي أربيل حيث كان يتقدمهم شاب طويل أسمر الملامح متماسك البنية مشرق الوجه وكان يتكلم بصوت عال نسبياً وهو يقوم بتقديم لاعبي أربيل مردداً أسماء (عزالدين، عيسى، زكريا، فاروق....) وفي المقابل قام المرحوم فتاح حكيم بتقديمنا لهم وعندما جاء على ذكر أسمي قال الشاب الطويل (فرنسو) في الحال: (هل تنظم الشعر أيضاً؟) فقلت له نعم، فكيف عرفت ذلك؟ فقال لي: (قبل مدة وقعت عيناي على أسمك في جريدة بيشكه وتن (التقدم) لصاحبه محمد بريفكاني وقد نشرت لك شعراً بعنوان (كوردستان) فقلت له: نعم لي محاولاتي الشعرية (كانت جريدة التقدم بيشكه وتن قد نشرت لي في عددها ٢٤ الصادر من ١٩٥٨/٩/٦ ستة عشر بيتاً لقصيدة بعنوان (خاكي كوردستان)-أرض كوردستان-مع مقدمة لها كانت عبارة عن أربعة أسطر كتبها المرحوم محمد توفيق وردي أثنى عليّ وأنا بهذا العمر أنظم الشعر في مدح كوردستان).

وكانت هذه بداية التعارف بين الشهيد فرنسو وبيني وأستمرت منذ ذلك الحين وحتى ساعة استشهاده وهو في طريقه لأداء الواجب الوطني بحكم مسؤوليته للفرع الثاني في الحزب الديمقراطي الكوردستاني وتطورت إلى علاقة رفاقية صميمية جمعتنا في المراحل الأخرى كرفاق درب واحد في صفوف الحزب وكل واحد في موقعه وفي أماكن

متباينة من أرض كوردستان المقدس، ولم ألتق بالأخ فرنسو بعد تعارفنا الأول في مدينة كويسنجق إلا بعد مرور أربعة أعوام على ذلك اللقاء حيث كانت:

المحطة الثانية:

بعد انقلاب ٨/شباط/١٩٦٣ الدموي طرأت تغيرات كبيرة في الساحة السياسية العراقية نتجت عنها سقوط نظام الفريق عبدالكريم قاسم ومجيء حزب البعث والكتل القومية إلى دست الحكم وكان هدفهم الأول تصفية الخصوم السياسيين في الساحة بأسلوب دموي وقاسٍ للغاية، وقد دخلت قيادة الثورة الكوردية في مفاوضات مع السلطة الجديدة بناءً على تفاهم سابق مع بعض من قادة البارتي آنذاك أملاً في الوصول إلى حل يرضي الحركة التحررية الكوردستانية التي أعلنت الثورة المسلحة في ١١/أيلول/١٩٦١ بعد فشل الجهود السلمية لوضع حد للاستفزازات والدعوة إلى صهر الشعب الكوردي في بودقة القومية العربية وتطبيق المادة الثالثة من الدستور المؤقت التي كانت تنص على (شراكة الكورد والعرب) في الوطن العراقي ولكن المحيطين بالفريق قاسم مدنيين وعسكريين من العناصر الموتورة والحاقدة حتى على عبدالكريم قاسم والمتآمرين عليه لاحقا بالإضافة إلى ضيق الأفق وعدم قراءة الواقع السياسي والتركيبة القومية في العراق من قبل الفريق قاسم أديا إلى توسيع رقعة الخلاف وابتعاد الفريق قاسم عن أهداف الثورة التي قادها في صبيحة يوم ١٤/تموز/١٩٥٨ ووعوده المعلنة في بداية الأمر (بأن ثورة ١٤ تموز جاءت لأنصاف المظلومين وإرجاع الحق إلى أصحابه والقضاء على كل ما هو فاسد في الوضع السياسي العراقي وتمتع الشعب الكوردي بحقوقه العادلة) ولكن ويا للأسف لم تجر الرياح بما كانت تشتهيه إرادة الشعب العراقي إذ تغير الاتجاه الوطني وتوجه وجهة أخرى وأقل ما يقال كانت معاداة الحركة الوطنية العراقية والتنصل من الاعتراف بحقوق شعب كوردستان والتي أصبحت سيماءً للحكم مما سهل للآخرين الانقضاض على الحكم وتصفية الفريق عبدالكريم قاسم ورفاقه تصفية جسدية بدون رحمة وفي خصم هذه التغيرات أطلق النظام الجديد وعوداً لشعب كوردستان بأنه سيحترم ما وعد به نتيجة (تلاحم الثورتين) في القضاء على النظام السابق ولكن وكما أظهرت الأيام أن تلك الوعود لم

تكن نابعة عن إيمان النظام الجديد بحل المسألة الكوردية سلمياً وإنما جاءت وفق تكتيك سياسي غرضه تصفية الخصوم أولاً ومن ثم التفرغ للقضاء على ثورة أيلول الكبرى كما كانوا يحلمون بذلك عبر (نزهة وطنية) للجيش العراقي!

في أوائل شهر حزيران ١٩٦٣ تركت عائلتنا مدينة كويسنجق قبل وصول الجيش العراقي إليها ملتحقةً بالمناطق المحررة للثورة الكوردية وأختارت مدينة (قلعة دزه) في البداية التي كانت بعيدة عن السلطة الحكومية ومن ثم التوجه نحو قرية (هلشو) على الحدود الإيرانية تاركين ما هو موجود لدينا من عقارات وموجودات بيتية ومصالح مادية أخرى وفي شهر تموز عام ١٩٦٣ كانت (قلعة دزه) تعج بالناس القادمين من مختلف مناطق العراق وكوردستان خوفاً من بطش السلطات العسكرية والتي أحرقت الأخضر واليابس في المناطق التي كانت في قبضتها وفي عصر أحد الأيام وبالتحديد في منتصف شهر تموز وبينما كنت مع لفيف من أصدقائي متوجهين إلى (كَردي حسني) (تل حسني) الواقع في الجنوبي الشرقي من مدينة (قلعة دزه) حيث كان مكاناً للتنزه والتجمع في مثل تلك الأوقات وبينما كنا نتداول الأخبار الواردة من جبهات القتال وكانت المعارك الطاحنة على أشدها بين البيشمركه المدافعين عن أرض كوردستان وثورتها وبين القطعات العسكرية في الجيش العراقي وإذا بي ألتقي وجهاً لوجه مع فرنسو حريري عند مدخل (قلعة دزه) وهو بقيافة الملابس الخاكية معتمراً اليشماغ الأحمر حاملاً بندقية إنكليزية على كتفه الأيسر برفقة شخص ما وكان يبدو في هندامه وفي مظهره أنه يحتل مركز ما في صفوف الثورة وكان يحمل حقيبة خاكية صغيرة وهي على شكل كيس لها حاملة لغرض تعليقها على الكتف مع جهاز راديو صغير نسبياً ولم أعرف الشخص المذكور في بداية الأمر وبينما كنت منشغلاً مع الأخ فرنسو الذي عرفني في الحال بالسؤال عما أفعله في (قلعة دزه) وبعد طرح مجموعة من الأسئلة والأجوبة المتبادلة قدمني إلى الشخص الواقف على بعد مترين منه قائلاً:

فرنسو موجهاً كلامه لصاحبه: (أقدم لك الأخ فرهاد أبن الشاعر الوطني عوني وهو من مدينة كويسنجق وقد عرفت الآن منه بأنهم جميعاً ملتحقين بالثورة وسبق أن تعرفت عليه قبل أربعة أعوام في كويسنجق وهو من الشباب الشغوفين بالرياضة) وقبل أن ينهي الأخ فرنسو كلامه قاطعه الشخص الثاني والذي كان قد بدا على محياه

ابتسامة خفيفة حيث علق على كلام فرنسو بقوله: (تباً للذاكرة فقد كنت أقول مع نفسي وأنتما تتجاذبان الحديث بأن شكل هذا الأخ ليس غريباً عني وكأنني أعرفه ولما تلفظت أسم الشاعر عوني ومدينة كويسنجق حتى تذكرت بأننا كنا نرتاد بيتهم عندما كان البارزاني ضيفاً على مدينة كويسنجق في آذار هذا العام أثناء ترؤسه المؤتمر الحزبي والشعبي الكبير لبلورة الأفكار والمطاليب من جانب الثورة الكوردية والحزب الديمقراطي الكوردستاني قبل الدخول في عملية المفاوضات مع السلطة الجديدة وكان بيتهم قد ضيفنا مع مجموعة أخرى من الشخصيات الكوردية مثل تحسين سعيد بك اليزدي وعباس مامند آغا وإسماعيل سوار آغا والملا إبراهيم مدة عشرين يوماً ولقد عرفت فرهاداً هذا وكان لا يبارح مجلسنا في بيتهم إلى النهاية).

بعد هذه المحادثة بيننا استأذنت من أصدقائي وتوجهت إلى مركز المدينة معهما، ثم تبين أن الشخص الثاني هو عبدالله اسحاقي المشهور بـ(أحمد توفيق) سكرتير الحزب الديمقراطي الكوردستاني الإيراني آنذاك وكان شخصية سياسية له شأنه وذا ثقافة واسعة وقد كرس جهوده وإمكانياته في خدمة الثورة والبارزاني ولقد أيقنت حينذاك بأنه مع الأخ فرنسو في مهمة خاصة مكلفين بها من قبل البارزاني وطلبت منهما الذهاب إلى بيتنا الذي كنا قد أستأجرناه بشكل مؤقت قبل التوجه إلى قرية (هلشو) واعتذر المرحوم أحمد توفيق عن ذلك لانشغاله وعدم وجود الوقت الكافي لديهما وبدلاً من ذلك إقترح المكوث في (مقهى مصطفى) على جهة اليسار من مدخل (قلعة دزه) حيث كنا وأصدقائي نرتادها في بعض الليالي وكان صاحبنا يرش مدخل مقهاه بالماء ووضع كراسي المقهى في الهواء الطلق حيث كانت تحتل قسماً من جانب الشارع للترفيه عن رواد المقهى في موسم الصيف وبعد استراحة قصيرة وتناول الشاي انضم إلى مجلسنا أحد الضباط العرب الملتحقين حديثاً بصفوف الثورة في المعسكر القريب من قرية (بله) كونه كان ضمن صفوف الحزب الشيوعي العراقي وكان يدعي (مهدي الخفاجي) وهو برتبة رئيس أول (رائد حالياً) وكان على معرفة بفرنسو حريري الذي ساعده عند التحاقه بالثورة الكوردية بعد إنقلاب ٨/شباط/١٩٦٣ وقد عرفه في الحال، ودخلنا جميعا في حديث طويل حول السياسة وشؤونها وأخبار المعارك الطاحنة على جبهات القتال حيث كانت المعارك على أشدها في كافة المناطق وخاصةً

في جبهات (العمادية، بارزان، ئاكرى) حيث كانت البيانات العسكرية تصدر باسم قائد عمليات المنطقة الشمالية العقيد سعيد فتحي الصقلي متباهياً بانتصاراته الوهمية (وتطهير شمالنا الحبيب من رجس الخونة وعملاء موسكو!!) وبينما كنا مستمرين في الحديث وإذا ببيان جديد يصدر عن قائد العمليات العسكرية يعلن فيه (عن تطهير أماكن واسعة في منطقة شوان التابعة لمحافظة كركوك بالتعاون والتنسيق بين القعطات العسكرية وفرسان خالد بن الوليد وفرسان صلاح الدين) وقبل أن ينهي مذيع إذاعة بغداد البيان علق الأخ فرنسو وبصوت أعلى نسبياً من المعتاد قائلاً: (وماذا بعد؟! فالخاسر في النهاية هو حكام بغداد وسوف يجنون ما يزرعون، صحيح أنهم أغبياء ولم يقرأوا التأريخ، ف(نابليون) وصل إلى مشارف موسكو ثم انحدر فحكام بغداد ليسوا بقوة هتلر وجيشه فهو أيضاً قد انحدر ولم يستطع وقف تراجع قواته لا في أرض السوفيات ولا في دول أوروبا الشرقية ولم يكن يتصور بأن مدينة برلين عاصمة ألمانيا ستسقط يوماً ولم يبق أمامه إلا الانتحار وأنا على يقين بان الثورة الكوردية ستصمد وستكون عاملاً حاسماً في إسقاط هذه الحكومة) (ولقد صدقت نبوءة فرنسو حيث لم تمض أكثر من خمسة أشهر وإذا بالنظام الجديد ينهار).

وطالت جلستنا لأكثر من ساعة وقبل الانتهاء منها سألني الأخ فرنسو عما أفعله وقد ضاعت مني سنة دراسية بسبب استئناف القتال من قبل الحكومة فأخبرته بأنني سوف ألتحق برفقة عمي (عمر حبيب) بتشكيلات (المحكمة العليا للثورة) التي كانت قد تشكلت حديثاً واتخذت من قصبة ماوه ت التابعة لمحافظة السليمانية مقراً لها وهنا انفرجت أساريره وشدد على يدي مهنئاً وتمنى لي الموفقية ولم ينس أن يقول لي مازحاً: (لا توجد في ماوه ت نشاط رياضي في الوقت الحاضر حاول أن تشكل فريقاً لكرة القدم من الأسرى والمساجين، الأسرى من جهة والمساجين من جهة أخرى، وأنني سوف أرسل لك الكرة مستقبلاً) وبانتهاء الحديث ودعاني على أمل اللقاء قريباً وعندما أبتعد خطوات مني ألتفت نحوي قائلاً: (لا تشغلك السياسة عن الرياضة) حينئذ أجبته بكلام وأنا أتقدم نحوهما بخطوتين: (وهل تدع السياسة مجالاً لنا لكي نمارس الرياضة؟) وبسرعته البديهية علق على كلامي قائلاً: (المهم أن يتصف السياسي بروح رياضية وإلا لن يكون سياسياً ناجحاً) بعدئذ دلفا الشارع الرئيس في

(قلعة دزه) متوجهين لإنجاز المهمة التي كلفها به البارزاني وبعد عدة أيام توجهت نحو قصبة ماوت برفقة عمي حيث كان ينتظرنا عمل جديد في أحد مفاصل الثورة ولم ألتق بعدئذ فرنسو إلا بعد مرور أربعة أعوام حيث كانت:

المحطة الثالثة:

لم يكن قد مضى على انعقاد المؤتمر الخامس لاتحاد طلبة كوردستان والإنتهاء من أعماله في (١٤-١٦/تموز/١٩٦٧) أكثر من شهر في قرية (تيمزاوه) المحررة والتابعة لمحافظة كركوك حين عقدنا العزم نحن (أعضاء لجنة منطقة بغداد) آنذاك لاتحاد طلبة كوردستان المتكونة من الزملاء (تحسين الأتروشي، وعادل فاضل ليلاني، وجلال خوشناو وفريدون عثمان وعبدالرحمن عزيز وجواد شيرواني وأنا) على إرسال زميلين لنا إلى منطقة كلاله والاتصال بقيادة البارتي لتوضيح بعض المسائل والأمور المتعلقة بالمؤتمر الخامس ونتائجه وما نجمت عنه من بعض المشاكل التنظيمية وضرورة معالجاتها بالسرعة الممكنة لتلافي السلبيات في عمل الإتحاد حيث توصلت اللجنة (لجنة منطقة بغداد) وكانت من أقوى اللجان الاتحادية في ذلك الوقت كونها كانت مسؤولة عن تنظيمات اتحاد طلبة كوردستان في كلٌ من جامعتي المستنصرية وبغداد واعدادياتها بالإضافة إلى مسؤوليتها عن تنظيمات لجنة محلية خانقين ولجنة محلية الكوت وجامعة البصرة وتأثيراتها على عمل تنظيمات محافظتي كركوك والسليمانية من خلال الزملاء، عادل ليلاني وفريدون عثمان وهيوا جلال حمدي بإرسال زميلين إلى كلاله حيث كلفت اللجنة الزميل جلال خوشناو وأنا لهذه المهمة.

وفي أواخر شهر آب ١٩٦٧ توجهت في يوم معين إلى شقلاوه حيث كنت متفقاً مع الزميل جلال خوشناو على ذلك وقد أميضت أنا ليلة هناك وفي صباح اليوم التالي وعن طريق أحد سواق السيارات الذي كان من معارف الزميل جلال، توجهنا إلى رواندوز ومن باب التمويه قضينا بعض الوقت في مصيف بيخال وبعد الظهر سارت بنا السيارة إلى كلاله حيث كان سائقها من أعضاء البارتي وكانت له معرفة جيدة بالطريق وكيفية العبور من نقاط السيطرات الحكومية وعند الساعة الخامسة عصراً تركنا سائق السيارة في مقهى (دربند رايات) الواقع على ضفاف نهير وسط الأشجار الباسقة حيث

كانت بعض الكراسي الخشبية موضوعة وسط مياه النهير مما كان يمنح للمسافر عند وصوله للمقهى أن يضع أقدامه في مياه النهير لجلب المزيد من الراحة قبل البدء بتناول الشاي أو الطعام، وبينما كنا (زميلي جلال وأنا) واضعين أقدامنا في المياه ومنهمكين بغسل وجوهنا بمياه النهير البارد توقفت سيارة مكشوفة من نوع الجيب الأمريكي (بدون غطائها الكتاني الأخضر) على يمين الشارع إذ كانت قادمة من قصبة جومان وحال توقف السيارة ترجل منها شخصان عرفت في الحال أحدهما وكان فرنسو الذي بادرني وهو على مقربة منا على مسافة خمسة أمتار بقوله ضاحكاً: (يتبين لي بأن مجيئكما جاء عن طريق (القجغ)، لماذا لم تمرا عليّ في كلاله قبل وصولكم إلى هنا؟) وتقدم نحونا وصافحنا بحرارة ثم قبلنا ولكوني كنت على معرفة سابقة به فقد قدمت له زميلي جلال خوشناو كونه طالباً في كلية الهندسة التكنلوجية ببغداد وأحد أعضاء لجنة منطقة بغداد لأتحاد طلبة كوردستان فأجابني (لم ألتق به سابقاً لكنني أعرفه بالاسم ولديّ المعلومات بأنه يعمل في صفوف أتحاد طلبة كوردستان في بغداد، أهلاً وسهلاً بك وبه) بعدئذ أتخذ من أحد كراسي المقهى بالقرب منا مكاناً له وسألنا بعد أن جلسنا حول الطاولة التي كانت أمامه: (هل تناولتما طعام الغداء، ألستما جائعين؟) فقلنا له لقد جئنا صباح اليوم من شقلاوه وتناولنا الغداء في بيخال وبعد الظهر وصلنا إلى هنا ولا نشعر بأي جوع حيث لم تمض على تناولنا طعام الغداء سوى ثلاث ساعات، وقد تبين لنا بأن فرنسو كان في طريقه متوجهاً نحو حاج عمران عندما لمحنا فأوقف سيارته على الجانب الآخر من الشارع وسألنا عن الغرض من زيارتنا ومكان إقامتنا وعندما علم بغرض الزيارة وعدم وجود مكان مقرر حتى تلك اللحظة لإقامتنا فيه ليلاً حيث لم يكن قد مضى على وصولنا أكثر من نصف ساعة فبادر وبإلحاح بأننا سنكون ضيفيه في كلاله واستأذن منا بعد أن ذكر لنا بأن له موعداً في حاج عمران ولا يستطيع تأجيله وعليه الوصول في الموعد المحدد ثم خيرنا بين البقاء في تلك المقهى أو أي مكان آخر في المنطقة حتى عودته قبل ذهابنا إلى كلاله وأعلمناه بأننا نفضل البقاء في تلك المقهى طلباً للراحة وسنكون بانتظاره ريثما يعود..

ومع غروب الشمس في ذلك اليوم القائظ من أيام الصيف وبعد أن أخذنا قسطاً من الراحة في تلك المقهى حيث كان المناخ هناك معتدلاً ومع تلاشي أشعة الشمس مبكراً

في تلك المنطقة بسب وقوعها بين سلاسل جبلية شاهقة أخذ الطقس يميل إلى الاعتدال نسبياً وعلى حين غرة وبينما كنا جالسين في المقهى وعيوننا شاخصة إلى الغرب حيث كانت قرية (دربند) وسلسلة من الجبال المغطاة بالأشجار الجبلية وإذا بالأخ فرنسو ينادينا وهو على مقود سيارته قائلاً: (ألم تكتفيا بعد من التمتع بمناظر الجبال؟ هيا تفضلا معي إلى السيارة)، وعندما اتخذنا مكاننا قاد سيارته باتجاه كلاله وبدأ يشرح لنا طبيعة المنطقة والنقاط الدالة فيها من المقرات بشيء من التحفظ دون الدخول في التفاصيل وحال وصولنا إلى كلاله حيث كنا نزورها لأول مرة والتي أصبحت عاصمة الثورة الكوردية على حد تعبير وسائل الإعلام العالمية عندما كانت تذيع أو تنشر خبراً عن (المتمردين الأكراد) بين حين وآخر وقد كانت (كلاله) عزيزة في قلوبنا حيث كنا نتخيلها عندما كنا نسمعها ضمن نشرات أخبار الإذاعات الخارجية وكأنها أحدى أجمل مدن العالم قاطبة.

وعلى عتبة داره في كلاله كانت تقع في نهاية الشارع المتعرج الوحيد وغير المبلط شاهدنا عدة أشخاص كانوا واقفين بانتظار عودة فرنسو وكل واحد منهم كان له أمر يحتاج للبت فيه إلى فرنسو وخلال عشر دقائق استطاع بلباقته المعهودة البت في أمور الواقفين، بعدئذ دخلنا داره وصعدنا مباشرة إلى سطحها حيث كانت السجاجيد (سجادات) الخفيفة مفروشة على شكل خطين متوازيين وبينهما كانت هناك قطعة من النايلون السميك (السفرة) لغرض تناول الطعام عليها وكان السكون سائداً وبدأت النجوم بالظهور في سماء كلاله الصافية رويداً رويداً وجلب أحدهم جهاز التليفون الخاكي اللون الذي كان يعمل بواسطة البطارية الجافة ذات الآلية اليدوية ووضعه أمام فرنسو حيث بدأ هو حالاً تشغيله وإجراء عدة مكالمات مع هذا وذاك وكلها كانت تخص شؤون وأمور الثورة الكوردية.

وبعد الانتهاء من تناول العشاء تشعب الحديث عن أمور شتى وكلها كانت منصبة حول عملنا التنظيمي في صفوف الطلبة الكوردستانيين والعلاقة مع الاتحادات الطلابية العربية وغير العربية والمشاكل التي كنا نواجهها مع بعض الزملاء في جامعتي الموصل وبغداد وآثارها السلبية في مجمل نشاطاتها على ضوء نتائج المؤتمر الخامس ودور قيادة تنظيم بغداد لاتحاد طلبة كوردستان لمجابهة تلك المشاكل ومواجهة المجموعة

المنشقة عن اتحاد طلبة كوردستان آنذاك وكذلك الغرض من مجيئنا إلى كلاله كوننا كنا نحمل رسالة من الأستاذ صالح اليوسفي عضو المكتب السياسي للبارتي ورئيس تحرير صحفية (التآخي) التي كانت قد بدأت بالصدور في ١٩٦٧/٤/٢٩ بعد المناخ الذي ساد الجو السياسي بين الثورة الكوردية بقيادة البارزاني الخالد وحكومة الفريق عبدالرحمن عارف إثر التوقيع على اتفاقية ٢٩/حزيران/١٩٦٦ وكانت رسالة اليوسفي موجهة إلى المكتب السياسي حيث كان كما قال لنا اليوسفي بعد الانتهاء من كتابتها في بغداد ونحن نناقشه بأمر سفرنا (بأنه - أي اليوسفي - يثمن عالياً دور قيادة لجنة منطقة بغداد باعتبارها كانت على حد قوله هو الرأس الفاعل لاتحاد طلبة كوردستان ويزكي كذلك المجموعة القيادية في بغداد ويأمل من المكتب السياسي سماع وجهة نظرنا ثم وضع الحلول العملية للمشكلة) وحين سماع الأخ فرنسو الغرض من زيارتنا لم يتفوه بكلمة وإنما أدار بيده جهاز التليفون وطلب الاتصال بالأستاذ حبيب محمد كريم السكرتير العام للبارتي آنذاك وبعد أن أفلح في الاتصال به بموضوع مجيئنا إلى كلاله وتحديد موعد لنا معه في صباح اليوم التالي، وبعد الانتهاء من المكالمة بدأ بشرح ما كان يعبر عن رأيه لأنه كان على علم بالموضوع وعلى دراية كاملة بمشاكلنا ولم يحاول فرض رأي معين علينا بحكم علاقته بنا وبالزملاء الآخرين ولكنه بعد الاستفسار عن بعض كبائر الأمور وصغائرها بدأ يتحدث لنا وكأنه في صلب المشكلة والمكلف بحلها قائلاً لنا:

(من حيث المبدأ أنا متفق معكم وأنني على يقين بأنكم تجابهون أصعب الظروف في بغداد لأن عملكم يطغي عليه الجانب السياسي وأن أعداء الثورة الكوردية من كل حدب ولون بالإضافة إلى العناصر المرتزقة والتيار الشوفيني العربي وأجهزة السلطة لا تنظر بعين الارتياح إلى قوة الثورة وشخصية البارزاني وكل هذه الأطراف ربما يختلفون في كثير من الأمور ولكنهم متفقين على شيء واحد وهو معادات الثورة الكوردية وفي هذه الحالة وبما أن الطلبة هم رأس الرمح في كل الثورات والمعارك الوطنية كما وصفهم البارزاني القائد قبل فترة في لقائه مع مجموعة أخرى من قيادة تنظيمات إتحاد طلبة كوردستان ليس أمامكم إلا التعاون والتآزر فيما بينكم لأنكم مستهدفين من قبل كل هذه المجموعات المناوئة للثورة الكوردية وقد قلت لكم في البداية بأنني متفق معكم

من حيث المبدأ ولكنني أختلف معكم في الشكل تمام الاختلاف لأنكم تعرفون بأن المؤتمر هو أعلى سلطة وأن احترام مقررات المؤتمر هو عين الصواب وحاولوا قدر المستطاع تضييق حدة الخلاف لأن الكل وبدون استثناء يريد أن يخدم الثورة وكل واحد منكم يفتخر بكونه سفيراً للثورة بين الإتحادادت الطلابية العراقية وغير العراقية وأن الاختلاف نابع عن الشكل وهو ليس بالأمر الجوهري ومن حسن الحظ لا يشعر غيركم من الطلبة بوجود خلافات في صفوفكم وحاولوا جهد المستطاع حصر الخلافات لئلا يؤثر على عملكم وتنظيماتكم وهذه نصائحي والأمر متروك لكم عندما تجتمعون مع الأخوة في المكتب السياسي يوم غد في الساعة الحادية عشرة قبل الظهر).

وبعد انتهاء الأخ فرنسو من توجيه نصائحه وإرشاداته بأسلوبه السلس والمؤثر بدأنا نناقشه فتارة كان يمدحنا ويقيم أسلوبنا في العمل الطلابي وتارةً أخرى كان يوجه لنا النقد تلو النقد في إثارة بعض المشاكل وعندما أوشكنا على النهاية قال لنا: (ربما أثرت عليكم مضامين وأفكار حركة التمرد الطلابية في فرنسا الذين ثاروا في أيار الماضي ـ أيار عام ١٩٦٧ ـ بقيادة الطالب اليهودي كوهين ضد حكومة الجنرال شارل ديغول) عندئذ قلت له:

أن احتجاجات الطلبة في باريس والمدن الفرنسية الأخرى كانت موجهة بالأساس نحو حكومة الجنرال ديغول وكانت مطالبهم واضحة ولربما قد تأثرنا بشعاراتهم وحركتهم المنظمة والتي زادت من قوتنا ونحن نجابه سلطة عسكرية بدأت تتراجع عن مضمون اتفاقية ٢٩/حزيران/١٩٦٦ وأن التصريحات الأخيرة للفريق طاهر يحيى رئيس الوزراء وكذلك تنصل الدكتور عبدالرحمن البزاز رئيس الوزراء السابق عما وعد به بحل المشكلة الكوردية. وهنا قاطعني فرنسو وقال: (إذن لم يبق أمامكم إلا حل تلك المشاكل البسيطة بينكم لكي تواجهوا وبصف واحد ما تحدق بكم وبالثورة الكورديةمن مخاطر وكونوا على يقين بأن عقلية حكام بغداد العسكريين في توجهاتهم لحل المشكلة الكوردية لا تدعو إلى التفاؤل وكونوا حذرين في ذلك وما عليكم إلا توحيد الصفوف).

وفي صباح اليوم التالي كنا على موعد في مقر المكتب السياسي حيث صحبنا الأخ فرنسو بسيارة الجيب القديمة إلى هناك في الموعد المقرر وطلب منا لقائه ثانية بعد

الانتهاء من المهمة التي كنا قد سافرنا من أجلها وحال وصولنا إلى مقر المكتب السياسي استقبلنا السادة حبيب محمد كريم السكرتير العام للبارتي آنذاك ويدالله كريم والمرحوم حمدأمين محمد علي (حمدأمين بك) عضوي اللجنة المركزية وبعد استراحة قصيرة وانتهاء الترحيب سلمنا رسالة الأستاذ صالح اليوسفي إلى الأستاذ حبيب محمد كريم وبعد قراءتها للرسالة علق عليها بطريقته المعهودة قائلاً: (يا أهلاً وسهلاً بممثلي تنظيمات الطلبة الأبطال في بغداد، نحن كذلك نعرفكم وخاصةً الأخ فرهاد لأنني كنت ووالده في تموز عام ١٩٦٢ لغاية آذار ١٩٦٣ كنا رفاق سجن نقرة السلمان تفضلوا أأمروا ونحن السامعون، الأخ صالح اليوسفي مهتم بالموضوع وهذا من حقه لأنه هو المسؤول والمشرف على تنظيماتكم) حينئذ طرحنا ما كنا نحمله من أفكار وطروحات لتوحيد الأفكار ثم الأعمال وتقوية تنظيمات اتحاد طلبة كوردستان في كافة أنحاء العراق وبعد مناقشات مستفيضة توصلنا إلى تثبيت برنامج عمل بحيث كان يقضي على السلبيات التي كانت موجودة هنا أو هناك وتحديد المسؤوليات على ضوء قرارات المؤتمر الخامس وتعزيز لجان الفروع والمحليات بعناصر كفؤة ومخلصة مع الأخذ بنظر الاعتبار وضعية قيادة تنظيم بغداد وتوابعها كونها كانت تمثل تنظيمات المركز (بغداد) واحتالأخا بالاتحادات الأخرى ووجودها في مركز المجابهة مع النظام ومع الأطراف الأخرى، وهنا والحق يقال كانت لأفكار وتوضيحات وإرشادات الأخ فرنسو في الليلة السابقة أثرها الكبير في طروحاتنا وتهدئة النفوس الثائرة ومجابهة المشاكل بروح رياضية وحلول عقلانية بعيدة عن التعصب ومسح الآخرين.

كنا على وشك الانتهاء من تناول طعام الغداء في المكتب السياسي حين رن جرس التلفون وتبين بأن الأخ فرنسو على الخط من الطرف الآخر يستفسر عنا وحين علم بأننا ننتظر طبع الرسالة الجوابية من المكتب السياسي إلى الأستاذ اليوسفي حول موضوعنا اقترح علينا التوجه إلى دربند رايات حيث كان المقهى الصيفي التي صادفنا فيها الأخ فرنسو هناك.

وفي الساعة الثالثة عصراً أقلتنا السيارة إلى دربند رايات وكان الجو حاراً وكنا ننوي العودة إلى شقلاوه لقضاء الليل فيها ولكن حضور الأخ فرنسو إلى المقهى وإصراره على البقاء ليله أخرى عنده خاصة وأنه اقترح علينا زيارة قرية حاج عمران

عند الحدود العراقية ـ الإيرانية عصر ذلك اليوم وبعد دردشة صغيرة بيني وبين الزميل جلال فضلنا البقاء ليلة أخرى في ضيافة الأخ فرنسو. مما أتاح لنا التعرف عليهم ومعرفة الكثير من الأمور ولم ينس وهو وسط مشاغله بتوصية أحدهم بترتيب أمر عودتنا إلى شقلاوه صباح اليوم التالي بتخصيص سيارة معينة بحيث يكون سائقها من العناصر المعتمدة من قبل الثورة.

وفي صباح اليوم التالي ودعنا فرنسو أمام باب داره وتمنى لنا الموفقية في أعمالنا وأعلن عن كامل استعداده لتسهيل أمورنا عندما نحتاج إلى أمر ما مستقبلاً، حينئذ لم يدر بخلدي بأننا سنلتقي به بعد ما يزيد من عامين في حضرة البارزاني الخالد في الوقت الذي أصبحنا فيه ضيوفه في قرية ديلمان حيث كانت:

المحطة الرابعة:

في خريف عام ١٩٦٩ كتبت جريدة (الثورة) لسان حال حزب البعث بعد فشل جولة أخرى من القتال المفروضة على شعب كوردستان والتي أصبحت إستراتيجية الحكومات العراقية المتعاقبة منذ عام ١٩٦١ للقضاء على الحركة التحررية الكوردستانية وعندما أيقن البعثيون بأن جولتهم القتالية (على وشك الفشل) التي بدأوا بها بعد مرور عدة أشهر على استلامهم للحكم للمرة الثانية في ١٧ تموز عام ١٩٦٨ بدأوا بتغيير تكتيكهم هذه المرة وحاولوا الدخول مرة أخرى في حوار مع قيادة الثورة الكوردية ودشنوا تلك المرحلة بكتابة مقال في جريدة (الثورة) البغدادية وهي لسان حال حزب البعث الحاكم بعنوان (كيف السبيل إلى حل المسألة الكوردية؟) ثم أعقبتها مجلة (الطليعة العربية) بنشر خبر بارز على صفحتها الأولى وعلى لسان نائب رئيس مجلس قيادة الثورة العراقية صدام حسين بعنوان (نعم هناك حوار مع البارزاني).

وقد راقبت هيئة التنظيم المركزي لاتحاد طلبة كوردستان الوضع السياسي الجديد عن كثب وأجرت عدة اتصالات للوصول إلى حقيقة الموضوع وعندما تطرق إلى مسامعنا بأن وفداً من الثورة الكوردية على مستوى عال في بغداد وقد حل ضيفاً في القصر الأبيض دون الإعلان عنه، حينئذ حاولنا بمختلف السبل الوصول إليهم وقد

أفلحنا في ذلك (أوردت التفاصيل ذلك من إحدى حلقات (من الذاكرة) حيث أعلمونا التفاصيل عن المفاوضات الجارية والعراقيل التي تقف أمامهم وأبلغونا بضرورة سفر ممثلي هيئة التنظيم المركزي لاتحاد طلبة كوردستان إلى ناوبردان حيث مقر المكتب السياسي في بداية العطلة الربيعية التي تصادف الأول من شهر شباط لمواجهة الظروف الجديدة والإطلاع على كامل الصورة للأوضاع السياسية ومهمة اتحاد طلبة كوردستان في ذلك الوقت وحل بعض المشاكل العالقة التي لم يتم التوصل إليها فيما بيننا.

وفي أواخر شهر كانون الثاني عام ١٩٧٠ عقدت هيئة التنظيم المركزي اجتماعا موسعاً لتدارس الأمر واتخاذ القرارات اللازمة غلى ضوء المستجدات الجديدة حيث خرجت بعدة قرارات منها إرسال كل من الزملاء (جواد شيرواني، جلال خوشناو، عبدالقادر حمدأمين، أنور عبدالله وأنا) إلى ناوبردان لطرح ما لديناً على المكتب السياسي للبارتي والتشرف بلقاء البارزاني وتقرر أن نلتقي في كَلاله يوم ٥/شباط/١٩٧٠ عند الأخ فرنسو لغرض التنيسق معه بشأن تحديد يوم وساعة الاجتماع مع المكتب السياسي.

وفي عصر اليوم الخامس من شباط وجدنا أنفسنا في دار الأخ فرنسو باستثناء الزميل جواد شيرواني الذي تأخر عن المجيء إلى كَلاله بزهاء ساعتين لأنه لم يهتد بسهولة إلى المكان المقرر للالتقاء وعندما أجتمع شملنا رحب بنا الأخ فرنسو كثيراً وتمنى لنا النجاح وقد فرح كثيراً عندما رآنا ونحن قد وضعنا المشاكل جانباً وحدثنا حسب معلوماته عن آخر التطورات ومراحل المفاوضات الجارية باقتضاب وقال لنا: (غداً تعرفون كل شيء عندما تجتمعون مع المكتب السياسي) وقام باتصالاته المعهودة على الفور وكأنه كان مسؤولاً عن تلك العلاقات وتنظيمها وبعد الانتهاء من اتصالاته أعلمناه بأننا سنكون في ضيافة الزملاء عادل مراد وتحسين أتروشي وإبراهيم الحاج حسين شالي الذين كانوا من أعضاء اتحاد طلبة كوردستان وقد التحقوا بصفوف الثورة قبل ذلك الوقت بعام، لم يبد الأخ فرنسو انزعاجا وقد كان يفضل أن نكون من ضيافته معاً ولكن عندما علم بفطرته بأننا نميل لقضاء تلك الليلة مع زملائنا الذين كنا نرتبط معهم بعلاقات تنظيمية سابقة عندما كانوا طلابا في جامعة بغداد

ووفاءً لتلك العلاقة الرفاقية أوعز إلى أحد أفراد البيشمركه بمصاحبتنا إلى هناك وعندما كنا نهم بالخروج من داره قال الأخ فرنسو:

(باعتقادي أن زملائكم يعيشون في دارهم وأخشى أن لا تتوفر عندهم مستلزمات الضيافة وإذا ما علمتم بأن هناك نقصاً في تلك المستلزمات أعلموني لكي أوفر لكم ما تحتاجون إليه).

وفي ظهر يوم ٦/شباط/١٩٧٠ وبعد الانتهاء من جلسة العمل في مقر المكتب السياسي طلبنا وبإلحاح التشرف بلقاء سيادة البارزاني وبعد إجراء اتصال هاتفي من قبل الأستاذ حبيب محمد مع مقر سيادة البارزاني حول رغبتنا تلك حيث لم تمض أكثر من ربع ساعة بشّرنا المتحدث في الطرف الآخر عبر سماعة الهاتف بأننا (سنكون في حضرة البارزاني مساء اليوم نفسه في قرية ديلمان).

كان الجو شتائياً بارداً في تلك المنطقة وفي عصر ذلك اليوم أقلتنا سيارة من نوع (لاندروفر موديل عام ١٩٦٠) باتجاه قرية (قسري) وبعدها لم تتمكن السيارة من الاستمرار في مواصلة السير بسبب كثافة الثلوج مما اضطرنا للترجل منها والسير بمعية أحد المقاتلين وبعد السير مسافة مابين الثلوج وجدنا أنفسنا بين بيوت ديلمان الطينية والقليلة العدد الواقعة في ثنايا منطقة نائية بين أحضان سلاسل من التلول والجبال حيث كان يسودها الصمت والسكون وفجأةً وعلى حين غفلة نبهنا صوت جهوري وإذا بصاحبه واقف عند مدخل أحد بيوت ديلمان وهو يرحب بنا من بعيد ويشير بيده إلينا للتوجه نحوه وعرفنا بأن صاحب الصوت هو الأخ حريري وعندما أصبحنا وجهاً لوجه معه رحب بنا كثيراً وقال لنا مازحاً: (كأنكم غرباء هنا بملابسكم الأفندية) وعرفنا منه بأننا سنلتقي بسيادة البارزاني في ذلك البيت الذي كان هو واقفاً أمام مدخله وأعطانا بعض الملاحظات الضرورية التي كنا نجهلها ونصحنا بتجنب استعمال الألقاب الطنانة لأن البارزاني كما أكد لنا الأخ فرنسو حريري يكره بطبيعته مثل هذه الألقاب وأخبرنا بأن الأخ إدريس البارزاني موجود في الداخل.

وفي البداية رحب بنا الأخ إدريس البارزاني واستقبلنا ببشاشة وترحاب كبيرين وكان الأخ فرنسو يقوم بمهمة تعريفنا مع الإضافات اللازمة للتعريف من عنده وبحلول الساعة السادسة مساءً أطل علينا البارزاني الخالد بطلعته المهيبة ووجه الوقور

وشخصيته القوية وصافحنا فرداً فرداً وعندما كنا نعّرف أنفسنا لسيادته كان الأخ فرنسو يقوم بإضافات لازمة بشأن كل واحد منا وأدركت بأن فرنسو كان ذا مكانة خاصة عند البارزاني ونجله إدريس وأن تلك المكانة تعود بداياتها أساساً إلى عام ١٩٦٠ عندما عيّن فرنسو لأول مرة في قرية (بلى) المجاورة لقرية بارزان معلماً لمدرستها الوحيدة، وهناك تعرف على الراحل لقمان البارزاني نجل القائد مصطفى البارزاني ومن خلاله عرف خصوصيات المنطقة كونها كانت وماتزال مركزاً ومهداً للأفكار القومية المتنورة منذ بدايات القرن العشرين عندما ثار الشيخ عبدالسلام البارزاني على الظلم والطغيان ودعوته لإنشاء دولة كوردية كما تؤكد المصادر الوثيقة الإطلاع بتأريخ نضال الشيخ عبدالسلام البارزاني وفي تلك البقعة الثائرة دائماً بوجه أعداء شعب كوردستان تغيرت قناعات فرنسو الفكرية تجاه قضية شعب كوردستان ومدى الظلم الذي ألحق بهذا الشعب نتجية لعبة المساومة بين أصحاب القرار في الدول العظمى (وفي هذا الصدد يقول الأستاذ مجيد حداد الذي كان أحد الكوادر المتقدمة في الحزب الديمقراطي الكوردستاني في مدينة أربيل خلال العهد الملكي وأصبح عضو لجنة محلية أربيل وعضو لجنة الفرع للحزب بعد ثورة ١٤/تموز/١٩٥٨ وكان أحد مدرسي فرنسو حريري في مرحلة الدراسة الإعدادية خلال عاميّ ١٩٥٧-١٩٥٨ أن فرنسو كان قد أرسل له رسالة في صيف عام ١٩٦٠ عندما كان معلماً في قرية (بلي) بمنطقة بارزان حيث ذكر في رسالته تلك بأنه (أي فرنسو) قد اختار طريقاً آخر نتيجة حصول قناعات فكرية ووجدانية جديدة لديه وأنه يعتبر البارزاني أباً وقائداً للحركة التحررية الكوردستانية وأنه سيناضل في صفوف حركته حتى نهاية حياته)، وفي عام ١٩٦١ وبعد ظهور بوادر تراجع حكومة الزعيم عبدالكريم قاسم عن وعوده تجاه الشعب الكوردي وفق المادة الثالثة من الدستور المؤقت انتقل فرنسو إلى قرية (بالكيان) كمعلم أيضاً وكان يقوم مساء معظم أيام الأسبوع بالذهاب إلى قرية هاوديان القريبة لزيارة معلمي القرية وكانوا كلٌ من المرحوم يونادم وردة وجلال بهاء الدين وشوقي عليوي البستاني وزاهد عبدالحميد و(الأخيرين هما من الأشقاء العرب) حيث كانت تدور مناقشات طويلة حول الوضع السياسي في العراق ككل ومنطقة كوردستان بصورة خاصة وقد بدأت اتصالاته الفعلية بثورة كوردستان في ٢/آذار/١٩٦٢ عندما

كان حميد أفندي مسؤولاً عن قورة من البيشمركه في قرية (شاوراو) في منطقة بالك وكان فرنسو في الخامسة والعشرين من عمره آنذاك شاباً متألقاً طويل القامة ذا جسم رياضي، وسار في الدرب الذي آمن به وهو الشاب الآشوري الكوردستاني عن قناعة تامة والتي استمرت معه حتى يوم استشهاده وقد تدرج رحمه الله في معترك النضال السياسي بدءاً من التحاقه بتنظيمات البارتي كعضو ثم انخرط في صفوف البيشمركه وأصبح مقاتلاً لا يهاب الموت ومنذ ذلك الوقت أصبح قريباً من دائرة البارزاني الخالد نتيجة تفانيه الشديد وحبه وإخلاصه له بالإضافة إلى كونه كان يتصف بالذكاء الحاد والكتمان وحفظ الأسرار وكان يعرف كيف يتصرف وكيف يوازن الأمور ولقد تعلم ذلك منذ صغره بعد أن انخرط في العمل السياسي مبكراً وفي المرحلة الإعدادية عندما انتقل إلى مدينة شقلاوه لعدم وجود الإعدادية في بلدته حرير آنذاك ووجد نفسه وسط مدينة كان التآلف الديني من سمات شقلاوه كغيرها من المدن الكوردستانية حيث كان يعيش ومايزال بجانب الكوردي المسلم، الكلداني، والآشوري، وكذلك اليهود حتى عام ١٩٥٣ والكثيرون يتذكرون كيف كانت تركيبة الخلية الحزبية الواحدة سواء أكانت بارتية أو شيوعية، كانت تجمع بين هذه الألوان بدون تمييز مطلقاً والمتقدم منهم، كان أنشطهم وفي ذلك المناخ وفي النصف الأول من الخمسينات انضم الأخ فرنسو إلى صفوف اتحاد الطلبة العراقي العام وكان اختياره لهذا الطريق بفعل المناخ الذي ساد المنطقة وبعد وثبة كانون عام ١٩٤٨ وانتفاضة تشرين عام ١٩٥٢ ووجد نفسه بعد ذلك في صفوف الحزب الشيوعي العراقي مناضلاً تحت شعار الحزب المركزي (وطن حر وشعب سعيد) لتحقيق تطلعاته الوطنية وبعد ثورة ١٤/تموز/١٩٥٨ أصبح وجهاً بارزاً في (اتحاد الطلبة العام في الجمهورية العراقية) في مدينة أربيل ولكن قناعاته الفكرية والوجدانية بدأت تتغير بعد أن وجد نفسه معلماً في قرية (بلى) بمنطقة بارزان في صيف عام ١٩٦٠ ولم يكن تغيير قناعاته تلك حافزاً لإظهار روح العداء للمدرسة التي انتمى إليها في بداية شبابه كما يحلو للبعض بدافع ارتقاء السلم وانتهاز الفرص وقد ذكر لي عدة مرات عندما كنا نتجاذب أطراف الحديث في مكتبي بجريدة (برايه تي) أنه يعتبر الحزب الشيوعي العراقي مدرسة وطنية حيث تخرج العديدون من قادة الأحزاب الكوردستانية من هذه المدرسة وأن تحولهم منها في فترات لاحقة يعود أساساً إلى غلبة

الطابع القومي والكوردستاني في التفكير وأن عودة البارزاني الخالد وقيادته للحزب الديمقراطي الكوردستاني واندلاع ثورة أيلول الكبرى ذات الطابع القومي والتحرري كان العامل الحاسم في تغيير قناعات الكثيرين.

وبعد إعلان اتفاقية ١١/آذار/١٩٧٠ بين قيادة الثورة الكوردية والحكومة المركزية في بغداد كنا نتلقى كثيراً في المناسبات الوطنية أو عند عقد المؤتمرات الحزبية أو الطلابية مع الأخ فرنسو وحينما كنا نسافر إلى منطقة ناوبردان وكلاله وجومان كان اللقاء معه ضمن أولوياتنا وقد كنا نستشيره في كثير من الأمور التي كانت تخص عملنا الطلابي وبالمقابل كان يقدم لنا التسهيلات وإبداء المساعدة عندما كانت تجابهنا المشاكل، وعند انتقالي للعمل في إدارة جريدتي (التآخي وبرايه تي) في بغداد بعد انتهاء مهمتي في إتحاد طلبة كوردستان بعد المؤتمر السابع له وبالتحديد في أواخر شهر كانون الأول من عام ١٩٧٢، صادف أن سافر الشهيد دارا توفيق رئيس تحرير جريدتي (التآخي وبرايه تي) إلى ناوبردان وبعد عودته أخبرنا الأخ دارا بأنه يحمل معه (مسدسين) هدية من الراحل إدريس البارزاني للسيد فلك الدين الأخ يي ولي أيضاً مع أربعة عشرة طلقة لكل واحد منا مع عشر طلقات إضافية لي وقبل أن أستفسر من الأخ دارا عن سر الطلقات العشرة الإضافية لي أخبرني بأنه عندما استلم المسدسين من الراحل إدريس البارزاني كان فرنسو موجوداً في تلك الأثناء حيث سحب عشرة طلقات من شاجورة مسدسه وسلمها إلى الأخ دارا قائلاً: (هذه هديتي لفرهاد) وعندما استفسر منه الأخ دارا عن سر إرسال تلك الطلقات الإضافية قال له فرنسو: (المسدس هو للحماية الشخصية وربما لم يجرب فرهاد المسدس حسب علمي، ولكي يتقن استعمال المسدس سيحتاج إلى هذه الطلقات الإضافية للرمي ويحتفظ بالباقي محشواً في مسدسه).

وفي آذار عام ١٩٧٤ ظهرت نوايا الحكومة العراقية على حقيقتها وأرادت تفرض حلاً مبتوراً واستسلامياً على قيادة الحركة التحررية الكوردستانية وسبقتها خطوات أخرى من باب التحدي لمشاعر شعب كوردستان بحسها السياسي أن جولة أخرى من القتال آتية لا محالة ولم يبق أمامهم إلا التوجه نحو المناطق المحررة في أوسع حركة تآزر لقيادة شعبهم وفي حالة لم يسبق لها مثيل لا في كوردستان ولا في أية بقعة أخرى

في منطقة الشرق الأوسط وقد التحق صحفيو جريدتي (التآخي وبرايه تي) بالمركز الإعلامي في ناوبردان واتخذوا من بعض أبنيتها الموجودة في بداية الأمر مقراً لهم وبدأنا نرتب أمورنا رويداً رويداً لحين تشكيل (الأمانات العامة) وأجهزتها الإدارية وفي بداية الأمر كنت أقضي الليالي في مقر مكتب سكرتارية اتحاد طلبة كوردستان وفي قصبة كلاله ولم نكن نرى الأخ فرنسو في الأسابيع الأولى إلا نادراً ولدقائق معدودات بسبب إنشغاله بأمور الثورة وإنجاز المهمات الملقاة على عاتقه وقد كانت كبيرة ومع هذا لم ينس وسط مشاغله الكثيرة أن يعد لنا مقلباً طريفاً ففي الليلة الأولى من نيسان وبعد الساعة الثانية عشر ليلاً أرسل لي وهو المقيم في كلاله رسالة يخبرني فيها بأن الطائرات العراقية حسب معلوماته الأكيدة سوف تقوم بقصف مدمر لقصبة كلاله بعد نصف ساعة ويحذرنا البقاء في كلاله خلال الدقائق المتبقية وعند استلامي للرسالة وقراءتي لمحتوياته أخبرت الزملاء في مكتب سكرتارية اتحاد طلبة كوردستان بفحوى الرسالة وهيأنا أنفسنا على عجل لترك المقر وقصبة كلالة وعندما كنا ننوي الصعود إلى السيارات والانطلاق إلى خارج كلالة في تلك الليلة الباردة وفي تلك الساعة المتأخرة من الليل وإذا برسول آخر من عنده وهو السيد (اسطيفان) قادما من قبله وطلب مني التوجه إلى دار الأخ فرنسو التي كانت تقع في الطرف الغربي من (كلاله) لغرض الانطلاق إلى خارج القصبة معه وقد كنا نحسب الدقائق لأننا كنا على معرفة بأن حسابات الأخ فرنسو لا تخطأ أبدا وحال وصولنا مع زملائي في مكتب السكرتارية إلى داره رأيناه وهو واقف أمام بابها بكامل قيافته العسكرية حاملا بندقية من نوع كلاشنكوف ومتمنطقا بمسدس من نوع (ويبلي) وفي البداية بادرنا بقوله وعلى عجل:

(إلى أين نتجه ولم تبق إلا دقائق قليلة أمامنا؟) فكان جوابي له قبل أن ينطق الآخرون:

(أنت أدرى بالمنطقة وعندك المعلومات الكاملة) حينئذ ظهرت على محياه ابتسامة خفيفة وقال لنا: (تفضلوا إلى الداخل لأنني استلمت الآن وقبل مجيئكم معلومات جديدة بأن الطائرات لن تقصف هذه الليلة) (وهنا عرفنا بأن الأمر ليس سوى مقلبا) وعندما شاهدنا غرفة الضيوف وهي مرتبة بالدواشك على أطرافها وفي وسطها كانت هناك مائدة عامرة تنتظرنا وهنا قال لنا: (عرفت وسط هذه الأجواء لن يخطر على

بالكم بأن هذه الليلة تصادف الأول من نيسان وأردت أن أستضيفكم وأنبهكم حتى لا تقعوا في مقلب آخر) وحين قلنا له: (أفي هذه الساعة المتأخرة من الليل جاءتك الفكرة؟) فكان جوابه: (لا والله فمنذ السادسة مساءا جاءتني الفكرة وأنا خارج الدار فأخبرت أهلي بإعداد الطعام وفي الحادية عشر ليلا رجعت إلى الدار وانتظرت لكي تكون المفاجأة في وقتها وإنني ومنذ التحاقكم صممت على استضافتكم في إحدى الليالي لكن كانت مشاغلي لا تتيح لي المجال إلا في هذه الليلة حيث تصادف الأول من نيسان، وهكذا استمرت جلستنا حتى الساعة الثالثة فجرا قضيناها بالتطرق إلى آخر أخبار الاستعدادات الجارية في جبهات القتال وكل ما كان متعلقا بذلك الظرف الدقيق من المناخ السياسي حيث كان شعب كوردستان ومقاتليه على أهبة الاستعداد للدفاع والتفاني من أجل القضية المقدسة، بعد ذلك لم نكن نرى الأخ فرنسو كثيرا وخاصة بعد انتقاله إلى مقر هيز بالك (قوة فرقة بالك العسكرية) والتي كانت من أهم الجبهات الساخنة في كوردستان كونها الخط الأول بمجابهة مع قوات الجيش العراقي فالذراع الأيمن للجبهة كان جبل زوزك أما الذراع الأيسر فكان جبل هندرين وامتدادهما وفي المقابل كانت سلسلة جبال كورك ومدينة رواندوز وعلى يسارها وادي شلال كلي علي بك الذي دارت فيه أشد المعارك قسوة في تاريخ المنطقة ولقد وصف دافيد هيرست المراسل الشهير لجريدة (الغارديان) اللندنية قائد هيز بالك عبدالله آغا بشدري بأنه (أشجع وأنحف رجل في العالم) يوم كان المراسل الصحفي المذكور متواجدا في تلك المنطقة وقت اشتداد المعارك بمعية عبدالله آغا بشدري ولم تستطع قوات الجيش العراقي اختراق تلك الجبهة إلا بعد تقدمها من جبل كورك بالدبابات إلى مدينة رواندوز بمساعدة واستشارة الخبراء الروس ولكن الجبهة بقيت صامدة حتى النهاية، وفي أواخر شر أيلول كلفني الشهيد دارا توفيق بالذهاب إلى المقر الأمامي لهيز بالك للاتصال بالأخ فرنسو حريري حول إمكانية إرسال صحفيين اثنين إلى جبهتهم وتهيئة المستلزمات الضرورية للذهاب إلى عمق الجبهة وعندما وصلت إلى المقر المذكور وبصحبتي إسماعيل أوسطه حمد سائق سيارة اللاندوفر التابعة للإعلام شاهدت آمر الهيز وبجانبه الأخ فرنسو في كهف جبلي غير بعيد عن الطريق العام حيث اتخذ من ذلك الكهف الجبلي كمقر ولم تكن مساحته تتعدى ستة أمتار مربعة وعند دخولي المقر

شاهدت الأخ فرنسو وهو يتكلم عبر جهاز اللاسلكي مع أحد القواطع الدفاعية حيث كان آمر الهيز عبدالله آغا محاطا بثلاثة من مساعديه وهم منكبون على ورقة حمراء وتبين لي أنها كانت خريطة عسكرية تظهر فيها المواقع والنقاط المعادية فلما رآني الأخ فرنسو أشار لي بالجلوس وحال الانتهاء من إرسال الايعازات بادرني بقوله متعجبا:

– لماذا أراك هنا؟ وما هو عملك؟!

فقلت له موضحا:

– الأخ دارا توفيق كلفني بالمجيء الى هنا للاستفسار عنكم عما إذا كان يوجد مانع لإرسال الصحفيين الى جبهتكم وتأمين سلامتهم لحين عودتهم الى مقر الأمانة العامة للإعلام والثقافة والشباب لأن الصحفيين ينوون تصوير المعارك وتغطية أنباء المعارك، وهنا استأذن من آمر الهيز (القوة) وتحدث معه حول الموضوع واستقر رأيهم أخيرا لإرسال الصحفيين في صباح اليوم التالي.

كان السكون يخيم على المنطقة باستثناء أصوات طلقات المدافع المتقابلة بين آونة وأخرى وعندما استفسرت منه عن مصدر تلك الأصوات وهل هنالك تحضير لعملية هجوم أو هجوم مقابل من قبل العدو حينئذ قال لي الأخ فرنسو:

– (إنها الحرب وهذه موسيقاها، رافقتك السلامة).. ومرت الأيام والشهور وكانت المعارك على أشدها في الجبهات المختلفة على طول كوردستان وعرضها والبيشمركه صامدين بالرغم من عدم التكافؤ من كافة النواحي باستثناء الإيمان المطلق بعدالة قضية شعبهم من قبل ثوار كوردستان الذين صمدوا حتى النهاية وعندما أدركت الحكومة المركزية باستنفاذ طاقاتها وذخيرتها العسكرية في الوقت الذي كان البيشمركه صامدين كصمود جبالهم التجأت الحكومة الى تكتيك آخر وتوسيط الآخرين من أصدقاء الشاه المقبور للوصول الى صيغة تفاهم بحجة (ان الكورد سواء كانوا هنا أو هناك فأنهم يتجاوزون في النهاية المساحة المسوح بها لهم وأنهم سيشكلون خطرا كبيرا على وحدة الأراضي الإيرانية قبل وحدة الأراضي العراقية وان محاولة لجمهم ستعيد بالفائدة على الطرفين العراقي والإيراني معا) وهكذا وبعد محاولات مضنية ساهم فيها أعداء الأمس وأصدقاء اليوم وكل من موقعه بإخراج الطبخة التي كانت

موضوعة على نار هادئة وخرجت في النهاية على شكل اتفاقية مؤامرة حيث عرابها في الأمس كان قوام السلطنة رئيس الوزراء الإيراني عام ١٩٤٦ عندما أفلح في جر ستالين الى شرك نصبه له ومفاده الانسحاب من الأراضي الإيرانية من قبل القوات السوفياتية مقابل منح إيران الاتحاد السوفياتي حق استثمار النفط والغاز الإيرانيين في الحقول الشمالية، أما عراب اتفاقية الجزائر الخيانية في ٦ آذار عام ١٩٧٥ فكان هواري بوميدين الذي استطاع إقناع الطرفين العراقي والإيراني بالوصول الى اتفاقية تحفظ مصالح البلدين في الوقت الذي لم يخجل صدام حسين (بالتنازل عن نصف مياه شط العرب وأراضي عراقية أخرى مقابل قتل الحصان الجامح في المنطقة)..!

وفي الفترة التي أعقبت تنفيذ الاتفاقية الخيانية توجهنا في البداية الى إيران ولما سألت الأخ فرنسو قيل لي انه في المكان الفلاني في مدينة "نغده" في كوردستان إيران ولما أفلحت في رؤيته قالي لي:

(ربما سيتجه كل واحد منا الى الوجهة التي قد يختارها ولكن ثقوا لن يمضي الوقت كثيرا حتى تقوم الثورة من كبوتها ولن نلوم أحدا لكن الملام هو الذي يخون قضية شعبه فليبارك الرب مسعى الخيرين من أجل إنقاذ شعب كوردستان).

وكان ذلك يوم ٣٠/آذار/١٩٧٥ ولم أتلق بالأخ فرنسو إلا بعد مرور زهاء ستة عشر عاما وعندما رأيته بعد مرور تلك المدة حيث كانت:

المحطة الخامسة:

بعد مخاض طويل انتصرت إرادة شعب كوردستان في ربيع عام ١٩٩١ وقد كانت أعوام ما بعد النكسة سنوات عجاف حقا حيث لم تبق وسيلة تستعمل لخنق صوت شعب ساهم مساهمة فعالة عبر التاريخ في تفعيل حضارات شعوب المنطقة والأكثر من ذلك لمساهمته في اغناء الحضارة الإسلامية وأثره الواضح في بلورة مفاهيمه حتى لدى غير الكورد ناهيك عن تحمله أعباء ضراء الشعوب الجارة معه جغرافيا ولكن عندما كانت تستعمل ضده حرب الإبادة لمحو قراه ومدنه وجمع أبنائه في مجمعات قسرية لغرض تشويه أسس المجتمع الكوردستاني واستعمال الغاز الكيماوي في حلبجة وباليسان وبهدينان وشيخ وسان بالإضافة الى سوق العشرات والمئات من أبنائه البررة

الى ساحات وغرف الإعدام لا لجريمة ارتكبوها وإنما لكونهم كانوا قد ترعرعوا في بيئة آبائهم وأجدادهم وأبوا قبول الذل، ولقد شهدت أقبية السجون والمعتقلات الرهيبة قصصا ربما ستحصد الجوائز الأولى في الصمود والبطولة لو ترجمت الى اللغات العالمية ولكن كيف تحرز القصص الجوائز في الوقت الذي كانت قضيتهم الأساسية والغبن الذي لحق بهم تاريخيا ما زالت تتأرجح بين العواطف الإنسانية والقرارات اليتيمة لأن المصالح كانت ولا تزال أكبر وأنفع من العواطف وقضايا الشعوب لدى أصحاب القرار وعبر مراحل التاريخ حتى يومنا هذا وقد لخص صحفي فرنسي هذا المبدأ بتعبير جميل عندما كان متواجدا في أرض كوردستان في صيف عام ١٩٧٤ لتغطية فصول القتال عندما سئل عن شعبية الكورد في أوروبا فكان جوابه:

(الكورد محبوبون وقضيتهم قد نالت العواطف ولكن الأحب على القلوب هناك والمتحكم في القرارات الكبيرة هو المصدر الذي يولد الطاقة أي النفط) وبحدوث الانفجار الشعبي العارم ربيع عام ١٩٩١ صدقت نبوءة وتحليل أحد المعلقين الفرنسيين الكبار مغزى ونتائج اتفاقية ٦ آذار ١٩٧٥ عقب توقيع الاتفاقية المذكورة بساعات وردا على سؤال إذاعة (مونت كارلو) حول (من هو الخاسر في اتفاقية ٦ آذار الموقعة في الجزائر؟) فكان جواب المعلق الفرنسي نصا:

– (الخاسران الوحيدان هم أكراد الملا مصطفى البارزاني ومياه شط العرب).

ولما سئل المعلق من قبل مراسل الإذاعة المذكورة:

– (صحيح ان الأكراد قد خسروا هذه المرة أيضا ولكن ما هي خسارة مياه شط العرب؟)

فكان جواب المعلق على السؤال كالآتي:

– (الأكراد خسروا الكثير بسبب عملية التقسيم التي فرضت عليهم ولا زالوا يدفعون الثمن غاليا لكن وفي هذه الاتفاقية أصابت لعنة التقسيم هذه المرة مياه شط العرب فتنازل العراق عن نصف مياه شط العرب لإيران معناه تقسيم تلك المياه أيضا).

وعندما سئل المعلق سؤالا آخر حول ضرر تقسيم مياه شط العرب بين العراق وإيران في الوقت الذي ساهم هذا التقسيم في حل مشكلة كبرى بين الدولتين الجارتين كان جواب المعلق الفرنسي كالآتي:

– (صحيح أن تقسيم مياه شط العرب قد ساهم في حل الخلافات بين الدولتين في الوقت الحاضر لكن ربما بعد عقد من الزمن سيكون هذا التقسيم وبالا على الدولتين كما أصبح تقسيم الأكراد وبلادهم كوردستان منذ عقود وبالا ومشكلة كبيرة على أربع بلدان في الشرق الأوسط بفعل ثورات وتمردات الأكراد أنفسهم).

وقد صدقت نبوءة المعلق الفرنسي أيضا إذ لم تمض أكثر من سنة ومرة أخرى ثار البيشمركه عبر أحزاب وتنظيمات مختلفة وطلاب البارزاني إذ أصبحت كوردستان بفعل توجيهاته وإشرافه المباشر (الساحة الحقيقية للنضال) ولم يدخل اليأس ولا مرة واحدة في تفكيره منذ أن حمل بندقية الدفاع عن قضية شعبه في عام ١٩٣١ حتى يوم وفاته، وعندما سأله محمد حسنين هيكل بعد شهور قلائل على النكسة الأليمة عن مستقبل الكورد وقضيتهم بعد أن تعرضت ثورتهم الى هذه الكارثة كان جواب البارزاني له نصا:

– (إن ثورتنا لم تنته لكنها توقفت الى حين)

حيث كان البارزاني يدرك ان أصدقاء اليوم سيتحولون الى أعداء بعد غد وان الجغرافيا السياسية لكوردستان بقدر ما كان وبالا على شعبه فقد كان وقودا لثوراتهم الدائمية أيضا وهكذا مزق الأبطال حاجز النكسة في أيار عام ١٩٧٦ وامتزجت مرة أخرى دماء شهداء ثورة (كولان) بأم الثورات في كوردستان وهي ثورة (أيلول الكبرى) التي أدخلت الكورد في العصر الحديث في تفكير ومشاريع أصحاب القرار في الدول الكبرى وأوراق مذكراتهم السياسية، ولقد ساهم الأخ فرنسو مع إخوانه البيشمركه وحاملي راية (من أجل كوردستان وشعبها) في النضال مرة أخرى وهو الذي لم ينقطع يوما واحدا عن ركب الثورة وقادتها فيتذكر البطال من رفاقه كما كان يحدثنا هو عن قصص البدايات لإشعال الثورة بعد النكسة وسفر ملاحمها البطولية، وفي مقابلة له مع الزميل أسعد عدو الذي كان مدير تحرير جريدة (برايه تى) بعد صدورها ثانية بشكل

يومي اثر الانتفاضة المباركة والتي نشرتها جريدة (برايه تى) في إحدى أعدادها الصادرة عام ١٩٩٤ إذ قال الأخ فرنسو:

– (بعد النكسة بايام وبعد عودة البارزاني من طهران صارحني البارزاني الخالد بأن هذا–الشهر العسل–لن يدوم بين العراق وإيران وما على الأبطال من البيشمركه سوى الانتظار لمدة ستة أشهر أو مدة سنة حتى تستقر الأمور وعندئذ نستطيع إشعال نار الثورة بهم وعز كبيرين وإن قرار الانسحاب المؤقت سيحفظ مصير شعب كوردستان برمته لأننا لا نريد أن يتعرض مصير شعب كوردستان للإبادة كما حدث في أواخر الستينات لشعب بيافرا المسكين وعليكم الاتصال منذ هذه اللحظة مع أكبر عدد ممكن من الرجال للبقاء بالقرب منا لأن الثورة تحتاجهم وتناط بهم المسؤولية).

واستطرد الأخ فرنسو في أقواله أنه اتصل بعدد ممن كان يثق بهم وأول من اتصل بهم هم السادة حميد أفندي وسيد سليم ومحمد معروف وعزت سليمان بك دَركَله له وآخرون، وفي أواخر أيام خريف عام ١٩٧٥ (والكلام لفرنسو) حثني البارزاني الخالد وأمرني بإرسال خبر إلى كل من السيد عبدالله وعلي كو للاستعداد مع مجموعتهم والالتحاق بجبل قنديل مع بدايات الربيع للإعلان عن الثورة، وأضاف الأخ فرنسو قائلا:

منذ تلك اللحظة اتصلت بـ (مينه كوله) الذي كان متواجدا في قصبة (بيران شهر) بكوردستان إيران للاتصال بسيد عبدالله ونقل أوامر البارزاني إليه وبعد فترة وجيزة رجع (مينه كوله) بعد اتصاله بسيد عبدالله ونقل أقوال البارزاني إليه وكذلك نقل جواب سيد عبدالله إلى البارزاني ما نصه: (أوامر البارزاني على رأسي وعلي عيني وأنا ومنذ فترة بانتظار أوامره)، ومع بدايات ذوبان الثلوج استقبلت جبال كوردستان حماتها وانتهت فترة (الحين) الذي ذكره البارزاني لمحمد حسنين هيكل.

وكان لحضور الأخ فرنسو أثره في إدامة الاتصال مع المجموعة الأولى وإرسال مستلزمات المقاومة وذكر فرنسو أنه (في بداية شهر حزيران عام ١٩٧٦ اتصل (مينه كوله) الذي كان حلقة الوصل بين تلك المفرزة في كوردستان وبنا عندما حضر إلى مدينة كرج الإيرانية والتقى مع الأخ مسعود البارزاني الذي أرسل معه مبلغا من المال مع وصايا وملاحظات البارزاني الخالد وبعد سفر البارزاني وبمعيته الأخ مسعود استمروا في الاتصال عن طريق وسيط خاص بالشهيد إدريس البارزاني الذي أشرف

على مهمة هذه المجموعة وكذلك الخلايا والمجاميع الأخرى التي دخلت معترك ساحة النضال المسلح، لكن للأسف استشهد (سيد عبدالله) كأول شهيد لثورة كولان في ١٩٧٦/٥/٢٥).

وكما هو معلوم للقاصي والداني فإن فرنسو قد أدى دوره منذ اللحظة التي التحق فيها بصفوف ثورة كوردستان وآمن بقيادة البارزاني كمرشد وكخميرة للثورة وكقائد لها لم ينازعه أحد في ذلك، وبقي على العهد الذي قطعه على نفسه قبل أربعة عقود من الزمن بأن لا يفارق البارزاني، وعندما سألته يوما عن تأثير وفاة البارزاني في ١٩٧٩/٣/١ عليه وعلى معنوياته فكان جوابه بعد تأمل قليل والحسرة بادية على وجهه قائلا:

– (كان البارزاني مؤمنا بالله عز وجل إيمانا مطلقا وكان يردد كثيرا على مسامعنا ان الإنسان مهما علا شأنه فسيأتي اليوم الذي يلاقي ربه وان الشيء الذي يشفع للإنسان عند ملاقاة ربه هو ما قدمه في حياته من أجل شعبه ومن أجل الإنسانية والمناداة بالخير والابتعاد عن الشر قولا وفعلا، هكذا كان البارزاني الخالد يعلمنا وان وفاته كانت فاجعة في ذلك الوقت بالذات لأن التطورات التي حصلت في المنطقة وخاصة انتصار الثورة في إيران بقيادة الإمام الخميني قد أربكت المعادلات التي كانت قائمة وخاصة فيما يتعلق بقضية شعبنا وثورته وكان حزني كبيرا للغاية وبكيت بدمي وإحساسي وعواطفي وحبي قبل أن أذرف الدموع ولكن حزني وألمي قد خف كثيرا عندما رأيت بعيني بحرا من البشر وهم يشيعونه في مدينة شنو بكوردستان إيران وسط عواطف وحزن قلما شاهدته في حياتي، وان معنوياتي لم تهتز لأنني كنت أرى الشهيد إدريس البارزاني والأخ مسعود البارزاني وهما يقودان سفينتنا إلى بر الأمان).

ومع أول بوادر الانتفاضة المجيدة عام ١٩٩١ كنت في مدينتي كويسنجق نراقب الوضع أولا بأول على الطبيعة ومن خلال إذاعة (صوت كوردستان العراق) إذاعة الحزب الديمقراطي الكوردستاني وإذاعة الاتحاد الوطني الكوردستاني حيث كنت أشغل جهازين للراديو في آن واحد فزوجتي وابني ريكان كانا يتابعان إذاعة الاتحاد وأنا بدوري كنت أتابع صوت كوردستان–العراق بواسطة جهاز راديو من نوع (ناشيونال) ذو تسعة أمواج وكانت الحلقات الضيقة من الأصدقاء والمعارف تنقل الأخبار أولا

بأول فيما بيننا ونراقب كذلك الإذاعات العالمية وخلال أيام قلائل انتصرت إرادة شعب كوردستان وأصبحنا أحرارا بكل معنى الكلمة، وفي صباح يوم ١٩٩١/٣/١٩ وبينما كنت على مائدة الفطور توقفت سيارة أمام منزلنا وإذا بها تقل كل من الزميلين (جلال خوشناو وأكرم منتك) ثم ترجلا ودخلا المنزل وحين لمحتهما قالا لي بصوت واحد:

– (بعد ساعة أو ساعتين سيزور الأخ مسعود البارزاني مدينتكم فهيأ نفسك حالا لنكون في استقباله).

كانت جماهير كويسنجق قد خرجت بكاملها حال سماعهم الخبر المفرح وكيف لا يفرحون بمجيء رئيس الحزب الديمقراطي الكوردستاني وهو يزور مدينتهم تلك المدينة التي كانت مهددة بالترحيل في عهد ما قبل الانتفاضة وأهاليها قد قاوموا كل بطريقته الظلم الذي حل بعد النكسة وتحملوه لمدة ستة عشر عاما حيث ذاقوا الأمرين وشاهدوا الأهوال.

كانت الجماهير محتشدة وهي تهتف بحياة الجبهة الكوردستانية وترحب بقدوم مسعود البارزاني إلى مدينتهم ومن كثرة الازدحام لم نستطع الوصول إلى موكبه واتفقنا نحن الثلاثة أن نكون باستقباله واستقبال موكبه عند مدخل منزل الأخوين (مشير وهيمداد) أبناء المرحوم (شيخه الحاج رسول) الذي استشهد بعد النكسة في إيران على أيدي العملاء المأجورين.

وفي الساعة الثانية والنصف بعد الظهر وبينما كنا بالانتظار تحت شرفة منزل الأخوين الداخلي وإذا بموكب البارزاني يصل حيث كنا على بعد (٢٥) مترا من الباب الخارجي وعند وصول الموكب لمحت الأخ فرنسو يخرج مع البارزاني من السيارة وما ان لمحني حتى صاح بصوت عالي جهوري مرداا اسمي مرتين (فرهاد.. فرهاد) لم أندهش في تشخيصه لي في اللحظات الأولى من رؤيتي وعلى بعد أمتار زاد عن العشرين لأنني كنت أعرف ذكاء فرنسو وفراسته وقوة ذاكرته عرفني في الحال بعد هذه المدة الطويلة حيث لقاءنا الأخير الذي كان قد مضى عليه مدة ستة عشر عاما والتي لم تمحي من ذاكرته وجوها كانوا في يوم ما يحملون نفس المشاعر والنوايا والإيمان بعدالة قضية شعبهم، ثم استقبلناهم بالأحضان وبالعناق الحارين.

ولم يكن هناك تغيير كبير في ملامح الأخ فرنسو وكان بكامل قيافته العسكرية وفي أوج نشاطه، وقد سأل الكثير وكان يعلق ويتحدث ويسمع وعندما سألته عن اسم الصحفي الذي كان يرافق الأخ البارزاني في جولته هذه ذكر لي اسمه ولم يكن الاسم غريبا علي وتذكرت حالا بأنه صاحب الفلم الوثائقي (رياح الموت) وكنت قد سمعت شرحا وافيا عن الفلم وصاحبه قبل عامين من ذلك الوقت من القسم العربي في إذاعة لندن وقد أحدث الفلم ضجة في حينه وعندما سمع الصحفي (عبر ترجمة الأخ مسعود البارزاني كلماتي له باللغة الإنكليزية) عنه وعن فلمه علق الصحفي بقوله: (أنا سعيد الآن مرة أخرى لأنني استطعت بواسطة الفلم أن أُسمع الناس في داخل كوردستان وهم مكبلون بالظلم بأن لهم أصدقاء في أوروبا يدافعون عن قضيتهم).

وفي الساعة الرابعة مساءا وعندما هم موكب الرئيس مسعود البارزاني بمغادرة كويسنجق همس الأخ فرنسو لي قائلا:

– (كويسنجق مدينة عريقة وإنها مدرسة الوطنية بحق ولها تأريخ نضالي عريق وكل ما نرجوه أن تتعاون مع اللجنة المحلية للحزب وأن تكون لها مستشارا وإنني بدوري سأتكلم مع الإخوان في الفرع الثاني للحزب للإيعاز إلى مسؤول اللجنة المحلية في كويسنجق أن لا يخطو خطوة واحدة دون استشارتك ما دمت موجودا في كويسنجق في الوقت الحاضر).

كانت هذه فاتحة مرحلة جديدة مع الأخ فرنسو إذ توطدت علاقتي معه أكثر فأكثر وعندما كنت أسافر مع الإخوة أعضاء أو مسؤول اللجنة المحلية في كويسنجق إلى مصيف صلاح الدين حيث اتخذت قيادة البارتي فيها مقره الرئيس وكنا نزوره لغرض تمشية أمور الحزب في كويسنجق كان الأخ فرنسو دوما على استعداد لمعاونتي والاتصال بالإخوة في المكتب السياسي لغرض معاونتي وتسهيل أمور الحزب في كويسنجق وعندما شرفني المكتب السياسي للبارتي بمهمة تولي رئاسة تحرير جريدة (برايه تى) اليومية بالإضافة إلى مسؤوليتي الإدارية والمالية لجريدتي (خه بات) و(برايه تى) بتاريخ ٢٦ تشرين الأول عام ١٩٩٣ أرسل لي الأخ فرنسو في نفس اليوم قبل أن أتبلغ بالقرار برقية بواسطة جهاز اللاسلكي للجنة محلية كويسنجق ونصها:

(أهنئكم من كل قلبي بالمهمة الجديدة وأنتم أهل لها)

ومنذ استلامي عملي وممارستي لـ(مهنة البحث عن المتاعب) لم ينقطع الأخ فرنسو كلما سنحت له الفرصة عن زيارتنا في مكتب الجريدة، وقد كان سباقا في إعطائنا المعلومات وفي انتقادنا إذا تطلب الأمر واستمر معنا حتى نهاية عام ١٩٩٥ عندما انتقلنا إلى مصيف صلاح الدين بعد احتلال مدينة أربيل إثر نشوب القتال في الحرب الداخلية وفي المدة التي قضيناها في صلاح الدين والتي دامت عشرون شهرا كان للأخ فرنسو الدور الفاعل في حل مشاكلنا وتسهيل أمورنا وبعودتنا إلى أربيل اثر تحريرها في ٣١ آب ١٩٩٦ وإسناد منصب محافظ أربيل له استبشرنا نحن أسرة جريدة (برايه تى) لهذا الاختيار الموفق لأن الأخ فرنسو كان صديقا للكل ومؤازرا لهم، ولقد كنا على يقين بأنه سيكون الساعد الأيمن لنا إذ لم يكن يمر يوما علينا إلا وكان للأخ فرنسو حضوره معنا، بل وأصبح الزائر الدائم في مكتب الجريدة والأكثر من ذلك أنه كان معروفا عنه بأنه يفضل الجلوس في المقعد المقابل للشباك والمطل على الشارع العام ولم يكن حضوره لقضاء الوقت بل كان لديه الكثير من المهام والأعمال المضنية ولكنه كان يفضل أن يتواجد في مكتب الجريدة حيث تارة كان يتصل بهذا وذاك وتارة أخرى كان يستقبل بعض مراجعيه ولكن وفي أكثر الأوقات كان يساهم في نقاشاتنا حول أمور الجريدة وكان يبدي ملاحظات قيمة وإيجابية كلما شعر بالحاجة إلى ذلك، وفي الوقت نفسه كان يوجه الانتقادات تلو الانتقادات لنا عندما كنا نغض النظر في مسائل كنا نتصورها غير ذي أهمية حيث كان يذكرنا وباستمرار بأيام المناسبات القومية والوطنية وكان أشبه بالقاموس الذي عنده التفاصيل وكان وفيا غاية الوفاء لذكرى شهداء ثورة كوردستان وكان يوصينا باستمرار الاهتمام بهذا الجانب وعندما كتبتُ (الحلقة ١١ من الذاكرة) في العدد (٢٣) من مجلة "كَولان العربي" بعنوان (صفحات مجهولة من حياة دارا توفيق) تبين أن الأخ فرنسو قد قرأ الموضوع بعد أيام قلائل من صدور المجلة في فترة ما بعد الظهر حيث كان معتادا كما كان يقول بأنه لم يكن يفضل النوم (القيلولة) بعد تناوله الغداء وإنما كان يبدأ بقراءة الجرائد والمجلات التي تصدر في كوردستان، ويومها كنت في مكتبي بالجريدة وإذا بالأخ فرنسو يدخل المكتب قبل موعده المعتاد في ذلك اليوم ولما طلبت له قدحا من الماء واستكانا من الشاي اكتفى

بالقدح من الماء فقط وبعد شربه قام من مكانه واقترب من الواجهة الزجاجية للمكتبة المثبتة في جدار غرفتي وكانت تحوي على صور رؤساء التحرير السابقين لجريدة (برايه تى) وحسب التسلسل الزمني حيث كان ثالثهم دارا توفيق وبينما كان يتأمل الصور وإذا بآهة تصدر من صدره حينئذ ووجه لي كلاما إذ قال لي:

(تمتعت كثيرا بما كتبته عن الشهيد دارا توفيق باركك الله على هذه الذاكرة وعلى هذا الوفاء لدارا الذي يستحقه ولكن الذي يحز في النفس بأن أصدقائه المقربين باستثنائك أنت لم يحرك أحدهم قلمه بالكتابة عن صديقهم الذي كانوا يتباهون بصداقته يوما ما عندما كان يقوم بالمهمات الصعبة ومقربا من البارزاني الخالد).

وعندما كنا واقفين على تلة (قه لاته سوور) خشوعا ساعة معانقة الأخ فرنسو للتربة المقدسة في أرض كوردستان ونحن نودعه الوداع الأخير، وإذا بكلمة الرئيس مسعود البارزاني قد خففت عنا الشعور بالصدمة لأنه قال كلاما بحق الأخ فرنسو قد أصاب كبد الحقيقة حيث جعلنا نعرف سرا من أسرار الرجل بقوله:

(كان فرنسو يعلم أنه سينال الشهادة حيث كان يقول لي مرارا سوف استشهد، وان الشهادة تليق بمناضل كفرنسو فبوركت له الشهادة).

وعندما كنت اسمع تلك الكلمات الوداعية للرئيس البارزاني وهو يخاطب الجموع المحتشدة من رفاق وأصدقاء الأخ فرنسو تذكرت عنوان كتاب للقاص العراقي عبدالستار ناصر بعنوان (الأشجار تموت واقفة)، أما لماذا تذكرت هذا العنون وفي ذلك الوقت بالذات ونحن نودع فرنسونا؟ فالجواب على ذلك انه عاش واقفا واستشهد وهو واقف أيضا ولحظة وداعنا له كان واقفا كذلك واحتراما لهذا الوفاء ولتلك الوقفة الرجولية التي دامت أربعة وستون عاما وقف الجميع له، لكن أية وقفة هذه؟ وماذا تعني تلك الوقفة أيضا وكان الجواب عند أحد الواقفين ومفاده:

- (ان الأخ فرنسو بقدر ما خدم قضية شعب كوردستان وحزبه ورئيسه في حياته فإنه باستشهاده قد خدمهم أكثر فأكثر وهذا سر الرجال الذين عاشوا وغادروا الحياة وهم واقفون..).

فرنسو حريري في جبهة باله ك عام ١٩٧٤

تصوير كريس كوجيرا

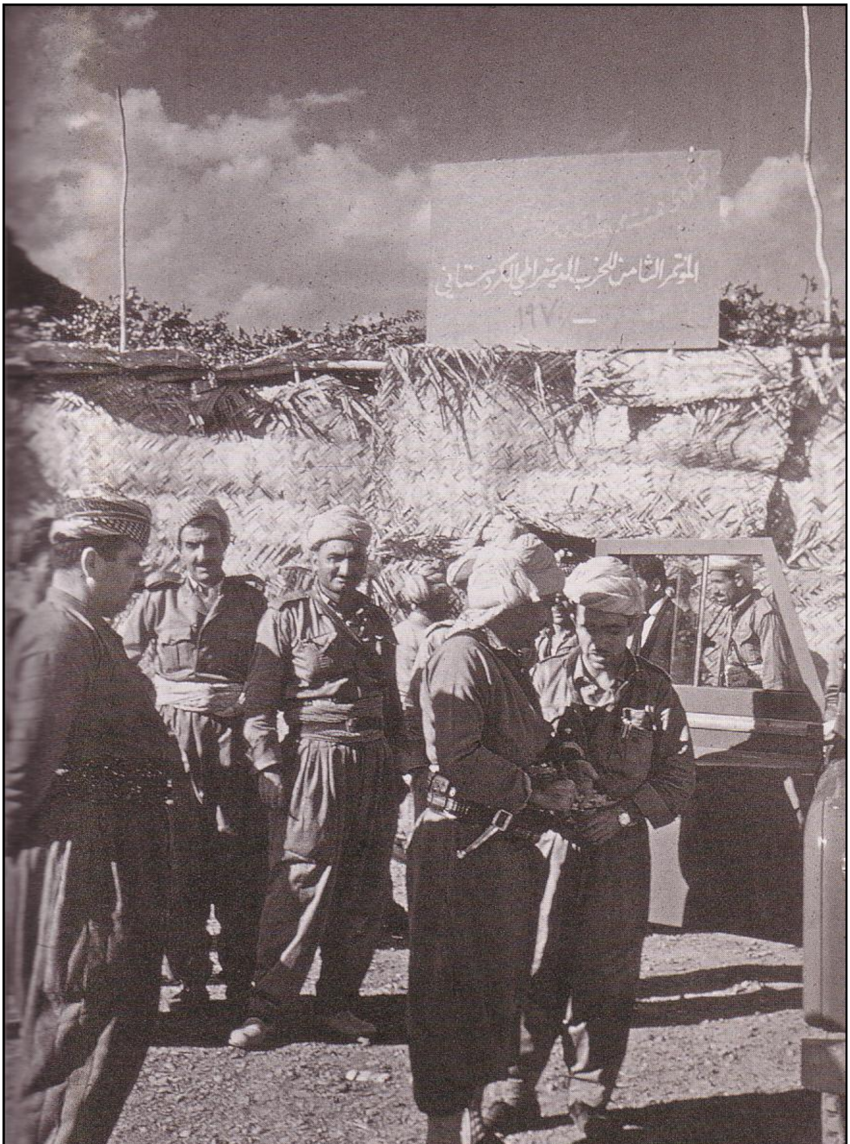

البارزاني الخالد متحدثا مع نجله إدريس وخلفهما فرنسو حريري وجوهر هيراني ومحمد عزيز
أمام كبرات المؤتمر الثامن للبارتي في تموز ١٩٧٠–تصوير جان بيير فيينو

الرئيس مسعود البارزاني يتوسط فرنسو حريري وفرهاد عوني في مكتب جريدة (برايتي) عام ١٩٩٤ بمدينة أربيل

المدرب العراقي عمو بابا يتوسط فرنسو حريري

والمؤلف في مكتب جريدة (برايتي) بأربيل صيف ١٩٩٨

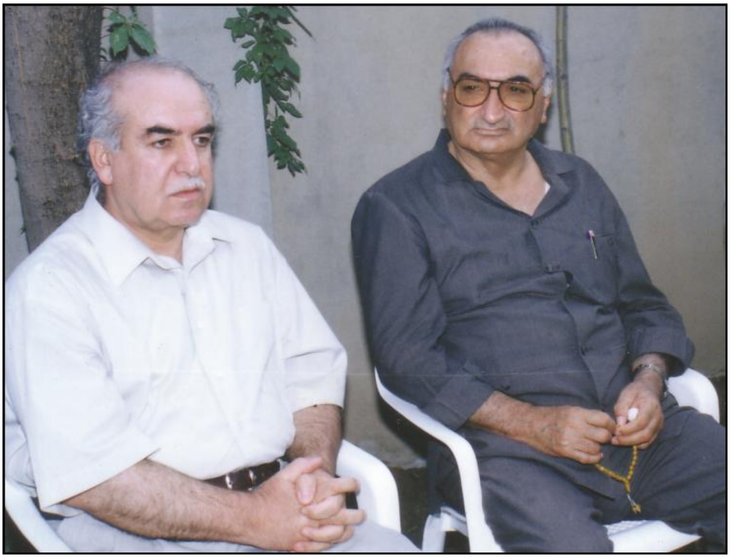

فرنسو حريري ومهدي خوشناو في حديقة مقر نقابة صحفيي كوردستان

صيف ١٩٩٩

خلال زيارة سامي عبدالرحمن ونازنين وسو وفرنسو حريري لمكتب جريدة برايتي بأربيل

بمناسبة عيد الصحافة الكوردية نيسان ١٩٩٨

أثناء جلسات المؤتمر الأول لنقابة صحفيي كوردستان من اليمين

من اليسار فرنسو حريري، ممتاز الحيدري، فرهاد عوني، طارف إبراهيم شريف

خلال انعقاد المؤتمر الثاني لنقابة صحفيي كوردستان بأربيل أواخر كانون الثاني ٢٠٠٠

فرنسو حريري متحدثا لوسائل الإعلام في مقر نقابة صحفيي كوردستان بأربيل صيف عام ١٩٩٩

الجماهير الغاضبة التي احتشدت في ملعب أربيل الدولي منددة بجريمة اغتيال فرنسو حريري

البارزاني الخالد مع عبدالله اسحاقي (أحمد توفيق)
سكرتير الحزب الديمقراطي الكوردستاني–إيران

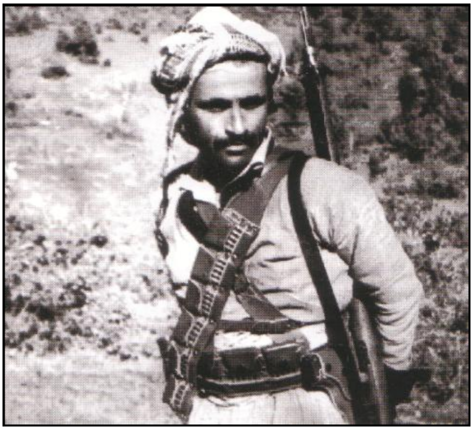

أحمد توفيق مقاتلا في صفوف البيشمركه
في جبال كوردستان العراق عام ١٩٦٢

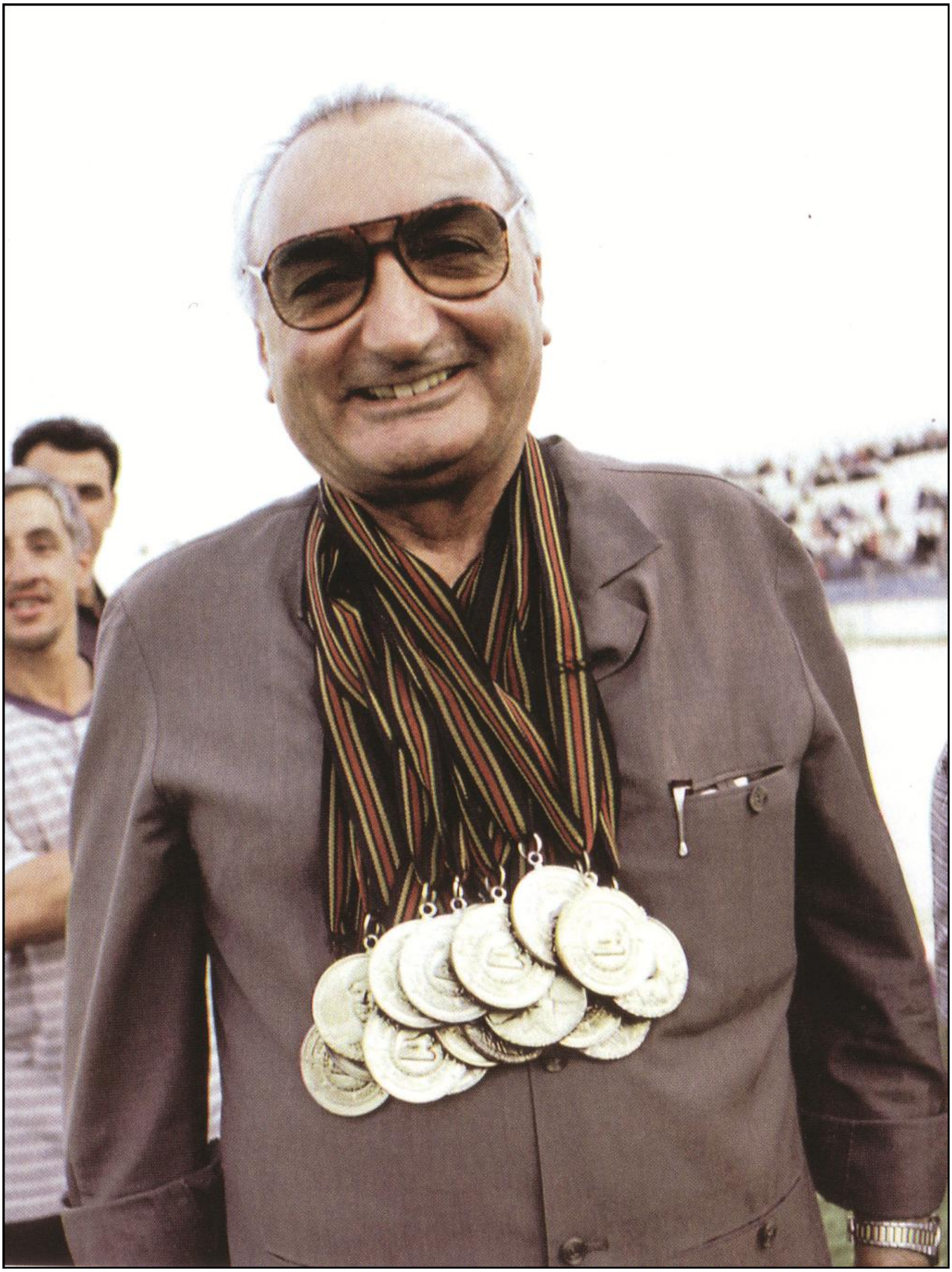

فرنسو حريري مكللا بمداليات لاعبي نادي أربيل بعد فوزهم احدى البطولات

عشرات الالوف من محبي فرنسو حريري تودعه إلى مثواه الأخير في (قلاته سور)

جوانب مجهولة من حياة العميد المتقاعد عبدالله سعيد (*)
وأسرار تنشر لأول مرة عن مشاركته في ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨

كان الوقت عصرا والحر لا يزال محتفظا بشيء من شدته، خاصة في مدينة مثل بغداد العاصمة والتي يبدأ موسم الصيف فيها من بداية شهر نيسان لغاية أواخر شهر تشرين الأول، وقد كنا مجموعة من الطلبة الكورد نعاني من حرارة الجو ومن حرارة المشاكل التي كانت تواجهنا والتي كانت تتمثل في الخلافات الناشئة بين توجهاتنا نحن (أعضاء لجنة منطقة بغداد) والتي كانت تشرف على تنظيمات اتحاد طلبة كوردستان في جامعات بغداد والمستنصرية والبصرة وإعدادياتها بالإضافة إلى مسؤولياتها عن تنظيمات لجنتي محليتي خانقين والكوت حيث كانت تلك المشاكل محصورة بين قيادة لجنة منطقة بغداد الفعالة والمنظمة تنظيما جيدا ومع القائمين على قيادة اتحاد طلبة كوردستان والتي تعرضت هي الأخرى أي (قيادة الاتحاد) والاتحاد نفسه، نتيجة ظروف الانشقاق التي حدثت في الحركة التحررية الكوردية والتي انعكست على مجمل نشاطات المنظمات الكوردستانية في بداية الأمر، بالإضافة إلى الخلافات وعدم الانسجام بين أعضاء القيادة العليا وترك البعض منهم الساحة السياسية لأسباب لا مجال هنا لذكرها، مما حدا بلجنة منطقة بغداد بأخذ زمام الأمور والبدء بإجراء الاتصالات عن طريق الزملاء أعضاء لجنة محلية بغداد بمسؤولي وبعض من الكوادر المتقدمة لفروع اتحاد طلبة كوردستان وبدون علم أحد في بداية الأمر لغرض بلورة الموقف والاتفاق على صيغة مناسبة بحيث تكون ملائمة مع بنود النظام الداخلي وبعيدة عن التفسيرات السلبية لحساسية الظروف السياسية وتعقيداتها آنذاك مما خلفت لدى لجنة محلية بغداد نوعا من التردد، حيث كان رأي أكثرية الزملاء في لجنة بغداد التريث وعدم إظهار الاتحاد وكأنه منقسم على نفسه

(*) نشر في عددين متتاليتين من مجلة (كولان العربي) العدد ٧٤، ٧٥ في تموز وآب ٢٠٠٢.

وخاصة ان الكل كانوا يتبارون قولا وعملا للسير في طريق خدمة الثورة الكوردية بقيادة البارزاني الخالد. ولكن هذا لم يمنع البعض من التحرك بالاتجاه الذي كان يخدم الاتحاد والثورة معا، لأنه كما هو معروف فإن اتحاد طلبة كوردستان لعب دورا مشهودا في كافة المراحل التاريخية ومنذ انبثاقه وان دوره في بعض المحطات التاريخية كان بمثابة دور حزب سياسي وخاصة في الأعوام التي سبقت اتفاقية ١١ آذار ١٩٧٠.

كنت مع زميلي جلال خوشناو (أحد أعضاء لجنة منطقة بغداد آنذاك) ونحن داخل سيارة الفولكس واكن التي كانت تعود إلى الزميل سيروان عبدالله سعيد مسؤول اللجنة الاتحادية لطلبة كوردستان-كلية الهندسة التكنولوجية وأحد أعضاء لجنة محلية بغداد والزميل ژير عبدالرحمن مسؤول اللجنة الاتحادية في كلية الهندسة ونحن نسير في شارع أبي نؤاس باتجاه الجسر المعلق كنت أترأس اجتماعا لمسؤولي المجموعة الهندسية ونحن داخل السيارة لإبعاد الشبهة، وحيث كنا معتادين على عقد مثل هذه الاجتماعات داخل سيارات الزملاء الذين كانوا يمتلكونها أو في منازل البعض منهم حسب مقتضيات الظروف،وفي ذلك الاجتماع ونتيجة استفسارات الزميلين مسؤولي كليتي الهندسة والهندسة التكنولوجية حول موقف سياسي معين من الأحداث الجارية آنذاك وما كان ما يترتب على ذلك من نتائج معينة اضطررت لمصارحتهم بأن لجنة منطقة بغداد وهي في بدايات عملها التنظيمي وان استطاعت خلال الفترة التي لم تتجاوز الثلاثة أشهر لكنها كانت قد أثبتت جدارتها وكان يحسب لها حساب كمكتب السكرتارية للاتحاد قاطبة سواء كانت داخل تنظيماتنا أو من قبل الاتحادات الطلابية العراقية والعربية في بغداد، ولكن وكما صارحت الزملاء آنذاك ونحن قد وصلنا إلى منطقة الجادرية وبالقرب من البناية الرئيسية لرئاسة جامعة بغداد والتي شيدت في عهد الزعيم الراحل عبدالكريم قاسم فقد صارحتهم بالمكشوف حيث قلت لهم بالحرف الواحد: (لم نستطع الاتصال ولحد الآن بقيادة الثورة ولا بالمكتب السياسي نتيجة اختلاطات حصلت مع الزملاء في قيادة الاتحاد، وربما نجابه المشاكل مستقبلا، ولكننا عازمون على السير إلى النهاية وكشف كافة الملابسات التي حصلت ولكننا بحاجة إلى من يعرفنا ويقدمنا إلى القيادة.. وان أعمالنا شاهدة للعيان لهم وهم يقدرون ذلك عاليا

ولكننا بحاجة إلى من يشخصنا لهم حتى لا يختلط الأمور عليهم وما يترتب عليه من أمور مستقبلا).

وحين انتهيت من كلامي، ساد الصمت لبضع دقائق وعلى غفلة انبرى زميلنا سيروان قائلا: (ربما بمقدور والدي مساعدتكم وإنه على صلة قوية بالأستاذ صالح اليوسفي عضو المكتب السياسي للبارتي وبمقدوركم زيارة الوالد غدا في البيت عصرا وسأهيئ أنا بدوري الترتيبات الضرورية وسأضع الوالد في الصورة).

مساء اليوم التالي، كنت أنا وزميلي جلال خوشناو نضغط على زر جرس المنزل الذي يحمل الرقم (٤٥) شارع رقم (٢٥) في الوجبة الثالثة من دور مدينة الضباط (الزيونة) وإذا بزميلنا سيروان يستقبلنا ويرافقنا إلى حيث كان والده ينتظرنا في الصالون المخصص للضيوف وقدم كل واحد منا نفسه له وذكر لنا بطريقة دبلوماسية هادئة بما معناه أنه يعرفنا وعلى إطلاع بالموضوع الذي جئنا من أجله وأبلغنا وبناء على معلومات نجله سيروان قد كتب رسالة مفصلة إلى صالح اليوسفي وما علينا إلا إيصال تلك الرسالة بيد أمينة إلى المرسل إليه في مقر القيادة في قصبة (ناوبردان) المحررة.

كانت هذه بوابة قصة تعارف قد تمت بيني وبين العميد المتقاعد عبدالله سعيد امتدت من ذلك اليوم القائظ أواخر موسم الصيف في بغداد عام ١٩٦٧ حتى يوم رحيله في ٢٠٠١/٧/٢٤ عبر محطات ومواقف مختلفة لرجل اتصف بصفات نادرة وذو ذكاء حاد ووطني من طراز خاص وعسكري محترف بلغ رتبة زعيم (عميد) ولاحقا استلم كتاب ترقيته إلى رتبة لواء، لكن انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣ منعه من حمل العلامات العسكرية الخاصة بتلك الرتبة، حيث أودع السجن مقابل ذلك، كما منع من الاستمرار في كلية الأركان رغم اجتيازه نصف المرحلة بتفوق ظاهر، لكن صداقته للشهيد عزت عبدالعزيز قبل التحاقه بثورة بارزان (١٩٤٣-١٩٤٥) قد تسببت في حرمانه من مواصلة الدراسة في كلية الأركان في منتصف عقد الأربعينيات، كل تلك المعوقات أو كما كان يسميها صديقه الذي أصبح متصرفا للسليمانية عام ١٩٦٤ (العميد عبدالرزاق محمود) بالفواجع وقد استفسرت مرة ونحن نرتشف الشاي في إحدى أمسيات موسم الخريف في حديقة منزل العميد عبدالله سعيد عام ١٩٧٣ لماذا يسمى تلك المعوقات

بالفواجع؟! عندئذ انفرجت أسارير العميد عبدالرزاق محمود وقال بشيء من الجدية: (ربما لا يشعر الأفندية والمدنيون بمدى فداحة حرمان العسكري من مواصلة الدراسة في كلية الأركان أو أن يزج في المعتقلات من قبل ضباط هم أدنى منه في الرتب والقدم العسكرية لا لشيء إلا لكونه ينتمي إلى قومية أخرى تختلف عن قومية القائمين باغتصاب السلطة وفي النهاية يتخلف الضابط (المدان دون أدنى وجه حق) عن أقرانه ويصبح مأمورا بدل أن يكون آمرا، وكل هذا ان لم تكن فاجعة فما هي الفاجعة إذن بالنسبة لضابط يشهد الجميع له بالانضباط والاستقامة؟!

وفي البدء خلقت كلمات المديح التي ذكرها أمامي العميد عبدالرزاق محمود انطباعا بأن سيرة هذا الرجل (أي العميد عبدالله سعيد) حافلة بالأسرار والمواقف التي لا تعتبر من المآثر الشخصية بقدر ما هي سيرة رجل عصامي خدم مهنته العسكرية بكل إخلاص ولم يكافأ على ذلك، كما إنه خدم قضية شعبه في مجالات شتى دون أن يقابل ذلك برد التحية ولو بمثلها (لا بأحسن مثلها) كما حظي به أصحاب الحظوظ من أقرانه وفي مختلف العهود وساهم مع زملائه الضباط الأحرار في ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ضمن الأرتال الزاحفة نحو بغداد من جلولاء ليلة ١٤/١٣ تموز وإذا بالأحداث بعد مرور سنوات على قيام الثورة تحجمه وتجعله يقبع في إحدى الغرف المطلة على نهر دجلة في مبنى وزارة الدفاع، كل ذلك أصبح في البداية مقدمة لتسجيل تلك السيرة التي ربما تخدم يوما صفحة من صفحات تأريخنا وقد حصلت لدي القناعة فيما بعد عندما اقترنت بإحدى كريماته في شباط عام ١٩٧٤ والتي أصبحت شريكة حياتي وساهمت بدورها معي عبر السنين في بلورة تلك الصورة التي تختصر تاريخ الرجل الذي ولد عام ١٩١٣ في حي (سه ر شه قام) بمدينة السليمانية عشية الحرب العالمية الأولى والتي جلبت البؤس والشقاء والجوع للإنسانية جمعاء بما فيها السليمانية التي اكتوت بسياسة الإنكليز ومراوغتهم ومحاربتهم للشيخ محمود الحفيد، وهنا تذكر عبدالله سعيد عندما عاد بذاكرته إلى هجرته الأولى من مدينته السليمانية عام ١٩٢٠ إثر تعرضها للقصف من قبل طائرات القوة الجوية الملكية البريطانية واصفا تلك الأيام بقوله: (كانت السليمانية تعيش آنذاك حالة من الرعب والخوف وكنت أسمع عبارات "الإنكليز قساة القلوب، ليست لديهم الرحمة، لا يفرقون بين المسلح والأعزل من

السلاح، نضحي من أجل كوردستان، فليعش ملكنا الشيخ محمود، كاكه أحمد الشيخ سينتقم من قبره من الكفار الملاعين")

وذات يوم عندما كنت عائدا من الكتاتيب والكلام للعميد عبدالله سعيد، أبلغتني شقيقتي الكبرى (خانم) بأن عارف شقيقهم الكبير الذي كان بمثابة رب العائلة بعد وفاة الوالدين، عندما كنت في الرابعة من عمري والذي سبق وان كان ضابطا في الجيش العثماني وانخرط بعدئذ في صفوف الجيش العراقي وهو برتبة (نقيب) قد أمرهم بتحضير أنفسهم للتوجه إلى كركوك، لأن شقيقهم عارف قد انتقل إلى صفوف فريق الليفي وقد استقر ضمن وحدته العسكرية في مدينة كركوك ردحا من الزمن، وانتقل هو (أي عبدالله سعيد) إلى المدرسة إلى أن أكمل الدراسة الابتدائية في كركوك مع شقيقه الآخر غفور آغا توتنجي، الذي لم يكمل الدراسة واتجه نحو الأعمال الحرة وفتح لهم شقيقهم الأكبر دكانا في شارع المجيدية لبيع التبغ وسكاير المزبن واللف، وأصبح دكان غفور آغا محلا لارتياد وجهاء كركوك من الكورد والتركمان والآثوريين وخاصة متذوقي تبغ كوردستان وتنباك (الناركيله) التي كانت تأتي في بالات صغيرة من مدينتي الحلة وكربلاء.

وفي عام ١٩٢٧ صدر أمر نقل شقيقهم الرئيس (النقيب) عارف سعيد المشهور بكنيه (عارف سوور) إلى مدينة الموصل وانتقل معه عبدالله سعيد إلى هناك واستعاد ذكريات تلك الأيام قائلا: (كان أمر نقل شقيقي الأكبر عارف سعيد بمثابة ضربة موجعة لنا جميعا وخاصة لي بالذات لأنني تعودت على مدينة كركوك حيث أكملت الدراسة الابتدائية فيها وأصبحت لنا علاقات الصداقة مع العوائل الكوردية وبعض التركمان وقد كنت أتردد مع عارف إلى تكية سيد أحمد خانقاه ذلك الوجيه الكوردي الذي كانت تكيته مزارا لكبار الشخصيات العراقية كالملك فيصل الأول والشيخ محمود الحفيد ورجالاتهما بالإضافة إلى وجهاء مدينة كركوك وفقرائها وهناك تطرق إلى مسامعي كلمات الكورد وكوردستان وحكومة كوردستان وملك كوردستان الشيخ محمود، وعندما كنت أوجه بعض الاستفسارات إلى شقيقي عارف بصدد تلك الكلمات، كان رد شقيقي يتلخص في عبارات قصيرة مثل: (نحن من الكورد ونختلف عن العرب ونحب أن

يكون لنا حكومة وإذا ما أصبحت لنا حكومة فستناط بي أمرة قوة كركوك العسكرية لكوني من الضباط الكورد القدامى في كركوك).

وفي الفترة الواقعة بين عامي ١٩٢٧-١٩٣٠ والتي قضاها العميد عبدالله سعيد في مدينة الموصل دخل إلى مدرسة المتوسطة الغربية حيث تفوق على أقرانه من الطلبة في سنته الأولى للدراسة المتوسطة وقد ذكر في هذا الصدد حادثة مع مدير المدرسة المرحوم حازم شيت في الأيام الأخيرة من المرحلة الثانية للدراسة المتوسطة حيث كان الطلاب متراصفين في ساحة المدرسة لغرض التفتيش وكانت تلك المراسيم متبعة عادة في جميع المدارس العراقية آنذاك وقد ناداه مدير المدرسة أمام جموع الطلبة للمراحل الثلاث حيث أمسك كتفه اليسرى بيده موجها كلامه للطلاب قائلا: (كوردي لم يمض أكثر من سنة ونصف السنة على وجوده في الموصل ولم يكن يعرف من اللغة العربية إلا كلمات محدودة ويتفوق عليكم أنتم أبناء لغة الضاد، قشامر أنتم والله أنتم قشامر!!).

وعند نهاية الدوام وبعد رجوعي إلى البيت، أخبرت شقيقي كاكه عارف بالقصة فقال لي: (احرص على تفوقك في الدراسة، وليمت مديركم بغيظه).

ومع انتهاء مرحلة الدراسة المتوسطة انتقل مع شقيقه عارف إلى بغداد، وبما ان درجاته في المرحلة المتوسطة كانت جيدة جدا فقد تم قبوله في (الإعدادية المركزية) في بغداد-فرع الرياضيات (الفرع العلمي حاليا) وقضى السنتين الدراسيتين (١٩٣٠-١٩٣١) و(١٩٣١-١٩٣٢) منشغلا بالدراسة وبجدية أكثر حيث كان يتذاكر بمعدل (٦) ساعات يوميا وعندما أعلنت نتائج الامتحان الوزاري (البكالوريا) للسنة الدراسية ١٩٣١-١٩٣٢ كان ترتيبه الأول في فرع الرياضيات وعلى جميع الطلبة في العراق قاطبة، كما كان معدل درجاته عاليا في الدروس العلمية، فقد كانت درجات مثيلاتها في دروس اللغتين العربية والإنكليزية عالية أيضا حتى ان أحد زملائه من الطلبة الكورد وهو السياسي الكوردي المعروف المرحوم إبراهيم أحمد الذي كان طالبا في الفرع الأدبي في نفس المرحلة في الإعدادية المركزية قد قال له مازحا بعد إعلان النتائج وعندما علم بأن درجات عبدالله سعيد في دروس اللغات (العربية والإنكليزية) كان فوق معدل (٩٥) قائلا له: (كاكه عه به (التصغير المحبب لاسم عبدالله عند أهل السليمانية)

كنا نعرف بأنك متفوق على الكل في الدروس العلمية، ولكننا لم نكن نعرف بأنك تأخذ منا التفوق أيضا في دروس اللغات وخاصة العربية، فألف مبروك).

وبعد تخرجه من الإعدادية بتلك النتيجة الكبيرة اختار بين أمرين حيث كان رغبته الالتحاق بالكلية الطبية ليكون طبيبا في المستقبل خاصة ان درجة إتقانه للغة الإنكليزية كانت ممتازة حيث حصل على درجة ٩٧٪، لكن الرياح كما كان يقول دائما تجري بما لا تشتهي السفن، فبين الرغبة والتفوق وبين الحالة المادية كانت هنالك وديان فالدراسة الطبية كانت تكلف نصف راتب شقيقه الذي كان يعيل عائلته الكبيرة نسبيا ولم يكن بمقدوره تحمل أعباء تكاليف الدراسة في الكلية الطبية لذا اضطر أن يأخذ بنصيحة شقيقه الكبير (عارف) الضابط اللامع في الجيش العثماني وفيما بعد في الجيش العراقي حيث وصل ذات يوم وعندما لم يكن هناك تمايز في الاختيار على أساس التفضيل لأبناء القومية العربية وإنما كانت الكفاءة والسمعة الحسنة والجرأة والانضباط هي المقاييس التي كانت بموجبها تناط لأخذ العسكريين مسؤولية قيادة إحدى القطعات أو أي واجب عسكري لذا لم يكن غريبا أن يصبح عارف سعيد أو كما كان يسميه أصدقاؤه (عارف سوور) أو عارف الأشقر آمرا للانضباط العسكري في مدينة كركوك.

وقد قال له شقيقه عارف بعد أن ناوله عبدالله وثيقة درجاته والتي كانت تدل على تفوقه الكبير على جميع الطلبة العراقيين وحصوله على المرتبة الأولى في فرع الرياضيات قائلا: (يسرني جدا تفوقك الكبير في هذه المرحلة وكان بودي أن تكون طبيبا ولكن كما تعلم ان نفقات الدراسة في الكلية الطبية تأخذ جزءا كبيرا من راتبي ربما لا نستطيع الاستمرار إلى النهاية فنصيحتي أن تقدم أوراقك إلى الكلية العسكرية لسببين، أولهما ان جميع مصاريف الطلبة منذ اليوم الأول وحتى يوم تخرجه كضابط برتبة ملازم ثان تتحملها الدولة، وثانيهما ان الراتب الذي يتقاضاه الضابط العراقي في أول شهر بعد التعيين يفوق راتب الطبيب، فتوكل على الله وقدم أوراقك إلى الكلية العسكرية، وينبغي أن لا تنسى (والكلام لازال لعارف سعيد) مقترح توفيق وهبي وهو من مدينة السليمانية ومن معارفنا الذي أوصاني بتشجيعك للتقديم إلى الكلية العسكرية هو ضابط قدير بالإضافة إلى كونه من خريجي كلية الأركان في الدولة

العثمانية وهو في نفس الوقت من مشجعي دخول الطلبة الكورد إلى الكلية العسكرية لأن الجيش العراقي سيصبح له شأن مستقبلا وان وجود الضباط الكورد فيه بكثرة له حسناته.

وأضاف العميد عبدالله سعيد: (في خريف عام ١٩٣٢ انتميت إلى الكلية العسكرية ودخلت الصف المتوسط، لأنني كنت من خريجي الدراسة الإعدادية، حيث كان خريج الدراسة الإعدادية مؤهلا للقبول في الصف المتوسط بعكس الطلاب المقبولين الآخرين كونهم كانوا قد تم قبولهم كأبناء العشائر واستمرت دراستنا لمدة سنتين كاملتين بدون عطلة ما عدا عطلة أماسي الخميس ونهار الجمعة، وتخرجت ضابطا برتبة ملازم ثان خريف عام ١٩٣٤، وكان أول تعييني في مدينة كركوك، حيث مقر قطعات الفرقة الثانية، ولقد بقيت ردحا من الزمن فيها، وكانت الفرقة الثانية تعج بالضباط الكورد آنذاك، حيث لم يكن هناك تمييز على أساس القومية أو أي شيء آخر، ما عدا القابلية والانضباط العسكري والسيرة الحسنة. وأكثرية الضباط الكورد الموجودين في الفرقة الثانية كانوا يحملون الأفكار القومية وعندما تأسس حزب (هيوا) وعقد مؤتمره التأسيسي في مدينة كركوك كان للضباط الكورد رصيد كبير داخل ذلك الحزب.

أما بصدد كيفية انضمامه إلى حزب (هيوا) وما جلب له ذلك من مشاكل فيما بعد، حيث كان هذا الجانب من حياته أول تجربة سياسية له، خاصة وهو ضابط لم يمر على تخرجه سوى خمس سنوات، وذكر بهذا الصدد: (في خريف عام ١٩٤٢ تواعدت مع صديقي الشهيد عزت عبدالعزيز في بهو الضباط بمقر الفرقة الثانية بمدينة كركوك لغرض تناول الغداء فيه وكان اليوم المذكور يصادف الخميس، حيث اعتاد مطعم بهو الضباط تهيئة أكلة (الباجه) كغداء رئيسي لأيام الخميس من الشهر في موسمي الخريف والشتاء وفي الموعد المحدد التقيت مع الشهيد عزت في بهو المطعم وبعد تلذذنا بأكلة الباجه وتناول الشاي اقترح علي عزت القيام بالتمشي باتجاه شارع شاطرلو، ثم طريق شركة نفط (I.P.C) بحجة ان التمشي يساعد على عملية الهضم وخاصة كنا قد أكلنا (الباجه) وقد استحسنت الفكرة لأنني كنت ومنذ صغري قد أصبحت رياضة المشي جزءا من حياتي اليومية. وفي بداية الأمر كانت أحاديثنا تقتصر–ونحن نسير على رصيف الشارع المؤدي إلى طريق الشركة العام–على الأخبار

العامة لوحداتنا العسكرية وزملائنا من الضباط الكورد ودورهم في وحداتهم، وعندما أصبحنا خارج مركز المدينة ونحن نسير بملابسنا العسكرية باتجاه طريق شركة النفط، استوقفني عزت ووجه لي سؤالا محددا: (كم عدد الضباط الكورد في وحدتك؟)، فأجبته: ما هو السر في ذلك؟ عندئذ انشرحت أسارير وجهه وبدأ بالكلام وكأنه أعد محاضرة للمناسبة وقال: (كاكه عبدالله لنضع الهزل والعسكرية جانبا وبدون مقدمات، أحب أن أطرح عليك سؤالا محددا)، عندئذ توقف عن المشي وركز عينيه في عيني وقال والجدية بادية عليه: (هل تحب شعبك من كل قلبك؟!) ولأول وهلة بدا علي السؤال غريبا، لأن عزت كان يعرفني جيدا وهو صديق العائلة وكان يعرف ميولي واتجاهاتي وعاداتي الشخصية وتساءلت مع نفسي لحظة: ماذا وراء سر توجيه ذلك السؤال؟ ولكن كما كانت معرفتي بعزت تعود لسنين خلت عندما جمعتنا (الفرضيات العسكرية) على محور كركوك–كويسنجق–جبل هيبت سلطان شرقي مدينة كويسنجق منتصف الثلاثينات مع كل من الضباط الشهداء عزت عبدالعزيز ومصطفى خوشناو والمرحوم بكر عبدالكريم حويزي ومحمود طه البرزنجي، واستمرت صداقتنا الأخوية والمتينة جدا حتى يوم وفاتهم لذا لم يدم استغرابي إلا ثوان محدودة عندما واجهني عزت بسؤاله حول مدى حبي لشعبي الكوردي ولهذا كان جوابي له: (وهل تجهل أنت بالذات مدى حبي وتعلقي بشعبي؟) وبعد ذلك دار الحوار التالي بيننا.

عزت عبدالعزيز: (لم أكن أجهل مدى إخلاصك ووطنيتك تجاه شعبك ولكني كنت بحاجة إلى نرفزتك، وكما تعلم ان شعبنا يعيش في موطن مجزأ إضافة إلى كونه شعبا مضطهدا، حيث قضى الإنكليز على ثورة الشيخ محمود الحفيد، وتعرف ماذا حل به حيث لا حول له ولا قوة، والشيخ احمد البارزاني ثائر أيضا بوجه الظلم والطغيان والحركات العسكرية بمساعدة المرتزقة مستمرة ضده وان الأعداء يتكابلون ضد شعبنا الكوردي وعلينا نحن العسكريون الوطنيون وبالتعاون والتنسيق مع الفئة المتنورة أن ننسق جهودنا داخل إطار حزب أو تجمع سياسي يتبنى حقوق شعبنا وفق برنامج واضح وكل ما أريده هنا أن أسمع رأيك بهذا الصدد.

عبدالله سعيد: قبل اسبوعين وعندما كنت في زيارة الأهل والأصدقاء بمدينة السليمانية التقيت مع الضابط نوري معروف (نوري ملا مارف) وحدثني عن فعاليات

ونشاطات حزب سياسي له حضوره يسمى بـ (هيوا) أي (الأمل) وحسب ما ذكر لي نوري ان أكثرية الضباط الكورد لهم علاقة بشكل أو بآخر بـ(هيوا) وعندما أطلعت شقيقي كاكه عارف بذلك أعلمني بأنه منتمي كذلك وترك لي حرية الاختيار في الانتماء، وقد كنت انتظر ومنذ رجوعي من السليمانية من يرشدني إلى (هيوا) وها هو يواجهني بنفسه وأنا متأكد بأنك رسول من قبلهم فأهلا بهم وبك واعتبرني منذ هذه اللحظة عضوا معكم.

عزت عبدالعزيز: بارك الله فيك على هذا الاندفاع والذكاء وقد ساعدتني على اختصار المسافة وسنكون هذه الليلة في الساعة الثامنة في دار (لم يذكر اسم صاحب الدار) أحد أعضاء (هيوا) لأداء القسم وانتظر مجيئي قبل الموعد بنصف ساعة لاستصحابك معي.

في الموعد المحدد استصحبني عزت إلى حي القلعة (قلعة كركوك) وفي إحدى أزقتها طرق هو أحد الأبواب ثلاث مرات متتالية وعلى نسق واحد وعلى أثرها انفتح الباب، ثم سمعنا صوتا من الداخل لرجل من وراء الباب باللغة الكوردية: (أهلا بضيوفنا الكرام)، ودخلنا الدار بعد أن حيينا الرجل الواقف خلف الباب حيث أشار بيده إلى باب غرفة كانت تقع في المدخل الأمامي للدار التي كان طرازها شرقيا، وعند دخولنا الغرفة شاهدت شخصين كانا يجلسان على كراسي خشبية قديمة وأمامهما منضدة خشبية ذات حجم متوسط وضع عليها خنجر كوردي وبعض الأوراق ولم استطع تشخيص أي شيء آخر على المنضدة لرداءة النور حيث كانت وسيلة إضاءة الغرفة عبارة عن فانوس وضع على المنضدة، وعندما دخلنا الغرفة خاطب عزت الرجلين المذكورين بعبارة (عاش الكورد، عاشت كوردستان).

وحال انتهاء عزت من قول تلك العبارة، نهض الرجلان من على كرسيهما وانتصبا واقفين ورددا نفس العبارة لمرة واحدة (عاش الكورد، عاشت كوردستان)، وتقدم عزت نحوهما وجها لوجه وكان المشهد آنذاك حسبما بدا لي أشبه بوقفة جندي أما قائده وخاطبهم بالقول: (كوردستان بحاجة إلى جهودنا جميعا، إنها الأم وعلى الأولاد خدمتها والتضحية في سبيلها والآن أقدم لكم أبنا آخر لكوردستان وهو "عبدالله سعيد

آغا كورون" الذي يعلن أمامكم إخلاصه للكورد وكوردستان ويؤدي القسم المطلوب بذلك).

وفي الحال رجع عزت خطوتين إلى الوراء وخاطبني بقوله: (تقدم إلى المنضدة لأداء القسم وردد معي ما أقوله أمام هذين الرجلين واللذين لم أكن أعرفهما حتى تلك اللحظات وعندما تقدمت إليهما حيث أصبحت وجها لوجه معهما والمنضدة تفصل بيننا، خاطبني عزت وقال لي ردد معي:

(أقسم بشرفي وبديني أن أكون مخلصا حتى النهاية لشعبي ولوطني كوردستان وأن أناضل في سبيل سعادتهما وحريتهما والله شاهد على ما أقول).

وبترديدي القسم–والكلام مازال للعميد عبدالله سعيد–أصبحت عضوا في (هيوا) وعلى أثره توطدت علاقتي الأخوية والسياسية أكثر مما مضى مع عزت ولم نكن نفترق حتى أصبح ضابط الارتباط بين الحكومة المركزية في بغداد وبين الثورة الكوردية في منطقة (بله) والتحاقه نهائيا بالثورة في أواخر عام ١٩٤٤ بقيادة البارزاني، وبعد التحاقه بالثورة الكوردية ومن ثم بجمهورية مهاباد الفتية كنت قد اجتزت السنة الأولى في كلية الأركان بتفوق وخلال دوامنا في السنة الثانية والأخيرة استدعيت ذات يوم إلى غرفة آمر كلية الأركان حيث ناولني الضابط الأقدم في الكلية أمرا يتضمن بناءا على توصية دائرة الاستخبارات العسكرية وموافقة رئاسة الأركان بفصلي من الصف الثاني، أي المرحلة النهائية في كلية الأركان وأمرني الضابط الأقدم بمراجعة وزارة الدفاع لغرض استلام أمر إعادتي إلى وحدتي السابقة أو نقلي إلى وحدة أخرى وعند استلامي أمر فصلي وقراءتي لمضمون الأمر الصادر من آمر كلية الأركان شعرت بأن الأرض قد تزلزلت تحت أقدامي وكاد أن يغمي علي من هول المفاجأة وشدة التأثر، ولكني تماسكت وسيطرت على أعصابي وقلت مع نفسي أخيرا (إنها ليست نهاية التاريخ)، وبالصدفة عرفت بأن شقيقي كاكه عارف موجود في بغداد وأنه جاء لغرض المعالجة ومراجعة الطبيب المختص وعندما لاقيته أخبرته بتفاصيل ما دار وما جرى لي في كلية الأركان، واقترح علي حالا الذهاب إلى منـزل العقيد توفيق وهبي الضابط اللامع والشخصية المعروفة وهو من أهالي السليمانية، حيث كان يقوم بالتدريس بصفة مدرس في كلية الأركان، ومع وصولنا إلى منـزله أخبره شقيقي بأمر فصلي من

الأركان ودون وجود مبرر أو ذكر سبب الفصل فأبدى الرجل تعاطفا وخاصة أنه كان يعرف مدى قابلياتي وحرصي على الانضباط والدوام وطموحي بتكملة الدراسة في الأركان، لأنه وكما هو معروف ان إكمال الدراسة في كلية الأركان بالنسبة للضابط هي بمثابة جواز مرور لاستلام المناصب العسكرية، وقد استفسر توفيق وهبي مني حول علاقتي بالسياسة أو السياسيين، أو هل بدت مني بادرة سلبية تجاه العرش أو هيبة الدولة وبعض الأسئلة الأخرى، ولما عرف الرجل بأن لا هم لي سوى إخلاصي لمهنتي وواجباتي وان اضبارتي الشخصية تؤكد على ذلك، فقد اقترح علينا (شقيقي وأنا) بمراجعة وزارة الدفاع صباح اليوم التالي وأبدى استعداده للمجيء معنا ومراجعة المسؤولين فيها حول المسألة التي كنا بصددها.

ولم تغمض لي عين كما لم أنم تلك الليلة، حيث بقيت ساهرا واستعدت نفسيا لمقابلة المسؤولين، كما هيأت مع نفسي عشرات السيناريوهات، ولم أترك ثغرة للجولة القادمة حيث كنت أتصور أن العدالة تأخذ مجراها.

وفي الساعة الثامنة والنصف من صباح ذلك اليوم، كنا في غرفة صادق البصام وزير الدفاع بالوكالة لعدم وجود الوزير الأصلي في العراق آنذاك، وقد سبقنا توفيق وهبي للحضور قبلنا ولم يمض أكثر من ربع ساعة حتى استدعاني وزير الدفاع وكالة بمفردي ومع دخولي إلى غرفته وأنا بكامل قيافتي العسكرية أديت التحية له ثم وقفت بحالة الاستراحة وكان هو جالسا وراء منضدته وتوفيق وهبي جالسا على إحدى الأرائك القريبة منه ثم جرى الحوار بيني وبين صادق البصام وزير الدفاع وكالة على النحو التالي:

وزير الدفاع وكالة: من أي شيء تشكو يا عبدالله؟

عبدالله سعيد: استلمت أمس أمر فصلي من كلية الأركان وأمروني بمراجعة وزارة الدفاع، وإضافة إلى تنفيذ الأمر، جئتكم لرفع مظلوميتي إلى سيادتكم راجيا إلغاء الأمر الصادر بفصلي لأنني اجتزت الصف الأول بنجاح تام وأمنيتي الكبرى تكملة الأركان والعودة إلى وحدتي لتسلم المسؤولية التي تناط بي لخدمة جيشي ووطني.

وزير الدفاع وكالة: (كان يلقي نظراته علي وعلى اضبارة كانت بين يديه ثم يقلب عدة أوراق فيها، وعند مراجعتها ثانية وثالثة وضع الاضبارة جانبا ونهض من على

كرسيه وأصبح واقفا قبالتي، وقال لي بالحرف الواحد: (عبدالله أحنا بعد الآن ما راح نربي الذئاب، صاحبك عزت عبدالعزيز وين راح؟ لا أتصور باستطاعتك نكران صداقتك الحميمة معه، خان الجيش وولي نعمتنا جميعا حكومتنا المقتدرة، أحمد الله على أن الأمر مقتصر بفصلك من كلية الأركان، لأننا كما قلت لك ما نربي الذئاب، أرجع إلى وحدتك حالا وإنك مراقب وان أقل بادرة تصدر منك سلبا راح توديك إلى الجحيم، استعد، انصرف!

وكما هي الحال في السياقات العسكرية، كنت في حالة الاستراحة عندما كان يكلمني الوزير ومع انتهائه من كلامه أمرني بالاستعداد ثم الانصراف ولم يسمح لي بقول كلمة واحدة ونفذت الأمر ثم خرجت من غرفته بخفي حنين!

وعندما أصبحنا (شقيقي وأنا) خارج مبنى وزارة الدفاع، انتظرنا برهة من الوقت مغادرة توفيق وهبي لغرفة الوزير حيث جاء إلينا بعد مرور عشرة دقائق وأوصلنا بسيارته إلى ساحة حافظ القاضي بشارع الرشيد وأوصاني ونحن داخل سيارته قائلا: (ابني عبدالله، أرجو الاهتمام بواجباتك العسكرية وحاول قدر المستطاع الابتعاد عما يلفت الأنظار ويسبب لك المتاعب، لقد حاولت إقناع الوزير بإعادتك إلى كلية الأركان لكنه رفض قبول وجهة نظري بأن صداقتك لعزت عبدالعزيز لا تعني التطابق في الآراء معه بدليل التحاق عزت (بحركات بارزان) واستمرارك أنت في صفوف الجيش، لكن كما تبين لي بأن التقارير المرفوعة ضدك كانت حارقة وهنالك صورة تجمعكم مع ميرحاج وعزت عبدالعزيز موجودة داخل الاضبارة، وقد أوجدوا لها تفسيرا لم يكن في صالحك، وان الاكتفاء بفصلك من كلية الأركان كما جاء في الهامش المكتوب من الإخبارية المرسلة من الاستخبارات إلى الدفاع يعتبر من أخف الإجراءات المتخذة بحقك وليس بمقدوري عمل شيء آخر لك، التحق بوحدتك وتوكل على الله).

وعند التحاقي بمقر وحدتي في الفرقة الثانية تم تثبيتي على ملاك بطرية المدفعية الأولى المتجحفلة مع اللواء الخامس تحت أمر العقيد طاهر محمد آنذاك في منطقة رواندوز، حيث كانت الحركات الفعلية ضد ثورة بارزان في خريف عام ١٩٤٥ على وشك الانتهاء أو كانت منتهية ولم نبق في حوض منطقة رواندوز أكثر من شهرين حيث نقلت الى إحدى بطريات المدفعية للفرقة الأولى في الديوانية والتي بقيت فيها لحين اندلاع

حرب عام ١٩٤٨ في فلسطين، وقد كنت برتبة رئيس (رائد) وأصبحت نتيجة حرصي وانضباطي العسكري ومتابعتي الجدية آمرا لبطرية مدفعية (٢٥) رطل وكان معي آنذاك كل من الملازم فاضل محسن الحكيم ومجموعة من الضباط الكورد هم (الملازم عبدالله سيد أحمد والملازم علي خالد والملازم نامق عبدالله حويزي وغيرهم) وكان موقع بطريتنا يواجه المواقع الإسرائيلية في جنين ونابلس وجسر المجامع مقابل كوكب الهوا وقد أبلت الوحدات العسكرية بلاء حسنا ضمن الحدود المرسومة لها من قبل قيادة الأركان والمساهمة في دحر العدو ولقد ساهم الضباط الكورد الموجودين آنذاك على أرض فلسطين ضمن وحدات الجيش العراقي مساهمة متميزة وكل واحد في موقعه رغم المرارة التي كنا نشعر بها جراء سياسية الدولة الرسمية تجاه الكورد وقضيتهم وإطلاق أيادي بعض العسكريين أثناء الفعاليات العسكرية بالضد من الثوار في كوردستان وما آل إليه مصير الضباط الأربعة وإعدامهم في ١٩٤٧/٦/١٩ الذين التحقوا في فترات سابقة بصفوف الثورة الكوردية وعادوا الى الوطن إثر النكسة التي أصابت جمهورية كوردستان وإعدام قادتها في ١٩٤٧/٣/٣٠، كل هذه الأمور قد خلقت لدينا إحساسا بأننا نخدم سياسة حكومة مركزية لا تعير للكورد اهتماما، بل تتعداها الى ما هو أقسى وأظلم وهي مجابهة المطاليب المتواضعة والمشروعة للشعب الكوردي بالحديد والنار، ومع هذا فقد كانت مساهمتنا جلية للعيان واستحقت الثناء والتقدير.

وبعد انتهاء مهمة الجيش العراقي عادت القطعات العسكرية الى مواقعها وعدت أنا الى وحدتي العسكرية في لواء الديوانية ضمن تشكيلات الفرقة الأولى وبقيت هناك حتى أواخر عام ١٩٥٣ حيث نقلت الى تشكيلات الفرقة الثالثة والتي كان مقرها في مدينة بعقوبة وتم تثبيتي في كتيبة المدفعية الثالثة في جلولاء ورشحت خلال الأعوام (١٩٥٣-١٩٥٥) للالتحاق بدورتين عسكريتين، الأولى في مدينة دسلدروف بالمانيا الغربية وقد استغرقت ستة أشهر والثانية كانت عام ١٩٥٥ بمدينة لندن للتدريب على عدة أنواع من المدافع وقد حصلت فيها على درجة امتياز وأقامت الوحدة العسكرية المضيفة حفلة توديعية للضباط المتخرجين وقد كلفت أنا بإلقاء كلمة نيابة عن الضباط العراقيين باللغة الإنكليزية، حيث كنت أجيدها وما أزال تحدثا وكتابة إجادة تامة، وعند الانتهاء من إلقاء الكلمة والتي نالت استحسان الحاضرين قام الماريشال

مونتغمري بطل معركة العلمين الذي كان حاضرا في الحفل وتقدم نحوي خطوتين حيث سارعت أنا نحوه وأديت له التحية العسكرية فقال لي بالحرف الواحد: (أحسنت وأهنئك على النتيجة وعلى هذه الكلمة القيمة وباللغة الإنكليزية ومن فضلك أريد أن أطرح عليك سؤالا: من أي بلد أنت؟ لأنني لم أكن منتبها عند التقديم فأنا آسف، وما هي رتبتك؟ وشكرا). وعندما ذكرت له رتبتي وصنفي العسكري واسم بلدي صافحني مرة أخرى وشكرني ثانية.

أحداث وأمور تخصه في مراحل مختلفة من حياته العسكرية فكان يجيبنا بكل رحابة صدر ولم يكن يترك ثغرة خلال أحاديثه تلك وكان بمثابة مرجع ويتعامل مع سرد الأحداث بكل صدق دون إضافة أو نقصان وكأنه يتعامل مع إحداثيات المدفع والتي تعتمد على حسابات ومعادلات حسابية دقيقة.

وذات مرة عندما سألته عن الراحل عبدالكريم قاسم قائد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ وقصة أول لقاء تم بينهما وكيف تحول فيما بعد الى علاقة محبة وثقة في البداية والعوامل التي أثرت علاقتهما لأني لم أكن على إطلاع بتفاصيل تلك العلاقة، وكل ما كنت أعرفه هو سماعي لأحداث قد مرت على عائلته في جلولاء وأخرى في بغداد وكانت أسماء عبدالكريم قاسم وعبدالسلام عارف وأحمد صالح العبيدي وطاهر يحيى وعبدالجبار جواد تتردد أثناء الحديث دون الخوض في التفاصيل، لذا عندما بدأت بجمع تلك المعلومات وعلى مدى سنوات خاصة عندما تم جمع شمل عائلته معنا في منطقة (ئازادي) القريبة من قصبة (حاج عمران) في صيف عام ١٩٧٤ إثر التحاقي بصفوف الثورة الكوردية في آذار عام ١٩٧٤ وما ترتب على ذلك من حجز ممتلكاتي في بغداد وتسفير زوجتي بعد فترة قصيرة ثم تسفير عائلة والدها بعد شهر واحد إثر التحاق نجلهم الكبير بالثورة آنذاك ومصادرة أموالهم المنقولة وغير المنقولة ثم اعتقال النجل الثاني الذي كان ضابطا في الجيش في السجن رقم واحد ببغداد لمدة (١٤) شهرا وعلى إثرها أصبحت الظروف ملائمة وخاصة عندما كنا نسهر ليلا في إحدى الدور التابعة لمصلحة المصايف والسياحة من قبل، ثم تحولت بعد اندلاع القتال في آذار عام ١٩٧٤ الى دور سكنية وخصصت أكثريتها لمنتسبي (الأمانة العامة للإعلام والثقافة والشباب) في الثورة الكوردية والتي كنت أحد منتسبيها حيث كانت تقع على رابية

تشبه هضبة صغيرة وآمنة حيث لم تتجرأ الطائرات العراقية الحربية الوصول الى تلك المنطقة وكنا نقضي الليالي بسماع الأخبار من الإذاعات العالمية وتعليقات الصحف حول الثورة الكوردية إذ لم تكن تلك الإذاعات تخلو من أخبار الثورة الكوردية وقائدها مصطفى البارزاني إذ كان مراسلو الصحف والإذاعات يترددون على المنطقة لتغطية الأخبار وكتابة الريبورتاجات الصحفية عن تلك الفترة من عمر ثورة أيلول الكبرى. وفي تلك الدار بمنطقة (ئازادي) وفي إحدى ليالي أوائل الصيف من تلك السنة التي كانت حافلة بالمفاجآت عادت الذاكرة بالعميد عبدالله سعيد حول كيفية معرفته ولقائه الأول بعبد الكريم قاسم حيث قال لي: (عندما تم تثبيتي على ملاك الفرقة الثالثة عام ١٩٥٤ انتسبت الى كتيبة المدفعية الثالثة والتي كانت تسمى بالكتيبة الحجرية نسبة الى مقر الكتيبة التي كانت مبنية من الحجر والسمنت وبعد مرور شهرين على بقائي في جلولاء سافرت الى جمهورية ألمانيا الغربية والى مدينة دسلدروف لمدة ستة أشهر للاشتراك في دورة للمدافع الجبلية، وبعد عودتي نظمت قيادة الفرقة الثالثة بمناسبة عيد تأسيس الجيش العراقي في ٦ كانون الثاني عام ١٩٥٥ حفلة غداء في بهو الضباط بمدينة بعقوبة حيث كان مقر الفرقة الثالثة، وقد حضرها بالإضافة الى قائد الفرقة الفريق نجيب الربيعي ومساعديه وأمراء الألوية الثلاث وآمري كتائب المدفعية والدروع وآمري الأفواج وبعض الضباط المتميزين، وقد كنت أحد المدعوين وبرتبة (مقدم) وصادف ان كنت بجوار ضابط كان يحمل رتبة (عقيد ركن) ولم يكن شكله غريبا عني، وعندما تعرف أحدنا على الآخر وبدأنا بالكلام تبين بأننا كنا قد تزاملنا في الكلية العسكرية للفترة الواقعة بين عامي (١٩٣٢-١٩٣٤) وعرفت بأنه آمر للواء التاسع عشر في منصورية الجبل التابعة للفرقة الثالثة، وشعرت خلال فترة قصيرة وبعد أن عرف بأنني كوردي من مدينة السليمانية ثم عرف منصبي وصنفي بدا وكأنه يعرفني منذ مدة وتواعدنا على اللقاء مستقبلا. ثم صادف أن التقينا عرضيا خلال عدة مناسبات ولكن اللقاء الذي كان حاسما في علاقتنا يعود الى شهر كانون الأول من عام ١٩٥٦ حيث صدرت الأوامر بمشاركة كتيبتي التي أصبحتُ آمرا لها (الكتيبة المدفعية الثالثة) مع القطعات المتوجهة الى الأردن وكانت كتيبتي متجحفلة مع اللواء التاسع عشر بقيادة الزعيم الركن عبدالكريم قاسم، وقد استقر جحفل اللواء المذكور في المفرق لمساندة

الأردن ضد إسرائيل، كان الجو بطبيعته في ذلك الشهر من السنة باردا جدا وقد كنا ننام في المخيم ولم تكن خيمتي بعيدة عن خيمة آمر اللواء عبدالكريم قاسم وكثيرا ما كنا نلتقي في خيمته مع عدد محدود من الضباط وكان لا يخفي تعاطفه آنذاك مع الرئيس المصري جمال عبدالناصر، وفي ظهيرة أحد الأيام حيث كان الجو مشمسا خرجت من خيمتي لغرض التمشي والاستفادة من اعتدال المناخ في تلك الساعة، وعند خروجي باتجاه غرب المعسكر حيث لم أكن قد ابتعدت كثيرا عن المخيم وإذا بصوت يناديني قائلا: (مقدم عبدالله)، وعندما التفت الى الوراء إذا بالزعيم الركن عبدالكريم قاسم وخلفه أحد ضباط الصف يسيران باتجاهي وكانت المسافة بيننا بحدود (١٥٠) مترا، عندئذ قفلت راجعا باتجاهه وعندما أصبحت على بعد خمسة أمتار عنه أديت له التحية العسكرية ثم سألني عن وجهتي وعندما أخبرته بأني استغل الجو المشمس لغرض التمشي وللترويح عن النفس، التفت نحو نائب الضابط الذي كان يرافقه وأمره بالعودة الى خيمته، لأنه يريد التمشي معي ولا يحتاج الى مرافق.

وابتعدنا قليلا عن مكان المعسكر وبدأ يتكلم عن أوضاعنا (أوضاع القطعات العسكرية في المفرق) والصعوبات التي كنا نلاقيها وعلى حين غرة توقف عن المشي وفاجأني بالسؤال التالي:

الزعيم الركن عبدالكريم قاسم: كيف تنظر الى الحكومة وهل ان الأكراد راضون عنها؟!

كنا (الزعيم وأنا) واقفين وجها لوجه عندما بادرني بسؤاله هذا وكانت مفاجأة لي لكن في لحظتها تذكرت قول العقيد عبدالجبار جواد شقيق المرحوم اللواء الطيار محمد علي جواد الذي اغتيل مع الفريق الأول الركن بكر صدقي عام ١٩٣٧ في الموصل بمؤامرة من القوميين العرب فكان العقيد عبدالجبار جواد وهو ابن عمة الزعيم عبدالكريم قاسم وزوج شقيقته (أم رعد) جيراني في جلولاء.

كنا نسكن (بيوت الأمراء) في جلولاء والتي كانت عبارة عن خمسة منازل مبنية من الحجر والسمنت وتقع على يمين الشارع الذي كان يصل جلولاء بقصبة كلار وبالقرب من الجسر الحديدي المقام على نهر سيروان وكانت المنازل يسكنها خمسة من آمري الوحدات العسكرية على الشكل التالي وابتداء من اليمين:

١- المنـزل رقم (١) وكان يسكنه العقيد عبدالجبار جواد، آمر فوج.

٢- المنـزل رقم (٢) وكان يسكنه العقيد ياسين محمد رؤوف، آمر الفوج الثاني، اللواء العشرين حيث أنه لم يشترك ليلة ١٤/١٣ تموز في الثورة لأنه لم يكن من الضباط الأحرار واعتقل.

٣- المنـزل رقم (٣) وكان يسكنه العقيد خيرالدين الناصري، آمر كتيبة دروع.

٤- المنـزل رقم (٤) وكان يسكنه العقيد عبدالله سعيد، آمر كتيبة المدفعية الثالثة في الفرقة الثالثة.

٥- المنـزل رقم (٥) وكان يسكنه العقيد الركن عبدالسلام محمد عارف، آمر الفوج الثالث اللواء العشرين.

وبحكم الجوار ودماثة خلق العقيد عبدالجبار جواد أصبحت علاقتنا الشخصية والعائلية وطيدة ولم يكن العقيد عبدالجبار مثل العقيد الركن عبدالسلام عارف الذي كان يمنع أبناءه وبناته من اللعب مع أولادي بسبب كرهه للكورد، فبعكس عبدالسلام عارف كنا نتزاور عبدالجبار وأنا في كثير من الأحايين شخصيا وعائليا ولم تكن بيننا كلفة وكثيرا ما كان يحدثني عن شقيقه الراحل محمد علي جواد الذي اغتيل غيلة مع الفريق بكر صدقي، وفي بعض المرات كان يتحدث عن الزعيم عبدالكريم قاسم وحبه للكورد وإعجابه بشخصية بكر صدقي العسكرية وعلى حد قول العقيد عبدالجبار جواد كان الزعيم عبدالكريم قاسم يثني على جهود الفريق بكر صدقي في بناء الجيش العراقي وتسليحه وتدريبه (والقول ما زال للعقيد عبدالجبار) بأن سر إعجاب عبدالكريم قاسم ببكر صدقي إضافة الى مزاياه العسكرية هو محاولته (أي بكر صدقي) تحجيم دور العائلة الملكية في الشؤون السياسية ومحاولته جعلهم يملكون ولا يحكمون، وقد تذكرت تلك الأقوال على الفور عندما واجهني الزعيم عبدالكريم قاسم بسؤاله حول نظرتي الى الحكومة وكذلك تقييم الكورد للحكومة أيضا، لكن بالرغم من ذلك كانت مفاجأة لي خاصة وقد كنت ملدوغا من جحر الحكومة عندما تم فصلي من كلية الأركان بسبب صداقتي مع الشهيد عزت عبدالعزيز ومع ميرحاج أحمد اللذين كانا قد التحقا بصفوف الثورة في بارزان في منتصف الأربعينات، ولكن ثقتي بالزعيم عبدالكريم قاسم واستقامته الشخصية وكذلك ما كنت أسمعه من العقيد عبدالجبار

جواد من أقوال حول شخصية عبدالكريم قاسم وحبه للكورد وكرهه للنظام أزالت من أمامي أية موانع مما جعلني أن أكون صريحا وصادقا معه وبعد برهة لم تستغرق أكثر من دقيقتين كان جوابي له كما يلي:

العقيد عبدالله سعيد: سيدي الزعيم ربما لا أكون مغاليا إذا ما قلت لكم بأن سياسة هذه الحكومة لا تمثل إلا نفسها وإنها بعيدة كل البعد عن الشعب العراقي وإنها مرتبطة بعجلة الاستعمار وتخدم سياستهم وإن نظرة الكورد إليها سيئة للغاية بسبب سياسة القوة التي تجابه بها الشعب الكوردي وإن إعدام الضباط الكورد الأربعة عام ١٩٤٧ بالرغم من وعودهم حول عدم إعدامهم قد زاد من كرهنا لها ولقد أخذت حصتي من السياسة الخاطئة للحكومة عندما تم فصلي من كلية الأركان بسبب صداقتي مع بعض الضباط الملتحقين بـ(الملا مصطفى البارزاني) (وهنا وعندما سمع الزعيم عبدالكريم قاسم اسم الملا مصطفى شعرت وكأن إبرة قد وخزته وبدون أية مقدمات وبنوع من الارتباك سألني على عجل:

الزعيم عبدالكريم قاسم: ما هي أخبار الملا مصطفى؟ وكيف يعيش؟ ومتى سيعود؟

وحقا كانت تلك مفاجأة ثانية أكبر من الأولى لأن ذكر اسم الملا مصطفى البارزاني في ذلك الوقت كان يعتبر شجاعة وكانت الشجاعة تبدو أكبر من ذلك عندما يذكره ضابط كبير وبرتبة زعيم وآمر لواء في الجيش العراقي، وبسؤاله عن البارزاني أدخلني هذه المرة في مفاجأة ثانية، إذ لم يكن متوقعا أن أجابه بمثل هذا النوع من الأسئلة وكنت لا أعرف الكثير عن أخبار الملا مصطفى البارزاني، لأن التعتيم عليه كان شديدا وقد كنت بعيدا عن السياسة بعد تجربة دخولي حزب (هيوا) وكل ما كنت أحصل عليه من معلومات كنت تأتينا من مصدرين رغم إنها كانت شحيحة للغاية، وكان المصدر الأول ما كنا نتداوله نحن بعض الضباط الكورد عندما كنا نلتقي في مناسبات عائلية أو عامة كالأعياد الدينية ومناسبات الزواج والعزاء، والمصدر الثاني كان يأتيني عن طريق شقيقي الكبير (غفور آغا توتنجي) الذي كان يملك محلا لبيع التبغ في سوق المجيدية بمدينة كركوك حيث كان يرتاده الجميع وخاصة الشخصيات الكوردية، وكان معروفا بميوله السياسية كإنسان قومي محب لشعبه ووطنه وكان يختلط كثيرا

مع مختلف الشرائح ويتردد باستمرار على (تكية سيد احمد خانقاه) الشخصية الكوردية المعروفة في كركوك،حيث كان بيته وتكيته مزارا للجميع، وقد زاره مرة أو مرتين الملك فيصل الأول كما وكان يزوره كبار شخصيات الحكومة وكان الشيخ محمود الحفيد يزوره أيضا كلما مر بكركوك في طريقه إلى بغداد أو في زيارات خاصة له، ولقد حدثني شقيقي غفور آغا عندما كان يزورنا في جلولاء قبل تحركنا بيومين إلى الأردن لغرض توديعي عندما عرف في كركوك بأننا سنتحرك وقد كان يحمل معه أخبارا منوعة وخاصة أنه كان متصلا بتنظيمات الحزب الديمقراطي الكوردستاني في كركوك وأخبرني في تلك الزيارة (وكان من طبعه تهويل الأخبار) بأن هناك أقوالا حول نية البارزاني العودة إلى جبال كوردستان عبر ممرات جبلية وبمساعدة السوفيات لمقارعة الحكومة العراقية المرتبطة بالإنكليز والنفوذ الغربي وأنه قد أصبح جنرالا ويدرس العلوم العسكرية وأنه مع من معه من المقاتلين في صحة جيدة، وأن تنظيمات الحزب الديمقراطي الكوردستاني يوزعون صورته بشكل محدود جدا بين أعضائه) وقد أقسم لي شقيقي (بأنه رأى بأم عينه صورة البارزاني بزي جنرال وأنه في صحة جيدة)، وقد كنت أعرف مدى حب شقيقي للملا مصطفى وكان يعتبره مثله الأعلى وقد كنت أخاف عليه في كركوك من شر الحاقدين ولقد أخبرت الزعيم عبدالكريم بتلك الأخبار ولزيادة الثقة أخبرته بمصدر معلوماتي وقلت له بأن شقيقي يزورني في جلولاء بين فترة وأخرى وفي كل مرة كان يحمل معه العديد من الأخبار الطيبة وأنه مهتم بمثل هذه الأخبار أكثر من اهتمامه بعمله الذي يعيش عليه وعندما أطلع الزعيم عبدالكريم قاسم على تلك الأخبار وقد كنا أصبحنا على مسافة بعيدة من معسكرنا التفت إلى الوراء باتجاه المعسكر ووقف في مكانه و دخل في صمت استغرق بضع دقائق ثم انتبه لنفسه وقال لي:

الزعيم عبدالكريم قاسم: مقدم عبدالله هنالك أمر ما أود أن تكون على إطلاع به وكل ما أريده أن تتعاون معي وأن تكون كتوما للغاية وإذا لم ترغب في التعاون معي وهذا مالا أتصوره أحفظ السر وكن كورديا في الأمانة.

المقدم عبدالله سعيد: سيدي الزعيم، أعتز بكورديتي وبأمانة الكورد وكذلك يشرفني التعاون معكم.

الزعيم عبدالكريم قاسم: بدون مقدمات هناك تنظيم سري للضباط الوطنيين والمناوئين للحكومة وان هدف هذا التنظيم هو الثورة على هذا النظام الفاسد والموالي للاستعمار وإعلان الجمهورية، وان هذا التنظيم بحاجة إلى تعاوننا ومؤازرتنا جميعا لغرض تقويته ونجاح مهمته الشريفة، والآن عرفت ما هو الغرض من مفاتحتك وأريد جوابك إذا كان بإمكانك الجواب وإذا لم تستطع فأجله إلى وقت آخر وأرجو أن لا يكون بعيدا.

المقدم عبدالله سعيد: سيدي، تعلمون بأننا (الكورد) أكثر تضررا من سياسات الحكومة الحالية وعلى الصعيد الشخصي كدت أن أفقد وظيفتي كعسكري بدون مبرر، والآن أعلن استعدادي الكامل للتعاون معكم.

الزعيم عبدالكريم قاسم: يعني موافق على دخولك في تنظيم حركة الضباط الأحرار حتى النهاية؟

المقدم عبدالله سعيد: نعم وبكامل وعيي ومنذ هذه اللحظة.

الزعيم عبدالكريم قاسم: بارك الله فيك وأنا سعيد بموافقتكم على انضمامك إلى التنظيم وسنلتقي وسأزودك مستقبلا بالمعلومات المطلوبة وأسماء بعض الضباط الذين ستتعاون معهم.

وبعد عودتنا من الأردن إلى العراق واستقرارنا في وحدات الفرقة الثالثة، أصبحت لقاءاتنا مع الزعيم عبدالكريم تتم في أماكن مختلفة كبغداد وتارة بعقوبة، وفي أوقات مختلفة وفي مرات أخرى كنا نلتقي في منزل العقيد عبدالجبار جواد ابن عمته وزوج اخته، الذي كان جاري في جلولاء، وأتصور كنا في شهر نيسان عام ١٩٥٧ وكان يوم الجمعة عندما خابرني العقيد عبدالجبار جواد وأعلمني بأن الزعيم عبدالكريم قاسم عندهم في بيته لتناول الغداء وأنه يود أن يزورك بعد الغداء إذا لم يكن هنالك ما يمنع ذلك.

وفي الساعة الثالثة عصرا، دخل علينا الزعيم عبدالكريم وكان بمفرده وقد جاءنا راجلا من منزل العقيد عبدالجبار، ولما استقر جلوسنا في الصالون حدثني باقتضاب عن نشاطات تنظيم الضباط الأحرار وسؤاله أيضا عن هوية أحد الضباط الكورد، لأنه لم يكن يعرف شيئا عنه وفجأة قام من مكانه وسألني بشيء من الجدية: ماذا بشأن

علاقتك بالعقيد الركن عبدالسلام محمد عارف وهو أقرب واحد من الجيران لك، حيث أن بيتكما متقاربان؟

وعندما انتهى الزعيم من كلامه شعرت بشيء من النرفزة من أسلوبه وخاصة عندما استفسر عن طبيعة العلاقة بيني وبين عبدالسلام لكني تغاضيت النظر عن الأسلوب، خاصة أنه كان في بيتي وقلت له: سيدي الصداقة تبنى على أساس العلاقة الصحيحة، والعلاقة الصحيحة تستند إلى الاحترام والود المتبادلين، وأما ما يتعلق بعلاقة الجيرة مع عبدالسلام عارف، صحيح أن بيته مجاور لبيتنا، لكن بالكاد يسلم أحدنا على الآخر، لأنه يتحاشى رؤيتي ويتهرب من المواجهة، ولقد حاولت عدة مرات أن أكون المبادر بإلقاء التحية، لكن يبدو أنه رغم كل ذلك يمنع أبنائه من الاختلاط مع أبنائي عند تواجده في البيت ولولا طيبة وتفهم أم احمد (زوجة عبدالسلام) لما استطعنا البقاء بجواره اسبوعا واحدا، وقد حدثني صديقي العقيد عادل جلال عنه قبل فترة عندما أخبرته كونه كان صديقا لعبد السلام بقوله: (ان عبدالسلام لا يرغب في الصداقة مع أي ضابط كوردي باستثنائي أنا لأنه وحسب إدعائه "يقصد عبدالسلام" يعتبر كل ضابط كوردي بمثابة بكر صدقي آخر يغتصب الحكم من العرب إذا تسنى له ذلك كما فعل الفريق الأول الركن بكر صدقي عندما اغتصب الحكم من ياسن الهاشمي (حسب اعتقاد عبدالسلام).

عندما سمع الزعيم كلامي عن عبدالسلام، ظهرت ابتسامة خفيفة على وجهه وقال لي: (أبو سيروان: عبدالسلام ضابط كفوء ومحب لوطنه ورجل متدين ووفي وبسيط ومخلص ولا يفرط بأصدقائه، ربما هنالك التباس في الموضوع أو هنالك مشاكل بين الأبناء، حاول تصحيح العلاقة معه وأنا بدوري سأكلم عبدالسلام عن شخصيتك وعن انتمائك لتنظيم حركة الضباط الأحرار وهو بلا شك سيسعده ذلك، وإذا لم يكن هنالك مانع سأخبر عبدالجبار (ابن عمته وزوج شقيقته) بترتيب دعوة غداء في يوم الجمعة القادم في بيته لإزالة سوء الخلاف بينكما.

لم أكن مقتنعا بتصور الزعيم عبدالكريم قاسم عن عبدالسلام، لكن وتقديرا للزعيم رحبت بالفكرة وأبديت حماسا لها، لكن في قرارة نفسي لم أكن مقتنعا بالفكرة وعندما جمعتنا المائدة في منزل العقيد عبدالجبار حيث لم يكن الزعيم حاضرا بسبب سفره

إلى بغداد استفزني عبدالسلام خلال الدقائق الخمس الأولى عندما بدأ بالتهجم على سعيد قزاز وزير الداخلية آنذاك، معتبرا القزاز كأنه هو المسؤول عن كل مساوئ وظلم وسلبيات الحكم الملكي، وعندما أبديت رأيي في الموضوع بما معناه ان السياسة العامة للحكومة المركزية هي التي ترسم توجهات الحكومة وان وجود هذا وذاك لا تغير من الجوهر، وان المشكلة هنا ليست وجود سعيد قزاز على رأس وزارة الداخلية، صحيح ان قزاز هو وزير الداخلية ولكن نوري السعيد هو الكل بالكل وهو رئيس الوزراء وهو الذي وبالتعاون مع الوصي يرسم سياسة البلاد، ولم يقتنع عبدالسلام برأيي وظل يكرر ان سعيد قزاز هو المسؤول ويتحمل القسط الأكبر من المسؤولية عندئذ أشار لي العقيد عبدالجبار بطرف إحدى عينيه بالتغاضي عن مناقشة عبدالسلام وفهمت مغزى تلك الإشارة وحاولت تغيير مجرة الحديث، وقد ساعدني عبدالجبار في ذلك مما ساعدنا على كسر شيء من الحاجز النفسي بيننا وإن لم يكن كله.

وكثيراً ما كنا نتناول قصة ثورة ١٤/تموز/١٩٥٨ أحداثاً وأشخاصاً كلما تسنى لنا ذلك، في كوردستان أو في بغداد عندما كنا نقوم بزيارات عائلية ونتيجة اهتماماتي بأحداث تأريخ العراق المعاصر، كنت ألح على عبدالله سعيد أن يحدثني عنها وأحياناً كان هو يستدرج من تلقاء نفسه عندما كنا نذكر أسم أحد الضباط المساهمين في الثورة أو عندما كنا نوجه الانتقاد إلى الزعيم عبدالكريم قاسم نفسه (الذي ربى الذئاب من حوله بعد انتصار الثورة وكيفية القضاء عليه فيما بعد) وعندما سألته ذات مرة ونحن نتجاذب أطراف الحديث في مدينة (نغده) بكوردستان إيران عندما كنت في إجازة دورية حيث كنا نحصل عليها نحن أصحاب العوائل ومنتسبي الأمانات العامة (الوزارات) في الفترة من آذار عام ١٩٧٤ وإلى آذار عام ١٩٧٥ والتي كانت أمدها خمسة أيام وكانت عائلتانا (عائلة عبدالله وعائلتي) تعيشان معاً في دار مستأجر من الحاج سيد عبدالله كمالي وهو كوردي من أهالي نغده في شارع (بالقجي) حيث كنا نقضي الليالي في سماع الأخبار وسرد الأحداث التاريخية، وكان يد عبدالله سعيد برتبة عقيد عندما قامت ثورة ١٤/تموز/١٩٥٨ وله مساهمته فيها كآمر كتيبة للدبابات في الفرقة الثالثة مع زملائه الضباط في الكتيبة الثالثة، وعندما بدأ بسرد ذكرياته عن ذلك الحدث

الذي هزّ العراق ومحيطه وعواصم الدول الكبرى. بدى متألماً للنتيجة بالرغم من كونه كان أحد ضحايا تلك الثورة.

وروى لي عبدالله سعيد:

(كان المرحوم الزعيم الركن أحمد صالح العبدي بصفته آمر مدفعية الفرقة الثالثة مسؤولاً عن كتائب المدفعية الثلاث من ضمنها كتيبتي، وقد كنت التقي به كل شهر مرة أو مرتين في بعقوبة حيث كان مقره، أو عندما كان يزور كتائبنا للتفتيش)، في بداية شهر شباط من عام ١٩٥٨، أوعز لي الزعيم عبدالكريم قاسم الالتقاء بالزعيم الركن أحمد صالح العبدي لغرض التنسيق، حيث طمأنني الزعيم عبدالكريم بأن أحمد صالح العبدي هو أحد الضباط المنضمين إلى تنظيمات الضباط الأحرار وهو رجل كما ذكر لي عبدالكريم (يُعتمد عليه) وأبلغني بأن كلمة السر هي (عبدالكريم يسلم عليك) والجواب كان (أهلاً بعبدالكريم وربعه)، وبعد بضعة أيام، قمت بزيارة بعقوبة والالتقاء بالزعيم الركن أحمد صالح العبدي الذي كان آمري، وعندما التقيت به في غرفته بمفرده وجدته منشرحاً بعد أدائي للتحية العسكرية قلت له كلمة السر عندئذٍ مد يده ومسك يدي بقوة وقال لي: (أهلاً وميت أهلاً بعبدالكريم وربعه وأهلاً بك كاكه عبدالله)، وأجلسني بقربه وكانت معاملته هذه المرة (رغم احترامه وتقديره الشديدين لي سابقاً) قد بدا مختلفاً عن سابقاتها والابتسامة لم تفارق شفتيه وكان يستعمل بدل كلمة عقيد عبدالله كلمة (كاكه عبدالله) وبادر هو بالكلام قائلاً: (الزعيم عبدالكريم حدثني منذ مدة عن ارتباطك بالتنظيم ولقد فرحت بذلك أشد الفرح لمزاياك العسكرية والشخصية وأوعز لي (أي عبدالكريم قاسم) الاتصال بك لغرض التنسيق، وأن لا تحاول الالتقاء بعبدالكريم إلا في المناسبات الرسمية لأسباب تعرفها جيداً، أما لقاءاتنا (أنا وأنت) فهي طبيعية ولا تجلب أية شكوك لأنني آمر مديرية المدفعية للفرقة وأنت أحد آمري الكتائب فيها، وعندما سألني عن بعض ضباط المدفعية من الكورد مثل (نامق عبدالله حويزي، ومصطفى عزيز ورسول مجيد) وعن توجهاتهم فقد ذكرت له (أنهم من أخلص وأكفأ ضباط الكتيبة وأنهم مرتبطون بالتنظيم منذ أكثر من سنة ويُعتمد عليهم اعتماداً كلياً)، ثم تكررت اللقاءات بين الزعيم الركن أحمد صالح العبدي من جهة، وبيني وبين الزعيم الركن عبدالكريم قاسم من جهة أخرى، وتصادف أن التقيت مع العقيد الركن

عبدالسلام عارف وآخرين في منزل العقيد الركن خليل سعيد آمر اللواء لثالث، لكن ومع هذا لم يبد من عبدالسلام عارف حتى ولو إشارة واحدة معي عن تنظيم الضباط الأحرار، علماً أنه كان على اطلاع بوضعي وبموقفي من الحركة حتى اليوم الأول من تموز عام ١٩٥٨).

وعندما صدرت الأوامر بأن كتيبتي (كتيبة المدفعية الثالثة) سوف تتجحفل مع لواء العشرين الذي كان آمره الزعيم الركن أحمد حقي محمد علي وكان عبدالسلام عارف آمراً للفوج الثالث في لواء العشرين إذ جاءني ليلاً عبدالسلام ومن غير ميعاد (حيث كان منزلانا متلاصقتين في جلولاء آنذاك) وطلب مني الجلوس في داخل المنزل بدلاً من الحديقة الأمامية، وقد رحبت به كثيراً لأنها كانت أول زيارة له إلى منزلي، وقد طلب هو القهوة بدل الشاي، ثم تحرك من مكانه حيث كان جالساً قبالتي واستقر بجانبي وقال لي:

العقيد الركن عبدالسلام عارف: عقيد عبدالله أولاً الزعيم عبدالكريم قاسم هو أخونا الكبير ويسلم عليك (أجبته فوراً) حيث سكت هو بقولي أهلاً بعبدالكريم وربعه).

(وكانت هذه إشارة متفقة أو كلمة سر بيني وبين الزعيم عبدالكريم قاسم عندما كان الأمر يتعلق بطرف ثالث فيما يخص تنظيم الضباط الأحرار).

واستمر العقيد الركن عبدالسلام عارف في كلامه قائلاً، وثانياً أن اللواء العشرين والقوات المتجحفلة مع اللواء هي كتيبتك وقد صدرت الأوامر كما تعلم للتحرك من جلولاء عبر بغداد ـ الفلوجة إلى الأردن، وثالثاً وهو الأهم كن حذراً للغاية وقد أوصاني الزعيم عبدالكريم بأنك أحد الذين نعتمد عليهم في أية حركة قد تحدث، وسأكون على اتصال بك إذا ما حدث شيء جديد). وعندما استفسرت من العقيد الركن عبدالسلام حول آخر المستجدات فيما يتعلق بالحركة، اكتفى بقول جملة واحدة هي (خير إن شاء الله).

وفي يوم الخميس المصادف ٣/تموز/١٩٥٨ وبعد تناولي طعام الغداء في البيت، دخل عليّ (العريف عبد جولان الذي كان بإمرتي) وقال: أن سيارة الزعيم الركن عبدالكريم قاسم واقفة عند الباب والزعيم يريد أن يتأكد إذا كنت موجوداً ليأتي ويشرب الشاي عندكم، وحال سماعي الخبر وبينما كنت مازلت بملابسي العسكرية

لأننا كنا على وشك السفر إلى بعقوبة لغرض التسوق والترفيه عن العائلة وخاصةً كنت أعرف بأن قطعاتنا ستتحرك باتجاه الأردن خلال أسبوع أو اسبوعين، ولما شاهدني الزعيم عبدالكريم وأنا أتوجه نحوه ترجل من السيارة وقال لي وهو يبتسم: (تغديت ببيت أبو رعد (وكان يقصد العقيد عبدالجبار جواد أبن عمته وزوج أخته) قلت راح أشرب الشاي عند أبو سيروان)، ومددت يدي وصافحته بعد أداء التحية العسكرية له، وأمسكت بيده ودخلنا صالون بيتنا، حينئذٍ قال لي: (قبل أيام أوصيت عبدالسلام بلقائك وخاصة إنكما ستكونان معاً عند تحرك اللواء العشرين والقوات المتجحفلة معه، أطلب التعاون معه ومساندته) وهنالك أمر ما أريد أعرف هل لكتيبتكم عتاد مخزون، وهل ستزودون به عند بدء التحرك باتجاه الأردن؟ فقلت له: منذ ما يقارب الاثنتين وعشرين سنة وأنا ضابط مدفعية لم نتحرك من مكاننا ولم نشترك في الفرضيات العسكرية، سواء كانت بطرية أو كتيبة إلا وكان معنا العتاد الكامل ولا أعرف كيف سيكون هذه المرة عندئذٍ كرر الزعيم كلمة (جيد، جيد..) عدة مرات ولم يتحدث عن أي شيء آخر، وبعد مضي ربع ساعة استأذن وغادر المنزل، وقد ودعته ووقفت عند الباب إلى أن تحركت سيارته.

أبلغنا بالأوامر الصادرة من قبل قائد الفرقة الثالثة اللواء غازي الداغستاني بالأمر الصادر من مديرية مدفعية الفرقة الثالثة في الأسبوع الأول من تموز بأن حركة اللواء العشرين والقوات المتجحفلة معه من جلولاء إلى الأردن ستكون مساء يوم ١٣/تموز/١٩٥٨ بقيادة يد الركن أحمد حقي محمد علي آمر اللواء المذكور وسار كل شيء على ما يرام.

وفي عصر يوم ١٣ تموز استعرضت القطعات المتجهة من جلولاء إلى الأردن من قبل اللواء الركن غازي الداغستاني وكبار الضباط ولم يكن هنالك شيء جديد، إذ كانت الأنظار متجهة إلى الوحدات باتجاه بعقوبة ـ بغداد ـ الأردن وكيفية سيرها ودرجة انضباطها وكانت كتيبة المدفعية التي كنت أقودها موزعة حسب بطريات ثلاث، الأولى في المقدمة والثانية بين الفوجين الثاني والثالث، والثالثة في المؤخرة وعندما اجتزنا مركز ناحية خان بني سعد وكانت الساعة قد تجاوزت منتصف الليل، اتصل بي على جهاز اللاسلكي الخاص بكتيبتنا العقيد عادل جلال وهو ضابط كوردي من أهالي

خانقين، وطلب مني تحديد موقعي على الطريق العام لأن هناك رسالة خاصة ومستعجلة لي من قبله وقد حددت له موقعي ودلالتي، وبعدما يقارب ربع أو ثلث الساعة وقفت أحدى الدراجات البخارية للرتل أمامي، وأشار أحد ضباط الصف وهو برتبة رئيس عرفاء وقد عرفت بأنه مرسل من قبل العقيد عادل جلال، حيث ناولني رئيس العرفاء مظروفاً ثم انصرف، وعندما فتحته حيث كانت سيارتي واقفةٌ وعلى ضوء مصابيح السيارة (الايت) قرأت مضمون الرسالة والتي جاء فيها نصاً ما يلي: (كن حذراً واستعد للمنازلة وسينتهي كل شيء قبل شروق الشمس وبوصولك إلى بغداد، ستكون على علم بمهمتك، مع تحيات أبو أحمد "أي عبدالسلام محمد عارف".. التوقيع عادل). وسارت الأمور بشكل طبيعي، ففي حدود الساعة الرابعة والنصف صباحاً كنا على مشارف بغداد.

نشرت هذه الحلقة من الذاكرة كما هو معلوم في العدد (٧٥) من مجلة "كَولان العربي" في شهر آب ٢٠٠٢ وبعد مضي سبع سنوات على ذلك وفي يوم الاربعاء المصادف ٢٠٠٩/١٠/٢٨ وقعت عيناي على موضوع في ص١١ من جريدة "التآخي" بعنوان (ولم يكن دوره هامشيا في ثورة ١٤ تموز، ماذا فعل الزعيم عبدالكريم قاسم يومي (١٢،١٣) منه ورأيت إعادة نشرها هنا نظرا لتطابق الآراء بهذا الصدد وهذا نصه:

ومع وصولنا إلى منطقة بغداد الجديدة، أخبرني عريف اللاسلكي بأنه مطلوب مني الترجل من السيارة والالتقاء بآمر اللواء على بعد خمس مائة متر منا، حيث شاهدت تجمعاً للضباط والجنود، عندما اقتربت منهم شاهدت العقيد الركن عبدالسلام محمد عارف يؤشر بيده شمالاً وجنوباً وسمعته يقول لهم (اليوم يومكم وأنتم أحرار، بعد قليل سنقوم بالثورة، كل شيء جاهز، لا تراجع)، وعندما اقتربت منه حيّاني وتقدم نحوي وقال لي: (عقيد عبدالله من واجبك محاصرة قصر الرحاب مع سرية مشاة وربما تصلكم تباعاً قطعات أخرى، والله في عونكم).

وقبل الساعة السادسة بدقائق، كانت كتيبتي على بعد خمس مائة متر من قصر الرحاب وأوعزت إلى المقدم رسول مجيد (وهو كوردي من السليمانية) تثبت موقع الكتيبة ونصب المدافع التي لم يكن لها عتاد باستثناء خمس أطلاقات من مدفع عيار

(١٢٠ملم) وكنت أراقب وأنا جالس على البدن الأمامي للسيارة (البونيت) العسكرية من نوع جيب بواسطة المنظار الذي كنت أحمله، وكانت تركيزي منصباً على جهاز اللاسلكي، حيث كنت من خلاله أراقب الموقف في عموم بغداد، وكانت الكتيبة في تلك اللحظة قد أصبحت جاهزة لكل طارئ وقد كنت أشاهد حركة جنود سرية المشاة وهم يدخلون ويخرجون من وإلى القصر، وسمعت رشقة أطلاقات من السلاح الخفيف، وفي حدود الساعة السادسة والنصف أخبرت من خلال جهاز اللاسلكي بأن العقيد عبدالرحمن عارف سيلتحق بقاطعنا لدعم القطعات المهاجمة على قصر الرحاب، وقد كنت أنتظر الإيعاز بإطلاق قذائف المدفعية على القصر أو حوله، وكان الوضع غامضاً وأرسلت المساعد للاتصال بآمر سرية المشاة المهاجمة لأجلاء الموقف، عندئذٍ شاهدت وعلى بعد (٢٥٠) متراً ضابطاً لم أستطع أن أميز رتبته، وقد نزل من سيارة جيب عسكري ومعه ثلاث مراتب، وعندما اقترب مني عرفت أنه العقيد عبدالرحمن محمد عارف، حيث حضر من معسكر الوشاش، كما أخبروني من قبل.

وبعد زهاء عشر دقائق، ظهرت مجموعته التي كانت بحدود فصيل ومعهم سيارتان من نوع جيب أحداهما كانت حاملة لمدفع مضاد للدبابات، حيث آمرهم العقيد عبدالرحمن عارف بنصبه فوراً وإطلاق عدة قذائف باتجاه القصر من الجهة اليمنى، حيث لم تكن هنالك حركة مشاة في ذلك الجانب، وبعودة مساعدي المقدم رسول مجيد الذي كان قد وصل إلى القوة المهاجمة، عرفت أن الوضع ليس على ما يرام، وأن الوضع لم يحسم لصالحنا بعد، وحاولت الاتصال بعبدالسلام فلم أفلح، لذا أوعزت بإطلاق قذيفة هاون بعد تنظيم إحداثياته، وقد سقط الإطلاق الأول خلف القصر، أما الثانية فسقطت مباشرةً وهي تشاهد بالعين المجردة على ملحقات الأبنية من الجانب الأيسر للقصر وأحدثت حريقاً وتصاعدت أعمدة الدخان إلى الأعلى، أما بقية القصة، فهي معروفة ابتداءً من استسلام حرس القصر بإيعاز من العقيد طه البامرني وانتهاءً بمقتل العائلة المالكة، وتدفق الجماهير إلى مسرح الأحداث.

وفي ظهيرة يوم ١٥/تموز/١٩٥٨، بُلغتُ بتوجيه الكتيبة الثالثة إلى منطقة (الكاظمية - الدباش) بعد التجهيز بالعتاد الكامل وتم تخويلي بالصلاحيات الكاملة، وكان سبب تثبيت موقع كتيبة المدفعية الثالثة في الدباش هو كما أبلغني الزعيم الركن عبدالكريم

قاسم يوم ١٦ تموز عندما زرته لغرض التهنئة في وزارة الدفاع (حماية ظهيرة بغداد من أي هجوم خارجي، حيث كان ذلك الاحتمال وارداً).

وبعد مرور شهر على انتصار ثورة ١٤/تموز/١٩٥٨، صدر من مديرية الحركات العسكرية أمرا بعودة كتيبتي إلى الجلولاء واستلام مسؤوليتي السابقة كآمر الكتيبة المدفعية الثالثة وبحلول ٦/كانون الثاني/١٩٥٩، تمت ترقيتي إلى رتبة زعيم (عميد) حيث توليت منصب آمر مدفعية الفرقة الثالثة بدلاً من الزعيم أحمد صالح العبدي الذي أصبح مع انتصار الثورة يوم ١٤ تموز رئيساً لأركان الجيش والحاكم العسكري العام، وكان الزعيم الركن خليل سعيد قائداً للفرقة المذكورة وبقيت في ذلك المنصب لحين الأسبوع الأول من شهر أيلول عام ١٩٦٢ عندما كنت وكيلاً لقائد الفرقة الثالثة وآمراً لمدفعية الفرقة، وقد كنت مرشحاً لتولي منصب قائد الفرقة الثالثة بعد نقل الزعيم الركن خليل سعيد، ثم أصبح يد الركن عبدالكريم محمد قائداً للفرقة الثالثة، أما أنا حيث كنت (آمراً لمدفعية الفرقة ووكيلاً لقائد الفرقة والمرشح لتولي منصب قائد الفرقة الثالثة) فقد كان نصيبي في النهاية (دائرة التفتيش في وزارة الدفاع)، حيث تم نقلي مباشرةً بقرار من وزير الدفاع والقائد العام للقوات المسلحة الزعيم الركن عبدالكريم قاسم إلى تلك الدائرة التي كان مقرها عبارة عن ثلاث غرف في الزاوية الجنوبية في مقر وزارة الدفاع.

أما فيما يتعلق بقضية النقل من آمر مدفعية الفرقة ووكيل قائد الفرقة إلى دائرة التفتيش في وزارة الدفاع، فأنها قصة أخرى حدثت لضابط خلقه سبحانه عز وجل كوردياً أحب شعبه ووطنه، لذا كان عليه أن يدفع الضريبة ودفعها فعلاً، ولكن ضريبته كانت كما سنرى (النقل إلى مهنة إدارية عسكرية وعدم منحه رتبة لواء بالرغم من استحقاقه القانوني وصدور الأمر العسكري بذلك)، وفي النهاية تمت استضافته في سجن الخيالة في منطقة الكسرة وأحالته على التقاعد برتبة عميد بدلاً من لواء أثناء وجوده في المعتقل.

وقصة تلك الضريبة تعود إلى منتصف الأربعينات، حيث تضمنت إضبارته الشخصية التي كانت محفوظة في أحدى أدراج منضدة رئيس أركان الجيش والحاكم العسكري الزعيم الركن أحمد صالح العبدي، وقد أطلعه عليها شخصياً عندما كان

يستجوبه بكل احترام وأدب جم بأمر من زعيمهما عبدالكريم قاسم إثر التحاق أحد الضباط وهو (المقدم الركن عزيز عقراوي) بصفوف الثورة الكوردية، في الوقت الذي كان أحد ضباط المدفعية في مديرية مدفعية الفرقة الثالثة أثناء التحاقه بالثورة الكوردية في وقت كان آمرها هو يد عبدالله سعيد الذي أعاد ذاكرته إلى خلفيات الحدث قائلاً:

بداية القصة معروفة، حيث كانت علاقة الصداقة والأخوة بيني وبين كلٌ من الضباط الشهيد عزت عبدالعزيز والمرحوم ميرحاج وبكر عبدالكريم حويزي وانتمائنا جميعاً إلى حزب هيوا في الوقت الذي كنا ضباطاً في وحدات مختلفة للفرقة الثانية في كركوك وما آل إليه مصيرهم من إعدام واللجوء والاختفاء في كهوف جبال كوردستان، وكذلك فصلي في السنة الثانية من كلية الأركان نتيجة تلك العلاقة وما عانيت من أثرها ولكننا تنفسنا الصعداء بعد نجاح ثورة ١٤/تموز/١٩٥٨، حيث ساهمنا فيها بكل إخلاص ولكن وبعودة البارزاني إلى العراق من الاتحاد السوفياتي في السادس من شهر تشرين الثاني من عام ١٩٥٨، وحضوري إلى مطار بغداد مع صديقي العقيد عبدالرحمن القاضي لاستقبال البارزاني بملابسي العسكرية وزياراتي المتكررة له عندما استقر في بغداد، وفي بعض الأحيان كنت أتواجد عنده عندما كان يريد زيارة وزارة الدفاع أو إحدى الوزارات الأخرى، حيث كنت أنا وسيارتي العسكرية التي كان العلم العراقي يرفرف على مقدمتها كنا في خدمته وكان لـ(ميرحاج) دور كبير في تعزيز ثقة البارزاني بي واعتماده عليّ، كل ذلك أثار حفيظة البعض من الضباط المحيطين بعبدالكريم قاسم وتأثيرهم عليه، وفي أواخر أيام شهر تموز عام ١٩٦٢ أبلغني الزعيم الركن عبدالكريم محمد قائد الفرقة الثالثة بوجوب مراجعة مقر وزارة الدفاع والالتقاء برئيس أركان الجيش والحاكم العسكري العام الزعيم الركن أحمد صالح العبدي لأمر كان قائد الفرقة الثالثة يجهله.

وفي صباح اليوم التالي، توجهت من مقري في بعقوبة إلى وزارة الدفاع، ومع وصولي إليها حيث كان الوقت ظهراً دخلت غرفة سكرتير رئيس أركان الجيش، وعندما علم أحمد صالح العبدي بحضوري فتح باب غرفته بنفسه وحيّاني، حيث تقدمت نحوه وحيّيته بتحية عسكرية، حيث أشار إليّ بالجلوس وقد جلس قبالتي، وبعد السؤال عن

الصحة والأحوال العامة عرفت بإحساسي الشخصي أنه يود الدخول معي في موضوع لم يكن مرتاحاً منه وكان يحاول تلطيف الجّو لكي يبدو طبيعياً أكثر من اللازم وطلب من مراسله أن يأتينا بالقهوة بعد أن شربنا الشاي وأخبر سكرتيره بعدم إشغاله بالهاتف أو المراجعة إلا بعد انتهاء زيارتي، وعندما انتهينا من شرب القهوة انتقل العبدي إلى مكانه وراء المنضدة وفتح الموضوع مباشرةً، لكنه كان (والحق يقال) في منتهى الأدب واللطف ودار بيننا الحوار التالي:

الزعيم الركن أحمد صالح العبدي: زعيم عبدالله لا شك أنك تعرف بأنني وما أزال أكن لك المحبة والتقدير وعندما كنت آمراً لكتيبة المدفعية الثالثة كنت أنا آمراً لمدفعية الفرقة وبحكم موقعي كنت مطلعاً على إضبارتك الشخصية وقد كنت أنا وراء ترشيحك لزيارة الإتحاد السوفياتي عام ١٩٥٩ ضمن وفد عسكري ولم يكن موقفي نابعاً عن فراغ أو إعجاب شخصي وإنما آتٍ من انضباطك العسكري وسيرتك الشخصية واستقامتك وكذلك ذكاؤك وإخلاصك وبكل أمانة أقول لك أن الزعيم عبدالكريم يثق بك ويعرفك جيداً ولا نريد لك إلا الخير، ولكن هنالك أمر ما أود مجابهتك به ولقد أوصاني الزعيم بتنبيهك إليه وهو انك عسكري وشعارنا كما يؤكد عليه الزعيم عبدالكريم (أن الجيش فوق الميول والاتجاهات)، والآن كما تعرف مسؤوليتك كبيرة، فمن جهة انك آمر مدفعية الفرقة، ووكيل قائدها وهذه المسؤوليات تفرض عليك الابتعاد عن الأمور السياسية و(أكيد تعرف ما أقصد)؟!

الزعيم عبدالله سعيد: (والله لم أكن أعرف ماذا يقصد من تلك المقدمة)، وقد كنت أشبه (بالأطرش في الزفة) وعندما جابهني هو بتلك العبارة (أكيد تعرف ماذا أقصد) انتبهت لنفسي وقلت له: ثق بالله سيدي لا أعرف ماذا تقصد وكل ما أرجوه أن توضح لي الأمر لأكون على بينة منه.

الزعيم الركن أحمد صالح العبدي: كما تعرف وواضح للعيان بأن ثورة ١٤ تموز وزعيمها عبدالكريم قاسم جاءت بمباديء تخدم العشب العراقي بعربه وأكراده وأقلياته القومية، ولقد ثبت ذلك مادام الزعيم عبدالكريم موجوداً وهو ضامن الدستور والعدالة الاجتماعية وليست للأخوة الأكراد في الشمال أية مشكلة، حيث أن مشكلتهم قد حلت وأن قرار السماح بعودة الملا مصطفى البارزاني وجماعته جاء من الزعيم نفسه،

بالرغم من معارضة بعض أصحاب النفوذ من كبار الضباط وأن الأكراد مدركون لهذه الحقيقة وهذه ليست منة على أحد، لأن الثورة جاءت للقضاء على الاستعمار وركائزه وإعادة الحق لأصحابه، المهم أنت أدرى الناس بهذه الحقيقة لأنك أبن الثورة، كذلك تعرف أن دائرة الاستخبارات ترصد كل حركة كبيرة كانت أو صغيرة بالنسبة للعسكريين، وأن تقاريرها ترفع إلى أعلى المستويات، وأن مقدمي تلك التقارير هم بشر مثلنا فيهم المزاج والحسد والأنانية والحقد والعاطفة أو الصداقة أو القرابة. وأن تلك التقارير أحياناً تصيب وأحياناً تخيب، ولكي تكون الصورة أوضح لك هنالك عدة تقارير رفعت بشأنك ابتداءً من انحيازك لأبناء قومية معينة على أبناء قومية أخرى في جلولاء والسعدية عندما كنت آمر موقع جلولاء في أعقاب الثورة مباشرةً، والأخطر من ذلك كانت لعلاقتك بالملا مصطفى وجماعته منذ يوم رجوعه إلى الوطن وحتى يوم إعلانه العصيان على حكومة الثورة في الوقت الذي كنت تشغل موقعاً عسكرياً مهماً، والآن لو كان الملا مصطفى باقٍ في بغداد لما كان هنالك شيء غير اعتيادي، لكن منذ عام تقريباً وهو رافع راية التمرد والعصيان ويحارب الثورة ويقتل الضباط والجنود من الجيش الذي تشغل أنت أحد المواقع الحساسة فيه ولا تخفي عواطفك نحوه وهذه مسألة فيها نظر وكل ما أطلبه هو الانتباه إلى نفسك وإلى موقعك العسكري والابتعاد عن السياسة. وأقول لله ثانية أن الزعيم عبدالكريم يحبك ويعزك، وتتذكر عندما خابرتني في العام الماضي بشأن اعتقال شقيقك في كركوك (وكان يقصد شقيقي الكبير غفور آغا واعتقاله في أيلول من عام ١٩٦١ إثر اندلاع ثورة أيلول)، حيث أخبرت سيادة الزعيم عبدالكريم بذلك فأمرني في الحال بإطلاق سراحه فوراً، وهذا ما حدث عندما وجدناه في سجن الحلة وأطلق سراحه بدون كفالة خلال ثلاث ساعات تقريباً.

الزعيم عبدالله سعيد: لم أكن أتصور بأنني سأجابه بمثل هذا الموقف في العهد الجمهوري وفي عهد الزعيم عبدالكريم قاسم إثر هروب أحد ضباط مديريتي في الفرقة الثالثة مجلساً تحقيقياً برئاسته وعضوية كلٌ من رئيس أركان الفرقة الثالثة وضباط استخبارات الفرقة خلافاً للضوابط والأعراف العسكرية، وكان عضوا المجلس التحقيقي أدنى رتبة مني، لكن ومع هذا ظهرت النتيجة بعدم وجود أية علاقة لي بالموضوع خاصةً وقد كنت مجازاً لمدة ثلاثة أيام أثناء التحاق المقدم عقراوي بحركة

الشمال بسبب انشغالي بمعالجة المرض الذي أصاب عيني في بغداد، أما المسألة الأهم في هذا الموضوع هو اشتغالي بالسياسة أو عدم اشتغالي بها، فكما يعرف سيادة الزعيم عبدالكريم قاسم وكما يعرف سيادتكم بأنني لا أتعاطي السياسة ولكن حبي لشعبي والاعتزاز بقوميتي لا يعني الاشتغال بالسياسة، أما مسألة علاقتي بالملا مصطفى البارزاني عندما كان في بغداد فليست خافية على أحد وكانت علنية حيث كان يزور سيادة الزعيم عبدالكريم الذي كان يوده وأن الزعيم نفسه سألني عام ١٩٥٦ عندما كنا في المفرق عن أخبار الملا مصطفى البارزاني حيث كان مهتماً بمعرفة أخباره وأحواله، أما بشأن التقارير المرفوعة ضدي، فأنا لا أتهم أحداً باستثناء عبدالجبار شنشل رئيس أركان الفرقة الثالثة (عام ١٩٦١)، حيث عاقبته لقيامه بتفتيش إحدى كتائب المدفعية بدون علم آمرها العقيد الركن مصطفى عزيز.

في هذه اللحظة رن جرس الهاتف ذي اللون الأحمر عدة مرات وحين رفع الزعيم أحمد صالح العبدي سماعة الهاتف، خاطب المتكلم على الطرف الآخر بكلمة سيدي وعرفت في الحال بأن الزعيم عبدالكريم قاسم على الطرف الآخر وكرر مرتين كلمة (نعم سيدي حاضر) ثم وضع السماعة في مكانها، عندئذٍ انفرجت أسارير وجه العبدي وكأن شيئاً ثقيلاً قد أزيح عن كاهله، ثم قام من مقعده وقال لي: (سيادة الزعيم على علم بوجودك عندي وأنه ينتظرك الآن تفضل).

بعدها ودعني العبدي إلى باب غرفته وتمنى لي الموفقية، وأشار إلى أحد الضباط الذي كان برتبة ملازم أول بمرافقتي إلى حيث غرفة سكرتير الزعيم، وعند وصولي إلى هناك شاهدت العقيد وصفي طاهر المرافق الأقدم للزعيم عبدالكريم وهو يخرج من مكتب الزعيم، فحيّاني وقال لي: (تفضل الزعيم بانتظارك).

وعند دخولي غرفة الزعيم، شاهدت الفريق الركن نجيب الربيعي رئيس مجلس السيادة جالساً بجانب منضدة الزعيم في الجهة اليمنى من الغرفة، وعندما تقدمت خطوتين داخل الغرفة، وقفت في مكاني باتجاه الزعيم حيث كان هو والربيعي يجلسان وحيّيتهما تحية عسكرية، عندئذٍ بادر الزعيم وبإشارة من يده اليمنى للجلوس في المقعد المقابل للربيعي وقال لي: (تفضل عبدالله)، وجلست في المكان المحدد ولاحظت أن الزعيم خلال اللحظات الأولى لا يريد النظر إليّ بينما حيَاني فيه الربيعي بكلمة (الله

بالخير) وساد الصمت في الغرفة وتظاهر الزعيم بإشغال نفسه بقراءة ورقة أخرجها من داخل إحدى الأضابير التي كانت موجودة على منضدته. وبعد مرور ما يقارب الخمس دقائق ناولها إلى الربيعي لقراءتها أيضاً، بينما أشغل نفسه بالنظر إلى الأوراق المتبقية في الإضبارة الموجودة أمامه، ولاحظت أنه كان على عجلة من أمره، حيث نظر مرتين خلال تلك الدقائق القليلة إلى الربيعي منتظراً إنهاء قراءته للورقة، حيث كان الربيعي يقرؤها بإمعان، وكنت أنا أراقب الأمر في مكاني لكني كنت أعرف أن الموضوع الذي دعاني من أجله الزعيم كان الموضوع نفسه الذي ناقشني حوله أحمد صالح العبدي، وبعد أن انتهى الربيعي من قراءة الورقة دار الحوار التالي في الغرفة:

الزعيم عبدالكريم قاسم: (موجهاً كلامه للربيعي) ماذا استنتجت من قراءة التقرير؟!

الفريق الركن الربيعي: سيادة الزعيم مع احترامي للأخوة الضباط الأكراد، لكن لم أكن أثق ولازلت بهم كل الثقة، إلا في حالات نادرة وأنا أعرف الزعيم عبدالله عندما كنت على رأس قيادة الفرقة الثالثة، وليس بمقدوري إبعاد الشبهة عنه فيما يتعلق بهروب الضابط عقراوي ومعه أسرار جداول المدفعية والتحاقه بالبارزاني المتمرد، وأن تقرير مديرية الاستخبارات والمدعوم بالواقع والتأريخ لا يقبل الجدل.

أنهى الربيعي كلامه وكان ينظر إلى وجه الزعيم عبدالكريم قاسم والذي كان يتحاشى النظر إليّ، وقد كنت مذهولاً في تلك اللحظات خاصةً عندما سمعت تعليقات الربيعي غير الموزونة، ولم أحتقر في حياتي شخصاً كما احتقرت الربيعي في تلك اللحظة، وتساءلت مع نفسي: صحيح لقد كنا منخدعين بتقييمنا للربيعي والآن ظهرت حقيقته، وهنا تدخل الزعيم عبدالكريم قاسم في الحديث:

الزعيم عبدالكريم قاسم: أي ماذا تقول يا عبدالله؟

الزعيم عبدالله سعيد: أرجو أن يسمح لي سيادة الزعيم، أن حق الدفاع مقدس وبعده فليكن ما يكون. (وهنا قاطعني الزعيم عبدالكريم قاسم قائلاً: ماذا تقصد فليكن ما يكون؟).

الزعيم عبدالله سعيد: سيادة الزعيم، أرجو المعذرة إن قصدي بعبارة (فليكن ما يكون) يعني أن القرار الأخير في تصديق صحة التقرير المرفوع ضدي يعود إلى سيادتكم، أما بشأن هذا الموضوع فأقول إنني لست طارئاً على الثورة وسيادتكم خير

شاهد على ذلك، لم ولن أكون متآمراً عليكم، لأنني عاهدت الله ونفسي وعاهدتكم منذ أن كنا عام ١٩٥٦ في المفرق وأنني أشفق دائماً على مقدمي التقارير، لأنهم يخونون ضمائرهم في أكثر الحالات، لأنها لا تكتب بحيادية وإنما المزاج الشخصي يملي على كُتّاب التقارير ما يكتبونه، سيادة الزعيم الآن أنني موجود أمام سيادتكم بلحمي ودمي وأن التقرير المرفوع ضدي والموجود على المنضدة وكاتبه معروف لدى سيادتكم وبمقارنة بسيطة تصل إلى النتيجة وأرجو من سيادتكم السماح لدي بدقيقتين أخريين لا أكثر، أن سيادة الفريق الركن نجيب الربيعي اتهمني بتهمة كونه كان ولا يزال لا يثق بالضباط الأكراد ولن أقول شيئاً، لكن تأريخ الجيش العراقي إذا دوّن كما هو فسيظهر كما كان للضباط الأكراد دور كبير وحيوي ومشرف منذ تأسيس الجيش العراقي وإلى يومنا هذا، أما مسألة هروب ضابط من الجيش فلن يمحو فضائل الضباط والجنود الأكراد كمدافعين أصلاء عن هذا الوطن أمثال المرحومين جعفر العسكري وبكر صدقي والمئات غيرهما، وشكراً سيادة الزعيم.

الزعيم عبدالكريم قاسم: أنا لست مع الفريق نجيب حول رأيه بالضباط الأكراد وأنا أعتز بهم، هنالك أمور تجري خارج إرادتنا والأعداء متربصون بنا (في تلك الأثناء اتجه نحو الغرفة الثانية وخرج منها خلال دقيقتين أو أكثر وكان بيده ملف ووجه كلامه لي مباشرةً) قائلاً: (لم أكن مقصراً تجاه أخواننا الأكراد واسألوا حسين جميل، من الذي كان وراء تثبيت مبدأ شراكة العرب والكورد في العراق في الدستور المؤقت؟ لكن وللأسف طعنت من الخلف وبدون وجه حق. لكنني سأبذل كل جهودي إلى آخر يوم من عمري في سبيل العراق والعراقيين جميعاً وسأحاول حل مشكلة الشمال بالتي هي أحسن، ولم أكن أتصور أن تحصل مثل هذه المشكلة وستنفرج بأذن الله).

وقد أوحت لي العبارة الأخيرة بأن تلك المقابلة انتهت وشعرت بأن الزعيم عبدالكريم ربما كان يحمل في قلبه شيئاً تجاهي أو ربما لم يكن يتوقع أن يترك أحد الضباط الكورد الجيش ويلتحق بصفوف الثورة الكوردية لأن مفهومه كما ذكر أمامي وأمام الفريق نجيب الربيعي للثورة الكوردية كان عبارة عن تمرد مجموعة محدودة يتزعمها مصطفى البارزاني وأن باستطاعته حل تلك المشكلة إذا تركنا الاستعمار على حد قوله.

وحين غادر عبدالله سعيد وزارة الدفاع بعد استجوابه من قبل كلٌ من رئيس أركان الجيش والقائد العام للقوات المسلحة، لم يكن يدور بخلده بأنه سيعود إلى وزارة الدفاع بعد أسبوعين منقولاً إلى دائرة التفتيش، وكما هو معلوم أن الضباط الذين ينقلون إلى هذه الدائرة أو الدوائر المشابهة، هم من الضباط المغضوب عليهم وأن رتبهم ونياشينهم وسمعتهم لا تشفع لهم، لأن زملاء ورفاق الدرب السابقين تحولوا إلى سلاطين السلطة، ومعلوم أن عيون السلطة لا ترى ولا تحس ولا تميز بين الأسود والأبيض إلا في حدود مصالحها. وهكذا انتقل عبدالله سعيد هذه المرة من بعقوبة إلى بغداد وإلى الدوام الصباحي في وزارة الدفاع ودون أن يحاول مقابلة الزعيم أو كتابة استرحام للزعيم الأوحد (كما نصحه أحد المقربين من الطرفين).

وكذا استمر الحال على ذلك المنوال شهوراً إلى أن صادف الزعيم عبدالكريم قاسم ذات يوم وبالتحديد في الأسبوع الثاني من شهر كانون الثاني عام ١٩٦٣ حينما كان يد عبدالله سعيد قد أصابه الضجر (لعدم وجود عمل يومي ما، وهو الذي تعوّد على الحركة وإنجاز الأعمال في أوقاته)، وبينما كان خارجاً من غرفته متجهاً إلى باحة وزارة الدفاع للتمتع بمشاهدة جريان نهر (دجلة) وإذا به يلتقي وجهاً لوجه مع الفريق الركن عبدالكريم قاسم حيث دار بينهما الحوار التالي:

الفريق الركن عبدالكريم قاسم: أهلاً وسهلاً بالزعيم عبدالله، كيف حالكم، مرتاحين إنشاء الله، لم أنساك بشرفي والآن تعال معي (ومسكه عبدالكريم من يده اليمنى واتجها نحو نهر دجلة) وأشار بيده الأخرى إلى عدة مواقع لمدافع ضد الجو كانت منصوبة حديثاً لتقوية دفاعات وزارة الدفاع سائلاً عبدالله سعيد: (ما رأيكم بمواقع تلك المدافع المقاومة للطائرات، فقد حددت أنا نقاط النصب، المتآمرون يتحركون هذه الأيام والمعلومات الاستخباراتية توحي بحدوث غارة على غرار غارة الشواف ووجدت من الضروري تقوية وزارة الدفاع بمدافع ضد الجوّ).

الزعيم عبدالله سعيد: بالتأكيد يزداد المتآمرون عندما يخلو أحد طرفيّ الحلبة من المصارعين الحقيقيين.

الفريق الركن عبدالكريم قاسم: لا، لا يا عبدالله أنا موجود، أنا موجود..، والآن قل لي كيف تقيّم مواقع نصب المدافع في وزارة الدفاع.

الزعيم عبدالله سعيد: سيادة الزعيم، أرجو المعذرة إن خالفتكم في الرأي والتقيّيم، فأنا أرى ومن منطلق نظرية إبعاد النار والخطر عن الموقع المراد به إبعاد الخطر عنه، فعليك دفع وسائل دفاعاتك إلى نقاط أبعد، لذا فأن وجود تلك المدافع داخل سياج وزارة الدفاع يعني انتظار العدو من الناحية لية في عقر دارك، وأنني أسأل سيادتكم ما هي جدوى المقاومة إذا وصلت الطائرات أجواء وزارة الدفاع؟ والمهم حسب النظرية سحب تلك المواقع المقاومة للطائرات إلى مواقع جديدة تبعد عن أجواء وزارة الدفاع بحدود ما لا يقل عن خمسة كيلومترات وإن حاولت إحدى الطائرات الإغارة على الوزارة لا سمح الله فأن الدفاعات الموجودة بإمكانها إسقاط الهدف قبل أن تصل إلى أجواء الوزارة وإلحاق الضرر بها.

الفريق الركن عبدالكريم قاسم: جيد، جيد، سنفكر بالموضوع (وهنا لاحظت عدم ارتياحه من الرأي والتصور الذي شرحته له لأنه اعتبر ذلك إهانة له، لأنني كما علمت من صديقي الضابط (ح.ق) بأنه أي عبدالكريم قاسم هو الذي حدد وأشرف على نصب تلك المدافع) واستمر الزعيم عبدالكريم في كلامه دون أن ينظر إليّ قائلاً: (الأعداء يتربصون بنا ويتآمرون ولكن ثق بالله فأنا لست بخائف، ثق بالله يا عبدالله، أنا لم أنساك، لم أنساك ولست بغافل عنك والآن قل ما هو رأيكم بتعيينكم متصرفاً للواء السليمانية، فهذا منصب جيد وباستطاعتك خدمة أهلها، وأمامنا عدد من التغييرات والتنقلات خلال شهر أو شهرين).

الزعيم عبدالله سعيد: أشكر سيادتكم، باعتقادي أن العسكري المحترف يفضل ساحة العرضات على أي منصب مدني آخر مهما علا شأن ذلك المنصب، لكن إذا كان سيادتكم مصراً ومقتنعاً بتعييني متصرفاً، فأرجو تعييني متصرفاً للواء كركوك بدلاً من لواء السليمانية، لأنني من أهل السليمانية ولي هناك الأقرباء والأصدقاء وظروف السليمانية حساسة جداًن وربما لا أوفق في تلك المهمة وأنا لست من الذين لا يبالون بالنتائج.

الفريق الركن عبدالكريم قاسم: (زين راح أفكر بالموضوع وأدز عليك). أي جيد سوف أفكر في الموضوع وأرسل في طلبك.

ثم ودعني الزعيم عبدالكريم بلطف وأدب جم عائداً إلى مكتبه الذي أشغل باله كيفية الدفاع عنه وتعزيز قدراته الدفاعية، حيث كان يرى العراق متمثلاً في وزارة الدفاع. وأن تحصينها كان يعني إبعاد الخطر عنه ناسياً أن التآمر قد تعشش في معقله بإبعاده المخلصين عنه وارتداده رويداً رويداً عن نهج ثورة ١٤ تموز التي حملت معها بذور فنائها، وبقي زعيمها وحيداً وأوحد، إلى درجة لم يستشر أحداً من ذوي الاختصاص عندما أمر بنصب عدة مدافع لمقاومة الطائرات في أماكن مختلفة من الوزارة والتي لم تستطع تلك المدافع المقاومة للطائرات أن تفعل الشيء الكثير بسبب سوء التقدير الذي وقع فيه الزعيم نتيجة إبعاده المخلصين عن المراكز الهامة والحساسة في الجيش وإبقائه شبكة مدافع مقاومة الطائرات في مواقعها بوزارة الدفاع سهلت الانقضاض عليه في يوم ٨/شباط/١٩٦٣ الذي صادف يوم عطلة وهو يوم الجمعة، حيث كنت نائماً عندما أيقظوني من النوم وأخبروني بأن هنالك في الشارع تجمعات تشير إلى حدوث حركة انقلاب وعندما فتحت الراديو، عرفت أن شيئاً ما يجري وهناك حركة يقودها ضباط أنعم عليهم الزعيم عبدالكريم قاسم بمناصب حساسة استغلوها للتآمر والقضاء عليه وعلى (جمهوريته الخالدة)، وقد أجريت عدة اتصالات مع الضباط الذين أمكن الاتصال بهم، حيث لم نكن على رأس وحدات أو قطعات عسكرية أو كتائب للمدفعية أو الدروع وكانت النداءات العسكرية تذاع على التوالي من إذاعة بغداد والتي احتلها الإنقلابيون في الساعات الأولى من الشروع بالانقلاب، وكانت تلك النداءات تدعو الضباط والعسكريين إلى الالتحاق بوحداتهم. وقد أذيع أيضاً خبر مقتل الزعيم عبدالكريم على (أيدي الضباط القوميين) من الإذاعة في الساعات الأولى من صبيحة الانقلاب، لكن ظهرت الحقيقة بعدم صحة مقتله وأنه كان يقاوم الانقلابيين في وزارة الدفاع، وبقيت في داري الواقعة في مدينة الضباط-الزيونة وأجريت عشرات الاتصالات الهاتفية مع الضباط الكورد الساكنين في بغداد، وكذلك أصدقائي من الضباط العرب، وعندما خابرت أبن شقيقتي الزعيم الركن علي خالد الذي كان يسكن مدينة الضباط أخبرني بأن كل المناوئين لعبدالكريم قاسم من بعثيين وقوميين ومن متضرري ثورة ١٤/تموز/١٩٥٨هم الذين قاموا بالانقلاب على نظام حكم عبدالكريم قاسم وأن الزعيم طاهر يحيى هو الذي يقود صفحة التمرد على عبدالكريم من معسكر الرشيد، وكانت

علاقتي بطاهر يحيى تعود إلى ما بعد منتصف الخمسينات، عندما كان آمر كتيبة دبابات خالد في جلولاء المتجحلفة مع اللواء العشرين، وكان يعتمد كثيراً على الضباط الكورد ويثق بهم كثيراً، وصادف يوماً عندما كنا في نزهة عائلية في ربوع منطقة جلولاء سألني طاهر يحيى عن معنى أسم سيروان (أسم أحد أبنائي)، فقلت له أنني سميت أبني سيروان تمنياً بأسم النهر الذي أمامنا والذي تسمونه أنتم نهر ديالى عندئذٍ ضحك طاهر يحيى، وقال لي: (لماذا تقول لي أنتم، فأنا لست بعربي وأصولي كوردية)، وكان قد تسنم منصب مدير الشرطة العام بعد نجاح ثورة ١٤/تموز/١٩٥٨ ولكنه أحيل على التقاعد بعد أن اصطف مع البعثيين والقوميين ودخل في حلبة التآمر على عبدالكريم قاسم وقد كنا نتزاور في أوقات متباعدة وعندما نقلت إلى دائرة التفتيش في وزارة الدفاع، زارني بعد فترة في بيتي، وقد أستفسر عن أسباب ذلك، وعندما أخبرته بالقصة كاملةً، قال لي: (بدأ العد التنازلي لحكم عبدالكريم قاسم عندما دخل في صراع مع الأكراد وشن الحرب عليهم وأن نهايته باتت قريبة). وعندما سألته عن مصدر ذلك التفاؤل بقرب نهاية عبدالكريم وقال لي: (الخيّرون من العرب والأكراد سينهون حكم هذا الطاغية، وأنك ستعود إلى منصبك العسكري مكرماً معززاً).

ولم أعر أي اهتمام لتلك الأقوال في حينه وعندما علمت بأن طاهر يحيى يقود جبهة التمرد في معسكر الرشيد ضد عبدالكريم قاسم لم يطاوعني قلبي على الاتصال به، لأنني كنت متألماً لتلك النهاية المحزنة للزعيم بالرغم معالجته الخاطئة والمؤلمة لقضية شعبي، وكذلك معاملته القاسية معي في آب عام ١٩٦٢، وعندما التحقنا بمعسكر الرشيد يوم ٩/شباط/١٩٦٣ حسب الأوامر العسكرية المتشددة لم أبادر إلى تهنئة طاهر يحيى بنجاح (ثورتهم) وإنما بادرني هو بقوله: هل تتذكر أبو سيروان عندما قلت لك في دارك بأن الخيرون من العرب والأكراد سينهون حكم هذا الطاغية؟، وبالتأكيد البارحة سمعت برقية جماعتكم كيف (أن ضربات الشعب الكودري تلاحمت بالثورة المجيدة على العدو اللدود)، في إشارته إلى البرقية التي وجهها صالح اليوسفي وفؤاد عارف نيابةً عن الثورة الكوردية معنونة إلى (المجلس الوطني لقيادة الثورة) مساء ٨/شباط/١٩٦٣ حينئذٍ قلت له: (أن نجاح ثورتكم مرهون بمدى جديتكم في حل القضية الكوردية ومعالجة قضايا المظلومين في العراق عامةً)، وأمسك طاهر يحيى

بيدي وكان بصحبتي العقيد (غ.غ) وتوجهنا نحو مقر اللواء التاسع عشر ذلك اللواء الذي كان يقوده عبدالكريم قاسم يوم قيام ثورة ١٤ تموز، حيث دخل بغداد صباح يوم ١٤ تموز وعندما شاهدت آمر اللواء المذكور (يد الركن فاضل عباس حلمي) الذي أنعم عليه عبدالكريم قاسم قيادة لوائه العتيد (اللواء ١٩) احتقرته واحتقرت بقية ضباطه الذين لم يحركوا ساكناً للدفاع عن زعيمهم والتفتت نحو العقيد (غ.غ) وقلت له: (بماذا يعتز هؤلاء الـ....... بعد الآن؟). عندئذٍ قال العقيد (غ.غ): (يا معود دير بالك هذولة ماكو بقلوبهم لا رحمة ولا شفقة وما عندهم صاحب صديق)، أي انتبه لنفسك لأن هؤلاء ليست في قلوبهم رحمة ولا شفقة وليس لديهم صاحب أو صديق.

وعندما استقر الوضع للانقلابيين بدأت لهجتهم تتغير وأخذوا يماطلون في وعودهم بشأن حل القضية الكوردية وقد طلبني يوماً طاهر يحيى والذي أصبح اللواء طاهر يحيى وعيّن رئيساً لأركان الجيش وأعتقد أن ذلك كان في منتصف شهر أيار عام ١٩٦٣ حيث قال لي: (أخ عميد عبدالله أن مسألة ترقيتك إلى رتبة لواء صدر ألأمر قبل يومين وتم توقيعه ويبقى موضوع تسجيله في جداول الخدمة والأمور المرتبة على ذلك لعدة أيام أخرى وأهنئك على ذلك، أما مسألة عودتك إلى منصبك السابق، فالأمر مرهون بمدى نجاحنا في التوصل إلى حل سلمي ونهائي لقضية الشمال والجهود مستمرة والنيّات صافية من قيل الحكومة ونتمنى أن يكون الجانب الكوردي بمستوى المسؤولية والقبول بحل معقول يرضي الجميع ولا يستفز الآخرين).

تذكرت كلمات اللواء طاهر يحيى لي بشأن ترقيتي وعودتي إلى منصبي السابق ووعود الحكام الجدد بشأن نتيجتهم لحل القضية الكوردية عندما اقتادوني عصر يوم ٩/حزيران/١٩٦٣ وبكامل قيافتي العسكرية من بيتي إلى معتقل الخيالة سجيناً عندما دشنوا في نفس اليوم عهدهم في تعاملهم مع القضية الكوردية (بنزهتهم اللاوطنية) المتمثلة بحربهم القذرة على كوردستان وشعبها، وعندما استلمني آمر المعتقل حيث كان مكتظاً بالضباط الكورد والعرب قال لي: (سيادة اللواء أرجو أن تحتفظ بملابسك العسكرية نظيفة لحين إطلاق سراحكم)، وبقينا في المعتقل إلى ما بعد الانقضاض على الحرس القومي بمدة شهرين، حيث مكثنا فيه قرابة سبعة أشهر وخرجنا برتبة زعيم بدلاً من رتبة لواء. وقد أصبح عبدالسلام عارف (مشيراً) ورئيساً للجمهورية، ولم

أحاول من جهتي ولو لمرة واحدة طلب مقابلته، وعندما عرض عليّ أحدهم وهو من أصدقائي العسكريين من ذوي الرتب الكبيرة كتابة ما يشابه استرحاماً وبيان المظلومية التي تعرضت لها وما لحق بي من أذى رفضت بأدب كتابة مثل هذا الاسترحام وقد قلت له: (أن عبدالسلام يعرفني كما يعرفك، وقد كنت جاره وكان هو آمر فوج في اللواء العشرين وأنا آمر كتيبة المدفعية المتجحفلة مع لوائه ودخلت معه إلى بغداد يوم ١٤/تموز/١٩٥٨ ويعرفني جيداً وأنا أعرفه حق المعرفة وباعتقادي أنه ووزير دفاعه عبدالعزيز العقيلي لا يطيقون رؤيتنا، فلماذا التنازل لهم في الوقت الذي أنا راضٍ بنصيبي من الحياة، ولا أريد مرة أخرى العودة إلى الحياة العسكرية مطلقاً).

لم يعد يد عبدالله سعيد إلى الحياة العسكرية وأن احتفظ بتقاليد وعادات عسكرية كممارسة الرياضة وتناول وجبات طعام في أوقاته المحددة وضبط المواعيد بالدقيقة وبعد مرور ما يقارب السنة من خروجه من السجن شارك مع كل من المرحوم رشيد جودت والسيد فؤاد عارف ورؤوف أحمد وغيرهما في تأسيس شركة تجارية باسم (الشركة العراقية الاسكندنافية لتجارة الأجهزة الكهربائية) حيث اتخذوا من بناية في شارع النضال مكتباً لتلك الشركة ومكاناً لملاقاة الأصدقاء من الناس الطيبين من عسكريين قدامى ومدنيين والذين كان يهمهم سماع أخبار الثورة الكوردية وأحوال السياسة في العراق، إلى أن زارهم يوماً زائر كان له شأنه في قيادة الحزب الديمقراطي الكوردستاني وهو الشهيد صالح اليوسفي عضو المكتب السياسي للبارتي آنذاك.

وقد حدثني يد عبدالله سعيد عن ذكرياته خلال تلك الفترة حين كنا نتمشى معاً تحت ظلال الأشجار الوارفة المحيطة بـ(كاني شيخ) في منطقة الحاج عمران صيف عام ١٩٧٤ إبان وجودنا في حضن الثورة الكوردية قائلاً:

كنا في مكتبنا التجاري للشركة مع الإخوة (فؤاد عارف، علي كمال، رؤوف أحمد، أحمد كمال قادر) حين زارنا صالح اليوسفي الذي كان صديقاً للجميع، والذي كان قد اعتاد هو وبعض من القياديين للبارتي زيارة مكتبنا وخاصةً بعد اتفاقية ٢٩/حزيران/١٩٦٦ في عهد الفريق عبدالرحمن عارف الذي كان رئيس الجمهورية في الوقت الذي كان الأستاذ عبدالرحمن البزاز رئيساً للوزارة وقد حدثنا اليوسفي عن نيتهم بعد موافقة قيادة البارتي بإصدار جريدتين باللغتين الكوردية والعربية لتكونا

منبرين للحزب الديمقراطي الكوردستاني وكوسيلة إعلامية للثورة الكوردية وللشعب العراقي أيضاً، وأخبرني اليوسفي خلال تلك الزيارة بأن هناك اجماعاً لأكون ضمن هيئة التحرير للجريدتين معاً ولم أتردد لحظة، في الوقت الذي امتنع بعضهم لدوافع انتهازية عن الانضمام إلى هيئة تحريرها والتي ضمت بالإضافة إلى كل من الأساتذة (صالح اليوسفي، شوكت عقراوي، نجيب بابان ومحمد سعيد الجاف)، حيث صدر العدد الأول من التآخي في ١٩٦٧/٤/٢٩ باللغة العربية وصدرت (برايه تي) في ١٩٦٧/٥/٦ باللغة الكوردية، وقد كنت ادوام يومياً باستثناء أيام العطل الرسمية لانجاز الواجب الملقاة على عاتقي ضمن هيئة التحرير، ولم أتقاض فلساً واحداً من الجريدة، وقد حاول اليوسفي كثيراً صرف مبلغ من المال لتغطية مصاريف البنزين لسيارتي الشخصية وقد رفضته رفضاً قاطعاً وقلت لليوسفي بالحرف الواحد: (هنالك في كوردستان ومنذ اندلاع الثورة في أيلول ١٩٦١ أناس يضحون بأرواحهم في سبيل شعبهم ووطنهم بدون مقابل، فلماذا تحرمونا من المساهمة فيها بشيء بسيط من جهودنا وأموالنا).

وهكذا سارت الأمور بهذا الشكل وكان دوامي في مبنى الجريدة بالعيواضية يأخذ نصف النهار، بالإضافة إلى ل اليومي للجريدتين كنا (اليوسفي وأنا نزور السفارات ونلتقي بالسفراء ولم نكن نحتاج إلى مترجمين، لأنني كنت أجيد اللغة الانكليزية، كما كنا نستقبل الساسة من الأحزاب العراقية وبالصحفيين الأجانب، وكانت الرقابة العسكرية تزاحمنا باستمرار وبمرور الوقت أصبحنا نهمل الرقابة إلا فيما ندر).

وخلال موسم الصيف بين عاميّ ١٩٦٦-١٩٦٨ زرت مقر قيادة الثورة الكوردية مرتين، حيث التقينا بالبارزاني طويلاً، وكان يثني على مواقفي وأمام الجميع، ومرة ذكرني بأحد مواقفي في بغداد حسب ما سمعه هو (أي البارزاني) من العقيد عبدالرحمن القاضي ومرده بأنني رفضت مصافحة كل من الزعيم صديق مصطفى (زعيم صديق) وغانم مصباح وعبدالعزيز العقيلي في أحد فنادق بغداد، والمناسبة كانت تخص صديقي الزعيم عبدالرزاق محمود (الحاج عبدالرزاق محمود لاحقاً)، حيث كنت ومازلت أحترمه وأقدر جهوده في سبيل حل القضية الكوردية سلمياً عندما كان متصرفاً في السليمانية في منتصف الستينات وكذلك نظرته الإيجابية تجاه الكورد وحقوقهم

القومية، وكان عدم مصافحتي لهم قد خلق إحراجا للزعيم عبدالرزاق محمود ولكنه سامحني بعدما سمع مني حجم الجرائم التي ارتكبوها في كوردستان في أوقات مختلفة وتحدثت للبارزاني عن تفاصيل ما جرى عندما احتدم النقاش بيني وبين صديق مصطفى، حيث أراد صديق مصطفى بعدما استفزه موقفي ذاك، الثأر لكرامته عندما اقترب من أحد زوايا قاعة فندق بغداد مكاناً للدردشة، حيث قال لأحدهم وكان جاري وهو ضابط متقاعد من مدينة الموصل: (كيف تطيق عبدالله سعيد الذي هو هنا بجسده، وفكره عند صاحبه الملا مصطفى الذي يقتل أخواننا من الضباط والجنود؟!).

عندها تدخل جاري الضابط الموصلي وأبعد صديق مصطفى برفق عن مجلسنا، وعلق أحدهم وكان من الضباط المتقاعدين أيضاً ومن أهل بغداد بقوله واصفاً صديق مصطفى بـ(كلب مسعور وعسكري جبان وما يستحق إلا التحقير).

وبعد عودة البعثيين إلى الحكم ثانيةً في ١٧/تموز/١٩٦٨ عرف يد عبدالله سعيد بأن الأوضاع السياسية التي شهدت نوعاً من الهدوء النسبي منذ اتفاقية ٢٩/حزيران/١٩٦٦ لحين ١٧/تموز/١٩٦٨ لن تستمر طويلاً وأنهم (أي البعثيون) سيجربون حظهم مرةً أخرى في اللجوء إلى القوة وشن الحرب على كوردستان، حيث نقل هواجسه تلك إلى صالح اليوسفي مدعومة بوصايا أحد الضباط الكبار المتقاعدين من أصدقائه والذي استشير بعد انفرادهم بالسلطة في ٣٠/تموز/١٩٦٨ (حول كيفية اختيار أنجح الوسائل العسكرية لمعالجة التمرد في الشمال؟)، وطلب من اليوسفي نقل تلك المعلومات إلى البارزاني، وقد ذكره البارزاني بذلك عندما التقاه بعد إبرام اتفاقية ١١/آذار/١٩٧٠ في مصيف (حاج عمران) وبحضور (د. كامران بدرخان) الذي كان قد حل ضيفاً مكرماً على البارزاني، حيث قال له البارزاني: (بلغ تحياتي واحترامي إلى صديقك الضابط الذي نقل إليك تلك التعليمات وأكلفك بإيصال كمية من العسل (كانت عبارة عن صفيحة عسل ما مقدارها عشرة كيلوغرامات) رمزاً لمحبتي له وإخلاصه للكورد)، ولم ينس البارزاني، ذلك الصديق حيث أستمر في إرسال العسل له وللعميد عبدالله سعيد في الخريف من كل عام وآخره كان خريف عام ١٩٧٤.

بعد انتصار الثورة الكوردية وإعلان اتفاقية ١١/آذار/١٩٧٠ اختير يد المتقاعد عبدالله سعيد كأحد أعضاء اللجنة الاستشارية مع كل من السادة (سامي عبدالرحمن والمرحوم نوري شاويس والمرحوم نافذ جلال وإحسان شيرزاد وغيرهم) لدراسة الأسس وتقديم المقترحات ومن ثم تكوين الرأي حول المواضيع الحساسة التي كانت مدار بحث وجدل بين قيادة الثورة الكوردية والحزب الديمقراطي الكوردستاني وبين حزب البعث والحكومة العراقية، وكثيراً ما كانت اجتماعات اللجنة المذكورة تعقد في داره، وقد استمرت في أعمالها حتى أواخر كانون الثاني عام ١٩٧٤ عندما ظهر للجميع بأن حكومة البعث ستلجأ ثانيةً إلى شن الحرب على كوردستان وخاصةً بعد تقوية مركزهم السياسي وازدياد مواردهم المالية.

وقبل إعلان الحرب بثلاثة أسابيع أي في الأيام الأخيرة من شهر شباط عام ١٩٧٤، فوجئ وهو يستمع من داره إلى نشرة الأخبار الصباحية من إذاعة لندن بقدوم سيارة من نوع (فولكس واجن) الألمانية ذات اللون الأزرق الفاتح تقف أمام منزله ويخرج أحدهم ويضغط على زر الجرس الكهربائي، ثم يطلب يد عبدالله سعيد لأمر هام، وهنا روى لي ما جرى له قائلاً:

في حوالي الساعة الثامنة والنصف صباحاً وعندما كنت أستمع إلى إذاعة لندن أخبرت بأن شاباً يطلبني عند الباب فارتديت (الروب) وخرجت وشاهدت سيارة من نوع (فولكس واجن) ذات لون أزرق فاتح وبداخلها شخصان، وثالثهم كان شاباً أنيقاً يرتدي قاطاً أسود وحييته وقلت تفضل للداخل عندئذٍ قال لي: جنابك يد المتقاعد عبدالله سعيد؟!، فقلت له: نعم، فقال لي: هذه هويتي فأنا مكلف بأخذك إلى إحدى الدوائر الأمنية للاستفسار عن موضوع خاص قد لا يستغرق نصف ساعة. ارتدي ملابسك ونحن بالانتظار.

دخلت الدار وأخبرت العائلة بما كان يجري وارتديت ملابسي وأوصيتهم بإشعار المسولين الكورد الباقين في بغداد حتى ذلك الوقت، في حالة تأخيري عن العودة إلى البيت، ثم خرجت من البيت، وأشار لي الشاب الواقف إلى المقعد الأمامي لكي أجلس عليه ثم قاد بنفسه السيارة، أما الشخصان الآخران، فقد جلسا في المقعد الخلفي دون أن يتفوها بكلمة، كانت السماء تمطر بغزارة، وعند وصولنا إلى ساحة الأندلس،

انحرفت السيارة باتجاه مدرسة عادل الأهلية وفجأةً مد أحد الجالسين في المقعد الخلفي يده وعصب عيني بقطعة قماش أسود، فقلت لهم بنوع من العصبية: ماذا دهاكم ولماذا هذا الإجراء. فرد عليّ الشاب الذي كان يقود السيارة: أرجوك عمي، هذه الأوامر.

شعرت بأننا ندخل كراجاً حيث فتحوا لنا الباب ومسك أحدهم يدي وقادني إلى داخل البناية ثم إلى سرداب البناية وأجلسوني على كرسي خشبي ثم رفعوا العصابة من عيني، وعندما فتحتها شاهدت شاباً كان يجلس وراء منضدة على بعد مترين مني، وكان يحدق بيّ ودار الحوار التالي بيننا:

هو: هل تعرف العقيد المتقاعد عبدالمجيد السامرائي؟

أنا: نعم أعرفه، وهو جاري.

هو: هل هناك زيارات متبادلة بينكم؟

أنا: نعم في المناسبات فقط.

هو: أعترف لنا عبدالمجيد السامرائي بأنه كان يزوركم كثيراً وأنكم من أنصار الملا مصطفى البارزاني.

أنا: قلت لك بأننا تنزاور في المناسبات فقط، وأما مسألة علاقتي بالملا مصطفى البارزاني لا تحتاج إلى شهادة أو اعتراف.

هو: عبدالمجيد السامرائي متآمر ومعتقل عندنا وأعترف بكل شيء وله صلة بالملا مصطفى، ونعتقد بأنك صلة الوصل بينه وبين الملا مصطفى البارزاني.

أنا: الملا مصطفى صاحب قضية ورئيس حزب وقائد حركة وليس متآمراً، وأنا على يقين بأنه لا يدخل مثل تلك المحاور، ومن هو عبدالمجيد السامرائي حتى يدخل البارزاني معه في مثل هذه المداور؟! وعلى حد علمي وحتى هذه الساعة، هنالك محاولات لتضييق الفجوة بين الحكومة والديمقراطي الكوردستاني للتغلب على المعوقات والوصول إلى صيغة مناسبة للمشاكل العالقة بين الطرفين.

هو: (بنوع من العصبية المفتعلة) عبد المجيد السامرائي متآمر وهنالك تنسيق مع الملا مصطفى والمنسق الوسيط هو أنت، فلماذا هذا الإنكار؟

أنا: بينت لك علاقتي مع عبدالمجيد السامرائي فهو جاري ونتزاور في المناسبات فقط ولا شيء غير ذلك، وأنا لم أقل ولن أقول غير الحقيقة، فأنت تمثل الدولة وبإمكانكم التحقيق فيما تريدون معرفته عني، وأنا محسوب على جماعة الملا مصطفى البارزاني، ولا توجد أكثر من ذلك.

هو: (نهض من مكانه ودخل غرفة جانبية من السرداب وسمعته يتكلم بالهاتف زهاء عشر دقائق ثم عاد إلى مكانه وبادرني بالكلام قائلاً:

تفضل إلى تلك الغرفة حتى ترتاح وماذا تحب أن تشرب (شاي، قهوة)؟

وعند دخولي الغرفة، كانت خالية من الأفرشة ومن وسائل التدفئة باستثناء منضدة عليها جهاز هاتف وخارطة العراق كانت معلقة على أحد جدران الغرفة، وبعد مرور نصف ساعة جاء أحدهم بكوب من الشاي ولم أر بعده أحداً لحين دخل الشاب (المحقق) عليّ ثانيةً وقال لي:

هو: أعذرنا عميد عبدالله هذه إجراءات احترازية من حق الدولة المحافظة على نفسها، لا يوجد شيء ضدك، أعطني رقم هاتفك رجاءً لأدير الرقم وأتصل بالعائلة وأخبرهم بعودتك إليهم خلال نصف ساعة، ثم دار الرقم وقال لي تفضل تكلم:

أنا تكلمت مع ابنتي (بروين) التي لم تصدقني حينما قلت لها بأنني عائد إلى البيت خلال نصف ساعة.

وبعد الانتهاء من المكالمة تقدم الشاب (المحقق) أمامي وصعدنا من السرداب إلى الطابق الأرضي وعصبوا عيني ثانية وأجلسوني في مقدمة السيارة التي غادرت البناية، بعد مرور حوالي خمس دقائق وقفت السيارة ونزع أحدهم العصب من عيني وقال لي: تفضل انزل وبإمكانك أن تأخذ سيارة تاكسي، وبعد نزولي من السيارة، عرفت بأنني في الفرع المحاذي لسينما النصر وابتعدت سيارتهم بسرعة، وفي شارع السعدون وأمام سينما النصر أستقليت سيارة أجرة وعدت إلى البيت سالماً.

كانت الأيام تمر بسرعة والتطورات كانت متلاحقة والمجتمع الكوردي في بغداد كان قلقاً للغاية لأنهم كانوا السباقين في شم رائحة الحرب وعودة القتال من جديد بعد هدنة دامت أربع سنوات والتي أعقبت اتفاقية ١١/آذار/١٩٧٠ وكثرت الأقاويل في الأسبوع الأول من آذار عام ١٩٧٤ والتحقت مجاميع كبيرة من أعضاء البارتي وجماهيره وكذلك

مجموعات من الآشوريين والكلدان ذات الجذور الكوردستانية، وبقي البعض إلى يوم ١١ آذار تحسباً لما قد يحدث.

وبوصول الراحل إدريس البارزاني إلى بغداد ومعه دارا توفيق، انتعشت الآمال لساعات محدودة، ولكن مع عودة إدريس البارزاني إلى كوردستان وإعلان توقف جريدة (التآخي) عن الصدور (حتى إشعار آخر) بناءً على قرار المكتب السياسي للحزب الديمقراطي الكوردستاني بعد تعنت قيادة البعث وإصرارها على فرض مشروعها الكسيح والهزيل وعدم الاعتراف بكوردستانية كركوك التي كانت في مقدمة وعلى رأس القضايا التي رفض البارزاني التنازل عنها مطلقاً والتي أدت في النهاية إلى استئناف القتال.

كان عبدالله سعيد وفي زخم تلك الأحداث يتمتع بمعنويات عالية وخاصةً بعد أعيد بث برامج (إذاعة صوت كوردستان ـ العراق)، وكان سماع الإذاعات وفي مقدمتها صوت كوردستان، الشغل الشاغل له حيث كان شغوفاً بسماعها ويسجل الملاحظات، وعندما التحقت بصفوف الثورة الكوردية، أوصى بواسطة زوجته خلال الأسبوع الثاني من التحاقي بالثورة الكوردية وصايا معينة (وكلها كانت ملاحظات عسكرية) مع مبلغ من المال، ورسالة جاء فيها: (لأعزائي عند الشداد يعرف الشجعان والمناضلون، أحسنتم صنعاً بالتحاقكم بصفوف الثورة الكوردية وأن قلبي معها ومعكم، أنقل لكم ملاحظات الأخوان من زملائي العرب حول الاهتمام وزيادة البرامج باللغة العربية).

وعندما قابلت المرحومة (ناهدة صابر) عقيلة يد عبدالله سعيد سيادة البارزاني في ديلمان، نقلت إليه (أي إلى البارزاني الخالد) نية واستعداد يد المتقاعد عبدالله الالتحاق بالثورة قال لها البارزاني (بلغي تحياتي له وأن وجوده في بغداد وعلاقته المتشعبة فيها أكثر فائدة للثورة الكوردية وعليه أن يحافظ على نفسه أولاً).

كان عبدالله يعرف بأحاسيسه بأن البعثيين لن يسمحوا له العيش في بغداد بسلام وهو يتمادى في انتقاداته، وقد صدق ظنه عندما اقتيدت إحدى بناته المتزوجات (من كاتب هذه السطور) مع حوالي خمسة وعشرين عائلة كوردية في بغداد إلى سيارات الباص الكبيرة وتم تسفيرهم إلى مشارف قصبة شقلاوة باتجاه ناحية هيران حيث المناطق المحررة، ولم يمض سوى شهر واحد حتى عاودت مديرية الأمن العامة الكرة

عندما داهموا منزل عبدالله سعيد في ليلة الأول من أيار عام ١٩٧٤ وأمروهم بمغادرة المنزل بملابسهم فقط إلى حيث السيارات الكبيرة أمام الأمن العامة في منتزه السعدون بشارع النضال وتسفيرهم إلى مدينة شقلاوة أيضاً، وشاءت الصدف أن يلتقي بهم في مدينة شقلاوة، المجرم طه الشكرجي الذي كان يومذاك آمر للقطعات العسكرية في جبل سبيلك حيث شخص يد عبدالله سعيد عندما كان هو وأفراد عائلته يشربون الماء في أحدى مقاهي شقلاوة، حيث انتزع أحد أفراد العائلة منهم (وكان نجله الثاني) بعد أن عرف أنه ضابط برتبة ملازم أول، بحجة أن الضباط لا يشملهم قرار التسفير وأن عليه العودة إلى وحدته، وبدلاً من إعادته إلى وحدته أرسله إلى السجن رقم واحد في معسكر الرشيد، ليقبع هناك زهاء أربعة عشر شهراً، أما بقية أفراد العائلة فقد استقروا في منطقة آزادي المحررة مدة من الزمن، وعلى أثر اشتداد القصف الجوي انتقلوا مع الآلاف من العوائل الأخرى إلى إيران، حيث استقروا في مدينة نغده، وبين فترة وأخرى كان عبدالله سعيد يعود إلى حيث موطن (الرجال الشجعان) وقائدهم الأسطوري مكحلاً عيونه بأرض كوردستان المحررة، حتى ساءت حالة عيونه لدرجة لم يكن يرى، وعندما علم البارزاني بذلك، أرسل له مبلغاً من المال قدره خمسة آلاف دينار مع التوصية بإرساله إلى لندن، ولقد سافر فعلاً عن طريق طهران إلى لندن، حيث عولج هناك وعاد إلى كوردستان.

وتزامنت عودته مع تنفيذ الحلقة الأخيرة من مؤامرة الجزائر، مما اضطر بعد الاستئذان، إلى العودة إلى العراق وعندما عاد إلى بيته في بغداد وجده محتلاً من قبل أحدهم وهو غازي العبيدي أحد الكوادر المتقدمة في حزب البعث وبعد جهد جهيد وبمعاونة أصدقائه القدامى، أخليت داره وقد فرغت من محتوياته حيث لم يبق فيه أثر لأثاث الدار، وعكف في داره كل تلك السنين حيث لم يكن يغادرها إلا ما ندر وكان الهاتف وسيلته الوحيدة للاتصال بالأصدقاء والزملاء القدامى.

وعندما سمع نبأ وفاة البارزاني في الأول من آذار عام ١٩٧٩، بكى من أجله كثيراً حتى تورمت عيناه ثانيةً، حيث كان يحبه من كل قلبه ويعتبره الأب الروحي له وبقي مخلصاً ووفياً له ولنهجه وحتى أفاه الأجل يوم ٢٤/تموز/٢٠٠١ بعد أن عاش كريم

النفس، نظيف القلب واللسان، حسن السيرة، مستقيماً ولم يمد يده إلى أحد، كذلك لم يتملق لأحد في حياته.

وإذا كانت حياته حافلة بالأحداث والوقائع، فأن وفاته جاءت هادئة كهدوء الرجل نفسه رحمه الله.

عبدالله سعيد عندما كان برتبة مقدم
في الجيش العراقي

فصيل ٢٥ رطل الذي كان بأمرة عبدالله
سعيد في (جنين) بفلسطين عام ١٩٤٩

البارزاني يتوسط عدد من رفاقه في كوردستان عام ١٩٧٠ ويبدو من اليمين عبدالرحمن القاضي د. كامران
بدرخان، البارزاني، عبدالله سعيد، محسن دزيي

الزعيم الراحل عبدالكريم قاسم خلال مناسبتين مختلفتين في بغداد عام ١٩٦١

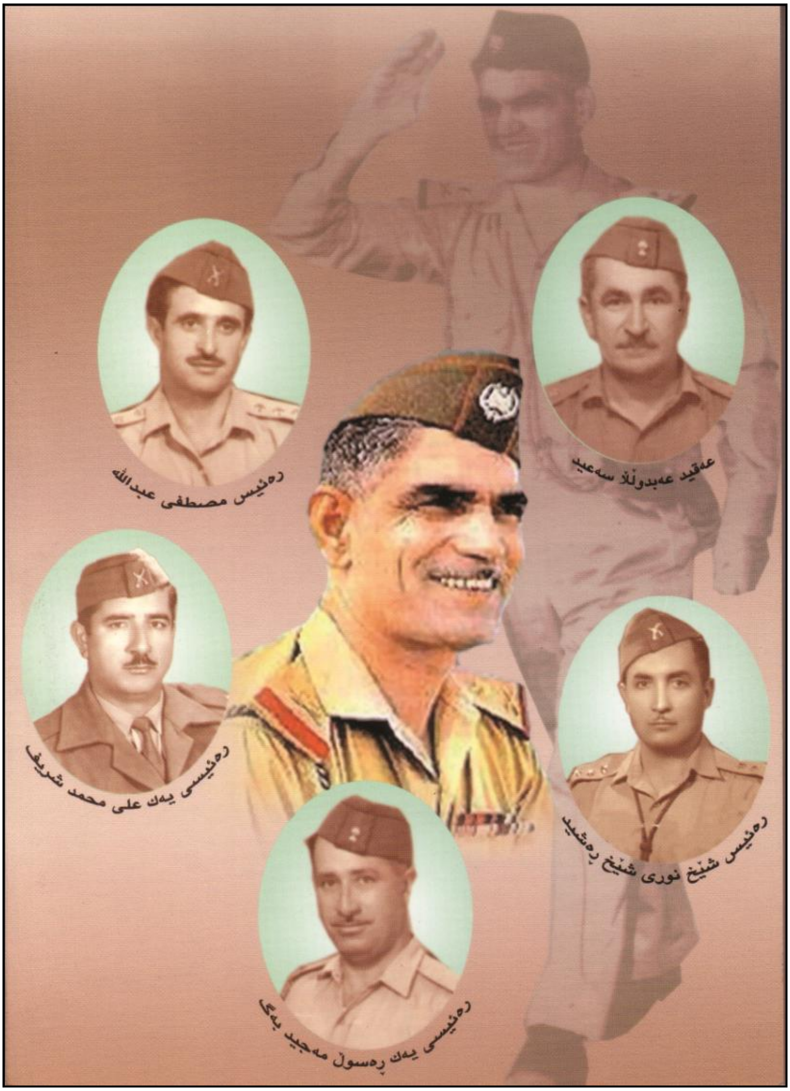

الغلاف الأخير من الكتاب الذي اصدره خالد شيخ عبدالرحمن قرداغي
حول دور الضابط الكوردي مصطفى عبدالله في ثورة ١٤ تموز عام ١٩٥٨

شخصيات الغلاف من يمين صورة الزعيم عبدالكريم قاسم هم العقيد عبدالله سعيد، الرائد (الرئيس) شيخ نوري شيخ رشيد، ومن يسار الصورة الرائد (الرئيس) مصطفى عبدالله، النقيب علي محمد شريف وهم من الضباط الأحرار الكورد المساهمين في ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨.

عبدالله سعيد وعلي خالد في قلعة النبي داود بقدس الجديدة عام ١٩٤٩

من اليمين العقيد علي خالد مع خاله العقيد عبدالله سعيد في بغداد

ضباط ومراتب احدى البطاريات التي كانت متواجدة في فلسطين عام ١٩٤٨

عبدالله سعيد عندما كان برتبة عميد في الجيش العراقي

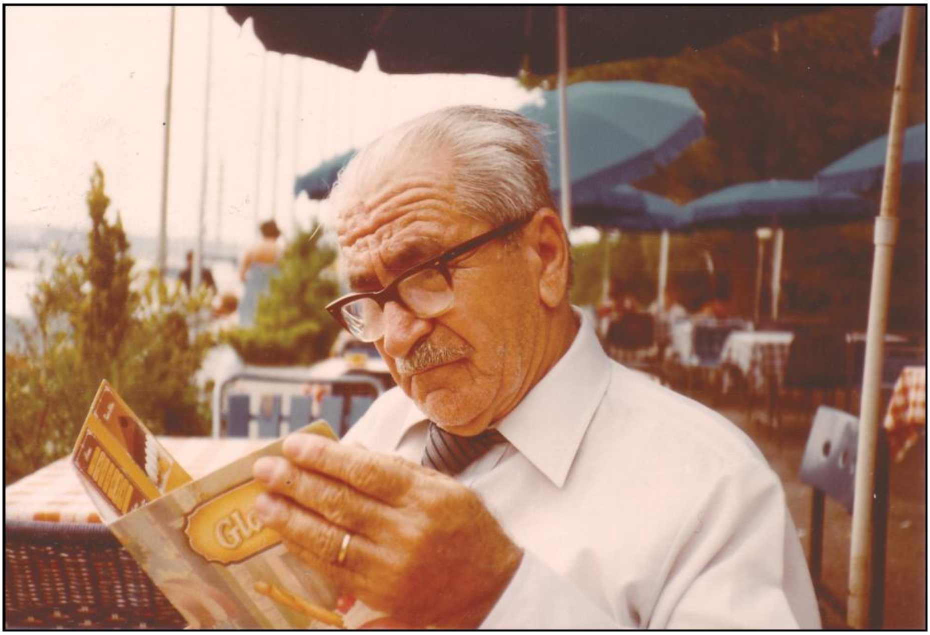

عبدالله سعيد بعد التقاعد من الجيش خلال زيارته لمدينة جنيف بسويسرا عام ١٩٨٢

من اليمين المقدم المتقاعد قاسم الجنابي مرافق الزعيم عبدالكريم قاسم، والعميد المتقاعد رسول مجيد، العميد المتقاعد عبدالله سعيد و............؟ والواقفين هما سردار وسيروان نجلي عبدالله سعيد في داره ببغداد شتاء عام ١٩٩٧

الكورد.. بين صراحة سليم الفخري وغرابة تفكير صالح القلاب! (*)

في ربيع عام ١٩٦٣ وبعد الانقلاب الفاشي والدموي في ٨ شباط احتضنت مدينة (قلعة دزه) الجميلة وقراها المحررة مئات العوائل التي هجرت مدن كويسنجق ورانية وأطرافها قبل وصول قطعات الجيش العراقي الى تلك المناطق والتي كانت تحرق الأخضر مع اليابس إضافة لقتل الأبرياء من أبناء كوردستان انتقاما من الهزائم التي كانت تلحق بهم في المواجهات مع جيش كوردستان (البيشمركه) في جبهات القتال في سهول وتلال وجبال كوردستان في الوقت الذي كان العقيد (سعيد فتحي الصقلي) يحرر بيانات وبلاغات عسكرية باسم (الحاكم العسكري للمنطقة الشمالية يزعم فيها انتصار قطعات الجيش العراقي من حاملي ألوية النصر على أوكار الخيانة في الشمال).

كانت قلعة دزه تعج بالناس من العوائل المهاجرة والملتحقة بالثورة الكوردية وكذلك بمجموعة من ضباط الجيش العراقي الذين كانوا من أنصار الحزب الشيوعي العراقي وذوي الميول التقدمية والديمقراطية ومن بينهم كل من الراحلين (سليم الفخري وسعيد مطر وموسى كاظم الجبوري ومهدي الخفاجي وحميد الجنابي..) الذين كانوا يرتادون مقهى المرحوم (سيد بسيم) صباح كل يوم طيلة مدة بقائهم في قلعة دزه، وفي الأول من أيار من العام نفسه الذي صادف ذكرى (عيد العمال العالمي) احتفلت لجنة محلية قلعة دزه للحزب الشيوعي العراقي بتلك المناسبة وعلى طريقتها الخاصة المتمثلة بكتابة عدد من اللافتات ذات القماش الأحمر وتوزيع نوع من (الجكليت الملفوف بورق شفاف) صناعة إيرانية حيث تم إعدادها بكتابة شعارات وطنية بالمناسبة على وريقات بيضاء صغيرة محشورة داخل الجكليت كانت توزع من قبل فتيان وشباب الحزب الشيوعي ابتهاجا بعيد العمل العالمي، وقد كنا نحن مجموعة من فتيان كويسنجق المتواجدين في ذلك الوقت في مقهى (سيد بسيم) حيث كانت

(*) نشر في جريدة (كوردستان اليوم) التي كانت تصدر في لندن في عددها ٧ الصادرة في كانون الثاني ٢٠٠٤.

مزدحمة بالناس بسبب هطول الأمطار في ظهيرة ذلك اليوم وقد كنا نجلس إلى الطاولة القريبة من مكان جلوس الضباط العرب مع أصدقائهم الكورد عندما دخل ثلاثة من شباب قلعة دزه وأحدهم كان يحمل صينية مليئة بالجكليت المعد للاحتفال وعندما اقترب الشبان من طاولة الضباط العرب لتقديمه سأل أحدهم ما هي المناسبة؟ وعندما عرفوا بأنها مناسبة عيد الأول من أيار مد المرحوم سليم الفخري يده وتناول جكليتة واحدة وعندما فتحها وجد ورقة بيضاء مكتوب عليها بضع كلمات باللغة الكردية وعندما ناولها لأحد أصدقائه الكورد لغرض قراءتها وترجمة ما كان مدونا فيها قال له الصديق بأن ما دون هي عبارة (عاشت الإخوة الكوردية العربية إلى الأبد) عندها التفت المرحوم سليم الفخري الى يساره تارة ويمينه تارة أخرى وكأنه كان يريد الاستفسار عن معلومة يجهلها وعندما تأكد بأن زملائه استغربوا من حركاته وهو ينظر يمينا ويسارا بادر بالقول وهو ينظر هذه المرة الى وجوه الشبان الثلاثة وهم متسمرون في مكانهم ينتظرون كلمة إطراء منه بتلك المناسبة وإذا به يقول كلاما ربما لم يعجب الآخرون من زملائه وأظن حتى من أصدقائه الكورد آنذاك وهو يوجه كلامه لهم: (يا ناس منذ أربعين عاما ونحن نضربكم بالقنابل وأنتم مستمرون بترديد شعار "عاشت الإخوة العربية الكوردية إلى الأبد").

رحم الله (سليماً) وهو في دار الآخرة وأتذكره على الدوام وأتذكر مقولته تلك في مقهى (سيد بسيم) بمدينة قلعة دزه في الأول من أيار من عام ١٩٦٣ عندما قال عبارته الشهيرة لأصدقائه الكورد ولشباب الحزب الشيوعي العراقي الثلاثة الذين كانوا يوزعون قطع الحلوى بتلك المناسبة (يا ناس منذ أربعين عاماً) كلما سمعت هذه العبارة البائسة (عاشت الاخوة..) والتي لا يرددها أحد من أبناء الشعوب العربية والفارسية والتركية باستثناء الكورد أنفسهم والذين كانوا صادقين في قولها ومؤمنين بفحواها الى أن جاءتهم البينات بأن تلك (الإخوة) لا تعني في قاموس غيرهم سوى انصياع الكورد لهم وان مطالبتهم بحقوقهم القومية ينبغي أن تتم وفق اختيار النموذج الذي يرضي العرب (الحكام والعوام منهم) على السواء أي كما يريده أبناء (الشقيقة الكبرى) وليس أبناء أمة الكورد المبتلاة (بالتعايش القسري) من دون سائر أمم وشعوب الكرة الأرضية مع شعوب وأمم لا تعرف معنى (للإخوة) غير الانقياد الأعمى

لما يقولون ويعملون ويحلمون بالقضاء على: (نعرة الانفصال والانفصاليون! وعملاء الاستعمار والصهيونية! وأوكار الخيانة في شمال الوطن العزيز! والجيب العميل! وسليلي الخيانة! وعملاء إيران!).

لم أتمالك نفسي وأنا أطالع موضوعين مختلفين في جريدة (الشرق الأوسط) اللندنية يوم ٢٠٠٤/١/١٠ أولهما مقال للكاتب والصحفي الأردني (صالح القلاب) بعنوان (الأكراد والفدرالية انفصال أم استقلال؟) والثاني استعراض لكاتب بعنوان (كرد العراق منذ الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ حتى سقوط الملكية في العراق) بقلم (نضال معروف) وتحت عنوان (الكورد تحالفوا مع الجميع وأنقلب عليهم الجميع–كتاب يتناول تاريخ الشعب الكردي ونشوء حركاته القومية التي تفتقر إلى مرجعية واضحة) وهنا وفي هذا العدد أتناول الموضوع الأول لصالح القلاب وأترك الحديث عن الموضوع الثاني في العدد القادم في (كوردستان اليوم).

(الأكراد والفدرالية انفصال أم استقلال) موضوع تناوله مقال (صالح القلاب) في عدد يوم ٢٠٠٤/١/١٠ في جريدة (الشرق الأوسط).

بداية لقد زار الأستاذ صالح القلاب أرض كوردستان المحررة قبل أعوام من سقوط نظام صدام حسين وأطلع بنفسه على واقع كوردستان وشعبها كما التقى مع أصحاب القرار في كوردستان وعرف بحسه الصحفي ماذا يدور في خلد الكورد وبماذا يحلمون وثبتت بعض الحقائق وليست الثوابت في مقاله الآنف الذكر حيث قال بالنص: (يعرف أكراد العراق معرفة أكيدة أنهم لا يستطيعون إقامة دولة مستقلة لهم في الشمال حتى إنهم رغبوا في ذلك وحتى أن راودتهم هذه الفكرة وحتى أن أغراهم الوضع العراقي المتفاقم بأن يحلموا بما كانوا لا يتجرؤون على أن يحلموا به فالمسألة بالنسبة لهذا الأمر ليست مجرد رغبة فقط إنها مسألة قدرة وهناك فرق هائل بين الرغبة والقدرة. القادة الأكراد ليسوا أغرارا في السياسة وهم الذين اكتووا بنيران القدر الذي وضعهم في مربع صعب بين إيران وتركيا وسوريا والعراق، ويعرفون أن مسألة بحجم إقامة دولة أو شبه دولة أو حتى كيان فدرالي في إطار عراق موحد ليست قرارا ذاتيا بل توافق إقليمي من المستحيل تحقيقه لا في المدى القريب ولا المدى الأبعد منه).

ربما يستغرب القارئ حال الانتهاء من قراءة المقال بأنني تذكرت عبارة المرحوم سليم الفخري تلك عندما قُدمت له جكليته ملفوفة بورقة بيضاء صغيرة دون عليها عبارة (عاشت الإخوة العربية الكردية إلى الأبد) حينئذ لم يتمالك الفخري نفسه وردد على مسامع الحاضرين من أصدقائه في الأول من أيار عام ١٩٦٣ قائلاً: (يا ناس منذ أربعين عاما ونحن نضربكم بالقنابل..الخ) أما لماذا تذكرت أقوال المرحوم سليم الفخري بعد الانتهاء من قراءة مقال القلاب فالسبب يعود إلى جملة أمور أرى من الضروري التطرق إليها.

كما ذكرنا فإن الأستاذ صالح القلاب قد زار قبل أعوام أرض كوردستان المحررة في زمن حكم الطاغية وأدرك وهذا ما لاحظته عند الالتقاء به شخصيا في دار الصديق (صلاح بدر الدين) في مصيف صلاح الدين بأن الكورد يطالبون بأبسط الحقوق القومية فقط وأنهم ناضلوا منذ عقود وعقود وقاموا بانتفاضات وثورات هنا وهناك من أجل تحقيق أحلامهم في إطار الدول التي قسمت أراضيهم عليها قسرا ودون رغبة منهم تحقيقا لرغبة الكبار من أصحاب القرار ومصالحهم منذ معركة (جالديران ١٥١٤) حتى يومنا هذا ولم تكن هناك نية الأضرار بمصالح الآخرين ولكن وكما هو معلوم فإن الشرق من هذا الكون قد أبتلي بمرض مستديم وهو الجهل بكل ما تعيه هذه الكلمة وان نزول الكتب السماوية الثلاث المقدسة (التوراة، الإنجيل، القرآن) في منطقة واحدة من الشرق الأوسط خير دليل على حاجة هذه المنطقة للإصلاح والوصول الى الكمال كما هو معروف فإن الدين قد استغل أيضا (مع الأسى والأسف الشديدين) وخاصة الدين الإسلامي الحنيف من قبل الحكام الذين لم يكونوا مؤمنين أصلا بالإسلام ولم يكن لهم وجدان حي أساسا وإلا لما كانوا يرتكبون هذه الجرائم بحق الكورد في أرضهم التي وهبهم إياها الله سبحانه عز وجل وكانت آخرها عمليات (الأنفال) السيئة الصيت والتي راحت ضحيتها عشرات الألوف من عباد الله من الكورد المظلومين عندها استغل اسم آية شريفة من القرآن الكريم وأسباب نزولها حيث كان المؤنفلون في صدر الإسلام هم من الذين كفروا بالله على عكس الكورد الذين دخلوا الإسلام طواعية وإنهم من أكثر الشعوب والأمم المسلمة تمسكا عن قناعة وإيمان بدينهم ولكن ما الذي حصل عليه الكورد من إخوانه في الدين من الأمم (العربية والتركية والفارسية) والأصح من حكامها؟

ولكن دون أن يرفع أحد صوت المعارضة عندما كان الكوردي يتعرض للسجن أو عندما كانت تفرض أحكاما جائرة بحق الكورد الذين كانت تصادر من بيوتهم شريط أو كاسيت غنائي بلغة بني قومهم وكيف نقول (لإخوتنا في الدين) بأن الملايين من الكورد محرومون من الحصول على جنسية بلدانهم التي يعيشون فيها أو محرومون الى يومنا هذا من التعلم بلغتهم القومية والأنكى من ذلك لم نسمع صوتا مرفوعا من إخواننا من الدين وبحكم الجيرة ليس من باب الاستنكار وإنما من باب (نشر خبر) فقط عندما تعرضت مدينة حلبجة الكوردستانية إلى فاجعة لا مثيل لها في التاريخ بعد ضرب (هيروشيما) في أربعينات القرن الماضي، كل ذلك لأن الكورد طالبوا بحقوقهم المشروعة وان مطالبتهم بحقوقهم جلبت لهم في العراق منذ ثمانية عقود المآسي والفواجع والضرب ليس بالقنابل (كما ذكر المرحوم سليم الفخري) وإنما تعدى ذلك إلى القصف بالسلاح الكيماوي.

من جهة أخرى إن عنوان المقال (الأكراد والفدرالية انفصال أم استقلال؟) فإن من باب التذكير كان على الأستاذ (القلاب) أن يختار عنوانا أكثر ملائمة مع مفهوم صيغة الفدرالية وهو المطلع بلا شك على ماذا تدل الفدرالية من تنظيم العلاقة بين المركز وبين الأقاليم في الدول التي تبنت الفدرالية كأسلوب للحكم؟ ولكن الشطر الثاني من العنوان (انفصال أم استقلال؟) مقابل شطر (الأكراد والفدرالية) يوحي لنا أن الأستاذ (القلاب) يرى في مطالبة الكورد بالفدرالية دعوة صريحة للانفصال أو الاستقلال في الوقت الذي يدرك (القلاب) جيدا أن الفدرالية هي أساساً عامل للتوحيد وليست للتجزئة.

أما النقطة الثانية والتي هي جديرة بالنقاش والمتعلقة بالفقرة الأولى من المقال والتي تقول: (يعرف أكراد العراق معرفة أكيدة إنهم لا يستطيعون إقامة دولة مستقلة لهم في الشمال حتى إن رغبوا في ذلك وحتى أن راودتهم هذه الفكرة وحتى أن أغراهم الوضع العراقي المتفاقم).

في ربيع عام ١٩٦٨ وعندما كنت في المرحلة الثانية بكلية الإدارة والعلوم السياسية في جامعة بغداد أعددت تقريرا من عشرين صفحة لموضوع كان مطلوبا من طلاب المرحلة الثانية في مادة (الاقتصاد الزراعي) والتي كان يدرسنا إياها المرحوم الدكتور

(خطاب العاني) وكان التقرير المعد من قبلي بعنوان (زراعة التبغ في كوردستان) وبعد مرور أسبوعين على تقديمنا للتقارير المطلوبة فوجئت بالأستاذ العاني وهو يهم بإلقاء محاضرته لطلاب المرحلة الثانية وعلى حين غفلة وكأن (الحية لدغته) سألنا من هو الطالب الفلاني حيث ذكر اسمي وعندما قلت له: (نعم يا دكتور أنا فلان) قال لي بالحرف الواحد معلوم لدى الجميع بأن مصطلح (إسرائيل، بنو إسرائيل) مذكور في القرآن الكريم عشرات المرات ومع هذا نحن العرب نستفز عندما نسمع كلمة إسرائيل ومنذ عام ١٩٤٨ ونحن نعمل من أجل إفنائهم أو إلقائهم في البحر وان الاتحاد السوفيتي فقد رصيده بالكامل عند أبناء الأمة العربية منذ أن اعترفت بهذه الدولة اللقيطة، ولكن العجب هنا أن مصطلح كوردستان لم تذكر لا في الكتب السماوية ولا في الأطالس وحسب علمي إنها محشورة فقط وعلى استحياء من قصائد بعض من الشعراء الأميين) وعندما يثبت أحد طلابي حين يكلف بكتابة تقرير اقتصادي مصطلح كوردستان في عنوان تقريره فلا يستحق سوى ان يأخذ (الصفر) من مجموع العشر درجات، وهنا وعندما استعجل الأستاذ (القلاب) مصطلح (الشمال) بدل (كوردستان) كما يستفز العرب عندما يطلق (اورشليم) على بيت المقدس أو مدينة القدس، وثانيا أن تكرار استعمال كلمة (حتى) (حتى) و(حتى) ثلاث مرات من خلال خمسة أسطر فإنما تعني استحالة التحقيق فيما يصبوا الكورد إليه والأنكى من ذلك فإن العبارة الأخيرة من الفقرة الثانية من المقال والتي تقول نصا (ويعرفون أن مسألة بحجم إقامة دولة أو شبه دولة أو حتى كيان فدرالي في إطار عراق موحد ليست قرارا ذاتيا بل توافق إقليمي من المستحيل تحقيقه لا في القريب ولا المدى إلا بعد منه) ربما يعتبرنا الأستاذ صالح القلاب (مجانين) أو شيء من هذا الشبه وإلا فليس من المعقول لشعب قوامه سبعة ملايين وألحقت أرضه وهي كوردستان الجنوبية قسرا بالدولة العراقية في عشرينات القرن الماضي وهذا الشعب وهو جزء من أمة مجزأة يصل تعدادها إلى أكثر من ثلاثين مليون نسمة موزعين على أربع دول هي (تركيا، إيران، سوريا، العراق) وبما يملك من رصيد نضالي كبير وتضحيات جسام وقيامه بالثورات تلو الثورات من أجل الوصول إلى صيغة الفدرالية وفي إطار عراق موحد واعتبارها من المستحيلات وان قادتهم (أي القادة الأكراد) على حد تعبيره يعرفون ان مسألة إقامة دولة أو شبه دولة

أو حتى كيان فدرالي في إطار عراق موحد من المستحيل تحقيقه لا في المدى القريب ولا المدى الأبعد منه، وعندما يدعي الأستاذ (القلاب) (بأن القادة الأكراد يعرفون استحالة تحقيق الفدرالية في إطار عراق موحد) فإنه يحكم علينا ومن خلال قادتنا بأننا لسنا سوى مجانين وهائمون على وجوهنا نقاتل من أجل القتال ونناضل من أجل لا شيء ونضحي من أجل سراب وبئس هذا الشعب الذي يعرف مقدما بأنه يصبح شيئا ولا يمكنه الحصول على حقوقه ولكنه مستمر في التضحية!!

هكذا هو منطق أصدقائنا (إخوتنا في الدين والنضال المشترك) عندما يرون استحالة حصولنا على أبسط حقوقنا (لا في المدى القريب ولا في المدى الأبعد منه) وقبل ذلك جربنا منطق وموقف ونظرة الأعداء عندما نعتونا (بأننا من أبناء الجن) ثم تعرضنا لعمليات الأنفال وتغيير الواقع القومي واستخدام السلاح الكيماوي ضدنا.

من جهة أخرى أثار (صديق الشعب الكوردي) صالح القلاب ولأول مرة حسب علمي مسألة ربما لم يفكر بها حتى الطاغية صدام حسين وهي مسألة (التوافق بين كوردستانية كركوك وتكريد بغداد) إذ يقول نصا: (كل هذا يعرفه مسعود البارزاني ومعه جلال الطالباني وهما يعرفان أيضا أن إثارة موضوع التعريب في كركوك ستؤدي إلى إثارة موضوع التكريد في بغداد وان المطالبة بكركوك نقية من غير العنصر الكردي ستؤدي إلى المطالبة ببغداد نقية من غير العربي).

لم أكن أتصور يوما أن يثير صحفي ومثقف عربي من خارج حدود العراق السياسية موضوع التواجد الكوردي في بغداد ويضع هذا التواجد على أحد طرفي معادلة سياسية تهدد بها هذا التواجد في حالة مطالبة الكورد بـ(إعادة القديم إلى قدمه) بالنسبة لكركوك والتي تتمثل بإنصاف وإعادة الحق إلى أصحابه الشرعيين الذين شردوا على مرأى ومسمع من مثقفي وصحفيي وساسة الأمة العربية من ديارهم قسرا أو حتى إرغامهم على تغيير قوميتهم الكردية إلى العربية ومن ثم طردهم إلى وسط وجنوب العراق ناهيك عن تغيير أسماء المناطق والأحياء والأزقة من الكردية إلى العربية واستمرت هذه العملية منذ مجيء البعث للحكم في ٨ شباط ١٩٦٣ وحتى يومنا هذا، وقد رافقت ذلك جرائم بحق الإنسان والأرض والمقدسات الكوردية ووصل الأمر بطارق عزيز يوما وهو يزهو بالجرائم التي ارتكبت بحق كوردستانية كركوك الى أن يقول: (للكورد حق واحد

فيما يتعلق بكركوك وهو حق ذرف الدموع والبكاء عليها عندما يمرون بها أثناء سفرهم). لقد ولى طارق عزيز وسيد جوقة البعث تلاحقهم لعنة التاريخ إلى أبد الآبدين، ولكن ماذا عسانا أن نقول لمثقف عربي وصحفي ووزير سابق وهو يعيش بجوار أرض اغتصبت منذ أكثر من نصف قرن حيث يعيش الملايين من أصحابها الشرعيين في بلد (القلاب) ودول الجوار من فلسطين وهو (أي القلاب) يشعر أكثر من غيره بمعاناة المرحلين من أرض فلسطين ومدى لهفتهم للعودة يوما، ماذا نقول لهذا المثقف العربي وهو يثير مسألة في غاية الخطورة بمنطق إنسان جاهل وحاقد (حاشى للقلاب منه) وهو التهديد بإبعاد الكورد عن بغداد والذين تواجدوا فيها منذ بنائها على يد الخليفة أبو جعفر المنصور وحتى يومنا هذا حيث ساهموا مساهمة فعالة في بناء حضارتها وكانوا في مقدمة الجيوش التي دافعت عنها أبان تعرضها للغزوات المتتالية، وفي العصر الحديث وبعد أن أصبح العراق دولة بحدودها الحالية عام ١٩٢١ ساهم الكورد في بناء الجيش العراقي وكان دور التجار الكورد في سوق الشورجة مشهودا كما كان للأحزاب الكوردية التي نشأ بعضها في بغداد دور مماثل حيث عقدت مؤتمراتها السرية والعلنية فيها وساهمت مع بقية الأحزاب العراقية الأخرى في الانتفاضات الوطنية في العهدين الملكي والجمهوري، وكذلك كان للطلاب والشغيلة الكورد والصحف الكوردية والفنانون الكورد بصماتهم في تاريخ وحضارة بغداد والتي تحتاج إلى عشرات المجلدات لتوضح مدى مساهمة الكورد في تطور واغناء بغداد، بالإضافة إلى الدور القيادي للعلماء الكورد المسلمين في جوامع ومساجد وتكايا بغداد كرجال دين متنورين كانوا وما زالوا يدعون من الله عز وجل أن يحفظ بغداد وأهلها من كل مكروه، ويعرف الأستاذ القلاب قبل أهالي بغداد الكرام أن الكورد لم ولن يكونوا يوما أداة تكريدها وتغيير واقعها القومي أو المطالبة بضمها إلى كوردستان علما وعلى حد تعبير الباحثين تعد بغداد (أكبر مدينة كوردية) أي كونها تحتضن أضخم وأكبر تجمع كوردي أكثر من أية مدينة كوردية في كوردستان، فقد ولدت وترعرع أجيال بعد أجيال في هذه المدينة العزيزة على قلوب الكورد حتى أن بعضهم ونتيجة الاندماج في المجتمع البغدادي قد نسوا لغة الأم.

ولم يسمع أحد من الكورد حتى عندما كان العراق يحكمه حاكم فعلي من الكورد عام ١٩٣٦ وهو الفريق بكر صدقي ولا حتى حين تسنم عسكري كوردي وهو الفريق نور الدين محمود رئاسة الوزارة العراقية عام ١٩٥٢ ولا في عهد آخر رؤساء وزارات العراق الملكي أحمد مختار بابان ولا حتى حين كان المرحوم سعيد قزاز أقوى وزير داخلية في وزارة بابان حيث لم يتفوه أحد منهم ولو من بابا التنكيت حول تكريد بغداد في وقت يعرف فيه القاصي والداني إن تواجد العرب في أطراف كركوك لم يكن يتعدى وجود بعض عشيرة عربية سكنت بعض أفخاذها أيام ياسين الهاشمي عام ١٩٣٦ قرى جنوب مدينة كركوك والذين احترمهم الكورد واعتبروهم إخوانا لهم وعاشوا في السراء والضراء معا إلى أن جاء الشر وحملة الأفكار القومية العدائية وتولى الفاشيون الجدد من بعثيي العراق الحكم عام ١٩٦٣ حيث قاموا بتغيير كل ما هو كوردي وكوردستاني الى (العرب والعربية) ولم يسلم من تراجيديا التعريب حتى المتعاونين معهم من الكورد كما ظهرت في الوثائق التي نشرتها الصحف العراقية أي أنهم لم يرحموا أبدا كل ما كان يمت بصلة إلى كوردستانية كركوك وان عدد المرحلين والمهجرين والذي يقدر بالآلاف وعشرات الألوف خير شاهد على ذلك وكذلك كانت الحال عند تغيير الأسماء الكوردية إلى (سعد بن مغيرة، والقدس، وفلسطين وخالد، والربيع) ولا داعي للإطالة.

وهنا أوجه سؤالي إلى الزميل (القلاب) باعتباره صحفياً مطلعاً على قضايا العراق: ما هي أوجه الشبه بين (تكريد بغداد) كما يدعي هو وحده وبين (تعريب كركوك) الذي جرى منذ أكثر من نصف قرن على أيدي فاشيي العراق وعلى مرأى ومسمع العالم ومن بينهم الأستاذ القلاب نفسه، ولم يحرك أحد ساكناً وحتى من باب المجاملة للكورد أو إنصافاً للحق وللأخوة العربية الكوردية كما يدعون، من جهة أخرى يحاول (القلاب) التشويش على الخطاب السياسي الكوردي عندما يدعي في فقرة من المقال المذكور بأن: (كل هذا يعرفه مسعود البارزاني وجلال الطالباني وهما يعرفان أيضاً أن إثارة موضوع التعريب في كركوك ستؤدي إلى إثارة موضوع التكريد في بغداد، وأن المطالبة بكركوك نقية من غير العنصر الكوردي ستؤدي إلى المطالبة ببغداد نقية من غير العنصر العربي).

هذا ما يستنتجه الأستاذ القلاب أو هكذا يتخيل أن تكون المعادلة على هذا الشكل أو يتمنى أن يتراجع (مسعود البارزاني وجلال الطالباني) ومعهما الشعب الكوردي كله عن المطالبة بحقوقهم خوفاً من هذا وذاك ناسياً أنهما والحركة التحررية الكوردية قد نجحوا في امتحان التأريخ وليس بوسع أحد أو أية قوة تركيع شعبنا وقادتنا وإرادتنا.

هنا ومن باب التذكير أو من باب تصحيح المعلومات فإن الكورد لم يطالبوا (بكركوك نقية من غير العنصر الكوردي) ليس احترازا أو خوفاً من إبعاد الكورد عن بغداد وإنما كل ما يطالب به الكورد ويناضل ويضحي من أجل تحقيقه هو احترام الجغرافيا والتأريخ وعدم محاولة سلخ كركوك من كوردستانيتها وليس في شعارنا المطالبة بـ(كركوك نقية من غير العنصر الكوردي) وكل ما نعمل من أجله هو إزالة آثار جريمة نصف قرن ارتكبت بحق كركوك وسنجار وخانقين ومندلي ومناطق أخرى من كوردستان، وأن كوردستانية كركوك لا تعني في خطابنا السياسي وبرنامج الحركة التحررية الكوردية إخلاءها من العنصر غير الكوردي، كلا وألف كلا يا سادة يا كرام فكركوك هي مدينة التآخي بجميع القوميات والأديان والاتجاهات السياسية، وهكذا كانت ويجب أن تكون الآن ومستقبلاً مدينة كوردستانية ورمزاً للتآخي القومي.

وأخيراً.. لم يبق لدي القول سوي إعادة ما قاله المرحوم سليم الفخري عندما خاطب أصدقائه الكورد رداً على ترديدهم لشعار: (عاشت الأخوة العربية الكوردية إلى الأبد) بقوله: (يا ناس منذ أربعين عاماً ونحن نضربكم بالقنابل وأنتم مستمرون بترديد شعار عاشت الأخوة العربية الكوردية إلى الأبد)!!.

النقود الرديئة تطرد النقود الجيّدة في السوق من التداول! (*)

في ربيع عام ١٩٦٨ وخلال المرحلة الثانية من دراستنا الجامعية حيث كان المناخ السياسي في العراق يشهد نوعاً من الانفراج السياسي مقارنةً بالأحداث التي أعقبت انقلاب ٨/شباط/١٩٦٣ وكان الفريق عبدالرحمن عارف رئيساً للجمهورية آنذاك، ولم يكن ميّالاً لاستعمال القسوة كثيراً كما كان نهج سلفه في الغدر والطغيان، مما كان له تأثيره الشبه الإيجابي على مجمل الأوضاع السياسية العامة في الساحة العراقية فقد كنا نمارس نشاطاتنا الطلابية السياسية مع بقية التنظيمات الطلابية العراقية الأخرى في وضع شبه علني بعد تسنم عبدالرحمن عارف مقاليد السلطة وكان المناخ السياسي في أورقة جامعة بغداد آنذاك قد مهد السبيل لإضراب الطلبة في عموم كليات ومعاهد جامعة بغداد للمطالبة بالحقوق المهنية التي كانت مغلفة بإطار سياسي مقبول.

في تلك الفترة كان أساتذة كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ينتمون إلى اتجاهات سياسية مختلفة فمنهم كان قومياً عربياً كالدكتور هشام الشاوي ومنهم من كان ماركسياً حتى العظم كالأستاذ إبراهيم كبة وبعضهم كانوا متعاطفين مع الحزب الشيوعي العراقي رغم ابتعادهم هن الارتباط التنظيمي به بعد الأحداث التي عقبت انقلاب ٨/شباط/١٩٦٣، وفي غمرة تلك الأحداث كان أستاذنا الراحل الدكتور خزعل البيرماني يدرسنا مادة (الدخل القومي) وينهمك في ربط الأحداث بالمادة التي كان يدرسنا.

وفي أحد الأيام وبينما كان يشرح محاضرته حول موضوع (النقود الرديئة تطرد النقود الجيدة في السوق من التداول)، انبرى له أحد الطلبة وكان يدعى (هشام الياور) حيث جرى الحوار التالي بينه وبين أستاذ المادة على مرأى ومسمع طلبة الشعبة (ب) من المرحلة الثانية:

(*) نشر في جريد ة (خه بات) العدد ١٠٥٨، في ٢٠٠١/١٢/١٨.

هشام الياور: عفواً أستاذ لم أفهم سياقات شرح تلك النظرية (النقود الرديئة تطرد النقود الجيدة...).

د. خزعل: يا أبني النظرية مفهومة بوضوح وكمثال على ذلك عندما توجد لديك ورقتان من فئة الخمسة دنانير إذا كانت إحداهما بحالة جيدة والأخرى بحالة رديئة تحاول قدر المستطاع صرف ورقة الخمسة دنانير الرديئة منهما والاحتفاظ بالورقة التي تكون حالتها جيدة كحالة نفسية لا أكثر ولا أقل.

هشام الياور: إلى هنا أصبحت الفكرة مفهومة عندي ولكن الشطر الثاني من الشرح أي علاقة تلك المقولة أو النظرية بالأحداث العامة لم تكن مفهومة عندي.

د. خزعل: (في بداية الأمر سيطر على هدوئه لكن عندما احتدم النقاش بينه وبين هشام الياور نهض من كرسيه وبدأ يتكلم وقوفاً) حيث قال:

بعد ٨/شباط/١٩٦٣ أصبح مكان الوطنيين والشرفاء داخل زنزانات وأقبية التعذيب وسيق المئات منهم إلى ساحات الإعدام وانتهكت الأعراض وتم فصل الآلاف من الوظيفة وشنت الحرب على أخواننا الأكراد بقسوة لا مثيل له بينما كان أمر العراق بيد الجلادين والدكتاتوريين وعديمي الضمير واختفى الشرفاء والوطنيين إما داخل السجون والمعتقلات وإما كانوا مذعورين في بيوتهم وعدد كبير منهم احتوتهم جبال ووديان الشمال، والذين بقوا في الساحة (المتسلطين) كانوا هم أشبه بالنقود الرديئة التي كانت تتداول في الدوائر والأسواق وفي الحياة العامة، وأنهم الآن بحاجة إلى التوّبة من الشعب لما اقترفوه من ذنوب وجرائم، وعلينا أن لا نفسح المجال وتحت أية واجهة كانت لوصول هؤلاء إلى مراكز الصدارة سواء كانت سياسية أو وظيفية، وهل تحتاج يا أبني إلى المزيد من التوضيح بعد؟!

وعندما أنهى أستاذنا الراحل د. خزعل البيرماني من شرحه لتلك المادة كان الانفعال ما زال بادياً على ملامحه حيث عاد وجلس بكل هدوء في مكانه واستغرق في تفكير عميق وبدأ الهدوء يعود إلى وجهه وربما شعر بارتياح عميق في قرارة نفسه ولو كان من باب (أضعف الإيمان) بعدما شرح بلسانه وقلبه (ظاهر المنكر والمنكرين) ولم يمهله جرس انتهاء المحاضرة للاستغراق أكثر في التفكير لما تعرض له هو وأبناء شعبه من اضطهاد حيث ترك قاعة المحاضرات بوقار كما عاهدناه.

إن ظاهرة النقود الرديئة وتداولها في السوق ربما تكون ظاهرة عامة في كل زمان ومكان لكن المصيبة هنا أن تتعدى تلك الظاهرة إلى الحياة العامة عندما يتبوأ هذا أو ذاك من هذا النوع الرديء وفي غفلة من الزمن مركزاً مرموقاً أو يتولى مسؤولية أحد المفاصل الهامة في المجتمع سواء أكانت وظيفية أو سياسية أو إدارية لم يكن يحلم بها يوماً ما وكل ما كان يبتغيه عندما تتغير الظروف والأحوال أن يقبع في بيته متمنياً العفو عنه والعيش بسلام في أكثر الأحوال وأن لا يحاول مرة أخرى العودة إلى الحياة العامة ثانيةً لكن وبفعل تداعيات الوضع السياسي وتأثيراتها وبنتائجها السلبية يعاود هذا النوع الرديء محاولاتهم مستغلين حالة اختلاط الحابل بالنابل وتفشي ظاهرة المحسوبية.

ولأنهم من جانب آخر أصبحوا أساتذة مادة الانتهازية ومنظريها حيث لا يخجلون من تغيير قناعاتهم الظاهرية وتعيير ألوانهم حسب المواسم والظروف والعمل الدؤوب من أجل إزاحة كل ما هو جيد في المجتمع أفراداً وقيماً ومبادئ ليحلوا محلهم كما تفعل النقود الرديئة بالنقود الجيدة!

وربما كان أستاذنا الراحل د. خزعل البيرماني قد عانى من تلك الظاهرة وعاش في أجوائها عندما كان يرى بأم عينيه اختفاء النقود الجيدة في السوق من التداول لكنه لم يسكت ولم يغمض عينيه عنها وكان يتكلم باستمرار وينتقد بموضوعية ويشرح الأسباب والنتائج وكان يردد على مسامعنا بين فترة وأخرى الحديث النبوي الشريف (**من رأى منكم منكراً فليغيّره بيده فإن لم يستطع فبلسانه وإن لم يستطع فبقلبه وذلك لأضعف الإيمان**).

بغداد بين الأمس واليوم كما أراها اليوم (*)

لم أكن متشفياً عندما كنت أرى بأم عيني أكداس من الأسلحة المحترقة هنا وهناك بلا رقيب وبلا شفيع وبلا (صناديد) على جانبي طريق الخالص . بغداد عندما كنت أمر به في العشرين من نيسان الماضي بعد مضى أقل من أسبوعين على سقوط حكم طاغية التأريخ وكانت تلك الأسلحة عبارة عن أنواع شتى من دبابات ثقيلة ومدافع من مختلف الأنواع وناقلات جنود ومدرعات مزنجرة ونصف مزنجرة لا حول لها ولا قوة محطمة ومبعثرة في العراء وعلى أطراف الخنادق المحفورة لها حيث كانت قد تحولت في بعض المناطق إلى ساحات للعب الأطفال والصبية وهي مهانة بقدر الظلم الذي مارسه قادتها على مدى ثمانية عقود من الزمن بحق الشعوب العراقية وبالأخص على كوردستان وشعبها مستعيناً في بعض الأحيان بقطعات من الجيش الأجنبي وفنييه وأجهزة استخباراته للمساهمة في جولات القتال المفروضة على شعب لم يكن يحلم بأكثر من حقوقه القومية.

نعم لم أكن متشفياً بل خانقاً وغاضباً على الأداء الفاشي لهذا الجيش الذي تأسس للدفاع عن الوطن وسميت وزارته تمنياً بهذه المهمة بـ(وزارة الدفاع) لكن وكما هو معروف تحول الجيش العراقي إلى أداة قمع واستعمال للقوة قل نظيرها منذ تأسيسه وحتى اليوم الذي غاب فيه عن الوجود بقدرة القادر، لكن لم ولن تغب عن ذاكرة شعب كوردستان ولا في سفر تأريخه أسماء أولئك الذين ساهموا مع سبق الإصرار في قتل العشرات بل المئات من أبناء كوردستان في مراحل مختلفة ومنهم ضباط الجيش أمثال عمر علي وحسن مصطفى وصديق مصطفى وطه الشكرجي وغانم مصباح وسالم سلطان البصو وبارق الحاج حنطة وصبحي عبدالحميد وسعيد فتحي الصقلي

(*) نشر في جريدة (كوردستان اليوم) العددين ٢، ٣، في آب وأيلول ٢٠٠٣.

والملازم محسن، وعبدالعزيز العقيلي وعبدالكريم الجحيشي، والمئات وغيرهم من الذين كانوا يرددون ليل نهار بأنهم جاهدون في سبيل القضاء على (إسرائيل ثانية).

وكان من حقي أن أكون متشفياً وأنا أتذكر سيرة وأعمال ذلك الجيش خاصة منذ أيلول ١٩٦١ ولغاية سقوطه يوم التاسع من نيسان عام ٢٠٠٣ عن قريب بشيء من التفاصيل كصور الإعدامات بالجملة وإطلاق الرصاص بصورة عشوائية وسط شوارع المدن والممارسات اللاإنسانية أثناء ساعات منع التجول وهتك أعراض البريئات الشريفات في أقبية ودهاليز الاستخبارات العسكرية وقصف المدن المأهولة بالسكان بالأسلحة المحرمة دولياً و. و.. وغيرها من الأعمال والجرائم التي تقشعر لها الأبدان ناهيك عن تدمير المدن والقصبات وقطع الأشجار وردم العيون والينابيع بالأسمنت المسلح.

وعندما وصلت نقطة السيطرة القديمة في مدخل بغداد العاصمة والتي دخلتها بعد مرور أثنا عشر عاماً على آخر زيارتي لها ذهلت وأصبت بالدهشة لهول ما آلت إليها بغداد التي تحولت إلى مدينة مقفرة، شوارع خالية مهملة، وأشلاء الدبابات وقطع المدافع المحترقة والتي كانت قد سحبت في ثكناتها ومآربها لغرض اختفائها بين الأشجار والأحياء السكنية ودور العبادة خوفاً من ضربات الطرف الآخر الذي لولاه لما كنا نحتفل بهذه السرعة بسقوط أعتى نظام دكتاتوري عرفه التأريخ وكانت المتاريس المقامة في الساحات والملاعب والحدائق وفي مداخل الشوارع الرئيسية والفرعية وعند مداخل الأزقة هي السمة الظاهرة للعيان عشية سقوط نظام الطاغية وأظهرت نتائج الحرب إن النظام كان في وادٍ والشعب في وادٍ آخر ولم تشفع له ترسانات الأسلحة ولا الأجهزة القمعية المتنوعة تحت واجهات وأسماء مختلفة حيث تبرأ المقربون من رأس النظام وتنصل الآخرون من مهامهم المناطة بهم للدفاع عنه وترك الباقون الجبهات الحامية عند اشتدادها بعدما شاهدوا تحول الأجساد الطرية إلى كتل متفحمة وترسانات الأسلحة الفتاكة إلى خبر كان غير مأسوف عليها لأنها لم تكن يوماً قد استعملت لصالح العراقيين ووطنهم بل كانت أداة بطش وحرق وإبادة وتهجير وترحيل.

هكذا وجدت بغداد العاصمة عشية سقوط النظام البعثي أما ما كان يجري في داخل بغداد فلم يكن مبعث السرور والاطمئنان في بعض الأحيان مقارنةً ببغداد الخمسينات والستينات وبغداد التي أعلنت فيها بنود اتفاقية ١١/آذار/١٩٧٠ واحتضانها لأكبر وأوسع مسيرة جماهيرية طوعية مرحبة بالاتفاقية وبالصداقة العربية الكوردية عقب إعلان الاتفاقية وكانت لساحة الجندي المجهول والتي تحول أسمها إلى ساحة الفردوس والتي شيدت على أطرافها الفنادق الكبيرة ذكريات معي استعدتها عندما زرتها كمحطة أولى بعد وصولي إلى بغداد أثر سقوط النظام.

ساحة الجندي المجهول سابقاً والفردوس لاحقاً:

وهي الساحة التي أقيم فيها بعد ثورة ١٤/تموز/١٩٥٨ وتحديداً في الذكرى الأولى للثورة نصب الجندي المجهول الذي وضع تصاميمه المعمارية المهندس رفعت كامل الجادرجي ووضع تصاميمه الإنشائية المهندس أحسان شيرزاد وعند افتتاحه تم أيقاد شعلة النصب من قبل الزعيم الراحل عبدالكريم قاسم شخصياً، وفي أحد جوانب تلك الساحة وبالتحديد في جنوبها الغربي كان هنالك مقهى صيفي يطل على الساحة من جهة وعلى الشارع الفرعي المؤدي إلى شارع أبي نواس من جهة أخرى حيث كنا نرتاده بين حين والآخر وخاصةً في المرحلة الأولى من دراستنا الجامعية.

وفي أحد أيام شهر تشرين الأول من عام ١٩٦٦ كنا أربعة من طلاب المراحل المختلفة من كلية الاقتصاد والعلوم السياسية قد اتخذنا من أحد أركان المقهى مكاناً للجلوس وحال استقرارنا فيه دخلنا في نقاشات بيزنطية حول تقييم اتفاقية ٢٩/حزيران/١٩٦٦ بين قيادة الثورة الكوردية من جهة وبين الحكومة العراقية في عهد الفريق عبدالرحمن عارف وكانت المناقشة حامية للغاية بسبب اختلاف وجهات النظر حولهما مما جلب انتباه بعض رواد الطاولات القريبة منا وفجأةً أقترب أحدهم منا حيث كان زميلي في المرحلة الأولى في الدراسة الجامعية وكان أسمه فلاح حسن جاسم من أهالي مدينة الناصرية وكان شيوعياً ويحب الكورد كثيراً ومتعاطفاً معنا وقد أتخذ من أحد الكراسي الشاغرة حول طاولتنا مكاناً له وبادرنا بقوله: (أخوان ترى أنتو كَاعدين في كَهوة مزدحمة وأكيد أكو هنا رجال الأمن ديروا بالكم هنا مو مكان مال

اجتماع ولا مكان مال هيجي سوالف حارّة وإذا تحتاجون إلى مكان للمناقشة والاجتماعات فأنا عندي مع بعض الزملاء مشتمل بالوزيرية بس هنا ديروا بالكم).

تذكرت تلك الحادثة بعد مرور سبعة وثلاثون عاماً وأنا أقترب من قاعدة تمثال الدكتاتور المخلوع في ساحة الفردوس (الجندي المجهول سابقاً) وكان التمثال هو نفسه الذي شاهده الملايين من العراقيين وغير العراقيين عبر القنوات الفضائية أثناء أنزاله من على قاعدته وسقوطه على الأرض وسط اندهاش وفرح الناس جميعاً وعدم تصديق بعضهم خلال اللحظات الأولى لما كانوا يشاهدونه بأعينهم فقد كان اليأس قد دخل في نفوس الكثيرين لأن المدة التي سرقت وهي ثلاثة عقود و نصف من عمر العراقيين لم تكن قصيرة أو هينة خاصةً وإن التفنن في ابتكار وسائل التعذيب والقسوة وكم الأفواه وقلع العيون وهتك الأعراض واستخدام الأسلحة الكيماوية والإبادة الجماعية كانت من أولويات الأولى في تفكير وأسلوب ونهج الطاغية وأركان حزبه الفاشي ومسؤولي أجهزته القمعية حيث سلم العراقيين أمرهم لله لأنهم كانوا يرون بأم أعينهم كيف أن البعض (وهم كانوا كثيرون) من الزعماء والقادة الكبار منهم والصغار وأصحاب وسائل الأعلام كانوا يرقصون على صوت الدف الذي كان ينقر به صدام حسين خلال احتفالات بيع الشرف السياسي وبيع المبادئ وتحجيم بنود لائحة حقوق الإنسان وإسكات صوت أولئك الذين كانوا ينادون (بحق الشعوب في تقرير مصيرها)، وكانوا ـ أي العراقيين ـ محقين في ذلك الزمن الرديء حيث كانت دنانير الطاغية وبراميل نفطه وكوبونات الدفع بالعملة الصعبة أكبر وأقدس وأنفع عند البعض من سماسرة السياسة والصحافة من حياة الملايين المغلوبين على أمرهم والذين كانوا لا يرون ولا يسمعون ولا يقرأون إلا ما كان يخرج من أدمغة القوادين والسائرين عن قناعة لنهجهم المسيء للتأريخ والبشرية جمعاء.

وعند اقترابي من قاعدة التمثال وأنا أنظر إليها بتمعن تذكرت قولاً للدكتاتور قاله يوماً بكل صلف وغرور: (جئنا لنبقى)، ولم يكن يدر بخلده يوماً بأن أحذية العراقيين ستطال تماثيله ونصبه وكنت أنظر بعيون فاحصة إلى قاعدة التمثال وقد أصبحت الساحة المحيطة بها مثل (سوق عكاظ) حيث أنتشر بها باعة المرطبات والمشروبات

الغازية والروحية وباعة علب السكائر بأنواعها وأشكالها وصرّافو العملة والمصورين المتجولين وجمهرة من الصحفيين الأجانب في أرجاء الساحة.

في تلك الأثناء أقترب مني أحدهم وكان يتفيأ بظل قاعدة التمثال مع صحفي قادم من بلاد العم سام وهو ينظر إلي ويستغرب من تمعني النظر لقاعدة التمثال وبقايا الحديد المسلح الذي يربط التمثال ثم دار بيننا الحوار التالي:

هو: أستاذ.. هذه هي النظرة الأخيرة لبقايا التمثال؟

أنا: لا بل أنها النظرة الأولى على أرض الواقع.

هو: ولماذا تأخرت هذه النظرة حتى اليوم؟

أنا: أنا من كوردستان ويوم أمس عصراً وصلت إلى بغداد، وها أنا اليوم وبعد أول مغادرتي للفندق جئت إلى هنا لأتأكد وأكحل عيوني بما جرى وبما يجري.

هو: أهلاً وسهلاً بالأخوة الكورد وأنا أعمل مترجماً مع هذا الصحفي الذي يعمل في جريدة (نيويورك تايمز) ونقضي ساعات هنا في هذا المكان لنراقب ونسمع ونرى المشاهد المختلفة بعد أن تحولت الساحة إلى ما يشبه الـ(الهايدبارك) فكم هي حلوة أجواء الحرية ولاشك أن العراقيين والكورد مرتاحون برحيل صدام.

وبينما كنا نواصل الحديث أنا والمترجم المذكور وإذا بتظاهرة قادمة إلينا من شارع السعدون تضم عدة مئات من الناس وقد رفعت في مقدمتها لافتة كتب عليها (لا لحكم الأقلية)، وبصراحة استفزت اللافتة مشاعري وعكرت مزاجي وقلت في نفسي أنها البداية وبطبيعة الحال إذا سارت الأمور على هذا الطريق لن نصل بسهولة وبدون تضحيات إلى ما كنا نحلم به للعراق ما بعد الطاغية.

وهنا تذكرت حواراً كان قد جرى بين الأستاذ والمفكر الراحل مسعود محمد وبيني في مدينة كويسنجق خلال الأسبوع الأول من شهر شباط عام ١٩٩١ في دار أبن عمه الراحل الأستاذ مجيد شيخ نوري حول أحقية الأكثرية في الحكم وأحقية الأقلية في المعارضة في البرلمان العراقي عن مدينة كويسنجق وكان جوابه على استفساري كما يلي: (إذا كان هدف الأكثرية والأقلية لكن باختلاف الوسيلة هو خدمة الشعب فسيكون الشعب والحياة البرلمانية بألف خير لأنه ربما يكون الفرق بين الأكثرية والأقلية هي بنسبة (١٪) والتي تمنح الحكم للأكثرية ولكن الأقلية هنا على قاب

قوسين أو أدنى من الأكثرية والتي تعادل ما يقارب نصف الشعب وإذا لم تحترم هذه الأكثرية إرادة تلك الأقلية ستحدث الكارثة، والكارثة إذا حدثت ستخسر الأكثرية مصداقيتها وستتحول إلى الأقلية وإن فازت بأكثرية الأصوات مقارنةً بطرف المعادلة الأخرى الأقلية السابقة والتي ستحصل على أصوات أكثر وإن بقيت كأقلية)

وبين ضجيج المظاهرة صاحبة شعار (لا لحكم الأقلية) وبين تذكيري واستعادتي لكلمات مفكرنا الراحل مسعود محمد حول مفهوم الأقلية والأكثرية في الحياة البرلمانية أصبحت عندي الرغبة للتوجه صوب شارع أبي نواس بمحاذاة فندق شيراتون.

شارع أبي نواس:

أول ما وقعت عيناي على شارع أبي نواس أصابتني الدهشة لهول ما رأيت وتذكرت في الحال أجواء الشارع في عصره الذهبي منتصف الستينات وحتى نهاية السبعينات عندما كان بمثابة رئة بغداد حيث كان الناس يتنفسون من خلالها ويرتادون المقاهي والمطاعم والبارات المنتشرة على جانبي الشارع وعلى محاذاة دجلة الخير يوم كان الناس أحراراً في ارتياد المقاهي والمطاعم أو الوقوف عند باعة اللحم المشوي على الرصيف أو الذهاب إلى أحدى الحانات لترويح النفس بالمشروبات الكحولية أو التعامل مع أحد باعة السمك وتناول (المسكوف).

وقد كان مقهانا المفضل آنذاك أنا وزميلي عبدالموجود طه هو (مقهى الجماهير) الواقع على مقربة من بداية الشارع من جهة جسر الجمهورية، وذات يوم وبينما كنت مع زميلي المذكور جالسين في أحدى أمسيات شهر تشرين الأول عام ١٩٦٨ أطل صالح مهدي عماش وزير الداخلية بعد انقلاب ١٧/تموز/١٩٦٨ من شاشة تلفزيون بغداد وهو يدبج مقدمة لفلم أستغرق مشاهدته إجباريا خمس وثلاثون عاماً بكل مشاهده وأحداثه التي تقشعر لها أبدان حتى الساديين من بني البشر وهو يعلن لمشاهدي التلفزيون مايلي:

(إذا سمعنا بأن أحدهم يعارض حكم البعث سندخله حالاً أحدى الغرف الانفرادية في زنزانات العراق الخاصة ولن نسمح له مطلقاً لالتقاء بأحد أو سماع الموسيقى وأكل الكباب وبعد مرور ثلاث سنوات سندخل عليه ونسأله عن أسمه فإذا كان قد نسى

أسمه فسنفرج عنه وإن لم يكن قد نسي أسمه فسنغلق عليه الباب ثانيةً إلى أن ينسى أسمه بالكامل).

تذكرت وأنا أمشي الهوينا بين ظلال الأشجار المنكوبة وسط شارع أبي نواس منطق عماش الأرعن وأنا أتجه صوب محل أحد السماكة كيف أن ديباجته تلك والتي ساهمت مع غيره من أصحاب هذا النوع من النظريات الفاشية في تأطير نظام قل نظيره على مدى التأريخ وأصبح عماش نفسه أحد الضحايا غير المأسوفين عليه لأنه كان أحد بذور التآمر على ثورة ١٤/تموز/١٩٥٨ منذ البداية.

كان السماك الذي حاورته كئيباً وهو يتكئ على المشبك الحديدي المثبت في واجهة محله وبعد السلام عليه دار الحوار التالي بيننا:

أنا: أخي كيف حالكم؟

السماك: بخير ونصف خير.

أنا: أفتهمت الخير ولكن ما هو نصف الخير؟!.

السماك: هذا المحل يعود لي منذ خمسة وثلاثون عاماً وقد ورثته من والدي الذي كان يبيع السمك في محلة الشواكة بجانب الكرخ وقد ورثه هو أيضاً من جدي رحمه الله، وكان هذا الشارع يعبر عن أسمه وقد كنت أسهر في أكثر الليالي حتى الفجر وكان الزبائن وعلى اختلافهم من كان بينهم صاحياً ومنهم من كان مخموراً يختارون نوع السمك، وكنت وأولادي في خدمتهم ولكن وبعد غزونا للكويت وحدوث الانتفاضة أصبح النظام كـ(الكلب) الجائع وكان محلي مراقباً وقد أثر ذلك كثيراً على عدد الزبائن وكنت بالكاد أدبر حال معيشتي، ولكن وبزوال النظام تنفسنا الصعداء وكنت أتوقع إرجاع القديم إلى قدمه بالنسبة للحياة الاجتماعية لكن يبدو الأمر مختلفاً وأحس وكعراقي بأن رائحة التطرف تحاول أن تهيمن على الأجواء وهذا ما يقلقني ويقلق غيري لأننا عشنا أعواماً من التطرف الحزبي (للبعث القائد) وكل ما أرجوه أن لا ينسى الضحية (جماهير شعب العراق) وما لاقاه على أيدي سجانيه وجلاديه.

شارع المتنبي.. القشلة.. سوق السراي.. ساحة الرصافي:

في أول يوم جمعة بعد وصولي إلى بغداد ومنذ الصباح أستقليت تاكسياً وتوجهت صوب شارع المتنبي فقد كنا نسمع كثيراً عن ما آل إليه وضع الثقافة والمثقفين في العراق خاصةً بعد الحصار الاقتصادي الذي تسبب النظام السابق في فرضه ولم يكن الحصار غريباً عن العراقيين فالأزمة كانت بتشعباتها وباختلاف السلع والمواد الحياتية التي لا يمكن الاستغناء عنها كانت ملازمة للحياة العامة للشعب فقد كانت الأزمة قبل الحصار موسمياً أي كانت الأسواق تشكو من فقدان بعض السلع أو المواد الضرورية بحيث تأقلمت حياة العراقيين على ذلك النمط، وأما الحصار الثقافي فسأختصره بجملة واحدة هي (من طبيعة النظم التوتاليارية تدجين وكم الأفواه والعقول).

ولهذا كانت الحالة الثقافية محصورة في فلك النظام وفكره وتوجيهاته السياسة والثقافية وكان حال المثقفين موزعاً بين الولاء للنظام كما كتب أحدهم يوماً بعد أن نبذ قناعاته الفكرية وتبرأ عن نهجه السابق مقالاً بعنوان: (مقدمة لقصيدة حب فاشلة) حيث صور التزامه الفكري السباق بحالة حب أستمر ثلاثة أو أربعة عقود ولكنه في النهاية أحس على نفسه متأخراً (كما أدعى) وكتب تلك المقدمة لحالة حبه السابق والتي شبهها بحالة الحب الفاشلة ووقع في النهاية في أدنى دركات مستنقع الانتهازية وجلب العار لنفسه.

والبعض الآخر من المثقفين اختاروا مرغمين المنفى الاختياري في أرض الله الواسعة وآخرون انتهوا جسدياً في الأقبية المظلمة التي لم يخرج أحد منها سالماً حيث لم تبتكر على مدى التأريخ منذ أن خلق سبحان عز وجل الأرض والسماء وإلى يومنا هذا وسائل التعذيب النفسي والجسدي كما أبتكره البعث وتفنن في ترهيب الشعب بها.

وأما البقية الباقية منهم (أي المثقفين) فقد فضلوا الصمت والركض وراء لقمة العيش في أي عمل شريف وبأي أسلوبٍ كان، وقد شهد شارع المتنبي حالة بائسة أخرى في حياة المثقفين في السنوات الأخيرة والتي كانت تتمثل في الاضطرار مرغماً على بيع وهراج (خير جليسهم) بأبخس الأثمان.

وعندما أضطر أحدهم للمساومة معي على سعر البيع لكتاب كان عزيزاً على قلبه حين تعاملت معه قال لي بالحرف الواحد: (لولا حاجتي للنقود لما أقدمت على بيعه بهذا الثمن البخس) وهذه كانت الشريحة المتبقية من المثقفين والتي وجدت نفسها وسط هذه الحالة البائسة.

ولم أستطع الاستمرار في السير بشارع المتنبي كثيراً حيث دلفت إلى بناية القشلة ثم إلى سوق السراي الذي كان مقفلاً وعدت إلى ساحة الميدان وإلى محلة الحيدرخانة وتذكرت مطعم (الشمال) الذي كنا نرتاده مع زملائي بعد الانتهاء من دوام الكلية ظهراً ضمن مطاعم أخرى في تلك المنطقة كمطعمي (الممتاز) و(جميلة) في شارع الأمين و(الجمهورية) في الحيدرخانة.

وعند وصولي إلى البناية السابقة لفندق (شهلا) بالقرب من تمثال الرصافي تذكرت أيام النصف الثاني من المرحلة الأولى لدراستنا الجامعية عندما أستقر بنا المقام في ذلك الفندق، وأمام بابه نظرت إلى ساعتي لمعرفة الوقت لكن ساعتي كانت متوقفة عن الحركة مما حدا بي السير باتجاه (باب الآغا) في شارع الرشيد حيث كان أحد مصلحي الساعات يتخذ من كشك خشبي مكاناً لعمله وعندما ناولته الساعة طلب ألف دينار من العملة التي تسمى بـ(الطبع) ثمناً لتبديل بطارية الساعة، عندئذ أخرجت من جيبي رزمة من الأوراق النقدية التي كانت عبارة عن (٢٥٠٠٠) ديناراً من تلك العملة بادرني مصلح الساعات بكلام اهتز به كياني وتفكيري إذ قال لي: (أخي دير بالك، خلي الفلوس بجيبك، أنت هم كوردي وهم شايل فلوس، تره يكتلوك لأن العصابات بدت تتحكم).

وعندما استلمت منه ساعتي شكرته على نصيحته واتخذت من شارع الرشيد مساراً باتجاه ساحة حافظ القاضي وجالت في تفكيري حينئذ صور ومشاهد وأحداث شتى حول دور الكورد في بغداد سياسياً واجتماعيا واقتصاديا مما جعل منه قدوة في الأمانة والاستقامة والوطنية والشجاعة أيضاً، ولم أستغرب ولم يأخذني العجب من نصيحة (الساعاتي) لأن الفراغ الذي خلفته الحرب تحرير العراق وإطلاق سراح الآلاف من المجرمين العتاة وعدم قيام قوات التحالف في بداية الأمر بحصر كبار المسؤولين في الأجهزة القمعية والقبض على مسؤولي المؤسسات التي كانت تخرج الساديين

والمجرمين، كما لم يكن هنالك تخطيط مسبق لمرحلة ما بعد سقوط الطاغية وإشراك القوى الوطنية في التعامل ولم يعرفوا طبيعة الشعب العراقي الذي طحنته الحروب والدمار منذ حرب الردة وتعامل الحكام معهم منذ ألف سنة على غرار ما تعامل معهم الحجاج بن يوسف الثقفي الذي وصفهم بـ(شعب الشاق والنفاق).

كل هذه العوامل وتراكماتها عبر التأريخ بالإضافة إلى ثلاثة عقود ونصف العقد من عمر حكم النظام الفاشي كان كفيلاً بانتشار تلك الظاهرة التي حذرني منها الساعاتي مشكوراً

وعندما وصلت منطقة سوق الشورجة اتجهت صوب (دربونة تحت التكية) الزقاق المحاذي للسوق والذي كانت دكاكينه ذات يوم مركزاً لتوزيع وبيع الملابس المستعملة (اللنكَة) وفي نهاية زقاق تحت التكية استوقفتني بناية (خان الحاج شوكت) وكانت أيلةً للسقوط وتذكرت أحد أيام خريف عام ١٩٦٧ عندما دخلت (الخان) لأول مرة حيث كان المرحوم والدي يتعامل منذ أواخر الثلاثينيات مع عدد من أصحاب (الخانات) كالمرحوم عبدالقادر الصراف، والمرحوم عبدالوهاب والمرحوم الحاج شوكت ومحمد سعيد الخفاف أطال الله من عمره، وكان المرحوم الحاج شوكت يتعامل مع مادتيّ (الكَواني والسوتلي والجفاص) والتي كانت تستعمل في لف وتنظيم (بالات التبغ الشرقي) في كوردستان، وكان الوالد يأخذ تلك المواد في منتصف شهر تموز من كل عام ويدفع ثمنه في منتصف الخريف.

ولقد صادف أن تأخرت مدة الدفع ذات مرة وكان (المبلغ بحدود العشرة آلاف دينار في ذلك الوقت) من قبل الوالد لمدة أسبوعين حيث أوعز لي بواسطة برقية مرسلة من قبله في كويسنجق للقيام بمراجعة الحاج شوكت والاعتذار له عن التأخير وإعلامه بان المبلغ سيصله بعد أسبوعين لا أكثر، وعلى أثره دخلت خان الحاج وكانت رائحة المواد المخزونة في السرداب الكبير والغرف الأخرى في الطابق الأول تزكي النفس وتوجهت إلى مكتبه فقبلني من جبيني وطلب لي استكان من الشاي (الحامض) ثم أستفسر عن أحوال والدي حينئذ بادرته قائلاً:

أنا (مع بدء الكلام ناولته ورقة البرقية المرسلة لي من الوالد حول مراجعة الحاج) ثم قلت له: (يا حاج الدفع تأخر والتأخير جاء خارج إرادة الوالد بسبب تأخر دفع أثمان

بالات التبغ من قبل الحكومة إلى التجار في كويسنجق وربما سيتأخر أسبوعاً آخر الوالد قلق أكثر منك كما يتبين لك من البرقية المرسلة من قبله وكل ما أرجوه أن يطمأن جنابكم).

الحاج شوكت: وكان أسمه الكامل (الحاج شوكت مهدي وينحدر من قضاء الحي وقد أتخذ من بغداد منذ الأربعينيات مكاناً للعمل بالتجارة في حانه الواقع في محلة تحت التكية بالشورجة) قال لي: (أبني والدكم له معزة كبيرة عندي والله شاهد على ما أقول وبيننا خبز وملح ولو تأخر في الدفع سنة أخرى فلن يخطر ببالي شيء فكل ما عندي هو في خدمة الوالد فهو كوردي شهم وصادق في التعامل وأتمنى أن تنحصر معاملاتي وتجارتي مع الكورد حصراً ولولاهم لما سادت في أسواق بغداد وبالأخص الشورجة تحت التكية الاستقامة والنزاهة في التعامل وبودي زيارة الوالد في كويسنجق هذا الأسبوع أن سهل لي الله الأمر).

وفعلاً توجه الحاج شوكت بعد أيام إلى كويسنجق وبعد رجوعه زرته ثانيةً في خانه وما أن شاهدني حتى قال لي: (لولاكم ولولا خيرات منطقتكم لما كان العراق يعيش في هذه الرفاهية).

في ربيع عام ٢٠٠٣ لم تكن (تحت التكية) عامرة بأناس كانت كلمتهم هي الشرف، هي الوفاء، هي الصدق والاستقامة مثلما كانت الوطنية والعمل السياسي تتسمان بأصدق آيات النزاهة والتفاني والتضحية من أجل المبادئ ولم يكن للصوص السوق الذين حذرني (الساعاتي) منهم كوني كوردياً وأحمل مبلغاً من المال مكاناً في المجتمع العراقي كما لم يكن للصوص السياسة وجود بالشكل الذي نراهم فيه اليوم يتباوؤن المراكز في زمن أصبح فيه الجيد رديئاً وأصبحت السياسة كالتجارة وسيلة للحصول على الجاه والنفوذ بعدما كانت وسيلة فعالة لخدمة الشعب والوطن وكان السياسيون يشار إليهم بالبنان وكانوا قدوة المجتمع.

وكان السجن أيضاً بمثابة مدرسة تصقل النفوس وتطهر الذات من أي انحراف من الأفكار والسلوك بفعل ما كان يضم من المناضلين ومن أجواء الحرية النسبية حتى يوم وقوع الانقلاب المشؤوم في ٨/شباط/١٩٦٣ والمساند من دوائر ذات النفوذ في الغرب المتحضر بحجة المكافحة الشيوعية والتي جلبت للعراقيين منذ ذلك الوقت

(الفترة المظلمة) بكل معانيها في تأريخهم حيث تحولت القسوة مكان الرحمة وتحولت أساليب الحوار إلى حمامات الدم وبفعلها وعلى أثرها ومن جرائها وتأثيراتها السلبية المدمرة أختلط الحابل بالنابل وضاعت الحقيقة كما ضاعت المقاييس فأصبح الفكر منخوراً بجراثيم وفيروسات التعالي والغرور والتكبر والكذب والتملق والرجل ولسان حال الشرفاء من المناضلين يصيح ويصبح: (يا حق ما أبقيت لي صاحباً).

حال استقرارنا في بغداد اتخذنا من المقر السابق لحزب البعث والمسمى بفرع الرشيد والكائن في شارع ٥٢ من الجهة القريبة من ساحة عقبة بن نافع مقراً لهيئة الفرع الخامس للحزب الديمقراطي الكوردستاني وقد سألني صحفي من وكالة الأنباء اليابانية عن مخزى فتح مقر لحزب كوردي (على حد تعبيره) في بغداد العاصمة وكان هذا بداية حوار طويل معه عبر مترجم شاب بغدادي حيث كان هو نفسه يجهل كثيراً من المعلومات التاريخية خاصة عن دور و تواجد الكورد في بغداد وكان الصحفي الياباني قد دخل العراق عن طريق الكويت في الثاني عشر من شهر نيسان الماضي أي بعد ثلاثة أيام من سقوط نظام الطاغية وكانت زيارته هي الثانية للعراق وأراد إجراء مقابلة صحفية مع أحد مسؤولي الحزب الديمقراطي الكوردستاني ليستمع منه مباشرةً عما جرى في حلبجة، وبعد أن شغل جهاز التسجيل ابتدأ حديثه بأسلوب شيق عن كيفية معرفته لما جرى لحلبجة الجريحة حيث قال الصحفي الياباني: في ربيع عام ١٩٩١ وبالتحديد في شهر آذار من العام نفسه وبناءً على توصية من السفارة اليابانية في بغداد جئت إلى بغداد مع مصور صحفي من الوكالة العامة الصحفية برفقة المراسل العسكري للوكالة نفسها لتغطية الآثار التي تركتها (اتفاقية صفوان) بين ممثلي القيادة العسكرية الأمريكية المتحالفة المنتصرة وبين ممثلي الجيش العراقي المهزوم آنذاك وبالصدفة زاملني صحفي من وكالة (أنتر تاس) الروسية وفي أحدى الليالي وعلى ضوء نور الشموع ونحن نحتسي الشاي الأخضر الذي كنت أحمل منه مقداراً بحدود (الكيلوغرام الواحد) داخل أكياس صغيرة معبئة حيث كان زميلي الصحفي الروسي يتناوله بعد أن كان يحتسي مقداراً من مشروب الفودكا المعبأ داخل علبة معدنية وإذا به يخبرني عن قصة شعب آخر غير العرب يعيشون في الجبال وعلى أطراف الجبال من

منطقة تسمى بـ(كوردستان) وأنهم نالوا يوماً حكماً ذاتياً في بداية عقد السبعينات في القرن الماضي تحت قيادة زعيمهم الراحل مصطفى البارزاني وأن بلادهم غنية بالنفط وأبناءه مقاتلون جيدون وأنهم ثاروا بشكل جماعي من جديد في أعقاب انسحاب العراق من الكويت ونزلوا من قمم الجبال وحرروا مدنهم ولكنهم خذلوا من قبل الأمريكان وأنحسر نشاطهم على أطراف الجبال في ذلك الوقت وإن لهم قضية مشتركة مع اليابانيين وهي ضرب أحدى مدنهم وتسمى (حلبجة) من قبل الحكومة العراقية بالسلاح المحرم دولياً حيث ذهب ضحيتها عدة آلاف من الناس المدنيين وحال سماعي لتلك الجمل (والكلام للصحفي الياباني) أخذتني الرغبة الملحة في سماع المزيد عن تلك المدينة المنكوبة (حلبجة) ولم يستطع زميلي الروسي منحي المزيد من المعلومات عنها وكان يكتفي بجمل وعبارات محددة كـ(شعب مقاتل، السلاح الكيماوي، التحرري عن هذه المسألة غير مسموح به إطلاقاً في العراق ستعرف المزيد عن هذه المدينة المنكوبة عندما تتحرى عنها خارج العراق) وهكذا وبعد عودتي إلى بلادي زادت بي الرغبة لمعرفة الكثير وقد تسنى لي ولحسن الحظ الدخول إلى بلادكم عن طريق تركيا عام ١٩٩٣ مع هيئة طبية كانت مختصة بطريقة تعليم (التخدير الطبي) في أحدى المستشفيات الفقيرة في عاصمة بلادكم أربيل حيث زرت مدينة حلبجة وبعد سماعي تراجيديا نكبتها تذكرت هيروشيما حيث أزيلت عنها بعد عقود أثار الضربة الذرية ولكننا لازلنا نحمل انطباعا غير ودي تجاه أمريكا رغم علمنا بمبررات قيام أمريكا بالضربة لدولة كاليابان حيث كانت المقاومة العسكرية لدى القيادة العسكرية اليابانية أخرت إنهاء الحرب وفواجعها وآثارها التدميرية بالنسبة للبشرية جمعاء ولكنني ولحد اليوم أستغرب شديد الاستغراب قيام القيادة العراقية السابقة بقصف مدينة داخل بلادها بالسلاح الكيماوي ولقد شرح لي أحد الأطباء من المركز الصحي لمدينة حلبجة دوافع صدام حسين الفاشي بشن تلك الهجمة الوحشية وأنا مستغرب ولكن استغرابي قد أزداد عندما رأيت الكورد يتجهون إلى بغداد ويفتحون المقرات هنا وهناك وكأن قضيتهم الأولى هي التمركز في بغداد و ليس مداواة جراح بلادهم وشعبهم.

كانت (محاضرة) الصحفي الياباني قد أثارت استغرابي وحاولت قدر المستطاع شرح أبعاد ودوافع وتأريخ تواجد الكورد في بغداد فقلت له:

الكورد وبغداد توأمان ولقد ساهمنا في بنائها عندما شرع الخليفة أبو جعفر المنصور بالبناء حيث كنا قد دخلنا الإسلام قبلاً مع شعوب المنطقة من غير العرب وضحينا بالكثير في سبيل نصرة الدين الجديد ولكننا خسرنا الكثير.

نقر ونؤمن بأن الإسلام جاء لإنقاذ البشرية من الجهل وبشر بالعدالة وبالمساواة والأكرم منا عند الله هو المتقي ولا فرق بين العرب وغير العرب من الداخلين في الدين الجديد (وأن رأس الحكمة مخافة الله) ولكننا قد خسرنا الكثير بعد أن أدخل الأمويون الفكر القومي العروبي في ممارستهم للسلطة الدينية وهكذا إلى أن انتقلت الخلافة إلى العثمانيين الأتراك والذين حكمونا وغيرنا لمدة خمسة قرون بعقلية بعيدة عن روح الإسلام العظيم، وأن تواجد الكورد في بغداد منذ التأسيس ولحد الآن لم يخل من الصعوبات وإن كانوا ومازالوا يشكلون قوة بشرية اقتصادية سياسية اجتماعية لا يمكن الاستهانة بها وأن تضررت وخسرت الكثير من المواقع المهمة ومن كافة النواحي في عهد طاغية التأريخ صدام حسين وأن فتح المقرات من قبل الأحزاب الكوردستانية لم يكن وليدة يومنا هذا فلقد تأسست الأحزاب الكوردية منذ ثلاثينات القرن الماضي في بغداد وزاولت نشاطاتها السرية والعلنية فيها، هنا قاطعني الصحفي الياباني بسؤاله: ما مدى فرصة نجاحكم بعد انفراط عقد الحكم الشمولي المركزي في العراق وهل هنالك قوى سياسية عربية كبيرة تتحكم بالساحة السياسية تتفهم وضعكم ومدى الغبن الذي لحق بكم وكان آخرها ضربكم بالسلاح الكيماوي.

فأجبته: فيما يتعلق بمدى نجاحنا في هذه المرحلة الجديدة هنالك متغيرات وهنالك ثوابت في الساحة السياسية فالثوابت في السياسة كانت محكومة لعامل أساسي هو إن القوى القومية التي كان البعث يتحكم بـ(عقدة عروبة العراق) قد ساهمت بتحريف أفكار أحزاب قومية سابقة في العهد الملكي كالاستقلال ونادي التضامن والمجاميع القومية التي كانت موجودة هنا وهناك تحت مسميات مختلفة لمصلحته والذي أستطاع الولوج إلى داخل أفكار بعض الرموز القومية، وهنالك قوى جديدة اصطفت مع هذه الأفكار ومفادها إن العراق جزء من الأمة العربية وإن أية محاولة لحل القضية الكوردية

ستجابه بمشاكل عدة خارجية كانت أم داخلية وكلها تصب في خانة واحدة وهي الخوف مما يسمى (بالانفصال) وإن رد الكورد على هذا الخوف يتمثل في نقطتين.

الأولى: إن اعتبار العراق جزء من الأمة العربية يعني مسح القومية الكوردية من التركيبة العراقية واعتبار جميع العراقيين عرباً وهذا مخالف للواقع وإذا كان القسم العربي من العراق جزءاً من الأمة العربية دون إدخال الكورد في المعادلة العراقية ذات النسبة (والهوية العربية) فهنا من حق الكورد الانفصال عن كيان مصطنع تأسس بفعل تطبيق السياسة الاستعمارية لمرحلة ما بعد الحرب العالمية الأولى وبمباركة فتاوي الدول الكبرى المنتصرة في الحرب المتمثلة باتفاقية سايكس – بيكو وتأييد عصبة الأمم وفق قرارات معلنة، وأما الاعتراف له بشراكة الكورد والعرب وسائر القوميات الأخرى من تركيبة العراق أرضاً وشعباً وما يترتب على ذلك من المشاركة الفعلية للحكم وعلى كافة المستويات وفي أعلى المراكز وهذا مما نرجوه ونتمنى أن يتوصل الجميع إلى هذه الحقيقة.

والثانية: إذا كانت النية تتجه نحو استمرار المبدأ السابق أي المبدأ الذي سار عليه جميع الحكام منذ تأسيس الدولة العراقية الحديثة وإلى يومنا هذا باختلاف النظم والحكام واعتبار العرب هم الأصحاب الحقيقيين للعراق وأن التأريخ والجغرافيا تفرض على غير العرب من العراقيين الإقرار بذلك فهنا من حق الكورد العمل والنضال منذ اليوم للحصول على أيجاد أو تأسيس كيان سياسي وبأي طريقة كانت.

وهنا سألني الصحفي الياباني: ما هي الصعوبات التي تقف في وجه تشكيل كيان كوردي؟.

فأجبته بأن المصالح أولاً والمصالح ثانياً والمصالح ثالثاً، فالدول الكبرى لا تقر بما أريده أنا هي تقر دائماً بما تريده هي وفق مصالحها فقط!.

كان جو الغرفة حاراً أثناء حديثي مع الصحفي الياباني نتيجة انقطاع التيار الكهربائي في بغداد آنذاك وعدم كفاءة المولدة الكهربائية الموجودة في البناية لتشغيل أجهزة التبريد ماعدا بعض المراوح السقفية، وما زاد من حرارة الغرفة ذلك الحوار الطويل بين الصحفي الياباني وبيني وتواعدنا على اللقاء في كوردستان في وقت لاحق

لأنه كان يفكر في أعداد موضوع عن الكورد وكوردستان باللغة اليابانية لأكاديمية الصحافة في طوكيو.

بعد توديعي للصحفي الياباني عند الباب الخارجي لمقر الفرع الخامس للحزب الديمقراطي الكوردستاني حدت بي الرغبة زيارة منطقة (السباق القديم) في كمب سارة القريب من نادي المشرق حيث قضيت زهاء ثلاث سنوات ونصف (١٩٧٠ – ١٩٧٣) في منزل بجانب النادي الآثوري الرياضي والذي كان يعود إلى رجل آثوري يدعى سامي (وهو والد اللاعب الآشوري المشهور كَلبرت) حيث أصبحنا أنا وزميلي جلال خوشناو كأحد أفراد العائلة وكانوا يحبوننا كثيراً وعندما كان المرحوم سامي يدخل علينا في غرفتنا أثناء تواجدنا فيها وكنا نعلق على أحد جدرانها صورة للبارزاني. كان يقف أمام الصورة ويأخذ التحية احتراما وحباً لصاحبها ومرة سألنا عن الأسباب الكامنة لحبه للبارزاني فقال ما نصه: (أثناء ثورته عام ١٩٤٣ (وكان يقصد ثورة بارزان الثانية ١٩٤٣ – ١٩٤٥) كنت شرطياً ضمن قوة الشرطة الخيالة النظامية وفي أحد أيام الشتاء من عام ١٩٤٣ تحركنا برفقة مجموعة من الشرطة الخيالة وشرطة المشاة والشرطة غير النظامية بحدود ثلاثون شخصاً حيث كان يقودنا معاون ومفوض للشرطة وعند وصولنا إلى موقع (سري بردي) اصطدمنا برجال البارزاني وبعد زهاء ثلاث ساعات من القتال قتل من قوتنا أربعة أو خمسة من الشرطة النظامية مع المفوض وهرب المعاون مع الشرطة غير النظامية ووقعت أنا وعشرة من الشرطة في الأسر حيث تم اقتيادنا إلى كهف جبلي على بعد مسافة خمس ساعات مشياً على الأقدام وقد كنا منهوكي القوى ومذعورين لا حول لنا ولا قوة وبحلول المساء حيث كان المطر ينزل بغزارة وعلى حين غرة داخل زهاء عشرة رجال مسلحين الكهف وكان يقودهم رجل ذو طلعة مهيبة وكان يحمل بندقية من نوع (برنو) وكانت عيونه تشع رجولة وشجاعة وألقى علينا السلام وجلس على الأرض قبالتنا بينما كان رجاله واقفين بالمرصاد من جهة الكهف وبدأ كلامه بالكوردية قائلاً: (نتأسف للدم الذي أريق هذا اليوم من جسم الأبرياء من أمثالكم، المأمور معذور، أنتم معذورون، اللوم يقع على المسؤولين في بغداد، لا نريد أكثر من حقوق بسيطة، الله سبحانه عز وجل خلقنا شعوباً وقبائل وكلنا من عباد الله ولكن حق الدفاع مقدس عن ديارنا ووطننا، الحكومة هي

التي تقصفنا بالطائرات وترسل القوات النظامية وغير النظامية لمقاتلتنا في عقر دارنا لمجرد مطالبتنا بحقوقنا القومية، أطمأنوا سنطلق سراحكم غداً أو بعد غدٍ بعد أن يكون الطريق سالكاً وستعودون إلى بيوتكم، كونوا رجالاً ولا تقوموا بأعمال تؤذي النساء والأطفال مستقبلاً وبلغوا معاون شرطة مخفركم أن الحظ ساعده بالهرب من ميدان المعركة هذه المرة وإذا لم يكف عن أعماله الطائشة وتجاوز حدود واجباته سنؤدبه مرة أخرى) وعندما أنهى الرجل كلامه أوعز لرجاله بتوزيع بعض السكائر من نوع (المزبن) وبعض أرغفة الخبز حيث حصل كل واحد منا على ثلاثة أو أربعة منها كانت وكأنها قد نزلت علينا من السماء ولم أذق طوال حياتي خبزاً أشهى وألذ منها. وهكذا قضينا خمسة أيام مع حراسنا الجبليين داخل الكهف إلى أن جاءهم الإيعاز بترك سبيلنا وعودتنا عن طريق (بادليان) إلى منطقة ديانا (والكلام مازال للعم سامي) وعند عودتي إلى منطقة الحبانية حيث مسكني طلبت التسريح من سلك الشرطة وتحقق ما أردته وانتقلت إلى بغداد ثم إلى كركوك وتم تعييني (كمساعد مشغل كهربائي) في شركة نفط العراق (I.P.C) ومنذ ذلك الحين فقدت أثر البارزاني حتى ظهوره علناً في فندق سميراميس الواقع في منطقة (السنك) ببغداد حيث عرفت عن طريق المهندس الأرمني (كَربيت) والذي كان زميلاً لي في الشركة بعد ثورة ١٤/تموز/١٩٥٨ بعودة البارزاني من روسيا واتفقنا نحن الثلاثة أنا و(كَربيت) ومعاون مهندس آخر أسمه فاروجان وكان هو من الأرمن سافرنا إلى بغداد في عطلة نهاية الأسبوع وعن طريق أحد أصدقاء فاروجان الذي كان من الكورد توجهنا إلى فندق سميراميس حيث لم يطل انتظارنا أكثر من نصف ساعة وإذا بنا أمام رجل بزي أوروبي حسن الهندام وكان لطيفاً فحيانا وجلس على أحد الكراسي وسألنا عن أحوالنا وعن أعمالنا وعندما عرف بانتماءاتنا القومية زاد من الترحيب بنا وبعد مرور بعض الوقت ذكرته بحادثة أسري في سيدكان قبل خمسة عشرة عاماً من ذلك الوقت ورؤيتي له في الكهف الجبلي حيث تذكر الحادثة وأسم معاون الشرطة الذي كان يعبث بأمن المنطقة وتمنى أن يسود السلام والطمانية والأخوة الصادقة بين أبناء الشعب العراقي. كان العم سامي يتباهى دائماً برؤيته للبارزاني مرتين في حياته مرة عندما وقع في أسر رجاله وأخرى أثناء زيارته له في فندق سميراميس ببغداد ولم يكف عن عادته بأخذ التحية لصورته كلما دخل غرفتنا حتى

وفاته في شهر تشرين الثاني عام ١٩٧٣ ثم هاجرت عائلته من بعده إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

لم تكن معالم المنطقة التي كنت أسكنها قبل منتصف السبعينات أيام العم سامي واضحة حيث كانت العمارات قد حلت مكان البيوت ذات الحدائق الأمامية والمطلة على الشارع العام ولم أجد أثراً لمكتبة العم (حنا نانو) المجاور لمسكن العم سامي الذي كان هو أيضاً يتباهى عندما كنا نجلس في مكتبته كونه كان ميكانيكيا في معمل النسيج الصوفي والذي كان يسميه (بمعمل الوصي) وكان شديد الإعجاب بالعائلة المالكة والحكم الملكي وكثير الاحترام لذكرى نوري السعيد والذي كان يردد دائماً أسمه بـ(نوري باشا) وكان كثير الكره للبعث وحكمهم وأساليبهم الدموية وكان رحمه الله كثيراً ما يحذرنا منهم وعندما زرته يوماً عام ١٩٧٧ بعد النكسة التي حلت بثورة أيلول الكبرى اثر اتفاقية الجزائر الخيانية رحب بي كثيراً وأخذني إلى الصالون الداخلي حيث كانت زوجته (أم سلمان) تتفرج على التلفزيون واندهشت لرؤيتي في بغداد ثانية بعد تلك الأحداث وعندما عرفا بأن زيارتي لبغداد جاءت لزيارة أهل زوجتي فيها أصبحا مرتاحين لكوني قد عدت سالماً، وبعد تناول الغداء معهم نصحني كثيراً بعدم التجوال لوحدي لكونهم أي البعثيين على حد قوله (ناس لا توجد ذرة من الرحمة في قلوبهم) وأنهم يكرهون الكورد إلى أقصى درجة) كانت المنطقة التي كنت أسكنها سابقاً أي في أعوام السبعينات قد تغيرت كلياً حيث لم يبق أثر للدار التي كنا نسكنها أنا وزميلي ولم أجد مكتبة حنا نانو ولا داره التي كانت لمساته الفنية بارزة من الباب وحتى غرفة المخزن وعندما أدرت وجهي صوب ناحية (كَص ومطعم المشرق سابقاً) قد تحول إلى ثلاثة محلات لبيع إطارات وكماليات السيارات وحاولت جاهداً العثور على أحد معارفنا من أصحاب المحلات كـ(أبو باسل) صاحب محل بيع المواد الغذائية أو (صباح) صاحب محل بيع المشروبات الروحية وعندما دخلت المحل وجدت رجلاً بديناً يبلغ السبعين من العمر جالساً على كرسي خشبي عريض نوعاً ما وفي أول وهلة وبعد إلقاء السلام استقرت عيني على سعر أحد تشكيلات الناركيلة والتي كانت موضوعة على الرف المقابل للرجل صاحب المحل وساومته على سعرها بحيث لم يتوقع أن أحدد له هذا السعر وقال لي وهو يهم بأخذ نفس من الناركيلة التي

كانت أمامه (أخي هذا السعر مال قبل ثلاثين سنة) أستغرب الرجل من كلامي وعدل من جلسته وسألني (هل أنت كوردي..؟ فقلت له نعم وكيف عرفت ذلك؟ فأجابني بقوله أخي لهجتك ظاهرة للعيان ودعاني للجلوس على (الستول) الذي كان موجوداً في أحد أركان المحل ودار بيننا حوار شيق أستغرق زهاء ساعة على النحو التالي:

صاحب المحل: أهلاً بالأخ تفضل أستريح هل هناك خدمة نقدمها لكم..؟ أنكم من الشمال وأنا كذلك فوالدي الله يرحمه كان قد نزح من قرية (بيرسفي) في قضاء زاخو نهاية الأربعينات، ما هي أخبار الشمال؟ يقولون إنها جيدة فقد كنا نعرف الكثير عن طريق الأقارب والأصدقاء أهلاً بالشمال وأهل الشمال

فسألته: الاسم بالخير؟

صاحب المحل: أبو جورج، وأسم الأخ؟

إسمي فرهاد.

أبو جورج: تبين لي أنكم تستفسرون عن شيءٍ ما هنا تفضلوا أي خدمة؟

كان الرجل مهذباً ومجاملاً للغاية وعرض عليّ أثناء كلامه تقديم الناركيلة لي فشكرته وقلت له:

في بداية السبعينات كنت أسكن هذا المنزل (حيث أشرت بيدي إلى المنزل الذي كنا نسكنه مع العم أبو سامي) وكان جارنا حنا نانو والخياطة (ماريا) ومحلك الذي كان عائداً لصباح حيث كان محلاً لبيع المشروبات الروحية، ماذا حل بهم؟ أين ذهبوا؟ المنطقة تغيرت كلياً وماذا بشأن أبو غسان جارنا الآخر الذي كان مسكنه يعود إلى الكنيسة لقد اشتقت إليهم وإلى المنطقة وجئت مستفسراً عنهم فلم أجد أحداً إلى أن اهتديت إليك لعلي أعلم عن أخبارهم شيئاً..؟

أبو جورج: يا أخ فرهاد لم يبق احد من الذين ذكرتهم فبعضهم هاجر إلى خارج العراق وآخرون انتقلوا إلى العالم الآخر فأبو غسان توفاه الله في بداية التسعينات و(صباح) صاحب محلي السابق هاجر إلى أستراليا قبل اندلاع الحرب مع إيران وأما حنا نانو وزوجته (أم سلمان) فقد توفيا خلال أسبوع واحد عام ١٩٩٣ وانتقلت كافة ممتلكات حنا إلى أولاد شقيقه حيث قاموا ببيع جميع ما ورثوه من عمهم بثمن بخس لأنهم هاجروا أيضاً إلى أمريكا حيث استقروا في ولاية ديترويت وأما عن قصة هذا

المحل فبعد أن باعه صباح أشتراه أحد أقاربه ولم يمكث فيه طويلاً حيث اشتريته أنا عام ١٩٨٣ وحولته إلى محل لبيع المواد الكهربائية وقبل ثلاث سنوات حولته إلى محل لبيع تشكيلات النارکَيلة بسبب سوقها الرائج.

فسألته مرة أخرى: وماذا بشأن (ماريا) الخياطة التي كانت شهرتها قد تجاوزت منطقة كمب سارة وتل محمد حيث كانت زبوناتها ينتظرن دورهن لشهر أو شهرين من أجل خياطة بدلة أو قميص..؟

أبو جورج: لم أتصور منذ البداية أن أحداً قد مكث في هذه المنطقة قبل ما يزيد عن الثلاثين سنة يتذكر كل هذه التفاصيل فقصة (ماريا) لم تزل ساخنة إلى يومنا هذا ففي أثناء غزو (صاحبنا) للكويت وانسحابه منها مرت بغداد وكذلك المحافظات بظروف قاسية منها انعدام الأمن والكهرباء في الأيام والأسابيع التي أعقبت الانسحاب وكانت الحكومة تتخوف من اندلاع الانتفاضة في بغداد أيضاً وكان أزلام النظام وأفراد أجهزته القمعية يتحركون هنا وهناك كالكلاب المسعورة وقد حاول أحدهم وكان ضابطاً برتبة نقيب ويسكن منطقة المشتل ويملك سيارة (كورولا) بيضاء حيث كان يمر في شارعنا ذهاباً وإياباً وقد صادف يوماً أن رأى (ماريا) ذات الحسن والجمال ولم تكن قد تجاوزت الأربعين عاماً من العمر وقد حاول الضابط التحرش بها يوماً عندما كانت واقفة أمام باب مشتلها حيث كانت تسكن مع والدتها المسنة، لم ترضخ المسكينة الابتزاز وعندما تمادى الضابط في تصرفاته بصقت (ماريا) على وجهه، حينئذ سحب الضابط الأرعن مسدسه وأطلق عليها رصاصة أصابتها في رقبتها حيث ماتت في الحال أما الضابط فقد أدعى بأن ماريا الخياطة قد أهانته وأهانت الجيش عندما طلب يدها للزواج بقولها (الفتاة التي تحترم نفسها لن تقبل الزواج من أفراد جيش مهزوم) لكن إرادة ربنا كانت بالمرصاد لهذا المجرم الذي ظل يسرح ويمرح حتى نالت منه شظية صاروخ إحدى طائرات الأمريكان في (الدورة) وحولته إلى أشلاء متناثرة.

وطوال زمن حديثنا لم يدخل أحد محل أبو جورج ليسأل عن سعر حاجة أو يطلب حاجةً ما وأبو جورج لم يكف عن مص النارکَيلة وهو يحدثني عن معارف الأمس وعندما سألته عن مدى تفاؤله بمستقبل العراق بعد سقوط نظام الطاغية تنهد وأخذ نفساً عميقاً من النارکَيلة وكأنه كان يريد إحراق ما تبقى من التبغ المعسول الآخذ

بالتلاشي بفعل الجمرة المشتعلة والتي أزداد وهجها بفعل سحب الدخان من قارورة قاعدة الناركَيلة، ومرت الدقائق وكنت أراقب حركات شفتيه وهو يحرك رأس فتحة المقبض لاستنشاق أكبر كمية من الدخان وعلى حين غرة وضع مقبض الناركَيلة جانباً وزالت سيماء المرح من وجهه وقال لي: في منتصف الخمسينات وعن طريق أحد أصدقائي الذي كان مهندساً في مديرية المساحة العامة ويدعى (بهنام) وقد توفي قبل سنوات بمرض السرطان دخلت تنظيمات الحزب الشيوعي العراقي، في عام ١٩٥٧ ألقي القبض عليّ بعد اعتراف مسؤولي الحزبي أثر التعذيب الذي تعرض له وحُكمت مدة سنتين ودخلت السجن بعقوبة وفي عام ١٩٦٣ وللمرة الثانية تم إلقاء القبض عليّ من قبل الحرس القومي بعد انقلاب ٨ شباط المشؤوم وبقيت ثلاثة أعوام في سجن (نقرة السلمان) ولم أشعر بالتعاسة واليأس كما أشعر بها اليوم ربما تستغرب كلامي ولكن وأنا على أعتاب السبعين من العمر وقد عشت في بغداد أكثر من نصف قرن، لم أر يوماً أو زمناً أتعس من هذه الأيام، كانت بغداد مدينة السلام وقبلة المثقفين وأمل السياسيين وكانت حقاً مدينة جذابة بتراثها وتأريخها وأكلاتها وتنوع الناس الذين يعيشون فيها، صحيح أن البعثيين زرعوا في الأرض فساداً وحاولوا القضاء على كل ما هو جميل ونظيف وشريف وعفيف ك(ماريا) الخياطة ولكن بالمقابل كانت الروح الوطنية الأصيلة مترسخة في وجدان الأكثرية ولكن ماذا حل بهذه الأكثرية التي كانت تقاوم بطريقة سلبية مأرب البعثيين؟

وبعد سقوط الطاغية لم يعد للأشياء الجميلة حيزاً في تفكيرنا فأصبحنا نتأقلم مع ظاهرة السلب والنهب، ومن أجل سيارة قديمة ومستهلكة تزهق روح إنسان علناً، السرقة أصبحت عادة لا تقاوم، لم يعد الارتباط الوطني حزام جمع المواطنين وحتى المفاهيم الوطنية لم تعد كالسابق به تجذب المواطن أو تخلق له حصانة ضد الانحراف فدكاكين الساسة وعلى كثرتها لم تمنع سماسرة التجارة من بيع حتى الأسلاك الكهربائية المدفونة تحت التراب والتي تسبب نشر الظلام، لم تعد السلع الكهربائية مقلدة، المواد الغذائية المعلبة مغشوشة الأدوية والمواد الطبية مغشوشة، وبالتالي علاقتنا لم يعد لها سحرها وجاذبيتها وجمالها الجذاب الذي كان مصدر تألقها بعد أن

دخلت الشوائب في مياهنا والأشياء المقلدة المستنسخة بيوتنا والمفاهيم والأفكار الخاطئة عقولنا؟!.

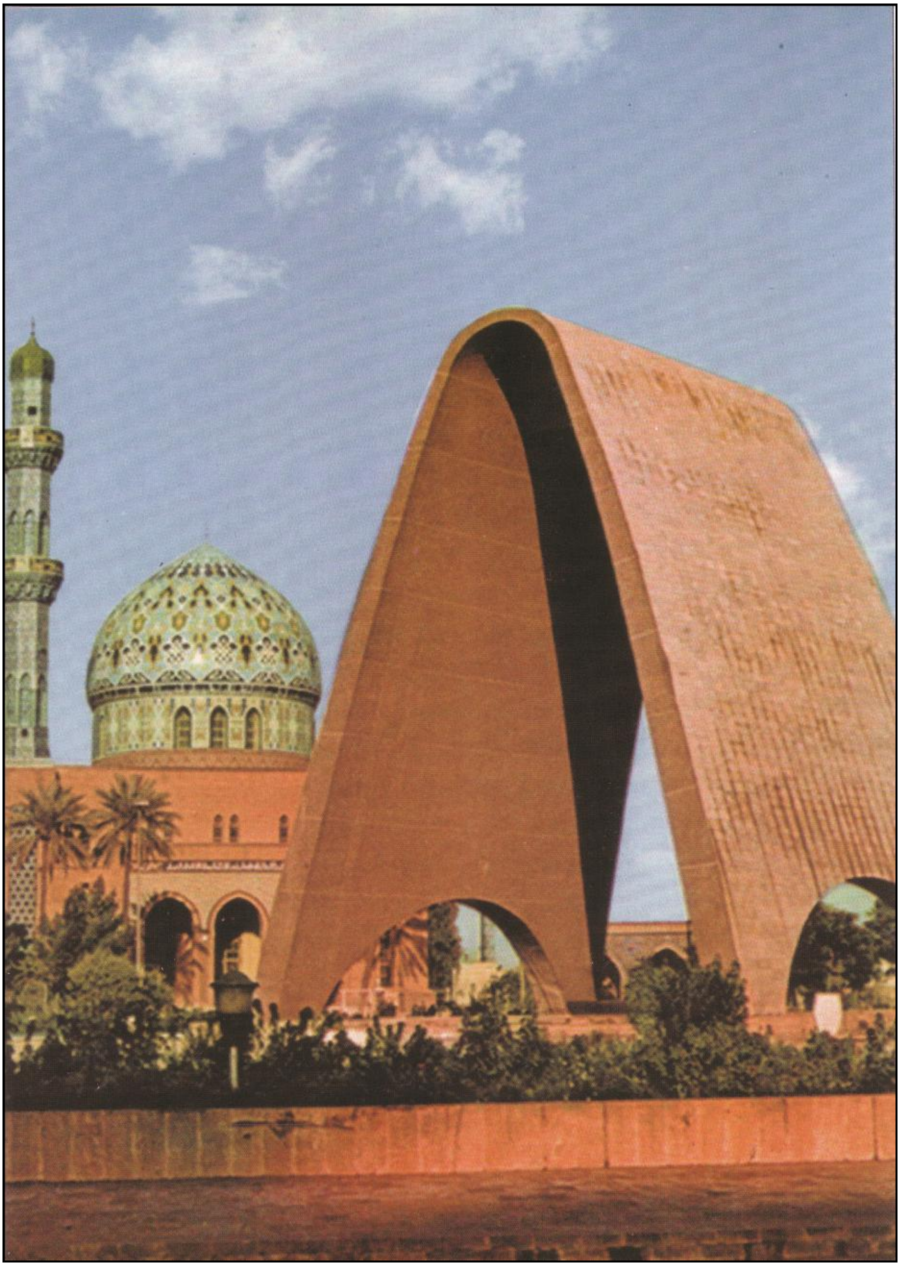

بغداد الأمس، نصب الجندي المجهول الذي صممه المعماري رفعت الجادرجي

بعد انتصار ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨

بغداد اليوم، دمار وخراب وسيارات مفخخة وأحزمة ناسفة تقتل الناس بالمآت

بين موقف (ناحوم) ومنطق (هويدي)!(*)

ربما كان (ناحوم) ذلك الرجل اليهودي الكوردستاني والذي كان يعيش مع أبناء طائفته أو أبناء شعبه في مدينة كويسنجق مع العشرات أو المئات من العوائل اليهودية والتي كانت تسكن محلة (هواو) مع العوائل المسيحية الكلدانية وبجوارهم غالبية الكورد المسلمين في وئام وصفاء تامين دون أن يعكر شيءٍ ما في مزاجهم أو تآلفهم الطبيعي حيث توارثوا عن آبائهم وأجدادهم العيش معاً يتقاسمون الحلو والمر ويجابهون المصائب والمصاعب ويتبادلون العواطف والأكلات الفولكلورية في أماسي فصول معينة أو في صباحات الأعياد الدينية أو القومية وكان صاحبنا (ناحوم) وهو معتز بيهوديته وكوردستانيته كونه مواطناً ولد وترعرع وشاب في بقعة من كوردستان وهي مدينة كويسنجق والتي كان يوجد فيها جوامع للمسلمين وكنيسة للمسيحيين وديار لليهود وكلٌ منهم يعظم دينه وغارق فيه دون أن يفكر أحد التجاوز ولو من باب المزاح على معتقدات الآخرين وكان حدود حرية الفرد ينتهي عند حدود حرية الآخرين حيث كان ذلك بمثابة قانون سماوي يقتدي به.

في ذلك الزمن أيام العهد الملكي وبالتحديد في أوائل عقد الخمسينات كان اليهودي (ناحوم) قريباً بأفكاره من الحزب الديمقراطي الكوردستاني والذي تم تأسيسه قبل أربع سنوات في ذلك التأريخ حيث كانت اللجنة المحلية للحزب الديمقراطي الكوردستاني في مدينة كويسنجق من أنشط اللجان وكان عدد ومن نشطاء الحزب بمستوى أعضاء المكتب السياسي واللجنة المركزية وهم كلٌ من المرحوم عمر مصطفى المشهور بـ(عمر دبابة) والمرحوم كريم توفيق والمرحوم محمد أمين معروف والمرحوم عمر حبيب والأستاذ علي عبدالله نائب رئيس الحزب الديمقراطي الكوردستاني وعضو مكتبه السياسي منذ أكثر من نصف قرن، كلهم من مدينة

(*) نشر في جريدة (كوردستان اليوم) العدد ٦، في كانون الأول ٢٠٠٣.

كويسنجق بالإضافة إلى العشرات من مناضلي هذا الحزب والحزب الشيوعي العراقي والذين تبوءوا المراكز الحزبية أو الوظيفية من أبناء هذه المدينة التي حولها النظام الفاشي إلى قرية مهددة بالترحيل في أواخر الثمانينات لولا حدوث الانتفاضة في ربيع عام ١٩٩١ التي غيرت موازين القوى وتحررت كويسنجق كغيرها من المدن الكوردستانية الأخرى من سيطرة البعث وحكم الطاغية.

في بداية الخمسينات اضطر مناضلان من الحزب الديمقراطي الكوردستاني إلى الاختفاء بعد إعلان الأحكام العرفية وصدور أوامر إلقاء القبض عليهما حيث اختارا قرية (قورته لاس) الواقعة غرب مدينة كويسنجق نظراً لوقوعها في منطقة بعيدة عن أعين الشرطة ولكون آغا القرية المرحوم (ملا فتاح) من المتعاطفين مع أفكار المناضلين المتخفين حيث كان أحدهما الأستاذ علي عبدالله عضو المكتب السياسي آنذاك وثانيهما العم المرحوم (عمر حبيب) وكان من الكوادر المتقدمة كان الأول مهندساً والثاني محامياً وبعد مضي شهور على تواجدهم في قرية (قورتةلاس) دفعتهما الرغبة للعودة إلى كويسنجق سراً لقضاء ليلة أو ليلتين ودون معرفة أحد باستثناء المكلف حزبياً للقيام بمهمة إيصالهما إلى المدينة وخروجهما منها وقد وقع الاختيار على دار اليهودي (ناحوم) ليحلا فيها مدة بقائهما نظراً لكون (ناحوم) بعيد عن شبهات الشرطة وكونه غير كوردي.

وتصادف موعد وصولهما إلى دار (ناحوم) في تلك الليلة حيث أبلغ عصراً بذلك ولكنه (أي ناحوم) كان قد دعا صباح ذلك اليوم نفسه كلٌ من الشقيق الأكبر للأستاذ علي عبدالله المرحوم عمر عبدالله والمرحوم والدي الذي كان يكبر شقيقه المرحوم عمر حبيب بعشر سنوات دون أن يعلم ناحوم بأنه سيستقبل ليلاً مناضلين متخفين عن أنظار الحكومة ولما علم (ناحوم) عصر ذلك اليوم عن طريق المعتمد الحزبي (عبدالرحمن رووته) بأن (علي عبدالله وعمر حبيب) سيحلان ليلاً ضيفين عليه أرتبك في بداية الأمر قليلاً لأنه كان قد دعا صباح ذلك اليوم شقيقي المتخفيين ليكونا ضيفين عليه في تلك الليلة ولكنه تمالك نفسه وأتجه إلى السوق ووجد ضيفيه (عمر عبدالله وعوني حبيب) وأبلغهما بأن زوجته (كورجية) قد أصابها عارض صحي مفاجئ وهذا

ما يمنعه من استقبالهما ليلاً في داره لذا فأنه يعتذر وقال لهما: (حالما تتحسن صحة زوجتي – كورجية – سأكون في خدمتكم والدعوة قائمة).

كان (ناحوم) كما كان يقول لي والدي مراراً حذراً للغاية وذات فراسة جيدة وكان مخلصاً في معتقداته وأنه لم يخبرنا بأن (علي وعمر) سيكونان ضيفين عليه في تلك الليلة حيث كنا مع موعد في بيته تلبية لدعوة عشاء وعندما عاد (علي وعمر) إلى قرية (قورتلاس) وبعد مضي اسبوع على ذلك جدد ناحوم دعوته إلينا بعد أن (تحسنت صحة كورجية) على حد قوله وعندما كنا نتناول الطعام قالت زوجته كورجية دون أن تنتبه لنفسها (يارب أحفظهما كي لا يقعا في أيدي الشرطة)، فقلت لها في الحال: (من تقصدين يا كورجية؟) فقالت دون أن يستطيع (ناحوم) أن يمنعها عن الكلام: (كاكه علي وكاكه عمر) وعندما قلنا لها ولماذا تتذكرينهما الآن؟ وهنا حاولت الامتناع عن الكلام بعد أن غمز ناحوم بإشارة من طرف إحدى عينيه لها ارتباكاً حيث لم نكن نعرف عن القصة شيئاً وعندما لاحظ ناحوم الارتباك قال لنا: (يا جماعة تتذكرون ذلك اليوم عندما كنا على موعد لتناول العشاء في داري وقد بلغتكم عصراً نفس اليوم بأن زوجتي مريضة وإني مضطر إلى تأجيل الدعوة إلى موعد آخر) ولكن في الحقيقة لم يكن التأجيل بسبب مرض زوجتي وكل ما في الأمر أن معتمد البارتي (عبدالرحمن روته) قد أعلمني بأن شقيقيكما (علي وعمر) سوف يحلان ضيفين عليّ ومن باب الحيطة والحذر وحفاظاً على سلامتهما ألفت قصة (مرض زوجتي).

وعندما قلنا له: ألا تدري يا ناحوم بأن (علي) شقيق كاكه عمر وأن الآخر (عمر) هو شقيقي (المقصود عوني حبيب) عندئذ قال لنا ناحوم جملته المشهورة (بأنكم مراقبون وأنتم لا تعرفون وأن معاون الشرطة الذي هو من مدينة الموصل لن يدخر وسعاً للإيقاع بكم وبهما والأحكام العرفية مازالت مفروضة على حالها وأن (الشرطة والإدارة تراقبكم إنهم ثعالب، والثعلب لا يعتمد عليه).

بحلول عام ١٩٥٣ توجه يهود كويسنجق دون رغبتهم أو تحديداً دون رغبة ناحوم وعدد كبير من أصدقاء وأقرباء ومعارف ناحوم في الهجرة إلى إسرائيل وعندما حان وقت الرحيل وشرعوا ببيع ممتلكاتهم المنقولة قال ناحوم لجميع معارفه وأصدقائه الكورد المسلمين (هنالك من يشتري من أمثالكم الشرفاء ما لا نستطيع حمله أو نقله إلى

إسرائيل لكن ثقوا برب العالمين سيأتي يوماً تتركون أغلى الأشياء من الأراضي والأولاد والممتلكات مكرهين مرغمين ولن تجدوا أحداً يذرف دمعة واحدة على ما سيحل بكم لأن حكامكم ذئاب وثعالب).

بعد عقد واحد من الزمن صدقت نبوءة ناحوم بشان الذئاب والثعالب وهذا ما جرى فعلاً عندما سيطر البعثيون عام ١٩٦٣ من خلال انقلابهم الدموي على مقاليد الحكم في العراق وحال سيطرتهم على الأمور شرعوا بـ(نزهتهم الوطنية) على كوردستان على غرار اجتياح موجات من الجراد الجائعة على الحقول الخضراء حيث لم تمر سوى ساعات قليلة وإذا بالحقول الخضراء تتحول إلى أرض بلا زرع وهكذا جعل حملة شعار (الوحدة والحرية والاشتراكية) من كوردستان إسرائيل ثانية لاختبار وطنيتهم وصلابة قوميتهم واشتراكيتهم العربية حيث لم تنج بقعة واحدة في كوردستان إلا وطالتها أياديهم وعملوا فيها مجازر جماعية وإعدامات بالجملة وحرق الحقول وردم العيون بالإضافة إلى زج الألوف من أبناء كوردستان في معتقلاتهم وسجونهم السيئة الصيت كل هذا جرى وأستمر جريانه إلى أن تم اغتيال أطول ثورة في تأريخ الشعب الكوردي وهي (ثورة أيلول الكبرى ١٩٦١ – ١٩٧٥) بمؤامرة دنيئة خيانية على مرأى ومسمع العالم حيث كان عرابها رئيس الجزائر وأحد قادة ثورته الوطنية من أجل التحرير من الاحتلال الفرنسي وهو (هواري بومدين) تلك الثورة التي تغنى بها شعراء كوردستان كما تغنوا ببطولات أحمد بن بيلا وجميلة بوحيرد وجميلة بوعزه.

وكل هذا لم يمنع (بومدين) الثائر من المساهمة في خنق ثورة شعب مجزأ بين أربع دول اثنان منهما الحقت بدولتين عربيتين ولم يكتف القادة العرب (باستثناءات قليلة) بل وزودوا الحكومات العراقية بمختلف المستلزمات اللوجستية والعتاد الحربي وساهم البعض منهم بأموال شعوبهم في إقناع تجار وسماسرة السلاح بتزويد العراق بالأسلحة الفتاكة والمحرم استعمالها دولياً ووصل الأمر بالنظام العراقي إلى قصف مدينة حلبجة الشهيدة ومناطق أخرى من كوردستان بالأسلحة الكيماوية وقد راح ضحية القصف الآلاف من سكانها الآمنين على مرأى ومسمع (الأشقاء العرب) حيث لم تهزهم تلك الفواجع والكوارث الإنسانية، ولم تقم مظاهرة سليمة في أية بقعة من الخليج

إلى المحيط استنكاراً أو احتجاجاً على حرق وهدم آلاف المساجد والمئات من الكنائس وأماكن العبادة في كوردستان خلال حملات الأنفال المقيتة للنفوس البشرية.

وعندما سار زهاء مليونين من أبناء كوردستان العراق نحو الجبال وباتجاه حدود دول الجوار لم يحتج أحد في العالم العربي ولم يعلن صوت واحد استنكاره لما كان يجري في حين قام مئات الآلاف من يهود إسرائيل المنحدرين من مدن وقصبات كوردستان بتظاهراتٍ حاشدة طيلة أسبوع واحد تضامناً مع أناس كانوا يعيشون بين ظهرانيهم قبل منتصف الخمسينات في بلاد كوردستان وقاموا بأوسع حملة لجمع التبرعات لمنكوبي شعب لم يكن له في السابق _أصدقاء سوى الجبال).

بين هذا وذاك لم يكن الكورد منحازين إلى اليهود بقدر مثقال ذرة طيلة الخمسة والخمسين عام أي منذ تشكيل دولة إسرائيل بل دخلت القوى والأحزاب الكوردية في حلبة السباق (اللامعقول) لمناصرة القضية الفلسطينية مما حدا ببعض أبناء الكورد الانخراط في صفوف أحزاب وحركات فلسطينية ومحاربة إسرائيل عن قناعة ومبدأ، وعندما يثار هنا وهناك موضوع علاقة الكورد مع إسرائيل واتهام الكورد بتلقي المساعدات الطبية والإنسانية إبان مرحلة من مراحل ثورة أيلول الكبرى أشبه بانتقاد موقف شاة إن لم تشكر القصاب في تلك اللحظات وهو يلوح بسكينه الحاد جداً إيذانا بموعد ذبحها، عجبي أمر هؤلاء وهم يشاهدون مسرحية تبدأ فصولها وفق هذه (السياقات، **المشهد الأول:** مجموعة تمثل شعبٍ ما وهي تطالب السلطان بحقوقها المشروعة.

المشهد الثاني: تلبية تلك المطالب المشروعة يقوم السلطان بإصدار أوامر إعدام بحق تلك المجموعة وإبادة من يمثلونهم وحرق مزارعهم وبيوتهم.

المشهد الثالث: تشاهد مجاميع من المتفرجين بعضها ساكت وبعضها تأخذهم الحمية القومية وتطالب بالمزيد الإعدامات وحرق الأخضر واليابس.

المشهد الرابع: يشاهد من نقطة أبعد من مجموعة المتفرجين أناس يدعون الرب لينقذ الأبرياء من المجموعة الأولى ومن يمثلهم ويعلنون استعدادهم بمديد المساعد لهم وإنقاذهم من المصير المحتوم.

المشهد الخامس: تأخذ (الحمية) مجاميع المتفرجين وهم يهتفون (اعدم، احرق، اهدم)، هؤلاء لديهم نية بخلق إسرائيل ثانية في أرض العرب).

هذه المشاهد تجري أمام عيوننا ولقد عاصرنا أحداث تلك (المسرحية اللامعقولة) وعاصرها كذلك الملايين من أبناء الأمة العربية ولكنهم (وباستثناءات قليلة جداً) لم يحركوا ساكناً وعندما يلوح أحد بالخطر الإسرائيلي أو عندما تكتب أحدى الصحف في أقاصي الدنيا موضوعاً عن العراق واحتمال تجزئته أو حينما تثير شركة تجارية موضوعاً عن تدفق السلع الإسرائيلية إلى العراق من باب المنافسة تنبري أقلام بعض الكتاب كالكاتب المصري (فهمي هويدي) الذي كتب مقالته الاستنكارية في جريدة (الشرق الأوسط) بعددها (.....) الصادر يوم (.....) وتحت عنوان (وحدها تركيا احتجت على تمدد إسرائيل في شمال العراق والعرب صامتون، احتلال إسرائيلي ثان يجتاح العراق ويهدد الأمن العربي، حيث كتب ما يلي: (لا يستطيع المرء أن يخفي شعوره بالدهشة والخجل حينما يقرأ أن تركيا حذرت إسرائيل من العمل في شمال العراق بينما سكت العالم العربي بأسره وكأن الأمر لا يعنيه)، أن التحذير تحدثت عنه صحيفة (يديعوت احرنوت) في العدد (٢١/١٠) على خلفية الأنباء التي ذكرت أن مبعوثين إسرائيليين وصلوا إلى المنطقة الكوردية وبدأوا مفاوضات مع الأهالي لشراء قطع أراضي غنية بالنفط في منطقة الموصل بوجه خاص.

كانت وسائل الإعلام التركية هي التي أثارت الموضوع خلال الأسابيع الأخيرة بعدما كشفت صحيفة (اشكام) النقاب عن أن المخابرات التركية في شمال العراق رصدت وصول الإسرائيليين إلى منطقة الموصل وتابعت مفاوضاتهم مع بعض الشخصيات الكوردية لشراء مساحات من الأراضي التي عرف أنها غنية بالنفط.

إلى هنا ما قاله فهمي هويدي في مقاله إذ يعكس مدى التخبط الذي وقع فيه ويريد افتعال أمرها ليظهر بمظهر الحريص على (عروبة العراق) ولكن وفي فترة لاحقة من مقاله المذكور يحاول التجني على الحقائق وإثارة نزعة التطرف وخلق العداوة بين العرب والكورد ناهيك عن إثارة غريزة الانتقام وتعميق الشعور بالمهانة لدى العرب بسبب مسؤولية الكورد في دعوة الإسرائيليين إلى العراق وخصوصاً إلى المنطقة الكوردية حيث يقول:

(وجود إسرائيل في العراق ليس أمراً سهلاً وسعيها لشراء أراض في المنطقة الكوردية في الشمال مغامرة كبرى ذلك إن الأمر إذا كان مقبولاً أمريكياً، أو من جانب بعض أعضاء المجلس الانتقالي ومن لف لفهم من أصحاب المصالح فأن الأمر له حسابات مغايرة تماماً في الشارع العراقي وعند الحد الأدنى فأن من شأنه أن يعمق الشعور بالمهانة والغضب، فضلاً عن أنه سوف يضاعف من حجم التوتر الكوردي العربي – الأمر الذي ستكون له عواقب وخيمة في المستقبل وفي هذا وذاك فأن الاختراق الإسرائيلي سيضيف الغاما جديدة إلى عناصر التفجير الكامنة في العراق).

هنا لابد من مناقشة كاتب المقال (فهمي هويدي) سطراً فسطراً نظراً لما يحتويه المقال من مجموعة افتراءات رخيصة بحق الكورد والعراقيين وقادتهم وأنه يحاول زوراً خلال نشره لتلك السموم أن يقدم نفسه كونه أشد حرصاً من العراقيين على وطنهم ناسياً أو أنه يحاول أن يتغابى أو يتناسى بأن المصالح والنفوذ والاقتصاد الإسرائيلي قد دخل بلاده (بلاد فهمي هويدي) من أوسع أبوابه قبل أي مكان آخر وأن العلم الإسرائيلي يرفرف منذ أكثر من عقدين فوق أحدى مباني عاصمة بلاده وأن مثقفين وكتاب كبار من بلاد فهمي هويدي باركوا هذه العلاقة بعد (مقاطعة ظالمة) بينهم وبين إسرائيل وقد زاره (الكبار) من بلده تلك (الدولة اللقيطة) المهددة يوماً (بإلقائها في البحر) ولكن ما يذرفه فهمي هويدي من دموع لا يتعدى (دموع التماسيح).

وأن العراقيين هم بالأساس المعنيين بمصالحهم وبمستقبلهم ومثلهم مثل أهل مكة الذين هم أدرى بشعابها.

أما فيما يخص الكورد فالأحرى بفهمي هويدي ومن على شاكلته (وهم كثيرون) إن لا يقتربون من الكورد وأن لا يمسوهم بسوء وعليه أن يدرك أن التغطية على (عمليات الأنفال) قد ولت وإلى الأبد وأن السكوت عن عمليات التهجير والتبعيث والتعريب سقطت بسقوط أصحابها في مزبلة التأريخ وأما مداحو النظام البائد من كتاب الضبط وشعراء الدجل وممثلي مسارح العار الذين جعلوا من دكتاتور وطاغية التأريخ صدام حسين (المعتصم به) بعد الله سبحانه عز وجل (هؤلاء عندما كان لهم حضور عنده) سقطوا سقطة شنيعة وتلاحقهم لعنات عشرات الألوف من الأبرياء نساءً ورجالاً أطفالاً وشيوخاً الذين دفن القسم الأكبر منهم أحياءً بملابسهم في طول أرض العراق وعرضها.

ولم يكن (ناحوم) ذلك اليهودي الذي أجبر على مغادرة كوردستان إلى إسرائيل عام ١٩٥٣ جاهلاً بما كان يدور حول الكورد وكوردستان وصدق قوله وهو يهم بصعود الباص الخشبي الذي كان يقل عشرين راكباً مع زوجته (كورجية) وسط أجواء عاطفية نابعة عن الشعور والحس الإنساني حينما قال لمودعيه الكورد (ثقوا برب العالمين سيأتي يوم تتركون فيه أغلى الأشياء من الأراضي والأولاد والممتلكات مكرهين مرغمين ولن تجدوا أحداً يذرف دمعة واحدة على ما يحل بكم لأن حكامكم ذئاب وثعالب)!

وأنني على يقين بأن صاحبنا (ناحوم) الذي آوى مناضلين كورد في صفوف الحركة التحررية الكوردستانية في داره يوماً لو كان على قيد الحياة الآن فأنه كان أول الزائرين لكوردستان ومسقط رأسه كويسنجق تلك المدينة العريقة التي كانت على وشك التهجير والترحيل بعدما حولها صدام الفاشي إلى قرية ضمن دائرة المناطق العسكرية محتفظة بالذكريات الطيبة من تعايش الأقوام والديانات المختلفة جنباً إلى جنب في شعابها.

أخيراً لابد من الإشارة إلى الأديب المصري الكبير (صنع الله إبراهيم)وخلال حواره مع جريدة (الزمان) صفحات (ألف ياء) في عددها (١٦٥٤) والصادر يوم ٢٠٠٣/١١/٦ قد أصاب كبد الحقيقة ووضع النقاط على الحروف عندما سئل سؤالاً مفاده: (برغم موقف الأكراد المتعاون مع الأمريكان إلا أنك قمت بزيارة للمناطق الكوردية فما أسباب ذلك؟)

ورداً على السؤال أجاب صنع الله إبراهيم بما يلي: (كانت هناك دعوة من الحزبين الكورديين التابعين للطالباني والبارزاني لزيارة بعض المثقفين العرب وبالفعل ذهبت مع بعض المفكرين اليساريين إلى تلك المناطق لأنني بالفعل متعاطف مع القضية الكوردية لأن الأكراد عانوا من الاضطهاد على مر العصور وشتتوا في أربعة بلاد وأرى أن العرب قد أخطأوا خطأً كبيراً في تعاملهم مع الأكراد ولو كانوا يتفهمون قضيتهم (أي العرب) لما كانوا اندفعوا في علاقتهم تجاه أمريكا وإسرائيل وأرى أن العرب عليهم تدارك خطتهم في تعاملهم مع قضية الأقليات في العالم العربي).

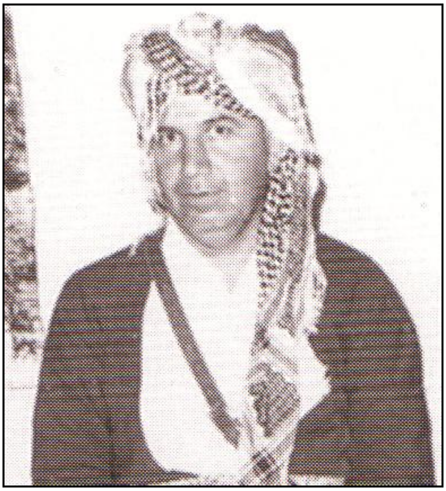

علي عبدالله

عمر حبيب

فهمي هويدي

حتى أسمائنا الكوردية تلحق بنا الأذى(*)

جمعتني الصدفة ذات يوم وقبل ثلاثة أعوام مع رجل من بني قومي في دار أحد أصدقائي بعاصمة دولة عربية كنت قد قصدتها لغرض تلقي العلاج في إحدى مستشفياتها، وكان الرجل في منتصف العقد السادس من عمره وقد غزى الشيب ما تبقى له من شعيرات في رأسه وشعر حاجبيه بالكامل وعندما قدمني إليه مضيفي مد يده وصافحني وذكر لي بأن أسمه إبراهيم ويعمل مدرساً لمادة التأريخ.

ولأول وهلة شعرت بأن الأستاذ إبراهيم يعاني من مرضٍ ما حيث لاحظت بأن يديه قد أصابتهما الرجفة اللعينة وأن عينيه كانتا توحيان بأنه يحمل هموماً ويعاني من متاعب، وقد شعر الأستاذ إبراهيم بإمعاني النظر في ملامحه وحاول تغيير مسار تفكيري حيث بادرني بعد أن أتخذ كل واحد منا مكانه في الغرفة التي كانت معدة لاستقبال الضيوف قائلاً:

أهلاً بالأخ القادم من كوردستان الحبيبة، نتابع أخباركم من فضائية كوردستان، وقد شاهدت قبل أيام تخرج دفعة جديدة من الضباط الشباب في الكلية العسكرية كانت ولازالت غير مصدق، ربما تسألني لماذا؟ والجواب يا عزيزي إن الدخول إلى الكليات العسكرية محرمة على الكورد إلا فيما ندر وفي أوقات معينة وقد كان للكورد وإلى اليوم حق واحد وهو أن يصبح جندياً تحت الخدمة ووقوداً لمشاريعهم العدوانية وعندما نرى بأم أعيننا حفلات التخرج للضباط في الكليات والمعاهد العسكرية في كوردستان المحررة، نحمد الله وننحني أمام تضحيات الكورد والتي حققت جزءاً من حلمنا الذي كان يراود أجدادنا وآباءنا وأبناء جيلنا الذين ذاقوا الأمرين على أيدي أناس يجاهرون بأخوتهم لنا علناً ويخططون لمحونا ومحو آثارنا في الخفاء.

(*) نشر في جريدة (كوردستان اليوم) العدد ٤، ٥، في تشرين الأول–الثاني ٢٠٠٣.

تلك الكلمات غير الصادقة التي كانت تخرج من فم الأستاذ إبراهيم لم تكن كلمات مجاملة حيث أصبحت المجاملة عادة شائعة منذ مدة من الزمن في مجالسنا المشوهة بفعل آثار المد الانتهازي المتغلغل في صفوف الحركة الوطنية وإنما كانت أشبه بصرخات إنسان يتعذب تحت سياط الجلادين عندما يراد منه انتزاع أقوال كفيلة بإدانته وزهق روحه فيما بعد.

جدران الغرفة أو غرفة الاستقبال التي كنا فيها مع الأستاذ إبراهيم كانت مزدانة بصور زعماء الكورد من أجزاء كوردستان الأربعة الراحلين وصور أخرى كانت تجمع مضيفي مع أصدقائه وقد كنت انظر إلى إحدى هذه الصور التي كانت لشابين طويلي القامة واقفين وسط منتزه مهمل وقد سجل في أسفل الصورة أسميهما واسم المدينة وتأريخ الصورة التي كانت التقطت بتأريخ ١٩٦٢/١٠/١٢ أي أن عمر الصورة كان (٣٨) عاماً حيث كان مضيفي مع الأستاذ إبراهيم قد التقطت لهما الصورة عندما كانا في ريعان شبابهما بمدينتهما، وعندما قرأت الأسمين في أسفل الصورة عرفت في الحال بأنها تعود لصديقي صاحب الدار مع الأستاذ إبراهيم وقد اعترتني الدهشة للتغيير الكمي لملامح الأستاذ إبراهيم مقارنة مع صاحبي الذي كان قد احتفظ بالشيء الكثير من ملامحه ورشاقته وقد أحس الأستاذ إبراهيم بدهشتي وتمتم بكلام لم أفهمه وشغل نفسه بتحريك كرات المسبحة التي كانت ترتجف بين أصابعه حينئذ بادر الصديق المضيف بتوضيح ما كان خافياً عليّ عن الأستاذ إبراهيم ألتزم الصمت وقام من مكانه وأنزل الصورة وأخذ ينظر إليها وكأنه يقرأ فيها قصة ربما يريد أن يخبرني بها ولكنه وجه كلامه إلى صاحبه إبراهيم وطلب منه أن يروي هو بنفسه ماذا جرى له ولماذا تغيرت ملامحه بهذا الشكل الذي يفاجئ من يقارنه بين الصورة وبين الأستاذ إبراهيم الذي تنحنح قليلاً قبل أن يتكلم وعندما شعر برغبتنا الملحة حول معرفة ما جرى له بدأ الحديث بصوت هادئ رزين قائلاً:

في الثالث عشر من شهر تشرين الثاني من عام ١٩٦٢ أي بعد التقاطنا لهذه الصورة مع صديقي (ع) بيوم واحد رزقت زوجتي بولد أسميناه (جيا) أي (الجبل) وكان سبب اختياري لهذه الاسم يعود أساساً لتداوله بكثرة في تلك الأيام بعد اندلاع ثورة أيلول قبل ذلك التأريخ بعام واحد في كوردستان العراق حيث أصبحت كلمة (جيا) أو (جووي)

حسب اختلاف اللهجة حديث الناس في منطقتنا المجاورة للأحداث في كوردستان العراق، بعد أن أصبح الجبل ملاذاً وعريناً للثوار الكورد ومنذ اليوم الذي رزقنا الله بولدنا البكر قصدت دائرة التسجيل المدني وقدمت له الاستمارة الخاصة الصادرة من مستشفى مدينتنا بالمولود الجديد لغرض التسجيل في دائرة الأحوال المدنية هناك وعندما رأى أمين السجل أي الموظف المختص بتسجيل الأسماء في السجل العام وفي صفحة العائلة دار بيننا الحوار التالي:

أمين السجل المدني: (حيث كان يمعن النظر في الاسم ويحرك نظارته شمالاً وجنوباً وكأنه كان على وشك اكتشاف مؤامرة كبيرة ضد أمن الدولة) ما هذا يا سيد إبراهيم ومن أين جئت بهذا الاسم الغريب وماذا يعني هذا الاسم في اللغة العربية الفصحى؟ أهي كلمة عربية حورت بفعل الزمن وبفعل جيرتنا؟! ماذا بك أستاذ إبراهيم وأنت أستاذ لمادة التأريخ ألم تجد أسماً عربياً نقياً كـ(صلاح الدين) تطلقه على مولودكم، غريب أمركم وكأنكم لا تشعرون بالانتماء لهذا البلد، بالله عليك من أين جئت بهذا الاسم الغريب على تراثنا الحضاري الذي يعود لآلاف السنين؟!

الأستاذ إبراهيم: يا حضرة الأمين (وهنا بدأت العبارات تخنقني من شدة التأثر إثر المحاضرة التي سمعتها والتي كانت عبارة عن دس وخبث واستعلاء شوفيني حاقد على كل ما هو كوردي وعن سبق إصرار) ولكنني تمالكت نفسي وقلت له: كما تعرف وأنك موجود في هذه المدينة منذ ثلاث سنوات بأن غالبية سكانها من الكورد وأن الجبال تتراءى لنا صباحاً ومساءً ولو من مسافات بعيدة ونحن نطلق أسم (جيا) على الجبل باللغة الكوردية وأن الله عز وجل قد خلقنا شعوباً وقبائل لنتعارف فما الضير من إطلاق أسم كالجبل باللغة الكوردية على ولدي؟!

أمين السجل المدني: (حاول أن يظهر نفسه كناصح لي وأنه يؤدي عملاً وطنياً) حيث قال لي: يا أستاذ إبراهيم فكر قليلاً وغداً نتقابل وتوكل على الله ولكل حادثٍ حديث وإذا كنت مصراً على إطلاق هذا الاسم الغريب على أبنكم المحروس فلا مانع لدي من تسجيله.

الأستاذ إبراهيم: سميته (جيا) وأنه ليس بالاسم الغريب فالغريب هنا من لا يعرف خصوصيات هذا البلد الذي ننتمي إليه جميعاً ونخلص له أشد الإخلاص.

عندها سجل أمين السجل المدني أسم (جيا) على الاستمارة المطلوبة على مضض وقال لي نصاً: (مبروك على هذا الانتصار وغداً لناظره قريب) وشكرته وخرجت من عنده واستعجلت في الوصول إلى الدار لمعرفتي بأن هناك ضيوفاً من الأقارب قد يحلون علينا بالمناسبة ويتناولون الغذاء عندنا وعند وصولي الدار فاجأتُ الجميع بالاسم الكوردي (الذي سميت به ولدي) ولكن أحدهم (وهو والد زوجتي) فاجأنا بقوله بعد أن سمع قصتي مع أمين السجل المدني بإطلاق عبارة وهو يرددها ثلاث مرات (أستر يارب).

لم تمر غير ثلاثة أيام على تسجيل أبني باسمه الكوردي، ففي صباح اليوم الرابع خرجت من الدار باكراً لشراء الخبز من المخبز الواقع في نهاية الشارع حيث ناولت الخباز النقود وعندما كنت أهم باستلام الخبز منه إذا بشخصين يقتربان مني، أخذ أحدهما الخبز وبادرني الثاني بقوله:

أستاذ إبراهيم خلال دقائق يصل الخبز إلى الدار وهو حار، تفضل أنت معي للسيارة فلنا دردشة صغيرة معك وسنوصلك بعدها إلى دارك.

حاولت قدر المستطاع معرفة ما يدور والخباز ينظر إلينا مندهشاً وأنا بملابس النوم (البيجاما) وقد حاول من جانبه معرفة ما يدور ولكنه أخذ جانب الصمت عندما قال له أحدهم: (أهتم بعملك يا ......) حينئذ سلمت أمري لله وركبت السيارة وأنا أفكر بالله ماذا عملت حتى أقتاد إلى دائرة..... بذلك الأسلوب الهمجي حينئذ لم يخطر على بالي غير عبارة والد زوجتي التي رددها ثلاث مرات (أستر يارب)..!!.

بوصولنا إلى الدائرة المعنية وهي تتبع أسلوباً واحداً مع الدوائر المتشابهة في هذا الشرق الموبوء بأساليب فاشية ونهج دكتاتوري، أخذوني إلى غرفة شبه مضيئة وإذا بي أمام رجل قد بدا لي من أول وهلة بأن الصلافة والحقد والشوفينية قد ملأت قلبه ورأسه حيث قال لي قبل أن يرد عليّ السلام: (عرفنا بأن الملا مصطفى (وكان يقصد الزعيم الراحل مصطفى البارزاني) يقود تمرداً مدعوماً من الاستعمار والصهيونية البغيضة ويريد الانفصال عن العراق وتجزئة الوطن العربي) ولكن ماذا بك يا غبي يا حقير، من أين تأتي بهذه الطروحات الخطيرة وتلك الأفكار الهدامة وهذه الأسماء الغريبة لعنة الله عليك وعلى والدك الذي جاء بك إلى هذه الدنيا وعلى جدك وجدك

الكبير وقسماً بالله وبالوطن العربي سنجعل منك ومن أمثالك عبرة لمن يحلم يوماً باقتطاع جزء ولو بقدر متر مربع من الوطن العربي.

حاولت مرتين أخذ الفرصة للرد عليه والدفاع عن نفسي ولكن لم يسمح لي المجال ولو لثانية واحدة وعندما أتعبته الشتائم دق الجرس المثبت على منضدته حيث دخل موظف آخر في هذا السلك اللعين وقد أمره المدير بقوله (نظم له الاستمارة الخاصة بذوي الأفكار الانفصالية اللعينة وأرسله بصحبة المفرزة الخاصة إلى المديرية العامة في (.....) ليحاكم على فعلته الشنيعة تلك).

في طريقنا ونحن نتجه إلى المدينة المقصودة وأنا أنظر إلى تلك الحقول والأراضي الزراعية التي عاش فيها أجدادنا وآباءنا أفكر وأنا أعاني من الصدمة وبطني خاوية، ما هي جريمتنا وماذا اقترفنا بحق الوطن الذي يسمونه بالوطن العربي لم نكن طلاب انفصال وقد ساهمنا بأرواحنا في سبيل نجدته عندما كان يرزح تحت حكم الاحتلال محرومون من حقوق المواطنة ومحرومون من المجاهرة بأنتمائنا القومي ومحرومون حتى من إطلاق الأسماء الكوردية على أبنائنا وهم يولدون أحراراً، ماذا نفعل، ماذا نعمل والتأريخ يعيد نفسه بالنسبة للكورد، وهنالك في بطون التأريخ ثورات كوردية، انتفاضات كوردية إمارات ودويلات كوردية، إلى أين انتهت وماذا حلت بها؟

وماذا بشأن قادة وزعماء الكورد الذين أعدموا وأمنية استقلال كوردستان لا تفارق شفاههم والذين اغتيلوا غدراً وبطرق جبانة للغاية والذين ذاقوا مرارة العيش في المنافي وهم ينظرون إلى هذا العالم المليء بالتناقضات فهنالك دول وحكومات لا تملك الحد الأدنى من الشروط لتصبح دولة عضوة في منظمة الأمم المتحدة وهنالك قوميات وشعوب قد يصل تعدادها إلى كذا مليون نسمة وهم محرومون حتى من إطلاق أسماء بلغة بني قومهم على أبنائهم، ما هي خطيئتنا الكبرى؟!

الخطيئة الكبرى كما قال لي حاكم مديرية أمن الدولة عندما بدأ يستجوبني بغرفته بمبنى الدائرة الأمنية وهو يزهو بقدرته على محاكمة (الخونة) من أمثالي بقوله: حرام أن تحمل أسم إبراهيم وهو أسم أبو الأنبياء إنها خطيئة والدكم الذي أطلق هذا الاسم المقدس على إنسان معتوه مثلك والخطيئة الكبرى هي عدم استيعابكم لروح التسامح التي تعاملنا بها معكم، لقد قالوا فيكم قبلنا (إنكم من أبناء الجن والشياطين) وقد

حاولنا أن لا نصدق ولكن أفعالكم الشريرة بحق الوطن والعروبة سيجعلنا نصدق بأن (أبو رغال) وهو معلمكم ومرشدكم ولهذا حكمنا عليك بالسجن لمدة سبع سنوات ليتسنى لك مراجعة الذات للتكفير عما بدا منك تجاه الوطن وانتهت المحاكمة.

كان التأثر بادياً جداً على وجه الأستاذ إبراهيم وهو يروي لنا القصة من البداية حتى انقضاء مدة محكوميته والبالغة سبع سنوات وثلاثة أشهر والتي قضاها في أحد سجون عاصمة بلاده وهي قصة أخرى أو رواية أخرى تشبه أحداثها رواية (الساعة الخامسة والعشرون) وربما أتعس من ذلك. ويتذكر كذلك عندما أطلق سراحه بعد هذه المدة التي قضاها دون أن يسمحوا لعائلته وأقربائه بزيارته حيث اعتبروه ميتاً.

وتذكر حادثة أخرى وهي أنه عندما عاد إلى مدينته بعد انتهاء مدة حكوميته مباشرةً قصد داره وقد سأل صبياً حيث كان واقفاً أمام المخبز الذي كان قد سيق من أمامه في رحلته الطويلة وهو يشتري الخبز، وسأله عن داره وإذا بالصبي يسأله عن شخصيته وعندما سمع الصبي أسم إبراهيم وقع الخبز من يده، وقال بصوت عال: يا والدي أنا أبنك، أنا أبنك جيا حيث يسمونني خالد وأمي تنتظر عودتك بفارغ الصبر هيا بنا إلى البيت!!.

خلال الساعات الستة التي كنا نقضيها نحن موظفي (معمل تنقيح التبغ في كويسنجق) حيث كان عددنا لا يتجاوز العشرة موظفين، كنا نتكلم عن كل شيء منها المشاكل الاجتماعية، شؤون وشجون الناس، المسلسلات التلفزيونية، عملنا اليومي في المعمل، لكن السياسة كانت زادنا اليومي حيث كانت تأخذ حصة الأسد من أحاديث أوقات الدوام، كنا والزمن كان أوائل الثمانينات محصورين بين أربعة جدران في الغرفة رقم (٢) من بناية المعمل ضمن غرفها الثمان ذات الطابقين نحن الأربعة:

(عبدالرحمن حمدأمين بايز، محمد محمد صالح محمد ومحسن عزيز حويزي وكاتب هذه السطور)، الزميلان الأولان كانا من مؤيدي وأنصار الحزب الشيوعي العراقي وخاصةً محمد حيث كان فيما مضى ومنذ بداية الخمسينات عضواً في الحزب الشيوعي العراقي ثم أصبح مقاتل (البيشمركَه) ضمن حزبه بعد انقلاب ٨/شباط/١٩٦٣، والاثنان الآخران (محسن عزيز وكاتب هذه السطور) فقد كنا من مؤيدي الحزب الديمقراطي الكوردستاني والحق يقال كان هنالك موظفين في الغرف

الأخرى من مؤيدي الاتجاهات السياسية الأخرى ومنها (الإتحاد الوطني الكوردستاني) وكان مدير معملنا (حميد كاكه زياد غفوري) مستقلاً ويوزع عواطفه بين الاتجاهات الوطنية المختلفة ولكنه كان يميل في أكثر الأحايين نحو الحزب الديمقراطي الكوردستاني.

كانت غرفتنا أشبه بوضع حديقة (هايد بارك) اللندنية الكل كانوا يعبرون عن آراءهم بكل حرية تجاه الأحداث السياسية ومن منطق وطني بحت وكانت النقاشات تدور في أكثر الأوقات حول أخبار ونشاطات (البيشمركَه) لكافة الأحزاب السياسية في جبال وسهول كوردستان وكل واحد منا كان ينقل للآخرين ما يسمعه في الإذاعات السرية الكوردية ومحطات الإذاعات العالمية وخاصةً محطات إذاعة لندن، مونت كارلو، إسرائيل من أخبار كانت تتعلق بالشأن الكوردي، وكانت الثقة متبادلة بيننا وبشكل مطلق وقد كنا كأفراد عائلة واحدة حيث كان مدير المعمل يرعانا ويشاركنا المناقشات وبسبب تلك العلاقة الأخوية لم تستطع أجهزة السلطة البعثية اختراق أسرة موظفي معمل تنقيح التبغ في كويسنجق.

في أحد الأيام وفي بداية الدوام الرسمي علمنا بأن الله قد أنعم على عائلة زميلنا (محمد محمد صالح) بمولود أسموه (صالح) وعندما استفسرت من زميلي محمد عن أسباب اختيارهم أسم (صالح) لولدهم أخبرني بأن شقيقتاه قد اختارتا الاسم تمنياً واستذكاراً واحتراماً لجدهم (صالح) وأنه لهذا السبب اقتنع بذلك ولكنني شعرت في قراره نفسي بأن زميلي محمد لم يكن مقتنعاً ولكن ومن منطق الترضية لشقيقتيه جاراهما في رغبتهما وعندما سألني عن رأيي بالاسم قلت له:

(كاكه محمد) مبروك عليكم مجيء المولود الجديد إلى هذا الدنيا وكل ما أتمناه أن يكون صالحاً تجاه والديه وعائلته وشعبه وأدعو الله من كل قلبي أن يكون عوناً لكم ولكن أرجو أن تسمع رأيي الشخصي حول اختياركم أسم (صالح) لولدكم فكما تعرف أن الهوية القومية لأي إنسان تحددها عدة اعتبارات وهي: اللغة، المشاعر، الانتماء الوطني، التأريخ وكذلك الاسم الذي يحدد في أكثر الأوقات القومية التي ينتمي إليها شخص فنادراً ما ترى روسياً يحمل أسماً فرنسياً أو عربياً يحمل أسماً تركياً أو ألمانياً يحمل أسماً كوردياً لكن هنالك استثناءات قليلة فأن حمل أحدنا أسماً من خارج إطار

لغة قوميته لا سيما الأسماء العربية فلأن ذلك تم تحت تأثير المفاهيم الدينية خاصةً الدين الإسلامي حيث نسمي بالأسماء العربية طواعية وحباً واعتزازاً بالإسلام مطلقين تلك الأسماء على بناتنا وأبنائنا رغم أن، الدين الإسلامي لم يأمر أحداً لا من الآيات القرآنية الكريمة ولا من خلال الأحاديث النبوية بأن يسمى بأسماء عربية وإن الله سبحانه عزوجل يقول في سورة (الحجرات):

(يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليمٌ خبير).

(صدق الله العظيم)

ناهيك عن أن (حب الوطن من الإيمان) هذا أولاً وثانياً إن الاضطهاد والظلم البعثي على شعب كوردستان قد وصل إلى أبعد مدى وهنالك خطط تستهدف تهجير كوردستان من شعبها وتعريب كل ما هو كوردي وكوردستاني وما علينا إلا مقاومة تلك الخطط الجهنمية بأية وسيلة كانت ومنها إطلاق الأسماء الكوردية على أبنائنا لنحافظ على الأقل على الطابع الكوردي كأحد مقومات الشعور بالانتماء القومي وثالثاً ربما سيأتي يوم عندما يكبر ولدكم بأذن الله سيكره من أطلق عليه أسماً يميزه عن أقرانه كونه يحمل أسماً من غير أسماء قومه بلغته القومية ولكن ومع هذه الملاحظات فالأمر متروك لكم أولاً وأخيراً، لم يستمر نقاشنا مع صديقي وزميلي كاكه محمد المعروف في الوسط الشعبي في كويسنجق بـ(محمدي حاجي كَه وره) أي محمد الحاج الكبير حيث اقتنع فوراً بما ذكرته له من حقائق لأنه وهو الوطني والمبدئي الغيور على مستقبل شعبه لم يجد سبباً وجيهاً في إطلاق أسمٍ ما على ولده من غير لغة بني قومه وعندما سألني عن الاسم الذي أختاره أنا ذكرت له أسم (دانا) الذي يعني ما هو القريب من (صالح) وهو أسم كوردي موسيقي على المسامع وسهل التلفظ وقد اقتنع صديقي به حالاً وقام من مكانه واستأذن من الأخ مدير المعمل وذهب إلى دائرة الأحوال المدينة في كويسنجق وغير الاسم من (صالح) إلى (دانا).

وبعد مرور بضعة أيام على تغيير الاسم تم استدعاء صديقنا محمد إلى دائرة الأمن في كويسنجق وعندما تأخر بعض الوقت قلقنا عليه خاصةً وأنه كان شيوعياً منظماً في

السابق واحتفظ بمواقفه المبدئية، وعندما عاد من المعمل حدثنا عما جرى له مع ضابط دائرة الأمن وقال:

عندما أدخلوني غرفة ضابط الأمن سلمت عليه بعبارة (السلام عليكم) ولكن الضابط وهو من أهالي (شرقاط) أبى أن يرد على السلام وأمرني بالوقوف بعيداً عن منضدته وصاح على أحد جلاوزة الأمن بالوقوف ورائي وبدأ محاضرته بما يلي: (إنك عدو الله وعدو العراق وإننا نعرف عن أصلكم الإيراني وإنك حاقد ولو لم تكن حاقداً وشعوبياً لما أقدمت على تغيير أسم (صالح) إلى (دانا) من الذي دفعك إلى تغيير الاسم وما السر وراء ذلك؟ إنك بهذا العمل ستجلب على نفسك نقمة من قبل الحزب والثورة فماذا تقول؟

فقلت له: إنني لم أتجاوز على الحق العام وإننا أحرار في إطلاق أي أسم على أولادنا وكل ما في الأمر كان لنا رأيان في العائلة فشقيقتاي فضلتا أسم (صالح) استذكاراً لجدنا رحمه الله ولكنني فضلت أسم (دانا) لأن الاسم على وتيرة أسم شقيقه الأكبر (زانا) وأن كلمة (دانا) تعطي مفهوم الصالح في المعنى وهذا كل ما في الأمر، عندئذ وبعد إطلاق التهديد والتوبيخ الشديدين أمر بفتح (صحيفة أعمال) لي (وهي عبارة عن تنظيم صفحة أو صفحات في سجلات دائرة الأمن عن كل صغيرة وكبيرة للشخص المعني لتكون المعلومات الكافية جاهزة عند الطلب للأشخاص المشبوهين على حد زعمهم) ثم أمرني بالخروج من الغرفة قائلاً: (أطلع مكسور الرقبة).

وربما كان صديقنا (محمد) يجابه نفس مصير الأستاذ إبراهيم (الذي تحدثنا عنه في ذكريات سابقة) لكن اختلاف الزمان والمكان وقوة الثورة الكوردية واندلاع الحرب العراقية الإيرانية (التي كانت مفروضة من قبل نظام صدام على الجارة إيران) حالت دون أين يكون مصير محمد شبيهاً بمصير الأستاذ إبراهيم بسبب اطلاق أسم (جيا) على ولده الكبير.

لن أنسى مطلقاً ما حييت ما رواه لي المرحوم والدي عن حادثة أخرى حول الأسماء الكوردية حيث قال لي ما نصه: بعد اعتقالنا في حزيران عام ١٩٦٥ أبان حكم عبدالسلام عارف ضمن مجموعة من شخصيات مدينة كويسنجق المعروفين كوننا (كما كانوا يصفوننا) أنصار ومؤيدي (الثورة الكوردية بقيادة الزعيم الكوردي الراحل

مصطفى البارزاني) وبأننا نروج ونبث الدعاية لصالح (التمرد العميل) على حد زعمهم وعندما اقتادونا في ذلك الموسم الحار بسيارات (الزيل) العسكرية المكشوفة إلى (الهيئة التحقيقية الأولى للمنطقة الشمالية في كركوك) وحال وصولنا واجهونا بسيل من الشتائم البذيئة وعندما كانوا يهيئون (صحيفة الأعمال) لكل واحد منا كنا نقتاد فرداً فرداً أمام ضابط فلسطيني فظ في تلك الدائرة اللعينة في غرفة كانت تفوح منها رائحة الإجرام والتعسف بعيدة عن كل ما هو إنساني وعندما جاء دوري أمامه رمقني بنظرة مملوءة بالحقد ودارت الأسئلة والأجوبة بيني وبينه على الشكل التالي:

ضابط التحقيق: اذكر لي الاسم الكامل وسنة الولادة وعملك.

الوالد: ذكرت له ما طلب مني دون زيادة أو نقصان.

ضابط التحقيق: أوراق الاضبارة تؤكد التحاقك مع كافة أفراد عائلتك بحركة العصيان العميلة. إبان رئاسة المشير عبدالسلام عارف عام ١٩٦٣.

الوالد: كان هنالك نزوح شبه جماعي إلى المناطق الجبلية في حزيران عام ١٩٦٣ قبل دخول قطعات الجيش والفرسان وأفراد الحرس القومي العراقي إلى المدينة وخوفاً من الانتقام وحافظاً على أرواح أفراد عائلتي لجأت وإياها إلى هذه المناطق وقد حدث هذا في زمن البعثيين الذين قمتم بالثورة ضدهم.

ضابط التحقيق: أخرس، الجيش هو نفس الجيش ننتمي إليه وإنه يشكل الدرع الواقي والأمين لحماية حدودنا الشرقية بوجه محاولات التخريب التي تقوم بها (عصابات الملا العميلة) والمدعومة من الاستعمار والصهيونية وحكومة إسرائيل اللقيطة، أجب على السؤال.

الوالد: حفاظاً على الأرواح التجأنا إلى مدينة قلعة دزه ومن ثم على قرية (هه لشو) على الحدود.

ضابط التحقيق: أي حدود تقصد؟

الوالد: الحدود العراقية الإيرانية.

ضابط التحقيق: ما هي المساعدات التي كانت تمنح لكم من قبل الحكومة الإيرانية صديقة إسرائيل؟

الوالد: لم نرى أي شيء من هذا القبيل وكنا ننفق من جيوبنا.

ضابط التحقيق: الإنكار ليس من صالحك، وما هي حالتك الاجتماعية؟

الوالد: متزوج ولي أثنا عشرة ولداً (سبع بنات وخمس أبناء).

ضابط التحقيق: أذكر بالتسلسل أسماءهم وعملهم.

الوالد: ذكرت له الأسماء بالتسلسل ولاحظت إنني كلما ذكرت اسماً اتسعت حدقتا عيناه وكان يتوقف عن تسجيل الأسماء في صحيفة أعمالي وأخيراً قال لي بأسلوب فظ وخشن.

ضابط التحقيق: هاي.. هاي تمرد، يهودي أبن اليهودي من أين جئت بهذه الأسماء اليهودية؟!

الوالد: أنا متزوج منذ عام ١٩٣٩ وأن أسماء أولادي هي كوردية صرفة ولا توجد أوجه شبه بين الأسماء الكوردية واليهودية فما هي أوجه الشبه بين الأسماء الكوردية (برزين وبفرين وخسرو وفرهاد) وبين الأسماء اليهودية كـ(ناحوم وموشي وشالوم وسارة)؟

ضابط التحقيق: متى تعرفت على تلك الأسماء اليهودية وأين؟!

الوالد: كانت توجد في مدينة كويسنجق مجموعة كبيرة من اليهود وكانت لهم محلتهم الخاصة وكانوا يعيشون في وئام تام مع باقي أهالي المدينة من مسلمين ومسيحيين.

ضابط التحقيق: والله، الآن توصلت إلى قناعة تامة عن سر تعاطف إسرائيل معكم أهل الشمال ومع حركتكم العميلة وقسماً بالله سنطهر أرض الشمال من رجسكم ومن رجس اليهود المجرمين، أخرج من الغرفة يا كوردي يا يهودي!!.

عندما أتذكر هذه الحالات الثلاث وكذلك حالات أخرى عندما كان الإعلام العربي وفي مقدمته الإعلام العراقي متحمساً ومع سبق الإصرار بتوجيه سيل من الاتهامات المختلفة للحركة التحررية الكوردية وإلصاق تهم (العمالة لأمريكا والصهيونية العالمية وربيبتها إسرائيل) كوننا أبناء شعب نعتز بقوميتنا ناهيك عن إطلاقنا الأسماء الكوردية على أبنائنا وهذا حق تباركه الأديان السماوية والشرائع والدساتير المختلفة في العالم أجمع باستثناء هذه الرقعة الجغرافية التي يشكل العرب النسبة الأكبر من سكانها والذين تربطهم مع الكورد بوشائج شتى عندما يحتاجون إلينا كالدين وعلاقات

الجيرة والنضال المشترك ولكنهم ومع الأسف الشديد ينكرون علينا كوردية صلاح الدين الأيوبي وكوردستانية كركوك وسنجار وخانقين وينعتون الثورات الكوردية وقادتها الميامين بأتعس وأقذر الألقاب والأوصاف عندما تتعارض مصالحهم مع تطلعات أمة تنادي بالأخوة الحقيقية والتآخي مع الأمة العربية وفي بعض الأحيان وفي غفلة من التأريخ كنا نطلق أسم (الشقيقة الكبرى) على هذه الأمة في الوقت الذي كانت الأموال والأفعال والأقوال العربية تسخر لتغير الواقع القومي في كوردستان حتى شملت أصل صلاح الدين الأيوبي، واسماء جيا أبن الأستاذ إبراهيم ودانا أبن الزميل محمد ونعت أسماء شقيقاتي وأشقائي الكوردية الصرفة بالأسماء اليهودية في الوقت الذي لم يبق أثر لليهود في كوردستان ولم يكن هنا في كوردستان أي أثر لوجود سفارة إسرائيلية ولا قنصلية صغيرة أو حتى مكتب تجاري كما هو موجود في القاهرة ودولة قطر وكما في عَمان وعُمان وعواصم عربية وإسلامية أخرى.

على هذه المائدة سمعنا تراجيديا إطلاق الأسماء الكوردية على الأبناء والذي تسبب في

دخول الآباء غياهب السجون

خسرو توفيق رجل المبادئ والقيم الوطنية (*)
كما لم يعرفه الآخرون

لم أكن معتاداً على مراجعة الدوائر الحكومية وتقديم الطلبات (العرائض) الى مسؤوليها قبل ذلك الزمن عندما أخبرت وانا اقضي فترة الراحة في مدينتي كويسنجق (كويه) بعد الانتهاء من المؤتمر السابع لاتحاد طلبة كوردستان الذي انعقد في السليمانية في اواخر شهر نيسان عام ١٩٧٢ حيث لم ارشح نفسي ثانية وانا السكرتير العام له بعد انتخابي في اعقاب المؤتمر السادس الذي انعقد في ناوبردان اواسط تموز عام ١٩٧٠ بعد ان قضيت ثمانية اعوام بالكامل في صفوفه مبتدأ بعضو خلية وانتهاء بمركز السكرتير العام له، وكانت فترة الراحة التي اخترته ان اقضيها في كويسنجق نابعاً من كون (كويه) مسقط راسي ومرتع ذكرياتي التي اعتز بها وبعيداً عن اجواء بغداد وصخبها ولم تستمر فترة الراحة سوى ثلاثة اسابيع حيث وصلتني برقية من الشهيد سامي عبدالرحمن الذي كان عضواً في المكتب السياسي للبارتي ووزيراً لشؤون الشمال ومشرفاً على المنظمات الجماهيرية الكوردستانية يقول فيها بالنص (يرجى اختصار اجازتكم والحضور الى بغداد بالسرعة الممكنة).

وفي مساء اليوم التالي التقيت بالاستاذ سامي في مكتبه الرسمي بوزارة شؤون الشمال، الكائنة انذاك في شارع الجمهورية عند الطرف الشرقي من ساحة الخلاني، حيث استقبلني بترحاب وود ظاهرين ودار حوار بيننا ملخصه.

الاستاذ سامي: التاميم (وكان يقصد بتاميم النفط) على الابواب وسياسة التقشف قد تعلن قريباً وربما لن نجد ثغرة بعد اعلان التاميم في تعين الموظفين وقد اثرت قبل يومين موضوع تعينكم في سكرتارية مجلس شؤون الشمال عند الاستاذ خسرو توفيق بصورة مؤقتة لمدة شهر او شهرين لكي تكون قريباً منا في بغداد لاننا سنكون بحاجة

(*) نشر في على حلقات خمس في مجلة (الصوت الآخر) في الأعداد ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٧، عام ٢٠٠٥.

اليك في الحزب وفي موقع آخر في المستقبل القريب وارجو ان تفهمني ولا تثير الحجج كما فعلت في اتحاد طلبة كوردستان (كان الاستاذ سامي عبدالرحمن قد ابلغني بقرار المكتب السياسي للبارتي في حينه قبل انعقاد المؤتمر السابع لاتحاد طلبة كوردستان بالترشيح ثانية مع الزميل عادل مراد في المؤتمر لكي أبقى في قيادة اتحاد طلبة كوردستان ولكنني رفضت بدوري ذلك الاقتراح رغم الحاح الاستاذ سامي وذلك لاسباب معينة).

استمعت الى ملاحظة الاستاذ سامي واقتراحه بالتعين في سكرتارية شؤون الشمال بهدوء رغم عدم ارتياحي من الفكرة اساساً وقلت له ما معناه:

انا: الم يكن هنالك شخص آخر يستحق هذا المنصب الرفيع!؟

الاستاذ سامي: لاتكن عنيداً وبسبب عنادك خسرك اتحاد طلبة كوردستان ونحن الآن بصدد اعادة النظر في بعض من المراكز الأدارية المهمة على مستوى الحزب وانكم أحد الكوادر المرشحة لكي يناط بكم مسؤولية اخرى قريباً ولكي لاتكونوا بعيداً عن بغداد وعنا طرأ ببالنا العمل مع الاستاذ خسرو توفيق في سكرتارية شؤون الشمال لكي تطلع على امور معينة وتتلمذ عنده في شؤون الادارة والتخطيط وتستفاد من خبرته وتوكل على الله.

في اليوم التالي وفي حدود الساعة العاشرة صباحاً دخلت مكتب الاستاذ خسرو توفيق حيث كان منكباً على مجموعة من الاضابير يدقق في محتوياتها لدرجة إنه لم يحس بدخولي الى مكتبه في بداية الأمر الى أن ألقيت عليه السلام حينئذ رفع رأسه بتمهل ومدَ يده اليَ مرحباً واشار لي بالجلوس في الطرف المقابل في المنضدة الدائرة التي كانت أمامه وعليها مجموعة كبيرة من الأضابير (فايل بوكس) والتي كانت تخص مشاريع الأعمار في كوردستان وبدون مقدمات أشار الى تلك الأضابير وماتحويها من معلمومات تفصيلية عن المشاريع المنفذة والتي كانت ايضاً قيد التنفيذ وكذلك المشاريع المقترحة في اماكن مختلفة من ربوع كوردستان ثم قال (بلغني الاستاذ سامي قبل أيام بتعينكم بوظيفة معاون ملاحظ أجور (أي معاون ملاحظ باجرة يوميه قدرها ١٥٠٠ فلساً (دينار ونصف الدينار) وسيكون دوامكم في شعبة الذاتية ومسؤولاً عن الأضابير الدوارة) وهنا رفع سماعة الهاتف الداخلي وطلب أحدهم للحضور الى مكتبه

من موظفي السكرتارية ولم تمض أكثر من دقيقتين وحضرت موظفة طويلة القامة الى غرفة المكتب حيث قال لها كاك خسرو حال وقوفها أمامه:

اطوار صدرى أمر تعين الأخ فرهاد الآن بوظيفة معاون ملاحظ أجور....... اعتباراً من اليوم وأرجو أن توضحي له عن كيفية أستلام الأضابير وطريقة حفظ الأوراق فيها......

اخذتني اطوار والتي كانت مسؤولة عن شعبة الأوراق في السكرتارية وهي كريمة المرحوم عبدالمجيد حسن، أمين عاصمة بغداد في عهد الزعيم الراحل عبدالكريم قاسم بعد انتصار ثورة ١٤ تموز عام ١٩٥٨ وكانت ذات ميول يسارية وعلى درجة كبيرة من الكمال الخلقي والثقافة العامة وقد شعرت بضجري وعدم ارتياحي من العنوان الوظيفي ونوعية العمل الذي أختاره لي كاك خسرو حيث سألتني: هل عملت في السابق في وظيفة حكومية؟

أنا: كلا والحمدلله لم اعمل سابقاً في الوظيفة ولم أكن راغباً في ذلك والأمر مفروض علي وليس بوسعي رفضه كونه صادر من الأعلى.

وأستقر بي المقام في زاوية من غرفة كانت تحوى المئات من الأضابير مصطفة بشكل منظم ومبوباً حسب الحروف الابجدية بالنسبة لأسماء المشاريع في كوردستان كأحدى أهم حلقات وزارة شؤون الشمال التي استحدثت بعد اتفاقية ١١ آذار عام ١٩٧٠ بعد أن كانت مديرية عامة لأعمار الشمال ثم وزارة اعمار الشمال الى أن استقرت على منوالها الأخير بعد اتفاقية آذار.

كانت السيدة اطوار عبدالمجيد حسن مسؤولة الشعبة وكان يعاونها شاب يدعى (رياض)، وفكتوريا تلك الفتاة المسيحية التي لم تكن الأبتسامة تفارقها حتى في أشد ساعات زخم العمل، وكذلك الأنسة آمنة وقد اصبحت أنا الرقم الخامس في الشعبة حيث توالت الأضابير على من شعب السكرتارية المختلفة بعد أن أخذت درساً في كيفية التعامل مع الأضابير من حيث التأشير والأستلام والحفظ بالأضافة الى حفظ الأوراق فيها حسب تبويب فني حديث ولم تنسى اطوار أبداء الملاحظة الضرورية في التعامل بمنتهى الدقة مع الأضابير والمحافظة على الشكل الجمالي لها اذ قالت لي:

كاكه لربما انكم من أقرباء الاستاذ خسرو أو معارفيه القريبين ولكن أن صلة القرابة ودرجة الصداقة معه لاتشفع اذا خالفت أو أهملت وصاياه بشأن الواجب الوظيفي ودقة العمل كن حذراً ولك التوفيق. كان العمل الوظيفي بمثابة كابوس في أول يوم من الدوام وخاصة عندما جوبهت بهذه الكمية الكبيرة في الأرشادات والملاحظات وكذلك النصائح التي لم تكن بمستوى العمل الذي انيط بي ولكن عندما جائتني الانسة (لواحظ) زميلتي في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية- قسم الاقتصاد والتي زاملتني في نفس الصف لمدة اربع سنوات وهي كريمة معاون رئيس اركان الجيش حمودي مهدي في زمن الفريق عبدالرحمن عارف (١٩٦٦-١٩٦٨) والتي كانت قد انتسبت كموظفة في قسم التخطيط في نفس السكرتارية قبل عام في ذلك التأريخ ولما كانت قد علمت بمباشرتي في السكرتارية جاءت للترحيب بي والتهنئة (بالمنصب الجديد) ومن جملة ماقالت عندما كنا نقارن بين الحياة الجامعية والعمل الوظيفي وخاصة في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية التي كانت بمثابة الساحة السياسية المصغرة في العراق بألوانها السياسية المختلفة المتواجدة فيها ناهيك عن وجود القيادات التنظيمية للحركة الطلابية العراقية والكوردستانية فيها مع الأخذ بنظر الأعتبار موقع الكلية الوسطى بين باب المعظم وحي الوزيرية اذ قالت لي ونحن نتجاذب اطراف الحديث نصاً (كاكه كنت أتصور عندما كنا في المراحل المختلفة في الجامعة بأنكم ذات شأن بين جماعتكم لأنني كنت شاهدة بحكم زمالتنا في المرحلة الدراسة الجامعية وفي نفس الصف كيف كانت تأخذكم الحماسة عندما كنتم تدافعون عن قضية شعبكم وكنت ارى أندفاعكم للعمل السياسي واتذكر كذلك حادثة النقاش الحاد مع الدكتور (خطاب العاني) حول كلمة (الشمال) و (كوردستان) وقد حذرتكم بصورة أخوية بحكم زمالتنا عدة مرات بعد انقلاب ١٧تموز ١٩٦٨ بأن تكونوا على حذر من البعثيين الذين لايرحمون وخاصة مع الاكراد، وعندما أخبرني (كاكه عبدالرحمن أمين) مدير التخطيط يوم أمس بأنكم نسبتم كمعاون ملاحظ أجير في السكرتارية استغربت أشد الأستغراب من قبولكم أو بالأحرى. اختيار الجماعة لهذه الوظيفة الصغيرة لكم والتي لاتتناسب مطلقاً مع قابلياتكم ومؤهلاتكم ومع ماكنا نعرف عنكم طيلة الاربع السنوات ولكن وكونوا على ثقة كما كانت ترددها زميلتنا (فريال عبدالمسيح) عندما كانت تريد بأن

تدفع باليأس بأن (هذه اللحظة ليس نهاية التأريخ بل بدايتها) ثم استطردت في حديثها وقد كنت مستمعاً بالكامل حيث كانت قد عادت بي الذاكرة الى أول يوم في حياتنا الجامعية ١٩٦٦/١٠/١٥ حيث مرت حادثتين أولهما في الساعات الأولى تعرفت على الزميل عادل ليلاني وقد فاتحني بالأنضمام الى اتحاد طلبة كوردستان وعندما تبين له بأنني منتمي الى هذه المنظمة منذ بداية دخولي الى المرحلة الأعدادية في (كويسنجق) رحب بي اجمل ترحيب وعرفني في اليوم نفسه مع الأخ الزميل عبدالموجود طه والتي تحولت الى علاقة صداقة واخوة واستمرت معنا الى يومنا هذا والحادثة الثانية تمثلت في توزيع طلاب المرحلة الأولى حسب الحروف الأبجدية وقد جمعتنا هذا الترتيب مع كل من الزملاء الشهيد فاضل ملا محمود، والذي أستشهد بعد ذلك مع الشهيد عبدالرحمن قاسملو في العاصمة النمساوية (فينا)، ١٩٨٩ وفلاح حسن وفاطمة عبدالرضا الفخري من الناصرية وفاروق فؤاد وفريال عبدالمسيح ولواحظ حمودي مهدي ومثال جرجيس وهدير خضر الياس من بغداد ونوري كريم خان من عقره والمرحوم غازي فيصل من الفلوجة وجبار عبدالكريم الهموندي الذي اصبح بغدادياً منذ أن اضطر جده الى القاء السلاح بعد النكسة التي حلت بثورة الشيخ محمود الحفيد في العشرينات من القرن الماضي واستقراره (أي الجد) في بغداد والعمل في احدى (الخانات) الموجودة على اطراف سوق الصفافير انذاك واصبحت مجموعتنا هذه موضع احترام الجميع نظراً لأتزانهم وانحدارتهم القومية والدينية والمذهبية المختلفة هنا وعندما شعرت الزميلة لواحظ بأنني قد سرحت بعيداً عن الموضع ارادت هي الأخرى ابداء ملاحظات معينة عندما يتعلق الأمر بسكرتير هيئة اعمار الشمال (خسرو توفيق) وفي جملة ما قالت نصاً:

(لاتمل العمل مع كاكه خسرو أنه يُتَعب الذي يعمل معه ولايبدي أي نوع في المجاملة مع موظفيه اثناء العمل ويحاسب على اقل غلطة وفي النهاية سيكون الموظف هو الرابح عندما يعرف كيف يتعامل معه).

لم أكن أعرف شيئاً في ذلك القبيل وعن تلك الملاحظات التي أبديت بحق كاكه خسرو من قبل المتعاملين معه حول كيفية التعامل معه وكيف (ان الدقة والمثابرة على الانجاز في العمل) شغله الشاغل وعندما تركته وتركت معه سكرتارية شؤون الشمال

بعد مضى شهرين ونصف الشهر بعد أن أعلمني الأستاذ سامي عبدالرحمن بالأمر الصادر من المكتب السياسي الالتحاق بالعمل في جريدة التآخي (لأكون سنداً وظهيراً لكاكه دارا توفيق) عرفت بأنني قد أخذت درساً في غاية من الأهمية من كاكه خسرو توفيق يلازمني الى يومنا هذا وسيبقى معي الى الأبد وقد افادني كثيراً في حياتي العملية بأختلاف الزمان والمكان والذي يتخلص في أن (الاخلاص والدقة+ التخطيط والمتابعة)= النجاح في العمل والفوز بدرجات الرضا من الناس والرؤساء. وعندما قابلني في مكتبه عند التوديع ظهرت ابتسامة خفيفة على وجه كاكه خسرو وأنا أقدم له ورقة الاستقالة وشاكراً له على (حسن) معاملته لي وقد بادرته بالكلام عندما (أمرني) بالجلوس وطالباً فنجان قهوة لي من العامل (عيسى) وفنجاناً له وقد قلت له:

أنا: كاكه خسرو اشكركم من صميم قلبي على معاملتكم الجدية معي والتي لولاها لما تعلمت تلك الدروس القيمة في الأدارة واقول لكم بصراحة كنت أود في أول يوم عملي معكم هنا في السكرتارية ترك العمل والعودة الى كويسنجق بسبب ماشعرت لحظتها (بالأحراج) عندما حشرتني في زاوية من غرفة الاوراق ولكن وبسبب ملاحظات الزميلتين اطوار ولواحظ تحاملت مع نفسي ولكن بمرور الأيام تعلمت من وراء هذه (الشغلة) بأن الموظف الاداري لايمكن أن يصبح ادارياً ناجحاً دون المرور والعمل في شعبة الاوراق في بداية الأمر وكان هذا بمثابة الدرس الأول وأما الدرس الثاني الذي تعلمت من جنابكم هو محاسبتكم لي يوماً بسبب زيادة خروج ملمترات قليلة من الورق من الأضبارة مما جعلت من الأضبارة تظهر بشكل غير انيق والدرس الثالث هو تطبيق مهام (مدير الدقيقة الواحدة) أي مكافأة ومحاسبة الموظف في حينه مباشرة بدون تأجيل وتلاه الدرس الرابع والخامس.....

خسرو توفيق: اشكرك على هذه الصراحة بداية كنتُ قد أوصيت مسؤولة الشعبة الآنسة اطوار بكم لأنني أقدر عملكم في قيادة اتحاد طلبة كوردستان أيما تقدير وانني بطبعي أحترم العمل السياسي النظيف ولهذا كان احترامكم فوق العلاقة الوظيفية وأنا بدوري كنتُ مستغرباً وأتسأل مع نفسي هل من المعقول تعين سكرتير عام اتحاد طلبة كوردستان في وظيفة من الدرجة العاشرة وبأجرة يومية!؟ وكنتُ أتابع ومن خلال الآنسة اطوار عملكم ولقد قالت لي اطوار في اليوم الثالث من مباشرتكم هنا (عندما

سألتها عنكم وقد قالت لي (شاب ممتاز، خلوق، هادي يؤدي عمله وفق التوجيهات وصبور ولايترك كرسييه الى نهاية الدوام ولكنه يستغل فترات فراغه بقراءة الجرائد التي يجلبها معه كل صباح وأنا بدوري اشكركم وسلنتقي عند دارا (يقصد شقيقه دارا توفيق رئيس تحرير التآخي) في مبنى التآخي.

عندما استأذنت منه بالمغادرة نهض من مكانه وودعني بحرارة ولم ينسى أن يقول لي وهو يضع يده على كتفي الأيسر (**استمر على هذا المنوال وعلى هذا النمط من العمل والتعامل مع المحيط، وكما اخبرني دارا مساء أمس عند كنت ملتقياً به بأنه يعرفكم منذ مدة ليست بالقليلة وانه يودكم كثيراً وبأنه متفائل بأنتقالكم للعمل معه، وأتمنى لكم التوفيق**).

في خريف عام ١٩٣٠ وبعد اسابيع في اندلاع انتفاضة -٦- ايلول ١٩٣٠ الشعبية في السليمانية والتي قادها المتنورون من الطلبة والتجار والكسبة والكادحون لأول مرة في تأريخ شعب كوردستان حيث قاد ابناء المدن قيادة الحركة التحررية الكوردية بالتفاعل مع الزعماء والقادة الذين انجبهم ريف كوردستان. في خريف ذلك العام ١٩٣٠ شهدت محلة سرشقام الواقعة في الطرف الجنوبي في مدينة السليمانية ولادة خسرو توفيق في عائلة ميسورة، حيث كان والده توفيق اغا فتح الله من الملاكين بالأضافة الى كونه موظفاً من الدرجات المعتبرة حيث كان (معاون تسوية الاراضي) وكان تسلسل كاك خسرو من حيث الولادة الثانية بعد شقيقه جلال وتلاه دارا وفريدون وكاووس وخمس شقيقات حيث دخلوا المدارس واكمل معظمهم الدراسة الجامعية بعد دخول خسرو المرحلة الاعدادية حيث كان الغليان السياسي على اشده في العراق وخاصة في الفترة التي اعقبت انتهاء الحرب العالمية الثانية وانتصار الحلفاء على معسكر النازية والفاشية والقوات المتحالفة معهم وقد انجذب الى معسكر اليسار ضمن الحركة التحررية العراقية والمتمثلة انذاك بالحزب الشيوعي العراقي الذي كان له دوره وثقله في قيادة الحركة الوطنية وكانت لثانوية السليمانية للبنين دورها النضالي في تبلور المفاهيم السياسية القومية منها والوطنية حيث انخرط خسرو مع اقرانه من الطلبة (اكرم عبدالقادر ياملكي واكرم عزت نجيب وكمال ميرزا كريم وحسن توفيق وغفور ميرزا كريم وآخرون في الحلقات التنظيمية للحزب الشيوعي العراقي في السليمانية

الذين كان لهم نشاط بارز في تلك السنة التي شهدت اندلاع انتفاضة الشعب في جميع انحاء العراق ابتداء في العاصمة بغداد وانتهاء بمدن كوردستان والفرات الاوسط والمدن الجنوبية وكان جام غضب الشعب منصباً على المعاهدة العراقية البريطانية والتي سميت بمعاهدة (بورتسموث) وعلى السياسة البريطانية تجاه العراق.

حدثني زميلي الكاتب والقاص والصحفي مصطفى صالح كريم نائب نقيب صحفيي كوردستان حينما كنا نتجاذب اطراف الحديث في الطريق الممتد بين بامرني الى قرى برواري بالا عبر جبل متين في شهر ايلول من العام(٢٠٠٥) وكان تركيزنا في الكلام عن خسرو توفيق المناضل حيث حدثني عن حادثتين وكان هو (أي مصطفى شاهد عيانها) فيقول في الاولى:

(في نيسان عام ١٩٤٨ كانت السليمانية كباقي المدن الكوردستانية والعراقية تغلي وكانت جماهير الشعب ملتفة انذاك حول الأحزاب والقوى الوطنية الأساسية وكانت في كوردستان متمثلة في الحزبين، الشيوعي العراقي والديمقراطي الكوردستاني، حيث قررت قيادة الحزبين في السليمانية القيام بتظاهرة مشتركة واقتحام دائرة العلاقات البريطانية الثقافية التي كانت مقرها بين مجموعة الدور الواقعة بين الجامع الكبير وكراج فرج افندي آنذاك وقد تمت تنفيذ الخطة وأقتحمت دائرة العلاقات حيث جرح فيها خسرو وشاهدت بأم عيني كيف كان محمولا على اكتاف (علي ملا شريف ومصطفى حمه بور) وهو جريح، بعد السيطرة على دائرة العلاقات اذ تبين بأنه كان ضمن اوائل المقتحمين لدائرة العلاقات البريطانية.

والحادثة الثانية، كما روى لي مصطفى تبين، مدى الصلابة والمبدئية التي كان يتصف بهما خسرو توفيق في حياته السياسية منها والأجتماعية فيقول محدثي عن تلك الحادثة:

(على اثر الأعترافات التي حدثت في صفوف بعض من تنظيمات الحزب الشيوعي العراقي عام ١٩٥١ تم اعتقال مجموعة من المناضلين في شهر آذار في صفوف الحزب الشيوعي وقد كان من ضمن المعتقلين (مصطفى صالح كريم، حسن توفيق، كمال فؤاد، حمه سعيد عباس، بهجت محمد حسن، محمد مصطفى، فتاح رشيد بيساراني، زيور خطاب، اسماعيل رسول، خليل حاجي علي كولناز في الموقف العام ببغداد وكان

المعترف (ر،ح،ر) انذاك جالساً معنا وعلى ماتذكر كنا في شهر مايس من نفس عام ١٩٥١ حيث زار خسرو وهو الطالب الجامعي اصدقائه المعتقلين من السليمانية وعندما دخل غرفتنا في الموقف العام صافحناه واحداً اثر الآخر مرحبين به وعندما وصل الى حيث كان المعترف (ر ح ر) حيث اراد السلام على كاك خسرو ولكنه اي خسرو تجاهله بوضوح ظاهر وامتنع عن مصافحته وعندما اراد المعترف الكلام معه حدثت المشادة التالية بينهما:

خسرو توفيق: موجهاً كلامه للمعترف (ر ح ر) ألم تخجل من نفسك ايها المتخاذل عندما خنت الامانة واعترفت على اصدقائك مصطفى وحسن، الا تستحي من نفسك؟

المعترف: موجهاً كلامه لـ خسرو توفيق: عليك أن تشكرني كثيراً وان لاتنسى فضلي بعدم الاعتراف عليك أنت والا كان مصيرك السجن كهؤلاء.

خسرو توفيق (اشتاط غضباً وقال بمنتهى الحدة بعد أن بصق في وجهه (لو لم تكن..... لجلبتني الى هنا أيها الحقير) وقد اثر هذا الموقف على المعترف مما جعله يتنازل ويتراجع أمام المحكمة حيث حكم عليه هو بسنتين من الحبس واطلاق سراح بقية المعتقلين.

عند اكماله الدراسة الأعدادية في السليمانية توجه خسرو الى بغداد حيث تم قبوله في كلية التجارة للسنة الدراسة ١٩٤٩-١٩٥٠ وكانت حياته الجامعية زاخرة بالنشاطات السياسية وقد فتح امامه الافاق كثيراً وتعرف على النماذج المختلفة من ذوي الاراء والأتجاهات السياسية يساراً ويميناً ومدعي القومية العربية تحت واجهات معينة وان اتجاهه اليساري وانخراطه في صفوف الحزب الشيوعي العراقي لم يمنعاه كمعظم الشيوعيون الكورد بالتمجيد لقوميته الكوردية والاشاده صراحة بدور القاده الكورد في قيادة الحركة التحررية الكوردية ولكنه ظل ينتقد حتى الرمق الأخير الأتجاهات السلبية في الحركة الوطنية الكوردستانية والعراقية بكل صراحة ووضوح وكذلك كان يأخذ الكثير على القادة وخاصة قادة الاحزاب الكوردستانية وبالأخص الحزبين الكوردستانين الكبيرين بعدم بمبالاتهم تجاه المناضلين القدماء الذين أفنوا زهرة شبابهم في النضال من اجل انتصار قضية شعبهم وحركته التحررية وتجاهلهم المفرط لأدوارهم وتضحياتهم الكبيرة.

عندما تخرج من الجامعة ١٩٥٢-١٩٥٣ راودته فكرة السفر الى الخارج العراق لتكملة الدراسة والأطلاع على معالم الحضارة والسياسة خارج اطار اسوار العراق ولكنه لم يستطع وهو الشغوف بالعمل السياسي ترك البلاد فظل يعمل ويناضل ويكابد بدون ملل واستمر العمل في صفوف الحزب الشيوعي العراقي الى أواخر عام ١٩٥٤ اذ ظهر التغير في قناعاته السياسية بعد الملابسات التي طرأت على واقع الحركة الوطنية في العراق وحاجة الشعب الكوردي كأمة مجزأة الى جهود كافة الخيرين من مناضلي والعاملين في صفوف الأحزاب الوطنية العراقية لتنظيم وتكريس الجهود والنضال من أجل رفع الغبن عن الواقع الذي كان يعشه الشعب الكوردي في العراق وعن هذه المرحلة يتحدث خسرو الى د. عبدالفتاح علي البوتاني في مقابلة معه بتأريخ ١٦كانون الأول عام ١٩٩٨ في مبنى جريدة (برايه تي) والمنشور نصاً بين دفتى كتاب قيم للدكتور البوتاني بعنوان (الحياة الحزبية في الموصل ١٩٢٦-١٩٥٨) اذ يتحدث خسرو توفيق عن هذه المرحلة الهامة من حياته السياسية فيقول: (في سنة ١٩٥٢-١٩٥٣، حققت اتصالاً مع حمزة عبدالله ونزاد احمد عزيز اغا واخرون ومع عبدالرحمن قاسملو الذي اختفى في دارى اول مجيئه الى العراق، وفي سنة ١٩٥٤-١٩٥٥ بدأت اتصالاتي مع الحزب الديمقراطي الكوردستاني، ومع جماعة حمزة عبدالله (الجناح التقدمي) واستمرت في سنة ١٩٥٦ واتفقت معنا ككتلة (يقصد الشيوعيون الكورد الذين كانوا ينون الأنضمام للبارتي) لتشكيل حزب جديد على اساس تقدمي، وتمخضت الاجتماعات عن تشكيل حزب جديد سمي (الحزب الديمقراطي الموحد لكوردستان العراق وصدر بيان تأسيس بذلك في١٦ آب١٩٥٦ وكان قد اتفق أن يقوم الحزبان (الجناح التقدمي+ الحزب الديمقراطي الكوردستاني) بأصدار بيان بحل حزبيهما وبعد عدة أشهر أواقل من سنة انضم معظم اعضاء تنظيم الفرع الكوردي للحزب الشيوعي الى (البارتي) بعدها وزعت المسؤوليات فتوليت مسؤولية تنظيم الموصل في نهاية سنة ١٩٥٦ بينما تولى صالح الحيدري مسؤولية أربيل وبقى نزاد احمد عزيز يعمل في القيادة).

دخل الحزب الديمقراطي الموحد لكوردستان- العراق بعد هذه التغيرات في مرحلة حزبية جديدة وازداد نشاطه بشكل ملحوظ بدخول العناصر الجديدة الى صفوفه فقد

تمكنت تلك العناصر من التحرك في فروع الحزب، ففي الموصل تمكن خسرو توفيق الذي كان يعمل مديراً لحسابات الشركة اللبنانية التي كانت تقوم ببناء معمل سكر الموصل، أن يشكل لجنة محلية الموصل حيث يقول خسرو توفيق عن بداية نشاطه السياسي في الموصل: (لكي اعمل في الموصل أوجدت غطاء للعمل في الشركة الشرقية للهندسة التي كانت تنشىء معمل السكر كان مديرها اللبناني (فرنان الخوري) وهو مهندس معروف كان صديقاً لي واقترحت عليه تعين محمد كريم فتح الله لأن امراً بالقاء القبض عليه كان قد صدر في بغداد اثر اشتراكه في مظاهرات استنكار العدوان الثلاثي على مصر في تشرين الثاني ١٩٥٦ وكنت قد زودت بأسماء البارتين البارزين في المدينة من قبل الأستاذان حمزة عبدالله وجلال الطالباني واذكر منهم صبغة الله المزوري، يزيد خان اسماعيل، صالح اليوسفي، هاشم حسن عقراوي واسماعيل تاقي عقراوي وقد ذهبت الى زاخو للأتصال باليوسفي في منزل حاجي احمد سفري ولكنه فضل اللقاء بي في دار القائمقام شاكر فتاح ووجدت عثمان محمد سعيد القاضي اكثر الحزبيين نشاطاً في زاخو وبعد سفرات الى عقرة والشيخان والعمادية ودهوك واتروش وسنجار، تمكنا من اعادة التنظيم في جميع هذه المناطق.

كان خسرو توفيق عند أول مجيئه الى الموصل قد نزل في فندق بمنطقة الدواسة وكان صاحبه يدعى شيخو ثم استأجر له دارا في محلة السوق الصغير بالقرب من شارع النجفي حيث ازدادت نشاطات تنظيم الموصل الذي كان يقود جميع تنظيمات منطقة بادينان وغرب دجلة ويشرف عليها بعد انضمام المرحومان محمد كريم فتح الله ونوري صديق شاويس وكان الاخير مهندساً اوفدته مديرية اشغال كركوك ليعمل في مديرية اشغال الموصل ولأنه كان يعرف الكثيرين من كورد المنطقة حيث سبق له ان زاول العمل التنظيمي منذ بداية تأسيسه تقريباً فقد شكل: خسرو توفيق، نوري خليل عبدالله البامرني، نوري شاويس، صبغة الله المزوري، محمد كريم فتح الله قيادة تنظيم الموصل وبادينان خلال سنة ١٩٥٦-١٩٥٧.

وعند قيام ثورة ١٤تموز١٩٥٨ ابدى اعضاء البارتي الذين كان قد بلغ عددهم وبموجب سجلات الشعبة الخاصة ٢١٥ عضواً (بأستثناء المرشحين للعضوية والمؤيدين) وخاصة خسرو توفيق وصالح رشدي نشاطاً واضحاً فقد قادا تنظيم

الحزب في المظاهرات التأييدية التي شهدتها مدينة الموصل للثورة والتي نظمتها القوى الوطنية في تموز وآب ١٩٥٨ كما افتتح التنظيم مكتبة بأسم مكتبة بادينان في شارع حلب لبيع ادبيات الحزب وجريدة خه بات. وعندما زار الشيخ احمد البارزاني بعد إطلاق سراحه من السجن، مدينة الموصل بعد الثورة بأسابيع اقام له التنظيم مأدبة واحتفالا في دار نوري شاويس دعا اليه جميع القوى السياسية في المدينة.

وفي هذا السياق ايضاً أرسل لي الاستاذ حبيب محمد كريم رسالة بتأريخ ١٩٩٧/٨/١٨ يصحح بعض من المعلومات الواردة في العدد الخاص من جريدة برايه تي والخاص بتنظيمات الحزب في مدينة الموصل بين ١٦ آب ١٩٤٦ و ١١ أيلول ١٩٦١ المنشورة في العدد الخاص من العدد (٢٣٩٥) في ١٩٩٧/٨/١٦ والتي صدرت بـ (٢٠) صفحة وهذا نصه:

عزيزي كاك فرهاد

السلام عليكم مع التمنيات بالصحة والتوفيق

حول البحث الذي نشره الأخ الدكتور عبدالفتاح علي في العدد الخاص من برايتي والخاص بتنظيمات الحزب في مدينة الموصل بين ١٦ آب ٤٦ و١١ أيلول ٦١، لديّ ملاحظتان:

الأولى: تتعلق بالأخ خسرو توفيق، خسرو أنضم الى البارتي عام ٥٦ وليس عام ٥٧، لقد أنضم الى البارتي مجموعتان من الماركسيين الأكراد، المجموعة الأولى عام ٥٦ وكانت برأسه كل من خسرو توفيق ونژاد أحمد عزيز آغا وتم بناءً على ذلك تبديل إسم البارتي، ألى بارتى يەكگرتو حسب الإتفاق الذي تم معهم في حينه، أما المجموعة الثانية فقد أنضمت إلى الحزب عام ٥٧ ومن بينهم كل من المرحوم حميد عثمان صالح الحيدري والمرحوم عاصم الحيدري وآخرون.

الثانية: تخص المرحوم صالح رشدي/ صالح لم يكن عضواً في الفرع الأول عام ٦٠، لأنه طرد من الحزب مع مجموعة حمزة عبدالله في المؤتمر الرابع الذي أعقد في أواخر عام ٥٩ في بغداد.

أرجوا عرض ما ورد أعلاه على الأخ الدكتور عبدالفتاح لأنني لا أعرف عنوانه بالضبط مع تبليغه إحترامي وتقديري لمجهوده القيم وأشكركم.

المخلص

حبيب محمد كريم

٩٧/٨/١٨

ملاحظة خاصة:

في اللقاء الذي جرى معي والمنشور في العدد نفسه حول إذاعة صوت كوردستان ورد إسم (المرحوم عبدالحميد الأتروشي) كمذيع باللهجة البادينانية والصحيح هو (المرحوم جلال عبدالحميد الأتروشي) فأرجو التنويه عن ذلك مع التقدير.

وكان للأستاذ خسرو رحمه الله توضيحات بشأن ذلك الموضوع بأعتباره كان أحد المعنين وقد كان يردد دوماً عند الأصدقاء والمهتمين بتأريخ البارتي وتدوينه كما كان وقد كنت مستمعاً اكثر من مرة لذلك الرأي وكذلك كنت شاهداً على مادار من حوار في منزل الأستاذ المرحوم صالح الحيدري ابان زيارة كاك خسرو له في احدى المرات، حول ذلك الموضوع وعندما أستقر به المقام بغرفة المكتبة بمنزلي شرح لي موضوع تجميد عضويته وإبعاده عن قيادة البارتي إذ قال: (أستمر الحال الى ماهو عليه وقررت قيادة البارتي تجميد عضويتي مع اثنين اخرين في اعضاء المكتب السياسي وهما (المرحومان همزة عبالله وصالح الحيدري وعضو آخر في اللجنة المركزية هو المرحوم نزاد احمد عزيز آغا.

لم أكن مقتنعاً بقرار تجميد عضويتي في البارتي حيث لم أكن وانا مسؤول عن كلامي واقولها للتأريخ لم أكن أنا مزدوجاً أي بمعنى الارتباط التنظيمي مع البارتي والحزب الشيوعي في ان واحد لأنني لم ولن اكن اسير على هدى وتوجيهات الآخرين ولكني لا أنكر ميولي واتجاهاتي اليسارية منذ ان كنت طالباً من الأعدادية في مدينتي السليمانية وعلى اثرها اصبحت شيوعياً ولم تكن عضويتي في الحزب الشيوعي خافياً على أحد والى نهاية عام ١٩٥٦ حيث اختلفت مع السياسة العامة للحزب الشيوعي جزئياً حين الغي (ميثاق باسم) عام ١٩٥٢ (نسبة الى الاسم المستعار لسكرتير الحزب الشيوعي العراقي انذاك الأستاذ بهاءالدين نوري) حيث اقر الميثاق المذكور (حق

الشعب الكوردي في تقرير مصيره بنفسه) وكان الغاء الميثاق بداية ظهور شرخ ولو كان بسيطاً مع الحزب الشيوعي العراقي الذي اكن له الاحترام والتعظيم وأنني فخور بكوني قد كنت أحد طلاب تلك المدرسة الراسخة في الوطنية والتضحية ولكن هذا لايمنع التفكير بالطريقة التي أراها صحيحاً وان انتقالي مع رفاقي عام ١٩٥٦ الى صفوف الحزب الديمقراطي الكوردستاني لم يخلق لدي عداءً أو موقفاً سلبياً تجاه الحزب الشيوعي العراقي حيث اختلف مع معظم الذين يتركون صفوف هذا الحزب أو ذاك لأسباب ذاتية أو سياسة ومن ثم ينالون من الحزب الذي تربوا منه بالتهجم عليه واطلاق التهم جزافاً بما انزل الله من سلطان حيث ينوون جراء ذلك التقرب من الحزب الذي انتقلوا اليه بغرض الانتفاع المادي والوظيفي وانهم يتصورون أن معاداتهم للحزب القديم سيجعلهم ذات حضوة في الحزب الجديد وهذا مانراه اليوم بأم أعيننا وان عقيدتي تلك خلقت لدى البعض بأنني مازلت متمسكاً بشيوعيتي).

لم يعد خسرو الى صفوف الحزب الشيوعي العراقي ولم يحاول اعادة عضويته أو مركزه في البارتي بعد حزيران عام ١٩٥٩بالرغم من المحاولات التي جرت معه من قيادة الحزبين وفي فترات مختلفة ولكنه أستمر كمناضل مستقل قومي النزعة ويساريي الأتجاه ودائم الأنتقاد للسلوكيات المنحرفة والسياسات الخاطئة لعموم الحركة التحررية الكوردستانية والعراقية واينما وجدت وبتركه لصفوف البارتي اثر قرار التجميد في ٣٠ حزيران عام ١٩٥٩ لم يبتعد عن الحياة السياسية العامة وعن اوجه النشاطات الأجتماعية والسياسية المختلفة في اتحاد الشبيبة الديمقراطي العراقية وهيئة انصار السلام وحضوره الدائم في المنتديات والندوات التي كانت تعقد في مقرات المنظمات والأتحادات المهنية والأدبية الى أن زجت به الى السجن من قبل الأجهزة الأمنية خريف عام ١٩٦٢ في عهد الزعيم الراحل عبدالكريم قاسم عقب توقيعه على العرائض المقدمة الى (زعيم البلاد عبدالكريم قاسم) متعاطفاً ومؤيداً لقضية شعبه وبأحلال السلام في كوردستان واستجابة للحملة الكبرى التي قادها الحزب الشيوعي العراقي تحت شعار (السلم في كوردستان) واشتراكه في المظاهرات التي كانت تجري في كافة ارجاء (الجمهورية العراقية الخالدة) تلك الحملة التي جاءت انصافاً ومناصرة لحقوق الشعب الكوردي وثورته التي اندلعت في أيلول عام١٩٦١ بقيادة الحزب

الديمقراطي الكوردستاني ورئيسه الخالد البارزاني مصطفى وكما ذكرلي خسرو في احدى المناسبات الكثيرة التي كانت تجمعني وأياه والتي امتدت منذ عام ١٩٧٢ والى قبل أيام قلائل من وفاته في مسكنه ببغداد يوم ٢٠٠٤/٨/١١ حيث ذكرلي بأنه كان مختلفاً في ارائه مع سياسة الحزبين البارتي والشيوعي معاً انذاك فأنه في البداية لم يكن مقتنعاً بالكامل بأعلان الثورة المسلحة (ثورة ايلول عام ١٩٦١) من قبل قادة الحزب الديمقراطي الكوردستاني في حينه لأسباب موضوعية محلية وأقليمية ودولية آنذاك وكذلك لم يكن مقتنعاً بسياسة (كفاح وتضامن) للحزب الشيوعي العراقي تجاه حكومة الزعيم عبدالكريم قاسم لأن الكفاح من أجل محاربة الأتجاهات الرجعية والمعادية لتطلعات الشعب العراقي والتضامن مع الأتجاهات التقدمية والخيرة لأجنحة حكومة واحدة وهي حكومة عبدالكريم قاسم ليست بالعملية وليست بالصحيحة أيضاً وهذا مارأينا نتائجها المدمرة فيما بعد ولكن الاعتزاز بقوميته وحبه لشعبه امتزجت مع السياسة العامة للحزب الشيوعي العراقي تجاه (القضية الكوردية) وأصبحت القضية الكوردية واخبار الثورة في كوردستان ونجاح حملة (السلم في كوردستان) شغله الشاغل الا أن وجد نفسه معتقلاً بقرار الحاكم العسكري العام (اللواء احمد صالح العبدي) (نظراً لخطورته على السياسة العامة للجمهورية).

في البداية لم يكن يتصور بعد أن وجد نفسه في المعتقل بتهمة المشاركة في حملة (السلم في كوردستان) بأن السجن يضم العناصر التقدمية والديمقراطية من الشيوعيين والكورد الوطنين والمستقلين من الكورد والعرب وقلة قليلة من الاعداء الحقيقيين للجمهورية وزعيمها عبدالكريم قاسم من العناصر البعثية والجماعات القومية، تلك الجماعات التي لم تنفك يوماً التآمر على الجمهورية الفتية وعلى شخص زعيمها وكانت الصحف المحسوبة عليهم تحاول بأستمرار عبر المقالات والأعمدة اليومية في جرائد ومجلات (الفجر الجديد، الثورة، الوادي الحرية.....الخ) اثارة الفتن والمشاكل والأساءة الى الصداقة العربية الكوردية وباقي القوميات الأخرى ودعوات الأنصهار للقومية الكوردية في بودقة القومية العربية وبأسماء مستعارة مثل (متآمر، رجعي، قومي عربي، موتور.....الخ).

في المعتقل أصبح الشغل الشاغل خسرو القراءة حسب ماكانت تتوفر له من الكتب والمجلات والمناقشات المستمرة مع (رفاق الدرب السابقين واللاحقين) منتقداً سياسات احزابهم وخاصة في الفترة التي أعقبت ثورة ١٤تموز عام ١٩٥٨ وعدم الخروج بتقيم موضوعي لطبيعة المرحلة وقادة الثورة وكذلك مسألة التحالفات بعد فشل تجربة جبهة الاتحاد الوطني التي ربطت الاحزاب (الشيوعي والبعثي والاستقلال والوطني الديمقراطي) والتي تكونت قبل الثورة عام١٩٥٧، وكانت المناقشات في اروقة وقاعات المعتقل مفتوحة وكانت تتسم بطابع الجد والصراحة حيث تبلورت افكار وطروحات جديدة حيال المسائل والمواضيع المطروحة ولكن وكما يقول كاكه خسرو (لم تستمر هذه الحالة طويلاً اذ حدثت الردة السوداء كما كنا نتوقع نحن نزلاء السجن التقدميون يوم ٨ شباط عام ١٩٦٣ وبحدوث هذه الردة المشؤومة تغير وضعنا (١٨٠) درجة اذ لم تمض ساعات قلائل حتى ظهر افراد من الحرس القومي أشبه بعصابات (اس اس) النازية حيث كانوا يتوعدون ويتهددون وخاصة الشيوعيون منهم وعند حلول الساعة الثانية بعد الظهر جيء بأفراد ومجاميع من المشتبه بهم كشوعيون أو انصارهم وأصبح السجانون أيضاً كالكلاب المسعورة ناهيك عن تصرفات الحزبيين من حزب البعث الذين كان قلة من عندهم معتقلين معنا حيث كنا قبل ٨ شباط نتجاور ونتناقش ونتبادل الآراء حول القضايا السياسة المطروحة انذاك كالقضية الكوردية والصراع الدائر بين الشيوعيون والديمقراطيون في جهة والبعثيون والقوميون في جهة أخرى ولكن اذاعة البيان الأول في اذاعة بغداد تحول اكثر العناصر مرونة من البعثيين الى جلادين ناسين القيم والشهامة والحد الادنى من قيم الرجولة والوطنية.

في منتصف شهر شباط تم نقل خسرو من معتقل (خلف السدة) الى قصر النهاية ذلك المعتقل الذي أصبح أحدى دلالات تأريخ حزب البعث ونظامهم المقبور الذي دام بحدود سنة واحدة في عام ١٩٦٣ وثلاث عقود ونصف العقد في المرحلة الثانية (١٧تموز ١٩٦٨-٩نيسان ٢٠٠٣) والذي يعتبر الفترة المظلمة بحق في تأريخ الشعوب العراقية حيث لم يرى العراقيون وعلى اختلاف قومياتهم واديانهم ومذاهبهم وانتمائاتهم السياسية منذ زمن هولاكو والى يوم سقوط البعثيين نظاما قاسوا في ظله الآمرين فشعار (قطعاً حتى الوريد وسحقاً حتى العظام) أصبح برنامج الحياة اليومية

للبعثيين في تعاملهم مع من لم يكن بعثياً وبالأخص اعضاء واصدقاء التنظيمات اليسارية والديمقراطية حيث لم ينج احداً من الذين دخلوا سجون ومعتقلاتهم السرية منها كانت والعلنية سالماً واذا خرج أحد المحظوظين منها يوماً فكان نصيبه الاصابة بعاهة جسمية أو نفسية من جراء التعذيب الجسدي والنفسي الذي كان يمارس بحقه.

عندما نقل خسرو الى قصر النهاية الرهيب رمي في احدى الممرات المكتظة بالشرفاء من الوطنين وقد مورس بحقه اشد انواع التعذيب جسدياً ولكنه بقى صامداً وعنيداً كصمود جبال كوردستان ولم يهتز له جفن ولم يرق هذا الصمود جلاديه واوباش التعذيب حيث استعملت معه طريقة مبتكرة معه وهي سكب الماء الحار على بطنه مراراً وفي احدى ساعات منتصف أحدى الليالي بعدما تعب الجلادون معه ولم يتعب هو مما حدا بهم الى استعمال الماء الحار بدرجة ظهرت اوردة بطنه تحت الجلد ولم يتفوه (خسرو) نا بأهة أو بأنين يشفى غليل معذبيه ولقد كتب الكاتب والصحفي امير الحلو كلمة رقيقة في وداع خسرو توفيق يتكلم فيها عن تلك الفترة التي قضاها معه في معتقل قصر النهاية وانقلها نصا هنا كشهادة شاهد عيان عما دار هنالك عام ١٩٦٣ حيث جمعه قصر النهاية مع خسرو توفيق في ذلك الزمن القاس و الردىء بعنوان (وداعاً خسرو توفيق انساناً ومناضلاً) في جريدة المدى بعد أسبوعين من وفاته عرفاناً بالوفاء وبالصداقة التي جمعهتم يوماً من قصر النهاية حيث يقول:

وداعاً خسرو توفيق إنساناً ومناضلاً

<u>أمير الحلو</u>

(في أواخر شهر أيار عام ١٩٦٣ جرى (تضييفي) في مكان يشبه فندق (خمس نجوم) من حيث البناء ويشبه ما قرأناه عن سجن الباستيل من حيث المحتوى، ولأن الفندق المذكور يحمل أسم (قصر النهاية) فقد كان مزدحماً بنزلائه الذين لم يختاروا المكان بأنفسهم ولكن (مكانتهم) السياسية العليا وفداحة (جرائمهم) جعلتهم ينزلون في هذا الفندق المميز عن غيره من (الفنادق) التي كانت تضم نزلاء من درجات أدنى سياسياً منا.

وبسبب الإزدحام الشديد في جميع (السويتات) والغرف والقاعات، فقد (جرى) رميي في إحد المرات بلقرب من المدخل الرئيسي، وبعد ساعات من (الإستقرار) في موقعي الجيد رأيت أحد الأشخاص يفترش الأرض بالقرب مني ويبدو معزولاً عن الآخرين، عندما تحدثت معه وجدته دمثاً ولكنه حذر في الوقت نفسه، ومعه الحق فهو لا يعرفني خصوصاً إن المكان (ملغوم) وإحتمالات الصعود إلى غرفة التعذيب في الطابق الأعلى واردة كما إن إحتمالات النزول إلى السرداب في الأسفل وهو المخصص للإعدام الفوري واردةٌ أيضاً، وبفعل مرور الوقت بطيئاً وفارغاً فقد أخذت بالتقرب أكثر من (النزيل) الذي سبقني في إفتراش الممر فعرفت إن إسمه (خسرو توفيق) وهو شقيق المناضل الكردي المعروف (دارا توفيق)، وعندما وجد من خلال حديثنا بأنني قريب من الأفكار اليسارية والتقدمية ولا أحمل أفكاراً شوفينية متطرفة أخذ يثق بي يوماً بعد يوم وخذنا نتحدث طويلاً في أمور سياسية وثقافية وعامة بحرية وثقة، وقد وجدت أن هدوءه يخفي وراءه شخصية ثورية مناضلة ومثقفة، وحذرة أيضاً، فلم أجده يختلط مع (سكان) الغرفة التي تجاورنا والتي كانت تضم قياديين شيوعيين منهم المرحوم نافع يونس والمرحوم الدكتور محمد الجلبي (جرى إعدامهما ونحن في قصر النهاية) وشريف الشيخ والدكتور حسين علي الوردي وحازم مشتاق وغيرهم، وكان يعتذر مني عندما كنت أدعوه للقيام بزيارة (مشتركة) لأولئك الرفاق الذين كنت أجلس معهم يومياً لأستمع منهم وليستمعوا مني حول ما يدور في البلد.

حدثني (الصديق الجديد) و(الزميل في المكان) خسرو توفيق كثيراً عن حياته وأفكاره وفتح لي قلبه بالرغم من تكتمه الشديد (حتى في التحقيق والتعذيب) بإغفاله الحديث عن أمور كثيرة كان (المحققون) يريدون الحصول عليها. لقد أحببت خسرو من كل قلبي وربطتنا علاقة وثيقة بالرغم من إننا كنا نمثل (إتجاهين فكريين مختلفين) في الحسابات التقليدية، ولكنا من خلال المناقشات وجدنا أنفسنا في (خندق واحد) معاد للدكتاتورية الحزبية وسياسة القتل والتعذيب وتصفية التيارات الأخرى مهما كانت إتجاهاتها يسارية أو قومية أو دينية، كما وجدنا أن (خلافاتنا) السابقة كانت مفتعلة وحتى ساذجة غير مبررة وتنطلق من مواقف متطرفة غير موضوعية.

مضت الأيام ثقيلة وبطيئة في قصر النهاية وكان الليل فيه رهيباً حين تسمع بإعدام إنسان كان معك قبل ساعات (كما حصل معي عندما كنت أساعد الدكتور محمد الجلبي على تناول الطعام لأن يديه ترتجفان بفعل الضرب والتعذيب ثم علمت صباح اليوم التالي أنه أعدم في الليلة نفسها)..

وفي تموز ١٩٦٣ قام البطل حسن السريع بحركته في معسكر الرشيد، وجرت عمليات نقل السجناء السياسيين على أماكن الأخرى وخصوصاً (قطار الموت) الذي توجه إلى نقرة السلمان يحمل أفواجاً من الشيوعيين الذين كانوا في سجن رقم واحد، وكان علي أن أودع خسرو توفيق بعد أشهر من الرفقة ليلاً ونهاراً وبعد أن أرتبطنا بصداقة بقيت أعتز بها، بقي خسرو في قصر النهاية حتى تمكن السجناء والمحجوزون من مغادرته في ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣، بعد سنوات التقيت بخسرو في دار أحد الأصدقاء المشتركين فتذكرنا (أيامنا الخوالي)، وبالرغم من بقائه على هدوئه وحذره إلا أنه كالعادة كان منفتحاً معي فتحدثنا عن كل شيء بحرية تامة وثقة متبادلة في وقت كان فيه مجرد الهمس (السياسي) المعادي يؤدي إلى الإعدام، اتفقنا أن نلتقي ولكن الفرصة لم تسنح لنا، حتى رأيته بعد سقوط النظام السابق يسوق سيارة خدمية في شارع السعدون فأشرت له بالوقوف فوقف (بحذر) ولكن ما أن تعرف علي حتى هبط من السيارة واحتضنني وسألني عن أحوالي كما سألته عن أوضاعه بلغني بأنه لديه مكتب في بداية شارع الرشيد في العمارة التي يقع فيها محل (جقماقجي) للتسجيلات الغنائية واتفقنا ان ازوره هناك، وقد وجدته سعيداً بمبادرة الأخ الاستاذ فخري كريم في تشكيل مجلس السلم وانعقده في كوردستان حيث كان الاخ خسرو توفيق من ضمن المدعوين إلى الإجتماع.. والحقيقة إنني وجدته متعباً ومتضايقاً مما يحدث في البلد على الصعيدين السياسي والأمني، كما شعرت ان صحته ليست على مايرام، وافترقنا على أمل اللقاء مجدداً، حتى قرأت خبر وفاته الذي وقع علي كالصاعقة، ولم أخف دمعة نزلت من عيني مع شريط الذكريات الطويل الذي كنا (بطله) في مقر النهاية مفترشين الأرض، مرعوبين مع وقع خطى زوار بعد منتصف الليل، وتذكرت (الألم) الذي كنا نتقبله عندما يجري مسح الجراح التي على أجسادنا بمادة اليود الحارقة ولكنها كانت الوسيلة الوحيد المتاحة لتضميد الجروح الدامية والمقترحة، كما أتذكر (وصفة)

لقشور الرقي التي كنا نسمح بها جلودنا الملتهبة من الحر الشديد، وأعترف انها كانت مفيدة اذ كانت تعطي بعض البرودة المساعدة على التخفيف من انتشار البثور والبقع الجلدية..

ذهب خسرو توفيق المناضل والمثقف الثوري والمتواضع الذي لم أسمع أنه طالب يوماً بمنصب أو موقع أو دخل بصراع مع آخر يخالفه الرأي.

لقد خسرنا (خسرو) المناضل في هذه الظروف التي نحتاج فيها للصديق الصدوق).

في سنوات مابعد الردة اي بعد اطلاق سراحه صيف عام١٩٦٤لم يهدأ له البال ولم يركن بعيداً عن الحياة السياسية والأجتماعية بسبب التجربة القاسية التي مرت بها في عهدي الجمهورية (عبدالكريم قاسم والبعثيين) والذي كاد أن يفقد حياته في العهد الأخير ولكنه ومع اهتماماته السياسية والتي لم تنفك منه أتجه صوب العمل الحر والأمور التجارية لأن تلك الفترة التي أعقبت انهيار نظام الحرس القومي أتصف بالهدوء النسبي وخاصة في عهد الفريق عبدالرحمن عارف مما حدا ب (خسرونا) الأنشغال بالأمور الشخصية من جهة والأستمرار في الاتصال المستمر مع القوى السياسة وقادتها في جهة اخرى ولكن وكان هنالك مسألة اخرى حازت على تفكيره واصبحت الشغل الشاغل له وهي مسألة القتال والحرب التي كانت مفروضة على كوردستان وشعبها والتعقيدات التي جابهت القضية الكوردية ومع ايمانه الكامل بعدالة قضية شعبه وحقه في تقرير مصيره كأي شعب من الشعوب القاطنة على وجه الأرضية لم يخفى ملاحظاته وانتقاداته تجاه بعض من المظاهر السلبية التي كانت تعشعش في الثورة الكوردية بفعل العاملين الخارجي والداخلي والتي كانت تؤثر سلباً على استراتيجية الثورة رغم نجاحها كتكتيك سياسي وكانت مناقشاته مع شقيقه (دارا توفيق) لم تكن تنتهي الذي كان منخرطا في صفوف الثورة الكوردية وقريباً انذاك من صانع القرار السياسي (البارزاني الخالد) فالشقيقان (خسرو و دارا) جمعهما اتجاه سياسي مشترك والأنخراط في ريعان شبابهما في صفوف الحزب الشيوعي العراقي في مدينتهم السليمانية التي تعتبر (مدرسة للأفكار) النيرة ثم بدا يميلان الى الافكار

القومية التقدمية بفارق العمر والزمن والانتقال الى صفوف الحزب الديقراطي الكوردستاني عام ١٩٥٦ وأصبح عضواً في مكتبه السياسي بجدارة لحين تجميد عضويته في ٣٠حزيران عام١٩٥٩ بسبب الخلاف الفكري الذي نشأ وظهر الى العلن بعد ١٤ تموز عام ١٩٥٨ بين اتجاهين فكريين مختلفين كانا يهددان وحدة الحزب في ذلك الظرف الحساس حيث حسمه رئيس الحزب مصطفى البارزاني بخطوة عملية وجريئة انقاذا لوحدة الحزب ومسيرته القومية (رغم الانتقادات التي وجهت الى تلك الخطوة من ذوي الافكار اليسارية) أما شقيقه دارا فقد التحق بصفوف الثورة الكوردية شباط عام ١٩٦٣ والذي كان يشغل مركزاً مرموقاً في اتحاد الشبية الديمقراطي العالمي وفي جمعية الطلبة الكورد في اوربا حيث ساهم مع زملائه من شباب الكورد المؤسسين (عصمت شريف وانلي، نورالدين زازا، سعدي حمدأمين دزيي، تحسين هوراماني، ظاهر حسين و نهاد ماجد مصطفى في ١٩٥٦/٨/١٠) تأسيس هذه المنظمة التي اصبحت سفيرة الكورد في اوربا في الخمسينات والستينات من القرن الماضي ولكنهما كانا يختلفان فكاكه خسرو كان يتصف بالجدية والعناد والغموض ومبدئياً حتى النخاع في سلوكه الاجتماعي والسياسي ولم يساوم يوماً ولم يطلب مالاً (واسترحاماً) من احد وكان معتزاً بكرامته وعزة نفسه والتي جعلته اسير قناعاته الفكرية والوجدانية وهذه ماأبعدته الى الصفوف الخلفية أو بالأحرى الى دائرة النسيان كالكثيرين من الرواد ومناضلي رعيل الأربعينيات والخمسينيات والستينيات الذين ساهموا مساهمة فعالة في صفوف الحركة التحررية بشقيها العراقي والكوردستاني وان بصماتهم ونضالاتهم وتضحياتهم معروفة للعيان ولكن ومع مزيد الأسى اصبحت ذلك التراث الوطني الكبير محفوظة فقط محصورة بين دفتي اوراق التأريخ حيث لن تر النور الأ عندما نحتاج الى شهاداتهم لتقوية المراكز وتثبيت صواب المسيرة وبرهان على استمرار النهج، فأما شقيقه الأصغر كاكه دارا فكان دمث الاخلاق وودوداً ومرنا ودبلوماسياً ناجحاً ورجل اعلام ناجح جداً حيث لم يظهر في صفوف البارتي لحد الان اعلامي بوزن وثقافة ودبلوماسية وشخصية دارا توفيق الذي كان يمزج بين الاعلام والدبلوماسية وتوجيهيها وجهاً حسناً بعيداً عن النرجسية وحب الذات متجاوزاً بالكثير حصر الهالة العلامية له واستغلال المركز لذاته.

بعد انتصار ارادة شعب كوردستان في الوصول الى اتفاقية ١١ آذار عام ١٩٧٠ والتي تقر صراحة كوثيقة تأريخية رسمية موقعة بين طرفين متحاربين اولهما الثورة الكوردية التي كانت تمثل ارادة شعب كوردستان وثانيهما الحكومة العراقية لأول مرة منذ تشكيل الدولة العراقية عام١٩٢١ الى اتفاق اعلنت في ١١ آذار عام ١٩٧٠وتضمنت من جملة ما كانت تحتويها الاتفاقية استحداث وزارة باسم (وزارة شؤون الشمال) وتشكيل سكرتارية عليا اختصت بأعمار كوردستان باسم سكرتارية هيئة اعمار الشمال واناطة مسؤوليتها الى خسرو توفيق الذي بدأ من الصفر وانتهت كهيئة ناجحة جداً للأعمار لعموم مناطق كوردستان ولولا تجدد القتال وفرض الحرب من جديد من قبل نظام البعث في آذار عام ١٩٧٤ لأصبحت تلك الهيئة مارداً في الأعمار والبناء:

في منتصف شهر آذار من عام ١٩٧٤ تلاقينا من جديد مع خسرو في قصبة جومان حيث كنا قد التحقنا بصفوف ثورة كوردستان وفي الثاني من شهر نيسان كنا (خسرو توفيق وسيروان عبدالله سعيد وكاتب هذه السطور متواجدين على احدى التلول في السفحة الغربية المشرفة على قصبة جومان عندما داهمت طيارتان من نوع (ميك ١٧) المنطقة وبدأت بقصف بعض المناطق المحيطة بها حيث نصحنا في الحال خسرو قائلاً (لاتتحركوا من مكانكم وعليكم الانبطاح على الارض واخفاء الساعات والأشياء اللامعة حتى لا تظهر لمعانها للطائرات) وبعد هروب الطائرات نتيجة النيران الأرضية لمدافع مقاومة الطائرات في المنطقة حدثنا خسرو عن بعض من افكاره حول مجابهة تلك الحالة التي كانت تتلخص بتخفيف الزحام من القصبات المحررة وتحويل مراكز الأستيعاب والدوائر ومقرات البيشمركة والملتحقون الجدد الى المناطق الجبلية ووديانها تلافيا للخسائر في الأرواح وأصبح مكان عمله (عندما أصبح نائباً للأمين العام للشؤون المالية والأقتصادية الذي كان مقابل مركز وكيل وزير وكان الأمين العام انذاك هو الأستاذ على عبدالله نائب رئيس الحزب الديمقراطي الكوردستاني حالياً) أستقر مكان وزارته في (مضيق وادي) المعروف ب (دربند رايات) حيث كان يعمل طيلة النهار بكامل طاقاته التي لم تكن تعرف الهوان وفي المساء عندما كان يعود الى بيته مشياً على الاقدام كان يحمل معه عدة سجلات واوراق تخص امانة الاقتصاد (الوزارة) لينكب عليها في الليل بغرض انجاز العمل يوماً بيومه ومع هذا لم يكن متفائلاً بالنتيجة وكان

يحلل المعادلة السياسية بالشكل التالي (البعث المتمثل بصدام حسين هو الذي فرض الحرب من جديد واعادة النظر في علاقاته مع القوى الوطنية من الداخل وتحييد الاتحاد السوفياتي ودول الكتلة الاشتراكية وجذبهم الى جانبه بنتيجة سياسة المنافع المتبادلة لأن العراق يغرى بموارده ومعادنه وموقفه الجغرافي واصبح اقرب الى المعسكر الاشتراكي نتيجة ادعائه بمحاربة الاستعمار وطموحاته في المنطقة ومن جانب آخر فأن الثورة الكوردية لم تكن بمقدورها بما فيها الكفاية دون دعم إيران للوقوف بوجه ترسانه العراق العسكرية وان سياسة شاه ايران والقوى المؤيدة له لم تكن مع انتصار الثورة الكوردية وتحقيق حقوق شعب كوردستان الا بالقدر الذي يهمه بالأضافة الى كون شاه ايران كان يتوجس من انتصار الكورد في العراق وخشيته من ملابساتها على كورد ايران وعلينا وللخروج من هذا المأزق اعادة النظر في بعض المواقف والاتصال مجدداً بالقوى الوطنية الفاعلة في الداخل ومعاودة الاتصال بالسوفيات عن طريق اصدقاء الشعب الكوردي) بغرض المحاولة للتأثير على مواقفهم ومن جانبهم الضغط على قادة البعث للحيلولة دون تفاقم الوضع واعادة الحوار مجدداً).

ربما كان خسرو مصيباً في ارائه النظرية وفي تقيمه للأوضاع السائدة انذاك في ساحة الثورة الكوردية ولكن كان الواقع شيئاً أخر لأن اندفاع البعثيين نحو القتال والقضاء على مكانة ونفوذ الثورة الكوردية كان هدفاً استراتيجياً ومركزياً لهم لأن البعث ولم يكن يقبل بمشاركة الاخرين له ولو بشكل رمزي لأن عقيدة البعث مبنية اساساً على الأنفراد في الحكم وتصفية الخصوم عاجلاً أم آجلاً ومن جانب آخر لم يكن البعثيون ومن خلال كتابات مشيل عفلق والى ممارسات على صالح السعدى وصدام حسين تجاه الشعب الكوردي بالحد الادنى ودياً ولو بشكل نظري، وان الثورة الكوردية وان كانت سياستها صحيحة أو خاطئة لم يكن هنالك ملاذ آخر تستند عليه بفعل عامل الجغرافية السياسية ولم تكن الدول الغربية ولا القوى والاحزاب والمنظمات العربية تنظر بعين الصداقة الى الثورة الكوردية ومطاليب ثوارها وانهم أي حكومات وقوى سياسة عربية كانت ترى في الثورة الكوردية اسرائيل أخرى واسرائيل ثانية تخلق (على ارض العرب) وانها أي الثورة الكوردية كانت مضطرة أو بالاحرى مجبرة بالتعامل مع شاه ايران.

شاهد خسرو وشاهدنا جميعاً ماذا حلت بالثورة الكوردية من نكسة اليمه في ٦من آذار عام١٩٧٥ نتيجة التطورات التي حصلت بين طرفي النزاع عراق صدام حسين وشاه ايران ضمن تسوية مخزية تنازل بموجبها صدام عن نصف عائدية شط العرب مع اراضي اخرى في الحدود البرية من العراق لأيران مقابل غلق الحدود (البوابة الوحيدة للثورة الكوردية) ومنع التسلل وسحب الدعم عن المقاتلين من (البشمركة) وخنق اية محاولة لمواصلة القتال بوجه الجيش العراقي بمباركة أمريكية فضه حيث تصافح الندان في غرفة مغلقة لأحد القصور في مدينة (الجزائر) عاصمة (المليون شهيد) حيث كان عرابها الرئيس الجزائري انذاك (هواري بومدين) بشخص وزير خارجيتها في ذلك الوقت عبدالعزيز بو تقليقة، وفي خضم هذه الاحداث وبعد مرور اربعة وعشرين ساعة التقيت خسرو في منزله الطيني المتواضع في المنطقة القريبة (الدربند رايات) وكان متماسكا ومنكباً على الأضابير التي كانت تخص الشؤون المالية للثورة وكأن شيئاً لم تحدث وعندما انتهى في تسجيل الارقام وتأشير الوارد والصادر من المبالغ طلب قدحين من الشاي لي وله ثم خلص ارائه بعدد من الجمل البليغة قائلاً (الآن تحررنا من عقدة الجغرافيا السياسية (جيوبولتيك) التي كانت تتحكم بنا وتحدد مساحة حركتنا ولكن الثورة ستجابه صعوبات جمه للغاية وسنحتاج عند المقاومة الأنتشار على مساحات واسعة في الجبال والوديان مع الأختزال الكبير في حجم الافراد واعادة توزيعها على شكل مفارز صغيرة متحركة مع الأسراع في معاودة الأتصال بالأتحاد السوفياتي).

كانت المؤامرة (اتفاقية الجزائر) اكبر من أن تواجه (بالأمكانات الكوردية) وكانت نهاية مرحلة كما كان يقول كاكه خسرو وليست (نهاية مسيرة أو نهاية ثورة أو بالاحرى نهاية تطلعات شعب مستعدا للتضحية بأبنائه البررة في سبيل الوصول والحصول على كامل حقوقه وكان هذا جوابه عندما التقيناه مع صديقي سيروان عبدالله سعيد في منزله الواقع والقريب من الطرف الغربي لشارع فلسطين بعد رجوعنا إلى العراق بعد النكسة وعندما انضم الينا شقيقه دارا على مائدة طعام العشاء في حديقة داره ورداً على أحدى اسئلتي (ماهو العمل بعد الأن) فكان جواب خسرو كالآتي (بسبب علاقتي وصداقتي مع بعض من قادة الحزب الديمقراطي الكوردستاني الأيراني ونتيجة قرأتي للأوضاع السياسية فأن بؤر الثورة ستشتعل ثانية وبأتجاهات

مختلفة وبعيداً عن الايرانيين في المراحل الاولى وأنا متفائل في النتائج ولكن وفي المقابل فأن حكومة البعث والتي اصبحت بعد النكسة التي حلت بالثورة الكوردية تحولت الى كلب مسعور لن تهدأ لها البال وخاصة بعد اعلان احمد حسن البكر في٧من نيسان "بأنهم قد قضوا على التمرد الكوردي وعلى (الجيب العميل) والى الأبد" وهذا ما يجعلهم اكثر يقظة تجاه أي تحرك مهما كان صغيراً وعلينا في المقابل اتباع الأسلوب العملي في كيفية العلاقة بعضا مع البعض (استمرار علاقات الصداقة للعناصر التي كانت ملتحقة بالثورة والتي تحافظ على نقاوته، الابتعاد عن الصيغ التقلدية للتنظيمات الحزبية وخاصة للعناصر المكشوفة، والاكتفاء باللقاءات الودية بين تلك المجاميع وعدم توجيه الانتقاد للظواهر السلبية التي كانت موجودة في الثورة حتى لاتستغل من قبل البعث وتؤثر سلبا على معنويات الناس لأن هذا الوقت ليس اوانها).

كنا نلتقي وخاصة عندما كنا نسافر من كويسنجق الى بغداد مع زوجتي لزيارة عائلتها وقد كنت حريصاً عند زيارتي الى بغداد ممارسة بعض من (الطقوص) وفي مقدمتها اللالتقاء بالاعزاء (دارا توفيق والدكتور كمال مظهر احمد وخسرو توفيق والملا جميل روزبياني و(جلال عمر سام اغا) طيلة بقائه في بغداد مع تخصيص يوم لزيارة المكتبات في شارع السعدون- الباب الشرقي- شارع الرشيد ماراً بسوق الصفافير- شارع النهر- سوق البزازين- سوق السراي- شارع المتنبي- الحيدر خانه مشياً على الاقدام واخيراً الاستراحة في احدى مقاهي الحيدرخانه (برلمان، حسن عجمي، الزهاوي) وشرب الشاي في احداها وكان خسرو حريصاً على اللقاء في داره أو في مكتبه في عمارة الجقمقجي الواقعة في مدخل شارع الرشيد عند طرف الباب الشرقي واكثر حرصاً على سماع اخبار كوردستان اول بأول وفي كل مرة كان يسألني عن رأي بهذا و زاك وبعد حدوث الانتفاضة في ربيع عام ١٩٩١ وانقطاعي عن زيارة بغداد نهائياً لم اكن التقي خسرو الا عند زياراته هو الى كوردستان والى مدينة أربيل وكان يتصل بي في الساعات الاولى من وصوله وكنت حريصاً أن اكون ومعي سيارتي معه اول بأول الى الأنتهاء من زيارته ولم تكن المناقشات السياسية تنتهي بيننا فقد كنا نتفق على شيء ونختلف على اشياء ولم يكن يمل عند المناقشة والحديث عن الامور السياسة وكان يلح دائماً بارسال الكتب والجرائد والأدبيات اليه بواسطة (الأصدقاء المخلصين

من مسؤولي الحزب الديمقراطي الكوردستاني الأيراني) ولم يكن يشعر بالتعب طيلة معرفتي به ولكن وعند زيارته الأخيرة لأربيل في اليوم الثالث من شهر شباط من العام الماضي (٣ شباط ٢٠٠٤) لحضور مجالس العزاء والتي كانت مقامة على ارواح الخالدين من شهداء فاجعه الاول من شباط الذين راحوا ضحية عمل ارهابي واجرامي جبان في مقرى الفرع الثاني للحزب الديمقراطي الكوردستاني والمركز الثالث للأتحاد الوطني الكوردستاني حيث رأيته متعباً وعندما أستقر في الجلوس في غرفة الصالون بمنزلي استفسرت عن صحته حيث قال لي (لاتتأثر كاكه فرهاد فأنا مصاب بالسرطان وقد سافرت مع العائلة الى الأردن واجريت لي عملية جراحية بأستئصال جزء من الكبد واعالج كل اسبوعين بالكيمياوي ولهذا تراني متعباً ولكن لست خائفا من الموت وسأقضي على السرطان غير المتفشي بأذن الله) تمالكت نفس ولم أظهر له مقدار القلق الذي انتابني حال سماعي الخبر من فمه يالها من تلك المفاجأة غير السارة ولكن وقد قلت له في الحال (انك اكبر من هذا السرطان اللعين يا كاكه خسرو ولن أصدق بوجود السرطان في جسمكم لأنني اراكم على احسن الحال والصحة الجيدة ومادمتم مصرين على دحره فسيندحر بأذن الله) وقد اردت الاستمرار في دعوات الشفاء والتطمين والصحة الجيدة ولكنه قاطعني بأبتسامة خفيفة قلما ظهرت له في مثل هذه المناسبات الجدية قائلاً: أشكرك واقدر مشاعركم تجاهي قل ماذا عن وضعكم المهني والسياسي...

أنا: كما تعرفون فأنا مهتم بأمر نقابة صحفي كوردستان وقد عقدنا المؤتمر العام لصحفي كوردستان تحت خيمة وشعار وارادة موحدة واحدة واصبحت النقابة الان تمثل جميع صحفي كوردستان بأختلاف الاراء والقومية والدين والجميع يقدرون مساعي التوحيد وانا بدوري متفرغ لها وبأذن الله سنجعلها قدوة حسنة لباقي الاتحادات والنقابات الاخرى في كوردستان والعراق معاً.

في تلك الليلة الشتائية الباردة انشغلنا بأحاديث شتى شخصية، عامة، سياسة، مهنية مع جملة من الانتقادات المركزة والبناءة لعموم التجربة الكوردستانية وسبل معالجتها وكان في رأيه ان مساهمة التجربة في كوردستان بأحزابها ومنظماتها وشخصياتها وصحفها في تقوية ومساندة ومؤزارة الاتجاه العلماني في الوسط وجنوب

العراق لأنه كان يرى بأن مستقبل الأستقرار في العراق مرهون بسيادة الاتجاه العلماني وان الخطر المحدق بالعراق هو سيطرة الاتجاه المتزمت في الأصولية على الشارع ليس بالعدد والشعبية وأتباع لغة الحوار وانما بأساليب التهديد والوعيد بقوة السلاح وارتكاب الاغتيال السياسي بواجهات واساليب شتى مدعومة من الأوساط الرجعية والغارقة في الظلام.

في الواحدة بعد منصف الليل اوصلته بسيارتي الى فندق (تاور هه ولير) قصر أربيل رغما عني لأنني كنت أرغب وهو يعاني من المرض اللعين البقاء والمبيت في بيتنا ولكنه ابى ذلك بحجة أنه كان يعود الى بغداد في الصباح الباكر وانه لايرغب من ازعاجي وعند باب الفندق نزلت من السيارة قبله حيث فتحت له الباب مودعاً على امل اللقاء مرة اخرى في أربيل في موسم الربيع.

في الثالث والرابع والخامس من شهر آب من العام (٢٠٠٤) كنا مشغولين بمجلس العزاء على روح شهيدنا شقيق زوجتي (سردار عبدالله سعيد) الضابط المفصول من الخدمة عام١٩٧٥ بعد النكسة التي حلت بالثورة الكوردية حيث سبق أن أصبح نزيل سجن رقم (١) في معسكر الرشيد لمدة عام وثلاثة أشهر في آذار عام ١٩٧٤ بعد معاودة القتال من قبل البعثين على كوردستان والمحامي لاحقاً الذي منع من مزاولة مهنة المحاماة من قبل النظام كونه ضابط مفصول لأسباب سياسية والذي أصبح مسؤولاً للجنة محلية الكرخ للحزب الديمقراطي الكورستاني وعضو فرعه الخامس بعد تحرير العراق وسقوط نظام الطاغية عام ٢٠٠٣ والذي اغتيل غيلة وغدراً أمام بيته من قبل العصابات السادية المجرمة والذين يتسترون تحت المسميات الدينية مع رفيق دربه الشهيد جهاد جلال أحد كوادر محلية بغداد للبارتي عندما كانا على وشك الذهاب الى مقر الحزب صباح ٢أب ٢٠٠٤حيث لم الاحظ وجود خسرو في مجلس الفاتحة و كان ذلك محل استغرابي وعندما استفسرت من أحد الزملاء الموجودين والذي كان على صلة مع خسرو بلغني بأن كاكه خسرو لم يبق له إلا ايام معدودات وانه منذ اسبوعين قبل ذلك التأريخ أصبح طريح الفراش.

في الساعة العاشرة من صباح يوم الجمعة المصادف ٦ آب ٢٠٠٤ توجهنا مع سيروان الى منزله حيث استقبلتنا السيدة زوجته شهبال كريمة الشخصية الكوردية

والوزير في العهد الملكي المرحوم ماجد مصطفى بوضع قلق للغاية وارتباك ظاهر وطلبت منا الجلوس في غرفة الصالون قبل الدخول على كاك خسرو في غرفة جانبيه اخرى وعندما استقربنا في المكان قالت السيدة شهبال (البارحة ليلاً عرفنا بمصيبة اغتيال سردار وكان عليّ الحضور في بيته لولا المصيبة التي حلت بنا بمرض خسرو وحالته متعبة للغاية وكل ماأرجوه عدم اخباره بأستشهاد سردار وهو بهذه الحالة لأنه يتأثر كثيراً ويتأذى ويعجل في انهيار اسرع وثانياً فأنتما من احباب خسرو واهل البيت وارجوه ايضاً عدم المكوث كثيراً عنده لأنه حالته تتطلب ذلك.

بينما كانت السيدة شهبال تتحدث إلينا وكانت ترجو وترجو كنت انظر إلى جدران الصالون الذي طالما كنا (كاك خسرو وأنا) نجلس فيه ونتحدث ونتكلم في السياسة وفي الأمور الأجتماعية والمزدانة بالصور العائلية وصور أيام العز في شبابه وجزء من مكتبته الخشبية المتحركة التي تفصله الصالون عن غرفة الأستقبال ولم يطرأ عليهما أي تغيير منذ سنوات وبينما كنا على وشك الدخول الى حيث كان كاك خسرو راقداً دخل علينا ايضاً الأخ الصديق الأستاذ (محمد الملا عبدالكريم المدرس) حيث تبين انه لم يكن على علم بمرض كاك خسرو إلا قبل يوم حيث تقدمنا الى الداخل حيث كان خسرو راقداً في وسطه على سرير ومغطي الى الصدر بلحاف خفيف وحين ركز علينا عندما حرك رأسه على المخدة ناحية اليسار وعرفنا قال بصوت خفيف اشبه بالأنين (اهلاً وسهلاً ومرحباً بكم) وبعده دخل في غفوة وأغمض عينيه لمدة دقيقتين وعندما كان هو على هذه الحالة طلبت السيدة شهبال منا الجلوس على الأرائك القريبة منه.

كنت حزيناً للغاية بفقداننا لـ (سردار) الذي عان من الحجز والأعتقال في سجن رقم واحد وهو الضابط برتبة ملازم ثان والذي دخل الكلية العسكرية بعد اتفاقية ١١ آذار عام ١٩٧٠ على قائمة الحزب الديمقراطي الكوردستاني وعند التخرج عام ١٩٧٣ ثبت في احدى الوحدات في مدينة البصرة وعندما التحق شقيقه سيروان بالثورة الكوردية سفرت عائلته المتكونة من الأب (العميد المتقاعد عبدالله سعيد) وعضو هيئة الأمتياز لجريدة التآخي في دورتها الأولى ١٩٦٧-١٩٦٨ وصديق البارزاني الخالد والذي ظل وفياً له ولسيرته ونهجه الى يوم وفاته في ٢٠٠٢/٧/٢٤ في مدينة بغداد وكذلك والدته والشقيقين نزار وكريم وشقيقته شيرين وأما شقيقته الأخرى بروين (زوجتي) فقد

سفرت قبلهم بشهر الى المناطق المحررة حيث كنا فيها ولكن حظ سردار كان الأعتقلال لمدة عام وثلاثة أشهر وبعد الأفراج أحيل الى التقاعد بدون راتب وبتشجيع والده أكمل دراسة القانون في الجامعة المستنصرية وتخرج منها محامياً وانتسب الى نقابة المحاميين ولكنه منع من مزاولة مهنة المحاماة واتجه الى العمل الحر وكله حقد على النظام ولم يكن يستطيع اخفاء مشاعره تجاه البعث وقضية شعبه وكان منتمياً صفوف تنظيمات البارتي في الفرع الخامس وكان يعمل بكل جدية وبتفان كبيرين في صفوفه الى يوم استشهاده مع الكادر الحزبي جهاد امام منزله في حي الجهاد بالعاصمة بغداد حيث كنت أنقل بأفكاري الحزينة بين فاجعة إستشهاد سردار وفاجعة الموت المنتظر خسرو.

وعندما كنت انظر الى كاك خسرو وهو الذي كان مارداً في الحركة والنشاط قبل اصابته بالسرطان زاد حزني وبكيت في قلبي وبقلبي وتمالكت على النفس بعكس الأخ محمد الملا عبدالكريم الذي اجهش بالبكاء حزناً على صديقه خسرو وعندما فتح خسرو عينيه ثانية طلب من كريمته الكبرى (شيلان) كرسياً لي للتقرب منه اكثر وعندما جلبت شيلان الكرسي انتقلت للجلوس عليه بالقرب من رأسه حيث أداره ناحيتي قائلاً بصوت خفيف.

* خسرو: ما هي أهم الأخبار؟

– انا: تكلمت له بأيجاز عن الوضع في كوردستان وحالة الأستقرار فيها وكذلك الجهود المشتركة للحزبين بصورة خاصة والأحزاب والشخصيات الأخرى في سبيل الوصول الى قائمة ترض الجميع لأعضاء المجلس الوطني حيث كان قد اعلن اسماء الذين يحضرون الأجتماع لأنتخاب (١٠٠) أعضاء للمجلس.

كاك خسرو: لقد تحدثت مع............ حول رغبتي في الترشيح للمجلس خدمة لشعبي ووطني كوني لي علاقات جيدة مع الشخصيات الوطنية من كافة الأحزاب الوطنية والتقدمية ولكن طوفان الطارئين والمتملقين وأصحاب الحظوظ في كل زمان ومكان وبدون استحقاق وطني أو وظيفي والسائرون في ركاب المسؤولين بلا حياء أو خجل حالة دون وصولي والآخرين من أمثالي الذين وضعوا اللبنات الأساسية في أساسيات البارتي وواصلوا المسيرة مع المناضلين الذين يترفعون طوال حياتهم

الاقتراب من الامتيازات المادية، حيث عاشوا ويعيشون مرفوعي الرؤوس وقد كنت جبلاً لمدة ماتزيد عن نصف قرن بسنوات ولكن كما ترى الآن انهار هذا الجبل ولكن ثق لست متألماً من الانهيار (وكان يقصد وضعه الصحي) ولكني متألم جداً من شيء آخر وحالة اخرى وهي......... وجود حالة اللامبالاة تجاه من كان ماردا في الأيام الخوالي في الوقت الذي تخاذل الآخرون من أول صدمة ولكن ومع هذا وكما يقال (لكل زمان دولة ورجال) ويظهر إننا لسنا رجال هذا الزمن.

انا: لم أستطع التعليق على كلامه لشدة تأثري حيث كادت العبرات تخنقني ولكنني كنت أظهر موافقتي له على كلامه بأشارات من الرأس وتحريكه يمناً ويساراً.

مضت نصف ساعة على مكوثنا في حين كان الوقت المسموح لنا عدم البقاء لاكثر من خمس دقائق وحسب ارشادات الطبيب وعائلته ولكنه أبى الموافقة على مغادرتنا له عندما كنا نستأذن منه لتوديعه وعندما شعرت بأنه على وشك الدخول في غفوة أخرى مع احزانه استأذنت منه للمرة الثالثة وأستأذن معي سيروان وكاكه حمه مصافحاً ومودعاً وعند الباب التفت ثانية صوبه حيث كان قد دخل في الغفوة مرة أخرى حيث لم تمض الا أيام قلائل (ووفاه الأجل في ٢٠٠٤/٨/١١)و دخل (خسرونا) في غفوته الابدية تاركاً ورائه صفحات من المجد والنضال والتضحية والمثابرة والعناد والاعتزاز بالنفس وطنياً صادقاً حتى العظم اسير قناعاته المبدئية التي اوصلته الى دائرة الأهمال والنسيان تاركا الصفوف الأمامية للآخرين الذين لايعرف بعض منهم سيرة خسرو وأمثاله من الرعيل الأول الحافلة بالدروس وبمبدئية لم تعرف المساومة والاسترحام وسيرة الآخرين من امثاله الذين لولاهم ولولا تضحياتهم وسهرهم المتواصل من أجل قضية شعبهم ولولا تضحيات الشهداء الأبرار .... لماكنا قد نصل الى يومنا هذا...

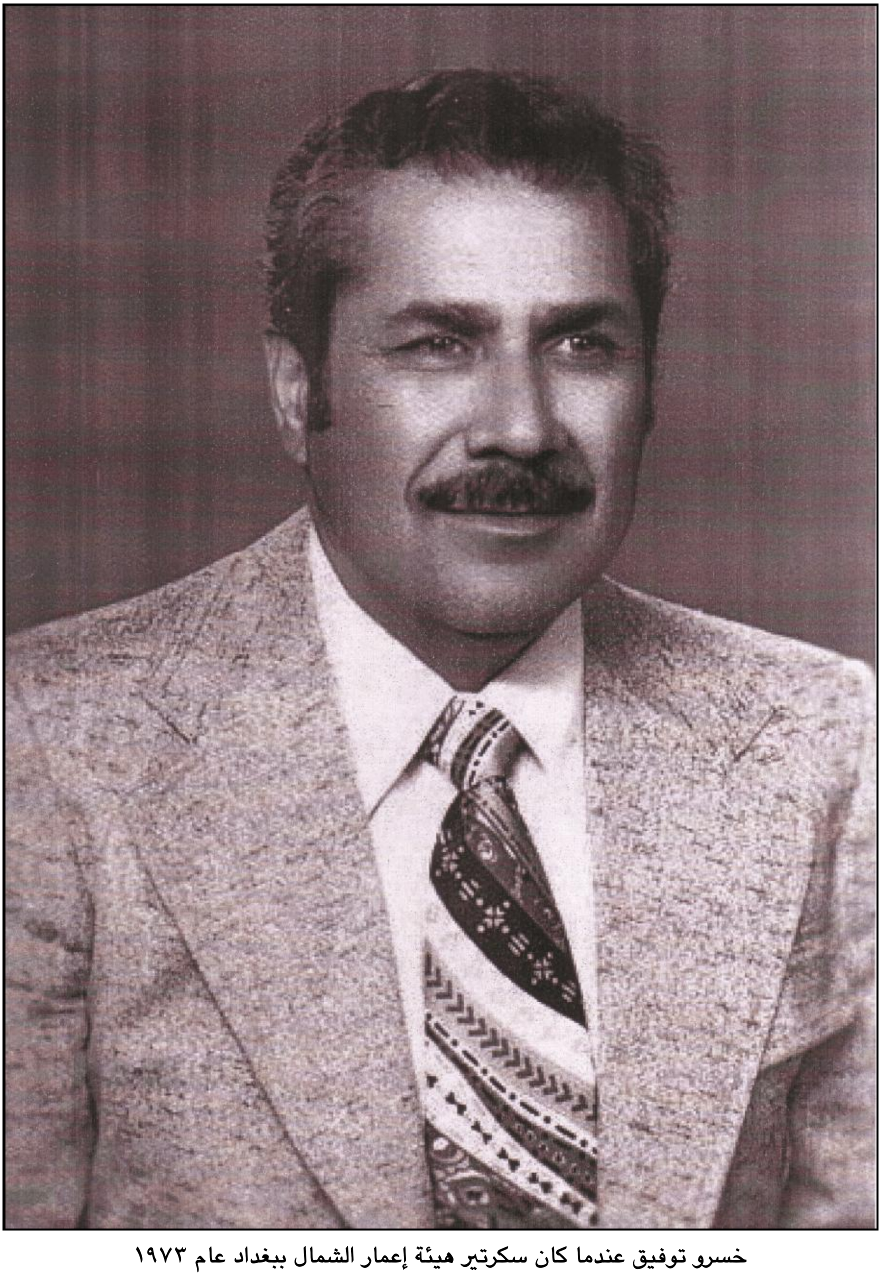

خسرو توفيق عندما كان سكرتير هيئة إعمار الشمال ببغداد عام ١٩٧٣

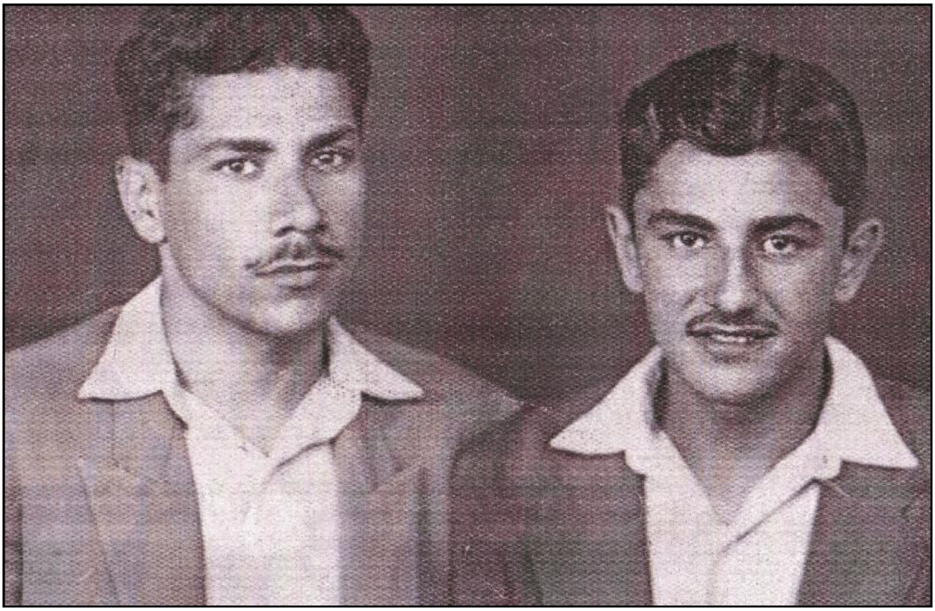

دارا توفيق مع شقيقه خسرو أيام شبابهما في صورة التقطت للذكرى

جماهير مدينة السليمانية خلال تظاهرة يوم ٦ أيلول ١٩٣٠

سردار عبدالله سعيد

الذي استشهد يوم ٢٠٠٤/٨/٢ في بغداد

على أيدي العصابات الإرهابية المجرمة

استبدل عكازته بالأجنحة..

شهاب التميمي في الجهة الأخرى من المرآة (*)

"ماذا يتبقى من الوجوه التي تذهب بابتساماتنا وصورنا وذكرياتنا إلى البحر.."

"اللقاء الأول."

قبل تعارفنا كنت أسمع باسمه، كان ذلك في بدايات العام ١٩٧٢ عندما كنت مديرا لإدارة جريدة (التآخي) وتوأمها الجريدة الكوردية (برايه تى). الزميل أحمد الجزراوي كان قدمني إليه في يوم من أيام صيف ١٩٧٣ في مطعم زبيدة في شارع السعدون ببغداد العاصمة، وكان المطعم المذكور يشغل الطابق الأرضي من عمارة أطلس ذات الطابقين التي كنا أتخذناها مقرا لجريدة التآخي. يومها دار الحديث بيننا حول ضعف مشاركتنا ودورنا نحن الصحفيين الكورد في نقابة الصحفيين العراقيين مما جعل (الزملاء البعثيين) على حد تعبير (شهاب التميمي) يسيطرون على مفاصل النقابة. وكان تعليقي: إن الزميل أحمد الجزراوي يحتل الآن موقع نائب النقيب ماذا بوسعنا أن نفعل أكثر من ذلك. كانت أوضاعنا في النقابات والمنظمات المهنية يومذاك مرهونة بمستقبل علاقة الشعب الكوردي والثورة الكوردية مع حزب البعث العربي الاشتراكي والحكومة العراقية، وهي علاقة لم تعرف الاستقرار يوما، وشهدت فصولا متتابعة من المد والجزر، والتوتر والانفراج، لم نكن مرتاحين إلى تلك العلاقة ولا إلى التحالف الموجود خاصة بعد الذي حصل إثر إعلان اتفاقية ١١ من آذار عام ١٩٧٠).

"بعد ثلاثة عقود ونصف.. في ظلال جبال أطلس.."

كنا نتجاذب أطراف الحديث أبو ربيع وأنا في قاعة استقبال فندق أوراس المواجهة لسلسلة جبال أطلس في العاصمة الجزائرية مساء الجمعة ٢٠٠٧/١/٢٦ حوالي

(*) نشر في مجلة (الصحفي) العدد ٣٩ في نيسان ٢٠٠٨.

منتصف الليل لما ذكرته بما دار بيننا في مطعم (زبيده) قبل ثلاثة عقود ونصف حول العمل النقابي آنذاك وملاحظته بصدد ضعف المساهمة الكوردية في نقابة الصحفيين العراقيين وقتما كان (سعد قاسم حمودي) نقيبا لها، لم يتذكر في البداية، ولكني عندما أشرت إلى بعض التفاصيل وخاصة المشاحنة الكلامية التي نشبت وقتها بينه وبين الشاعر يوسف الصائغ الذي كان يعمل محررا في صفحة التآخي الأخيرة: وكان أبو ربيع أستفز الشاعر الصائغ لحظة دخل المطعم بجملة رد عليها الأخير بأخرى أقسى منها، وكاد الموضوع يتحول الى مشاجرة لولا حضور الزميل (كامران قرداغي) والذي كان يشترك مع الصائغ في تحرير نفس الصفحة، وكان يهم بالصعود الى مبنى الجريدة لحظة شاهد الصائغ معنا فناداه لكي يصعد معه الى مقر الجريدة وإنجاز العمل في صفحتهم.. عندما ذكرت لأبي ربيع هذه التفاصيل هتف بصوت عال (أي والله يا كاكا اتذكرت).

"محاولة في ترميم الذاكرة.."

امتدت بنا تلك الجلسة الى ساعة متأخرة من الليل، كنا نتحدث في أمور ومواضيع شتى.. ذكرته بزيارتي له في مقر نقابة الصحفيين العراقيين بعد سقوط النظام الصدامي وكان المقر مهجورا، حيث وجدت أبا ربيع جالسا وحده في غرفة عارية من الأثاث باستثناء منضدة حديدية وعدد من الكراسي نصف المكسورة،كان ذلك تحديدا في بداية الشهر الخامس من عام ٢٠٠٣ وعندما شاهدني لم يتعرف على ملامحي وشخصيتي للوهلة الأولى لأن مرور ثلاثة عقود من القطيعة القهرية بيننا ترك أثره في وجهي بقدر ما أنهك ذاكرته. وما أن عرفته بنفسي حتى قام من مقعده وعانقني بحرارة وقبلني عدة مرات، ووسط ذلك الديكور البائس الذي كان يحيط بنا، دار بيننا حديث طويل ومستفيض ومفعم بالتوقعات الجميلة، وعندما استفسر مني عن مصير فرع الحكم الذاتي لنقابة الصحفيين العراقيين بدأت اسرد عليه فصول الأحداث التي وقعت بعد طرد القوات العراقية من مناطق واسعة من ربوع كوردستان وانسحاب الإدارات الحكومية العراقية في أعقاب ذلك حيث شهدت الصحافة في كوردستان مرحلة جديدة تختلف كليا ونوعيا عما كانت عليه زمن النظام السابق، تميزت بمدى شاسع وغير مألوف من الحريات، فالكل هنا بمتعدد اتجاهاتهم السياسية والقومية والدينية

أحرار فيما يصدرون وفيما يكتبون وفيما يمدحون وفيما ينتقدون وبدون سلطة أية رقابة أو رقيب، وإن الازدهار الذي شهدته الصحافة الكوردستانية ولد الحاجة إلى نقابة مهنية تهتم وتنظم شئون هذه الشريحة المجتمعية المتطلعة من المثقفين والمبدعين، حيث عمدت مجموعة منهم إلى إعداد مسودة مشروع قانون (نقابة صحفيي كوردستان)، وتمت مناقشته في البرلمان المنتخب من قبل شعب كوردستان وصدر في ١٩٩٨/٤/٢٢ احتفاء بذكرى مرور مائة عام على صدور أول جريدة كوردية في ١٨٩٨/٤/٢٢ في مدينة القاهرة، وشرحت له كيفية إعداد المؤتمرات النقابية والقاعدة الائتلافية التي تسير عليها بجمعها كافة الصحفيين في كوردستان. وعندما سمع أبو ربيع كل هذه التفاصيل قام من مقعده وقال لي بالحرف الواحد: أحترم خياراتكم التي هي ضمن خيارات الشعب الكوردي البطل وإنني مسرور بسماع هذه الرواية الشيّقة وأرجو ان نتعاون مستقبلا عندما تهدأ الأمور في بغداد ونتمكن من عقد مؤتمر عام لنقابة الصحفيين العراقيين.

تعددت اللقاءات بعد ذلك في كوردستان وفي بغداد وفي الاجتماعات والمؤتمرات التي كانت تنعقد في الأغلب بدعوة من الفدرالية الدولية للصحفيين في العاصمة الأردنية حول أوضاع الصحفيين في العراق وما آلت إليه من نتائج دامية وفواجع ونكبات راح ضحيتها المئات من الصحفيين، وكان يدافع بكل ما أوتي من قوة عن القضايا المهنية وكأنه كان قد خلق أساسا لهذه المهنة والدفاع عن مريديها من الصحفيين.

"فندق أوراس.. وكان الجو ماطرا.."

مساء ذلك اليوم ٢٠٠٧/١/٢٧ بعد الإنتهاء من جلستين طويلتين امتدتا من التاسعة صباحا لغاية الرابعة عصرا قمنا بجولة سريعة وسط العاصمة الجزائرية، كنا أربعة زملاء من العراق.. شهاب التميمي نقيب الصحفيين العراقيين، ومؤيد اللامي أمين سر النقابة، وهيفاء الحسيني رئيسة تحرير جريدة المسار الموصلية، وأنا. وكما هي العادة عندما يزور المرء مدينة أو عاصمة دولة أجنبية كان مركز المدينة والشارع الرئيسي فيها أول محطات التجوال، وكان (دودش مراد) مبتغانا بالنسبة للعاصمة الجزائرية. عدنا من ثم إلى الفندق، كان التعب قد أخذ منا الكثير، وفي ركن هادىء من

صالون فندق أوراس انزوينا، كان الجو ممطرا وباردا وأضوية المصابيح كانت تتلألأ في الدائرة الخارجية للفندق حيث كانت انعكاسات تلك الأضوية على تموجات مياه البحر الأبيض المتوسط في الساحل الشرقي ممزوجة بزخات المطر قد خلقت منظرا أخاذا للغاية. سأل التميمي عن معنى دودش مراد، ولماذا أطلق هذا الاسم الغريب على أهم شارع في العاصمة الجزائرية. في مواجهة حيرة الزملاء ونظراتهم المستفسرة أخبرتهم أن دودش مراد هو أحد أبطال الثورة الجزائرية في المراحل الأولى من المقاومة منتصف الأربعينات من القرن الماضي واستشهد منتصف الخمسينات، وهو يرقد الآن في مقبرة الشهداء بالعاصمة. استغرب التميمي امتلاكي هذه المعلومة وقال لي مازحا: من أين لك هذه المعلومة المفصلة والدقيقة. فقلت له (لدي غير قليل من الذكريات عن الثورة الجزائرية شأن كل الشبان الكورد الذين عاصروها، لقد عشناها – الثورة – نحن أبناء الكورد هما يوميا وخاصة المنتمين إلى العوائل التي كانت تنشط بالسياسة، فأنا ما أزال أتذكر صورة المناضلة الجزائرية (جميلة بوحيرد) وهي معلقة على واجهات الدكاكين والمحلات في مدينتي (كويسنجق) منتصف الخمسينيات من القرن الماضي، يومها حدثت تظاهرة كبيرة تأييدا للثورة الجزائرية نتج عنها اعتقال نخبة من وجهاء كويسنجق من مثقفين وسياسيين، وكان من بينهم المرحومان (والدي وعمي) في ليلة عيد الفطر المبارك من تلك السنة، وتغنى كذلك عدد كبير من الشعراء الكورد بالثورة الجزائرية وأبطالها ولكن للأسف كانت مكافأة الجزائر للكورد اتفاقية آذار ١٩٧٥ ، التي كان عرابها الرئيس الحالي (عبد العزيز بو تفليقة) وكان وقتها وزيرا للخارجية. وعندما استطردت في حديثي الى الفواجع والنكسات والكوارث التي أعقبت تلك الاتفاقية وما نتج عنها من ترحيل وتهجير وعمليات الأنفال السيئة الصيت وضرب حلبجة بالسلاح الكيمياوي ومناطق أخرى من كوردستان والتي راح ضحيتها عشرات الألوف من المدنيين استوقفني أبو ربيع وقال بصوت منخفض: كل ما أرجوه عدم إثارة الموضوع مع الزملاء الجزائريين بمثل هذه الحدة لأنهم مضيفونا أولا وليس للجزائريين كشعب والصحفيين خاصة أية مسؤولية عن هذا الحدث ثانيا، وإنني شخصيا خجلان من موقف الحكومات العراقية والعربية عموما وحتى من مواقف أكثرية الأحزاب والفئات القومية العربية تجاه الشعب الكوردي المكافح والمناضل في

سبيل حقوقه وإنني مؤمن إيمانا كاملا بحق الشعب الكوردي في تقرير مصيره وتشكيل دولته القومية).

في اليوم الثاني من لقاء الجزائر، وبإشراف الفدرالية الدولية للصحفيين وبتمويل من مؤسسة (فريدريش ايبرت) الألمانية، اجتمع عدد من قادة النقابات الصحفية في الشرق الأوسط وإيران والمملكة المتحدة وبلجيكا ونقابة صحفيي كوردستان لدراسة موضوع إنشاء مركز للسلامة المهنية في بغداد. وفي مداخلة قصيرة طالبت بفتح مركز مماثل في أربيل عاصمة إقليم كوردستان، عارض الطلب اثنان من قادة النقابات الصحفية (مغربي ولبناني) بحجة أن العراق بشماله وجنوبه يشكل وحدة جغرافية وسياسية واحدة، على أن الأنكى والأشد غرابة جاء من أحد الصحفيين التونسيين، وكان يمثل إحدى الجمعيات التونسية الصغيرة، حين أعلن رفضه حتى مجرد سماع كلمة كوردستان في المؤتمر، فما كان مني إلا أن أعلنت احتجاجي : إذا كانت كلمة كوردستان تستفز على هذا النحو البعض منكم فإني أنسحب، وسأوضح للصحافة سبب انسحابي. وقمت بجمع أوراقي وهممت بالمغادرة، لكن السيد(جيم بوميلا) الرئيس الحالي للفدرالية الدولية طلب مني التريث، وألقى على الأثر كلمة قصيرة حول خصوصيات نقابة صحفيي كوردستان بوصفها عضوا في الفدرالية الدولية للصحفيين، أيد فيها اقتراحي، وتم تثبيت فتح ثلاث مراكز في أربيل وبغداد والبصرة. ومناسبة إشارتي إلى كل هذه التفاصيل إنما لكي أبين موقف شهاب التميمي في هذه اللحظة الحاسمة عندما انبرى وقال للجميع:يا إخوان القاضي راضي وما دخلكم أنتم نحن العراقيين قدرنا أن نعمل جميعا كفريق واحد وأن نحل مشاكلنا معا في بلدنا وبأسلوب حضاري وعبر حوارات مشتركة وما عليكم إلا أن تباركوننا.

"الزميل الكبير.."

آخر لقاء معه كان وقت حضوره المؤتمر العام الثاني لنقابة صحفيي كوردستان (٢٧-٢٩/١٢/٢٠٠٧) بدعوة من مجلس النقابة وكان جاء إلى أربيل قبل انعقاد المؤتمر بيومين وكانت لنا معه لقاءات وجلسات، وفي يوم افتتاح المؤتمر ألقى كلمة ارتجالية رائعة (نص الكلمة منشور في العدد ٣٧ من جريدة الصحفي) حيث لفت انتباه

الحضور وفي مقدمتهم السيدان عدنان المفتي رئيس برلمان كوردستان ونيجيرفان بارزاني رئيس حكومة إقليم كوردستان وأحبّه الحضور من مندوبي المؤتمر لأنهم وجدوا في كلمته شعور إنسان صادق ووطني عراقي غيور نظيف اليد واللسان ومناضل في صفوف الحركة الوطنية العراقية وبالذات في منتصف الأربعينيات من القرن الماضي، حيث كان عضوا في صفوف الحزب الشيوعي العراقي.

"وصديق الشعب الكوردي.."

وعندما طلب من السيد نيجيرفان بارزاني اللقاء بالسيد مسعود بارزاني رئيس إقليم كوردستان تقديرا له واعتزازا ووفاء للبارزاني الراحل، تم له ما أراد إذ استصحبته صباح يوم ٢٠٠٧/١٢/٣٠ الى مقر رئاسة الإقليم في منتجع (سه رى ره ش) بمصيف صلاح الدين حيث استقبله البارزاني خارج باب صالة الإستقبال بتقدير كبير ورحّب به كثيرا وأثنى على علاقته الطيبة مع نقابة صحفيي كوردستان.. وبعد الانتهاء من كلمات الترحيب أشاد أبو ربيع بنضالات شعب كوردستان وخاطب البارزاني قائلا (جمعني سجن الموصل عام ١٩٤٨ بمجموعة من البارزانيين الموقوفين إثر سقوط جمهورية مهاباد ولجوء البارزاني الخالد الى أراضي الاتحاد السوفياتي ولقد لمست فيهم سمو الخلق والانضباط وحبهم لشعبهم وقائدهم، وعندما ذكر بعض الأسماء أيدّه السيد رئيس الإقليم وقيّم عاليا حيوية ذاكرته، وأثنى على موقفه المبدئي تجاه مدينة كركوك والمادة (١٤٠) من الدستور العراقي، يوم قال: إني كعربي أقر واعترف بحقيقة تاريخية وجغرافية بأن كركوك هي ضمن رقعة ومساحة كوردستان وقد حاول النظام السابق بشتى الوسائل تعريبها مع مدن وقصبات أخرى وتغيير الواقع القومي فيها لكن الظلم لن يدوم وستظهر الحقيقة للعيان وستتمتع الشعوب بحقوقها وأتمنى أن يحصل الكورد على حقوقهم بما فيها حقهم في إقامة دولتهم).

كلماته كانت موضع تقدير كبير لدى كاك مسعود، وكعادة السيد البارزاني استصحب التميمي الى باب المصعد وودعه بحرارة كما كان استقباله وعندما كانت سيارتي تعود بنا الى أربيل كان أبو ربيع منشرحا وفرحا للغاية وكانت ملامح الغبطة

والمسرة بادية للعيان وعندما سألته عن تقييمه للقاء كان جوابه يشبه نبوءة (إنه أحلى وأحسن لقاء شاهده في حياته).

وفاته أن يقول لماذا..؟

لقد كان ذلك اللقاء اللقاء الأخير..

"وداعا.. إلى الأبد.."

وفي عصر نفس اليوم غادرنا أبو ربيع عائدا الى العاصمة بغداد التي أحبّها كثيرا كحبه لمسقط رأسه (مدينة الشطرة)، غادرنا على أمل اللقاء في بغداد ولم نكن نعرف أن أبا ربيع كان مستهدفا الى حد الاغتيال لا لشيء إلا لكونه رجل مبادئ عفيف اليد واللسان مهووسا بالمهنية الصحفية النظيفة ومهموما بالدفاع عن الصحفيين وسلامتهم. في الوقت الذي لم تستطع جموع الصحفيين العراقيين ولا نقابتهم ولا حكومتهم ضمان سلامته، وسط مجاميع متوحشة من القتلة الذين لا توجد في قلوبهم ذرة من الإنسانية والرحمة، والذين لا عمل لهم إلا اصطياد رجال المبادئ من الوطنيين الغيورين على مستقبل العراق وشعبه، وها أنا أستحضر في عجالة أبرز المحطات التي جمعتني به في طريق المهنة والمحبة والصداقة الإنسانيتين، متذكرا على الدوام كلماته البسيطة الذي كان يُسمعني إياها بين الحين والآخر (الحي ما يموت إلا بيومه).

شهاب التميمي في أواخر أيامه

من اليمين شهاب التميمي، الصحفية هيفاء الحسني، صحفية إيرانية، فرهاد عوني

في شارع (دودوش مراد) بمدينة الجزائر يوم ٢٠٠٧/١/٢٧

من اليسار الكاتب والصحفي د. فائق بطي، شهاب التميمي، نوزاد هادي محافظ أربيل، نيجرفان البارزاني رئيس حكومة إقليم كوردستان، فرهاد عوني خلال حفل افتتاح المؤتمر العام الثاني لنقابة صحفيي كوردستان بأربيل يوم ٢٠٠٧/١٢/٢٧

الرئيس مسعود البارزاني خلال استقباله شهاب التميمي نقيب الصحفيين العراقيين
بحضور فرهاد عوني نقيب صحفيي كوردستان في صلاح الدين يوم ٢٠٠٧/١٢/٣٠

وزير النقل الجزائري الهاشمي جيار يتحدث إلى فرهاد عوني نقيب صحفيي كوردستان

وإلى جانبه شهاب التميمي نقيب الصحفيين العراقيين في فندق شيراتون بالجزائر ٢٠٠٧/١/٢٨

كمال عمارنة نقيب الصحفيين الجزائريين يتوسط فرهاد عوني شهاب التميمي

في الجزائر يوم ٢٠٠٧/١/٢٥

شهاب التميمي محاطا بعدد من الزملاء الصحفيين والأكاديميين الكورد خلال سيمينار

حول مستقبل الصحافة العراقية عقد في باريس يوم ٢٠٠٧/١/٩

التميمي يلقي كلمة في مؤتمر الجزائر يوم ٢٠٠٧/١/٢٦

على طريق النوايا الطيبة
وتجربة خالد علي الصالح مع حزب البعث (*)

السطور بين دفتي هذا المطبوع تعبير عن تجربة عاشها كاتبها مع حزب البعث في العراق منذ نشوئه وحتى منتصف الستينات كأحد أعضائه، واستمرت تجربته مع هذا التنظيم حتى نهاية الستينات عندما تعرض كغيره للعصف الذي فرضه بقايا ذلك التنظيم على أهل العراق وكل ما يأمل كاتبها أن يخرج العراق من محنته بجهد شعبه الذي لم ينقطع سيل تضحياته في سبيل حريته وكرامته هكذا يقدم خالد علي الصالح القيادي البعثي السابق كتابه المعنون (على طريق النوايا الطيبة - تجربتي مع حزب البعث) والذي صدر عن دار رياض الريس للكتاب والنشر عام ٢٠٠٠ في لندن. وخالد على الصالح الذي غيبه الموت مؤخراً في مصر بعد أن كان يعيش في المنفى وهو أحد قياديي حزب البعث من الرعيل الأول الذي أنخرط في صفوف ذلك الحزب وهو طالب في (الثانوية الشرقية) ببغداد ودخل الانتخابات الحزبية الداخلية، كأحد أعضاء الحزب في مستوى الخلية الحزبية وأستمر صعوده من مستوى تنظيمي إلى آخر حتى وصل إلى المؤتمر القطري مروراً بانتخاب قيادة فرع بغداد ووصولاً إلى القيادة القطرية والتي فاز فيها مع فؤاد الركابي وشمس الدين كاظم وكريم شنتاف وحازم جواد وعلى صالح السعدي وعبدالله الركابي وسعدون حمادي وصالح شعبان حيث أنتخب بعد ذلك كأحد أعضاء القيادة ومسؤولاً لقيادة فرع بغداد في الوقت الذي تم انتخاب أو اختيار فؤاد الركابي كأمين سر القيادة القطرية وذلك في منتصف خمسينات القرن الماضي. وقبل أن أتناول مضمون الكتاب أستعيد بذاكرتي لقاءً جرى لنا بالصدفة مع علي صالح السعدي أمين سر القيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي (١٩٦١-١٩٦٣) في صالة فندق بغداد بشارع السعدون في الأسبوع الأول الذي أعقب اتفاقية ١١/آذار/١٩٧٠

(*) نشر في صحيفة (خه بات) العدد ١١٠٧.

عندما كنا نحن الزملاء الثلاثة (أنور عبدالله وعبدالقادر محمد أمين، وكاتب هذه السطور) أعضاء مكتب التنظيم المركزي لاتحاد طلبة كوردستان متواجدين في الفندق المذكور حيث كنا ضمن المجموعة المكلفة باستقبال المهنئين الذين كانوا يتوافدون على الفندق لتهنئة أعضاء الوفد الكوردي الذي ضم كلٌ من: (الشهيد إدريس البارزاني والمرحوم نوري شاويس والمرحوم نافذ جلال حويزي والسادة مسعود البارزاني والدكتور محمود عثمان وسامي عبدالرحمن والشهيد دارا توفيق) وكنا نحن الزملاء الثلاثة قد اتخذنا مكاناً قبالة السلم الموصل بالصالة من الطابق الأرضي على طخم كنبات حديثة وأنيقة حيث كنا نرى المهنئين في منتصف درجات السلم وكان لنا هامش من الحركة والمشاورة والاستفسار فيما بيننا حول هوية الشخص القادم للتهنئة.

لم يكن قد مر على عقد اتفاقية ١١/آذار/١٩٧٠ أكثر من أسبوع واحد وفي ظهيرة أحد الأيام وبينما كنا نتجاذب الحديث حول أمور الساعة في ذلك اليوم وإذا بشخصين قدما من مدخل صالة الفندق التي كنا نجلس فيها فتوجهنا نحوهما لغرض استقبالهما حيث قدم أحدهما نفسه لنا قائلاً: علي صالح السعدي أمين سر القطر السابق لحزب البعث العربي الاشتراكي ورفيقي فلان (لا أتذكر أسمه في الوقت الحاضر) جئنا لمشاركة شعبنا الكوردي باحتفاله وتهنئة الأخوة أعضاء الوفد الكوردي بهذه المناسبة... وعندما سمعت أسم (علي صالح السعدي) تذكرت حالاً ما عاناه شعب العراق من مآسي وويلات وفواجع وكوارث وتقتيل جماعي على أيدي تلك الزمرة التي كان يقودها علي صالح السعدي عندما كان أمين سر القطر للحزب المذكور في أبشع انقلاب دموي عرفه تأريخ العراق الحديث حيث قاد بنفسه زمر التعذيب مطبقاً شعاره السيئ الصيت (قطعاً حتى الوريد وكسراً حتى العظام) وتذكرت شنهم لتلك الحرب القذرة على كوردستان حين اطلقت عليها تسميته بالـ(نزهة وطنية) وبقى السعدي في واجهة الأحداث حتى ١١/تشرين الثاني/١٩٦٣ حين ظهرت مجموعة من الضباط يرأسهم محمد المهداوي وبتكليف من ميشيل عفلق بإزالة على صالح السعدي وكتلته وإجراء انتخابات قيادة قطرية جديدة بتهديد السلاح فتم طردهم ونقلهم بطائرة خاصة إلى اسبانيا مع كل من (حمدي عبدالمجيد، محسن الشيخ راضي، هاني

الفكيكي وأبوطالب الهاشمي)، ثم أصبح في عداد المنسيين بعيداً عن الواجهة لحين اختياره مستشاراً في رئاسة الجمهورية عام ١٩٧٠ بفضل زوجته (هناء العمري) التي ظلت محتفظة بعضويتها في حزب البعث إلى يومنا هذا ولا ينسى العراقيون زعيقها يوم انقلاب الثامن من شباط عام ١٩٦٣ وفي ساعاته الأولى حين كانت تخاطب (عمال الشيخ عمر ونساء الأعظمية) بمؤازرة الانقلاب.

جلس السعدي ورفيقه قبالتنا نحن الثلاثة وبعد الترحيب بهما قال السعدي لنا: أرجو إبلاغ الأستاذ إدريس البارزاني بوجودي هنا ورغبتي في الالتقاء والسلام على الوفد الكوردي وتهنئتهم بالنصر الذي حققوه والتقاط صورة تذكارية مع الأستاذ إدريس، في حين لم يتفوه صديقه بكلمة، عندئذ نهض الزميل عبدالقادر باتجاه الغرف الداخلية حيث كان السادة أعضاء الوفد الكوردي منشغلين باللقاءات الجانبية مع الوفود والشخصيات السياسية العراقية ولم يشهد فندق بغداد منذ تأسيسه وإلى ذلك اليوم مثل ذلك الازدحام. وبعد فترة قصيرة عاد الزميل عبدالقادر محمد أمين وقال للسعدي: (أستاذ لازم ننتظر لحين انتهاء أعضاء الوفد الكوردي من لقائهم مع وفد زائر للتهنئة، وأن الأستاذ إدريس سيلتقي بكم لكنه يعتذر عن التقاط الصورة معكم).

لم يظهر على وجه السعدي علامات الانزعاج وسألنا عن أسمائنا ومواقعنا ضمن البارتي وحين أعلمناه بالجواب بدأ من تلقاء نفسه بكلام لم نكن نتوقع سماع ذلك في حينه حيث قال لنا... علي صالح السعدي: حققت الثورة الكوردية بقيادة مصطفى البارزاني نصراً كبيراً على جمهورية أحمد حسن بكر الذي لم يعرف الإخلاص للعراق بقدر مثقال ذرة، أنه إنسان حاقد وماكر انتبهوا جيداً وإنه المسؤول عن إعادة القتال عام ١٩٦٣ كان هو شخصياً (ويقصد البكر) وصالح مهدي عماش ومعهما تجار الحروب من الضباط العراقيين، وإن القيادة الحالية لم تكن شيئاً في الماضي وقد جاءوا إلى الحكم على أكتاف أخطائنا وصراعاتنا الدموية.

وهنا قاطعه الزميل عبدالقادر محمد أمين بقوله: هل تعتبر نفسك كوردياً يا أستاذ؟ علي صالح السعدي: نعم أنا كوردي وأبن كوردي ومن منطقتك بالتحديد.أنور عبدالله: إذن لماذا لم تعمل شيئاً للشعب الكوردي عندما كنت في سد الحكم عام ١٩٦٣؟! علي صالح السعدي: أخي الرياح تجري بما لا تشتهي السفن والحق يقال أن القيادة

المدنية لم تكن راغبة في القتال وكانت تسعى إلى أيجاد صيغة ملائمة لغرض حل المسألة الكوردية وربما كان بتأثيري أو نتيجة محاولاتي مع أعضاء القيادة القطرية المتفهمة نوعاً ما ولكن كتلة العسكريين وعلى رأسهم رئيس الجمهورية عبدالسلام عارف وأحمد حسن بكر وصالح مهدي عماش وصبحي عبدالحميد وغيرهم كانوا مع القضاء على الحركة الكوردية عسكرياً.

كاتب هذه السطور: هل تلعبون دوراً أو مكلفاً بأداء مهمة في الوقت الحاضر (شهر آذار ١٩٧٠)؟ على صالح السعدي (أحمرت وجنتاه) وجاءني جوابه وكأنما استفزته بسؤالي حيث قال: (ليش آني طرطور؟!، أني أحترم نفسي وماضيي، هذولة اللي أشوفهم بالقيادة كانوا يتمنون أخذ صور معاي هذولة موناس أوفياء حتى لتأريخ حزبهم نحن الذين بنينا هذا الحزب فؤاد الركابي، خالد على الصالح، علي صالح السعدي، أين هم الآن؟).

بقيت تلك الذكريات معي حيث كنت أروي بعضاً منها لأصدقائي وزملائي وقد كنت أستذكر مشاهد الانفعالات على وجه السعدي.

وقبل ما يقارب الشهرين أرسل لي أبن عمي شيركو حبيب وهو الذي عودني بإرسال أي كتاب جديد يصدر في لندن فيما يخص تأريخ العراق السياسي الحديث ومذكرات الساسة العراقيين وقد جاءتني من عنده ثلاثة كتب من ضمنها (على طريق النوايا الطيبة ـ تجربتي مع حزب البعث) للقيادي البعثي السابق الراحل خالد علي الصالح وعندما وقع نظري على عنوان الكتاب وأسم مؤلفه تذكرت أقوال علي صالح السعدي في صالة فندق بغداد قبل ٣٢ عاماً وشاءت الظروف أن أتهيأ للسفر للمرة الثانية خلال السنة الحالية لزيارة طهران للاطمئنان على سلامة قلبي الذي أجريت له عملية جراحية قبل سبعة أشهر من الآن وأنتهزت فترة وجودي في فندق (كوثر طهران) بقراءة الكتاب وإعادة قراءته ثانيةً أن أقسى ما يعانيه السياسي في حياته هو ظلم رفاقه له عندما تكون مبدئيته عاملاً في التآمر عليه وثم الغدر به وليس غريباً عندما يبدأ خالد علي الصالح فصول كتابه بمأثورة في التراث والتي تقول: والله ما هو بأدهى مني ولكنه يغدر ويفجر ولولا كراهية الغدر لكنت أدهى الناس. الكتاب على طريق النوايا

الطيبة يحتوي على ٢٨٦ صفحة من القطع المتوسط ويتألف من ثلاثة عشر فصلاً كالآتي:

الفصل الأول: بداية الحياة والوعي.

الفصل الثاني: تلمس الطريق والعثور عليه.

الفصل الثالث: تبعات الطريق.

الفصل الرابع: تبعات الطريق أيضاً.

الفصل الخامس: وهج الثورة وضياع الآمال.

الفصل السادس: شر لابد منه.

الفصل السابع: دوي الرصاص في شارع الرشيد.

الفصل الثامن: الاعتقال بداية النهاية.

الفصل التاسع: المثول أمام المحكمة.

الفصل العاشر: الموت المؤجل والسجن الانفرادي.

الفصل الحادي عشر: أكاذيب الرائد.

الفصل الثاني عشر: تأبين القيادة لحزبها.

الفصل الثالث عشر: جزاء سنمار (النفق المظلم) بالإضافة إلى عدد من الملاحق وفهرس الإعلام وفهرس الأماكن وأهدى المؤلف كتابه إلى كل قطرة دماء أريقت على أرض العراق من جسد يحمل ضميراً نبيلاً.

في الفصل الأول من الكتاب يشرح المؤلف بداية الحياة (بحسب ما يمكن أن تختزن الذاكرة حيث هو الابن الرابع لأسرة من أب وأم لهم خمسة من الأبناء الذكور) والده على الصالح كان ملاكاً ومستأجراً لأراض زراعية في مدينة (سلمان باك) القريبة من بغداد والتي تحتضن (مرقد الصحابي الجليل سلمان الفارسي) ويعلو فيها شاهداً أيوان كسرى حيث دخل خالد ودخل المدرسة الابتدائية مع شقيقه الأكبر وقبل أجتازه للمرحلة الابتدائية حلت بفلسطين نكبتها الأليمة عام ١٩٤٨ وبنهايتها أجتاز خالد المرحلة الابتدائية وأنتقل إلى بغداد وسجل كطالب في الثانوية الشرقية وهي أحدى الثانويات الرئيسية في بغداد وكما يقول هو لم يكن شاغله الدراسة وحدها أو الابتعاد عن سلمان باك وأهلها بل كانت فلسطين قد شغلت كل حواسه حيث كبرت معه

وإحساسه لضياع جزء من الوطن الذي ينتمي إليه، كان يتابع الجرائد وأثار طه حسين والعقاد والزيات كما كان يقرأ أشعار الجواهري ومحمد صالح بحر العلوم، أما الشيء الثاني الذي أثار انتباهه تداول الصحف بين الطلبة في المدرسة (أرجو من القارئ مقارنة اهتمامات الطلبة في ذلك الوقت مع ما يراه الآن من اهتمامات الطلبة بذلك في الجامعات وليست المدارس المتوسطة والثانوية) وبالأخص صحف المعارضة في ذلك الوقت وأبرزها صحيفتا الأهالي لسان الحزب الوطني الديمقراطي حيث كانت يسارية الاتجاه (وقراؤها أو أغلبهم من الشيوعيين)، أما الثانية فهي لواء الاستقلال لسان حال حزب الاستقلال حيث كانت تعبر عن الاتجاه القومي، وقراؤها من القوميين، وجد خالد نفسه في ذلك الوقت أكثر ميلاً للشيوعيين ولكن تغيرت قناعاته عندما سمع كما يقول (بأن الشيوعيين ينادون بدولتين في فلسطين إحداهما للعرب والأخرى لليهود) حيث ترك أثراً سلبياً في نفسه وأبتعد ولم يربط مصيره به، وبنهاية صيف عام ١٩٥١ دار حديث بينه وبين أقرب صديق له من زملاء الدراسة وكان يدعى (عبدالحسين عبدالصاحب) عن فلسطين وأخبره عبدالحسين بأن هناك تنظيماً سرياً (يدعو إلى الوحدة العربية ويؤمن بالاشتراكية ويرفض تقسيم فلسطين) وأثناء العام الدراسي ١٩٥١-١٩٥٢ عرفه عبدالحسين بشخص قدم نفسه على أنه طالب في كلية التجارة وأسمه (طه عبدالرشيد) وأخبره بأن هناك تنظيماً سرياً يلبي طموحاته وذكر أسم التنظيم له بأنه حزب البعث العربي ولكن وبعد اجتماع واحد أدعى طه بأنه سيغادر إلى السعودية نظراً لصدور أمر اعتقاله وبعد فترة ليست بالطويلة عاد صديقه (عبدالحسين) وأخبره بمن كلفه الاتصال به وكان (فؤاد الركابي) الذي قدم نفسه له باسم (المهندس فؤاد الركابي) حيث يصفه خالد بأنه كان (هادئاً وواثقاً من نفسه وينقل آراءه بوضوح) وقد أشعره فؤاد الركابي (أنهم كانوا يتابعون نشاطات خالد وهم معجبون به).

وهكذا استمرت العلاقة التنظيمية بين خالد علي الصالح وفؤاد الركابي حيث كان يحدثه عن الحزب والتقيد بقواعد التنظيم والالتزام بمبادئه وبعد أدائه للقسم الحزبي انقلبت حياة خالد إلى شيء آخر وأصبح الحزب شاغله وأصبح بقدوم عام ١٩٥٣ مسؤولاً عن (فرقة الكرادة الشرقية) التنظيمية ومن ثم عضواً في قيادة فرع بغداد مع

كل من (كريم شنتاف وحازم جواد وصفاء محمد علي) وقد تم انتخاب علي صالح السعدي مسؤولاً عن هذه القيادة (أي قيادة فرع بغداد) في عاميّ ١٩٥٤ و ١٩٥٥ ويصف خالد علاقاته مع أعضاء قيادة فرع بغداد بأنها كانت طبيعية ولكنه يتحدث عن حادثة معينة لعلي صالح السعدي حين أدعى علي بأن مبلغ الاشتراكات الشهرية والبالغة ٤٠ دينَاراً (بأن لصاً قد تسلق سور البيت ودخل الحديقة وكان هو أي علي قد ترك مكانه وترك في المكان نفسه سترته وعندما عاد لم يجد الاشتراكات في جيبه فقد سرقها اللص)، وفي الشهر التالي تكررت الحادثة في الوقت الذي كان خالداً يرثى لحاله عندما كان يذهب مشياً على الأقدام من الكرادة حتى الوزيرية لحضور الاجتماعات الحزبية بينما كان يفاجأ بمسؤوله (أمين سر القيادة) يبدد هذه الاشتراكات في القمار.

أستمر صعود خالد علي الصالح في سلم التنظيمات الحزبية إلى أن وصل إلى المؤتمر القطري وفي المؤتمر القطري تم الانتخاب ولأول مرة بعد اتساع دائرة تنظيمات حزب البعث وقد فاز كل من (فؤاد الركابي وشمس الدين كاظم وكريم شنتاف وحازم جواد وعلي صالح السعدي وعبدالله الركابي وسعدون حمادي وصالح شعبان وخالد علي الصالح) وفي أول اجتماع للقيادة بعد المؤتمر تم انتخاب فؤاد الركابي كأمين سر القيادة، يمر خالد على الأحداث التي كانت ساخنة على الساحة السياسية في العراق أو انعكاساتها ومنها تشكيل جبهة الإتحاد الوطني في العراق، تطور العلاقة بين مصر وسوريا وبعدها قيام الوحدة بين البلدين، الإتحاد الهاشمي بين العراق والأردن، حل الحزب (البعث) في سوريا بعد إعلان الوحدة والخلاف مع ميشيل عفلق بشأن هذا الموضوع وحدوث ثورة ١٤ تموز عام ١٩٥٨ وتحت عنوان (وهج الثورة وضياع الآمال) يكتب خالد في الفصل الخامس ما يلي:

(مساء يوم ١٣/تموز ـ يوليو/عام ١٩٥٨ أخبرني فؤاد الركابي بأن أحدى قطعات الجيش سوف تتحرك ذلك المساء أو أنها تحركت بالفعل، من منصورية الجبل لواء ديالى في طريقها إلى الأردن، وعند مرورها في بغداد وبدلاً من مواصلة سيرها إلى هناك ستقوم باحتلال بغداد وإعلان الثورة ورددنا مع بعضنا عسى أن يتحقق الحلم هذه المرة وفي ١٤ تموز اجتمعت قيادة البعث حيث ناقشت مسألة تأييد الثورة).

ويقول خالد بهذا الصدد: (والآن أتذكر موقفنا من كل هذه القضايا. أدرك مدى قلة تجربتنا بل وحتى قصور وعينا بحيث إننا لم نكلف أنفسنا الالتفات إليها حتى مجرد الالتفات).

لم تكن قناعة البعثيين بثورة ١٤ تموز كاملة لأنهم كانوا يريدون أو يتوقعون قيام الوحدة الفورية بين العراق وبين الجمهورية العربية المتحدة وعندما سارت الأمور عكس ذلك الاتجاه أبتعد البعث عن تأييد الثورة واستقال ممثلهم في الوزارة الأولى بعد الثورة فؤاد الركابي الذي كان وزيراً للاعمار واستفحلت خلافاتهم بعد فشل مؤامرة الشواف وحوادث كركوك مع الخط الجماهيري العام المؤيد للثورة ووصل الأمر بهم (أي البعثيين) إلى اتخاذ قرار بالتصدي لعبدالكريم قاسم بصورة مباشرة.

وفي الفصل السادس تحت عنوان (سر لابد منه) يقول خالد في مذكراته: (ففي أحد الاجتماعات القيادة القطرية وبعد فشل حركة الشواف وما تلا هذا من أحداث دامية، طرح أمين السر فؤاد الركابي اقتراحا بأن يقوم الحزب بوضع خطة لاغتيال عبدالكريم قاسم أثناء مروره في شوارع بغداد وأن يتم تنفيذ هذه الخطة بالتعاون مع أطراف قومية أخرى مدنية وعسكرية).

وتلا ذلك اجتماع آخر لبحث التفاصيل وكان أعضاء القيادة القطرية من الذين حضروا الاجتماعين قد وافقوا بالإجماع على خطة الاغتيال.

وهنا يكشف خالد علي الصالح سراً جديداً فيما يخص موضوع محاولة اغتيال عبدالكريم قاسم حيث يقول: (وفي هذه المرحلة ـ ونحن في صدد استكمال ما تتطلبه خطة الاغتيال من أسلحة وأوكار ووسائل نقل وتفرغ، كنا نتطرق في اجتماعاتنا إلى المال وهل تكفي مواردنا عن طريق الاشتراكات والتبرعات ـ وجاءنا طالب شبيب عضو القيادة القطرية باستعداد أحدى الجمعيات لتزويد حزب البعث بالمال والسلاح إذا كنا نسعى للتخلص من حكم عبدالكريم قاسم وطلب فؤاد الركابي من طالب شبيب أن يقول ما عنده فقال ما يلي: إلى جوار المكتب الذي يعمل فيه طالب شبيب كمهندس والذي يقع في عمارة مرجان في الباب الشرقي إلى جوار ذلك المكتب يوجد مكتب لمجموعة من الأمريكان العاملين في المكتب المجاور وعرض عليه استعداد أمريكا، لتزويد حزب البعث بالمال والسلاح وقد فوجئت بمثل هذا الكلام الصادر من عضو

قيادة في الحزب ولم أترك الفرصة لغيري ليقول رأيه فقلت (ليس لدينا عدو في هذه الدنيا سوى أمريكا منذ اغتصاب فلسطين ولو وافقتم على ما نقله طالب شبيب فسوف أذهب مباشرةً إلى عبدالكريم قاسم وأخبره بكل شيء). وعندما انتهيت من كلامي تكلم فؤاد الركابي موجهاً كلامه لطالب شبيب فقال إننا نرفض مثل هذا العرض وبلغ الشخص الذي أتصل بك رفضنا لعرضهم ويجب أن تقطع علاقتك بهذا الشخص وأغلق الموضوع، وفي الاجتماع التالي كرر طالب شبيب ما قاله في المرة الأولى وذلك بحجة إلحاح الشخص الأمريكي، وهنا قلت له كلمة واحدة: إنني إذا أعيد مثل هذا الكلام في اجتماع آخر فسوف أستقيل فوراً من الحزب ومن الهيّن عليّ أن أقتل بيد أي عراقي من أن أصبح عميلاً لأمريكا، وعندما تكلم فؤاد ذكر طالب شبيب بأننا قد طلبنا منه أن يقطع صلته ولا يعود للكلام في هذا الأمر مرة أخرى وبعد أيام وفي لقاء من لقاءاتي مع فؤاد الركابي أخبرني بأن طالب شبيب قد جاءه وطلب الموافقة على سفره إلى بيروت لعلاج زوجته حيث أشتد عليها المرض وطلب من فؤاد مبلغ ١٠٠ دينَار لسفره وأن يتنازل له عما في ذمته من مبلغ للحزب يتجاوز المائة دينَار كذلك، وقال فؤاد والارتياح بادٍ على وجهه: (إنني وافقت على كل ما طلبه لأنني - وكذلك أنتم - نسعى للتخلص منه خصوصاً بعد أن أتضح لنا أمر صلته بالأمريكان).

وهكذا أتخذ قرار اغتيال زعيم العراق عبدالكريم قاسم من قبل قيادة البعث في الوقت الذي كان البعث يعاني من عزلة جماهيرية وسياسية وأنه أي البعث لم يكن مؤمناً بالمفهوم الديمقراطي لتناول السلطة وإنما كانت الفكرة الانقلابية من الأعلى هي الوسيلة الوحيدة عندهم لأخذ زمام السلطة وعلى الرغم من وجود خلافات في الرأي بين قيادة قطر العراق والقيادة القومية فيما يتعلق باغتيال عبدالكريم قاسم نفذ البعث خطة الاغتيال وخاصةً بعد تنفيذ حكم الإعدام الصادر بحق رفعت الحاج سري وناظم الطبقجلي ورفاقهم ويقول خالد بهذا الصدد: (وبعد هذه الإعدامات اجتمعت القيادة وقررت تنفيذ خطة الاغتيال بأسرع ما يمكن وبدأنا في استدعاء المجموعة المكلفة بالتنفيذ وهم: (عبدالوهاب الغريري، سمير عبدالعزيز النجم، عبدالكريم الشيخلي، أحمد طه العزوز، صدام حسين)، وتم تجهيزهم بالأسلحة والقنابل اليدوية).

وفي مساء يوم الأربعاء المصادف ٧/تشرين الأول/١٩٥٩ غادر الزعيم عبدالكريم مكتبه في وزارة الدفاع قاصداً حضور حفل استقبالي في البعثة الدبلوماسية لألمانيا الديمقراطية مروراً بشارع الرشيد وعند وصوله منطقة رأس القرية أنهالت عليه الرصاص ونجا هو ومرافقه الرئيس الأول قاسم الجنابي بأعجوبة في حين قتل سائقه كاظم عارف وفي ٢٣ تشرين الأول أعتقل معظم المدبرين للمؤامرة باستثناء فؤاد الركابي الذي بقى مختفياً عن الأنظار لحين تهريبه يوم ١٣/تشرين الثاني/١٩٥٩ وبدأت محاكمة المتهمين ومن ضمنهم خالد على الصالح يوم ١٩٥٢/٢١/٢٦ أمام محكمة الشعب برئاسة العقيد فاضل عباس المهداوي وكان عددهم ٧٨ متهماً ومن ضمنهم ١٢ فاراً حيث أدينوا جميعاً وفي ٣١ آذار عام ١٩٦٠ أعلن عبدالكريم قاسم عن تأجيل تنفيذ حكم الإعدام بحق المشتركين في محاولة الاغتيال الذين حاكمتهم محكمة الشعب.

وقبل نهاية عام ١٩٦١ تم إطلاق سراح خالد علي الصالح ورفاقه حيث عاد خالد مباشرةً إلى بيت والده في سلمان باك وقد زاره أعداد كبيرة من الحزبيين القدامى وبعد فترة وجيزة زاره علي صالح السعدي سراً في بستان قريب من بيتهم وعلم خالد بأن وضعه الحزبي ليس على مايرام وأن (الجواسيس على حد تعبير خالد قد حلوا محله) وأنه أي خالداً ظل يهاجم ميشيل عفلق لآنه كان يرى فيه غير مؤهل لكي يكون أمين سر للقيادة القومية لحزب البعث الاشتراكي وفي الصفحات التالية يذكر خالد ما مر به من حوادث وإعادة تنظيمه ثانية في أحدى خلايا الفرق الحزبية في منطقة الكرادة الشرقية حيث مارس نشاطه السياسي كحزبي ملتزم بالمبادئ والأسس التنظيمية وبينما كان ينتظر حضور المؤتمر القطري لكي يواجه كتلة (علي صالح السعدي) حدث ما لم يكن في الحسبان وبهذه السرعة حيث أعلن في أوائل عام ١٩٦٢ عن زيارة أحمد بين بيلا الرئيس الجزائري آنذاك إلى العراق إذ جاءه مسؤوله الحزبي المدعو فائق البزاز إلى سلمان باك وطلب منه الاشتراك في تظاهرة القوميين والبعثيين لاستقبال بين بيلا كأمر حزبي، وعلى الرغم من عدم قناعة خالد بالاشتراك في مثل هذه التظاهرات إلا أنه ألتزم حتى لا يفسر بآن خشيته من السلطة قد حالت دون مشاركته وبعد مرور

يومين على اشتراكه في مظاهرة الاستقبال أعيد اعتقاله وتم نقله إلى سجن نقرة السلمان في البادية الجنوبية من العراق.

يتحدث خالد بداية عن سجن نقرة السلمان وبمن كان يحتوي من الاتجاه السياسي ورغم تآمر التيار الذي كان ينتمي إليه خالد على ثورة ١٤ تموز ومحاولة اغتيال قائدها عبدلكريم قاسم فإن سجن نقرة السلمان وكذلك السجون الأخرى في بغداد والمدن العراقية كان من نصيب الشيوعيين والأكراد ويقول هنا أيضاً: (وفي سجن نقرة السلمان وجدت نفسي بمفردي بالنسبة إلى الاتجاه السياسي الذي أنتمي إليه فقد كان السجن مملوءً بالشيوعيين والأكراد ولا يوجد سواهم، والحق فأن الشيوعيين والأكراد عاملوني بلطف كأحد زملائهم من نزلاء السجن كما لم أجد أية معاملة سيئة من قبل إدارة السجن).

من المفارقات العجيبة والتي يلاحظها القارئ عند قراءته لهذا لكتاب بأن سياسة الراحل عبدالكريم قاسم لم تكن متوازنة إنما كانت تتخبط يميناً ويساراً، يسجن ويبعد أنصاره من المدافعين والمخلصين لثورته في حين كانت الزمر المتآمرة تتبارى علناً وبعيداً عن المساءلة والتحقيق والسجن في التآمر على تلك الثورة ومحاولة اغتيال قائدها، صحيح أن الحركة الوطنية العراقية تتحمل جانباً كبيراً من وزر ما آلت إليه الأوضاع ولكن اللوم يقع على الزعيم عبدالكريم قاسم بأبعاده العناصرة الوطنية والمخلصة من الضباط لنهجه ونهج الحركة الوطنية واعتماده كلياً على المتآمرين الذين كانوا يخططون جهاراً ونهاراً للقضاء على ثورة ١٤ تموز وقائدها.

يتحدث خالد علي صالح عن تجربة سجن نقرة السلمان والتي استمرت حتى ٨/شباط/١٩٦٣ حيث يقول: (لقد كان السجن يغص بالأكراد والشيوعيين وبالنسبة للشيوعيين فأغلبهم ممن صدرت ضدهم أحكام بالسجن لمدد مختلفة، وعلى الرغم مما كان بين الشيوعيين والقوميين في شوارع المدن في مشاكل وصراعات إلا أن السجن غالباً ما يجعلنا نتعايش كبشر عاديين باستثناءات محدودة جداً وبالنسبة لي فلم تكن وحدتي كبعثي أو قومي سبباً يحول دون تصرفي بصورة عادية مع جميع السجناء مهما اختلفت مذاهبنا السياسية علماً بأن السجناء الأكراد كانوا في منتهى الود معي كذلك.

وبعد عدة أيام من حلولي في ذلك السجن سمعت من بعض الشيوعيين أن أحد الأعضاء القياديين من الحزب الشيوعي قد حل بالسجن وعلمت منهم أنه حمزة سلمان والتقينا حمزة وأنا ـ لقد كنت أسمع به ـ وقد كان من سكنة الكرادة الشرقية وقد لمع أسمه مع أحداث الموصل قبل وخلال وبعد حركة عبدالوهاب الشواف والأحداث الدامية التي أعقبت تلك الحركة، بدأ لقاءنا بالعتاب ومحاولة التنصل من مسؤولية ما حدث، وقد عاتبته كمثقف ومحام عن مسؤولية الحزب الشيوعي عن حوادث القتل التي حدثت في الموصل وبالطبع حاول أن يدافع عن نفسه وألقى بالمسؤولية على عاتق الجيش ثم التصرف الذي مارسته قوى مختلفة ـ والتي لا يسيطر عليها أحد ـ على كل حال لم يكن حوارنا عن الماضي فقط بل كنا نناقش ما يمكن أن يحدث مستقبلاً كالجبهة وضرورة انتهاء الحكم العسكري الفردي والاعتراف بالأخطاء التي ارتكبها كل جانب وكانت لقاءاتنا تتم في مساء ومساء الصحراء له طابع خاص فلا تلوث ولا أضواء كهربائية ساطعة).

في السادس من شباط ١٩٦٣ نقل خالد علي الصالح إلى سجن رقم (١) العسكري في بغداد حيث وصله يوم ٧ شباط ووضع في نفس المكان الذي قضى فيه عامين سابقا وفي اليوم التالي أي يوم الانقلاب الدامي المشؤوم (٨/شباط/١٩٦٣) أطلق سراح خالد مع بقية السجناء المتواجدين في سجن رقم (١) عندما وصلت دبابات المتآمرين على حكم الزعيم عبدالكريم قاسم والتي كان يقودها كلٌ من عزيز أمين ونعمة الدليمي إلى السجن وأطلقوا سراح القابعين فيه وخرج خالد من السجن هذه المرة ليجد أن حزبه جاء إلى الحكم (بقطار أمريكي كما صرح على صالح السعدي بذلك) فذهب إلى بيت شقيقه في منطقة تل محمد بمدينة بغداد وفي ذهنه شيء واحد فقط كما يقول وهو الانصراف إلى حاله من جديد وإكمال تعليمه لأنه كما يظهر لم يكن يستطيع (أن يبدد الأكاذيب التي روجتها قيادة عفلق بين أعضاء الحزب وهذه القيادة لم تصل إلى السلطة بعد فماذا يستطيع فعله وهي في السلطة).

حاول خالد على الصالح الإبتعاد عن الواجهة أو عن المشاركة في ذلك العرس الدموي إلى أن جاءه (شكري صالح زكي) الذي أصبح وزيراً للتجارة في حكومة الإنقلاب وأقنعه أن يشغل مدير مفوض للجمعية التعاونية لمنتجي التمور وأعيد تنظيمه في

أحدى خلايا الحزب في منطقة الكرادة الشرقية ولم ينتظم في صفوف الحرس القومي وأثار هو وغيره تساؤلات عما كان يحدث من انتهاكات بحق الوطنية والتساؤل عن شعار الحرية الذي كان ينادي به الحزب.

وهنا يسجل بعض المواقف تجاه الأحداث بقوله: (كنت أحاول أن أسجل بعض الاعتراضات على استمرار سلوك العنف الذي يمارس ضد الشيوعيين وضد الأكراد فيما بعد ولكن دون جدوى وطوال فترة وجودي في التنظيم لم أحاول أن أتصل بأي من القياديين وبالمقابل لم يتصل بي أحد باستثناء حضور ندوة في الكرادة والتي حضرها حميد خلخال. ولم أكن أعرف عضواً في القيادة وجاء برأي جديد مفاده أن الحزب أنشغل في محاربة الشيوعيين وأهمل قضية الرجعية، وطليت الكلام فقلت أن الشيوعيين مازالوا مطاردين وفي السجون وكذلك الحرب قائمة في الشمال). وسار خالد في نهجه الانتقادي غير مبال بما كان سيتعرض له وكان شاهداً على الصراعات التي كانت تعشش في جسد البعث والأسباب ومعروفة وخاصة بين كتلة علي صالح السعدي من جانب وكتلة طالب شبيب من جانب آخر والعسكر بينهما بالإضافة إلى الكتل الأخرى التي كانت تتصارع وفق أهواء الكبار، يقول خالد عن تلك الحوادث ما يلي: (وعندما طفح الصراع هاجمت مجموعة من الحزبيين الإذاعة يوم ١٩٦٣/١١/١١، وكان من بينهم صدام التكريتي، وقد عمم الحزب يومها أمراً بإطلاق النار عليه أو اعتقاله، ثم سمعنا بأن على صالح السعدي ومجموعته قد تم تسفيرهم إلى خارج العراق، وفي ١١/١٣ قام منذر الونداوي بمهاجمة القصر الجمهوري وصوب صاروخاً نحو غرفة عبدالسلام عارف مباشرةً وتبع هذا القصف الجوي نزول الحرس القومي إلى شوارع بغداد واحتلاله وكان من بين أبطال احتلال بغداد محمد زكي يونس، وغانم عبدالجليل وفائق البزاز يتجولون في شوارع بغداد، وذلك من أجل أحكام سيطرة الحرس القومي على المدينة وقد حاورت بعض الحزبيين إن كانوا يستطيعون أن يمنعوا الصدام بين الحرس القومي والجيش وبالتالي تدمير الحزب، واقترحت أن تعود قواعد الحزب إلى ممارسة السلوك الحزبي فتتم انتخابات حزبية وانتخاب قيادة للحزب تتولى إدارة نشاطه والابتعاد عن السلطة بحيث يترك الأمر للعسكر، وبالطبع فإن مثل هذه الاقتراحات لا يمكن أن تجد لها أي صدى بين مجموعة وجدت نفسها فجأةً تملك السلطة وتستطيع

استخدام السلاح بدون أي قيد، وبالفعل تدخل الجيش في يوم ١٩٦٣/١١/١٨ وأنهى سيطرة الحرس القومي وتم أخلاء شوارع بغداد منهم خلال مدة وجيزة وهكذا كانت نتيجة ما سعى إليه عفلق وأتباعه تدمير الحزب وإهدار تضحيات المئات من أبناء هذا الشعب بحريتهم ودمائهم).

بعد سقوط حكومة الانقلاب سار خالد علي الصالح على نهجه الذي رسمه لنفسه وعاش لحاله وأجتاز مرحلة الدراسة الثانوية وألتحق بكلية الحقوق - جامعة بغداد وأستمر في عمله أيضاً بجمعية التمور ولم تنقطع علاقته برفاقه وزملائه بعثيين قدامى وقوميين واستجاب في تلك الفترة لمحاولات على سبيل التجربة للانضمام إلى بعض المنظمات القومية ولكنه لم يقتنع في النهاية لأن الأمراض التي عاشها حزب البعث كما يقول خالد انتقلت إلى المنظمات السياسية القومية الأخرى بدون استثناء ولكن ومع هذا حاولت بقايا تنظيمات البعث إعادة الكرة معه مرة أخرى ولكن دون جدوى وهنا يروي لنا تفاصيل تلك المحاولة بقوله: (وفي نهاية عام ١٩٦٤ أو في عام ١٩٦٥ جاءني صديق وكان يزورني في العمل لفترات متباعدة وهو طلال فنر الفيصل ونقل لي رسالة أو طلباً من صدام التكريتي مضمونها أنه يريد اللقاء بي، فقلت له أن معلوماتي بأنه مختفٍ فما هو الغرض من هذا اللقاء وأنا لا أحبذ أن ألتقي بشخص لا تربطني معه علاقة تنظيمية وهو مختفٍ وقد يكشف أمره، ويكثر اللغط عن سبب كشف أمره وقد يرد أسمي ولا أريد أن يشار إليّ بأي شكل في هذا المجال ثم إني قد تركت حزب البعث ولن أعود إليه أو تكون لي أيه صلة به أطلاقاً ومهما كان السبب، فذهب طلال وعاد بعد ثلاثة أيام أو أكثر وأعاد عليّ بأن صدام يلح بطلب اللقاء وفي أي مكان ووقت أنا أحدده، وأضاف بأنه يطلب هذا اللقاء لنقل رسالة في غاية الأهمية وعدت مرة أخرى إلى رفض اللقاء به وقلت لطلال أخبر من طلب منك ذلك بأنني تركت حزب البعث وأنني أعمل في اتجاه سياسي آخر ولن أفكر بالعودة إلى حزب البعث وأنني لا أجد أية فائدة من هذا اللقاء.

وبعد عدة أيام عاد طلال للمرة الثالثة فقال أن صدام التكريتي يلح على اللقاء وشعرت أن طلال يميل إلى أن يتم هذا اللقاء وبما أنني كنت أوده أي طلال وأثق به فقد كان ردي عليه:إذن بلغ صدام بأنني سألتقي به في سيارتي وستكون مسؤولية هذا

اللقاء على عاتق غيري وجددت الوقت والمكان في أحد شوارع بغداد، وقد حضر صدام وركب معي السيارة وقبل أن أتحرك بالسيارة من مكاني قلت له مؤكداً أنني ومهما كانت الأسباب لن أعود إلى حزب البعث وأنا أعمل في اتجاه سياسي آخر ولا أريد أن تبوح بأي شيء أمامي لأنك لن تحصل مني على رد ايجابي مهما كان فقال رغم هذا أنا مكلف من الحزب بأن أنقل إليك قراراً يخصك ـ ومع هذا قلت له أنني لن أعمل مع حزب البعث ـ فقال، لابد أن أبلغك القرار، فذكر لي نصاً: أن الحزب قد أتخذ في مؤتمره القومي قراراً بأن تتولى قيادة الحزب في العراق والحزب على ثقة بأنك في حال قبولك لهذا القرار فإنك ستتخلى عن أي التزام آخر.

فقلت له: مهما كانت طبيعة القرار فأنا وصلت إلى قناعة تامة ومنذ تشرين الثاني ١٩٦٣ وقبل هذا التأريخ بأنكم عصابة ولستم بحزب فقال: كيف تقول هذا عن تلاميذك؟! إننا تلمذنا عليك فقلت: لقد عمل عليّ صالح السعدي وشلته على تحويل الجميع إلى عصابة، فهل تسمي من عمد إلى استخدام الدبابات والطائرات لكي يحسم الصراع بين فصائله حزباً؟! ألم يتحول هذا التنظيم إلى فصائل متصارعة هنا في العراق وهناك في سورية فهل هذا سلوك يعتبر سلوكاً لتنظيم سياسي، إنني لا أقبل أن أعمل في هذا الإطار ولا شأن لي به من بعيد أو قريب إن هذا التنظيم قد سيطرت عليه نزعة التآمر والشللية، وأنا لا أقبل لنفسي مثل هذا السلوك ولن أزج نفسي فيه، ،أخيرا أريد أن تجيب أنت عن الموضوع، فالمفروض أن تحدد موقفك أنت أيضاً من هذا التنظيم الذي تسميه حزباً، أنني قد علمت بأن الجيش سوف يتدخل لوضع حد لتصرفات الحرس القومي وتصرفه يعكس تصرف الحزب، ولم أجد من أخبره بنية الجيش تلك فشعرت لحظتها بأن صلتي بهذا التنظيم قد انقطعت بصورة نهائية وأنت حاولت مع غيرك ضرب الحزب في يوم ١٩٦٣/١١/١١ وقد صدر تعميم من الحزب بتصفيتك فكيف سمحت لنفسك أن تعاود العمل في تنظيم كان موقفك منه كما تعرفه، فقال أن التنظيم أو الحزب كما قال قد حاسبني على موقفي ذلك ولهذا السبب لم ينتخبني المؤتمر في القيادة، فقلت له أن هذا واضح بدليل أنك تبلغني قرارات المؤتمر بتولي مسؤولية الحزب في العراق وأنت لست في هذا القيادة، وقبل أن نفترق فقلت له: أن حزباً يضم بين صفوفه ميشيل عفلق لن أعمل فيه إطلاقاً، وجاءت إجابة صدام التكريتي بالنص:

فلنعمل أنا وأنت للتخلص من ميشيل عفلق، فقلت له: ألم أقل لك بأن هذا التنظيم قد سيطرت عليه روح التآمر؟ ها أنت تعطي الدليل أنك ومنذ البداية تدعو للتكتل وللتآمر على من تسمونه أمين القيادة القومية إنني لا أومن بالتآمر والتكتل، وبدلاً من أن أعمل في تنظيم أسعى للتخلص من بعض أفراده فسأعمل مع مجموعة تثق بي وأثق بها، وقلت له ما دار بيننا الآن سيبقى لي وحدي إلا إذا صدر عن غيري فسوف أوضح موقفي في هذا الأمر، وافترقنا.. وقد صدر ما صدر من غيري).

في الفصل المعنون جزاء سنمار النفق المظلم يتحدث خالد علي الصالح هذه المرة كشاهد على الظروف والحوادث التي أعقبت انقلاب ١٧/تموز/١٩٦٨ وهو الذي كان منهكماً في إقامة تنظيم باسم حزب الوحدة الاشتراكي مع كلٌ من (خيرالدين حسيب وأديب الجادر) وذلك في الأسبوع الذي سبق انقلاب النايف وهناك في سورية فهل هذا السلوك ـ الداود وشعر خالد أن رفاق الأمس ومنذ اليوم الأول للانقلاب قاموا (بفرض رقابة على بعض الأشخاص وكنت من بين الذين فرضت عليهم تلك الرقابة فقد تم تخصيص سيارة محملة بالمخبرين تتبعني أينما ذهبت وإذا دخلت داري ترابط أمام الدار).

وهكذا سارت حياة خالد على هذا المنوال مشلولاً من الناحية السياسية ومنبوذاً من أولئك الذين ساهم خالد في تربيتهم الحزبية وشدهم إلى مبادئ ذلك الحزب الذي أطبق على حركة خالد إلى أن أدخلوه يوماً إلى (قصر النهاية) وإلى غرفة ناظم كَزار الجلاد الذي يلعنه شعب العراق إلى يوم الدين فأذاقوا خالداً حلاوة التعذيب الذي ابتكروه من خلاصة عمليات التعذيب على مر الدهور، وكثيراً ما كان خالداً يقارن وهو في قبضة جلادية من رفاق الأمس يتعذب ويهان ويعلق في الهواء طويلاً لمجرد مساهمته في إقامة تنظيم اشتراكي وحدوي وذلك قبل استلام البعث للسلطة في ١٧/تموز/١٩٦٨ مقارنة مع الوضع الذي وجد نفسه فيه في السجن رقم (١) عام ١٩٥٩ وهو المتهم مع سبق الإصرار في التنظيم والإشراف على عملية اغتيال رئيس الوزراء العراقي الزعيم عبدالكريم قاسم ومن ثم الإفراج عنه وهو محكوم بالإعدام بقرار من الزعيم الذي نفذوا عملية الاغتيال بحقه، وفي أحدى مشاهدات خالد في قصر النهاية بعد اعتقاله من قبل (تلامذته الأوفياء) يروي لنا ما يلي: (وبعد يوم من وصولي وأنا لاازال

في مرحلة التعذيب شاهدت منظراً لا يمكن أن يتوقع أي إنسان مهما بلغ فيه خياله أن يراه في أي مكان غير هذا المكان، منظر وصلت فيه الاستهانة بآدمية الإنسان أقصى حدودها رأيت رجلاً مربوطاً من رقبته بقطعة من القماش ويحبو على الأرض وينبح كالكلب ومعه أربعة من الجلادين كل واحد منهم يمسك بسوط حديدي واحدهم يمسك بطرف قطعة القماش المشدود في عنق ذلك الإنسان ويأمرونه أن يجري على الأربع وأن ينبح وأن يقوم بعض تلك الضحية أو هذه أو يحمل بفمه حذاء هذا أو ذلك، وإذا توقف لإعيائه ينزلون عليه ضرباً وضع ذلك الإنسان كان غريباً جداً فنصف شعر رأسه قد تمت حلاقته وثم شواربه عكس حلاقة شعر رأسه، ثم تم قطع أحد أكمام سترته وترك الآخر وبالعكس تم قطع أحد جوانب سرواله وترك الآخر، ونزع من قدميه حذاؤه وترك حافياً، ولما أقترب مني لأكثر من مرة استطعت أن أتعرف إليه، فقد كان (عبدالكريم هاني) وبقى يعامل بهذه الطريقة لمدة تقرب من شهر.. وبصراحة ورغم ما أنا فيه ورغم معرفتي بأبطال هذا المكان وأسيادهم فأنني تساءلت مع نفسي كيف يستطيع الجلاد قبل الضحية احتمال مثل هذه الحالة).

هناك مقولة شائعة وهنالك حوادث كثيرة تكون مطابقة بالكامل مع مفهوم هذه المقولة التي تقول (الثورة تأكل رجالها) فكثيراً ما حدث ذلك في التأريخ، وفي تأريخ العراق المعاصر هنالك نماذج حية مطبقة والقصة التي يرويها خالد علي الصالح عن فؤاد الركابي أول أمين سر القطر لحزب البعث العربي الاشتراكي نموذج حي حول تنكر رفاق الأمس لأبسط مفاهيم الأخلاق تجاه معلمهم وقائدهم لمجرد التغيير في القناعات الوجدانية والسياسية.

وعندما يروي لنا خالد قصة ما عاناه فؤاد الركابي في أقبية قصر النهاية يشعر بمدى الانحطاط السياسي الذي عصف برياح التغير ببلادنا وحول قسم من كائناته إلى جلادين ساديين لم تبق ذرة من الرحمة والإنسانية في قلوبهم وهنا يحكي خالد قصة فؤاد الركابي في قصر النهاية فيقول: (في أمسية تالية جاءوا بضحية أخرى وربطوها على باب زنزانتي ومن الكلام بين الضحية والجلاد والذي كان يدور أمام الباب المغلق ساورتني الشكوك بأن الذي تم شده إلى الباب هو فؤاد الركابي وكان في حالة سيئة لقد شاهدته مرة واحدة خلال الأيام الماضية من بعيد يقوم بكل طاقته بدفع عربة محملة

بالقمامة من مكان إلى آخر فرثيت لحالنا جميعاً.. أول أمين سر لحزب البعث الاشتراكي في العراق وأول وزير بعثي في حكومة ثورة ١٤ تموز.

وروى لي ما تعرض له من تعذيب لكي يقول لهم بأنه جاسوس والآن يستمر بالقيام في ما يؤمر به، لقد أعادوا عليه دورة التعذيب لكي يوقع أمام قاض التحقيق الذي جلبوه إلى قصر النهاية على اعتراف قاموا بكتابته بالشكل الذي يريدون كاعتراف من فؤاد بأنه جاسوس وعندما رفض التوقيع بدأت دورة جديدة من التعذيب وبقى فؤاد على هذه الحالة لمدة يومين وكنت أعطيه قطرات من الماء.. لقد انشغلت بالوضع الذي نحن فيه بل الوضع الذي آلت إليه أمور هذا البلد بحيث أصبح بين يدي مجموعة من الجلادين والقتلة يتحكمون بمصيره بهذه الطريقة التي لا تمت بصلة إلى أي قيم إنسانية، لم يخطر ببالي أبداً أن هذا الشخص المشدود بالحبل أمام الباب كان منذ عشر سنين أميناً لسر الحزب الذي خرج من عباءته هؤلاء الذين لا يمتون إلى البشر والبشرية بصلة وأنا القابع خلف هذا الباب في زنزانة أقرب إلى القبر وبأمر من؟ بأمر من شارك في عمل خططت له قيادة كان فؤاد الركابي أمين سرها وكنت أنا مسؤول بغداد وقمنا بتكليف مجموعة من المنتمين إلى هذا الحزب بتنفيذ ما خططنا له وكان بين أولئك الذين نفذوا من يقف اليوم على رأس هؤلاء الذين يفعلون بنا وبغيرنا من خلق الله؟). استمرت مدة اعتقال خالد في قصر النهاية إلى فجر اليوم الأول من عام ١٩٧٠ وكان شاهداً على ما كان يجري وما جرى من انتهاكات يقشعر لها الأبدان وأراد بعد إطلاق سراحه الابتعاد والانصراف لتدبير معيشته ولكن مشكلة استمرار الرقابة عليه كانت مستمرة ففي ليلة من ليالي صيف بغداد في عام ١٩٧٠ وعندما كان مسترخياً على السرير فوق سطح الدار ويبحث في الراديو عن خبر يود سماعه عن مأساة المقاومة الفلسطينية في الأردن فإذا به يسمع من أحدى المحطات كلمتين (مات عبدالناصر) وانهمرت دموعه ولكن دون جدوى، وفي صباح اليوم التالي أتصل به في الدار هاتفياً (الملازم حسن) وهو الاسم المستعار للمجرم (حسين المطيري) مساعد ناظم كزاز وشريكه في المؤامرة والمصير المحتوم حيث قال له المطيري نصاً: اسمع مات عبدالناصر وانتهى، ونحن نبلغك بأن أي شخص يخرج إلى عليه كما فعلنا بالشيوعيين في ساحة السباع.

وفي الهامش المدون في الفصل الأخير من كتابه يقول المؤلف خالد علي الصالح: (كانوا يقارنون أنفسهم بالمهداوي، علماً أن المهداوي لم يمارس أي تعذيب بل سلك معنا طريقة أكرم من سلوك أي واحد من التلاميذ مع الفارق بين دوافع المهداوي ودوافع هؤلاء).

وهكذا سرد خالد ذكرياته بحلوها ومرها وعاش في ديار الغربة حيث أستقر في القاهرة وانتهت حياته بعد عامين من نشر كتابه (على طريق النوايا الطيبة) وبعد مضي حوالي ثلاثين عاماً على مقتل فؤاد الركابي بتهمة ملفقة في سجن بعقوبة. وعندما انتهيت من قراءة هذا الكتاب تذكرت نوايا خالداً من وراء نشر مذكراته حيث يقول: (إنني لا أسعى من وراء نشرها أن أهاجم أحداً أو أظلم كرامة إنسان) وإنما أروي الحقيقة من وحي ذاكرتي خصوصاً بعد أن تقطعت بي السبل مع العراق وما يحدث فيه منذ ثلاثين عاماً، إنني أروي وقائع مررت بها ولا أعتبرها سوى قدري لا ذنب لأحد فيه فأجر الجميع على الله وإذا مر بي بعض من عذاب فعذاب شعب العراق أقسى عليّ من آلام عظامي تحت السياط فقد أدمى قلبي ومازال، ولم أخسر أملاً أو أمنية خاصة بي ولكنني خسرت مع الجميع كثيراً فقد خسرنا أعذب الآمال وأعزها).

وبعد نشر عدد من المواضيع من قبلي وتحت عنوان (من الذاكرة) في بعض من المجلات والصحف التي تصدر باللغة العربية في كوردستان وصلتني هذه الرسالة من المقدم الركن المتقاعد السيد (محمود سامي عبدالشكور) مرفقة برسالة من الزميل (هشام بدران) ونظرا لأهميتها التاريخية أنشرها نصا كما هي:-

الاستاذ العزيز فرهاد عوني

نقيب صحفيي كوردستان

بعد التحية..

لي الشرف ان اتابع ومعي كثيرون كتاباتكم على صدر الصحف وهي تغور فيما تحن إليه الروح العراقية.

استاذي العزيز.. ارفق لكم بعض الأوراق التي زودني بها أحد المساهمين في ثورة العراق عام ١٩٥٨ وأحد المقربين من الزعيم عبدالكريم قاسم وهو المقدم الركن المتقاعد (محمود سامي عبدالشكور) ٧٨ عاما ومن أهالي كركوك..

لقد طلب إلي أن ابعث لكم بهذه الأوراق علها تكون ذات فائدة لكم في زيادة مصادر مقالاتكم..

راجيا لكم والعائلة الكريمة أطيب المنى...

هشام بدران

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد المناضل الأديب كاك فرهاد عوني المحترم

تحياتي وتمنياتي الخالصة لكم بالنجاح والتوفيق في خدمة

إقليم كوردستان العراق المتحرر.

١. أطلعت على مقالاتكم القيمة والبناءة في جريدة (خه بات) لتوجيه مجتمعنا حول بعض القضايا الغامضة وليكون على بينة بعض الامور وفي ذلك تحصين شخص للجماهير لدرء مخاطر الإشاعات الضارة.

٢. في مقالتكم المنشورة في العدد (١١٠٧) في جريدة (خه بات) "على طريق النوايا الطيبة.." وتجربة خالد علي الصالح مع حزب البعث. أود أن ابين لكم بعض القضايا الغامضة التي عاشرتها والتي سبقت تلك الأحداث:

٣. بعد الستة أشهر الأولى من ثورة ١٤ تموز العظمى حيث كنت قد التحقت باللواء ١٩ لواء الزعيم حسب تنسيب العقيد وصفي طاهر مساء يوم ١٤ تموز ١٩٥٨ بمنصب ضابط ركن حركات اللواء ١٩، وفي ٣٠ تموز ١٩٥٨ منحني الزعيم عبدالكريم قاسم قدما لترفيعي إلى رتبة رئيس أول ركن وأناط بي واجبين آخرين من استخبارات اللواء ومدير الأمن والسيطرة على معسكر الرشيد. أقول بعد أن استطاع عبدالكريم قاسم التخلص من معظم القادة لثورة ١٤ تموز وكما يلي:

- تعين العقيد الركن الدرع محي الدين عبدالحميد مؤسس الهيئة العليا للضباط الأحرار وزيرا للصناعة بينما كان منصبه العسكري قائد الفرقة المدرعة الرابعة ولا يجوز التفريط به وعين بدلا عنه العقيد الركن المظلي عبدالكريم مصطفى نصرت الحاقد على الثورة والكورد.

- كما نقل العقيد الركن اسماعيل العارف من منصب آمر اللواء (٢٥) كما أن هذا اللواء هو لواء الحرس الملكي وقوة مسلحة ما يعادل الفرقة نقله إلى وزير للتربية وعين بدلا عنه العقيد فاضل العساف الحاقد على الثورة والكورد آمرا لذلك اللواء.

- كما وأحال قائد الفرقة الثالثة وأحد مؤسسي الضباط الأحرار العقيد الركن خليل اسماعيل (كوردي الأصل من زاخو) بتهمة مساعدته عزيز عقراوي للالتحاق بثورة أيلول وتسهيل إرسال عائلته وعين بدلا عنه أحد مرتزقته عبدالكريم محمد من الحاقدين على الكورد وقبلها تخلص من كل من عبدالوهاب الشواف لأنه عارض تعيين اللواء الركن احمد محمد يحيى وقال للزعيم انك تريد ان تكمل منهاج نوري السعيد حيث نقله إلى الموصل اللواء الخامس (كان هذا اللواء من الألوية الحاقدة على الكورد بقيادة عمر علي حيث اسماه لواء (الملكة عالية) وتعمد عبدالكريم قاسم اقامة حفل أنصار السلام في الموصل بدلا عن أربيل أو الحلة كما كان مقررا ورغم رجاء عبدالوهاب الشواف حيث قدم إلى بغداد ورجاه عدة مرات حيث قال له: (انك تعرف ان أهالي الموصل شبه متشددين بالدين ولذلك فان إقامة حفل أنصار السلام في الموصل سوف يؤدي إلى فتنة لا تحمد عقباها)، وفي لقائه الأخير اليوم الثالث كرر رجائه من عبدالكريم قاسم حيث عمد إلى استدعاء احمد صالح العبدي وقال له قطار السلام يجب تحضيره غدا ويؤازرني بذلك الحزب الشيوعي وسوف اسحق كل فتنة. ولذلك غادر الشواف إلى

الموصل قائلا لعبدالكريم قاسم: (إذا حدث فتنة فاني سأكون سلبا تجاهك واتحالف ولو مع الشيطان ضد هذا الاستفزاز).

لذلك اقول انه بعد ستة اشهر بدأ يكشر عن انيابه النتنة لتهيئة الجو ومضايقة البارزاني الخالد وقد وصلتنا معلومات من القلم السري لعبدالكريم قاسم لي ولجلال الاوقاتي وهو تشكيل الزعيم لجنة التطهير يرأسها جبار حمزة ومجيد جليل مدير الأمن العام ومحسن الرفيعي مدير الاستخبارات العامة وانضم إليهم قاسم أمين الجنابي.

كان موقف جلال الاوقاتي صريحا لإزاحة عبدالكريم قاسم وكانت غلطته انه فاتح ثابت حبيب العاني احد قادة الشيوعيين للتعاون معه ولذلك تسرب ذلك اللقاء إلى عبدالكريم قاسم وعين العقيد الركن صالح مهدي عماش ضابط الركن الأول لحركات القوة الجوية وسكرتيرا له هو علي عريم وكلاهما من اليمين المتطرف، وبعد ذلك استدعى عبدالكريم قاسم آمر لوائنا عبدالكريم محمد احد مرتزقة عبدالكريم قاسم وعاد بعد ساعة متغطرسا في مشيته وأمر ان يجمع جميع ضباط مقر اللواء وضباط الفوجين الأول والثالث وبدأ بالكلام مادحا الزعيم إلى حد الالوهية وقال: (ان الزعيم هو الذي أسس الثورة وقادها ولا يقبل بانحرافها، ولذلك ابلغكم بأن أي ضابط في اللواء ان كان له ارتباط بالحزب الشيوعي أو البارتي وحتى الوطن الديمقراطي ان يرفع يده حيث وعد الزعيم باحالتهم إلى وظائف مدنية محترمة وإلا سوف يدخلون السجن).

رفعت يدي وقلت له: (لماذا لا يشمل ذلك القوميين المعادين للثورة والبعثيين المتواجدين في اللواء واعتقد انك تحرف ما قاله الزعيم) وتركت المؤتمر.

وبعد ذلك جرى اجتماع في داري حضره كل من المقدم الركن سليم الفخري والعقيد عبدالباقي كاظم والرائد خزعل علي السعدي آمر كتيبة دبابات المثنى والرائد خليل العلي آمر مدرسة الدرع وساجد نوري وجرى الاتفاق على ضرورة لجم عبدالكريم قاسم وتسفيره بالقوة التي لدينا علما إننا كنا ضباطا صغار أكبرنا كان هو العقيد عبدالباقي كاظم إلا أنه كانت لدينا قوة هائلة فمعسكر الرشيد كان تحت سيطرتي تقريبا وحتى القوة المظلة وقسم من الدروع تحت سيطرتنا كما فاتحنا هاشم عبدالجبار حيث أيدنا للاشتراك في الحركة وكلف عدم حضور الاجتماع.

في الاجتماع الأول طلب الرائد الدرع خزعل السعدي مفاتحة الحزب الشيوعي لغرض القيام بمظاهرات تأييد وقبل، حيث احضر سعيد مطر العضو القيادي في الحزب الشيوعي زكي خيري كان رأيه بعدم القيام بأي حركة في الوقت الحاضر وسوف نتصل مرة اخرة بكم بعد التأكيد بما يجري.

وسرعان ما تسرب الخبر إلى عبدالكريم قاسم حيث جرى اعتقالنا ليلة ١٣/١٤-١٩٥٩ وشمل ذلك جميع الضباط الذين كانوا في الاجتماع. علما بأني قد اتخذت تدابير أمنية بعدم مباغتة جبار حمزة اجتماعنا حيث اوصيت ام عماد بقفل دار الحديقة ومراقبة ما يجري من دار انور صالح خوشناو حيث رأى انور صالح سيارة جبار حمزة توقفت لدى دار الحديقة ولما رآه مقفولا ذهب وولى وكان اعتقالنا بطريقة جبانة وخبيثة وبقينا في سجن رقم واحد محجوزين بغرف انفرادية والمواجهة ممنوعة، وفي ضربة الزعيم في رأس القرية زارني عبدالكريم الجدة ونقلني إلى غرفة مريحة وقال سيكون أحد منفذي اغتيال الزعيم معكم في الغرفة وهو شاكر محمود حليوة.

والآن سنرجع إلى صلب الموضوع.

لاحظت ان شاكر محمود حليوة منهار الاعصاب ويحاول الاعتراف بكل شيء لقاء انقاذه من تلك الورطة. ولما علم بأني كنت معتمد عبدالكريم قاسم سابقا قال سوف اشرح لك كل شيء فهل يستطيع ايصال ذلك فقلت نعم. قال ان الذي يقوم بالتحقيق ضابط الانضباط العسكري سعيد مطر تحت إشراف ابو سعد (جبار حمزة) اختلى بي جبار حمزة وقال التحقيق منحصر بكم فقط ولا نريد التوسع في التحقيق ولذلك عليك ألا تتطرق بصورة نهائية لأسم أي ضابط، ولما عاد من اللقاء بجبار حمزة كان خائفا ولكن شجعته وقلت لا تخشاه.

لذلك بين لي بأن المشاركين من العسكريين لاستثمار الفوز بعد مقتل عبدالكريم قاسم هم: نجيب الربيعي يجري تعيينه رئيسا للجمهورية، صالح مهدي عماش والمقدم الركن عبدالستار عباللطيف ومعهم آمر الفوج الثاني من لواء ١٩ الذي مقره في الدفاع (عارف يحيى الحافظ) من الحاقدين على الثورة وشقيقه اعدم في مؤامرة الشواف ومع ذلك عينه عبدالكريم قاسم آمرا لذلك الفوج وكذلك رئيس أركان الجيش احمد صالح العبدي.

وبعد ان فتحت لنا المواجهة حضرت أم عماد وزودتها برسالة إلى المناضل المقدم الركن ماجد محمد أمين وليس إلى المهداوي فصداقتي متينة مع ماجد وفي المحكمة قال ماجد محمد أمين لقد اوصلت لنا يد قوية وطنية وله بعض المعلومات حول اشتراك الكثير من الضباط في هذه المؤامرة ويلاحظ ان كل ما كان يريد ماجد ان يشرحه يقاطعه المرحوم فاضل المهداوي (من كتاب محكمة الشعب يمكنكم ملاحظة ذلك أثناء محاكمة شاكر محمود حليوة).

راجيا التفضل بالاطلاع مع إيصال تحياتي واحتراماتي إلى المناضل المهندس علي عبدالله المحترم.

المخلص

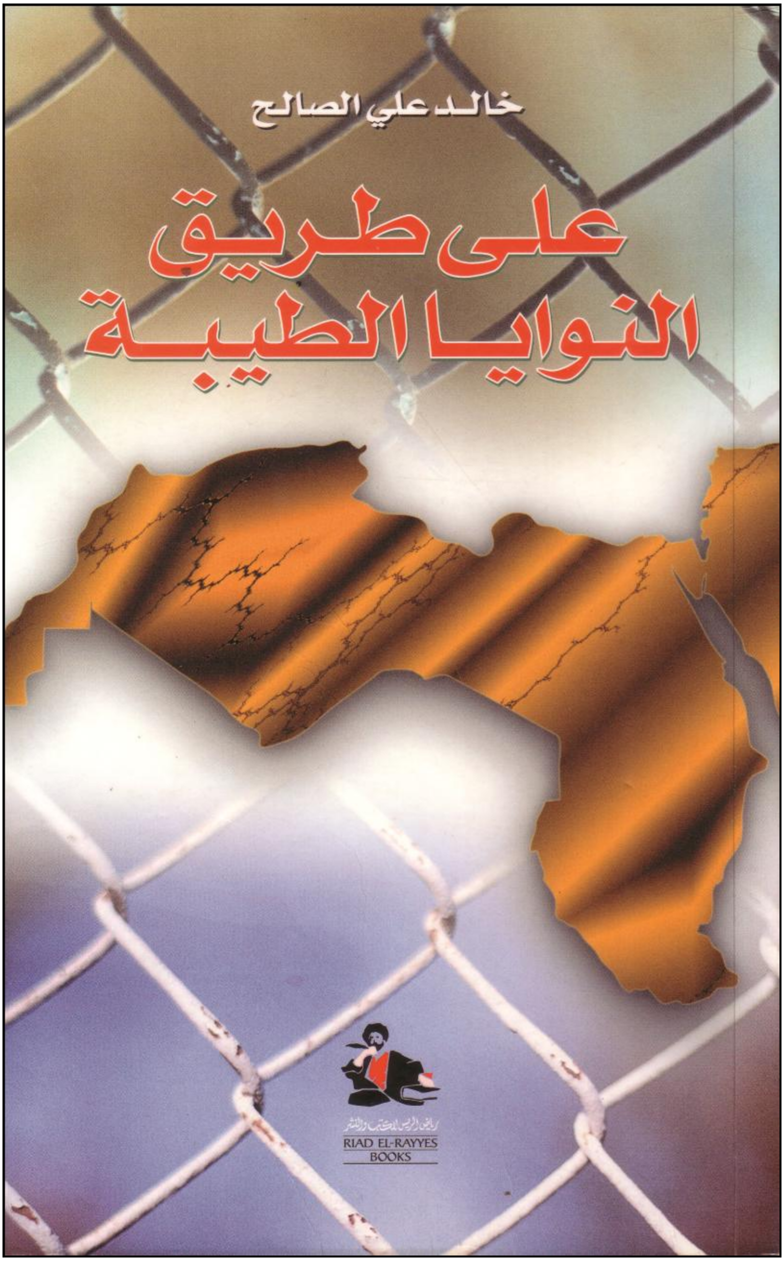

غلاف كتاب (على طريق النوايا الطيبة) الذي أصدره خالد علي الصالح

في منفاه بالعاصمة المصرية القاهرة

مشاركة نقابة صحفيي كوردستان في المؤتمر السادس والعشرون لـ(IFJ) الذي انعقد في موسكو.. كان لنا حديث آخر! (*)

عاصمة الأمل الإنساني..

كانت طائرة الخطوط الجوية الأردنية (عالية) التي أقلتنا من مطار عمان تدور في سماء موسكو عندما نبهني زميلي د. رضوان باديني الجالس إلى جانبي بأننا نحلق الآن في سماء العاصمة الروسية التي كانت يوما ما ولثمان عقود، منذ ثورة أكتوبر عام ١٩١٧ تساهم في صناعة القرار الدولي بصورة فعلية بسبب ما تمثله من ثقل دولي وشعبي على الصعد السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وقيادتها للمعسكر الاشتراكي، وتحالفها مع حركة التحرر الوطني الثورية في قارات العالم الثالث الجائعة إلى الخبز والكرامة والحرية..

عندما كنت أنظر من خلال نافدة الطائرة إلى هذه المدينة الصاخبة التي لا تعرف الهدوء، وهي ترنو إلى الأفق الأخضر المحيط بها من كل الجهات.. غابات كثيفة من الأشجار المتنوعة والمتنزهات العصرية الحديثة يخترقها نهر موسكو الذي ينساب هادئا وحده، في إيحاء جميل يتناقض مع تطلعية واحتدامية المدينة وهي تنظر إلى سهوب شرق أوربا وجبال آسيا وصحارى الشرق الأوسط، ومياه البحار الدافئة التي كانت سفنها وغواصاتها تمخر عبابها في يوم ليس بالبعيد، كل ذلك أضفى على المدينة جمالا رومانسيا أخاذا امتزج فيه سحر الطبيعة الروسية بجمال الأفكار الثورية والآمال والتوقعات الإنسانية العظيمة التي انعقدت عليها يوم كانت قبلة للملايين من البشر ذوي الأفكار الماركسية واليسارية وأملا لملايين أخر من الشعوب

(*) نشر في مجلة (الصحفي) العدد ٣٣ في تشرين الثاني ٢٠٠٧.

المستضعفة التي كانت ترى في تجربتها طريقا يفضي إلى إنقاذهم من الظلم والاستغلال.

اغتيال الحلم الكوردستاني الكبير..

وقد تغنى فيها عدد من كتّاب وشعراء الكورد وبالغوا في تمجيدها ابان ولادة جمهورية كوردستان والتي كانت عاصمتها مدينة مهاباد الجريحة عام ١٩٤٦ وكذلك عندما احتضنت الزعيم الكوردي الكبير الراحل مصطفى البارزاني عام ١٩٤٧ بعد النكسة التي ألمت بالجمهورية الفتية وبالحلم الذي كان يراود الكورد بأن موسكو وحاكمها الأسطوري (جوزيف ستالين) هما الملاذ الآمن وهما اللذان سيحرران الكورد ويوحدان وطنهم كوردستان غافلين عما كان يدور على أرض الواقع من مساومات سياسية مبنية على المصالح الاقتصادية العابرة والضيقة، وقد أفلح رئيس الوزراء الإيراني (قوام السلطنة) في ذلك العهد بدهائه وحنكته في حمل ستالين على سحب القطعات العسكرية من الجيش الأحمر من أذربيجان وكوردستان، الخطوة التي مهدت لسقوط تبريز عاصمة جمهورية أذربيجان الديمقراطية وسقوط مهاباد عاصمة الأمل الكوردي في المنطقة والعالم، وما رافقهما من إستباحات ومجازر اقترفها الجيش الإيراني ضد المدافعين والحالمين من مواطني وزعماء الجمهوريتين الفتيتين، ومن أحابيل وأعمال شوفينية خبيثة، مارسها (باقروف) رئيس جمهورية أذربيجان السوفيتية، الذي لم تنجح لا النظرية الماركسية ولا المبادئ الإنسانية للنظرة الاشتراكية في محو حقده الأعمى على الكورد، حيث عمد إلى صياغة التقارير الكاذبة عن (علاقات وصلات مشبوهة للبارزاني الكبير مع أعداء الثورة السوفييتية، فضلا على المطامح البعيدة وغير المشروعة التي يعمل الزعيم الكوردي على تحقيقها عبر هذه العلاقات، وهي كلها _ هكذا كانت توحي تلك التقارير الحاقدة _ تضر بالمصالح السوفيتية في الشرق الأوسط..)

أكتاف الأسرى..

طوال الطريق من المطار إلى مركز المدينة والذي استغرق زهاء الساعة والنصف بسبب ازدحام طرقات موسكو في مثل هذه الأيام والتي تصادف بداية عطلة نهاية الأسبوع وقسم كبير من سكان موسكو يتوجهون إلى فيلاتهم في الريف خارج مدينة موسكو لقضاء العطلة هناك بعيدا عن جو العاصمة الصاخب، في السابعة والنصف وصلنا إلى فندق (ميزدونا رودنايا) والذي يشكل مع المركز التجاري العالمي بطوابقه المتعددة وحدة هندسية معمارية جميلة، تنتصب على نهر موسكو قبالة فندق (أوكرانيا) الشامخ بتصميمه المتميز والذي يجمع بين ستة من النماذج الأخرى، وبنفس التصميم الهندسي ونفس المساحة، منها جامعة موسكو ووزارة الخارجية التي تحمل واجهتها شعار الشيوعيين العتيد (المنجل والمطرقة)، وقد بنيت كلها زمن حكم ستالين وعلى أكتاف الأسرى الألمان الذين تم أسرهم خلال معارك الحرب العالمية الثانية، والتي انتهت بفوز الحلفاء على دول المحور..

خضراء، خضراء.. أحبك خضراء..

بهرتني المناظر التي مررنا بها في طريقنا الى الفندق، الأشجار خضراء باسقة في كل مكان بنحو جعل الأسى والحسرة يعتصرانني على حال كوردستان، إن مساحات التصحر الممتدة إلينا من صحارى الجزيرة العربية الشاسعة قد وصلت حتى الى جبالنا، ولم نفكر طيلة فترة ما بعد انتصار الانتفاضة منذ ربيع عام ١٩٩١ بالقيام بحملة وطنية كبرى، ملزمة لجميع مواطني كوردستان بإعادة كوردستان الخضراء الى سابق عهدها خضراء أيام كانت تلك المساحات مزروعة بمختلف أنواع الأشجار، ولكن بسبب سياسة الأرض المحروقة التي مارستها الحكومات العراقية المتعاقبة في كوردستان، منذ اندلاع ثورة أيلول الكبرى عام ١٩٦١ ووصلت ذروتها أعوام حكم البعث وخاصة بعد النكسة التي ألحقت بالثورة في كوردستان عام ١٩٧٥أفدح الأضرار، من بينها طبعا، القضاء على مساحات كبيرة من الأشجار وردم وتغييب العيون المائية التي أعقبت عمليات الأنفال السيئة الصيت في شباط ١٩٨٨.

بعد إجراءات التدقيق وتسليم الجوازات ومرفقاتها من أوراق الفيزا والتي كانت قد نظمت على أوراق خارج الجوازات بعكس ما هو متبع لحاملي جوازات دول العالم وجدنا انفسنا في صالة الفندق وكانت الساعة تشير إلى الثامنة مساء ولكن الشمس كانت تتوسط السماء، وعندما استفسرت من الأخ منصور الحفيد الملحق العسكري في السفارة العراقية بموسكو آنذاك الذي كان بانتظارنا في الفندق حول هذه الظاهرة أخبرني أن الظلام هنا يرخي سدوله في العاشرة والنصف ليلا في هذا الوقت من السنة علما أن توقيت الساعة هنا واحد مع توقيت كوردستان.

بطولات البيشمركه..

كنا في مقدمة الوفود التي وصلت الى العاصمة الرسمية والسبب في ذلك يعود الى عدم وجود خط مباشر أو رحلات مباشرة من كوردستان الى روسيا بعكس أعضاء الوفود الأخرى الذين يركبون طائراتهم في عواصمهم في الوقت المناسب لهم واستغلينا اليومين الذين سبقا المؤتمر بالتجوال ومشاهدة الأماكن والمراكز المهمة ولكن وبسبب الازدحام وحدوث خلل ما، لم يستطع البعض منا في اليوم الأول لوصولنا من مشاهدة جثمان لينين المسجى في ضريح أنيق منذ وفاته في أوائل العشرينيات من القرن الماضي واكتفينا بالتجوال في الأماكن المحيطة بالساحة الحمراء كالمتحف التاريخي والمركز التجاري وتمثال (جوكوف) نجم الانتصار السوفياتي في الحرب العالمية الثانية وهو يمتطي جوادا ويرنو مرفوعا الرأس الى الأفق وكذلك شاهدنا في الجانب الأيسر وقريبا من جدار الكرملين الأحمر نصب الجندي المجهول يحرسه جنديان لا يتحركان وكأنهما تمثالان من المرمر، ولم تمض دقائق على وقفتنا قبالتهما حتى تحركت مجموعة من الجنود يسارا ويمينا على وفق نسق عسكري منظم للغاية حيث خرج اثنان من الجنود وفق حركة انضباطية دقيقة وتبادلا مع الحارسين اللذين مضت على وقوفهما ساعة من الزمان في موقعهم ثم عادت المجموعة الى مكانها واختفت عن الأنظار وهنا قلت لزميلي الأخ مصطفى صالح كريم حبذا لو تم إعداد موقع وابتكار تنظيم قومي على هذه الشاكلة تمجيدا لبطولات البيشمركه الذين استشهدوا وماتوا في

المراحل النضالية المختلفة من تاريخ شعبنا وأمنية استقلال كوردستان لا تفارق شفاههم..

جثمان لينين.. وقادتنا التاريخيين..

في اليوم الثاني لوصولنا الى موسكو اصطحبنا الزميل شورش خالد سعيد نحن الأربعة مصطفى صالح كريم وحامد محمد علي وأكد مراد وأنا الى حيث تجمع الناس في صف طويل ابتداء من الباب الحديدي المشبك لموقع نصب الجندي المجهول والى بداية الساحة الحمراء وبعد انتظار دام ٤٥ دقيقة وجدنا أنفسنا أمام حاجز التفتيش الإلكتروني ومن ثم السير الى وسط الساحة الحمراء حيث يرقد لينين لمدة تجاوزت الثمانية عقود.

يقع النصب المبنى وفق طراز هندسي غير معقد والمغلف بالكرانيت الأحمر القاني المنقط بالأسود وسط الساحة أي في مقدمة مجمع الكرملين في جهة الشرق حيث يشاهد عند الدخول المكان الذي كان يقف عليه القادة السوفيات في المناسبات الوطنية كذكرى انتصار ثورة أكتوبر عام ١٩١٧ أو الاحتفال في الأول من أيار وكذلك عند الاستعراضات العسكرية وهم يحيون بأياديهم الناس والقطعات التي كانت تمر أمامهم وهو تقليد كان قد ابتدعه، حسبما سمعت، جوزيف ستالين بعد القضاء على ألمانيا النازية ودول المحور (١٩٣٩-١٩٤٥) وبتأثير من خلفياتنا السياسية والثقافية حول ما قيل وكتب عن قائد ثورة أكتوبر والعقل المبدع والمنظر للفلسفة الماركسية وتطبيقاتها وبسبب ما قرأته له من مؤلفات كنت تواقا الى رؤيته وهو مسجى على ظهره وأشعة مصباح كهربائي خفيف ذي لون أحمر مسلط عليه بكامل قيافته في رقدته الأبدية تلك، وعند الدخول الى المبنى صعودا ونزولا، أو يمنة ويسرة، كان هنالك جنود بملابسهم ذات اللون ألكحلي الغامق واقفين اثنين إثنين عند الزوايا داخل بناية النصب وهم يؤشرون بأياديهم ناحية رقدة لينين عند الدخول، وإلى الباب عند الخروج. بينما كنا ننتظر الدخول على المبنى تذكرت مقطعا من قصيدة مشهورة للشاعر احمد دلزار نظمها عام ١٩٤٩ وهو معتقل في سجن الكوت تغنى فيها بثورة اكتوبر وقائدها فلاديمير يليتش لينين..

قبل ظهيرة السابع من تشرين الثاني، قاد الرفيق لينين جيش الكادحين، لبناء مملكة الإنسان على الأرض، رافضا النظام القيصري المترهل الى مزبلة التاريخ، هنيئا لكم ايها العمال بعيد الحرية، ذكرى ثورة اكتوبر ومجدا لافكاركم الفولاذية العظيمة..

وكذلك تذكرت مقولة لاحد المثقفين الكورد كان يرددها كثيرا بداية سبعينات القرن الماضي منتقدا بشدة دور لينين في ارساء النظام الشمولي ذي اللون الواحد على اساس هرمي يقوم بتنظيم خلايا من القاعدة وانتهاء باللجنة المركزية ومن ثم المكتب السياسي انتهاء بسيطرة السكرتير العام الذي يختزل في شخصه الحزب كله لان في يده كل الصلاحيات المتصلة بالحزب وسياساته وقراراته

الزائر الذي يمر ابتداء من جهة الرأس ثم بقية الجسد والدوران عند القدمين وانتهاء بالرأس ثانية يشعر نحوه بالاحترام رغم الاختلاف معه في الفكر والنهج لأنه كما بات معروفا قاد ثورة غيرت وجه التاريخ وبتأثير إلهاماتها قامت حركات وثورات عديدة في مختلف قارات العالم مسترشدين بالفلسفة الماركسية والتي حولها لينين الى أفكار ونظريات طبقت في بلدان عديدة من أوروبا الشرقية، وفي بلدان أخرى في القارات الخمس، وبتأثيرها أيضا تبنت أحزاب وحركات وطنية في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية تلك الأفكار والنظريات، واسترشدت بها ردحا من الزمن، وعندما كنا نمر بجانب جدار كرملين الأحمر حيث يرقد الكبار من القادة السوفييت وتماثيلهم منصوبة على نسق واحد مع الاسم وتاريخ الميلاد والوفاة وهم يرنون الى الساحة الحمراء تمنيت لقادتنا الراحلين أن تتبوأ يوما تماثيلهم شامخة في إحدى الساحات العامة وسط أربيل العاصمة، ومدن كردستانية أخرى..

وعندما سمعني زميلي مصطفى صالح كريم ونحن نغادر الساحة الحمراء، أردد مع نفسي مقطع قصيدة دلزار الآنفة الذكر علق قائلا (القصائد الغنائية ذات النمط الكلاسيكي سواء كانت ثورية أم وطنية أم غزلية ستبقى في الذاكرة خالدة كقصيدة دلزار) وذكر أسماء عدد من القصائد الخالدة لعدد من الشعراء الكورد الكبار.

الساحة الحمراء.. ماركة BOSS..

الساحة الحمراء وما حولها باستثناء الكرملين تحولت إلى مكان يرتاده الناس من الروس والأجانب فهي محاطة من الجهات الأربع ببناية الكرملين والتي تأخذ الجانب الغربي بكامله، تقابلها أبنية السوق التجاري ذات الماركات العالمية والتي تغيرت معالمها وموجوداتها من السلع والخدمات بعد الانفتاح الذي رافق تغيير نمط السوق من الاشتراكية الممركزة الى اقتصاد السوق، وان الزائر له يجد سلعا من ماركة Boss وماركات ذات المنشأ الغربي التي كانت ممنوعة في ظل النظام الاشتراكي السابق وعند الطرفين الأخريين تتقابل بناية الكنيسة الأسطورية بألوانها المختلفة والتي يغلب عليها اللون الأحمر والتي كانت يوما ما في عهد القياصرة الروس مكانا لإعدام أعداء النظام، لكنها أصبحت في مرحلة لاحقة، أي في الزمن السوفياتي، أثرا معماريا فريدا، وكما سمعت من الزميل شورش فإنها من أقدم الكنائس الموجودة في روسيا، حيث يقابلها صرح مبني بالطابوق الأحمر وهو عبارة عن متحف زاخر لم نستطع زيارته مع الأسف الشديد، وخلف بناية المتحف وتحت تمثال جوكوف شاهدنا منظر آخر استقطب انتباهنا: كان ثلاثة من الروس يشبهون القادة (لينين، وستالين، وبريجينيف) يجلسون على مقعد خشبي حيث أضافوا لمسات ماكييرية على وجوههم وملبسهم لكي يتطابقوا تماما مع تلك الشخصيات في التشبيه، وكان عددا من الزوار يلتقطون الصور التذكارية معهم مقابل روبلات..

في صباح يوم الاثنين المصادف ٢٠٠٧/٥/٢٨ التأم شمل جميع أعضاء وفد نقابة صحفيي كوردستان والبالغ عددهم ثلاثة عشر عضوا والمتكون من أعضاء مجلس النقابة وسكرتير مكتب العلاقات الخارجية وسكرتير فرع كركوك ورئيس تحرير مجلة (روزنامه نوس) وعضو لجنة المراقبة وأستاذ مادة الصحافة في كلية الآداب بجامعة صلاح الدين في أربيل حيث تجمعنا في أحد أركان صالون الطابق الأرضي الفسيح مقابل هيئة مكتب إدارة واستعلامات الفندق والتي اتخذناها مكانا للتجمع يوميا وعلى مدار الليل والنهار حيث كانت الكراسي والمقاعد الوثيرة من الجلد الطبيعي ومن حولها هنا وهناك المقهى ومطعم الأكلات السريعة وكراسي ومقاعد مرصوصة للجلوس في زوايا وأركان الصالون الفسيح وقضاء الوقت أو لاستقبال الضيوف والانتظار.

الزي القومي الكوردستاني.. ذاكرة مفعمة بالحزن..

منظر الوفد الكوردستاني بزيه القومي جلب أنظار العاملين في هيئة مكتب الفندق والأشخاص الموجودين في الصالة وكنا نسير وفق نسق جميل كمجموعة مكلفة بأداء واجب وطني ومهني ولحظة كان الدرج الكهربائي يصعد بنا الى الطابق الثاني حيث كانت قاعة المؤتمر تذكرت أيام المهرجان العاشر للطلبة والشبيبة والذي انعقد في برلين الشرقية عاصمة جمهورية ألمانيا الديمقراطية في تموز عام ١٩٧٣ حيث شاركنا بوفد تألف من ٦٥ شابا وشابة مثل الشبيبة الكوردستانية في المهرجان المذكور وقد تميز ذلك الوفد بارتدائه الأزياء القومية الكوردية بنحو لفت أنظار الآلاف المؤلفة من أعضاء وفود القارات الخمس وكان ينقصنا آنذاك – لحسرتنا- علم كوردستان، ولكننا سعينا في هذا المؤتمر، إلى جانب مهماتنا النقابية، إلى توظيف هذا المؤتمر رغم طابعه المهني الصرف لتعريف العالم بكوردستان وشعبها وجماليات الزي الكوردي وشعار النقابة الذي يحمل ألوان العلم الكوردستاني، مع الصفحة الأولى من جريدة "كردستان" والتي صدرت قبل ١٠٧ عاما أي في ٢٢ نيسان من العام ١٨٩٨ كأول جريدة صادرة في التاريخ الكوردي كانت معلقة على صدورنا، كما قمنا بتوزيع المئات منها على أعضاء الوفود الصحفية وفي مقدمتهم آيدن وايت السكرتير العام للفدراسيون الدولي وجيم بوميلا الرئيس الحالي للفدراسيون مع توزيع عدد من شعار النقابة والذي يوضع في رفوف المكاتب على عدد من المراكز الثقافية والصحفية ومنها جريدة (برافدا) عبر احد محرريها المشارك في المؤتمر.

المفاجأة الجميلة..

في التاسعة والربع دخلنا الى البهو الخارجي لقاعة المؤتمر حيث كان كل أعضاء اللجنة التنفيذية للفدراسيون الدولي واقفين في استقبال أعضاء المؤتمر وعندما لمحنا السكرتير العام السيد آيدن وايت ونحن نقترب من مقدمة القاعة قام بتوجيه تحية خاصة إلينا رافعا يده مع انحناءة واضحة وهو يردد كلمة (فنتاستيك) مرتين الأمر الذي طمأننا وأشعرنا بأننا قد أحسنا صنعا بارتدائنا الملابس القومية وكانت عدسات كاميرات الصحفيين ومراسلي القنوات الإعلامية ومنها كاميرا تلفزيون (روسيا اليوم)

منهمكة لمدة خمس دقائق في التقاط صور لنا، ونحن نتوجه الى الصف الأول من المقاعد في القسم الوسط من القاعة ولم تكتف أحدى الكاميرات بالدقائق الخمس بل أنها ظلت تختلس منا اللقطة تلو اللقطة في ذهابها وإيابها، وقد اصطففنا في مقاعدنا واحدا بجانب الآخر حيث كنا من أكبر الوفود المشاركة بعد الوفد الروسي باعتباره من البلد المضيف للمؤتمر.

أزمة الصحافة الروسية.. لا لحصانة القتلة..

في العاشرة صباحا ووفق سياق غير تقليدي خصصت الجلسة الصباحية لموضوع حيوي ومهم للغاية تحت واجهة (أزمة الصحافة في روسيا) والتي كرست أساسا لتقديم الدعم المعنوي للصحافة الروسية التي تتعرض لحملة تضييق على حريات التعبير والنشر ونقل الخبر والمعلومة منظمة من قبل الحكومة الروسية، وكانت السلطات الروسية قد مارست سياسة التعتيم على المؤتمر، خلافا للتقاليد المتبعة في مثل هذه المؤتمرات والتي تعقد في بلدان مختلفة فكان من المفروض تغطية المؤتمر من كافة جوانبه كنوع من الدعاية لها والإعلام لصالحها، ولكن الروس لم يبالوا بهذا التقليد ووصل الأمر بسكرتير عام نقابة الصحفيين في روسيا عند زيارتنا له في مقر النقابة أن وصف ذلك التجاهل بالسياسة الحمقاء التي لا نظير لها وذكر أيضا أن الصحفيين قد أبلغوا من قبل السلطات المختصة بعدم تغطية المؤتمر ونشر أخباره ولكن وبالرغم من هذا كانت لقناة (روسيا اليوم) التلفزيونية حضورها في اليوم الأول حيث أجرت مقابلة طويلة نوعا ما معي ومع زملاء آخرين من وفدنا ولكنني لم أعرف هل بثت تلك المقابلات ام لا.

في تلك الجلسة الصباحية والتي كانت مخصصة لموضوع الصحافة في روسيا وتحت عنوان (لا للإفلات من العقاب في روسيا، لا لحصانة القتلة..الحملة العالمية من أجل السلامة الصحافية).

كان المتكلمون في الموضوع ثلاثة وهم (كريستوفر وارن رئيس الفدراسيون الدولي للصحفيين، وآيدن وايت السكرتير العام، ونقيب الصحفيين الروس، وصحفيون من روسيا، وآخرون غيرهم حيث أبدوا ملاحظات ومداخلات حول الموضوع وركزوا في

أحاديثهم على انتقاد السياسة الروسية تجاه حرية الصحافة وكذلك تحدثوا عن اغتيال الصحفية الروسية (اتابوليتكوفاسيه) في ظروف غامضة لم يكشف النقاب عنها حتى الآن.

الجناح الداغستاني.. حمزاتوف الكبير..

بعد الانتهاء من الجلسة الصباحية توجه البعض منا الى الأجنحة المختلفة الخاصة بنشاطات وفود بعض المناطق في روسيا في الرواق المحيط بقاعة المؤتمر، وكان الجناح الداغستاني جلب أنظارنا إذ كان في مقدمة تلك الأجنحة حيث قدمنا أنفسنا لهم كوننا مثلهم أبناء شعب جبلي محارب، قاتل منذ عقود من أجل الحصول على حريته وأعلمناهم بأن للشاعر الداغستاني رسول حمزاتوف شهرته الواسعة لدى أبناء شعب كوردستان وان مؤلفه (داغستان بلدي) قد تم ترجمته الى اللغة الكوردية منذ ثمانينات القرن الماضي مما حدا بالمشرفين على الجناح على الترحيب بنا بشكل إستثنائي، وذلك بتقديمهم مشروب (الفودكا الداغستاني) من أقداح الفضة المصنوعة في داغستان مرتين متتاليتين وزيادة في التكريم أهدى لي مسؤول الجناح القدح الفضي حيث قمت أنا بدوري بتقديم علم كوردستان وشعار نقابة صحفيي كوردستان هدية له ولهم، ووجهوا لنا الدعوة لزيارة جناحهم عصر اليوم الثاني للمشاركة في احتفاليتهم بيوم داغستان الوطني.

الجلسة المسائية.. بناء الثقة في الصحافة..

في السابعة مساء اكتظت قاعة المؤتمر بأعضاء الوفود المشاركة فيه، وهي نفسها التي كانت الجلسة الافتتاحية للمؤتمر، وكان شعار الجلسة المسائية (من أجل بناء الثقة في الصحافة) كعنوان عام وشمل المواضيع التالية:

١- العمل من أجل حرية التعبير والتسامح والحوار الثقافي.

٢- الإعلام العالمي والعمل من أجل الحقوق النقابية.

٣- العمل من أجل النوعية والعمل اللائق.

٤- العمل من أجل وضع معايير للمساواة والحقوق بين الجنسين.

وفي بداية الجلسة الافتتاحية للمؤتمر قدم رئيس الفيدراسيون (كريستوفر وارن) والذي انتخب في المؤتمر الخامس والعشرين الذي انعقد في العاصمة اليونانية أثينا في صيف عام ٢٠٠٤ رئيسا كلمته بالمناسبة تلته كلمة اتحاد الصحفيين الروس ورئيس مجلس محافظة موسكو وكانت الجلسة الافتتاحية احتفالية عامة لإلقاء بعض الكلمات وبعد الانتهاء منها توجه المؤتمرون الى الصالة الأمامية للفندق والتي كانت معدة بشكل أنيق وجميل مع مصاحبة موسيقية روسية وموائد عامرة من الأكلات ما لذ وطاب ومشروبات روحية متنوعة.

الخبر من أجل الديمقراطية.. التقرير العام..

اليوم الثاني من المؤتمر ٥/٢٩ كان مخصصا لمناقشة التقرير العام المعد من قبل السكرتير العام والمقدم الى المؤتمر والموزع قبل عقد المؤتمر بأسابيع الى النقابات المشاركة في المؤتمر حيث وردنا نصه باللغتين الإنكليزية والعربية قبل اسبوع من مغادرتنا الى موسكو وعنوانه (صناعة الأخبار من أجل الديمقراطية-تقرير الأمين العام-قوانين عمل المؤتمر العام-دستور الاتحاد الدولي للصحفيين) والذي يتألف من (٣٤) صفحة باللغة العربية ومقسم الى ثلاث محاور كما يلي:

١- تقرير الأمين العام الذي أخذ (٢٠) صفحة من النص.

٢- قوانين عمل المؤتمر العام الذي أخذ (٨) صفحات.

٣- دستور الاتحاد الدولي للصحفيين والذي أخذ (٦) صفحات (وقد نشرت جريدة "الصحفي" التي تصدرها نقابة صحفيي كوردستان في عدديها (،) نص التقرير.

وكما ذكرت كان التقرير معدا ومترجما الى عدة لغات وموزعا قبل عقد المؤتمر بأسابيع لكي يطلع عليه أعضاء المؤتمر من الوفود المشاركة توفيرا للجهد والوقت الذي تزداد أهميته أثناء انعقاد المؤتمرات عكس ما يحدث عادة عندنا، حيث تضيع في الغالب على الحضور فرصة قراءة التقرير بشكل هادىء قبل المؤتمر وتثبيت ملاحظاتهم عليه، ويهدر الكثير من الوقت في قراءته خلال جلسات الإفتتاح (وهذا ما فكرنا به نحن مجلس النقابة وسنتبعه باذن الله في مؤتمرنا القادم الذي سينعقد في الشهور القادمة قبل نهاية هذه السنة).

وقبل مناقشة التقرير العام تم انتخاب رئاسة الجلسة وليست رئاسة المؤتمر لأن كل جلسة من الجلسات كانت لها مجلس رئاستها المؤلف عادة من ٣-٤ أشخاص وبعدها بدأت مناقشة التقرير العام من قبل عدد المشاركين المسجلين في برنامج المؤتمر والذين كان لهم ملاحظات على التقرير وفي مجرى المناقشات التي احتدمت اثناء الجلسة، تم تسجيل كل الملاحظات من قبل السكرتارية وتمت الإجابة عليها في نهاية الجلسة.

خطأ في التقييم..

كان الزميل مفيد الجزائري أحد المتحدثين باللغة العربية المسجلين تحت عنوان (متحدث من العراق) تكلم في حديثه عن أوضاع الصحافة والصحفيين في العراق منذ سقوط النظام الفاشي في ربيع عام ٢٠٠٣ بشكل موجز، استهل مداخلته بهذه العبارة (تجتاحني وأنا أفوز بفرصة مخاطبتكم، رغبة عارمة في أن أحدثكم بتفصيل عن الأذى الكبير الذي لحق ويلحق بزملائكم الصحفيين العراقيين وعامة العاملين في ميدان الإعلام، هؤلاء الذين صار قتلهم وترويعهم ودهم المؤسسات التي يعملون فيها وحتى تدميرها ظاهرة تتكرر بصورة متزايدة، وقد حولت العراق (باستثناء إقليم كوردستان الذي ينعم بأمان نسبي) للسنة الرابعة على التوالي إلى ساحة هي الأكثر دموية بالنسبة للصحفيين)، وعندما سمعت عبارة (باستثناء إقليم كوردستان الذي ينعم بأمن نسبي) أثار استيائي لأنني شعرت أن فيها نوعا من التقليل وعدم تقييم الوضع العام في كوردستان بشكل ايجابي وواضح، ولواقع الصحافة في الإقليم، وكنت رجوته قبل إلقاء الكلمة بأن عليه (إبراز حقيقة الوضع الإعلامي وما تنعم به الصحافة من حرية وضمان حقوق الصحفيين في كوردستان) لكنه لسبب ما تجاهله، وهو العارف كما هو معلوم بحقيقة الأوضاع في كوردستان كونه قد عاش ردحا من الزمن فيها ممارسا نشاطه الحزبي والإعلامي بكامل الحرية ومقاتلا في صفوف البيشمركة في جبال كوردستان لعدة سنوات، وعلى الأثر تكلمت، وزميلي مصطفى صالح كريم نائب النقيب، وزيرك كمال سكرتير النقابة حول محاولة التعتيم على الوضع الصحفي المزدهر في كوردستان من قبل السيد مفيد مما حدا بالأخ مصطفى إلى مفاتحة السيد مفيد حول وجهة نظرنا

بصدد الكلمة وكان تبريره غير مفهوم آنذاك، بعكس السيد آيدن وايت السكرتير العام للفدراسيون الذي تكلم في إحدى فقرات المؤتمر حول الأوضاع الصحفية والصحفيين في العراق مشيرا بصورة خاصة إلى حقيقة الأوضاع الصحفية ودور نقابة صحفيي كوردستان في ذلك المجال بشكل واقعي وايجابي.

وهكذا استمرت جلسات المؤتمر، وعلى هذا المنوال تتابعت: مناقشات حول التقرير العام وكذلك قراءة ومناقشة التقرير المالي للسنوات الثلاث أي ما بين المؤتمرين من قبل المسؤول المالي (جيم بوميلا) مع بعض الإيضاحات الطفيفة، وقد تمت المصادقة على التقريرين بالإجماع.

في معهد الصحافة المستقلة.. محاضرة وحوار..

في اليوم الثالث أي ٦/٣٠ كان الجو في موسكو حارا جدا حيث وصلت درجة الحرارة إلى ٣٨ مئوية، في ذلك الموسم الذي قلما وصلت درجة الحرارة إلى مثل هذه الدرجة منذ (١٣٠) عاما كما نقل لنا الزملاء الكورد القاطنين في موسكو نقلا عن المواطنين الروس. أخبرني الزميل (خوشوي ملا إبراهيم) مسؤول منظمة الحزب الديمقراطي الكوردستاني في روسيا بأن (معهد الصحافة المستقلة) والذي يحظى باحترام ودعم الصحفيين الأحرار والمنظمات التي تحاول إرساء وترسيخ حرية الصحافة في العالم أن القائمين على أمور المعهد يرحبون باستضافتي لإلقاء محاضرة حول الوضع السياسي في كوردستان والمشاكل التي تعترض تطبيق المادة ١٤٠ ومصير مدينة كركوك وحرية الصحافة في كوردستان، وأنهم خصصوا لي مدة ساعتين للمحاضرة والمناقشات التي تستتبعها، وقد توجهنا بسيارة (خوشوي) عبر شوارع موسكو الفسيحة للغاية والمكتظة بالسيارات الحديثة ومعي الزميلين فهيم عبد الله عضو مجلس النقابة الذي شارك بدوره في الإجابة على بعض الأسئلة الموجهة لنا بشكل واضح وصريح للغاية وأنور حسين عضو مجلس النقابة والدكتور رضوان باديني تاركين مهمة حضور جلسة المؤتمر الصباحية للزملاء الآخرين من أعضاء الوفد.

نقابة صحفيي كوردستان.. دور دولي وإنساني..

في اليوم الرابع ٦/٣١ كانت المناقشات الجانبية قد أستنفدت الساعة الأولى من المؤتمر وفي الساعة الحادية عشرة بدأت عملية الترشيحات والتي كانت على مراحل، يبدأ باختيار نواب الرئيس وعددهم اثنان، وثلاثة مساعدين للشؤون المالية وكذلك (١٦) لأعضاء اللجنة التنفيذية التي تقود الفدراسيون بين المؤتمرين والتي تقوم أيضا باختيار وتعيين السكرتير العام بموجب عقد عمل لعدد من السنين وهنا، في لحظة تاريخية حاسمة لم تحدث من قبل، قامت نقابة صحفيي كوردستان بترشيح أحد أعضائها وهو سكرتير مكتب العلاقات الخارجية الزميل شيركو حبيب لعضوية اللجنة التنفيذية والتي يبلغ عدد أعضائها الـ (١٦) عضوا.

وعندما نقول لأول مرة تقوم منظمة مهنية كوردستانية بالترشيح لعضوية قيادة تجمع دولي، فذلك لأن الظروف السياسية التي مرت على كوردستان منذ تأسيس الدولة العراقية وإلحاق كوردستان بها قسرا وقهرا، لم تسنح أبدا بأن تأخذ المنظمات الكوردستانية التي وجدت خلال تلك الأعوام، مكانتها الطبيعية في القيام بدورها التاريخي الذي يتناسب مع ثقلها الثقافي والإنساني، في مثل هذه المجالات، بين مجتمعات وشعوب العالم، وأن المنظمة الوحيدة التي استطاعت أن تعمل في الدول الأوروبية منذ خمسينيات القرن الماضي هي جمعية الطلبة الأكراد التي تأسست عام (١٩٥٦) من قبل عدد من الدارسين والمثقفين الكورد في بلدان أوروبا المختلفة، ولهذا كان لترشيح نقابة صحفيي كوردستان أحد أعضائها لعضوية اللجنة التنفيذية للفدراسيون الدولي للصحفيين (IFJ) وهي العضو الجديد حيث لم يمر على نيلها عضويتها الكاملة (عضو عامل) الذي له حق الترشيح والتصويت العام الواحد، وكنا قد حصلنا في حزيران عام ٢٠٠٣ على درجة عضو مشارك (والذي لا يحق لها الترشيح والتصويت)، كما كنا شاركنا في المؤتمر الخامس والعشرين للفدراسيون في العاصمة اليونانية أثينا في صيف عام ٢٠٠٤، في ضوء هذه الحقائق فإن مجرد الترشيح وممارسة حق الانتخاب في مثل هذا المؤتمر الكبير الذي شاركت فيه (٨٧) نقابة صحفية من مختلف بلدان العالم، وضمن عدد الذين كان لهم الحق في التصويت وهم (٣١٠) عضوا والذين صوتوا فعلا ووصل عددهم إلى (٢٥٨) صحفيا، يعد خطوة كبيرة إلى الأمام

بصرف النظر عن النتائج، وكانت فكرة الترشيح بالنسبة لنقابتنا قد راودتنا منذ المؤتمر (٢٥) وجرى بحثها مرات عديدة عندما كنا نتناول الحديث نحن أعضاء مجلس النقابة بصورة غير مباشرة بيد أن التصور والفكرة لم تكن واضحتين تماما، ولكن عندما تقررت المشاركة في المؤتمر بحثتُ الأمر مع زميلي نائب النقيب وسكرتير النقابة وسكرتير مكتب العلاقات الخارجية وارتأينا أن ننتظر لحين الوصول إلى موسكو والإطلاع على سير المؤتمر والظروف التي ترتبط بها، وعندما حان وقت اتخاذ القرار اجتمعنا نحن أعضاء مجلس النقابة عشية انعقاد المؤتمر في موسكو وقررنا ترشيح الزميل شيركو حبيب ممثلا لنا، وفي ضوء معرفتنا بحجم نقابتنا ومدى حضورها ومشاركاتها في المؤتمرات والاجتماعات السابقة والتي كان ينظمها الفدراسيون الدولي وآخرها كان كونفرانس أربيل المخصص للسلامة المهنية للصحفيين في الفترة من ٥/١٠ الى ٢٠٠٧/٥/١١ بإشراف الـ IFJ ونقابتا الصحفيين الكوردستانيين والعراقيين وبالنظر لدورنا الإيجابي في المؤتمرات والإجتماعات التي كانت تعقد هنا وهناك من قبل الفيدراسيون الدولي للصحفيين، ونتيجة التأثير العاطفي لظهورنا بالملابس القومية على أعضاء المؤتمر وكذلك في ضوء الاتصالات والمحاولات التي قمنا بها للتعريف بنقابتنا قدر الإمكان: توزيع الباجات وشعار النقابة وعلم كوردستان، الأمر الذي مثل في النهاية جهدا دعائيا كبيرا توقعنا أن تنعكس نتائجه في عملية الإنتخاب، وهكذا قدم الزميل شيركو استمارة الترشيح باللغة الإنكليزية والتي كانت تتطلب بعض المعلومات الدقيقة وقام في الجلسة المخصصة للتعريف وتوجه الى المنصة والقى بيانه الانتخابي باللغة الإنكليزية شارحا فيه قضايانا القومية والمهنية ودور نقابة صحفيي كوردستان والمنشور نصا في العدد (٣١) من جريدة "الصحفي" مترجمة الى اللغة العربية، كانت الفرحة تغمرنا ونحن كنقابة كوردستانية استطعنا الترشيح (مجرد الترشيح) لعضوية لجنة قيادية في منظمة دولية كالفدراسيون الدولي للصحفيين، وكان لترشيح شيركو أسبابه العملية كونه يعيش في العاصمة البريطانية ويجيد اللغة الإنكليزية بالإضافة الى الكوردية والعربية ويحمل الجواز البريطاني والذي يساعده في التحرك دون الحاجة في أكثر الأحايين الى سمات الدخول (الفيزا وتعقيدات السفر) وكذلك كونه أحد ناشطي النقابة في الخارج وتثمينا لمساهماته الكبيرة في الاجتماعات

والسمينارات التي عقدت هنا وهناك وأخيرا كونه سكرتير مكتب العلاقات الخارجية ومسؤول عن تنظيم العلاقة بيننا وبين الـ IFJ والنقابات الصحفية والمنظمات الإنسانية العالمية التي ساعدت ماديا ومعنويا نقابتنا وعوائل شهدائنا الأبرار وجرحانا كمنظمة (روري بيك) البريطانية الإنسانية ومنظمة "مراسلون بلا حدود".

أعضاء الوفد الكوردستاني كانوا في اليومين الأخيرين بمثابة خلية نحل الكل كانوا وحسب إمكانياتهم اللغوية مشغولين في الاتصال ببعض من أعضاء الوفود الأخر لكسب التأييد لمرشحنا في الوقت الذي كنا مخولين أيضا من قبل زملائنا في نقابة الصحفيين العراقيين بتمثيلهم، وقد كنا في غاية الدقة والوضوح في هذا المجال وكانت مداخلة الزميل مصطفى صالح كريم على منصة المؤتمر خير دليل على ذلك.

ستة أصوات فقط..

أجل ستة أصوات حالت بيننا وبين عضوية الاحتياط للجنة التنفيذية للفيدراسيون الدولي، حدث ذلك صباح اليوم الأخير، إذ جرت عملية الانتخابات حيث كان لنا أربعة أصوات بينما كان للزميلة نقابة الصحفيين العراقيين صوتا واحدا وحتى اللحظة الأخيرة، كنا منهمكين في كسب الأصوات، وخلال ساعة من الزمن انتهت العملية وأخذ الصندوق الى إحدى الغرف الموجودة هناك حيث تم فرز الأصوات بعيدا عن العيون بعكس ما يجري عندنا أثناء عملية فرز الأصوات حيث يحضر مرشحو الانتخابات أو ممثليهم وأمام الحاضرين تبدأ عملية الفرز وتسجل الأصوات على سبورة مهيأة لهذا الغرض، وعندما تم فرز الأصوات والتي جرت على مرحلتين كانت حصيلتنا في المرحلة الأولى (٧٥) صوتا من مجموع (٢٥٨) صوت و(١٠٥) صوت من مجموع (٢٥٨) صوتا للاحتياط، وعندما ظهرت النتائج غمرني إحساس وشعور بالسعادة الى درجة كبيرة لأنني لم أكن أتوقع الحصول على هذه النتيجة المرضية والتي كانت خارج تصوراتنا وتوقعاتنا واعتبرتها نجاحا كبيرا وإن لم نفز بعضوية اللجنة التنفيذية والتي بالأساس لم نكن نتوقعها، بسبب حداثة عضويتنا في الفيدراسيون الدولي، أولا، وثانيا كانت علاقة نقابتنا محدودة للغاية مع النقابات الأخرى حيث كانت مقتصرة على عدد محدود من النقابات العالمية كاليونانية والألمانية والبريطانية والإيرانية والفلسطينية

لأننا لم نستطيع بسبب قصر المدة، وقصر ذات اليد من الناحية المادية أن نقوم بتبادل الزيارات والدعوات (وعلى سبيل المثال تأخر مجيء منظمة "مراسلون بلا حدود" سنة كاملة الى أن استطعنا التغلب على الناحية المادية في الوقت الذي كانت تلك المنظمة قد منحت عند زيارتها لكوردستان عوائل شهداء صحفيينا مبالغ لا بأس بها، وأبدت استعدادها لأخذ الجرحى الى خارج الإقليم)، وثالثا إن نقابتنا لم تكن تملك الظهير القوي كالنقابة الفلسطينية التي حشدت لها التأييد من قبل النقابات الصحفية في الدول العربية وكانت للنقابات الأوروبية أيضا حساباتها واحدة مع الأخرى، ورابعا لأن طابع المؤتمر كان يساريا وعلى يسار الوسط كنا نجابه بمشكلة ملتبسة تماما هي مشكلة احتلال- تحرير العراق (كنا نقول تحرير العراق من النظام الفاشي) من قبل الأمريكان فكان البعض منهم يتصور أننا كنا نسير على هدى الاحتلال، وأخيرا وليس آخرا، إن لعبة الانتخابات في هذه المنظمات العالمية لها حساباتها وتحتاج الى التجربة والخبرة التي تأتي بالتقادم

حديث آخر..

ولكن المهم هنا أننا كنا بصدد موضوع آخر، حاولنا إظهاره وتبيانه وتصوير معالمه حيث كان لنا حديث آخر أكبر من مسالة الانتخابات أو الفوز بمقعد في عضوية اللجنة التنفيذية، كان حديثنا للكل سواء كان في أروقة المؤتمر وأثناء الاختلاط بالوفود او في مركز الصحافة المستقل أو في معهد الاستشراق الروسي أو عند الالتقاء بقادة النقابة الصحفية الروسية عند زيارتهم لنا في موسكو وكذلك عند زيارة البيت الكوردي في موسكو التابع لحزب العمال الكوردستاني في تركيا K.K.P أو عند إجراء المقابلات الصحفية والتلفزيونية أو عندما تلبيتنا دعوة السفير العراقي للعشاء وكان حديثنا (جميع أعضاء وفد كوردستان) يقتصر على شرح أبعاد قضية شعب كوردستان والمظالم التي تعرضت لها في الحقب المختلفة منذ تشكيل الدولة العراقية ومحاولة صدام تغيير الواقع القومي وتعنت بعض من الأوساط العراقية في الوقت الحاضر في تنفيذ المادة ١٤٠ ومحاولة تأخير عودة كركوك وخانقين ومخمور والمناطق التي تم استقطاعها في عهود سابقة الى أحضان كوردستان الأم، كل هذا كان ضمن

الأحاديث التي قابلنا بها الوفود في المؤتمر او عند الزيارات للمراكز الأخرى ولم يقتصر حديثنا عند هذا الحد، وعندما استدعى المقام وأصبح من الضروري أن نرد التحية بأحسن منها (كما تقول الآية الكريمة) في الجناح الداغستاني شاركناهم وهم يمجدون بداغستان وحمزاتوفهم الذي غنينا له نعم شاركناهم بملابسنا القومية بالرقص والدبكة الكوردستانية وبأداء وصلة من الغناء الكوردي على المسرح الصغير الذي كانوا أعدوه وسط تصفيق وانشراح الحاضرين.

سنذكركم أيها الأصدقاء..

لا يسعنا إلا أن نشكر الزميل شورش خالد سعيد على تحمله لنا ابتداء من المطار والى المطار وتهيئة السيارات والوقت الكافي لخدمة الوفد، وكذلك الزميل خوشوي ملا إبراهيم الذي هيأ لنا هو أيضا بعضا من مستلزمات نجاح المهمة وتوديعه لنا مع بعض أعضاء الوفد الى المطار وكذلك زميلنا منصور الحفيد القنصل العسكري في السفارة العراقية الذي كرّس سيارته الشخصية وسائقه (جواد) لخدمة الوفد طيلة أيام المؤتمر، وكذلك الزملاء آرام وزوجته الروسية (لينا) والزميل يورا ذلك الكوردي الايزدي في روسيا وكذلك الإخوان في البيت الكوردي الذين استقبلونا احسن استقبال في مقرهم الكبير في موسكو وتكريمهم لنا بدعوتنا لعشاء فخم في إحدى مطاعمهم الكوردية، وهل بوسعنا أن ننسى كرم السيد كاكه أمين الكوردي من كوردستان سوريا والمستقر في موسكو وضيافته لنا في فيلته الجميلة خارج مدينة موسكو وتجشمه عناء تحضير مستلزمات الضيافة الكوردية الكريمة وقضاء يوم ربيعي جميل على أنغام الموسيقى والغناء الكورديين، وفي اليوم الأخير لنا في موسكو حيث كان مكرسا للقيام بزيارتين مهمتين أولهما كانت زيارة مقر نقابة الصحفيين الروس والالتقاء بقادتها وثانيهما زيارة القسم الكوردي لمعهد الاستشراق وزيارة مقر وكالة نوفسكي (نوفستي) سابقا مع الزميل مفيد الجزائري.

معهد الإستشراق الروسي.. القسم الكوردي..

في مقر نقابة الصحفيين الروس وبناء على موعد قد تم الاتفاق عليه قمنا بزيارة مقرهم الواقع في احد الشوارع الرئيسة داخل بناية مؤلفة من عدة طوابق، وكان في استقبالنا نائب رئيس الاتحاد والسكرتير العام للاتحاد الروسي حيث تم تبادل التحايا والترحاب من قبلهم ثم وحسب الأعراف الموجودة في مثل هذه اللقاءات أعطي الكلام لي حيث شكرتهم على حفاوة الاستقبال خاصة وأنهم كانوا مشغولين بالأيام الأخيرة للمؤتمر وكان حديثي مقتصرا على الأوضاع العامة في كوردستان والمظالم التي تعرضت لها على أيدي النظام السابق في عهد الدكتاتور صدام حسين والإشارة الى بعض من سلبيات سياسات الدول الكبرى فيما يتعلق بالقضية الكوردية ثم شارحا الوضع الإعلامي والصحفي في كوردستان ومرورا بالتعريف بنقابتنا ومطالبتهم بالمساعدة لنا في تطوير آفاق صحفيينا ضمن إقامة الدورات التي يتفق عليها مستقبلا.

وفي رده على حديثي، رحب بنا سكرتير عام النقابة الصحفية الروسية، وتمنى لنا التطور والتقدم في عراق ديمقراطي وأنحى باللائمة على سياسة الدولة الروسية في تجاهلها لوقائع المؤتمر وتقييد حرية الصحافة ورحب بفكرة التعاون وطلب من وفدنا إعداد لائحة بما نحتاجه من الدورات لصحفيينا عندما نعود الى كوردستان.

حلاوة من السما.. وشعار النقابة..

وفي النهاية قدمنا لهم شعار النقابة الذي كان معدا أصلا لمثل هذه المناسبات وكذلك علبة من حلويات (من السما) الكوردستانية، وجدير بالذكر أن فقد الزميل مصطفى صالح كريم كان تحدث عن نوع الدعم والمساعدة اللذان نحتاجهما بالإضافة الى أوضاع الصحفيين في العراق وكذلك تطرق الزميل شيركو الى تطوير العلاقات على أسس مهنية بين نقابة صحفيي كوردستان والنقابة الروسية المركزية للصحفيين وصحح لهم المعلومات عن موقع نقابتنا كونها نقابة مستقلة تمثل صحفيي شعب كوردستان في إقليم فدرالي وكان لوجود الزميلين خوشوي ملا إبراهيم وشورش خالد

سعيد أبلغ الأثر في الترجمة من الروسية الى الكوردية وبالعكس بالإضافة الى الدكتور رضوان الذي كان يقوم هو بالأساس بالترجمة ما بين اللغتين.

وفي آخر المطاف، عصر اليوم الأخير ٦/٤ كان موعدنا مع معهد الاستشراق/القسم الكوردي حيث استقبلتنا الأستاذة كالا بترحاب كبير وتمنت لو كان البروفيسور لازاريف موجودا ولكن تقدم العمر وما يعانيه من أعباء المرض حالا دون وجوده في المعهد أثناء الدوام، وعدم قدرته على استقبال الزوار تاليا، وقدمت بدورها شرحا وافيا عن القسم الكوردي في المعهد وطلابه الأوائل من أجزاء كوردستان الكبرى والاهتمام الذي كان توليه الدولة السوفياتية له سابقا، وتمنت في الأخير أن تقام الاحتفال بالذكرى العاشرة بعد المائة لميلاد الصحافة الكوردية في موسكو في عام ٢٠٠٨وبدورنا شكرناها على حسن الاستقبال واوضحنا بعض من الجوانب المتعلقة بآفاق الوضع السياسي في كوردستان ومسألة كركوك وإمكانية تطبيق المادة ١٤٠ من الدستور العراقي.

عبد الله كوران.. لحظة الوداع..

الساعات الأربع والعشرين المتبقية لنا وقد كرسناها لزيارة إحدى الحدائق الجميلة ومشاهدة مترو موسكو على عمق اكثر من ١٠٠ متر والذي يعد من عجائب الدنيا حيث قضينا زهاء ساعة واحدة ننتقل من محطة الى أخرى والتجوال مرة أخرى في الساحة الحمراء وما حولها، تلك الساحة التي كانت شاهدة على ميلاد الدولة السوفياتية على يد لينين والبلاشفة الروس وإقامة جمهوريات للقوميات والشعوب التي أصبحت تحت جناحيها تنعم بالدولة القومية باستثناء الكورد الذين كان نصيبهم الأنفال بتوزيعهم على أراضي خمس عشرة من الجمهوريات السوفياتية، بعيدا عن أرض آبائهم واجدادهم رغم كونهم انضموا إلى الحزب البلشفي ايام فلاديمير إيليتش لينين وقاتلوا اعداء الثورة وتفانوا في خدمتها ولكنهم لم يحصلوا على أي شيء باستثناء النفي عن الوطن والعمل الإجباري وخاصة في مد خطوط السكك الحديدية في أصقاع سيبريا كما تحدث عن ذلك الكاتب الكوردي الشيوعي المعروف (عرب شاميلوف)، في الوقت الذي كان شعراؤنا وادباؤنا وسياسيونا يمجدون ويتغنون وينظمون القصائد الحماسية في

مدح الصديق الصدوق للشعوب ورافع شعار حق الشعوب في تقرير مصيرها بنفسها، مع هذا ورغم المرارة التي كنت اشعر بها تجاه ظاهرة التبعثر للكورد بعيدا عن وطنهم في الزمنين السوفييتي والروسي، أحسست بجمال تلك اللحظات الرائعة، وأنا أرنو من نافذه الطيارة الى مدينة موسكو تذكرت تلك القصيدة الجميلة للشاعر الكبير الراحل عبد الله كوران والتي نظمها في مدح مدينة موسكو الجميلة وهي شهادة حقيقية وصادقة على تعلق الكورد ردحا من الزمن بمدينة موسكو الرمز وما كانت تمثل من أحلام وردية لمستقبل كوردستان وشعبها والتي خلدت موسكو الجميلة بأن جعلها عنوانا لها، وكان نظمها في مدينة موسكو ذاتها في الأول من كانون الأول عام ١٩٥٨..

يا موسكو.. يا امرأة جميلة مدثرة بنقاب أبيض

ثغرك الوردي مترع بالأغاني الشذية العذبة

إن نجوما سبعة كالياقوت تطرز رأسك

وتتألق نقية في كبد فضة الضباب

لهي أفضل عندي من ألف زهرة في السماء الزرقاء.....

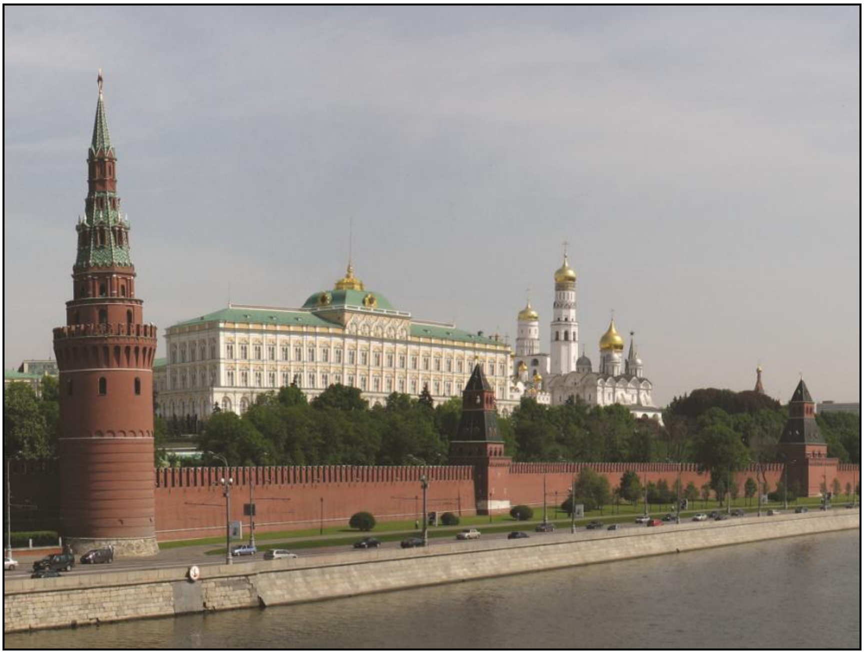

مبنى الكرملين الشهير الذي كان محط انظار العالم ذات يوم

عدد من أعضاء وفد النقابة في طريقهم لزيارة ضريح لينين في موسكو

أعضاء وفد نقابة صحفيي كوردستان بأزيائهم القومية في أروقة المؤتمر

وفد النقابة في قاعة المؤتمر قبل جلسة الافتتاح

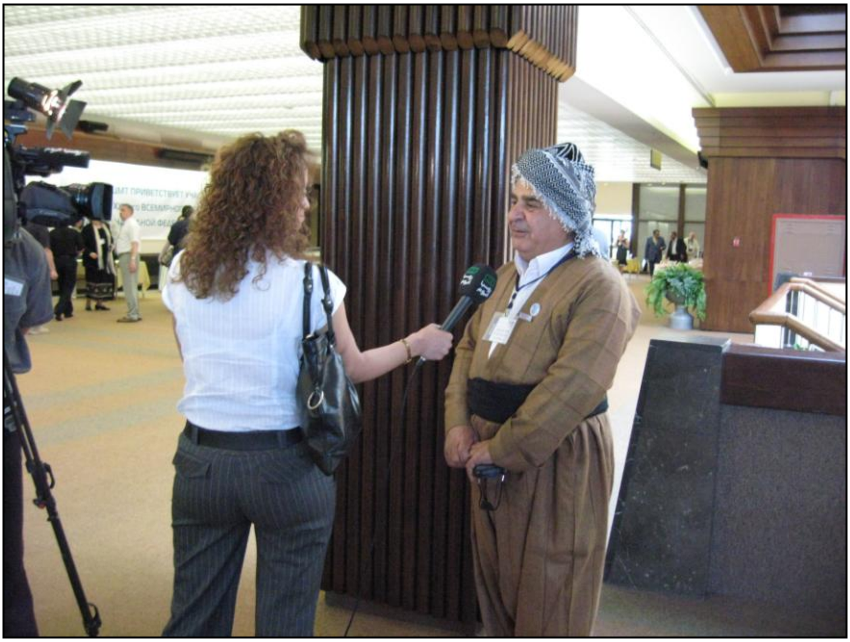

نقيب صحفيي كوردستان خلال لقاء صحفي على هامش المؤتمر

خلال تبادل الهدايا مع رئيس الوفد الداغستاني في المؤتمر

يدا بيد من أجل ترسيخ حرية الصحافة في العالم

خلال إلقاء محاضرة في معهد الصحافة المستقل بموسكو

خمسة من أعضاء وفد النقابة يدلون بأصواتهم لانتخاب اللجنة التنفيذية لـ(IFJ)

الوفد الكوردستاني مع آيدن وايت السكرتير العام للـIFJ

فرهاد عوني مع مفيد الجزائري وزير الثقافة العراقي خلال مؤتمر صحفي مشترك

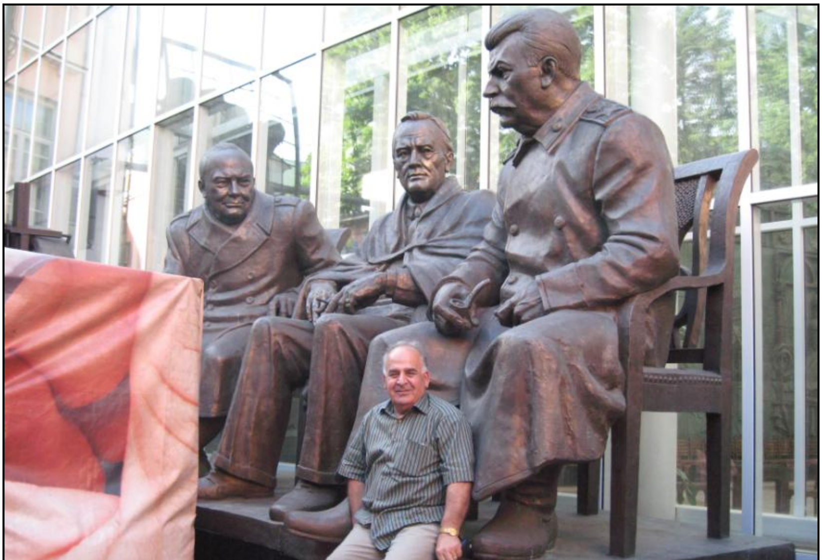

المؤلف أمام تماثيل الثلاثة الكبار، ستالين، روزفلت، تشرشل

في الساحة الحمراء

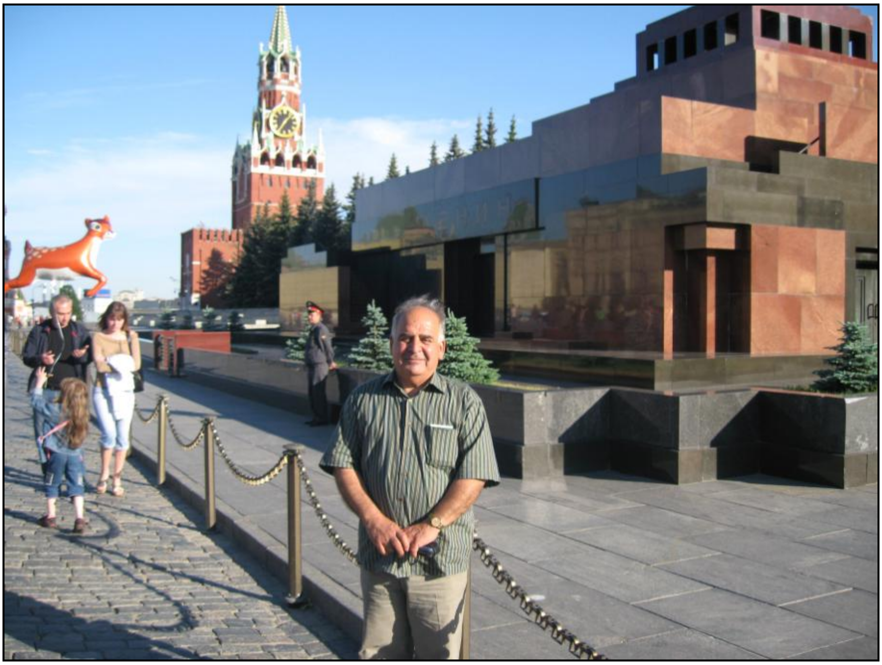

الساحة الحمراء على بعد خطوات من ضريح لينين

لقاء مشترك مع نقابة صحفيي روسيا

في القسم الكوردي بمعهد الاستشراق

في مقر اتحاد صحفيي بريطانيا وأيرلندا بلندن

كركوك بين ثوابتها التاريخية ومنطق طارق عزيز(*)

في أعقاب انتفاضة شعب كوردستان آذار عام ١٩٩١ وما رافقتها من تداعيات الهجرة المليونية دخلت الجبهة الكوردستانية والتي كانت تمثل معظم الأحزاب والقوى السياسية العاملة في الساحة الكوردستانية في حوار مع حكومة بغداد فرضه الواقع السياسي الكوردستاني آنذاك بهدف التوصل إلى حل سلمي وديمقراطي للقضية الكوردية وإشاعة الديمقراطية في العراق، ولم تكن قيادة الجبهة الكوردستانية في ربيع عام ١٩٩١ غافلة عما كان يدور في عقل المسؤولين البعثيين الذين كانوا يستغلون فترات الهدنة والمفاوضات وتوقيع الاتفاقيات وإعطاء الوعود البراقة ومن ثم فرض القتال من جديد عندما يشعرون بأن ميزان القوى أصبح لصالحهم.

وفي أحدى جلسات الحوار المذكور بين قيادة الجبهة الكوردستانية وبعض مسؤولي البعث وكان طارق عزيز مسؤولاً عن ملف الحوار مع الجبهة الكوردستانية دار حوار ساخن بين الطرفين حول المناطق المستعربة وخاصةً مدينة كركوك وكان قيادة الجبهة الكوردستانية يؤكدون أثناء الحوار على الثوابت التالية:

– إن كركوك مدينة كوردستانية وتقع ضمن حدود كوردستان وإن هذا مثبت حتى في (السالنامه العثمانية) وإن التأريخ والجغرافيا يؤكدان ذلك دون لبس وغموض.

– إن كركوك هي مدينة التآخي حيث يقطن فيها إلى جانب الكورد، العرب، التركمان، الكلدان والآشوريون، وإنهم جميعاً محكومون بالتعايش لألف سبب وسبب.

– إن تغيير الواقع القومي فيها لن يخدم أحداً بل سيخلق شرخاً لا يمكن إزالته بسهولة وإن ذلك يسيء إلى العلاقة التاريخية بين القوميتين العربية والكوردية.

وعندما سمع طارق عزيز آراء الجانب الكوردستاني خلال الحوار اشتد غضبا وتفوه بكلمات كانت أشبه بهذيان المجانين حيث قال لهم ما يلي: إن كل ما تقولونه

(*) نشر في صحيفة (كوردستان اليوم) العدد ٢ في آب ٢٠٠٣.

حول كركوك مرفوض من جانبنا (أي حكومة البعث) ولكن أقول لكم بصراحة أن لكم حقاً

واحداً في كركوك بإمكانكم ممارسته وهو أن من حقكم البكاء على كركوك فقط عندما تمرون بها عند ذهابكم وإيابكم كما نفعل نحن العرب تجاه الأندلس.

بئس ذلك المنطق وذلك التشبيه وبئس تلك العقلية التي أدت بالعراق إلى الهاوية كما أدت بأصحاب تلك العقلية إلى مزبلة التأريخ حين قارنوا بين وضع مدينة هي قلب كوردستان النابض والتي ضحينا من أجلها كثيراً وأصابتنا نكسة كبيرة جراءها ومؤلمة ربيع عام ١٩٧٥ عندما رفض قادة الحركة التحررية الكوردية وزعيمها الراحل مصطفى البارزاني التنازل عن كركوك وعلى أثر ذلك تجدد القتال في ربيع عام ١٩٧٤ عندما ركب الغرور رأس مسؤولي البعث ثم فضلوا (التنازل عن نصف شط العرب لشاه إيران) بدلاً من الاستجابة للحقوق القومية المشروعة للشعب الكوردي.. ومر الزمن وتحررت كركوك قبل سقوط حكم البعث في بغداد في التاسع من نيسان ٢٠٠٣ وعندما تكحلت عيوننا برؤية قلعتها الأثرية وأحياء إمام قاسم ورحيم آواه وتبه ملا عولا وشورجة وآزادي ومصلى وآخي حسين وأسواق قورية وأحمد آغا وجوت قاوه وكازينو المجيدية وبقايا مبنى فندق شهرزاد، انسابت في عيوننا قطرات الدموع الساخنة ابتهاجا برؤية كركوك وقد أصبحت سيدة نفسها وعادت إلى أحضان جغرافيتها وأهلها الصابرين، وحين كانت تلك القطرات تنساب من عيوننا ابتهاجا بتحرير كركوك كانت عيون طارق عزيز تذرف الدموع للمصير الأسود الذي كان ينتظره هو ورفاقه وسيده الذين كانوا أصحاب المنطق الغريب الذي قادهم إلى مزبلة التأريخ!..

خارطة تعود إلى العهد العثماني تثبت كوردستانية كركوك

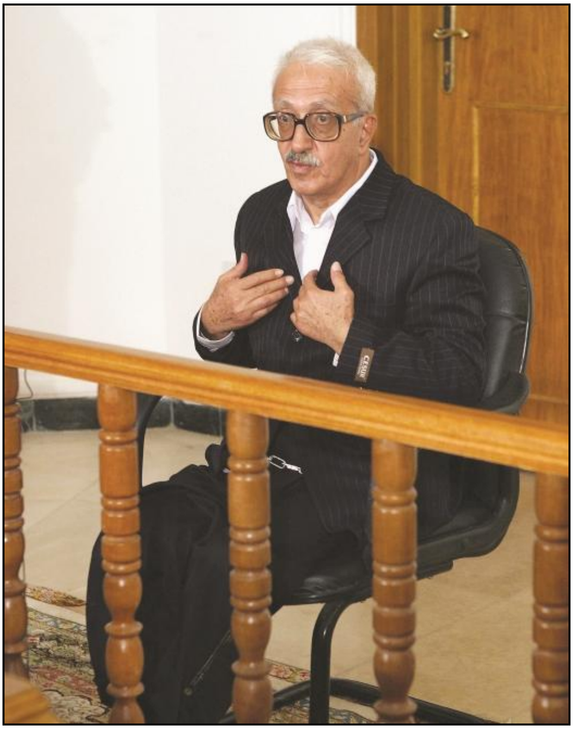

طارق عزيز في قفص الاتهام بانتظار مصيره

عندما قال سعيد قزاز: "لا أنام حتى تنام دجلة" (*)

صدر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر هذا العام كتاب جديد بعنوان (سعيد قزاز ودوره في سياسة العراق حتى عام ١٩٥٩) لمؤلفه (عبدالرحمن البياتي) وكتب المؤرخ والباحث الكبير د. كمال مظهر مقدمة الكتاب بعنوان (سعيد قزاز أمام محكمة التأريخ) ومن جهة أخرى نشرت جريدة (الزمان) اللندنية في شهر تشرين الأول الماضي موضوعاً في أحدى عشرة حلقة بعنوان (لمحات عن سعيد قزاز) للكاتب (زهير كاظم عبود) الذي استعان بعدة مصادر وأجرى عدة مقابلات مع شخصيات سياسية واجتماعية لإغناء موضوعه الذي يعتبر من المواضيع المثيرة التي دأبت جريدة (الزمان) منذ شهور على نشرها كحلقات عن تأريخ العراق المعاصر.

ومن جملة الشخصيات التي استعان بهم زهير كاظم عبود في إعداد موضوعه (لمحات عن سعيد قزاز) كان الأستاذ المحامي (عبدالقادر الدبوني) الذي نقل للكاتب لقائه الأخير مع سعيد قزاز ليلة إعدامه حيث جرى الحديث في باحة السجن وكان خاتمته كما ينقل لنا الدبوني ما يلي:

لمح في خاطري رغم الشجون المغرقة كلاماً قاله القزاز ليلة ٢٩/آذار/١٩٥٤ عندما كانت تعيش بغداد أسوأ وآخر ليلة عاشتها عندما أخذ خطر فيضان نهر دجلة يهدد العاصمة بالغرق وكان سعيد قزاز آنذاك وزيراً للداخلية في حكومة فاضل الجمالي وكان هنالك اتجاهان لإنقاذ بغداد، أولهما كان إخلاء جانب الرصافة من سكانها درأً للمخاطر وحفاظاً على أرواح عدة ملايين من الناس، وثانيهما حيث استقر الرأي عليه عدم إخلاء الرصافة وبذل أقصى الجهود وتسخير كافة الإمكانيات البشرية والفنية من أجل إنقاذ بغداد حيث كان صاحب الرأي الثاني قزازاً عندما قال جملته المشهورة وهو على رأس وزارة الداخلية (لا أنام حتى تنام دجلة)، وعندما تذكر الدبوني تلك الحادثة

(*) نشر في جريدة (خه بات) العدد ١٠٥٥، في ٢٠٠١/١٢/٧.

وهذه الجملة وهو يودع سعيد قزاز الوداع الأخير قال له (يكفيك فخراً وعملاً مجيداً يوم قلت لا أنام حتى تنام دجلة).

هنا لست بصدد تعداد مناقب سعيد قزاز الذي انتقل إلى العالم الآخر منذ ٤٢ عاماً وإنما الغرض من ذلك تذكير وزرائنا ومدرائنا العاملين وأصحاب الدرجات الوظيفية الخاصة ومدراء الأقسام ومن في يدهم الأمر والنهي في تمشية أمور الناس ومعاملاتهم اليومية حيث أوجه كلامي لهم وأخاطبهم (من منا لا ينام حتى يطمئن على أحوال الناس؟!) ومن منا لا يترك وزارته ودائرته ومكان عمله حتى ينهي معاناة المراجعين الذين يقضون ساعات طوال في مراجعة هذه الدائرة أو تلك من أجل الحصول على مجرد توقيع على أوراق معاملتهم التي قد يستغرق انجازها أياماً إن لم يكن أسبوعاً؟! ومن منا يتعامل مع ممتلكات الحكومة أو يحرص عليها كما يتعامل مع ممتلكاته الشخصية؟!.

حييت سفحك عن بعد فحييني   يا دجلة الخير يا أُم البساتين

سعيد قزاز

سعيد قزاز يتفقد معرضا تشكيليا وإلى يمينه يظهر الفنان آزاد شوقي

من منطق يونس الطائي إلى سليم مطر والعياذ بالله! (*)

بعد مرور عامين على قيام ثورة ١٤/تموز/١٩٥٨ وبعد استعادة القوى التي تضررت من الثورة مكانها ومن معها من الأجنحة المختلفة قوميون عرب، بعثيون وكل الشراذم التي كانت تحاول وباستمرار تغيير نهج الثورة وتحريف مبادئها تارة بفعل الإيحاء لزعيم الثورة عبدالكريم قاسم بأن القوى الوطنية والديمقراطية تحاول الاستحواذ على الثورة، وتارةً أخرى عن طريق التآمر لقلب نظام الحكم واغتيال قادته بواسطة الضباط الذين أعتمد عليهم الزعيم حيث قلدهم المناصب الحساسة التي تحولت فيما بعد إلى أحدى أهم وسائل نجاح انقلاب ٨/شباط/١٩٦٣ الدموي والذي دخل فيه العراق وشعوبه إلى عهد الظلم والدكتاتورية الذي دام قرابة ٤١ عام إلى يوم سقوطه في التاسع من نيسان من العام الماضي.

نعود إلى الأشهر الأخيرة من عام ١٩٦٠ ومعاصرو هذه الحقبة أو الذين يتذكرون تفاصيل ما حدث حيث كان المناخ السياسي مليئاً بما كان متوقعاً من ارتداد الثورة على نفسها ومبادئها مبدأ شراكة الكورد والعرب في الوطن العراقي كما جاء في المادة الثالثة من الدستور المؤقت عقب انتصار ثورة ١٤/تموز/١٩٥٨ حيث بدأت قوى الظلام والتآمر مدعومة من جهات وحكومات عربية وأجنبية القيام بعمليات اغتيال المناضلين السياسيين وتلفيق التهم المختلفة للعناصر الوطنية، وظهرت على السطح أيضاً أقلام مأجورة أخذت على عاتقها تشويه الحقائق والتهجم على رموز الحركة الوطنية العراقية والكوردستانية والتحريض ضدهم وكانت نافذة تلك الأقلام صحف ومجلات في غاية من الرجعية كصحف (الثورة)، (الحرية)، (الفجر الجديد) ومجلة (الوادي) و(بغداد) وغيرها من جوقة الطرب الرجعي وكان يونس الطائي أحد الأصوات التي كانت قد

(*) نشر في جريدة (كوردستان اليوم) العدد ٩، في آذار ٢٠٠٤.

دشنت الضرب على وتيرة (صهر الأكراد في بودقة الأمة العربية) وقد أستغل الطائي صداقته للزعيم عبدالكريم قاسم وحاول الإساءة إلى الكورد ظناً منه أن عمله قد يقربه من الزعيم، إضافةً إلى النعرات الشوفينية والعداء للكورد والذي سبب دماراً للعراق وعجل في نهاية الزعيم عبدالكريم قاسم حيث كتب الطائي في جريدة الثورة في ٢ من آذار عام ١٩٦١ مقالاً جاء فيه: (إن العراق كان شعباً واحداً وليس مجموعة من الشعوب).

ربما لن نلوم الطائي على تفسيره (للشعب الواحد) أو (مجموعة الشعوب) كما جاء في مقالته آنفة الذكر لأن الرجل لم يكن صاحب مبدأ أو اتجاه سياسي معين ولم يكن رمزاً من مجموعة الرموز التي ظهرت بعد ثورة ١٤/تموز/١٩٥٨ وكل ما هنالك فقد أراد الطائي التقرب من زعيم العراق آنذاك لغرض في نفس يعقوب وهذا ما شاهده (أبناء مجموعة الشعوب العراقية) حيث تكاثر المداحون والمتزلفون منذ ذلك العهد وإلى يومنا هذا وبأشكال مختلفة وصور متنوعة ومن أهم مهامهم (التقرب من السلطان) (ليأخذ ألف درهم) أو منصب معين مقابل خدماتهم والتي أصبحت في العقود الأخيرة مدرسة يتخرج منها سنوياً المئات تلو المئات. وأن الملام هنا منظرو القومية العربية ودعاة نهضتها ووحدتها ومنظرو تسييس الدين الذين بأعمالهم وتنظيراتهم يشوهون الوجه الحضاري للدين كأهم رادع ضد الظلم والانحراف والقسوة والإرهاب وإنكار حق الآخرين في الحياة كما وهبه الله سبحانه عز وجللنا جميعا.

وقد حاول بعض من منظري القومية العربية كالأستاذ هشام الشاوي أن يحمل القضية الكوردية وزر الخراب الذي أصاب العراق (لأن العراق لم ينبت في أراضيه الواقعة بين النهرين الكبيرين سوى بذور العرب الأصلاء قحطانيين وعدنانيين) (هذا ما تناوله في إحدى محاضراته عام ١٩٦٧) في المرحلة الأولى من كلية الاقتصاد والعلوم السياسية حيث كنت طالباً في تلك المرحلة وعندما ناقشته بعد أن أدت المكاشفة إلى القضية الكوردية وغيرها من القضايا اليومية الساخنة حيث كان الباب مفتوحاً للمناقشة آنذاك رد عليّ بالحرف الواحد (أسمع يا طالب لو لم نكن في الصف وداخل حرم الجامعة لضربتك بالرصاص).

لقد جرح الشاوي بأقواله هذه وبتنظيراته العنترية من منطلق حركة (مؤتمر القوميين العرب) مشاعر الكورد لأنه كان نابعاً من فكر وعقيدة مثقف وسياسي عربي عراقي واعي للأمور السياسي ومطلع على تأريخ تأسيس الدولة العراقية وعلى الدستور الذي جاءت به ثورة ١٤/تموز/١٩٥٨ وأنه بفكره هذا وأفكار أمثاله قد أرسوا قواعد البغضاء والتفرقة بين الشعوب العراقية ويحاولون ومن على شاكلتهم من أصحاب التنظيرات المختلفة خلق جدار لا نهاية له بين أبناء الشعبين الكوردي والعربي وتعميمه إلى خارج حدود العراق الجغرافية ليشمل كل قنوات التلفزة الفضائية والتي يحاولون ومن ورائهم نشر السموم يومياً وعلى مدار الساعة وكأن مطالبة الكورد بحقوقهم القومية وعلى أساس فيدرالي في المرحلة الراهنة أصبحت قنبلة موقوتة (كما جاء في مقابلة تلفزيونية في إحدى القنوات العربية مع أحد منظري تسييس الدين) وأن تلك القنبلة الموقوتة ستسبب في (تقسيم العراق وانفصال جزء مهم منه ناهيك عن إثارة (الغرائز القومية الكوردية لدى دول الجوار) والتي تتسبب في خلق مشاكل لا تحمد عقابها مع القوميات المتاخمة حدودها الجغرافية مع الوطن العربي).

ربما نستطيع استيعاب تلك الأقاويل والكتابات على مضض كونها إرهاصات ناتجة عن التعصب القومي الأعمى وستزول بزوال أسبابها عندما يدرك هؤلاء بأن طروحاتهم تلك ستضر بمستقبل أمتهم بالإضافة إلى تعريتهم أمام شعوب الأرض قاطبة والتي ستظهرهم بأنهم لم يتغيروا ولن يتغيروا إلا عندما يخسرون الكثير من قيم التأريخ وتدخل أصحاب القرار من الكبار للحد من غلوائهم الذي لا قيمة له في ركب الحضارة البشرية.

والأنكى من ذلك هو ظهور نفر ضال من الذين يحاولون الإنكار من أجل الإنكار والتمسك بمنطق الحجاج بن يوسف الثقفي وطه الشكرجي والزعيم صديق وغانم مصباح وعلي الكيماوي ولكن أية لغة تلك، لغة حوار العصر أم لغة القهر وتجاهل التأريخ والجغرافيا وحق الشعوب في تقرير مصيرها ونبذ (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر و أنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليمٌ خبير)، والذي يتجسد في فقرات كثيرة من كتاب (الذات الجريحة) لـ(سليم مطر) والذي يحاول منذ زمن الإساءة بشكل مطلق إلى تأريخ الأمة الكورية وأرضها كوردستان تحت

ذرائع وحجج واهية ومدانة سلفاً حيث يقول في (ص٤٠٧) من (ذاته الجريحة) ما يلي: (صورة أوضح أن كوردستان التأريخية التي تمتلك حق تقرير المصير هي المناطق والمدن الجبلية في الشريط المكون في السلاسل الجبلية للسليمانية وأربيل ودهوك وهي عموم ـ منطقة شهرزور ـ التأريخية المقسمة حالياً بين العراق وإيران أما مناطق دربنديخان ومدينة أربيل ومخمور وزاخو فإنها مناطق عراقية أصلية وجزء جغرافي وتأريخي من بلاد الرافدين وليس له أية علاقة بكوردستان الأصلية).

وهذا غيض من فيض منطق سليم مطر الذي يحتقره أبناء كوردستان للإساءات التي يوجهها إلى تأريخهم وحاضرهم وأن ابلغ الجواب لهذا (الكاتب الضرورة) ما قاله الجواهري الكبير عام ١٩٧٠ في مقابلة تلفزيونية أجراها معه الكاتب الصحفي حسن العلوي حيث قال بالنص: (إن معاناتي الحالية كجواهري هي نفس معاناة المتنبي رغم أنه بيننا مسافة ألف سنة لأن المنطق الذي ساد عصر المتنبي هو نفس المنطق الذي يسود مجتمعنا الآن).

هل أدلى عزيز الحاج بشهادته للتأريخ عن قناعة كاملة؟! (*)

حالفني الحظ كثيراً بحصولي على كتابين خلال فترة زمنية قصيرة واحدة لمؤلف واحد هو السياسي العراقي المعروف عزيز الحاج، وتأتي أهمية الكتابين كونهما يعدان من (الكتب السياسية ـ أدب المذكرات)، الأول عنوانه (دفاتر الشخص الآخر) وهو سيرة ذاتية للمؤلف منذ ولادته عام ١٩٢٦ في الكاظمية ببغداد من أبوين كورديين وحتى خروجه من السجن بعد قضاء نصف مدة محكوميته أثر نجاح ثورة ١٤/تموز/١٩٥٨، وقد وصف (ذنون أيوب) الكتاب وأسلوبه بـ(الاسلوب الحديث جداً في التنقل والقفز بين الماضي والحاضر بين البلدان وما فيها من مذاهب سياسية، وأساليب حياتية والحياة الزاخرة بالعواطف الجنسية المتناقضة، والتأثر العميق بما يجري حوالي المرء... إنسانية طاغية، عنيفة، عميقة).

والكتاب الثاني بعنوان (شهادة للتأريخ، أوراق في السيرة الذاتية السياسية) وقد صدر عن دار الرافد للنشر والتوزيع في لندن ـ نيسان عام ٢٠٠٢ ويصف الناشر الكتاب بما يلي:

(يستعرض د. عزيز الحاج في كتابه هذا ويحلل أحداث العراق السياسية بعد الحرب العالمية الثانية وسيرته في الحركة الشيوعية العراقية على مدى ربع قرن والكتاب إذ يعالج سياسات الحزب الشيوعي العراقي منذ أعقاب الحرب العالمية الثانية، وبعد ثورة ١٤ تموز فأنه يركز خصوصاً على تجربته في الحزب الشيوعي العراقي (القيادة المركزية المنشقة) بين أيلول ١٩٦٧ – أيار ١٩٦٩ مورداً العشرات من الحقائق والتفاصيل التي تسجل لأول مرة عن مقدمات الحركة التي قادها ومواقفها، ويتوقف لدى معركة أهوار (الغموكه) الشطرة ـ حزيران ١٩٦٩ ثم انقلاب البعثي الثاني ١٧/تموز/١٩٦٨ والمواقف الشيوعية منه، فتكشير النظام الجديد عن أنيابه وعودته إلى

(*) نشر في عددين من جريدة (خه بات) ١٠٩٥، ١٠٩٦، في ١٣-٢٠/٩/٢٠٠٢.

القمع والتعذيب والقتل ثم اعتقال قياديي حزبه وتفاصيل موقفه في المعتقل وندوته التلفزيونية الشهيرة وإطلاق سراح المعتقلين وعلاقاته بالنظام.

ويكرس الكتاب حيزاً كبيراً لوثائق الحركة ولمختلف الشهادات عنها وهي متضاربة ويقف الحاج في الختام فيما يمكن استخلاصه من التجارب الماضية ومطباتها وأخطائها.

الكاتب مكتوب بروح الشفافية والوضوح والنقد الذاتي الصارم وهو شهادة حية وموثقة لا غنى عنها للمعنيين بأحداث تلك الحقبة من تأريخ العراق الحديث المليء بالكوارث والأخطاء ويرحب الكتاب بجميع ما سيرد وينشر من نقد وتصحيح وتدقيق لما يرد في صفحاته وهي دعوة لدراسة تجارب الماضي بروح النقد البناء والنقد الذاتي للفائدة والاستعبار، لا للتعرض والتشهير وبعيداً عن ثقافة العنف المزمنة في الساحة السياسية العراقية).

وقد سبق طرح الكتاب في المكتبات، انفراد جريدة (الزمان) اللندنية بنشر فصول منه على أربع حلقات ابتداء من العدد ١٢٠٢ الصادر في ٣/أيار/٢٠٠٢ وانتهاء بالعدد ١٢٠٥ الصادر في ٨/أيار/٢٠٠٢ وبعنوان الكتاب نفسه (شهادة للتأريخ) وجاء في مقدمة (الزمان) بشأن وصف عزيز الحاج بأنه: (تدرج في مختلف مناصب الحزب الشيوعي العراقي حتى أصبح عضواً في لجنة الحزب المركزية ثم تزعم أكبر حركة انشقاق في الحزب المذكور).

أما بشأن الكتاب فقد ذكرت جريدة (الزمان) في مكان آخر من المقدمة (أن الكتاب يتوقف عند أحداث تاريخية لم يكتب عنها أو ما كتب عنها قليل أو متحيز ومنها معركة أهوار (الغموكه) الشطرة حزيران ١٩٦٨ ويكرس أيضاً حيزاً كبيراً لوثائق الحركة ولمختلف الشهادات وهي متضاربة).

قبل ما يزيد عن ثلاثة أعوام كتبت في زاويتي الأسبوعية (أمرو) أي اليوم في جريدة (برايه تي) اليومية الكوردية بعددها ٢٨٤٦ الصادر يوم ١٩٩٩/٥/٢١ موضوعاً عن أوجه الاختلاف في ممارسة التعذيب والبطش في السجون والمعتقلات في العهدين الملكي الجمهوري واستشهدت بمواقف (عزيز الحاج) و(هادي هاشم الأعظمي) وصمودها في سجون العهد الأول حيث أصبحا مفخرة للحزب الشيوعي العراقي وجميع المناضلين

العراقيين وانهيارهما باختلاف الزمان في عهد البعث الأول بالنسبة للأعظمي وعهد البعثي الثاني بالنسبة لعزيز الحاج وقد كان استنتاجي في حينه أن (صمودهما في العهد الملكي وانهيارهما في عهد البعث الجمهوري) يعود أساساً لطبيعة النظام في العهدين، فالأول أي (العهد الملكي) كان واثقاً من نفسه ويحارب الخصوم علناً بقانون أما الثاني (العهد الجمهوري البعثي) فقد كان ولا يزال غير واثق من نفسه ويعيش على منطق نظرية المؤامرة، ويتفنن في ممارسة التعذيب والقتل بشكل لا مثيل له في التأريخ وقد أثبتت التجارب التاريخية وواقع الحياة السياسية بأن النظام الذي يسلك الطرق الفاشية في انتزاع الاعترافات وتصفية الخصوم ليس بالنظام الذي يستند على الشعب ولا يحترمه في الحد الأدنى وبالتالي وفي النتيجة لم يكن عزيز الحاج وهادي هاشم الاعظمي بطلين في العهد الملكي ومنهارين في العهد الجمهوري وإنما البطل هنا قياسياً بالمقارنة كان النظام الملكي أما المنهار فقد كان النظام الجمهوري (وهنا أرجو من القارئ الكريم عدم تفسير الموضوع وكأنما انحياز للعهد الملكي ومحاباة له على حساب العهد الجمهوري).

ويتحدث الحاج نفسه حول إفادته أمام الهيئة التحقيقية في العهد الملكي أواخر عام ١٩٤٨ عندما أعتقل آنذاك مشيراً إليه في كتابه (دفاتر الشخص لآخر) حيث يقول في ص٢٢٤ ما يلي:

(كانت دوائر الأمن قد نشرت وقائع التحقيق والمحاكمات في عدة مجلدات وأستحسن الرفاق والناس المتعاطفون إفادتي أمام الهيئة التحقيقية واعتبروها دليل رجولة وشجاعة، والعراقي بوجه خاص يحب هاتين الصفتين، إفادتي المنشورة مع ما تسرب من وقائع التحقيق وأيام الإعتقال، عرفتني إلى كثيرين وخلقت لي شيئاً من صيت وكنت سعيداً بذلك ومعتزاً).

هكذا كان عزيز الحاج في العهد الملكي حيث بقى في سجونه عشر سنوات بكامله ولم يفرج عنه إلا بعد زوال الحكم الملكي وانتصار الثورة في صبيحة يوم ١٤ تموز عام ١٩٥٨ حيث انخرط ثانيةً في النشاط العلني للحزب الشيوعي العراقي حتى يوم قيادته لأكبر وأوسع وأخطر انشقاق في صفوف الحزب الشيوعي العراقي في ١٧ أيلول عام ١٩٦٧ حين كنا يومذاك في المرحلة الثانية من دراستنا الجامعية في كلية الاقتصاد

والعلوم السياسية بجامعة بغداد وكانت كليتنا تلك تشكل الساحة الفعلية البارزة للنشاطات الطلابية المهنية والسياسية من بين الكليات الأخرى نظراً لتواجد أكثرية القيادات الطلابية بمختلف الاتجاهات السياسية والقومية فيها، ولقد كان الانسجام سائداً بين الاتجاهات المختلفة باستثناء التيار اليميني لحزب البعث العربي الاشتراكي (هذا ما كان يطلق عليهم) وإتحاده الوطني لطلبة العراق حيث كانوا يعادون الجميع ولقد ظهر ذلك جلياً عندما حدث الإضراب العام لطلبة جامعة بغداد للعام الدراسي ١٩٦٧-١٩٦٨ والذي أمتد إلى جامعتي الموصل والبصرة وكان لإتحاد طلبة كوردستان ودوره النضالي المشرف ومشاركته الفعالة كطرف رئيسي في قيادة ذلك الإضراب العام حيث كان التنسيق بين مختلف الاتحادات الطلابية رائعاً للغاية ومثمراً بالرغم من الاختلافات الكبيرة والثغرات الموجودة آنذاك وقد كنا نعقد الاجتماعات في أماكن مختلفة تارة في نادي الكلية وتارةً أخرى في مطعم دار الطلبة الواقع آنذاك في باب المعظم، وفي أحدى المرات وبينما كنا مجتمعين في شقتنا في عمارة الشيخلي بشارع الشيخ عمر مقابل مقبرة الغزالي نحن أعضاء لجنة الإضراب بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية والتي ضمت كل من الشهيد صادق (لا أتذكر أسم والده) من الحزب الشيوعي العراقي . القيادة المركزية والمرحوم غازي المشهداني من الحركة الاشتراكية العربية و(فلاح حسن جاسم) من الحزب الشيوعي العراقي . اللجنة المركزية وكاظم عبدالسادة من الجناح اليساري لحزب البعث الاشتراكي والشهيد فاضل ملا محمود من الجناح الآخر لاتحاد طلبة كوردستان كوردستان وكاتب هذه السطور ممثلاً عن اتحاد طلبة كوردستان العراق وسعد الحديثي من الجناح المنشق في الحركة الاشتراكية العربية والذي انظم فيما بعد إلى صفوف القيادة المركزية (جماعة عزيز الحاج) وانتهى في النهاية كجاسوس رخيص للنظام البعثي فيما بعد. ويقول عزيز الحاج في شهادته للتأريخ ص ٢٥٩-٢٦٠ حول الموضوع ما يلي:

(وشارك حزبنا مع الحركة الاشتراكية العربية في لعب دور فعال في قيادة إضراب طلابي واسع النطاق اندلع في العام الدراسي ١٩٦٧-١٩٦٨ والذي بدأ في جامعة بغداد وأمتد إلى جامعتي الموصل والبصرة وعدد كبير من الثانويات في جميع أنحاء العراق، وانخرطت في هذا الإضراب قوى سياسية أخرى هي: حزب البعث القريب لسوريا،

والأكراد بجناحيهم أي الطالباني والبارزاني وحزب اللجنة المركزية ووقف حزب البكر ـ صدام ضد الإضراب بعنف، ووقعت صدامات مسلحة بين أنصار الحركة الاشتراكية والقيادة المركزية من جهة وبين مسلحي البعث المذكور من جهة أخرى وكان هؤلاء بقيادة صدام الذي كان طالب حقوق، وقد نجح الإضراب لدرجة أن رئيس الوزراء طاهر يحيى أعتذر عن اعتداء الانضباط العسكري على طلبة كلية التربية ببغداد).

وبينما كنا مجتمعين حضر إلى الشقة زميلي وصديقي عبدالموجود طه الذي كان يشاركني السكن فيها مع الزميلين إسماعيل على وحسين سنجاري حيث أخبرنا بحدوث نوع من الفوضى أثر اعتداء على أحد الطلبة الشيوعيين وأسمه (عقيل الناصري) من طلبة كلية الاقتصاد والعلوم السياسية من قبل الطلبة البعثيين وعلينا تدارك الأمر قبل استفحاله وعلى أثرها أستقلينا سيارتي تاكسي من باب عمارة الشيخلي إلى الكلية المذكورة والتي كانت قريبة من المعظم وقرب خط القطار آنذاك وعند دخولنا إلى الكلية شاهدنا مجموعة من الطلبة البعثيين في كليتنا ومعهد الصناعة العالي الذي كان يقع بجوار مبنى كليتنا يقودهم سمير الشيخلي الذي كان في المرحلة الرابعة من قسم السياسة في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية واقفاً في المدخل ومحاطاً بخمسة أو ستة طلاب من غير طلبة كليتنا، وعندما شاهدنا ونحن ندخل كمجموعة واحدة لم يستطيع ضبط نفسه وقال لنا بصوت عال أشبه بالصياح:

سمير الشيخلي: الـ(كاكاوات) ما عليهم ونترجاهم أن لا يتدخلوا في الموضوع.

غازي المشهداني: نحن لسنا بصدد إشعال نار فتنة وكل ما نريده نجاح الإضراب وأن الاعتداء على الطالب (عقيل) يعني اعتداء على الكل ونحن لسنا في موقف نقبل الاعتداء على أي طالب خاصةً إذا كان معنياً بمسألة الإضراب.

كاتب السطور: تفضلوا يا أخوان إلى نادي الكلية لأن المناقشة والمجادلة في باحة الكلية وعلى مرآى ومسمع الطلاب تعقد المشكلة ولا يمكن التوصل إلى حل.

صادق: ينبغي أولاً إدانة الاعتداء على (عقيل) وطلب العفو منه لكي نستطيع الجلوس معهم وإلا فلا...

سمير الشيخلي: ستدفع الثمن يا صادق جراء تطاولك علينا وإن سبب ضرب (عقيل) كان بمثابة تأديبه جراء تهجمه الوقح على حزبنا.

وفي تلك الأثناء ظهر عميد الكلية المرحوم د. محمد عزيز بوجهه البشوش ووقاره الذي كان يفرض على الكل الانصياع له واحترام آرائه لأنه والحقيقة تقال كان مربياً فاضلاً وعميداً ناجحاً، لطيف المعشر، ولم يكن ينسى أن يضع يومياً وردة قرنفل في ياقة سترته اليمنى وكان عمره آنذاك يتجاوز السبعين، وعندما شاهدنا في تلك الحالة قال لنا بهدوئه المعتاد: (تفضلوا إلى مكتبي) ثم أدار وجهه وذهب ونحن نسير ورائه، ولم نخرج من مكتبه إلا وكانت المشكلة قد حلت.

وهكذا نجح الإضراب ومرت الأيام وعاد البعث ثانيةً إلى الحكم في ١٧/تموز/١٩٦٨ وبعودتهم تغيرت الملامح ولم يبق ذلك الهامش من الديمقراطية في الساحة السياسية الذي كان متاحاً في زمن الفريق عبدالرحمن عارف وأصبح المطرب داود القيسي بـ(هلهولته الشهيرة) نجم حفلات التعارف في كليات ومعاهد جامعة بغداد، وهكذا انكمشت مجاميع الاتحادات الطلابية على نفسها وانتقلت النشاطات الطلابية إلى السر مرة أخرى واختفى (صادق) من الكلية ومن الحياة وأعقبه (خالد أمين) الطالب الرشيق والأنيق من مدينة الناصرية والذي لم يكن بوسع الكاتب السياسي اللامع آنذاك والمقرب جداً من المكتب الثقافي القطري ومسؤوليه وأقصد (عزيز السيد جاسم) وهو من نفس مدينة الشهيد (خالد) إنقاذ حياته وكانت جريمته الوحيدة أنه لفرط إعجابه بعزيز الحاج أطلق عليه مصطلح (جيفارا العراق) في لحظة نشوته السياسية عند سماعه خبر الأحداث التي شهدتها أهوار الشطرة ووصفت في حينه بالانتصار الباهر، وقد دفع حياته ثمناً لمبادئه وإعجابه بعزيز الحاج كما فعل زميله ورفيقه (صادق) من قبل، ولم يكن يدر بخلدهما أن (جيفارا العراق) قد سلم لمعتقليه جميع ما كان يملكه من أسرار وخلال الساعة الأولى من إلقاء القبض عليه ودون أن يتلقى أيه صفعة حسب رواية المرحوم حميد عثمان الذي حدثنا عن ذلك في فندق الديوانية الكبير الواقع في شارع سيد سلطان علي ببغداد في نيسان عام ١٩٧٠ (حين كان المرحوم حميد عثمان يتخذ من أحدى غرف الفندق المذكور مكاناً لأقامته وقد كنت يومذاك في زيارة والدي الذي كان يحل في الفندق المذكور عند زياراته لبغداد كون أصحاب الفندق كل من محمد الحيدري، سعيد ملا أحمد، فتاح الحاج ملا توفيق من أهالي مدينتنا كويسنجق).

ومع رواية المرحوم حميد عثمان عادت بي الذاكرة إلى ما قبل عام من ذلك الزمن وإلى أوائل شهر نيسان ١٩٦٩ وإلى ظهيرة ذلك اليوم عندما حدثني زميلي في المرحلة الثانية من قسم الاقتصاد الطالب البعثي فاضل المشهداني الذي أصبح فيما بعد عضو قيادة قطرية في حزب البعث قائلاً: (أن عزيز الحاج قد أعترف على نفسه وعلى الآخرين ولم يبق شيئاً لم يقله وأنه سيظهر مساء اليوم على شاشة التلفزيون).

لم أصدق فاضلاً في تلك الساعة لأن زملائنا الطلبة من تنظيمات القيادة المركزية وأثناء اللقاءات المشتركة بينهم وبيننا في اتحاد طلبة كوردستان العراق كانوا يؤكدون على صلابة قائدهم (الحاج) بالرغم من وحشية وسائل التعذيب وكأنهم كانوا شهوداً على ذلك.

وأنتشر خبر ظهور عزيز الحاج في التلفزيون كالنار في الهشيم مع حلول المساء، وفي الساعة السابعة مساءً كنا (مع ثلاثة من زملائي في اتحاد طلبة كوردستان) قد اتخذنا مكاناً لنا بين صفوف الكراسي الأمامية في مقهى الجزائر الكائنة آنذاك أسفل من عمارة الجقماقجي بشارع الرشيد قرب الباب الشرقي وقد كنا مشدوهين إلى الشاشة الصغيرة واتفقنا على أن (لا نتفوه بكلمة عن الموضوع احترازا من وجود عناصر من البعث وأجهزته الأمنية).

وظهر محمد سعيد الصحاف المدير العام للإذاعة والتلفزيون آنذاك على شاشة التلفزيون وهو يقدم بصوته الجهوري (صيدهم الثمين) للجمهور العراقي لينهشوا في لحمه وسمعته، وعندما ظهر الحاج وهو يقابل الصحاف في حلبة المصارعة غير المتكافئة بدأ هزيلاً في كل شيء وكان يريد السيطرة على نفسه من خلال تدخينه الشره للسيكارة تلو السكيارة ولندع الحاج يتكلم هو عن تلك الندوة في ص ٣٤٠ من كتابه حيث يقول:

(لاشك أن تلك الندوة كانت سقطة سياسية كبيرة في حياتي السياسية التي بلغت ربع قرن تقريباً، لم أكن أعرف مسبقاً من سيوجه الأسئلة وما طبيعتها؟ ولم تكن لي تجربة سابقة أمام الشاشة الصغيرة ولا مراس في التعبير عن نفس الشيء بالمداورة وحسن اختيار الكلمات، حتى كأنني في بعض أجوبتي كنت في صف مدرسي أجيب

على أسئلة المعلم، وليس كسياسي مثقف ذي تجربة سياسية طويلة، كانت بداية الندوة أسوأ ما فيها بالنسبة لسمعتي، وفخاً حقيقياً لحرقي سياسياً واجتماعيا).

كانت صالة مقهى الجزائر مزدحمة بالناس على آخرها وكان معظم الحاضرين فيها من طلبة الجامعة وكانت حركة المرور في شارع الرشيد قد خفت أثناء عرض الندوة التلفزيونية وأصبح الصمت سيد الموقف وكان الجميع مستمرين أمام الشاشة الصغيرة وبدأ العد التنازلي للحاج خلال الدقائق الأولى.

ويقول نفسه في ص٣٤٠ عن بداية الندوة ما يلي: (كانت بداية الندوة أسوأ ما فيها بالنسبة لسمعتي وفخاً حقيقياً لحرقي سياسياً واجتماعيا).

توالت الأسئلة السياسية وكان محورها كما يقول الحاج: (الموقف من البعث وسلطته والثورة الكوردية) وكان القتال في كوردستان قد تجدد (ويقصد تجدد القتال عام ١٩٦٩ عندما فرض عهد البعث الثاني قتاله وإعلانه الحرب على شعب كوردستان).

وعندما وصلت الأسئلة إلى محور الثورة الكوردية وقائدها البارزاني الخالد أطلق الحاج عنانه لتقريع ثورة كوردستان وقائدها وأتهاماته بـ(العمالة للأجنبي) وبدأ وكأنه كان في سباق مع الصحافي في تجريح مشاعر شعب كوردستان وهنا نورد كلاماً لعزيز الحاج يبرر سقطته تلك بالنسبة لثورة كوردستان وهو يقول: أن السلطة لم تكن في إيرادي لبعض الحقائق، وإنما في ظروف الندوة والكيفية والتوقيت إذ كانت بمثابة التشهير بحركة وطنية تتعاطف معها أكثرية الشعب العراقي وقواه الوطنية وكان التركيز من الصحافي على القضية الكوردية بسبب عودة القتال).

وأما بشأن البارزاني كما جاء في (شهادة الحاج للتأريخ)، فهناك تراجع واضح في موقفه وتغير بنسبة ١٨٠ درجة ويظهر أن التأمل والتفكير بعيداً عن أجواء العراق الملبدة منذ عقود بضباب الظلم الطغيان وأستقرار الحاج في مدينة باريس الجميلة والتي ساعدته على المراجعة الذاتية خاصةً وهو المطلع بحكم نيله لشهادة الدكتوراه عن القضية الكورية وملابساتها والغبن الذي لحق بالقضية الكوردية جراء المساومات الرخيصة والتي كان آخرها اتفاقية الجزائر المشؤومة في ٦ آذار عام ١٩٧٥.

وهنا يعود الحاج إلى موضوع البارزاني بتقييم موضوعي جديد بعد تلك السنين من التأمل والمقارنة والاطلاع على الوثائق وسياسات الحكومات العراقية المتعاقبة منذ عشرينات القرن الماضي، إذ يقول الحاج في (شهادته للتأريخ) ما يلي: (ورغم كل ذلك فقد اعتبرت الملا مصطفى وأعتبره الآن زعيماً كوردياً مناضلاً في سبيل حقوق الأمة الكوردية، وهذا برغم الأخطاء والعثرات التي تتحمل الحكومات العراقية مسؤوليتها الأولى).

وفي مكان آخر من (شهادته للتأريخ) يقول الحاج نصاً:

(وفي أحد الأيام أخذت إلى مكتب كزار (ويقصد ناظم كزار مدير الأمن العام آنذاك عام ١٩٦٩) ليقول لي: هذه مكالمة من الرفيق صدام (أخذت المكالمة فسألني عن أحوالي وكان يناديني بالأستاذ (أبي سعود) فشكرته وقلت أنني مرتاح، قال ستسمع قريباً جداً أخبار مفرحة وفعلاً تلفن لي مرة أخرى صباح أحد الأيام ليعلن قرار الاعتراف بألمانيا الديمقراطية واتفاقية الكبريت مع بولونيا، وأضاف أن الإذاعة سوف تذيع الخبر رسمياً، وصح الخبر الذي اعتبرته هاماً كما ظهر أن اللجنة المركزية فعلت الشيء نفسه في بياناتها فكتبت صيغة تأييد للخطوة وسلمتها لا أدري لأي منهم فراحوا بها إلى بقية المعتقلين الشيوعيين (ويقصد شيوعيي القيادة الكوردية) للتوقيع على النص ولكن الصفار (ويقصد كاظم الصفار الشخص الثاني في القيادة المركزية بعد عزيز الحاج) أضاف من عنده ومن باب المزايدة والإحراج لي جملة تصف البارزاني بـ(العمالة) فنشرتها الصحف هكذا فتألمت وغضبت، ولكن ما العمل؟! وهذا ما أؤكده اليوم بكل قوة فلم أنس في كل الظروف الدور القومي للبارزاني رغم الأخطاء والمطبات الكثيرة التي وقع فيها لا حباً بذلك بل لأنه كان يجد الحركة الكوردية محاصرة من الحكومات المتعاقبة).

والإضافة إلى ذلك خصص عزيز الحاج الفصل السابع عشر من (شهادته للتأريخ) عن علاقته بالبارزاني تحت عنوان (نحن والبارزاني من ص٢٢٧-٢٣٠) حيث يوضح حقيقة علاقة حزبه (القيادة المركزية) مع الثورة الكوردية أو بالأحرى مع شخص البارزاني الخالد ويورد بالتفصيل خلال الصفحات الأربع جميع ملابسات القضية وسفره إلى كوردستان مرتين الأولى في تشرين الثاني عام ١٩٦٧ والثانية في ربيع ١٩٦٨

وكانت الزيارة الثانية على حد قول الحاج مخصصة لزيارة البارزاني لطلب المساعدة بتسليح أنصاره في المنطقة حيث يقول:

(قابلته بالفعل وبت ليلة في مقره الجبلي... وتحدثنا مطولاً في شتى الأمور، وأذكر أن دارا توفيق قال له: (وكان حديثنا بالعربية) ما معناه أن جماعة عزيز الحاج هم ضد السوفيات، قال ذلك بنبرة الناقد فأوضحت للبارزاني أننا لسنا ضد السوفيات ولكن لدينا تحفظات على مجمل سياساتهم في المنطقة العربية وفي هذه الزيارة أقترح البارزاني أن يتوسط للمصالحة بيننا وبين جماعة عزيز محمد فاعتذرت بلباقة، فهم موقفي وسكت).

عندما وقعت عيناي على عنوان ذلك الفصل (نحن والبارزاني) بدأت بقراءة محتوياته بإمعان زائد بعكس الفصول والصفحات السابقة لأنني تعودت على الاستعجال والقراءة السريعة حباً في الوصول إلى النهاية بوقت قياسي ثم أعود ثانيةً إلى الصفحات والفصول متأنياً بالنسبة للمذكرات السياسية ولكن بالنسبة لهذا الفصل فكما بينت كانت قراءتي له بطيئة وعلى مهل وأعدت قراءته ثانيةً وثالثة حيث أعادني إلى ما قبل ٢٩ عاماً مضت وعادت بي الذاكرة إلى مبنى جريدة (التآخي) يوم إعلان الإضراب السلمي العام في كوردستان عام ١٩٧٣ احتجاجا على استمرار تعريب قضاء سنجار الكوردية آنذاك.

كان الوقت عصراً عندما جمعنا مكتب رئيس تحرير (التآخي) الزميل دارا توفيق الذي حضر مبكراً في ذلك اليوم لانشغال الجريدة بذلك الحدث الكبير (أي الإضراب السلمي العام في كوردستان) وكعادة الزميل دارا في الأوقات غير الطبيعية حيث كان يدعو بعض أعضاء أسرة تحرير الجريدة للاستماع إلى آرائهم والاستعانة بخبرتهم لاتخاذ القرار المناسب بشان ذلك.

وفي عصر ذلك اليوم صادف أن الحضور كانوا كل من (عبدالغني الملاح، جعفر ياسين، ضياء المرعب، كامران قرداغي، وكاتب هذه السطور) وكان الموضوع الرئيسي الذي بدأ ساخناً للغاية ومدار بحث المجتمعين مع الزميل رئيس التحرير هو الإضراب السلمي العام في كوردستان الذي كان معلناً في ذلك اليوم المصادف

١٩٧٣/٨/٢٥ احتجاجا واستنكارا من شعب كوردستان قاطبةً لسياسة التعريب السيئة الصيت والتي كانت من أولويات حكومة البعث وحتى يومنا هذا.

وقد أنبرى أحد الزملاء الموجودين في المكتب والذي كان متعاطفاً في السابق مع (القيادة المركزية) حيث بدأ باللائمة على الثورة الكوردية وأنتقد سياستها تجاه عزيز الحاج وقيادته المركزية مبيناً أن الثورة الكوردية وقيادتها كانت مقصرة وقصيرة النظر تجاه القيادة المركزية حيث لم تمد الثورة الكوردية يدها إلى القيادة المركزية ولم تدعمها حتى بمقدار الحد الأدنى وباعتقاده (ومازال الكلام للشخص المتعاطف سابقاً مع القيادة المركزية) أن الثورة الكوردية كانت أسيرة سوء التقدير ولو كان التعامل عكس ذلك لأصبح حزب القيادة المركزية من أكبر الحركات الجماهيرية المسلحة في العراق وكانت تشكل مع الثورة الكوردية جناحي حركة جماهيرية مسلحة، الكورد في كوردستان والقيادة المركزية في الوسط وجنوب العراق، (وهنا انتهى كلام الزميل المتكلم الذي بدأ وكأنه كان يلقى محاضرة عن مبادئ علم السياسة على طلاب الجامعة) وبانتهاء كلامه مد الزميل دارا توفيق يده إلى أحدى مجرات منضدته وتناول مظروفاً وفتحه ثم ألقى نظرة سريعة على عدة وريقات كانت موجودة داخل المظروف وبدأ أكثر جدية من قبل وقال: يا أستاذ فلان ربما حملت الثورة الكوردية وقائدها البارزاني وزراً لم يكن في مكانه وأرجو أن تعذرني إذا قلت لك أنك لست مطلعاً على خفايا الأمور المتعلقة بعلاقة الثورة الكوردية بحزب القيادة المركزية وشخص سكرتيرها الأستاذ عزيز الحاج وما كنت أريد كشف بعض أسرار تلك العلاقة وإن لم تبق هنالك من أسرار لأن صاحبكم لم يبق على سر صغير سواء كان يخصه أو يخص الآخرين في جعبته وقد كشف لهم (أي للحكومة) أدق الأسرار وخلاصة الكلام وبحكم معرفتي بعزيز الحاج والذي يعود إلى بداية الستينات حيث اخترت لمصاحبته إلى كوردستان لغرض زيارة البارزاني قبل مجيء البعث ثانيةً إلى الحكم ومع وصولنا إلى كوردستان أعلمنا مكتب البارزاني بوصولي مع الضيف الكريم، وفي نفس الليلة أستقبله البارزاني وقد كنت حاضراً وملازماً للحاج حيث جامله البارزاني كثيراً وأحترمه وكان الحاج منشرحاً وعندما حان وقت الجد طلب الحاج من البارزاني جملة من المطاليب وأراد كمية من قطع السلاح مع إيصالها إلى بغداد أو كركوك من جانبنا

وتسليح أنصارهم المتواجدين في كوردستان مع تقيد حركة فرع إقليم كوردستان للحزب الشيوعي العراقي وكسر الهدنة مع حكومة عبدالرحمن عارف وبعض المطاليب الأخرى... وقد كان الحاج جدياً أكثر من اللازم حيث كان يلح كثيراً ويكرر مطاليبه وكان البارزاني مستمعاً له إلى أن انتهى الحاج من سرد ما لديه من كلام عندئذٍ قال له البارزاني (أهلاً وسهلاً بك في كوردستان وطننا جميعاً، في العام الماضي وفي يوم ٥/حزيران/١٩٦٧ زارنا في كوردستان وفد حكومي على مستوى عالٍ، حيث كان مطلبهم تعجيزيا مثل مطاليبك وكانوا يريدون إرسال بضعة آلاف من قوات البيشمركَه والتوجه إلى جبهات القتال العربية ضد إسرائيل في الوقت الذي لا يستطيع لا المال العربي ولا تلك الجيوش الجرارة للدول العربية فعل شيءٍ ما ضد إسرائيل فالسلاح الحديث مع إمكانيات إسرائيل الفنية بالإضافة إلى وقوف أمريكا ودعمها لإسرائيل بكل قوة ستغير ميزان القوى لصالح إسرائيل وأنني نصحتهم لوجه الله بعدم التورط في حرب نتائجها معلومة، والآن أكرر ما قلته للوفد العراقي من العام الماضي لكم، إياك الانجرار إلى موقف لا يحمد عقباه فبضع عشرات أو مئات من البشر وهم أعزل من السلاح باستثناء بضعة قطع من السلاح القديم وفي أرض مكشوفة حيث لا توجد غابات كثيفة ولا أثر للجبال، وكل ما فهمت من أقوالك بأن وضعكم تعس من ناحية السلاح وكيف بمقدوركم مواجهة الدولة وهي تملك أحدث الأسلحة وأنتم أعزل من السلاح؟! والنقطة الثانية لا توجد لدينا فائض من السلاح بل بعكس ما تتصورون فأننا نعاني من نقص في السلاح ولن نكون البادىء في كسر الهدنة فشعبنا يحتاج إلى الراحة والبناء ونحن ملتزمون ببنود اتفاقية ٢٩/حزيران/١٩٦٦، أما فيما يتعلق بتقييد نشاطات الشيوعيين (فرع إقليم كوردستان للحزب الشيوعي العراقي) فليست لنا مصلحة في ذلك وبوسع جميع الوطنيين أن يتخذ من كوردستان قاعدة له ولا مصلحة لنا في إغضاب السوفيات وهم الطرف الآخر في معادلة السياسة الدولية وتعاملنا باحترام وأرجو أن تأخذوا بنصيحتي وأن تتصالحوا مع أخوانكم في اللجنة المركزية وبإمكاني مساعدة الطرفين في حل تلك المشكلة وبوحدتكم تستطيعون فعل الشيء الكثير).

عندما انتهى زميلنا دارا من حديثه الممتع والشيق حيث كنا منشدين لتفاصيله لم يبق لصاحبنا المنحاز سابقاً لتوجهات عزيز الحاج إلا أن يقول نصاً (ليش ما أخذت بكلام الرجل يا عزيز الحاج؟!) أي (لماذا لم تأخذ بكلام البارزاني يا عزيز الحاج؟!).

هل أخطأ عزيز الحاج؟! أن الجواب يأتي في مقدمة كتابه (شهادة للتأريخ) حيث يقول: (هل أخطأت كثيراً!؟ نعم ونعم سواء أيام وجودي في الحركة السياسية أو الاعتقال أو بعد ذلك وسايرت السلطة، وكنت أخذ الأخبار ما يناسب ادعاءاتها ومن ذلك أخبار انتفاضة ١٩٩١ والموقف منها في حينه، وهذا الخطأ السياسي هو من كبريات أخطائي وإن كنت آنذاك مرتبكاً بشأن الأخبار المتناقضة وفي الوقت نفسه لم أكن مجرد تابع أو ببغاء بل كانت لي مواقفي المستقلة واجتهاداتي وانتقاداتي في القضايا العامة وهي مسجلة في العشرات من الرسائل إلى القيادات العراقية وحاولت مراراً أن أكون عامل صلاح وفاعل خير من داخل النظام).

لقد أدلى عزيز الحاج بشهادته للتأريخ وباعتقادي أنه قد تخطى الحاجز النفسي للاعتراف بأخطائه القاتلة وغير القاتلة وهذا ما يشفع له كثيراً أو كما قال قيادي شيوعي مخضرم (يقيم في كوردستان العراق حالياً) تعليقاً على هذه (الشهادة المتأخرة) عندما كنا نتجاذب أطراف الحديث معه في أحدى أماسي موسم صيف العام الحالي بعد نشر الحلقات الأربع في جريدة (الزمان) اللندنية بقوله: يجب التعامل إنسانيا مع الحاج ومع (شهادته للتأريخ).

وكما قال أحد القساوسة الأفاضل لأحدد المخطئين عندما أعترف أمامه بالخطيئة (في ثنايا رواية أجنبية لم أعد أتذكر عنوانها): يجب أن يتعامل بعضنا مع البعض كما يتعامل الله (سبحانه عز وجل) معنا.

عزيز الحاج

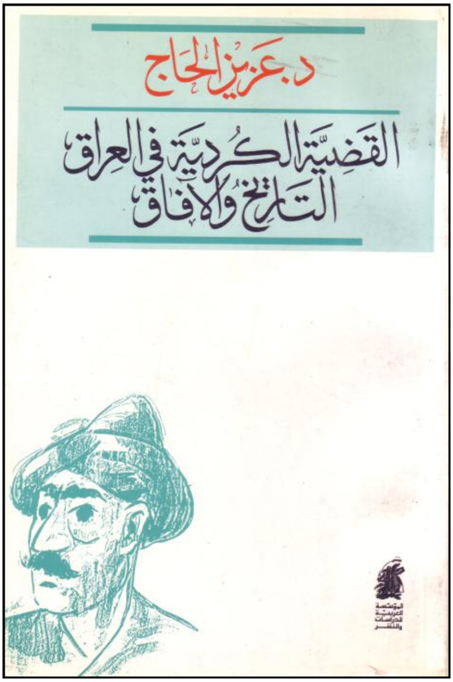
د. عزيز الحاج
القضية الكردية في العراق
التاريخ والآفاق

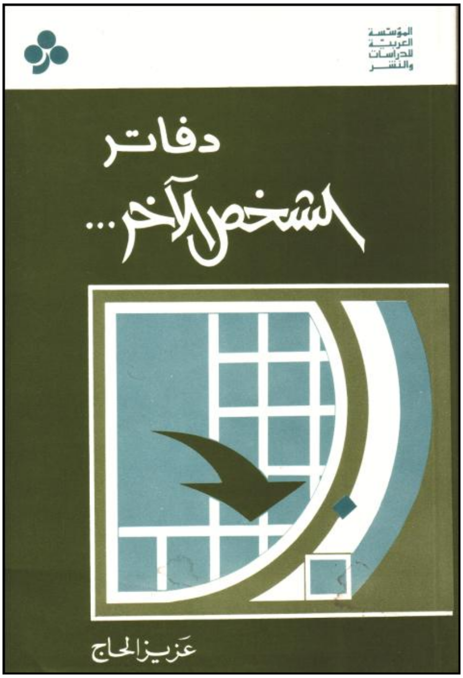
المؤسسة العربية للدراسات والنشر
دفاتر
الشخص الآخر...
عزيز الحاج

رحلت عنا زينب.. ومن حقنا أن نرثيها (*)

- عاشت في كوردستان ردحا من الزمن واختارت لنفسها أسم نرجس
- كانت تتأمل قمة جبل قنديل وكأنها تؤدي مشهدا مسرحيا
- توفيت في الغربة ودفن جثمانها بعيدا عن الوطن

كان ذلك الصيف فائضا بمناخه الطبيعي وجوه السياسي عندما وجدنا أنفسنا في مدينة قلعة دزه مع عوائل أخرى تاركين مدينتنا كويسنجق إثر استئناف القتال في حزيران عام ١٩٦٣ من قبل السلطة المركزية في بغداد وكانت قلعة دزه إحدى القصبات المحررة آنذاك وقد تجمع فيها الآلاف من مختلف أنحاء العراق إضافة إلى وجود المئات من ثوار البيشمركه وأعداد كبيرة من أعضاء وقياديي الحزب الشيوعي العراقي وضباط عسكريين من مختلف الرتب، حيث كانت مقاهي المدينة ودكاكينها تعج بالوافدين الجدد الذين تم استضافة البعض منهم من قبل عوائل قلعة دزه في وقت كان الحصار الاقتصادي يشد الخناق على كواهلهم، وشاءت الصدف أن نكون نحن من ضمن عوائل كويسنجق التي تواجدت في قلعة دزه في تلك الأثناء تاركين وراءنا ما كنا نملكه من غال ونفيس مفضلين الالتجاء إلى المناطق المحررة قبل أن تجتاح القوات الحكومية تلك المناطق محرقة الأخضر واليابس عبر اكتساحها المشؤوم لتلك المناطق.

وفي ذلك الجو المتلبد كنا شبابا متحمسين نتقصى الأخبار ونأخذ من الأفواه ومحطات الإذاعة بعض ما يشفي غليلنا وكثيرا ما كنا نجلس في تلك المقاهي المكتظة بروادها ونصادف وجود شخصيات عسكرية ومدنية معروفة، وفي الأمسيات كما نتمشى باتجاه قرية (كرب داخ) أو (كردي حسني) أو الصوب الآخر في المدينة وأحيانا كنا نتجه نحو بيت كاكه حسين حاجي محمود (رحمه الله) والذي كان مأوى الجميع

(*) نشر في مجلة "زاكروس" العدد (١٠) الصادرة في أيلول ١٩٩٨.

حيث كان يستضيف على الدوام مجموعة من الأشخاص في داره ويرتاح لاستضافتهم وكان من أصدقاء الحزب الشيوعي ومن محبي البارزاني الخالد وكان بيته بحق مضيفا حيث كانت الأفرشة تغطي مساحات كبيرة من حديقته الواسعة وقد اعتاد أن يغلق باب محله في السوق مستعجلا العودة إلى البيت لكي يؤنس ضيوفه الذين كان العديد منهم يقيمون فيه.

وفي صباح أحد أيام أواخر شهر حزيران كنت على موعد مع صديقي معروف أحمد أمين وهو من مدينة كويسنجق أيضا وقد التحق بالمناطق المحررة تاركا بغداد إثر انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣ كونه من كوادر الحزب الشيوعي العراقي (يقيم الآن نع زوجته في مدينة برلين) وشاءت الصدف أن التقي به في بيت كاكه حسين في قلعة دزه حيث كانت تربطهما علاقة قرابة.

كانت الوقت صباحا حوالي الساعة الثامنة عندما دخلت بيت حسين فشاهدت فتاة سمراء طويلة القامة في العقد الثالث من العمر ذات شعر أسود سمات جنوبية، كانت واقفة على دكة الحديقة قبالة جبل قنديل الشامخ وكأنها تمثل مشهدا من مسرحية وفي تلك اللحظة سمعتها تقول (ما أسعدنا ونحن نستقبل صباحاتنا أمام قمة قنديل البيضاء) وعندما لمحتني بادرت بالترحيب وكأنها هي صاحبة البيت، وبعدما رحبت بي اتخذت مكانا بين الحضور الذين كانوا على وشك تناول طعام الفطور عرفت بأن الفتاة السمراء كانت قد حلت هي أيضا في بيت حسين مع عوائل أخرى هربوا جميعا من بغداد وكان من بينهم المهندس الشاب عدنان أسود مع زوجته المهندسة والنقيب مهدي الخفاجي والدكتور حسين ولمحت من بينهم الاستاذ عزيز محمد السياسي الوطني المعروف وكانوا جميعا يتابعون الفتاة السمراء وهي تتأمل جبل قنديل وكانوا ينادونها باسم (نركز) وقد اختارت هذا الاسم الكوردي الجميل منذ أن وطأت قدماها أرض كوردستان المحررة بعد انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣.

وقد عرفني عليها صديقي معروف قائلا أنها (فخرية عبدالكريم) وهي مدرسة اللغة العربية، وبعد أن توطدت صداقتنا عرفت أنها أول فتاة عراقية مثلت على خشبة المسرح، ومن خلال الفن والحركة الوطنية تعرفت على زميلها الفنان الكبير يوسف العاني ومثلت معه في الفلم السينمائي العراقي الشهير (سعيد أفندي) ثم اشتهرت فيما

بعد باسمها الفني (زينب) وفي السنة الأولى من دراستها الجامعية دخلت معترك الحياة السياسية وقد كانت معجبة بالشعب الكوردي ولسان حالها تردد دوما (إن الكورد شعب أصيل وإذا ما تيسر له المناخ الملائم سيصبح ذا شأن كبير) ولم يدم بقائنا في قلعة دزه طويلا حيث توجهت أنا نحو قرية (هلشو) ومنها إلى قصبة (ماوه ت) وفيما توجهت زينب مع عائلة حسين إلى قرية (سوني الحدودية) درءا للأخطار التي كانت تواجهها مدينة قلعة دزه آنذاك.

ومرت الأعوام دون أن أعرف عنها شيئا حتى التحقت بجامعة بغداد عام ١٩٦٦ وكنت شغوفا بقراءة المسرحيات والروايات العربية والأجنبية، وعندما عرفت أن هنالك مسرحية باسم (الدبخانة) سوف تعرض على خشبة مسرف قاعة الخلد دعوت بعض أصدقائي لمشاهدة المسرحية، وشاءت الصدف أن يكون صديقي معروف معنا وعندما كنا على وشك قطع التذاكر والدخول إلى قاعة العرض فوجئنا بوجود صديقتنا الفنانة زينب في الصالة الأمامية وهي غير مصدقة لرؤيتنا في ذلك المكان وأصرت بعد الاستفسار عن الأحوال والعائلة على دفع ثمن التذاكر والجلوس معنا، وبعد انتهاء المسرحية اتفقنا على زيارتها في بيتها الكائن في أحد أزقة (كرادة داخل – الزوية) وأصبحنا نزورها كلما سنحت لنا الفرصة ويومها كانت قلقة للغاية على الأوضاع في كوردستان وكان ذلك انعكاسا لمحبتها الشديدة للشعب الكوردي وكانت تلح علينا دائما أن نناديها باسمها الكوردي (نركز) وكانت تتابع أخبار حسين وعائلته ولقد أبكتها كثيرا عندما عرفت أنه أنتقل إلى جوار ربه.

ويومها كانت مشغولة بكتابة روايتها (الساقية المهجورة) التي لم تطبع لحد الآن وقد أهدتني نسخة منها مطبوعة على آلة الطابعة لكي أسجل لها انطباعاتي وكثيرا ما كانت تدعونا إلى مشاهدة المسرحيات في أواخر الستينات وأصرت ذات يوم أن نشاهد مسرحية (النخلة والجيران) في عرضها الأول للكاتب غائب طعمة فرمان والتي كانت تمثل فيها دور المرأة الفقيرة (خيرية) بجانب الفنانين يوسف العاني وخليل شوقي وناهدة الرماح ضمن أعضاء فرقة المسرح الفني الحديث وقد أعجبتنا المسرحية والتي كانت فصولها تدور في مدينة بغداد خلال الأعوام الأخيرة من الحرب العالمية الثانية، وقد كانت الفنانة الراحلة تؤدي دورها وتقول (لا أدري كيف أمثل في النخلة

والجيران لأن أحداث المسرحية نابعة من واقعنا ولقد عاش أجدادنا فصولا منها ونحن عشنا فصولا منها) صفق الجمهور كثرا لإبداعات أولائك النخبة من الفنانين وخاصة المشهد الذي كانت في خيرية (زينب) وهي تحدق في وجه حمادي العربنجي (يوسف العاني) في الوقت الذي كان حمادي يتحسر على ما فاته من أشياء ويردد قائلا: (الطولة هم باعوهة وسليمة الخبازة هم تزوجت).

وفي خريف عام ١٩٧٧ التقيتها للمرة الأخيرة صدفة في شارع السعدون أمام مطعم (العش الذهبي) وقد عاتبتني كثيرا واستفسرت عن أسباب غيابي الطويل وعندما عرفت السبب وما آلت إليه أوضاعنا كادت أن تنفجر باكية وودعتها على أمل اللقاء بها.

ومرت الأعوام ولم التقيها ثانية حيث استقرت في السويد بعد أن اضطرت لمغادرة العراق ١٩٧٩ وشاء القدر أن تنتقل جوار ربها هناك يوم ١٣/آب/١٩٩٨ وكلها أمل كما ذكر زوجها الصديق لطيف صالح في حديث لجريدة(الشرق الأوسط) بأن الراحلة قد عبرت له قبل رحيلها عن أملها في وقوع معجزة تيسر دفنها في العراق لكن أمنيتها لم تتحقق كما لم تتحقق أمنيتها الأخرى حيث أنها لم ترزق بمولود رغم تمثيلها لدور الأم (أم شاكر) في مسرحية (آتي أمك يا شاكر). رحمن الله زينب الفنانة القديرة التي حظيت بمحبة الجميع.

فنانة الشعب

لم تكن زينب مجرد ممثلة مسرحية عراقية، بل تميزت بكونها شخصية ثقافية ساهمت مع ابناء جيلها بوضع المسرح في حماة الساحة الثقافية، وهي من اوائل النساء اللواتي اجتزن بجرأة الحاجز الاجتماعي الصارم الذي كان يحرم على المرأة الدخول الى عالم التمثيل في منتصف الخمسينيات، بل ان المجتمع كان ينظر بعين دنيا للمرأة الممثلة، لكن زينب او (فخرية عبدالكريم) انتقلت من مهنة التدريس الى خشبة المسرح بروح مضحية ومتفانية، ولتقوم ببطولة ابرز فيلم سينمائي عراقية (سعيد افندي) مع يوسف العاني، الى جانب اعمالها المسرحية في فرقة مسرح بغداد والتي لعبت فيها ادوار المرأة الشعبية والارستقراطية من غير ان تبتعد عن المسرح التجريبي فكانت مسرحية اني امك ياشاكر، باكورة فتوحاتها المسرحية، واشتهرت بدور سليمة الخبازة، في مسرحية غائب طعمة فرمان (النخلة والجيران) حتى ان الجمهور كان يلقبها بـ(سليمة الخبازة) لتقمصها هذا الدور بامتياز وكانت في اواخر اعمالها على مسرح بغداد دورها في مسرحية لوركا بيت برناردا البا، وبين هذه الاعمال هناك العشرات من الادوار المسرحية والتلفزيونية والسينمائية، وخاصة دورها في فيلم (الحارس) مع قاسم حول.

زينبْ كانت ممن اضفت صورة اكثر اشراقا ووضوحا عن الممثلة وعن فن التمثيل في العراق ذلك ان قيام مدرسة ثانوية بنات بالتمثيل فوق خشبة المسرح او امام كاميرا السينما والتلفزيون كان يعد حدثا اجتماعيا الى جانب كونه حدثا فنيا.

عام ١٩٩٨ حمل لنا نبأ وفاة هذه الفنانة الكبيرة في العاصمة السويدية حيث كانت تقيم بعد ان غادرت بغداد عام ١٩٧٩.

ملحق عراقيون يحتفي بالفنانة الراحلة زينب فنانة الشعب العراقي التي حملت همومه وناظلت في سبيل عراق حر وديمقراطي.

المحرر

على مقربة من قصر أوشي في لوزان
كان لي حوار مع عصمت شريف وانلي (*)

لوزان.. لمدينة التي يعيش فيهاعصمت شريف منذ ٦٢ عاما

في احدى أماسي يوم خريفي عام ١٩٦٥ وبينما كنت مع المرحوم والدي في طارمة دارنا بمدينة كويه المقابلة لجبل (كوسار) والذي سمي منذ مجيء الإسلام بـ(جبال هيبت سلطان) والتي شهدت معركة شرسة بعد استئناف القتال في حزيران عام ١٩٦٣ بين مقاتلي البيشمركه وبين ألوية مشاة ولواء مدرع من قوات الفرقة الثانية للجيش العراقي بقيادة أحد ضباط الجيش العراقي الكبار وهو (العميد الركن إبراهيم فيصل الأنصاري) انتهت بسيطرة القوات العسكرية على الجبل وفق السياقات العسكرية دون أن تتمكن الاستيلاء الفعلي عليه لأن مفارز مقاتلي البيشمركه كانوا يخترقون الربايا ومفاصل استحقاقات الجيش ليلا ويلحقون بهم خسائر مادية وبشرية ولكن الجبل بقى

(*) نشر في مجلة (K21) العدد ٩ في ٢٠١٠.

محتلا لحين تحريره نهائيا وإلى الأبد يوم ٩ آذار ١٩٩١ أي في اليوم الرابع للانتفاضة الجماهيرية العارمة التي طهرت أرض كوردستان من رجس أعتى نظام دكتاتوري.

كان الوالد معتادا البقاء في البيت عصريات وأماسي تلك الأيام وكان ينشغل بالاهتمام بحديقة المنزل الكبيرة حيث كنا نساعده رغم وجود المرحوم (عبدالصمد) الذي كان يتواجد في محل الوالد في فترات ما قبل الظهر كعامل مساعد لترتيب أمور المحل في الوقت الذي يحضر في فترات ما بعد الظهر لمساعدة الوالد في سقي وترتيب الحديقة المنزلية والتي كانت مساحتها تزيد على (١٠٠٠م٢). ومع بدء حلول الظلام وكما كان الوالد معتادا على الجلوس على كنبة عريضة ومريحة في إحدى زوايا الطارمة ناصبا (الناركيلة) وبجانبه جهاز راديو ترانسستور متوسط الحجم من نوع (ماسكوت الياباني) ليبدأ معه سماع (ملحمة الأخبار) حيث كانت إذاعات لندن وفرنساو إسرائيل مع إذاعة صوت الشعب العراقي التي كانت تبث من العاصمة البلغارية صوفيا وإذاعة كرماشان الكوردية هي الإذاعات المفضلة لديه لأنها كانت تبث أخبارا بهذا الشكل أو ذاك عن الثورة الكوردية في الوقت الذي لم تكن محطات الإذاعة في الدول العربية تقترب من ظل الأخبار التي كانت تخص الكورد والثورة في كوردستان..

في تلك الأمسية الخريفية من عام ١٩٦٥ أذاع راديو لندن خبرا في نشرته المسائية (الساعة السابعة مساء) حفظته نصا عن ظهر القلب منذ (٤٥) عاما: (رفض الملا مصطفى البارزاني زعيم المتمردين الأكراد الاستجابة لدعوة الحكومة العراقية بشأن وقف إطلاق النار ما لم تستجب لمطاليبهم بشأن الاعتراف بحقوقهم القومية، هذا ما جاء على لسان السيد عصمت شريف وانلي الممثل الشخصي لزعيم المتمردين الأكراد في مؤتمر صحفي عقده في العاصمة الفرنسية) وفي هذه الأثناء مد الوالد يده إلى مقبض صوت الراديو لكي يرفع من الصوت بغرض السماع بشكل أوضح سرنا كثيرا (الوالد وأنا) هذا الخبر لأن بث ونشر مثل هذه الأخبار في تلك الأيام كان شحيحا للغاية في الوقت الذي كان فيه ممارسة التعامل بشكل غير حضاري مع إنسان ذي جلد أسود تملأ صدارة نشرات الأخبار ناهيك عن نشاطات الممثلة الفرنسية (برجيت

باردو)كمدافعة عن حقوق الحيوان لتصبح الموضوع الرئيسي لأغلفة مجلات وصحف أميركية وأوروبية.

سألني الوالد بعد الانتهاء من الخبر العزيز للثورة الكوردية عن شخصية عصمت شريف وانلي فذكرت له وفق المعلومات المتواضعة التي كانت لدي في ذلك الوقت بأنه كما سمعت من دارا توفيق عندما التقينا في شتاء عام ١٩٦٣ في قرية عيساوي التابعة لقضاء (ماوت) حيث جمعتنا ثورة أيلول الكبرى مع الألوف المؤلفة من مقاتلين وطلاب ومثقفين وسياسيين في إطار الثورة التي كانت تنادي في ذلك الوقت بـ(الديمقراطية للعراق والحكم الذاتي لكوردستان) وتحت شعار "كوردستان أو الموت" فقلت للوالد حسبما عرفت من دارا توفيق بأن عصمت شريف كوردي من سوريا وهو رئيس جمعية الطلبة الأكراد في أوروبا في الوقت الذي كان دارا سكرتيرا للجمعية المذكورة.

عاش معي أسم عصمت شريف لسنوات طويلة أي أربعة عقود ونصف عقد، حيث تكررت تصريحاته ومقابلاته الصحفية وذاع صيته، كانت الأنظار متجهة إليه كسفير لشعبه وثورته ولقائد هذه الثورة وممثلا له مع د. كامران بدرخان ولمجلس قيادة الثورة في كوردستان التي استمرت بهذا الشكل أو ذاك إلى يوم عقد الاتفاقية المشؤومة الخيانية (اتفاقية الجزائر) والتي أبرمت بين عدوين لدودين إيران محمد رضا بهلوي وعراق حزب البعثيين اللذين توارثا العداء التقليدي قبل هذا التاريخ بعقود طويلة ولكنهما توصلا إلى اتفاق يجمعهما في عداء الكورد فقط لا لسبب غير حرمان الكورد من حقوقهم المشروعة حيث تنازل العراق عن إعطاء نصف شط العرب وأراضي برية وتنازلات أخرى مشينة مقابل خنق الثورة في جبال كوردستان وفي المقابل خان شاه إيران وعوده وشرفه بمباركة أميركية في عهد وزير خارجيتها هنري كيسنجر والذي وصف سياسة بلاده وسياسته هو (بالأخلاقية تجاه الكورد المثبتة في (لجنة بايك) والتي شكلت بقرار الكونغرس الأميركي وقتذاك)....

وبعد هذا التاريخ أي بعد عام ١٩٧٥ كانت الأخبار تتواتر عن أدوار كان يقوم بها (وانلي) مع هذا الطرف أو ذاك حيث تعرض إلى تفاسير وروايات مختلفة لم تكن كلها في صالحه.

ربما أتعرض إلى اللوم وقد لامني بعض من السياسيين الأصدقاء على تقييمي لشخصيتين كورديتين في خارج جنوب كوردستان والشخصيتان هما (عبدالله اسحاقي المعروف بأحمد توفيق الذي لعب أدوارا مهمة في نضالات الحزب الديمقراطي الكوردستاني – إيران وكان يوما سكرتيرا لهذا الحزب وكذلك دوره في مساندة الثورة الكوردية تحت لواء مصطفى البارزاني ستينات القرن الماضي وإلى حين اختفائه بشكل تراجيدي من قبل (آكلي لحوم البشر) (ناظم كزاز وصدام حسين) نتيجة وقوعه في دوامة سوء التقدير التي أدت إلى القضاء على حياة وأدوار عشرات من القادة السياسين الكورد قبل وبعد أحمد توفيق. والشخصية الثانية (عصمت شريف وانلي) الذي لخص كل ما قام به من أدوار منذ نعومة أظفاره إلى يومنا هذا باختلاف الأدوار والأزمنة بقوله (لم تخب في ذاكرتي ووجداني وعقلي وقلبي وعملي لحظة واحدة، أمنية استقلال كوردستان وانتصار الكورد على أعداءهم وغاصبي وطنهم).

وكانت هذه الجملة الأخيرة مدخلا لحوار امتد من الساعة الرابعة إلى السادسة والنصف مساء يوم ٢٠١٠/٧/٩ في الطابق السابع من العمارة التي كانت فيها شقته في مدينة (لوزان) السويسرية.

في ثاني يوم من زيارتي إلى سويسرا بدعوة شخصية من وزير الثقافة في كانتون (إقليم جنيف) باتريس موغني كبادرة صداقة بعد الزيارة التي قام بها إلى كوردستان في صيف عام ٢٠٠٨ سألت الزميل والصديق العزيز جودت صوفي الذي كان بمثابة الدليل الذي تحملني كثيرا والمترجم الدائمي لي في تلك الزيارة سألته عن رغبة قديمة وحديثة ملحة وهي محاولة إيجاد طريقة لزيارة كاك عصمت شريف الذي اختفى عن الأنظار بعد حياة حافلة في عالم السياسة والقضية الكوردية ورجوت جودت بمساعدتي في تحقيق تلك الأمنية وفي الحال مد يده إلى جهاز (الموبايل) الخاص به الموضوع على منضدة الطعام في صالون شقته في احد أحياء جنيف الجميلة وأدار الأرقام وأتى الجواب من الطرف الآخر من زوجة عصمت شريف التي قالت كلاما باللغة الفرنسية وبصوت ناعم أثار حزنا وزاد من شوقي للقاء حيث قالت (عصمت مريض صحته ليست على ما يرام ليس باستطاعته استقبال أحد، حاول أن تتصل بنا ثانية

بعد اسبوع أو أكثر، (من الراغب في زيارة ولقاء عصمت) فذكر لها جودت اسمي كصديق دائم لهم وأني القادم من كوردستان العزيزة على قلب عصمت.

بعد مرور عدة أيام اخرى اتصل جودت ثانية برقم الموبايل الموجود لديه والذي كان يخص عصمت شريف وعندما قال الصوت الآتي من لوزان (هلاو) فتح جودت سماعة الموبايل ليتسنى لي سماع الصوت وعبره الحوار حيث نقل له الزميل جودت رغبتي بزيارته بعد أن ذكره باسمي عندئذ قال له كاكه عصمت بصوت خفيف ونبرات حزينة وبكلمات كوردية دارجة (كَةلةك بةخيربين) أي (مرحبا بزيارتكم) وحدد لنا الساعة الرابعة مساء يوم الجمعة المصادف لـ٢٠١٠/٧/٩.

في الثانية والنصف من بعد ظهر يوم الجمعة استقلينا جودت وأنا سيارة جودت باتجاه مدينة لوزان والتي تبعد حوالي ساعة واحدة عن جنيف وهي مدينة تقع في الجزء الغربي من سويسرا وتقع على الساحل الشمالي من بحيرة ليمان الرائعة وفي الطريق عبرت ذاكرتي المراحل والحوادث التي مرت بي في بدايات شبابي أي في بداية ستينات القرن الماضي عند دخولي عالم السياسة والحياة الحزبية ولي من العمر (١٤) عاما عندما تناهى إلى إسماعنا اسم (عصمت شريف وانلي) كرئيس جمعية الطلبة الأكراد في أوروبا وحضوره إلى بغداد في ١٩٦٠/٨/١٧ إلى بغداد على رأس وفد من جمعية الطلبة الكورد في أوروبا للمشاركة في المؤتمر العام لإتحاد الطلبة العالمي ذات الطابع اليساري حيث لم يفلحوا في الانضمام للاتحاد المذكور ومراحل تمثيله للثورة الكوردية ١٩٦١-١٩٧٥ وقائدها مصطفى البارزاني وزيارته إلى بغداد بعد النكسة التي ألمت بثورة أيلول جراء المعاهدة الخيانية في ١٩٧٥/٣/٦ ومن ثم محاولة اغتياله في شقته في مدينة لوزان ومناصرته للقضية الكوردية بلا استثناء في أي بقعة تطلبت نشاطاته إلى مرحلة دخوله في عالم النسيان من لدن الكورد كافة.

في الرابعة تماما كنا ندق جرس شقته وإذا بامرأة في منتصف العقد السابع بثوبها ذي اللون الأخضر الفاتح المبقع بدوائر بيضاء صغيرة وشعر أبيض مصنف على بشرة بيضاء تفتح لنا الباب بعد أول دقة من الجرس، وقالت لنا بصوت ناعم وباللغة الفرنسية (مرحبا بكم تفضلوا، عصمت بالانتظار وفي نفس اللحظة نادت بصوت أعلى من السابق عصمت، عصمت الضيوف اتوا) ودخلنا وعند عتبة باب المدخل استقبلنا

كاكه عصمت بصوت ناعم وبكلمات كوردية (تفضلوا على العين وعلى الراس مرحبا بإخوتي الكورد يا أهلا وسهلا) واندهشت لرؤيته حيث كان يلبس بنطلونا بلون خاكي مع قميص أزرق فاتح وشعر أبيض خفيف مسدل على جانبي الوجه ولم يبقي أي أثر للشعر في مقدمة ووسط رأسه حيث أصابه الصلع وفقد الكثير من وزنه، قدرت أنه لا يتجاوز الـ(٤٥) كيلوغراما مددت له يدي وعرفته بنفسي وزاد الزميل جودت من تعريفي وكذلك شوقي واشتياقي واصراري منذ وصولي إلى جنيف للقاء به وقبل أن نركن إلى الجلوس على إحدى القنفات قدمت له هديتي مقدما في البداية بخلاف العادة وقفت قبالته وقلت له نصا:

أستاذ عصمت (أنا الآتي من كوردستان وكلي شوق لزيارتك وأحمل معي هديتين إحداهما متواضعة عبارة عن علبة ذات الكيلوين من حلويات (من السما) الطبيعية والمرتبة في معامل توفيق حلواجي في مدينة الشيخ محمود الحفيد (السليمانية) والثانية صغيرة بحجمها ولكنها كبيرة في معانيها ودلالاتها وهي عزيزة على قلب وعقل الكورد جميعا وهي (علم كوردستان) المصنوع من مادة معدنية بألوانها. وفي الحال وعندما اخذ مني العلم رفعه بهدوء إلى فمه وقبله لبرهة ليست بالقصيرة من الوقت وانحدرت قطرة دمع من عينيه في الوقت الذي أخذت زوجته (كارمن) علبة الحلويات الآتية من كوردستان من يدي وباقة ورد جميلة وعلبة من (الشكولاته) من يد الزميل جودت صوفي.

في بداية الأمر جلسنا على (كنبات) في احد أركان صالون شقته الصغيرة المرتبة والأنيقة بالألوان والديكورات البسيطة حيث كانت الصور واللوحات تغطي جدران الصالون صور والده بزي عسكري وصور تجمعه مع الزعيم الخالد مصطفى البارزاني في جبال كوردستان وصور أخرى يصافح فيها الزعيم العراقي الراحل عبدالكريم قاسم أبان وجوده في بغداد للحضور في مؤتمر اتحاد الطلاب العالمي المنعقد في بغداد عام ١٩٦٠ وصورة أخرى بالملابس القومية وهو على ظهر جواد في منطقة الحاج عمران، وصور أخرى للمناسبات العائلية وكانت عيناي موزعة بين النظر في وجه عصمت وبين زوجته كارمن التي انشغلت بإعداد فناجين من القهوة ولكن تفكيري كان عند الرجل الذي كان يوما الناطق الرسمي للثورة وممثل البارزاني الراحل قائد ثورة أيلول.

في البداية بادر هو بالسؤال عن الأوضاع في كوردستان وكيفية جريان الأمور فيها والمخاطر التي تعترض مسيرتها وسألني بالتحديد بين ثنايا كلامه (هل أنت متفائل) وعندما انتهى من إلقاء استفساراته تارة بالكوردية وتارة بالعربية قلت له (أستاذي العزيز في أحلك الأيام السوداء في السنوات العجاف التي مرت على كوردستان لم تفارقني التفاؤل لحظة واحدة وقد كنت مؤمنا بزوال الظلم يوما وانتصار إرادة شعب كوردستان في النهاية وهذا ما تحقق بفضل الله وتضحيات شعبنا الجسام، والآن نحن نتقدم بخطوات جدية نحو الأمام وسط بحيرة الرمال المتحركة والعراقيل التي توضع أمامنا ضمن (الحرب الناعمة) من قبل الأعداء التقليديين في داخل العراق، وخارجه وذكرته بالبيت الأول لقصيدة الشاعر التونسي أبو قاسم الشابي" إذا الشعب يوما أراد الحياة فلابد أن يستجيب القدر.." وبوصول كلماتي إلى هذه النقطة ظهرت على محياه ملامح الانفراج مصحوبة بابتسامة خفيفة وأيقنت بأن الحاجز قد انكسر وأصبح أكثر توددا وعندما اقتربت زوجته (كارمن) وهي حاملة صينية القهوة حاول كاكه عصمت مساعدتها في وضع الفناجين أمامنا ولكن سبقته في الحركة وأخذت الصينية وقمت بالواجب وأثناء شربنا القهوة قلت له (كما أوضح لك الزميل جودت في التلفون قبل أيام بأنني صحفي والصحفي طماع بطبعه للاطلاع على سيرة (الفرسان) في أيام العز لهم وبالإضافة إلى هذه الصفة كصحفي فأنا عاشق لسماع (سفر) حياة المناضلين والشخصيات الوطنية الذين لعبوا يوما أدوارا مشهودة في مراحل من حياتهم ولي ما يقارب خمسة وعشرون لقاءا صحفيا وقد نشرتهم باللغة العربية تحت عنوان (من الذاكرة) وقد حالفني الحظ بالمجيء إلى بلاد سويسرا واللقاء بكم في لوزان ويسعدني أن تسرد لي محطات في حياتكم....

بداية وبصوت ناعم تحدث عصمت شريف عن مراحل حياته حيث قال: ولدت في الشام (دمشق) عام ١٩٢٤ من أبوين كورديين وكنا نعيش في أحد أحياء دمشق القديمة (حي الأكراد) والذي يسمى في الوقت الحاضر بـ(حي ركن الدين) وكما يقال فأن تبديل اسمه من حي الأكراد إلى ركن الدين تيمنا بأحد وزراء السلطان الناصر صلاح الدين ونشأت في هذا الحي وتشربت بتقاليده وعاداته وأصالته وشربت من مائه (ويقول المستشرق النمساوي الفريد كريمر في دراسة أعدها عام ١٩١٧ أن هذا الاسم أي (حي

الأكراد) قد أطلق على المساحة الممتدة بين جبل قاسيون المطلة على العاصمة دمشق شمالا وتحيط به نهر (يزيد) جنوبا أما الجهة الشرقية منها فإنها تبدأ من سهل برزه والقابون وينتهي في منطقة (أبي حرش) غربا وقد عايش أهلنا أثناء العدوان الفرنسي في عشرينات القرن الماضي على دمشق بقصفها وإحراق أحياءها في حي الميدان والشاغور والبساتين المحيطة بها مما دفع بأهالي تلك المناطق المنكوبة أن يهجروا بيوتهم وبساتينهم واللجوء إلى حي الأكراد حيث استضافهم بيوتات الحي وشاطروهم الأمان ولقمة العيش.

في حي الأكراد بدأت أول مشوار التعليم في مدارسها في مراحلها الأولى (الدراسة الابتدائية) أما في المرحلتين الأخريين المتوسطة والإعدادية فكان من نصيبي (المعهد العربي – الفرنسي (لايبك) بعد مروري في الجامعة الأميركية – اليسوعية حيث تخرجت فيها بتفوق ظاهر وفي هذه المرحلة وبالرغم من انشغالي واجتهادي بالدراسة (ولكنه لم ينجح في الجامعة الأميركية بل نجح في الجامعة اليسوعية – الفرنسية بقسم العلوم السياسية) وحصولي في سوريا على البكلوريا (الرياضيات) حيث أراد أهلي أن أكون مهندسا للسدود والطرقات.

انتميت وشاركت في الفعاليات الثقافية والرياضية لأندية (كوردستان وصلاح الدين الأيوبي) حيث ساهمت في هذه الفعاليات والأنشطة الثقافية في هذين الناديين والتعرف على الشخصيات الوطنية من أصحاب الحس القومي الكوردي كـ(قدري جميل باشا، شوكت زولفو، جلادت بدخان، عثمان صبري، نوري درسيمي وكامران بدرخان) كانت مرحلة فاصلة في حياتي فبالرغم من نشأتي وترعرعي بين أحضان وفي كنف أبوين كورديين متشربين بالأفكار القومية الكوردية اللذين وضعا اللبنات الأولى من الأفكار الوطنية الكوردية في وجداني وشعوري حيث كان والدي ضابطا في الجيش السوري وله اهتمامات سياسية وقومية وقد غرس في قلبي بذور حب الكورد وكوردستان ولكن اثر المناضلين والشخصيات المار ذكرهم ساهم بشكل كبير ومنظم في بلورة المفاهيم القومية والمعاني الرائدة لكوردستان وشعبها وتعلمت منهم الكثير ولن أنسى فضلهم رحمهم الله جميعا.

كان (د. كامران بدرخان) الأقرب إلي حيث كان ذا حس وطني مرهف وفكر ثاقب وذات يوم بعد توجهنا إلى باريس للدراسة عام ١٩٤٧ كنا نسير على ضفاف نهر السين وكان يدردش بأبيات من قصائد للشاعر الكوردي الكبير أحمد الخاني (وهنا حاول عصمت شريف استذكار) تلك الأبيات ولكن ذاكرته لم تسعفه وسكت برهة وذهب بعيدا وربما إلى تلك الأيام في بدايات مشواره الطويل مع (الكوردايتي). وقال لي (د. كامران) لماذا لا تكون لنا دولة يا عصمت فنحن كسائر الشعوب والقوميات الأخرى لنا تاريخ وجغرافيا وشعور قومي مشترك وإرادة لا تلين ولكننا محرومون من وجود دولة وهذا ما يفرض علينا الكفاح من أجل كوردستان وشعبها وهي مهمة تقع على أكتاف المثقفين وخاصة المتواجدين في بلدان أوروبا للتعريف بقضية شعبنا) وهكذا استمر هو (أي د. كامران) رحمه الله إلى آخر يوم في حياته في الكفاح الشاق والطويل في سبيل وطنه وكان له دور كبير وأصبح أسمه يردد على كل لسان سواء في أوروبا أو لدى أبناء شعبه من كوردستان مات وأمنية استقلال كوردستان لم تفارق تفكيره).

زوجته كارمن كانت تراقبنا وهي جالسة على أحد كراسي منضدة الطعام قبالتنا وكانت بين الحين والآخر تحاول إسعاف عصمت ببعض الملاحظات باللغة الفرنسية حيث كانت تساعده في تذكر بعض الحوادث وعندما شعرت بأن زوجها أصابه الحزن نتيجة استذكار الأيام الخوالي قامت من مقعدها وصبت لنا أربعة أكواب من الشاي المكيس وطلبت منا الانتقال إلى الجلوس على منضدة الطعام في وسط الصالون وقدمت لنا قطع من (الجاتو الملبس بالشوكولاتة) (قطع من الكيك المغطاة بحلاوة من الكريم الملون) وعندما وضعتها أمامنا قالت لعصمت (ربما تساعدك الحلاوة في التذكير) وفي بداية الأمر حاولتُ شرب الشاي المر لوحده دون أن أمد يدي إلى قطع الكيك نظرا لإصابتي (بمرض السكري) من باب المحافظة في الوقت الذي قدم كاكه عصمت بيده قطعة كبيرة لي وحينئذ قلت له (شكرا جزيلا فأنا عندي مرض السكري وأتجنب أكل الحلويات) ولكنه أصر (أي عصمت) على الأكل حيث قال لي (يا كاكه فأنا كذلك عندي نفس المرض وعلينا الامتناع عن أكل الحلويات ولكن اليوم نعتبره استثناء فلن نصادف يوما آخر تجمعنا مائدة واحدة نجلس قبالة الآخر وندردش،

فسرد الذكريات ربما تجنبنا المضاعفات وخاصة عندما نتكلم عن همومنا وذكرياتنا).

وبعد الانتهاء من شرب الشاي وأكل قطعة الجاتو لاحظت بعض الشرود على محياه ولم أحاول في البداية جره ثانية إلى الحديث ومضت عدة دقائق ونبهته (كارمن) إلى سكوته عندئذ قال لي إلى أين وصلنا فعندما ذكرته بمشوارهم مع د. كامران بدرخان على ضفاف نهر السين نظر إلي مليا وقال لم أمكث كثيرا في باريس بعدما تعاهدنا مع د. بدرخان الاستمرار في الكفاح معا ومع أبناء أمتي من أرض كوردستان الكبرى من أجل غد أفضل لشعبنا وتوجهت أنا إلى سويسرا وبالتحديد إلى مدينة لوزان وبقي الدكتور كامران في باريس. في عام ١٩٤٨ وصلت أنا إلى لوزان المدينة التي كانت وما تزال رمزا للتعايش والتسامح والتسامي في كل شيء حيث الطبيعة الخلابة وأهم شيء فيها هو التعايش السياسي والوجداني والعقلاني بين الحضارات الثلاث الفرنسية والألمانية والإيطالية انبهرت بحضاراتهم ومؤازرتهم للغرباء حيث فتحت أبواب الجامعات لنا واستطعت الحصول على شهادة الدكتوراه في القانون عن اطروحتي المعنونة (حول الاستراتيجية السياسية والعسكرية للحركة الوطنية الكوردية – نظرة إلى الماضي والحاضر وأخرى إلى المستقبل). وعند استفساري له حول حصولي على نسخة من اطروحته فقال لي (لم يبق شيء لي هنا إلا وريقات قليلة وأوراق من مذكراتي وبعض الكتب لأني أهديتها كلها إلى مكتبة لوزان (وهنا قام من مكانه وطلب مني كذلك حيث أمسك بيدي اليسرى وسار بي إلى (الفترينة الخشبية) أي الخزان الخشبي حيث أشار بيده إلى (لوحة مكتوبة داخل إطار خشبي أسود موضوعة في الرفوف الوسطية داخل الفترينة وقال لي هذه اللوحة المكتوبة بالفرنسية عبارة عن (العقد الموقع) بيني وبين أمين مكتبة لوزان حيث أهديت المكتبة المذكورة كل ما كنت أملكه من كتب وأوراق والرسائل التي استلمتها من الشخصيات الكوردية وغير الكوردية ونسخ من المذكرات التي قدمتها إلى الهيئات العالمية ومنظمات حقوق الإنسان والأوساط السياسية والحاكمة في أوروبا وأميركا في أوقات ومناسبات مختلفة (بشروط مكتوبة في العقد) وهنا لم أستطع كتمان شعوري بأننا فقدنا كنز آخر من الكنوز التي راحت ضحية الحرق الإجباري والاستيلاء عليها من قبل جلاوزة النظم

الدكتاتورية التي ألحقت بها الأجزاء الأربعة من كوردستان (العراق، سوريا، تركيا، وإيران) ولم أكتم حزني حيث قلت له بشيء من التعجب، لماذا لم تهدي يا كاكه عصمت مكتبتك إلى مكتبة (أكاديمية كوردستان) في العاصمة أربيل ولماذا حرمت أبناء أمتك من هذا الكنز الذي يحوي كتابا وأوراق ثمينة، والتي لم ولن تقدر بثمن؟! لماذا.. ولماذا؟! حينئذ نظر إلي باستحياء وقبل أن يتكلم انبرى زميلي جودت صوفي وقال موجها كلامه لنا (اسمحوا لي بأن أدلي بشهادتي في هذا الموضوع، قبل ثلاث سنوات تكلمت مع كاكه عصمت (حيث جمعتنا يوما زمالتنا وعملنا في منظمة (K.R.O) أي بعد عام ١٩٩١ حيث كنا نعمل باستمرار من أجل مساعدة شعبنا في كوردستان الجنوبية) حول هذا الموضوع أي إهداء مكتبته إلى أحد المراكز الثقافية في كوردستان ومنها أكاديمية كوردستان وعندما زرت كوردستان لزيارة الأهل والأصدقاء تكلمت مع (د. شفيق قزاز) رئيس أكاديمية كوردستان ورحب كثيرا بالفكرة وأبلغني (أي د. شفيق) بأنهم يتحملون كافة مصاريف النقل من لوزان إلى أربيل مع تخصيص مكان خاص في مكتبة الأكاديمية لمكتبة كاك عصمت ولكن بعد عودتي (أي جودت) إلى سويسرا عرفنا بعد مدة من الزمن بأن أحدهم من أصدقائه الكورد أقنعه بعدم إهداء مكتبته وإرسالها إلى كوردستان بل الاحتفاظ بها عن طريق إهدائها إلى مكتبة لوزان بحجة أن الأوضاع السياسية غير مستقرة وربما تتعرض المكتبة للسرقة والضياع) عندئذ بادرته بسؤال يحمل معه عتابا فقلت له (كرست حياتك في سبيل أمتك وفي النهاية حرمت أبناءها من الاستفادة منها لماذا يا كاكه عصمت؟! وكان جوابه غير المقنع نصا (في حينه سمعت كلام (ا ، ب) حول الأوضاع هناك (أي كوردستان) وصار اللي صار).

عدنا ثانية إلى البدايات فبعد وصوله إلى سويسرا في ١٩٤٨/١١/٢٩ عمل وجاهد في محورين أساسيين أولهما مواصلة الدراسة ونيل شهادة عليا لخدمة قضية شعبه وثانيهما الاستمرار في العمل النضالي السياسي الذي تعاهد مع صاحبه كامران بدرخان في فرنسا وقبله زملاءهم في سوريا والانخراط في صفوف أي عمل يخدم قضية شعبه وهكذا التقى مع أحد أبناء جلدته الآتي من مدينة دياربكر في الجزء الشمالي من كوردستان (كوردستان تركيا) بعد انتقالهم إلى سوريا وإلى مدينة حلب أولا حيث كان

الفرنسيون هم حكام سوريا الفعليين في ذلك الزمن وهكذا التقيت مع الأخ والصديق الصدوق (نورالدين زازا) والذي انتقل إلى جوار ربه في ١٩٨٨/١١/٧ في مدينة لوزان حيث كان له الباع الطويل والدور الأساس في تأسيس (رابطة الطلبة الكورد في أوروبا) في شهر كانون الثاني عام ١٩٤٩ حيث كنا في البداية عدد من الطلبة الكورد ولم نكن نتجاوز الـ(٦) طلابا ولكن إيماننا بعدالة قضية شعبنا جعلنا نؤسس هذه الرابطة ودعوة كل طلبة الكورد في أوروبا للانخراط في هذه الجمعية وتم اختيار (نورالدين زازا) رئيسا لهذه الرابطة وحمل على عاتقه وبمساهمتنا نشر مطبوع شهري على شكل مجلة باللغات الكوردية، الفرنسية والإنكليزية باسم صوت كوردستان (دةنكي كوردستان) ولسوء الحظ ومن المفارقات العجيبة والغريبة لم يسمح لنا بطبع المطبوع في سويسرا مما اضطرنا لإرساله إلى باريس حيث كان (كامران بدرخان) الذي حمل على عاتقه طبع المطبوع على جهاز (الرونيو). وهنا وقبل الاسترسال في حديثه سألته عن العلاقة بين رابطة الطلبة الكورد في أوروبا والتي شكلت من قبلهم عام ١٩٤٩ وبين جمعية الطلبة الكورد في أوروبا؟ بعد برهة قصيرة من التفكير أجابني عصمت بقوله (رابطتنا كانت المحطة الأولى وفي سويسرا بالذات ولكننا لم نتوقف عن العمل من أجل توسيع نشاطات الرابطة ولكن وبعد مرور سبع سنوات على تأسيسنا للرابطة وازدياد عدد الطلبة الكورد في أوروبا أصبحت الحاجة إلى تأسيس منظمة أكبر وأوسع لجميع الطلبة الكورد في أوروبا وهذا ما حصل حيث ساهمنا نورالدين زازا وأنا (أي عصمت شريف) من سويسرا مع زملائنا الآخرين في بلدان أوروبا (دارا توفيق، سعدي حمد أمين دزيي، تحسين هوراماني، ظاهر حسين، نهاد ماجد مصطفى) في عقد اجتماع في مدينة (فيزبادن) الألمانية حيث اتفق الجميع على (إعلان تأسيس جمعية الطلبة الكورد في أوروبا) وهذا ما تم الاتفاق عليه يوم ١٩٥٦/٨/١٠ والتي أصبحت ذات يوم سفيرة الكورد والكوردستان في أوروبا، وهكذا وقد كنت مأخوذا بكل ما هو كوردي وكوردستاني. هنا طلب كاكه عصمت من زوجته كارمن كأسا من الماء البارد وأخذ يشكو من حرارة الجو حيث وصلت درجة الحرارة في هذه الأيام في سويسرا إلى ٣٢ درجة مئوية كحالة غير طبيعية مقرونة بالرطوبة الزائدة وقد كنت أنا كذلك متضايق

حيث لا توجد أجهزة التبريد باستثناءات قليلة من وجود المراوح في بعض الأماكن وبعض من الشقق.

طالت أسئلتي وقد كنت على عجلة من أمري لئلا تفوتني هذه الفرصة النادرة ربما لن تتكرر ثانية! بعد شرب الماء قام من مكانه وأخذ بيدي إلى غرفة صغيرة وكانت بمثابة مكتبة حيث كان عدد من الكتب لا تتعدى العشرين وعلى منضدة الكتابة كانت هنالك أوراق مكتوبة بالفرنسية والعربية ومن ضمنها أوراق مذكرات ومن بين ثنايا الكتب لمحت صورة تجمعه مع بعض من الشخصيات الكوردية وأشار إلى صورة أحدهم وقال (لن أنسى فضل هذا الإنسان الكبير علي وهو (قدري جميل باشا) الذي سافر بألف مشقة إلى مهاباد عام ١٩٤٦ عندما كانت عاصمة جمهورية كوردستان برئاسة الخالد (قاضي محمد) وهناك التقى بالمناضل مصطفى البارزاني وعند عودته حدثنا كثيرا عن الجمهورية وعن شخصية القاضي والملا مصطفى البارزاني الذي أصبح أسطورة وقد كنت مأخوذا بشخصية البارزاني وخاصة بعد مسيرته الشاقة والخطرة مع مقاتليه الشجعان البالغ عددهم (٥٠٠) مقاتل إلى أراضي الاتحاد السوفياتي وقد كنت أفكر به وبمصير رجاله ومن خلالهم بمصير الكورد والقضية الكوردية وقد كنت أحلم برؤيته يوما... والآن أحدثك عن أول لقاء حدث بيننا). بعد خروجنا من غرفة المكتبة كنت أمشي وراءه وثانية أخذنا مكاننا السابق في صالون شقته وفي الحال حضرت (كارمن) لنا أربعة فناجين قهوة اخرى.

بعد ثورة ١٤ تموز عام ١٩٥٨ تغيرت الأحوال والظروف السياسية في العراق (هكذا بدأ عصمت بالكلام دون التذكير بالموضوع من قبلي هذه المرة) وأصبحت المادة الثالثة من الدستور العراقي المؤقت اللبنة الأساسية الأولى بشراكة الكورد والعرب كوثيقة قانونية من قبل رئيس الوزراء الجديد عبدالكريم قاسم وعلى أثره أرسلنا برقية تأييد ومساندة باسم جمعية الطلبة الكورد في أوروبا إلى الزعيم عبدالكريم قاسم ورجع المقاتلون بقيادة البارزاني إلى العراق وقد كنت تواقا لرؤيته ورؤية قادة الحزب الديمقراطي الكوردستاني ولكن بسبب ظروف خاصة وخارج عن الإرادة لم تحصل الفرصة بزيارة العراق إلى عام ١٩٦٠ للحضور والمشاركة في المؤتمر السادس (لاتحاد الطلاب العالمي) الذي انعقد في بغداد في الفترة الواقعة في صيف ١٩٦٠ وقد وصلنا

بغداد قبل أيام من انعقاد المؤتمر مع زميلي وصديقي (د.كمال فؤاد) الذي أصبح فيما بعد رئيسا لجمعية الطلبة الكورد في أوروبا والتقينا في بغداد بالوجوه البارزة لطلبة كوردستان واتحادهم اتحاد طلبة كوردستان، وكان لهم وضع خاص مع اتحاد الطلبة العام في الجمهورية العراقية (المرتبط مع الحزب الشيوعي العراقي والتقينا كذلك بقادة الحزب الديمقراطي الكوردستاني بمقرهم في محلة البتاوين في بغداد ولم التق في البداية بالسيد مصطفى البارزاني رئيس الحزب لأنه كان خارج بغداد وعرفت بأنه سيعود إلى بغداد خلال أيام قلائل.

انشغلنا د. كمال وأنا والزملاء من اتحاد طلبة كوردسان بوقائع المؤتمر السادس لاتحاد الطلاب العالمي الذي انعقد في مبنى سينما (الخيام) في بغداد والذي كان يترأسه (أي رئاسة اتحاد الطلاب العالمي) (جيري بليكان) من جيكوسلوفاكيا والقيت كلمة في المؤتمر وركزت على عدة نقاط منها تأييدنا للجمهورية العراقية ومفجر ثورة ١٤ عام ١٩٥٨ كونها ارست العلاقة المصيرية بين العرب والكورد وشراكتهم في الوطن العراقي وكذلك السماح للمقاتلين البارزانيين ورئيسهم مصطفى البارزاني بالعودة إلى العراق منتصرا ومرفوع الرأس وإعادة الاعتبار للضباط الكورد الأربعة (خيرالله عبدالكريم، مصطفى خوشناو، عزت عبدالعزيز ومحمد القدسي) الذين أعدمهم النظام الملكي في ١٩٤٧/٦/١٩ وطالبنا المؤتمر السادس بقبول جمعية الطلبة الكورد في أوروبا عضوا عاملا في اتحاد الطلاب العالمي وقد كنت ملتقيا قبل انعقاد المؤتمر بـ(جيري بليكان) في فرنسا ببضعة شهور حيث أبدى مرونة كبيرة حول قبول جمعيتنا في الاتحاد العالمي ولكن تلك المسألة أخذت بعدا آخر عند انعقاد المؤتمر في بغداد وقد لعب قادة اتحاد الطلبة العام في الجمهورية العراقية وفي مقدمتهم (مهدي الحافظ) الذي كان رئيسا للاتحاد المذكور دورا انتهازيا وعدائيا تجاهنا وحاولوا قدر المستطاع عرقلة قبولنا وقد تم لهم ما أرادوا لأن غالبية أعضاء المؤتمر كانوا أعضاء في الاتحادات الطلابية المحسوبة على الأحزاب الشيوعية واليسار عموما (وهنا وفي باب التذكير قلت لعصمت شريف بأني رأيت بأم عيني شعارا مكتوبا على إحدى جدران بناية في مدينة السليمانية في سبعينات القرن الماضي يندد بالموقف العدائي لمهدي حافظ تجاه عدم

قبول جميعة الطلبة الأكراد في اتحاد الطلاب العالمي) وعندما سمع عصمت شريف ذلك ضحك بملء فمه وكرر لي (هل صحيح.. هل صحيح).

(في ظهيرة أحد الأيام (والكلام لعصمت) وبعد اختتام المؤتمر التقيت لأول مرة بالزعيم والرئيس مصطفى البارزاني في دار كان يقيم فيه بمدينة بغداد مع عدد من الزملاء في الجمعية وقادة طلبة كوردستان وكان البارزاني بانتظارنا وفي اللحظات الأولى عند رؤيتي له سرت في جسمي قشعريرة وشعرت بأنني أمام رجل كبير ثائر، كاريزمي ذو شخصية مهابة وأمسك بيدي ورحب بنا كثيرا وأثنى على نشاطات الجمعية وعلي بالذات وكان حديثه من القلب ولم يكن مرتاحا بصورة عامة من الوضع السياسي ولم يخف مشاعره ولكن ومع هذا أكد على الحفاظ وصيانة الجمهورية العراقية وتأييد زعيمها عبدالكريم قاسم وعندما تكلمنا عن وقائع المؤتمر وعدم نجاحنا في قبول عضوية جمعيتنا في الاتحاد العالمي للطلاب والملابسات التي حدثت أثناء المؤتمر قال البارزاني معلقا (وماذا عن حق الشعوب في تقرير مصيرها؟! لا تيأسوا استمروا في عملكم إلى أن يتم قبولكم يوما وإن العدالة ستأخذ مجراها حتما ولكن والأهم من ذلك لا تنسوا قضية شعبكم نحن بحاجة الى جهودكم وعملكم الوطني وحافظوا على وحدتكم وتجنبوا الخلافات ودسائس الأعداء) وهكذا تحقق حلمنا بعد استمرارنا في عملنا حيث حصلت جمعية الطلبة الكورد من أوروبا على عضوية اتحاد الطلاب العالمي في شهر كانون الأول من عام ١٩٦٤.

وشاء القدر (والكلام لعصمت) أن التقي مرة اخرى بسيادة البارزاني ثانية في جبال كوردستان حيث كان يقود الثورة التي اندلعت في الحادي عشر من شهر أيلول عام ١٩٦١ وكان اللقاء رومانسيا بمعنى الكلمة يجسد بشكل اسطوري كفاح شعبه مقاتلا ومسلحا ببندقية برنو وخنجره الذين لم يفارقاه طوال أربعة عشر عاما ولحظة اللقاء كان في بيت طيني في قرية قريبة من بلدة رانية، وجاءت زيارتنا اثر قرار من المؤتمر التاسع لجمعية لطلبة الأكراد في أوروبا الذي انعقد في مدينة (هانوفر) في ألمانيا في الفترة الواقعة من ٣-٦/١٩٦٤ بإرسال وفد متكون من (د. كمال فؤاد ومني) لزيارة كوردستان عن طريق طهران بغرض اللقاء بقادة الثورة وتقيم الخلاف الناشئ في قمة قيادة الثورة والحزب ومحاولة رأب الصدع وعدم السماح بتوسيع رقعة الخلاف بين

الأشقاء ورفاق الدرب والمصير الواحد ولكن وبالرغم من محاولاتنا الجادة هنا وهناك لم تفلح مساعينا وحصل الذي كنا نخاف منه وهذا ما قد حصل وإنها كانت غلطة ويالهذه الغلطة الكبرى (وهنا قطع كاكه عصمت استرساله في الكلام وبشيء من الجدية سألني ما هو الوضع السياسي وكيف هي علاقة الحزبين أهي على ما يرام؟ قلت له: اطمئن يا عزيزي عصمت العلاقة أكثر من جيدة وهناك اتفاق ستراتيجي بينهما ولا توجد ثغرة بالرغم من محاولات التخريب والوئام يسود كوردستان والمؤسسات التشريعية والتنفيذية والقضائية تعمل على نهج مرسوم وفق القوانين السائدة وقيادة الحزبين ورئيسيهما يتعاملان مع البعض في انسجام ووفاق تامين ولا خوف عليهما من حدوث المشاكل).

بدا الارتياح ظاهرا على وجه عصمت عند سماع تلك الكلمات مني ولكنه عاود الكلام على غفلة وقال (القضية الكوردية هي قضية واحدة).

وقد كنت منذ أن وعيت أمارس هذه الطقوس القومية ويعرف زملائي من كافة أجزاء كوردستان الكبرى نوعية تفكيري القومي وممارساتي العملية في هذا المجال، وقد تعاهدنا د. كامران بدرخان وأنا وبعدها مع نورالدين زازا يوما أن لا نحيد قيد أنملة عن هذا الاتجاه وبنتيجته اخترت لرئاسة جمعية الطلبة الكورد في أوروبا عام ١٩٥٦ وبعد أقل من ثمان سنوات اختارني الزعيم الراحل مصطفى البارزاني كممثل عنه وناطقا باسم الثورة الكوردية أي منذ (١٩٦٤-١٩٧٥) وعضوا في مجلس قيادة الثورة في كوردستان لا يهمني ما يقولونه تجاهي فأنا كوردي أولا وكوردي أخيرا وسأتجه إلى الموقع الذي تحتاجني فيه أمتي الكوردية لم ولن أعترف بالحدود المصطفة فدياربكر وكركوك وقامشلو وكرماشان أسماء لمدن كوردستان مرتبط بهم جميعا روحيا قلبا وقالبا لا تختلف عندي غير أسمائها.

للمرة الثانية قام من كرسيه وأمسك بيدي وقربني من الفترينة الأخرى ومد يده إلى صورة مؤطرة وقربها إلينا وقال هذه الصورة أخذت في جبال كوردستان عام ١٩٦٤ البارزاني في زيارتي إليها أثناء الهدنة مع الحكومة العراقية عندما كان عبدالسلام عارف رئيسا للجمهورية، زيارتي تلك كانت بقرار من جمعية الطلبة الكورد في أوروبا — في مؤتمره الرابع عام ١٩٦٤ هذه كلفتنا (د. كمال فؤاد وأنا) بغرض المساهمة في حل

المشاكل العالقة في قيادة الحزب والثورة، بداية التقينا في طهران بالمرحوم الأستاذ إبراهيم أحمد والأستاذ جلال الطالباني وغيرهما وعندما وصلنا كوردستان توجهنا إلى حيث كان البارزاني في إحدى القرى وحاولنا قدر المستطاع تقريب وجهات النظر والوصول إلى نتيجة مرضية حرصا على وحدة البارتي وثورة أيلول وقد سألني البارزاني في هذا اللقاء سؤالا محددا وهو هل باستطاعتك تمثيل الثورة وأن تكون الناطق باسمها في الخارج؟) فقلت له على الفور (سمعا وطاعة، شرف كبير ومهمة تاريخية أن أكلف بهذا العمل فأنا خلقت يا سيادة البارزاني من أجل خدمة الكورد والتفاني في سبيل كوردستان وسأقسم لك بالله عز وجل وبشرفي القومي أن أكون مخلصا لهذه المهمة مهما كلفني الأمر).استحسن البارزاني موقفي هذا وكلف الإخوان في القيادة بتسهيل أمري وما يرونه مناسبا من أجل نجاح هذه المهمة الكبيرة. كانت كارمن زوجته تصغي باهتمام إلى ما كان يقوله عصمت وكان الزميل جودت صوفي يترجم لها باختصار ما كان يقوله جوابا على أسئلتي وهنا قاطعتنا بكلام ومسحة من الحزن بادية على وجهها ولكنها حاولت أن تكون طبيعية وقالت (في عام ١٩٦٦ كنت طريحة الفراش في المستشفى أولا وبعده في البيت مصابة بالسل وأثناء وجودي في إحدى ردهات المستشفى في لوزان تلقى عصمت رسالة من البارزاني يدعوه إلى زيارة كوردستان لأمر هام تركنا عصمت وأنا مريضة جدا وكان "سيامند" ابني في الثالثة من عمره ولم يأبه عصمت لحالنا وسافر إلى كوردستان تلبية لطلب البارزاني وتفهمت عائلتي السويسرية الوضع إذ كانوا يعرفون مدى حب عصمت لكوردستان والثورة الناشبة وقائدها ولم يكن غريبا ولكننا يا كاكه نعيش مع عصمت منذ ما يقارب الـ(٥٤) عاما وعشنا حياة شاقة أحيانا وسعيدة أحيانا أخرى ولكن زوجي لم يفارقه لحظة قضية شعبه ولازلت أتذكر يوم قدم نفسه لي عند التعارف حيث قال لي "أنا كوردي وموطني جبال كوردستان وإنني أكرس الجزء الأكبر من حياتي لقضية شعبي) وعرفت منذ تلك اللحظة أن هذا الرجل (أي عصمت) هو من طراز آخر من الرجال، مستقيم ولا يكذب وأحببته، ولن أنسى ما حييت يوم السابع من اكتوبر عام ١٩٧٦ عندما كنت في مركز عملي في لوزان حيث أتاني حارس عمارتنا وقال لي (إرجعي إلى البيت) وأنا قلت للحارس (هل قتلوا عصمت؟) قال لي (إنه حي ومضروب برصاصتين

وإنه الآن في المستشفى وحالته ليست بالخطيرة وتذكرت وأنا في طريقي بسيارة تاكسي حيث يرقد عصمت في المستشفى قبل الحادثة بأسابيع رأيت شخصا ذات ملامح شرقية أسمر اللون متوسط القامة وأنا في طريق عودتي إلى البيت سألني هذا الرجل عن رقم شارعنا ورقم عمارة (١٤٧) حيث كنا نسكن في إحدى شققها وأيقنت لحظتها بأنه كان أحد المنفذين لاغتيال (عصمت)".

وهنا سألت كاكه عصمت عن كيفية محاولة اغتياله ومن كانوا وراء محاولة قتله، حينئذ أطرق برأسه نحو المنضدة وكانت يداه ممسكة به وحاول أن يتذكر الحادثة حيث مضت على حدوثها ما يقارب الـ(٣٤) عاما وصمت لدقائق وعندما أراد الكلام ارتشف جرعات الماء المتبقية في الكأس الذي كان أمامه وبدأ بالكلام بصوت ناعم وقال (بعد النكسة التي ألمت بالثورة الكوردية (ثورة أيلول الكبرى ١٩٦١-١٩٧٥) بشهور تلقيت مكالمة هاتفية من باريس باسم مراسل جريدة التآخي بغرض إجراء حوار معي ولا أتذكر بالضبط أي يوم كان في الأسبوع وبعد أقل من اسبوع زارني اثنان من الدبلوماسيين العراقيين الموجودين آنذاك في العاصمة الاتحادية (بيرن) مع ما كان يزعم كونه مراسل جريدة التآخي واستقبلتهم أنا في شقتي في مدينة لوزان ودار حوار طويل وعريض بيننا، كانا يركزان علي (كيفية معالجة القضية الكوردية في العراق) وسبل إحلال السلام والوئام في كوردستان – العراق بعيدا عن قعقعة السلاح واستبعاد دور إيران من التدخل حيث قال أحدهم نصا "من أجل مصلحة الكورد في العراق ندعوك باسم القيادة العراقية إلى بغداد وزيارة مدن شمال العراق وإبداء النصح في كيفية مساندة الجهود الوطنية من أجل حل عراقي للمسألة الكوردية والقيادة العراقية على استعداد لسماع وجهة نظركم بعد تجوالكم في مدن الشمال والالتقاء بمواطني المنطقة" وهكذا ومن أجل " إنقاذ ما يمكن إنقاذه" وافقت على الفكرة ولكن اشترطت عليهم قبل السفر الموافقة على النقاط التالية:

١. حرية التنقل في كوردستان.
٢. حرية اللقاء بمن أريد.
٣. حرية اختيار رفاق السفر.

وقد تمت الاتفاق على تلك النقاط وتحدد يوم السفر، حيث اخترت السيد (بشير بومعزة) الذي كان وزيرا للاقتصاد في الحكومة الجزائرية عندما كان أحمد بن بللا رئيسا للجزائر قبل منتصف الستينات من القرن الماضي، وسافرنا معا إلى بغداد حيث استقبلنا باحترام وبقينا مدة (١٤) يوما في العراق وتجولنا في بغداد وأربيل والسليمانية ودهوك وعمادية والتقيت بأشخاص ومجاميع من اخواني الكورد هنا وهناك لا حول لهم ولا قوة وسألت الكثيرين عما يدور وفي أحد المدن الكوردستانية (لم يتذكر اسم المدينة) وبعد الانتهاء من مراسيم التجمع وإلقاء الخطب طلبت الذهاب إلى داخل المدينة للتجوال وحضروا لنا سيارتين مكتوبة على إحدى جوانبها (بعثة وزارة الإعلام) وفي أول فرصة سنحت لي سألت شخصا بملابس الأفندية (هل تغير المنهاج الدراسي في بعض المراحل من الكوردية إلى العربية؟ فقال لي صحيح وهذا ما تم برغبة الأهالي) وأيقنت لحظتها بأن هذه الخطوة هي (أول الغيث ثم ينهمر) نحو التعريب ونحو ما أسوأ وكذلك عندما كنا خارج أحد المطاعم بعد تناولنا الغداء سألت رجلا بالملابس الكوردية (ماذا يا رجل عن الأوضاع الحالية في كوردستان؟ لا تخاف فأنا كوردي مثلك جئت من أوروبا للتقصي عن الحقائق) فقال لي بعد أن تأكد من نيتي الصافية بفراسته وقال نصا (الوضع يتجه من سيء إلى الأسوأ) ولم أستطع تكملة الحوار وإذا بالمرافق والسائق اقتربا مني وسألاني ما كنت أريد أن أعرفه عن الرجل (فقلت لهم لماذا تسألوني فأنا جئت لكي أعرف ماذا يجري هنا) وعند رجوعي إلى بغداد أوضحت لمن التقيت بهم (وحاول مرة ثانية تذكير الأسماء ولكنه لم يفلح في ذلك ولكنه قال بعد لحظة ماعدا البكر وصدام التقيت بمعظم قادة البعث ومنهم طارق عزيز) إن معالجة القضية الكوردية ينبغي أن يكون من منطلقات مبدئية والإيمان بأن للكورد حق العيش بحرية تامة كإخوانهم العرب ومعترف بحقوقهم القومية ولن تجدي سياسات القمع والتخويف والتعريب ونقل أعداد كبيرة من المواطنين الكورد إلى المحافظات الجنوبية وتغيير مناهج التعليم من الكوردية إلى العربية وكان ردهم أن قانون الحكم الذاتي اعلن ليلة الحادي عشر من آذار عام ١٩٧٤ من قبل القيادة العراقية كفيل بمعالجة كافة المشاكل وعليكم مساندتها) ورجعت إلى سويسرا وأيقنت بأن حكام بغداد لم ولن يتوقع منهم خيرا وفي أول فرصة سنحت لي صرحت بما لم يرضي

حكام العراق وحاولوا عن طريق دبلوماسييهم الاتصال بي ثانية فرفضت، ولكن وفي ١٩٧٦/١٠/٧ بينما كنت منهمك في القراءة سمعت جرس الباب يرن وبدون الاحتياطات فتحت الباب وإذا بي وجها لوجه أمام أحدهم وصوب فتحة مسدسه نحوي وضربني بطلقة في وجهي حيث أصابني في الفم مباشرة ولم أعرف ماذا جرى لحظتها ووجدت نفسي طريح الفراش في المستشفى (هنا أشار بيده اليمنى إلى آثار الطلقة الأولى وتأثيراتها على النطق لحد الآن) وكان التأثر باديا على وجهه عندما كان يسرد على مسامعي (قصة محاولة اغتياله من قبل البعثيين) وقد أنهكه الكلام وتوقف عنه برهة ليست بالقليلة وهنا تذكر شئاً آخر حيث يعود بداياته الى مابعد مرور عام واحد على تكليفه بمهمة تمثيل وناطقاً باسم الثورة الكوردستانية عام ١٩٦٥، ومحاولات الحكومة العراقية الحثيثة والمتمثلة بوضع العراقيل والصعوبات بغرض إفشال مساعيه وجهوده الدبلوماسية لنصرت ثورة شعبه بوجه الدكتاتورية والطغيان، وسرد بإسهاب محاولات الدولة العراقية الافتة للنظر، وخاصة بعد إختياره كممثل لثورة كوردستان (ثورة أيلول) وقائدها (مصطفى البارزاني) حيث حاولت الحكومة العراقية بشتى الوسائل الدبلوماسية عام ١٩٦٥ عندما كان عبدالسلام عارف رئيساً للجمهورية العراقية بغرض التأثير على حكومة الولايات المتحدة الأمريكية بإبعاده وترحيله عن أراضي أمريكا بحجة كونه (أي عصمت شريف) يحاول إقامة مركز رئيسي للثورة الكوردية في أمريكا حيث بادر ناجي طالب الذي كان وزيراً للخارجية في العراق الى اللقاء مع السفير الأمريكي في بغداد (سترونغ)، وحصل اللقاء في بداية شهر مايس ١٩٦٥، وطلب ناجي طالب منه أن تقوم الولايات المتحدة الأمريكية بمنع عصمت شريف من القيام بأي تحرك ونشاط سياسي، وبالتالي طرده في أمريكا، والأنكى من ذلك إقترحت السفارة الأمريكية في بغداد على وزارة الخارجية الأمريكية بموجب برقيتها (٩٥٦) في ١٩٦٥/٥/٥ إلغاء تأشيرة دخول عصمت شريف الى امريكا، لكي لا تزعج وجوده في أمريكا الحكومة العراقية، وعندما ابلغت عصمت بمحاولات الحكومة العراقية وإذعان أمريكا لهذا الطلب حرصا على مصالحها أيقن عصمت بهزالة موقف القطب الأمريكي تجاه شعب مغبون ومقسم الى أربعة أجزاء في الوقت الذي لا تنفك حكومة أمريكا بالإدعاء بأنها تمثل العالم الحر، ومساعدة الشعوب المظلومة، حيث

أذعنت وزارة الخارجية الأمريكية لطلب سفارتها في بغداد بترحيله (عصمت) من أمريكا وقد أوسط الخارجية الأمريكية فعلا سفارتها في بغداد بخصوص أستدعائه من أمريكا، وذلك عن طريق (الضغط) على قيادة الثورة الكوردية (بسحبه) من أمريكا، وكان سفير العراقي في أمريكا (ناصر الحاني عام ١٩٦٥) لم يألوه جهدا مع أركان وزارة الخارجية الأمريكية بغرض طرده من أمريكا.

وحاولت (كارمن) تلطيف الجو بكلام وعبارات ناعمة حول عصمت ومشواره الطويل في عالم السياسة وخدمة قضية شعبه ومثابرته في تنفيذ وترجمة ما كان تتطلب من أعمال وأسفار خارج سويسرا والابتعاد عن عائلته وهنا سألت كارمن (ماذا عن رأي وتقييم عائلتك لعصمت وعمله السياسي) عندئذ قامت من مكانها وتوهجت إلى كاونتر المطبخ وصبت لنا للمرة الثانية أقداح من الشاي ووضعتها أمامنا وقالت لي وهي مازالت واقفة (إن أهلي لم يعارضوا يوما عمل عصمت السياسي واحترموه كثيرا لأنه كان ومازال يعمل بكل إخلاص من أجل قضية شعب مغبون وهو شعبه الكوردي).

وعندما ارتاح هذا الفارس الذي أنهكته القضية الكوردية طوال تلك العهود دون أن يعرف للتعب معنى والمخاطر التي جابهته ومنها محاولة اغتياله سألني هو (ماذا بعد في جعبتك أيها الصديق الصحفي وقد كثرت أسئلتك ولكنني ممتن لك وقد جعلتني أفتح لك قلبي وأوراقي بعد تلك السنين من الصمت والنسيان من الصحافة الكوردية شكرته كثيرا وكثيرا وقلت إن كان هنالك مجال بحيث يسمح به صحته فلدي بعض الأسئلة الاخرى وفي مقدمتها وهي كيف يرى الحل الذي فرض نفسه في العراق منذ انتصار الانتفاضة ربيع عام ١٩٩١ وإعلان التمسك بالفدرالية من قبل برلمان كوردستان والتزام الدستور العراقي الذي اقر عام ٢٠٠٥ في البرلمان العراقي؟ لدقائق قليلة بقى صامتا ربما كان يفكر في أمر ما وبعدها دعاني عندما قام من مكانه حيث توجه إلى غرفة مكتبه الصغير وتفحص بعض الأوراق هنا وهناك وعندما وجد ضالته وكان عبارة عن كراس على شكل مجلة أمعن النظر في صفحاتها قال لي قبل أن يقرأ ما في الصفحات (إنني قبلكم بسنوات تجاوزت مسألة الحكم الذاتي كحل للقضية الكوردية في العراق وقد وصلت بعد سنوات من الدراسة والعمل في مجال الكورد والقضية الكوردية إن الحل الأمثل هو تبني الحل الفدرالي لأن الكورد في العراق ليسوا بأقلية لا

أرض لها وإنما هي القومية الثانية وقد أحسن الزعيم العراقي عبدالكريم قاسم عندما أقر بشراكة الكورد والعرب في الوطن العراقي على قدم المساواة وقد ثبت هذا في اطروحتي المسماة (حول الإستراتيجية السياسية والعسكرية للحركة الوطنية الكوردية، نظرة إلى الماضي والحاضر واخرى إلى المستقبل) ولقد نشرتها مجلة (دراسات كوردية) العدد (١-٢) السنة (٢) في كانون الثاني عام ١٩٨٥ الصادرة باللغة العربية في باريس وثبت فيها قناعاتي وإليك هذه الفقرة التي تخص سؤالكم والتي تقول (وفي العراق يمثل الشعب الكوردي نحو ٢٨٪ من مجموع السكان وأرضه وفيرة بالثروات وله الوزن الكافي لتحويل العراق إلى دولة اتحادية فدرالية تتألف من جمهوريتين واحدة اسمها "جمهورية العراق – العربي" والثانية "جمهورية كوردستان الجنوبية" وتتحد الجمهوريتان ضمن حكومة فدرالية توزع فيها الصلاحيات والقطاعات دستوريا، ولربما أمكن (إيجاد منطقة حكم ذاتي) للأقلية التركمانية داخل (جمهورية كوردستان الجنوبية) لو طالبت الأحزاب الكوردية – والعربية الديمقراطية بمثل هذا الحل ولتوازن القوى القومية، وفي هذه الحالة يمكن تغيير اسم (العراق) وهو إصلاح اسم العراق العربي – الذي فرضه الاستعمار البريطاني على كوردستان إلى (الجمهورية الاتحادية العربية الكوردية) وما إلى ذلك فأسم (تشيكوسلوفاكيا) الاتحادية الجامع لأسم القوميتين والجمهوريتين التشيكية والسلوفاكية) ولقد عالجت كذلك قضية الشعب الكوردي في سوريا وما يعانيه الكورد فيها بموضع مستقل ولكن ليس الإمكان في الوقت الحاضر تقديم نسخة من الدراسة حول الموضوع لأنه كما ترى إن صحتي وعمري وأمراضي يمنعاني عني العمل إلا فيما ندر وعلى الجيل الناشئ من أمثالكم والجيل الجديد العمل كما عملنا نحن في سبيل قضيتنا قضية الأمة الكوردية وقد كنا (عشاق القضية) روحيا ولم نكن نهتم بسواها).

كانت هنالك أسئلة اخرى تراودني على أمل إلقائها عليه لأنه كان الشاهد الوحيد الحي الباقي ولكن نظرات زوجته كارمن وتنبيه زميلي (جودت صوفي) باللغة الكوردية (أتعبت الرجل وكفى) حالت دون مواصلة الحوار إلى النهاية ولكنه أبى (عصمت أن يستسلم) وعرف بحسه بأن هذا اللقاء والحوار الصحفي الصريح ربما لن يتكرر بهذه السهولة وبهذا الشكل الرفاقي فقال لي والتأثر باديا على وجهه (إن صحتي وعمري لن

تساعداني على الاستمرار في العمل السياسي شعبنا الكوردي بحاجة ماسة إلى العمل وخاصة في الوقت الحاضر هنالك تطورات في السياسة الدولية ومفاجآت كذلك كلها لصالح حركة استقلال الشعوب (كوسوفو مثلا، شعب جنوب سودان، تركيا وتأثيرها على مجمل السياسة فيها، الفعاليات الكوردية في سوريا وإيران على القادة الكورد كافة ومن عموم أجزاء كوردستان أن يتجنبوا الخلافات وتحت أي اسم أو مبررات كانت فالوضع الحالي لا يتحمل الشقاق والخلاف مهما كانت وجهات النظر متباينة لأن مستقبل الكورد ومصالحه العليا أكبر من الخلاف وأكبر من المنطلقات الشخصية وعسى أن نتعلم من دروس الماضي البعيد والقريب وتوجد نقطة هنا في غاية من الأهمية وهي على القادة أن لا يخسروا الرأي العام العالمي وتفهم دول الكبار بعدالة قضيتنا وذكروا إن سيادة مصطفى البارزاني الذي حاول بكل ما كان لديه من جهد ومن إمكانيات الوصول إلى عقول الساسة في أميركا وأوروبا لأنه كان يعرف بفطنته وتجاربه ونجاحاته وانكساراته بأن العامل الخارجي وتفهم ساسة الدول الكبرى وفي مقدمتها أميركا لعدالة القضية الكوردية كفيلة بالوصول إلى شاطئ الأمان وحمايتهم من الذئاب، والمقترنة بوحدة الكورد كفيلة للوصول إلى حل مرضي وعادل لقضيتنا ولم يأل جهدا في الوقت الذي كنا نعاني من عدم تفهم الكبار عدالة قضيتنا حرصا على مصالحهما ونفوذهما في منطقة تحوي على تعقيدات لا مثيل لها في أية منطقة اخرى في العالم وأقول للتاريخ أن البارزاني كان ذو فكر ثاقب ويقدر دور قرارات الدول الكبرى وأن الزملاء الذين عملوا في هذا المجال يعرفون ويتذكرون ما كانوا يعانونه من صعوبة الوصول إلى أصحاب القرار في تلك الدول وقد كنا ننتظر أيام وأسابيع بغرض اللقاء مع موظف في أورقة وزارات الخارجية لكن ومع هذا فإن البارزاني لم يتأس ولم يدخل عقم المحاولات على التوقف من محاولاته وقد قال لي يوما (علينا أن نتسلح بإيمان الفلاح في كوردستان فهو مثابر وعنيد ويأخذ بصعوبة ما يريده من لقمة العيش من الطبيعة القاسية وتتكرر محاولاته سنويا دون أن يشعر بالملل).

الساعة تشير إلى السادسة والنصف مساء وطالت جلستنا وتشعبت حواراتنا وحان وقت الاستئذان وقلت له (كانت أمنية رؤية رجل كان يوما ناطقا وممثلا عن الثورة الكوردية وقائدها ومجاهدا ومسافرا مع حقيبة سفر كانت تحتوي على رسائل

ومذكرات من القائد مصطفى البارزاني متجولا بين دول أوروبا وأميركا وملتقيا بقادة تلك الدول وسياسييها عارضا عليهم قضية شعب أنصفهم معاهدة سيفر دون مستوى الطموح والتضحيات والواقع وأصابهم الغبن مرة اخرى من قبل الحلفاء وفي مقدمتهم (بريطانيا العظمى) التي لم يكن يوما منذ دخول مبشريها وجواسيسها واحتلالها وانتدابها إلى المنطقة،لم تفكر يوما باستقلال كوردستان رغم توقيعها على معاهدة (سيفر) أي إنها تنكرت في يوم توقيع المعاهدة المذكورة وفي مدينة سيفر تلك المدينة الجميلة والتي تقع شمال دولة فرنسا إلى الجنوب الغربي من العاصمة باريس والمشهورة بصنع خزف طيني عريق تعرف بخزف سيفر الذي لا يزال ينتج فيها منذ عام ١٧٥٦م والتي وقعت فيها معاهدة باسمها (معاهدة سيفر حيث وضعت صيغتها النهائية في مؤتمر (سان ريمو) ثم وقعها مندوبون عن تركيا المهزومة من جهة والحلفاء المنتصرون من جهة اخرى في ١٩٢٠/٨/١٠ والتي بموجبها حلت الإمبراطورية العثمانية وقلصت تركيا إلى حدودها الحاضرة وقد رفضها مؤسس تركيا الحديثة •مصطفى كمال اتاتورك) فاستعيضت بمعاهدة (لوزان) تلك البلدة الجميلة والتي تقع في الجزء الغربي من سويسرا (بلد الحضارة الصامتة) حيث تقع على الساحل الشمالي لبحيرة جنيف (ليمان) والتي وقعت فيها (المعاهدة المشؤومة) على حد قول عصمت شريف حيث وضعت التسوية النهائية في ١٩٢٣/٦/٢٤ بين تركيا والحلفاء والتي قضت على الآمال الكوردية والتي جسدتها بنود ٦٢، ٦٣، ٦٤، من معاهدة سيفر.

وقبل التوديع القاسي والثقيل على مشاعري أخذني كاكه عصمت ومعنا زوجته إلى شرفة شقتهم للتمتع بمناظر مدينته الجميلة وسواحل بحيرة جنيف حيث أشار بيده إلى موقع قصر (اوش) الذي وقع فيه الاتفاقية المشؤومة (معاهدة لوزان) والتي شاءت الأقدار أن يقطن على مقربة منه عصمت شريف وانلي والذي حاول كفارس مقدام المساهمة في إزالة آثار عار بنود تلك الاتفاقية يوما، وأخذنا صور في تلك الشرفة معا للذكرى وعندما حان التوديع أمام باب مدخل شقته أبى أن يتركنا ننزل المصعد لوحدنا إلى الطابق الأرضي حيث كانت سيارة جودت مركونة في بارك العمارة ونزل معنا صامتا دون كلام وقرأت من ملامحه الانزعاج من تركنا له بعد هذه المصاحبة الجميلة التي حاول فيها رغم التقدم في السن (٨٨) عاما والأمراض المصاحبة لتلك

السنين وآثار عملية الاغتيال تذكيره بأنه كان يوما ذا شأن كبير في عمله الدبلوماسي مخولا من قائد الثورة الكوردية الجنرال مصطفى البارزاني الالتقاء بمن كان قادرا على رؤيتهم طالبا وراجيا وداعيا إلى إنصاف الكورد وحمايتهم من الذئاب المفترسة.

في الباحة الخارجية للعمارة وودعته مع جودت وفي هذه المرة نجحت في تقبيل يده بعد أن طبعت على خديه قبلة الوفاء والمحبة واغرورقت عينانا بالدموع دموعه ذات معنى حيث يلفه النسيان وتلفه الوحدة القاسية مع زوجته كارمن بعيدا عن بلاد الكورد وصخب حياة سياسييه الذين نسوا وتناسوا هذا النوع من الرجال في الوقت الذي يكرم نوع آخر من الرجال لم يسمع بعصمت وبغير من على شاكلة عصمت ولم تتعبه يوما القضية التي كرس لها عصمت حياته من اجلها. أما دموعي فقد نزلت من دون إرادة وفاء مني لهذا النوع من الرجال حيث ينتظر هو وكارمن زوجته يوميا وعلى وجبتين وصول وجبات الأكل إليهم من (السوسيال) دون الملايين من أبناء شعبه.

" ارسل السيد عصمت شريف وانلي في شهر آيار عام ١٩٦٥ مذكرة الى رؤوساء المندوبين الدائمين في الأمم المتحدة مذكرةً حول الأوضاع الجديدة إثر تجدد القتال في كوردستان من قبل الحكومة العراقية عندما كان عبدالسلام محمد عارف رئيسا لها، وفيما يلي (نص المذكرة)

مذكرة الى رؤوساء المندوبين الدائمين من الدول الاعضاء في الأمم المتحدة عام ١٩٦٥

السادة الكرام

ان وفد ثورة كوردستان العراق الذي يرأسه الموقع ادناه والذي يضم أيضا في عضويته السيد سعدي ديزةيي الذي سيشرفه جدا ان تمنحوه مقابلة من اجل ان يضع امام انظار وفدكم الحقائق التي تخص الهجوم العسكري الجديد ضد كوردستان وحرب الابادة البشرية التي تشنها حاليا حكومة بغداد ضد الشعب الكوردي.

نحن هنا في الولايات المتحدة جئنا مبعوثين عن مجلس قيادة الثورة ورئيسه الجنرال مصطفى البارزاني. ان هدفنا هو توجيه انظار مختلف الدول الاعضاء في الامم المتحدة نحو الوضع في كوردستان العراق بامل ان يخاطب واد او اكثر من هذه البلدان مجلس الامن او الدورة القادمة للجمعية العامة نيابة عنا.

وقد سبق وان كتبنا الى سيادة يوثانت الامين العام للامم المتحدة والى السيد سوري كوليبالي رئيس لجنة الاربعة والعشرين والى سيد سلفادور لوبيز رئس لجنة حقوق الانسان ولحد كتابة هذه الاسطر لم نستلم اية ردود فعل.

وقد طلب الجنرال البارزاني في رسالته المؤرخة في ٧ كانون الثاني ١٩٦٥ وفي رسالتي المؤرخة في ٢٠ نيسان ١٩٦٥ الى يوثانت (المرفقة منها نسخ طيا) من الامم المتحدة اتخاذ اجراءات فورية ومحددة بخصوص هذه الاقضية وكما هو آت:

١. الدعوة لوقف فوري للعمليات العسكرية العراقية في كوردستان وحرب الإبادة ضد شعبنا الكوردي.

٢. إرسال قوة طوارئ دولية الى كوردستان العراقي الى حين تحقيق تسوية سلمية للصراع.

٣. التوصل الى حل سلمي لهذا الصراع على الأسس التالية:

أ. الحكم الذاتي لكوردستان العراق، بضمانات دولية، في إطار الجمهورية العراقية اذا ما بقيت الجمهورية مستقلة.

ب. أما إذا قرر العراق من الجانب الآخر ان يصبح جزء من أي اتحاد عربي فان حل القضية القومية الكوردية يجب ان يكون ذلك الذي يختاره بحرية شعب كوردستان العراق عن طريق اجراء تقرير المصير تحت رقابة دولية وبضمانات دولية كافية.

ونود ان نلفت انتباه وفدكم بأننا في رسالتنا الى يوثانت المؤرخة في ٢٠ نيسان اضافة الى (صحيفة الحقائق) المرفقة قد سطرنا الحقائق القانونية والتاريخية والساسية التي تجعل من قضية حكمنا الذاتي قضية دولية تقع ضمن صلاحيات الامم المتحدة وليست مشكلة عراقية داخلية كما تصر حكومة بغداد بدون أساس.

وقد سبق وان كتبنا الى سيادة يوثنت الامين العام للامم المتحدة والى السيد سوري كوليبالي رئيش لجنة الاربعة والعشرين والى السيد سيلفا دور نوبيز رئيس لجنة حقوق الانسان ولحد كتابة هذه الاسطر لم نستلك أية ردود فعل.

ونود بهذا الارتباط ان نستعيد الى الذاكرة السرعة التي اتخذت بها الامم المتحدة الخطوات في الصراع الجزائري – الفرنسي حين كانت الجزائر تعتبر من قبل فرنسا "مقاطعة فرنسية" وفي حين كانت فرنسا عضوا في المنظمة الدولية ولتؤكد أيضا ان الحرب في كوردستان العراق هي الان في سنتها الرابعة.

لقد شجبنا منذ اسابيع الحملة العسكرية الجديدة التي لاتعترف بها بغداد والتي مع ذلك تواصل الحكومة العراقية شنها في كوردستان مستخدمة المدفعية الثقيلة والدبابات والطائرات ان هذه الحملة سيئة الصيت اليوم وقد نقلت إنباؤها في الصحافة العالمية بما في ذلك الصحافة العربية اللبنانية.

ولمزيد اطلاع وفدكم نؤكد ان حكومة بغداد تستخدم قنابل النابالم في غاراتها الجوية على السكان المدنيين الكورد وان القيادة العربية الموحدة متورطة على الاقل بصورة غير مباشرة في هذه الحرب وان بغداد قد تلقت ١٥٠٠٠ الف قناع وكميات من الاسلحة والغاز السام الذي نخشى انها سوف تستعمل ضد المدنيين الكورد وهناك فعلا خمسة لآلاف جندي مصري اضافة الى (٣٦) طائرة حربية في العراق وبعضها في كوردستان وفي هذا الطراز من الحرب الاستعمارية فأن التجارب التي اكتسب الفنيون العسكريون المصريون في اليمن يمكن أيضا استخدامها من قبل القيادة العراقية ونود ان نلاحظ في عذا الصدد انه خلال الحملة العراقية في كردستان عام ١٩٦٣ شاركت فرقة كاملة من الجيش السوري في الحرب ضد الشعب الكوردي.

ونرفق طيا وثائق إضافية بما في ذلك نسخة من اوراق اعتمادي تثبت انني الممثل في الخارج عن الثورة نيابة عن حركة التحرر القومي الكوردي والناطق الرسمي باسم الجنرال البارزاني.

وعارفين التقاليد الديمقراطية لبلدكم وتأييده للشعوب المضطهدة فسوف نتشرف بالاجتماع بسيادتكم لكي نقدم المزيد من المعلومات الى وفدكم بأمل ان يكون بلدكم راغبا ان يثير هذه القضية في الامم المتحدة.

مع فائق الاحترام.

عصمت شريف فانلي

المبعوث المتجول لمجلس قيادة الثورة والناطق الرسمي

بإسم الجنرال مصطفى البارزاني"

(بيبليوكرافيا) بعض من

كتابات عصمت شريف وانلي

1. Ismet Cheriff Vanly (Vanley),"The Question of the unification of the written Kurdish language: Kurmanji or Sorani?," In: Kurdistan (KSSE), Nov. 1959, pp. 5-10.

١- عصمت شريف وانلي، (مسألة توحيد اللغة الكوردية المستخدمة في الكتابة الكرمانجية أو السورانية):- يتحدث عن مسألة توحيد اللغة الكوردية المستخدمة في الكتابة ويتمحور البحث في محورين: بأي ألف باء نكتب اللغة الكورية؟ وأي اللهجتين، ثم يتحدث ويؤكد بأنه من الناحية التطبيقية من المستحيل أن نكتب الكرمانجية بالحروف العربية، لأن الكورد في تركيا لا يتقنون سوى الكتابة اللاتينية، كما ويطالب الكاتب بأن نكتب السورانية بألف باء اللاتينية، والمطلب هذا، كانت جمعية الطلبة الكورد في أوروبا تطالب به بحرارة.

2. Parêz Vanly (alias de Ismet Šerif Vanly), Aspects de la Question National ; Kurde en Iran ; Lettre ouverte au gouvernement impérial de l’Iran et à la classe dirigeante persane. Publie par l’Association des Etudiants Kurdes en Europe, Impr. Vogue, Paris juillet 1959, p. 31.

٢- باريز وانلي (الاسم المستعار لعصمت شريف وانلي)، بعض جوانب قضية كورد القومية في إيران، رسالة مفتوحة إلى الحكومة الشاهنشاهية الإيرانية والسلطة الإيرانية:- الموضوع عبارة عن رسالة مفتوحة إلى الحكومة الشاهنشاهية الإيرانية والطبقة الحاكمة في إيران، ونشرت الرسالة عن طريق جمعية الطلبة الكورد في أوروبا.

والرسالة في الحقيقة عبارة عن سرد تأريخي لأوضاع الشعب الكوردي منذ عصور ما قبل الميلاد إلى عامي (١٩٤٥-١٩٤٦م)، أي إلى عهد تأسيس جمهورية كوردستان والتي كانت عاصمتها مهاباد، ثم يتحدث عن حلف بغداد وتحالف محتلي أرض كوردستان من أجل خنق وإخماد الحركة الكوردية، ويشير الكاتب إلى تأسيس الإذاعة الكوردية في القاهرة في صيف/١٩٥٧، وكيف أقامت الحكومة الإيرانية ضجة كبيرة بهذا الخصوص، وأدان وزير الخارجية الإيراني هذا العمل، ويواصل الكاتب حديثه عن الأوضاع غير الطبيعية في كوردستان إيران، وفي آخر فقرات الرسالة يكتب: (بدون الديمقراطية والعدالة لا يمكن أن تعالج القضية الكوردية بشكل كامل، وإذا لم تعالج القضية الكوردية، وإذا ما بقيت كوردستان مجزأة، فإن الامبريالية المناطقية (الإقليمية) والعالمية، لا يمكن أن تموت وتنمحي في الشرق الأوسط، وكذلك فإن أية ديمقراطية حقيقية غير ملائمة ولا تجدي نفعا.

3. Ismet h ériff Vanly, Interview sur le Kurdistan et la question kurde, donnée par Ismet h rériff Vanly à Vangélis ak katos, journaliste, Paris, Association des étudiants kurdes en Europe dépositaire: Librairie de l’Escalier, Paris, 1960, (29 p).

4. Ismet Cheriff Vanly, The revolution of Iraki Kurdistan, Lausanne, Published by the Committee for the Defense of the Kurdish People's Rights, Part I (From september ١٩٦١to April 1965), April 1965, (p 85).

5. Ismet Cheriff Vanly, The Persecution of the Kurdish People by The Baath Dictatorship in Syria [Europe], 1968, (P38).

6. Ismet Cheriff Vanly, The Kurdish Problem in Syria: Plans for the Genocide of a National Minority. [Europe]: Committee for the Defence of the Kurdish People's Rights. 1968, (P40).

٦- عصمت شريف وانلي، المشكلة الكوردية في سوريا، خارطة لإبادة أقلية قومية:- بداية يشير الكاتب إلى عدد من الإحصائيات العامة حول الكورد في سوريا، ويقول بأن عد الكورد يبلغ (٥٠٠,٠٠٠) نصف مليون نسمة، (حسب احصائيات ستينات القرن الماضي)، ويشكل نسبة (١٠٪) من مجموع سكان سوريا، ثم يتحدث

عن الحزب الديمقراطي الكوردي في سوريا والذي تأسس عام ١٩٥٧، وبعد ذلك يتحدث عن وضع الشعب الكوردي في ظل حكم حزب البعث في سوريا، وفي الختام وضع عددا من الوثائق كملاحق، مثل:-

الملحق الأول: التقرير الخاص بالخطة الخاصة لاستقرار الدولة في منطقة (حسكه)، الذي نشر في جريدة (المناضل) العدد (١١) الصادر في ديسمبر ١٩٦٦، صفحات (٢٦-٣١).

الملحق الثاني: التقرير الخاص حول منطقة (عفرين)، صفحات (٣٢-٣٥).

الملحق الثالث: عدد من الكتابات المترجمة من الصحف العالمية حول الكورد في سوريا، صفحات (٣٦-٤٠).

7. Ismet h eriff Vanly, he yrian Mein Kampf against the Kurds aa th thinking reviewed ransl. And introd. With commentary and annotations by Ismet h ériff Vanly, Amsterdam: J.S.K., 1968, (P38).

٧- عبارة عن رد لـ(كتاب) الملازم الأول محمد طالب هلال رئيس الشعبة السياسية لمنطقة (حسكه)، بعنوان (دراسة عن محافظة الجزيرة من النواحي القومية والاجتماعية والسياسية) والذي كتبه حول الشعب الكوردي في سوريا، يرد (وانلي) بالنماذج والأدلة العلمية على شوفينية هذا الكاتب البعثي، متناولا أقسام الكتاب بدقة.

8. Ismet Chériff Vanly, Le Kurdistan irakien, entité nationale : étude de la révolution de 1961, Neuchâtel : Éditions de la Baconnière ; Paris : Payot, 1970, (P419).

٨- عصمت شريف وانلي، كوردستان العراق، الكيان القومي، بحث حول ثورة ١٩٦١:- هذه الدراسة في الأصل عبارة عن رسالة دكتوراه التي قدمت عام ١٩٧٠ إلى جامعة لوزان، والدراسة هي إحدى الدراسات العلمية الكبيرة التي كتبت حول الحركة الكوردية عام ١٩٦١ وهي تتناول التسع سنوات الأولى من الحركة الكوردية في كوردستان العراق، والكاتب باعتباره كان ممثلا للثورة الكوردية في أوروبا، ولديه وثائق كثيرة حول الثورة وهذا ما أدى الى إغناء البحث وزاده قوة ودقة، قسّم الكاتب دراسته هذه إلى (مقدمة وتسعة فصول مستقلة).

وفي المقدمة قدّم عرضا عاما حول تاريخ كوردستان، والكوردولوجي في أوروبا وطبيعة الحركة القومية الكوردية، وجاء ذلك في صفحات (١١-٣٨)، أما في الفصل الأول فقدّم عرضا تاريخيا وجغرافيا يخص القضية القومية في كوردستان العراق، في هذا الفصل الذي يعتبر تمهيدا للدخول إلى صلب الدراسة، يتحدث عن السكّان والتركيبة الاتنيكية لكوردستان العراق والقضية الكوردية فيها بعد الحرب العالمية الأولى إلى سقوط الملكية في العراق، وذلك في الصفحات (٣٩-٨٠).

الفصل الثاني: تناول فيه موضوع (قاسم والكورد) أو الأسباب المباشرة لوقف إطلاق النار والحرب، صفحات (٨١-١٠٧).

الفصل الثالث: بحث فيه الانتفاضة إلى الثورة، صفحات (١٠٨-١٤٤).

الفصل الرابع: سقوط قاسم، صفحات (١٤٥-١٧٥).

الفصل الخامس: المفاوضات الكوردية العربية، صفحات (١٧٨-٢١٧).

الفصل السادس: عمل المؤسسات الثورية، صفحات (٢١٨-٢٥٥).

الفصل السابع: الثورة من ١٩٦٥-١٩٦٩، صفحات (٢٥٦-٢٨٢).

الفصل الثامن: المجتمع الدولي أمام القضية، صفحات (٢٨٣-٣٢١).

الختام: صفحات (٣٢٢-٣٢٤).

النتائج: صفحات (٣٢٤-٣٤١)، الهوامش: صفحات (٣٤٤-٣٦٠).

وفي قسم الملاحق، تم عرض مجموعة كبيرة من الوثائق التاريخية باللغة الفرنسية، ومعظمها تخص سنوات (١٩٦٢-١٩٦٤) من ثورة أيلول، صفحات (٣٦١-٣٨٩). ومختارات من بيبليوكرافيا (الموسوعة)، صفحات (٣٩٠-٤١٤).

9. Ismet hériff Vanly, Survey of the national question of Turkish Kurdistan : with historical background, Rome] : Hevra, 1971, (P77).

٩- عصمت شريف وانلي، تغطية أو مسح للقضية القومية في كوردستان تركيا، مع ملحق تاريخي:- والدراسة عبارة عن مسح وتغطية القضية الكوردية في كوردستان تركيا، ولتحقيق هدفه، يعرض في البداية المعلومات والإحصائيات، مثل: الموقع الجغرافي، عدد الكورد في الإحصائيات العامة ومن ثم عرض إحصاء للأجزاء الأربعة لكوردستان ويقارنه مع إحصاء كل بلد يتواجد الشعب الكوردي فيه، وفق تقديرات

عام ١٩٧٠ يقدر عدد الكورد بـ (١٦,٠١٦,٠٠٠) نسمة، وعدد الكورد في الاتحاد السوفيتي وسوريا بـ (٤٣٤,٠٠٠) نسمة، ثم يعود إلى التاريخ، ويبدأ من التاريخ القديم إلى أن يصل إلى عهد الإمارات الكوردية والتنظيمات، وانطلاقا منها إلى إجراء بحث حول الحركة القومية الكوردية خلال القرن التاسع عشر، إلى أن يصل إلى تأريخ كتابة دراسته هذه.

10. Ismet h ériff Vanly, Survey of the national question of Turkish Kurdistan : with historical background, Rome] : Hevra, 1971, (P77).

١١- عصمت شريف وانلي، الكورد وكوردستان في سرد رحالة الغرب القدامى (القرن السادس عشر-القرن الثامن عشر):- في المقدمة والكومينتار خصّص البحث لكتابات رحالة الغرب الذين توجهوا إلى الشرق خلال قرون (السادس عشر-الثامن عشر) ومروا بمناطق في كوردستان وكتبوا ملاحظاتهم عن الكورد والمجتمع الكوردي والمناطق الكوردية.

وفي مقدمة بحثه يتحدث (وانلي) وباختصار شديد عن بروز القومية الكوردية وفق المصادر اليونانية، ثم ينتقل إلى العصور الوسطى والحروب الصليبية، ثم يتحدث عن الأوضاع التاريخية والاجتماعية في كوردستان خلال القرن الخامس عشر، وبعد ذلك يتحدث عن الرحالة ويشير إلى أول رحالة جاء إلى كوردستان في القرن السادس عشر، ولقد كان تاجرا إيطاليا مشبوها، الذي توجه في بداية القرن إلى كوردستان، وطبع انطباعاته عام ١٥٥٩ في فينيسيا، وفي القرن نفسه يتحدث عن (مستر أفونسو)، ثم يأتي إلى رحالة القرن السابع عشر: (بيترو ديلافالا، زان باتيست تافيرني، زان تيفينو، زان شاردان)، وفي القرن الثامن عشر يتحدث عن (كارستن نيبور، كونستانتين فرانسوا فولني).

12. Ismet Chériff Vanly, Les Kurdes et le Kurdistan dans les relations d'anciens voyageurs occidentaux (XVIe–XVIIIe Siècle), Ed.: KSSE, 1973, (P77).

١٢- عصمت شريف وانلي، توجه كوردستان نحو الغرب (القرن العاشر-القرن الخامس عشر) دراسة تاريخية وجغرافية:- بحث عن أوضاع كوردستان في القرون

(العاشر-الخامس عشر الميلادية)، ويشير الكاتب إلى أن كوردستان خلال القرن العاشر وبشكل أساسي، كانت تقع في القسم الغربي من إيران، صفحة (٣٤٥). وأثار (وانلي) في هذه الدراسة مجموعة من القضايا العامة منها: حديث الرحّالة والكتّاب المسلمين عن الكورد، ويتحدث عن "اللور" بشكل خاص، حيث يؤكد على أن وفق جميع المصادر التاريخية بأن "اللور" يعتبرون كوردا، ثم يتحدث ويؤكد بأن كوردستان خلال النصف الثاني من القرن العاشر حدثت فيها تغييرات سياسية وجغرافية كبيرة، وخلال القرون من الحادي عشر إلى الخامس عشر وخلال احتلال السلجوقيين وتيمورلنك، دخلت القبائل التركمانية إلى منطقة الشرق الأوسط، ويضيف بأنه خلال القرون العاشر إلى الخامس عشر توجهت كوردستان الغربية وبشكل تدريجي إلى ثلاثة اتجاهات ومن أهم هذه الاتجاهات هو اتجاهها نحو الغرب (نحو ئاميدي وبوابة الفرات الكبرى) وإلى مناطق (ملاتيه، كهيه، ايلبيستان، مةرةش وانتاب)، ثم يتحدث بالتفصيل عن اتجاهات امتدادها خلال هذه الفترة التاريخية.

13. Ismet Chérif Vanly, « Le Déplacement du Pays kurde vers l'ouest (Xème-XVème s.). Recherches historiques et géographiques», in Rivista degli Studi Orientali, vol. L, Fasc. III-IV; Roma, 1976, p. 353-653 .

١٣- عصمت شريف وانلي، نظرة على الثقافة القومية الكوردية:- بحث حول الأدب الكوردي، في مستهل البحث يتحدث عن الشعراء الكلاسيكيين وملحمة قلعة دمدم وشرفنامة شرف خان البدليسي، ثم يتحدث عن الشاعر والفيلسوف (احمدي خاني) (١٦٥٠-١٧٠٦)، لا سيما ملحمته (مةم وزين)، وفي الختام يتناول بالبحث وبشكل موجز الأدب الكوردي الحديث.

14. Ismet Chériff Vanly, « Regards sur les origines des Kurdes et de leur langue », In: Studia Kurdica, Institut Kurde de Paris. N° (5), 1988, p. 39–58.

-٦٧٤Ismet h ériff Vanly, « o up d'œuvre sur la culture nationale kurde », In : Oriente Moderno (1977) vol. P57. 445-450.

١٤- عصمت شريف وانلي، (الكورد في الاتحاد السوفيتي):- يتحدث (وانلي) في هذه الدراسة عن (كوردستان الحمراء) التي ترأسها الرئيس (كوسي جيف) خلال سنوات (١٩٢٣-١٩٢٩م)، وفق مقولة (وانلي) فإن عدد الكورد في الاتحاد السوفيتي ليس معلوما، أما حسب أقوال الكورد في الاتحاد السوفيتي فإن تعدادهم يبلغ ما بين (١,٠٠٠,٠٠٠-١,٢٠٠,٠٠٠) نسمة.

وحسب رأي الكاتب إن جمهورية أرمينيا هي الجمهورية السوفيتية الوحيدة التي صانت الثقافة الكوردية بعد السياسية الاضطهادية لستالين.

15. Ismet h ériff Vanly, “ he Kurds in the o viet Union”, In: The Kurds: a contemporary overview (Ed). by Philip G. Kreyenbroek and Stefan Sperl. London; New York : Routledge, 1992, pp. 193–218.

١٥- عصمت شريف وانلي، (الكورد في سوريا ولبنان):- يؤكد السيد (وانلي) في هذه الدراسة على أن الكورد في سوريا هم من السكان الأصلاء ويسوق أمثلة على ذلك من بينها: منطقة (كورد داغ) التي تقع في شمال غرب مدينة حلب، و(حصن الفرسان) الذي يطل عليه العرب السوريين (حصن الأكراد)، وهذه الأمثلة تؤكد هذه الحقيقة.

أما بخصوص الكورد في لبنان، ف(وانلي) يعتقد بأنهم في الأصل هم الكورد المهاجرين من تركيا الذين تشردوا منها عقب انتفاضات العشرينيات والثلاثينيات من القرن الماضي في كوردستان تركيا.

16. Ismet h ériff Vanly, “ he Kurds in yria and Lebanon “, In: The Kurds: a contemporary overview (ed). by Philip G. Kreyenbroek and Stefan Sperl. London; New York: Routledge, 1992, pp, 143–170.

-١٧Ismet Chériff Vanly, « Problèmes méthodologiques relatifs à l'Histoire du Kurdistan », In: Lêkolîn, Berlin : Înstîtûta Kurdî, n° (4).1997, p. 13–28

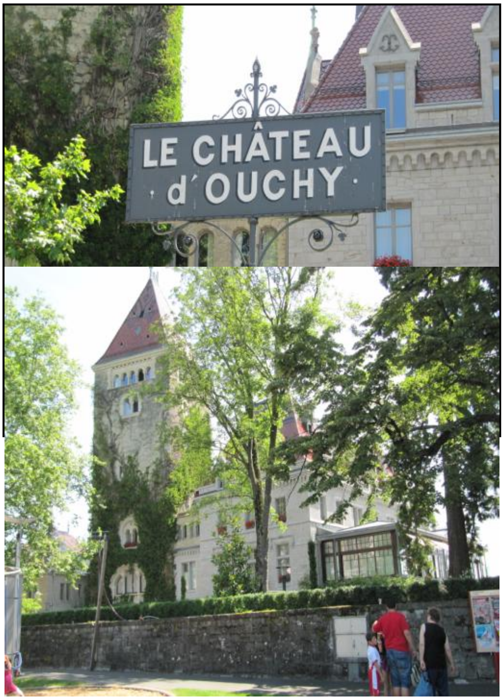

قصر أوشي مكان اعداد وتوقيع معاهدة لوزان

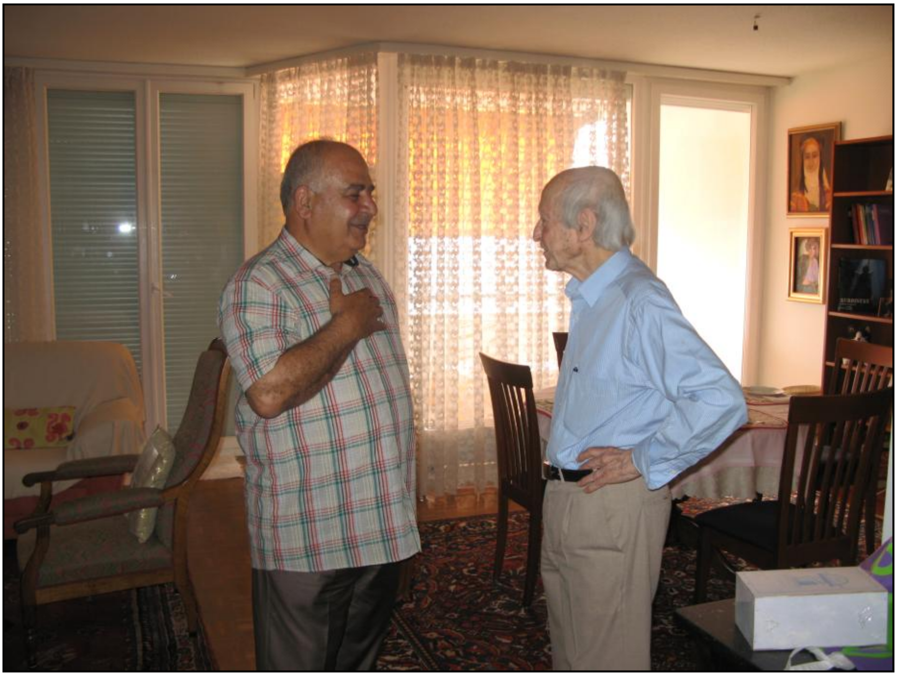

عصمت شريف مرحبا بفرهاد عوني في شقته بلوزان

لوحة معلقة على الجدار الداخلي لقصر أوشي وقد سجل عليها تأريخ القصر

حوار بين عصمت شريف والمؤلف

عصمت شريف يتحدث والمؤلف يسجل حديثه

المؤلف يتوسط عصمت شريف وزوجته كارمن

المؤلف يسأل عصمت شريف: لماذا وكيف ذهبت الى بغداد بعد نكسة آذار عام ١٩٧٥؟

الواقفون من اليمين. خيرالله عبدالكريم، قدري جميل باشا، مصطفى البارزاني، عزت عبدالعزيز، نوري أحمد طه، ميرحاج أحمد والجالسان من اليمين: وهاب محمد علي آغا جندياني وأحد رفاقه في مدينة مهاباد عاصمة جمهورية كوردستان عام ١٩٤٦.

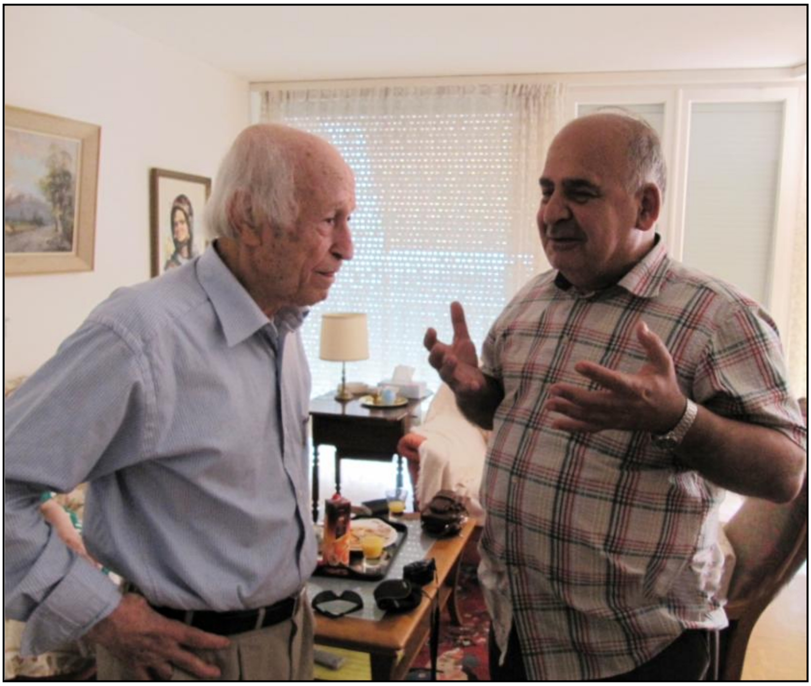

المؤلف لعصمت شريف: لماذا حرمت أبناء أمتك من محتويات مكتبتك الثمينة؟

عصمت شريف في لحظة تفكير

الزوجان السعيدان

عصمت شريف للمؤلف "مهدي الحافظ كان السبب"

المؤلف متسائلا عصمت شريف: ماهي حكاية هذه الصورة؟

عصمت شريف يشرح نصوص اتفاقه مع مكتبة لوزان بشأن إهداء مكتبته لها

المؤلف مع الزوجين السعيدين في شرفة شقتهما

عصمت شريف: "أنا في خدمة القضية الكوردية حيثما تتطلب"

عصمت شريف مودعا المؤلف أمام مدخل العمارة التي تحوي شقته

كارمن: "اهلي يقدرون عمل عصمت السياسي كثيرا"

عصمت شريف: "قلبي لكوردستان يهدى والفم"

الزعيم عبدالكريم قاسم مصافحا عصمت شريف وبجانبه د. كمال فؤاد ويبدو جيري پليكان رئيس إتحاد الطلاب العالمي، يقف خلف الزعيم في مدخل صالة سينما الخيام ببغداد مكان انعقاد المؤتمر العالمى عام ١٩٦٠

البارزاني الخالد مع عصمت شريف وعدد من المقاتلين البيشمركه في جبال كوردستان عام ١٩٦٤

شريف وانلي والد عصمت بالزي العسكري

مارگريت جورج تتوسط عصمت شريف وانلي ود. كمال فؤاد في جبال كوردستان عام ١٩٦٤

عصمت شريف على صهوة جواده في جبال كوردستان منتصف ستينات القرن الماضي

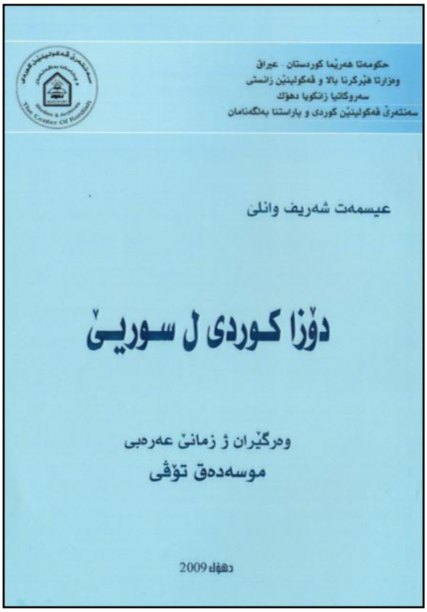

الأكراد في سوريا ولبنان

عصمت شريف وانلي

سأتحدث هنا عن الأكراد في سوريا ولبنان . لقد حصلت على شرف التدريس في السوربون، حيث كنت أدرّس حضارة كردستان من ١٩٥٩ إلى ١٩٦٢ . وبعد ذلك كلّفني المرحوم مصطفى البرزاني بمهام أخرى في خدمة الشعب الكردي. اسمحوا لي إذن، قبل الشروع في الحديث عن أكراد سوريا ولبنان، أن أتطرق قليلا لهذه الحضارة وأذكر بعض الوقائع البسيطة التي تبدو لي من الأهمية بمكان .

حول الاستراتيجية السياسية والعسكرية للحركة الوطنية الكردية
- نظرة الى الماضي والحاضر واخرى الى المستقبل -

عصمت شريف وانلي

دراسات كردية :

كاتب المقال مؤرخ وحقوقي كردي معروف. عاشر الحركة الكردية المعاصرة وكان احد ممثلين الحركة الكردية في العراق والذي قدم حولها اطروحته للدكتوراه في العلوم السياسية الى جامعة لوزان في سويسرا.

صدر للمؤلف:-

١. المنظمات الجماهيرية الكوردستانية ١٩٥٣-١٩٩١، دراسة أولية الطبعة الأولى ١٩٩٩ أربيل.

٢. من حقيبتي، الطبعة الأولى ٢٠١١ أربيل.

٣. ئەزموونی رۆژنامەوانیم (تجربتي الصحفية) الطبعة الأولى ٢٠١١ هولير.

٤. إعادة طبع (ديوان عوني) طبعة مزيدة ومنقحة ٢٠١١ هولير.

رقم الإيداع في المكتبة الوطنية لوزارة الثقافة والشباب

(١١٠) لسنة ٢٠١١